العراق

في رسائل المس بيل





الملك فيصل الأول



الملك غازي



نوري السعيد



عبد الرحمن النقيب



طالب النقيب



الملك عبد العزيز آل سعود

تشرشل

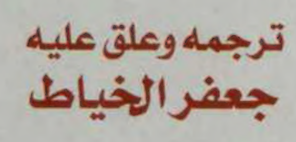


بيرسي كوكس

عبد المحسن السعدون



جعفر العسكري



ترجمه وعلق عليه

جعفر الخياط

الدار العربية للموسوعات

العـــراق
في رسائل المس بل
1926 /1917

طبعة مزيدة ومنقحة

ترجمه وعلق عليه
جعفر الخياط

تقديم المؤرخ
عبد الحميد العلوجي

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

2003 م - 1424 هـ

كافة المراسلات تعنون باسم:

الدار العربية للموسوعات

الحازمية - هاتف: 952594/ 009615 - فاكس: 459982/ 009614

ص.ب: 511 - هاتف نقال: 388363/ 009613 - 525086/ 009613

بيروت - لبنان البريد الإلكتروني: E mail:Arab-enc-house@lynx.net.lb

المقدمـة

منذ سقطت بغداد، عاصمة الحضارة العربية، بأيدي المغول سنة 1258 تناهبت فصائل الغزاة ـ على تفاوت هوياتهم ـ ثروات العراق، واجهزوا على طموحات شعبه، وسجل التاريخ، ابتداء بهولاكو ومروراً بالجلائريين وجلاوزة تيمور لنك وانتهاء بالآق قوينلو.. حكومات قلقة تائهة في دوامة من التخبط. وعلى انقاض هؤلاء نهض الصفويون سنة 1508 وفي عهدهم استيقظت بغداد وفي عروقها دم جديد يحرض على المقاومة، وينادي بيوم الخلاص.. ولكن العثمانيين اخمدوا هذه اليقظة بالاحتلال الناجز سنة 1534. وهكذا اصبحت بغداد ولاية عثمانية، خفيفة الوزن، مثقلة بالمواسم الزراعية الهزيلة، منقطعة عن العالم الخارجي. وعهد ذاك وفي ايام الوالي الاخير بكر صوباشي هب الشعب العراقي سنة 1622 يريد استقلالا وكرامة، ولكن الصفويين عادوا من جديد غزاة ناقمين، لا يحلمون باصلاح. وبعد عشرين سنة من حكمهم الارهابي استأنف العثمانيون احتلالهم الثاني الذي هادن المتملقين، وابتسم للضرائب الفادحة. ودامت هذه المهزلة حتى سنة 1748 حيث ساد بغداد شيء من الاستقرار في عهد المماليك الذين آثروا الانكماش بين أسوار بغداد تاركين مصير المدن والقرى العراقية لأهواء الزعامات العشائرية والعصابات السائبة. وفي عهدهم ظهرت طلائع الاستعمار الانكليزي ترتدي صيغة الوكالة التجارية التي تستمد التوجيه من المركز

الذي وطدته شركة الهند الشرقية في البصرة. وانتهى عهد المماليك سنة 1831 بعد ان استمر (83) عاماً حافلة بالاوبئة والفيضانات ورعونة السراي ومكائد دار الاقامة البريطانية. ثم عادت السيطرة العثمانية من جديد لتضمحل مع سنة 1917 .**وعندئذ وجدنا الجنرال ستانلي مود يكذب حين خاطب بغداد بأباطيل وزارة المستعمرات: «ان جيوشنا لم تدخل مدنكم واراضيكم بصفتهم قاهرين واعداء.. بل بصفتهم محررين!!»**.. وفي سعير هذا الاحتلال الجديد ظهرت الآنسة ڤروترود بيل، مؤلفة هذه الرسائل لنقوم بترجمته إلى العربية.

ولنا، بعد هذا العرض الموجز، ان نتساءل عن طبيعة الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي عاشه الشعب العراقي منذ هولاكو (زعيم المغول) حتى هنري دوبس (المندوب السامي البريطاني) والآنسة بل سكرتيرته الشرقية: ماذا كان مضمون ذلك الواقع خلال (1258 ـ 1926)؟. اين نلتمس ظلاله والوانه على امتداد (668) سنة؟.. وهل هناك من حمل نفسه على تدوين ما حل في العراق من التأخر والخراب والكوارث والآلام، وما نعم به من مباهج وازدهار خلال هذه الفترة الغامضة؟ .

لا نافذة تطل على هذه الفترة.. سوى المجاميع التاريخية التي تركها لنا بعض العلماء العرب، والتواريخ التي صنفها عدد من المؤرخين العثمانيين والفرس، ومدونات السياح الشرقيين والاوربيين، وسجلات شركة الهند الشرقية، وتقاويم الولايات، السالنامات (الحوليات) .

انصب اهتمام المؤرخين العرب، في مؤلفاتهم، على تراجم الاشخاص ووصف المزارات والاضرحة المقدسة.. وهذه كلها قليلة الجدوى في استجلاء واقعنا السياسي والاجتماعي عهد ذاك. ومن المؤسف ان ينصرف بعضهم الى تخليد وقائع النزاع الفارسي ـ العثماني،

والتعصب لحروبهم وفق المنازع الطائفية. وكان اغلبهم يدين الوثبات الشعبية في وجه المحتلين، ويدمغها بالتمرد والعصيان التماساً لبركات الخاقان او السلطان. وقد عرفنا بين هؤلاء المؤرخين في القرن السابع عشر فتح الله بن علوان الكعبي (1645) مع كتابه (زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر)، وفي القرن الثامن عشر: مصطفى بن كمال الدين الدمشقي (1726) مع كتابه (كشط الصدا وغسل الران)، وعبد الرحمن السويدي (1739) مع كتابه (حديقة الوزراء)، وعثمان بن سند البصري (1774) مع كتابه (مطالع السعود)، وفي القرن التاسع عشر: ياسين بن خير الله العمري (1805) مع مؤلفاته (غاية المرام، والدر المكنون، وغرائب الاثر)، ومحمد بن احمد المنشئ البغدادي (1820) مع رحلته. يضاف الى ذلك عبد الواحد باش اعيان في زبدة التواريخ، ومحمد افندي العمري في منهل الاولياء، ومحمد بسام التميمي في الدرر المفاخر، ومحمود بن عثمان الرحبي في بهجة الاخوان، وابراهيم فصيح الحيدري في عنوان المجد، وسليمان الصائغ في تاريخ الموصل، وعباس العزاوي في تاريخ العراق بين احتلالين.

أما المؤرخون العثمانيون ـ ومعهم المؤرخون العراقيون الذين كتبوا مؤلفاتهم باللغة التركية ـ فهم فريقان: فريق رسمي كان مكلفاً بتخليد مآثر الولاة العثمانيين، وفريق غير رسمي كان يستلهم هواه فيما يكتب. وكلاهما لم ينظر الى العراق الاّ من خلال الحروب التي كانت قائمة بين اصفهان واستانبول في بغداد وسواها، او عند تمجيد المناقب التي زعموها لولاة العراق. وقد عرفنا من بين المؤرخين الرسميين: نعيما (1592 ـ 1629) وراشد (1660 ـ 1721) وچلبي زاده (1722 ـ 1728) وصبحي (1730 ـ 1743) وعزي (1744 ـ 1750) وواصف (1750 ـ 1774) و شاني زاده (1805 ـ 1820). ومن بين المؤرخين غير الرسميين عرفنا: الاميرال التركي سيدي علي الريس (1553) في

مرآة الممالك، وحاجي خليفة (1625) في جهان نامة، واوليا چلبي (1655) في رحلاته، ومرتضى افندي نظمي (1677) في كلشن خلفا، ورسول حاوي الكركوكلي (1718) في دوحة الوزراء، ودوري افندي (1720) في رحلته، وسليمان طالب كهية (1880) في حروب الايرانيين وحكومة المماليك ومرآة الزوراء .

أما الرحلات، ومدونات شركة الهند الشرقية، والمؤلفات الاجنبية.. فكانت عامرة بالوهم والغموض والتصحيف والاباطيل والالتباس والتحريف والخرافات، وكان اغلبها معقوداً على التبشير والتبادل التجاري والتنقيب الآثاري والتمثيل السياسي والمغامرة والاستخدام الفني والعسكري والسياحة والاستطلاع العابر. وقد عرفنا من **الرحالة الشرقيين**: عبد الكريم الكشميري (1736) و مرزا ابو طالب خان الهندي (1808).. وكلاهما وضع رحلته بالفارسية، وجوزيف امين الارمني (1768) وسالدانها الهندي (1906).. وكلاهما وضع رحلته بالانكليزية، وحبيب شيحا (1908) الذي استعمل الفرنسية في كتابه (ولاية بغداد) .

أما الرحالة الغربيون، والمغامرون ومستخدمو شركة الهند الشرقية، وجواسيس المكاتب الاجنبية.. فقد اشتهروا بمذكراتهم ومدوناتهم وكتبهم، ويمكن حصر ابرزهم على الوجه التالي:

في القرن الثالث عشر: الرحالة الايطالي ماركو پولو Marco Polo (1298). في القرن السادس عشر: التاجر البندقي قيصر فدريڤو Caesar Fedrigo (1563)، والالماني الدكتور ليونهارت راوولف Leonhart Rauwolf (1573)، والجوهري الايطالي غاسپاررو بالبي Gasparo Balbi (1579)، والتاجر اللندني جون نيوبري John Newberry (1581) والمغامر الانكليزي المعروف انتوني شيرلي Anthony Sherley (1589).

في القرن السابع عشر: البرتغالي پدرو تكسيرا Pedro Teixeira (1604) والايطالي ديللا ڤالا Della Valle (1616) والكرملي الفرنسي ر. ب. فيليب R. B. Philip (1629)، والفرنسي جان بايتيست تاڤرنييه J. B. Tavernier (1632)، والفرنسي م. د. ثيفنو M. D. Th'evenot (1638) والفرنسي دو لوا Eu Loir (1639)، والايطالي جوزيه سبستياني G. Sebestiani (1656)، والراهب الأب الايطالي ڤنشنسو Vincenzo (1656) والاب الفرنسي م. كاديه M. Carre (1672)، والالماني و. داپر O. Dapper (1681).

في القرن الثامن عشر: الفرنسي پول لوكاس P. Lucas (1704)، والكاتبن الاسكوتلندي أ. هاملتون A. Hamilton (1721)، والفرنسي م. اوتر M. Otter (1736)، والايطالي دومينيكو لانزا D. Lanza (1754) والجراح في شركة الهند الشرقية الدكتور ايڤز Ives ñç¡)، والعالم الدنيمركي كارستن نيبور C. Nibuhr (1760)، والانكليزي ابراهام پارسونز A. Parsons (1774)، والانكليزي ايليس أروين E. Irwin (1776)، والفرنسي م. د. دانڤيل . M. d D'anville (1779)، والموظف في شركة الهند الشرقية الدكتور كامپل Campbell (1781) والايطالي دومينيكو سستيني D. Sestini (1781)، والفرنسي الكونت دي فيريه - سوڤبوف Sauveboeuf . De Ferrieres (1785) ومستخدم شركة الهند الشرقية ث. هاول Th . Howell (1788) وزميله الميجر ج. تايلور J. Taylor (1790)، والفرنسي ح. أ. اوليڤيه G. A. Olivier (1791)، والانكليزي الدكتور وليم ڤنسنت W. Vincent (1792)، والانكليزي ج. جاكسون J. Jackxon (1797) .

وفي القرن التاسع عشر: الفرنسي جان جوزيف مارسيل J. J. Mercel (1801)، والفرنسي ادرين دوپر Dupr'e (1807)، والانكليزي جون مكدونالد كينير J. M. Kinneir (1810)، والانكليزي ج. س.

بقنفهام J. S. Buckingham (1816)، والملازم - من مؤسسة مدراس العسكرية - وليم هود W. Heude (1817)، والرسام الانكليزي السير روبرت كير پورتر Wir R. Ker Porter (1818)، والفرنسي ج. ريمون J. Raimond (1818)، ومقيم شركة الهند الشرقية في بغداد كلوديوس جيمس ريچ C. J. Rich (1820) وموظف شركة الهند الشرقية جورج كيپل G. Keppel (1824)، والعسكري الانكليزي - من الاسطول الهندي - ج. ر. ويسلتد J. R. Wellsted (1831) والمبشر الانكليزي انتوني نوريس ڤروفز A. N. Groves (1831) والمبعوث الدبلوماسي جيمس بيلي فريزر J. B. Fraser (1831) والدكتور جيمس روس J. Ross (1834) والعقيد الانكليزي ر. أ. چسني R. A. Chesney (1835) والفرنسي ف. فونتانييه V. Fontanier (1835) ونائب رئيس البعثة البريطانية الى ايران المقدم ج. شيل j. Sheil (1836) والميجر الانكليزي - من مرتبات جيش بومبي - هنري راولنصن H. C. Rawlinson (1836) والطبيب الجيولوجي الانكليزي دبليو. ف. أنسورث W. V. Ainsworth (1837) والكابتن - من مرتبات الجيش الهندي - ر. مينيان R. Mignan (1839) والمنقب الآثاري الانكليزي اوستن هنري لايارد A. H. Layard (1839) والكوماندر - من ضباط البحرية الملكية الهندية - جيمس فيلكس جونز J. F. Jones (1848) والانكليزي و. ك. لوفتس W. K. Loftus (1849) والالماني هـ. پيترمان H. Perermann (1854) ومبعوث جمعية جنيف الجغرافية أ. كليمنت A. Climent (1856) والمستشرق الالماني جول اوپرت المعروف Jules Oppert (1863) والانكليزي جون أشر J. Aussher (1864) والالماني جوزيف سيرنيك Josef Cernic (1875) والانكليزي السير واليس بوج Wallis Budge (1886) والفرنسية مدام ديولافوا Mme. Dieulafoy (1887) والانكليزي أ. بلوينارد A. Bleunard (1890) والانكليزي هـ. س. كوپر H. S. Cowper (1892) والكابتن الانكليزي ف.

ر. ماونسل F. R. Maunsell (1892) والراهب الاسكوتلندي دبليو. أ. ويغرام W. A . Wigram (1897) .

في مطلع القرن العشرين: المستشرق الفرنسي كليمان هوار C. Huart (1901) والنقيب الانكليزي مارك سايكس M. Sykes (1902) والمغامرة الانكليزية لوسا جب Lausa Jebb (1909) والنقيب الانكليزي - من المدفعية الملكية - برترام ديكسن B. Dickson (1909) والميجر الانكليزي أي. ب. سون E. B. Soone (1909) والنقيب الانكليزي - من الكتيبة 40 في الجيش الهندي - ت. فاول T. Fowle (1910) والانكليزي داڤيد فريزر D. Fraser (1910) والامريكي چارلس بركس Charles Brooks (1915) والانكليزي چارلس باربر ÅCharles Barber (1916) والانكليزي سي. ج. ادموندز C. G. Edmonds (1919) والآنسة ڤرترود بيل - كاتبة هذه الرسائل التي نقدمها للقراء (1920) .

وقبل ان نقول كلمتنا في أهمية آثار هؤلاء الذين ذكرناهم.. يجدر بنا ان نكشف جانباً يسيراً من حياة الآنسة بيل، ثم نعود - بعدئذ - الى ما كنا فيه بصدد.

المترجم



المس بيل

حياتها ومولدها

ولدت ڤرترود مرڤريت لوثيان بيل G. M. L. Bell سنة 1868 في مقاطعة يور كشاير Yorkshire ببريطانيا. وهي ابنة السير هيو بيل Hugh Bell من زوجته الأولى، وحفيدة السير اسحاق لوثيان I. L. Bell (1816 - 1904) الاسكوتلندي الاصل، المعروف باختصاصه في كيمياء المعادن.

وعاشت طفولتها الأولى في بيئة ساحرة فاتنة، ومناخ ليبرالي.. في بيت ابيها الباذخ في يور كشاير. وكان ابوها وقتذاك - وظل فيما بعد - واحداً من كبار رجال الصناعة المعروفين في بريطانيا.

درست في كلية الملكة Queen's College في لندن، وأتمت تعليمها في كلية السيدة مرڤريت Lady Margaret Coollege في اكسفورد. وبعد ان تلقت ثقافتها العالية في جامعة اكسفورد، حيث نالت شهادة التفوق في التاريخ سنة 1887، استهوتها اللغة العربية، فتعلمت شيئاً من مبادىء قواعدها فضلاً عن مهارتها - الى جانب لغتها الانكليزية - باللغتين الفرنسية والالمانية. وقد شجعها هذا التحصيل المبكر على زيارة ايران. فهي بعد ان ألمت بطرف من الفارسية، ومع سنة 1892، وكانت في الرابعة والعشرين من العمر، رحلت الى طهران، وهناك مكثت عدة سنوات في رعاية خالها السير فرانك كاڤندش لاسلز F. C. Lascelles

(1841 ـ 1920) الذي كان يومذاك سفير بلاده في العاصمة الفارسية. وفي هذه الفترة وضعت كتابها (كتاب السفر: صور فارسية) - Safar Nama, Persian Pictures (عام 1894) وكتابها الآخر (أشعار من ديوان حافظ الشيرازي) ـ الذي ترجمت فيه الى الانكليزية منتخباً من شعره ـ (عام 1897). وعادت بعد ذلك الى وطنها.. حيث اسهمت مع العالم الآثاري الاسكوتلندي وليم ميشيل رامساي W.M. Ramsay (1851 ـ 1939) في تأليف كتاب (ألف كنيسة وكنيسة) The Thousand and One Churches.

وفي سنة 1899 جردت نفسها للرحلات الواسعة على صهوة جوادها او على ظهور الأبل في حواضر البلدان العربية وبواديها، فكانت في هذا الميدان ثاني امرأة اوربية بعد الليدي آن بلنت A. Blunt. وقد شوهدت في حيفا بفلسطين عام 1900 وهي تتلقى دروسها في العربية على يدي شيخين من شيوخ تلك المدينة، ثم تجولت بعد ذلك في انحاء سوريا. ومع سنة 1907 اخرجت كتابها (سوريا: البادية والمعمورة) Sklyria, the Desert and the Sown.

وتجلى نشاطها السياحي المشبوه في العراق سنة 1909 حين اخذت تمسح بلادنا مسحاً من الشمال الى الجنوب، فكانت في سنجار تجتمع في خيمتها بشيوخ البلدة، وتدون المعلومات المكلفة بجمعها، وحلت ـ بعد ذلك ـ في الرمادي، ومنها اختارت دليلها الذي سيرشدها ويحميها خلال التوغل في المناطق العشائرية، ثم رحلت الى منطقة كربلاء قاصدة عين التمر للوقوف على قصر الاخيضر ورسم التخطيطات اللازمة له. وفي شتاء السنة المذكورة شوهدت في الكاظمية، ومنها ذهبت الى بغداد. وهنا تعرف عليها برسي كوكس(*) لأول مرة في دار

(*) Pwecy Cox يراجع عنه الهامش (6) في هذا الكتاب.

المستر ريچموند (القنصل البريطاني في بغداد) وباحثها في احتمال قيامها برحلة برية تخترق بها جزيرة العرب عرضاً من احد موانىء الخليج العربي الى شمالي نجد.

ثم غادرت العراق الى سوريا، حيث حلت فيها سنة 1910، وكانت تبعث من هناك برسائل خاصة الى والدها. وقامت من حلب برحلة استغرقت خمسة اشهر مرت في خلالها ببغداد، ثم توجهت الى شمال العراق.. ومن هناك نفذت الى الاراضي التركية، وتوقفت عند قونية. وقد نشرت انطباعاتها ومشاهداتها خلال هذه الرحلة في كتابها: من مراد الى مراد(*).

ورجعت الى دمشق عام 1911، لتغادرها مجدداً الى العراق، حيث امتطت جوادها الى الحضر في الموصل لمشاهدة هذا الأثر الحضاري الفذ، ولجمع المعلومات عن العشائر العراقية القاطنة هناك. واخذت بعد ذلك سبيلها نحو بغداد، فشوهدت تنصب خيمتها في بعقوبة على ضفة نهر ديالى، وكان عمرها يومئذ اثنتين واربعين سنة.

وفي كانون الأول 1913 خيمت في دمشق، وفي هذه المرة حامت عليها الشبهات، فوضعتها السلطات العثمانية تحت الرقابة، وصدرت الأوامر بالقبض عليها.. ولكنها استطاعت ان تتملص من ايدي الموظفين الاتراك، وافلحت في الرحيل الى حائل في شمالي نجد. ثم عادت من رحلتها هذه سالمة الى العراق في آذار 1914. ومما يجدر بالذكر هنا هو انها لم تسجل مشاهداتها الجديدة التي استمدتها من هذه الرحلة في كتاب.. غير ان الدكتور داڤيد هوگارت(**) ـ صديقها القديم. ومرجع

(*) Amurath to Amurath وقد ظهرت طبعته الأولى في لندن سنة 1911، وطبعته الثانية سنة 1924.

(**) David Hogarth احد أعمدة الاستعمار البريطاني. يراجع عنه الهامش (71) في هذا الكتاب.

وزارة المستعمرات البريطانية فيما يختص بالبلاد العربية - عرض بحثاً حوى مذكراتها ومشاهداتها على الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية في لندن .

قلنا انها في اوائل سنة 1914 زارت العراق. وقد اناخت رحلها ونصبت خيمتها في الرمادي بجوار احد الشيوخ المتنفذين، ثم انطلقت الى بغداد لتجتمع باصدقائها القدامى من حثالة البيوتات القديمة، وغادرتها في 15 نيسان 1914 الى نجد لتستقي المعلومات المتعلقة بشؤون القبائل من بعض المرتزقة الذين عرفتهم خلال رحلاتها، تمهيداً للقيام بتبويبها وتقديمها الى الاستخبارات البريطانية. وبعد ذلك اجتازت بادية الشام في طريق عودتها الى لندن، حيث طبعت كتابها: قصر ومسجد الاخيضر(*).

وفي خريف 1915 كانت في القاهرة موظفة في ادارة المخابرات البريطانية السرية في مصر (المكتب العربي)(**) تعمل بصفتها مترجمة وخبيرة. وكثيراً ما كانت تجتمع - خلال وجودها في القاهرة - بالجاسوس البريطاني المعروف لورنس(***) ونظيره هوڤارت، في فندقهما الخاص، لتخطيط سياسة المكتب العربي الرامية الى ترشيح شريف مكة لزعامة العرب. وبوجود هذا الثلاثي (بيل ولورنس وهوڤارت) استطاع مكتب القاهرة ان يلفت نظر الرأي العام البريطاني، وان يستفيد من كل فرصة لحمل الساسة الانكليز على قبول ما يصدر فريق القاهرة من آراء بصدد السياسة العربية .

وفي سنة 1916 ارسلها المكتب العربي في القاهرة الى العراق

(*) The Palace and Mosque of Ukhaidir وقد صدر عن اكسفورد عام 1914.

(**) The Arab Bureau يراجع عنه الهامش (74) في هذا الكتاب .

(***) T. E. Lawrence يراجع عنه الهامش (72) في هذا الكتاب .

بمهمة رسمية باعتبارها ذات خبرة في مشاكل وشؤون السياسة العربية في الحجاز، فألحقت بالحملة العسكرية التي فتحت العراق، وعينت ـ لأول مرة ـ في البصرة في 26 حزيران 1916 في المكتب العربي ـ فرع البصرة الذي كان تحت اشراف عالم الآشوريات المعروف كامبل طومسون(*). وتعلمت في البصرة جانباً من اللغة الهندية لأداء مهمة الترجمة. وكانت تتردد على الدائرة السياسية هناك حيث تعرفت ـ اكثر من ذي قبل ـ على المقدم پرسي كوكس الذي رافق الحملة البريطانية بصفته رئيس الحكام السياسيين(**)، كما تعرفت على فيلبي(***) الذي صحبته في رحلة نهرية الى القرنة والعزير وقلعة صالح والعمارة ليجتمعا باكبر عدد ممكن من شيوخ القبائل. وهكذا اصبحت موظفة في دائرة المستشارية في البصرة مع كوكس، وقد منحها هناك عنوان (معاون حاكم سياسي)، فكان عليها ان تعقد اهتمامها بقضايا العشائر، وتوطد الصلة باعمال العملاء الذين سبقوها في هذه الخدمة في مركز استعلامات البصرة، كما اخذت على عاتقها تزويد كوكس باخبار القاهرة المتعلقة بالمفاوضات بين السير هنري مكماهون(المندوب السامي البريطاني في مصر) والشريف حسين، والرسائل المتبادلة بينهما لضمان اعلان الثورة العربية في الحجاز، وانضمام العرب الى جانب بريطانيا في حربها ضد الاتراك .

وبعد ان احتل الجيش البريطاني بغداد في 11 مارت 1917 انتقلت اليها الآنسة بيل، وسكنت بيتاً في محلة السنك أجرته من السيد موسى الباچه چي، وسرعان ما اشتهرت بين أهل بغداد بلقب الخاتون. وفي 9 تشرين الثاني من السنة المذكورة اصدرت سلطات الاحتلال في بغداد جريدة العرب، واناطت بها رئاسة تحريرها.. وكانت خلال وجودها في

(*) Campbell Thompson

(**) .C.P.O.

(***) H. st John Pliillby.

بغداد يومذاك تعد التقارير لوزارة الحرب البريطانية، وقد اعادت طبع كتابها: عرب ما بين النهرين(*).

وسافرت في شتاء 1918 الى ايران باجازة استغرقت شهرين، قطعت خلالها على صهوة جوادها جميع المناطق الكردية الواقعة هناك بمحاذاة الحدود العراقية. وكانت غايتها من هذه الرحلة تدوين المعلومات التي كلفتها الاستخبارات بجمعها عن ايران. ثم عادت بعد ذلك الى بغداد.. حيث اسهمت في ربيع 1919 بوضع مسودة صك الانتداب على العراق مع الدكتور هوڤارت ولورنس بموافقة وكيل الحاكم الملكي العام. وفي 6 شباط 1919 وضعت مذكرة عن آراء نقيب بغداد السياسية، اردفتها في 22 شباط بمذكرة اخرى عن الحكم الذاتي في العراق (وكانت هذه المذكرة سرية كتبتها بالعربية والانكليزية)، وفي آذار من هذه السنة ايضاً كانت في پاريس لتؤدي دورها مع لورنس في مواجهة مؤتمر الصلح. وفي اواخر ايلول كانت في القاهرة، ثم مرت بسوريا في طريق عودتها الى بغداد. وقد وضعت خلال هذه الفترة مذكرة سرية بعنوان (سوريا في تشرين الأول 1919). وغادرت بغداد الى البصرة حيث استقبلت والدها هناك في 29 آذار 1920، ورافقته في سفرة الى الزبير والناصرية والحلة والنجف، ثم مكث عندها في بغداد مدة غير طويلة زار خلالها الكاظمية.

وجمعت في بغداد المادة الغزيرة لتقريرها الكبير (استعراض سير الادارة في ما بين النهرين)(**) لوكيل المندوب السامي، وقد طبعته

(*) The Arab of Mesopotamia وقد صدرت طبعته الأولى في بومبي، ثم اعيد طبعه ثانية في مطبعة الحكومة بالبصرة سنة 1917 وهو مجموعة ابحاث وضعتها الآنسة بيل باشراف رسمي. وهذا الكتاب يحتوي ايضاً على بحث (آسيا التركية).

(**) Review of the Civil Administration of Mesopotamia الذي صدر في لندن سنة 1920 وقد تناولت فيه الانسة بيل الاحداث والوقائق بين 6 تشرين الأول =

وزارة الهند سنة 1920. وفي 17 تشرين الأول 1920 تولت منصب السكرتير الشرقي للمعتمد السامي البريطاني في العراق .

وحينما انعقد مؤتمر القاهرة بين 12 ـ 24 مارت 1921 لرسم الخطط البريطانية الجديدة للاحتفاظ بالمستعمرات.. كانت الآنسة بيل ضمن ما يدعى بالوفد العراقي الذي كان يتألف من المندوب السامي، والقائد العام لقوات الاحتلال، وساسون حسقيل (وزير المالية)، وجعفر العسكري (وزير الدفاع)، والفريق اتكنسون (مستشار وزارة الاشغال والمواصلات) والعقيد سليتر (مستشار وزارة المالية).

وفي مايس 1922 سافرت من بغداد الى فلسطين وسوريا، وهناك اجتمعت طويلاً بوالدها، ويبدو انهما كانا على موعد، كما اجتمعت بمفتي القدس.

وامتدت حياة الآنسة بيل في العراق حتى شهر تموز 1926، وكانت في عمل متواصل لتثبيت النفوذ الاستعماري في وطننا، وقد وضعت طيلة وجودها في بغداد عدداً كبيرا من التقارير والكتب، عرفنا منها تقاريرها السنوية الى عصبة الامم، ومذكرة عن عادات العشائر، ودليلاً صغيراً لمدينة بغداد، وخرائط عشائرية، وكتاباً عن الشخصيات العراقية(*)، وطائفة من المقالات نشرتها بتواقيع مستعارة في الجرائد الانكليزية .

وفي ساعة مبكرة من صباح الأحد 12 تموز 1926 ماتت الآنسة بيل في بيتها البغدادي عن (58) سنة. وقد وجدتها خادمتها الارمنية ماري

= 1914 وهو يوم نزول الحملة البريطانية في الفاو.. الى 15 آب 1920 وقد اشتهر هذا التقرير بعنوان C . M. D. 1061 وهو الذي ترجمه الى العربية المرحوم جعفر الخياط ونشره بعنوان : فصول من تاريخ العراق القريب .

(*) Personalities of Iraq.

خامدة الانفاس في فراشها عندما ذهبت الى غرفتها لأيقاظها في الساعة السادسة صباحاً.. وقد شيعت تشييعاً يكاد يكون رسمياً الى المقبرة المعروفة في ساحة الطيران في الباب الشرقي ببغداد حيث دفنت هناك.

وللانسة بيل، في بغداد، حياة عريضة على الصعيدين السياسي والاجتماعي.. شاءت ان تسجلها بنزاهة احياناً وبلا نزاهة في اغلب الاحيان، في الرسائل التي كانت تبعث بها من البصرة وبغداد والسماوة وكربلاء وسامراء والشنافية والموصل وبيروت ودمشق والقدس وپاريس الى ابيها السير هيو بيل، وزوجة ابيها فلورنس(*)، والصحفي البريطاني ڤلنتاين چيرول(**)، والكولونيل فرانك بلفور(***) (الذي كان حاكماً عسكرياً لبغداد). وفي هذه الرسائل قد سجلت شؤونها الخاصة، وعلاقاتها الاجتماعية، ونشاطها السياسي، ودورها في خدمة الامبراطورية البريطانية. ومن البصرة، في 26 كانون الثاني 1917، انطلقت اولى رسائلها الى ابيها في لندن، وامتدت مراسلاتها مع الذين ذكرتهم قبل قليل حتى سنة 1926، فكانت آخر رسائلها لأبيها مؤرخة في 7 تموز 1926 (أي قبل وفاتها بأقل من اسبوع). وقد عكفت زوجة ابيها في سنة 1927 على طبع هذه الرسائل، فظهرت في مجلدين(****)، ثم نشرت ايضاً مختارات من هذه الرسائل سنة 1953.

وقامت بعدئذ اليزابيث بورڤوين(*****) بطبع رسائل بيل الشخصية، فظهرت في لندن سنة 1961 في مجلدين(******) ومنها استمد جعفر

(*) Florence Bell

(**) V. Chirol

(***) Frank Balfour

(****) ظهرت في لندن بعنوان .The Letters of Gertrude Bell , 1914 - 1926

(*****) بعنوان Selected from Letters of G. Bell

(******) Elizabeth Brugoyne

الخياط الترجمة العربية للرسائل المذكورة(*) .

ومن المستطاع تقسيم الرسائل الى المراحل الثلاث التالية:

الأولى ـ (1917 ـ 19 ايلول 1918) وتمتاز بنشاط الآنسة بيل في جمع المعلومات والتجسس والرحلات والفعاليات الخارقة، وعليها كان اعتماد سلطات الاحتلال، لقلة الموظفين الاجانب في العراق.

الثانية ـ (تشرين الثاني 1918 ـ نهاية 1923) وتمتاز بفعالياتها السياسية في مواجهة تأسيس ما عرف بالحكم الوطني والبلاط .

الثالثة ـ (1924 ـ 1926) وتمتاز بحياتها التافهة، والخمول الذي اصابها نتيجة حرمانها من التدخل في الشؤون الادارية التي كانت تصاغ بالتعاون بين الوزارات المختصة في بغداد ودار الاعتماد البريطاني .

ولا بد لنا من وقفة عند هذه المرحلة لنسلط عليها دفقة من ضوء: فقد اصبحت الآنسة بيل خلال سنة 1924 هدفاً لشتى الوعكات والامراض، وكانت تلازم الفراش في اوقات متفاوتة، ولعلها في سريرتها كانت تندب شبابها وجمالها. ولا عجب فيما نقول **بعد ان اكد جون فيلبي (الذي عرفته الآنسة بيل في البصرة عام 1916) انها كانت جميلة، فاتنة، فارعة الطول، شقراء. وكانت تعتز بهذه النعمة، وتحاول ان تسخرها سلاحاً في مفاوضاتها مع بعض الزعماء العرب**.. فكيف بها وقد ادركت الكهولة، وباتت تشعر بأن دائرة المندوب السامي استغنت عن خدماتها في القضايا الاساسية؟ انها اصبحت بمعزل عن المفاوضات النفطية الدائرة في بغداد، وشاء اسيادها ان يصرفوها الى الآثار القديمة، ويشجعوها على تبادل الزيارات مع البيوت البغدادية، واقامة الولائم وحفلات الشاي، وتنظيم الحياة في بلاط الملك فيصل. انهم خنقوا

(*) Gertrude Bell From Her Personal Papers .

طموحها السياسي بدائرة الآثار ورئاسة لجنة مكتبة السلام.. ولا شيء غيرهما. لقد اصبحت ـ كما اعترفت هي ـ منزوية تعيش لوحدها، بحيث لازمتها في سنة 1925 ازدواجية تدعو الى التأمل، فهي في رسالة (14 تشرين الأول 1925) تقول: «اكاد اعتقد بأني اصبحت شخصية كبيرة».. ولكنها في ختام الرسالة تقول: «اني لست شخصية مهمة». ولاحقها اليأس والقنوط في اكثر من مناسبة، فهي حين سافرت الى لندن باجازة في 17 تموز 1925 كانت متعبة ونصحها الاطباء هناك بالبقاء وعدم العودة الى جو بغداد.. ولكنها سألت اهلها: «ما الذي يمكن ان اعمله هنا؟». وعندما اقترحوا ترشيحها لعضوية البرلمان رفضت قائلة: «اني احمل كرهاً لا يمكن التغلب عليه لمثل هذا النوع من السياسة». ولذلك عادت في 12 تشرين الأول 1925 الى بغداد لتبكي مصيرها المحتوم بصمت .

وحلت سنة 1926، وفيها تقلص عملها السياسي على حساب الشؤون الادارية التي تجهلها، واصبح وجودها غير ضروري في دار الاعتماد. وهذا ما اعترفت به في رسالة 26 آيار 1926. وفي كانون الثاني 1926 بلغت الذروة في القنوط حين قالت «**صرت اشعر بأني اشبه بالقصبة المكسورة!!!**» .

تلك هي معالم المرحلة الثالثة من حياتها في العراق، ولم يبق لنا بعد استجلائها للقاريء الاّ ان نعود الى الآنسة بيل وهي في ذروة تألقها السياسي.. لنتوغل قليلاً في اعماقها راجين الكشف عن غرورها وتناقضاتها.

كانت هذه المرأة، الى جانت اهتمامها بسلالات القبائل العربية وزعاماتها، والى جانب معرفتها الدقيقة باسرار البوادي العربية، تتمتع بعقل ذكي منحها القدرة في مستهل وجودها في البصرة عام 1916 على

ادراك المنافسة المحتدمة بين المكتب الهندي والمكتب العربي حيال السياسات العربية.. تلك المنافسة التي كانت وزارة الخارجية البريطانية تقوم بدور الحكم فيها.. فاكتسبت الآنسة بيل بذلك الادراك مكانة مرموقة بين اقطاب المكتب العربي الذين تغلبوا على سياسة التهنيد المرسومة لادارة المستعمرات.. ومن هنا وجدت الآنسة بيل نفسها ميالة الى المبالغة في اهميتها بحيث اخذت تتوهم انها المرشحة الثانية لمنصب المندوب السامي في العراق، فضلاً عن اعتقادها بانها كانت دائماً على صواب فيما ترسم وتخطط.. فلا عجب اذا كانت تتبجح بانها خلقت كيان العراق، وكونت عرشه، وجاءت بافكار حكومته. وقد بلغ بها الغرور ـ كما اعترفت في رسالتها المؤرخة في 5 كانون الأول 1918 ـ الى الشعور في بعض الاحيان كما يشعر الخالق!!.. والى الاعتقاد ـ كما جاء في رسالتها المؤرخة في 7 تموز 1921 ـ بانها في الحقيقة ومن دون مبالغة تضع كل شيء في راحة يدها!!.. ولكن هذا الغرور لم يخف حتى على سيدها السير آرنولد ويلسن (وكيل الحاكم الملكي العام في العراق)، فقد وصفها بالطيش والحماقة (كما ذكرت في رسالتها المؤرخة في 14 حزيران 1920) واعتبرها دساسة بالفطرة (كما اعترفت في رسالة 24 نيسان 1918).

اما تناقضاتها فالملحوظ في رسائلها انها لم تكن تستقر على رأي، فهي ـ كما قال فيلبي ـ امرأة جميلة قبل ان تكون سياسية ماهرة، ولذلك لم تستطع السيطرة على عواطفها في احكامها على الوقائع والرجال، وهي تعلم ذلك جيداً، وقد اعترفت في رسالة (16 كانون الثاني 1923) لأبيها بانها ترجو ألا تتهيأ لها الفرص التي قد تقترف فيها اعمالا طائشة. كما انها قالت في احدى رسائلها لأبيها: «اذا كانت رسائلي في نظرك رسائل حمقاء، فان عذري الوحيد هو اني اعيش في عالم مجنون الى آخر حد». ولنلاحظ هنا من خلال هذا الاعتراف ان الشعب العراقي

اعتاد ان يبقى هو هو على وتيرة ثورية قهر بها غزاته على العيش في عالم مجنون، كما اعتاد بها ان يقهر الجنون على تلويث عقولهم.

وتطبيقاً لهذا السلوك المتناقض رأيناها، في رسائلها، تمدح بعض العراقيين، ثم تذمهم بعدئذ، وتشتم بعضهم، ثم تثني عليهم بعد ذلك، ولم يسلم من لسانها احد سواء من بين مواطنيها الانكليز او من العرب. فقد وجدناها تمدح آرنولد ويلسون في اكثر من خمس رسائل، ثم ذمته ـ بعد ذلك ـ في رسالتين، ووجدناها تمدح ثم تذم المستر تشرشل، ووجدناها تذم دون ان تمدح الجنرال مود (ولعل السبب هو انه كان يعارض پرسي كوكس في استقدامها من البصرة للعمل معه في بغداد)، وتذم ايضاً السير ايلمر هولدين (القائد العام لقوات الاحتلال) مؤكدة انه لا يملك ما يكفي من قوة الشخصية، كما ذمت الكولونيل لچمن بالرغم من انها كانت تتعشى معه اكثر من مرة في فندق مود ببغداد .

ومن بين العرب والعراقيين الذين شتمتهم الآنسة بيل ثم مدحتهم، او مدحتهم ثم شتمتهم، او شتمتهم دون ان تمدحهم، او مدحتهم دون ان تشتمهم، عدد كبير، منهم: الشيخ يوسف السويدي، والسيد محمد الصدر، والأمير عبد الله، وياسين الهاشمي، وعبد المحسن السعدون، ومولود مخلص، والأب انستاس ماري الكرملي، والحاج ناجي (رئيس بلدية الكرادة الشرقية) وموسى الباچه چي، وعبد الرحمن جميل، والشيخ احمد الداود، وفائق بك (احد ملاكي البساتين في منطقة الفحامة ببغداد)، وعلماء الدين، وبعض المساهمين في ثورة العشرين من شيوخ القبائل، ونوري السعيد، وجعفر العسكري، ومحامو بغداد، ورؤساء تحرير الجرائد الوطنية، وجميل المدفعي، والسيد طالب النقيب، وطائفة من الشيوخ الموالين للانكليز، واولاد السيد عبد الرحمن نقيب بغداد، والملك فيصل، وابنه غازي.. وغيرهم ممن جاء ذكرهم في رسائلها. وقد حاولنا ان ندفع عن بعضهم جور النقد الظالم ممن يستحق الدفاع،

وتركنا بعضهم - دونما دفاع - ليقول التاريخ فيهم كلمته. على ان هذا الموقف لا يعني - بأية حال من الاحوال - اعتبار شتائم الآنسة بيل شهادة قاطعة تثبت وطنية المشتومين، او اعتبار مدائحها حجة تمرغ الممدوحين بالخيانة. . كما لا يعني ذلك اعتبار من شتمته ثم مدحته خائناً يستحق اللعنة، او اعتبار من مدحته ثم شتمته وطنياً يستأهل التكريم. . فكم بين الممدوحين من وجدناه بعدئذ خصماً للاستعمار، وكم بين المشتومين من وجدناه بعدئذ حليفاً للاستعمار!!

نقول ذلك، لنعود من جديد الى مساجلة الآنسة بيل في ضوء ما كتبته في رسائلها، والى الكشف عن الوجه الآخر لتناقضاتها. فهي في سنة 1918 كانت تؤيد الانتداب البريطاني في العراق، ولا تقيم أي حساب لأي كيان وطني يصبو اليه العراق. وقد وجدناها في احدى رسائلها تقول: «لا اريد وجود بلاط هنا مع جميع ما يتبعه من هرج ومرج واضطراب». كما وجدناها في رسالة اخرى ترى «ان تأسيس بلاط ودولة في العراق يعد عملاً جسيماً».. ولكنها في سنة 1920 نقضت غزلها حين قالت: ليست لنا مصلحة في ان نحول دون رغبة العراقيين في اختيار اميرهم!!» .

ومن المثالب الواضحة في رسائلها انها حاولت ان تشكك بقدرة العراقيين على حكم انفسهم تبريراً للوجود البريطاني في العراق، وحاولت ايضاً ان تزرع الخلاف الحاد بين السنة والشيعة ضماناً للمصالح البريطانية في نفطنا وخيراتنا. ولم نجد في هذه المحاولة اللئيمة ايما عجب بعد ان اعترفت هي نفسها في رسالة (الأول من حزيران 1920) بأن وحدة الصف بين السنة والشيعة لا تستطيع مقاومتها .

وفي رسائلها ظاهرة اخرى يجب التنبيه عليها، وهي انها كانت تتباهى بعلاقاتها الاجتماعية مع افراد العشائر والبيوتات البغدادية، وتعتبر

تلك العلاقات دليلاً على ما يستحق لقب (**الخاتون**) من مركز مرموق وسمعة حميدة.. ولكنها ـ من حيث لم تحتسب ـ كانت تنسى ما تقول، وتعلن ما يفضح دورها في المخابرات البريطانية كجاسوسة قذرة. فهي لم تأل جهداً في توطيد علاقاتها بنساء الطبقة المترفة في بغداد عن طريق الزيارات المتبادلة وحضور مجالس العزاء واقامة حفلات الشاي. وفي بادئ الامر كانت تضفي على هذه الصداقات وداً ظاهرياً بريئاً... غير انها ـ مع الايام ـ تنسى نفسها، فهي حين تؤكد جدوى علاقاتها بهؤلاء النساء (كما في رسالة 12 شباط 1920) من الناحية الاجتماعية.. انما كانت ترمي الى غرض دنيء افصحت عنه في رسالة (17 تموز 1917) بقولها: «ان المرء حينما يحصل على مثل هذه الزيارة (أي زيارة النساء) يكون قد حصل على احسن ما يمكن الحصول عليه».. وهي، هنا، تعني «الحصول على المعلومات»، **لانها تعتبر المرأة نافذة مفتوحة على عقل الرجل وقلبه**. ويبدو انها بعد ان ادركت ان مثل هؤلاء النساء يعشن بلا اسرار على هامش الرجل.. عادت في رسالة (14 آذار 1920) لتنفي جدوى علاقاتها بالنساء.

وللانسة بيل، في رسائلها العديدة، آراء ونظرات غير سديدة، وبعضها جارح الى درجة البذاءة، وقد رددنا على ما يستأهل الرد منها، واجهزنا على كيدها اللئيم في هوامش سيجدها القاريء في مواطنها المؤشرة.

ومهما يكن من شيء، فان لهذه المرأة الاجنبية ـ على عيوبها التي لا تحصى ومثالبها الشائنة ـ ما ينبغي التنويه به في معرض النقد العادل. فهي ـ كما اعترفت في رسائلها ـ قد احبت بغداد واهل بغداد، واعلنت ان «جذورها تأصلت في بغداد بسرعة» و «اصبحت هذه البلاد اكثر من وطن ثان لي»، يضاف الى ذلك مقتها الشديد للحركة الصهيونية، وكراهيتها لوعد بلفور، ثم قيامها بانشاء مكتبة السلام التي اصبحت ـ

فيما بعـد ـ نواة للمكتبة العامـة (التي ورثتها المكتبة الوطنية)، وكذلك استحداثها لوزارة الصحة، وللدائرة الاركيولوجية .

ولا نملك اخيراً الاّ القول بأن رسائلها هذه التي انجز المرحوم جعفر الخياط ترجمتها بأمانة احياناً وبتلخيصها في بعض الاحيان، تعتبر في اغلب مضامينها احد المصادر الاساسية لتاريخ العراق السياسي الحديث، فقد انفردت بتسجيل ما لم يسجله مصدر آخر.. لأن الكاتبة كانت شاهد عيان في مواجهة الواقع السياسي الذي ساد العراق قبل ثورة العشرين وخلالها وبعدها .

ان هذه الرسائل لا تقل اهمية عن مدونات الرحّالة الاجانب، وسجلات شركة الهند الشرقية، ومؤلفات الحكام السياسيين الذين عرفهم الشعب العراقي خلال الاحتلال.. وهي كلها تتناصر على اضاءة الجوانب ـ التي ما نزال نحسبها مظلمة ـ من تاريخنا الحديث. وينبغي للمفكرين العراقيين، وهم في ثورتهم الدائمة وكفاحهم الراهن، ان يقرنوا الدافع الى ترجمة هذه الآثار الاجنبية بالغيرة الصادقة على تاريخنا. فلا عذر لنا في اهمالها، وهي وان كان بعضها يستهجن تقاليدنا وعاداتنا وعقائدنا ـ ولا يُلتَمسُ لاصحابها تبرير في هذا العدوان ـ الاّ انها جديرة بالترجمة الكاملة الامينة. وما علينا ازاء ذلك الاّ ان نثقل نصوصها بالهوامش التي تحترم الحق، وتصحح الوهم، وتشجب الباطل، وترد الكيد. وينبغي ان نؤمن بأن ليس كل ما كتب وقيل عنا في المدونات والرسائل والتقارير والسجلات والمؤلفات يعتبر على اطلاقه صحيحاً.. ولكننا. مع ذلك، يجب ألا نخشى ـ في كل الاحوال ـ اية التماعة صائبة ما تزال رهينة في ذمة التاريخ. فقد حان الوقت ـ ان نقرأ بشجاعة ما كتب فينا قبل نصف قرن وحتى ستة قرون، لأن التجاهل لا يمكن ان يستقيم موقفاً سليماً، ولأن الصمت ـ في هذا المعرض ـ لا يؤدي الاّ الى التسليم ـ ولو بشكل سالب ـ بصدق ما زعم الزاعمون، ولابد لنا،

بعد ذلك ـ ان نسخّر علمنا بما قيل وكُتِبَ أفضلَ وسيلةٍ للمواجهة والدحض والتصويب.

اننا نعلم جيداً ان بعض اصحاب هذه الآثار كانوا احياناً ضحايا اخطاء، وكانوا احياناً يتسرعون في احكامهم، ولربما كانت افكارهم المسبقة هي التي جارت عليهم عندما تسرعوا واخطأوا. ونحن عند المواجهة ـ يجب ان نتحدى المستنقع وصولاً الى زنبقة الوادي.

واياً كان الأمر، فنحن في الواقع، اقوياء.. بل اقوياء اشداء، وليس بمستنكر على القوي ان يكون شجاعاً حيال الكلمة الاجنبية الظالمة التي قيلت عنه. **ولا شك ان رسائل الآنسة بيل تعد ابرز مثال لتلك الكلمة. فصاحبة الرسائل تظن ان الله خلقها بمرسوم خاص.. وقد تناست انها عضو في حملة استعمارية غازية.** ومن هنا تهاونها ببعض نوابغنا، وعدوانها على امجادنا واخلاقنا.

عبد الحميد العلوچي

الفصل الأول
1917

البصرة ـ 26 كانون الثاني

تعد البصرة الآن اقل لطفاً مما كانت عليه قبل سنة لأنها اصبحت ممتلئة بالمعسكرات. فقد غدت بساتين النخيل التي كنت أتمشى فيها مأهولة بالناس وفسدت أحوالها بالنسبة للنواحي التي كنت اتوخاها. ولذلك لا استغرب اذا ما اصبح العرب يملون منا. وعلى كل فأكثر مللنا نحن كلنا من الحرب. ومع هذا فالامر اشبه ما يكون بتمريض أحد المرضى ودفعه الى الشفاء خلال حالات مرضية مؤلمة ـ لا أدري ماذا سنفعل حينما تنفذ مشيئة القدر ويموت المريض. هل ينغلب في نهاية كل ما حصل، أو سنعتبر في عداد المغلوبين من الناحية العملية لا اعتقد بأني سأعبأ كثيراً بما يحدث، لكني أرى ان ذلك كله سيعني ترك هذه البلاد وشأنها، وهو أمر يعني بدوره الأنسحاب من آسية تقريباً.

البصرة ـ 2 شباط

جاءت الينا هذا اليوم عصبة بكاملها من شيوخ الفرات. أن معظمهم لم ألتق بهم من قبل، مع أني أعرفهم كلهم معرفة تامة باسمائهم

واعمالهم ـ اشرار[1] اقوياء الشكيمة، لكنهم جذابون! ـ كانوا في ثورة علنية ضد الحكومة العثمانية طوال خمسة عشر عاماً أو أكثر. هل تعلمون، أنهم في الحقيقة قد أخذوا يستجيبون، والفضل في ذلك للأيدي التي كانت تدير الدفة. فقد كانت حياتهم تدور حول حصول حادثة قتل بين حينٍ وآخر مصحوب بعنف طبعاً، وحوادث لصوصية متزايدة، ودفع ضرائب باهظة ـ ليس بوسع المرء ان يغيّر من طباع الناس التي ألفوها خلال حياتهم كلها بهذه السرعة. ومع هذا فقد أخذت الامور تسير في هذا الاتجاه.

.. لقد أحدث فقد اللورد كرومر[2] وخسارته فراغاً مروعاً. فما أعظم الحياة التي عاشها ـ حياة منعمة بالانجازات النبيلة، وتخليف المآثر الخالدة والاعمال المتقنة، مما يعتبر مثالاً للمستوى الصالح لجميع الازمان. لقد احببته حباً جماً، احببته واعجبت به واستندت اليه، وكنت في حصولي على محبته وثقته اشد افتخاراً مما يمكن ان اصرح به.

البصرة ـ 24 شباط

وافتنا في هذا اليوم أنباء توفق الجيش في عبور دجلة من فوق الكوت، آمل ان يعني ذلك سقوط الكوت بعد مدة وجيزة، وقد يعقب

---

(1) اشرار في منطقها، ولكنهم في منطق الثورة لا يقيمون على ضيم ولا ذل في عهود الاحتلال المختلفة.

(2) هو اللورد أيڤلين بارينغ كرومر (E. B. Cromer 1841 ـ 1917) وكان من اعمدة الامبريالية البريطانية، وقد اختارته حكومته سنة 1883 ليكون الوكيل البريطاني والقنصل العام بمصر بدرجة مفوض في السلك الدبلوماسي ومنذ ذلك الحين حتى استقالته عام 1907 كان الحاكم الحقيقي لمصر. والمعروف عنه انه هو الذي وافق على الاحكام الصارمة التي كلفت الوطنيين المصريين حياتهم في قضية دنشواي سنة 1906. واضطر بعد ذلك الى الاستقالة في نيسان 1907. ولاهتمامه بالشؤون الادارية تعد الآنسة بيل نفسها من تلامذته.

ذلك حصول تطورات مهمة بين القبائل التي ما زالت تعادينا. أتمنى ان يكون ذلك قبل سنة[*] فقط! لكن المرء بوسعه ان يدرك كيف كان هذا شيئاً غير ممكن قبل سنة، أي قبل ان تتهيأ لنا وسائل النقل المناسبة والمعدات المطلوبة، لقد تطلب الامر سنة من العمل الشاق، واعتقد بأن كثيراً من الفضل في هذا النجاح يعزى الى صديقي الجنرال ماكمون[1].

البصرة ـ 9 آذار

.. هذه هي نهاية الحلم الالماني في السيطرة على الشرق الأوسط، والاستفادة من سكة حديد «برلين ـ بغداد»، وجميع الاشياء الاخرى. وسوف لا يبقى لهم مكان تحت الشمس بعد الآن. كان ذلك من الممكن ان يحصل لو تحلوا بالسلوك الحسن وتجنبوا الاسراع الى هدفهم بالقوة. وكنا على ما اعتقد قد تخلينا عن هذه البلاد لهم لاغراض عملية، وهم يعرفون ذلك معرفة تامة. وآمل ان يكون خروجهم منها الآن خروجاً ابدياً[**]، وعليهم ان لا يشكروا احداً في هذا غير أنفسهم. أرجو ان نجعل منها نحن مركزاً لمدنية العرب وازدهارهم. لقد كانوا (أي العرب) يخضعون لمحدلة[2] تركية ـ بروسية

(*) أي قبل انتصار الاتراك على الانكليز بعد ان حاصروا الكوت عدة أشهر وأسروا الجنرال طاونزند وجيشه البالغ (14,000) جندي تقريباً.

(1) اسمه الكامل السر جورج فليتشر ماك ـ مون Sir G. F. Mac - Munn وهو ممن كان على رأس الحملة البريطانية على العراق. ولعب دوراً بارزا في بلادنا خلال 1919 ـ 1924.

(**) كتبت هذه الرسالة بعد طغيان مد الحرب في صالح الانكليز، وشروع الجنرال مود بالتقدم السريع نحو بغداد.

(2) كلمة عامية تنظر إلى الفعل (حدل). يقال: حدل السطح، دلكه بمرور المحدلة، وهي آلة معروفة عند العمال المختصين بتمهيد الطرق والشوارع ولعلها أقرب إلى معنى (الرولة).

بخارية، كانت ستسحق، عند الامكان، جميع الصفات والميزات القومية بقوتها القاهرة. وعلينا الآن ان نضع المثل الاعلى الآخر نصب اعيننا جيداً، وسيكون ذلك على ما آمل من عملي أنا لدرجةٍ ما، ولا يغيب عن ناظري مطلقاً .

البصرة ـ 17 آذار

ذهبت في الاسبوع الماضي لتناول الشاي عند كبيرة الممرضات، المس جونز، فاحببتها. وقد اخذتنا بعد ذلك لنرى بعض الجرحى من أسرى الاتراك. فتحدثت اليهم برطانة تركية لم أحاول التكلم بها منذ سبع سنوات وسرهم جداً ان يسمعوا ولو بضع كلمات مفهومة منها. ها هم أولاءِ الفلاحون الاناضوليون بأوجههم المدورة المعروفة ـ كان يمكنني أن أضحك وأبكي لحالهم ـ من قونية، وأنقرة، وقيصري، والبعض من استانبول، وقد تحدثنا عن مواطنهم والبلاد الجميلة التي تقع فيها. وكان بعضهم راضياً جداً بانتهاء دورهم في الحرب الى الابد. كما كان بين الضباط ضابط عربي من بغداد، يعالج سكرات الموت، المسكين لم يكن يستطيع التكلم تقريباً، غير أني ما اقتربت منه وحدثته بالعربية حتى استجمع قواه وأخذ يدمدم بألم ـ كان سؤاله الوحيد عن أخبار الشريف. هل نجحت ثورته حقاً، وهل كنا نحن على اتفاق معه؟ فقلت له بايجاز ان الاتراك قد اخرجوا من الحجاز تقريباً. غير اني كنت أفكر بأن حالة هذا الشاب كان من الممكن ان يكون فيها مزيد من التفجع لو كان يحتضر من أجل قوميته هو. وقد ضحك الضباط الاتراك من كلامه وسخروا به، ولم يلتفتوا اليه ـ أنه عربي. ثم عدت من هناك وأنا أتصور بأوضح ما يكون مقدار ما كان يعانيه العرب في الجيش التركي .

الباخرة[*] ـ 10 نيسان

.. انها من السفن البخارية الجديدة المزودة بالنور الكهربائي، والمراوح، كما انها مريحة جداً، غير أني يسرني أن اصل الى بغداد حيث يحصل الكثير من الاحداث المهمة. قضينا ساعة أو ساعتين في العمارة فأمضيت الوقت في تناول الفطور والتحدث الى المستر والمسز فيلبي[1] ـ انه معاون حاكم سياسي فيها. وسنكون على مقربةٍ من الكوت هذه الليلة. أنه لمن الغريب ان يعامل المرء هذه الاماكن ويعتبرها مجرد مراحل في رحلته .

الباخرة ـ 15 نيسان

نحن الآن على بعد ساعتين من بغداد، ويمكنني ان اقول بكل حرية ان المجيء عن طريق هذا النهر يثير في النفس احتراماً وتقديراً لخطوط مواصلاتنا. أنه اليوم التاسع الذي مر علينا فيه، تمخر بنا الباخرة عباب النهر سبع عشر او ثماني عشرة ساعة في اليوم، ولا ترسو الاّ بضع ساعات في الليل. ومن حسن الحظ ان سفرتنا هذه لم تكن بعد شهر لأن درجة الحرارة قد ارتفعت الى التسعين (فهرنهايت) منذ أيام، وأصبح الحر شديد الوطأة فوق باخرة مزدحمة بالركاب مثل هذه الباخرة. لقد مررنا بالكوت قبل بزوغ الشمس، لكنني نهضت من النوم لالقي نظرة عليها ـ ياله من مكان تاعس مفجوع ـ تتلقى جدرانه المثخنة بالشظايا ونخيله المحطم أول وميض النهار. ما تزال الكوت خالية، لكننا سنعيدها

(*) الباخرة التي اقلتها من البصرة الى بغداد بعد ان دخل اليها الانكليز .

(1) هو هاري سنت جون فيلبي H. St. John Phibly (1885 ـ 1965) مستشرق انكليزي، التحق سنة 1907 بالسلك المدني بحكومة الهند. درس اللغتين العربية والفارسية فنقل الى العراق (1915 ـ 1917) وعين مستشاراً لوزارة الداخلية خلال (1920 ـ 1921)، واستقال سنة 1925 وانتقل للعمل في جدة .

للوجود ونشيدها بأسرع ما يمكن[*].

القينا المراسي في الليلة الماضية فوق طاق كسرى مباشرة. أني اعرف هذه الضفاف جيداً، لاني كنت قد مررت بها راكبة من قبل أكثر من مرة. لكن مخيماتنا الوسيعة هنا هي الشيء الوحيد الذي لم أره قبل هذا. لقد مرت ثلاث سنوات من هذا اليوم بالضبط على آخر مرة تركت فيها بغداد لاجتياز بادية الشام في طريق عودتي من الجزيرة العربية الى الوطن.

بغداد ـ 20 نيسان

كان وصولي شيئاً عظيماً! فقد رحب بي السر پيرسي (كوكس)[1] ترحيباً حاراً، وأخبرني بأن داراً قد خصصت لي. ذهبت لأراها فوجدتها مكاناً تضيق به النفس يقع في زقاق ضيق قذر. لقد كانت خالية بالمرة. كان الاثاث الذي عندي لم يزل مع عفشي[2] الثقيل الذي لم يفرغ من الباخرة بعد، ولم يكن معي حتى خادمي، لأني تركته يرعى العفش في الباخرة. ومن حسن الحظ ان فراشي وحمامي السفريين كانا معي، شأني بذلك شأن المسافر اليقظ. فبادرت الى نصبهما، ثم فتحت صندوقي، وكان قد وقع في دجلة، فنشر جميع ما كان فيه على السياج (المحجر) المحيط بالساحة للتجفيف. وكان الجو حاراً تضيق به الانفاس. ولم يكن

(*) تشير بذلك الى ما عانته الكوت من قصف الاتراك خلال حصارهم لها، بعد ان استحكم فيها الجنرال طاونزند مع جيشه، وظل متحكما الى أن اسره الاتراك .

(1) Percy Cox (1864 ـ 1937) سياسي بريطاني مشهور، التحق بالجيش سنة 1884 وانضم الى موظفي حكومة الهند سنة 1889 وتولى وظائف مختلفة مع السنين في مناطق الخليج العربي. وفي سنة 1914 انتدب ليكون رئيس الحكام السياسيين لفرقة D من الحملة الانكليزية، وقد قدم العراق بهذه المهمة، ثم أصبح المندوب السامي للحكومة الانكليزية في العراق .

(2) العفش: كلمة عامية بمعنى ما تجمع من الأثاث والأمتعة.

عندي أي كرسي أضع عليه بعض اللوازم، وحينما أردت ماء لأغتسل اضطررت لفتح الباب وطلب المساعدة من الزقاق. وكان من حسن الحظ ان استجاب لي الناس هناك بكل سرور. وقد تناولت عشائي مع السر پيرسي، ثم تزودت برغيف من الخبز للفطور وعدت الى داري الخاوية لأنام. واسعفني الحظ فوصل خادمي في أواخر الليل، وبهذا تهيأ من يحضر لي الشاي في الصباح التالي.

على أني اعترف بأني قد شعرت بشيء من الضيق بعد ان رتبت شعري، وتناولت فطوري على الارض. واتضح لي ان اعمل شيئاً في الحال، فبادرت الى التفتيش عن دار اخرى. وكان أول شيء عثرت عليه حديقة كبيرة في داخلها ثلاث دور صيفية قريبة(*) جداً جداً من «**المكتب السياسي**» تعود الى موسى چلبي (الباجه جي) أحد اصدقائي القدماء. فقررت في الحال ان ذلك هو بغيتي، غير ان الوضع كان يتطلب بناء مطبخ وحمام، وتركيب ستائر خشبية تصد الشمس وأشياء كثيرة غير ذلك. فناشدت موسى چلبي ان يساعدني في الامر فدعى رجلاً متقدماً في السن من خدامه كنت أعرفه منذ مدة، وبعد خمسة أيام سكنت البيت، والظاهر ان كل شيء فيه يبشر بالخير. وكان خادمي المسن (شمو) قد استخدم طباخاً، وأخذ الكولونيل ديكسن، الموظف الانكليزي الذي كانت بعهدته جميع التجهيزات، يهتم بأمري بعد أن طلب اليه ذلك. ولابد لي من أن أخبركم بأن الازهار في الحديقة عظيمة جداً ولكن الجو حار! وأنا انتظر وصول ملابسي الصيفية بفارغ الصبر. فمتى تصل اليَّ يا ترى؟.

وتقاطر عليَّ في هذه الاثناء جميع معارفي وأصدقائي. وقد زرت النقيب، كبير العلماء والحليف القديم منذ سنين، فاستقبلني بذراعين مفتوحين. ومما اعجبني جداً ان وزارة الحرب أبرقت بوجوب موافاتها

(*) موقعها في محلة السنك .

بمقالات موقعة بتوقيعي.. وما أشبه. وسيكون صيفي حافلاً بالاحداث، لأن السر پيرسي يعهد اليّ بأشياء مثيرة أقوم بها، وهو أفضل الرؤساء وأكثرهم لطفاً. ان بغداد الآن عبارة عن مجموعة من الورد والتبريكات، لأن الاهالي يغمرهم فرح حقيقي بتحررهم من ربقة الترك. سأقص عليكم الباقي في وقت آخر لأني جد مشغولة الآن .

27 نيسان

... مما يؤسفني ان وقتي لا يسمح لي بالبقاء في البيت، لكني عازمة على البقاء بعد ظهر كل يوم لاكتب المقالات التي طلبتها وزارة الحرب، وفيما عدا ذلك يشغلني الزائرون بصورة فظيعة. فأنا أريد مقابلتهم لانهم مفيدون جداً من حيث المعلومات التي احصل عليها منهم، لكن هذا يستغرق ساعات كثيرة. ان ما يسليني انني اخذت اجتمع هنا بأناس كنت قد قابلتهم في حايل(*) والنجف واماكن كثيرة أخرى، اللّه اعلم بها. وفي هذا سلوى عظيمة لي، ومن دواعي الاعتزاز ان تكون لي معرفة بمثل هذا العدد الكبير من الناس. غير ان حرارة الجو مزعجة! فقد بلغت درجتها (90) فهرنهايت في أبرد غرفي في هذه الليلة بعد العشاء، ويعتبر ذلك شيئاً اعتيادياً في الحقيقة. وسيكون الجو في الشهر القادم اكثر حرارة بعشر درجات على الاقل.

ان منهجي اليومي هو ان اركب جوادي من السادسة الى السابعة والنصف، ثم اعود فأستحم وأتناول فطوري، واقصد المكتب بعد ذلك في الحال. ولا أخرج منه الاّ بعد الساعة السابعة مساء، أو فيما يقرب من الثامنة أحياناً. وسأبدأ بعد قليل بيومي ساعة أبكر، وسأحاول الخروج من المكتب في السابعة للعشاء. أنا اشعر بارتياح في غير محله بالنسبة

(*) في اثناء رحلتها الى نجد سنة 1914 .

لوسائل الرفاه المتيسرة لي. فليس بوسع امرء في البصرة ان يحصل على اي شيء ـ عشت هناك مدة سنة كاملة على الحليب المعلب والزبد، وها قد تيسر لي اخيراً أن اعيش بدونهما الآن لأن الانسان هناك يمل المأكولات المعلبة. اذ يتيسر لي هنا كل يوم حليب وزبد طريّان وشيء من اللبن الخاثر. وغدائي هو كاسة من اللبن، وهو ألذ المأكولات المتيسرة في مثل هذا الجو، مع فنجان من القهوة العربية، ومن بعد ذلك مجموعات من الورد والازهار في كل مكان.

ان واجباتي كثيرة التنوع، لأن موظفينا قليلون. وعلى هذا فأني أقوم بكل ما يمكنني ان افعله لاراحة السر بيرسي ـ فأقابل ممثلين عن مختلف الطوائف والنحل، وافتح بابي لشيوخ العشائر ورسل البادية وبعد ان اكتشف مهمتهم أبعث بملخص عنها الى السر پرسي، وأقوم فوق ذلك كله بعملي الحقيقي وهو جمع(*) المعلومات وتبويبها. وقد توفقت حتى الآن في رسم الخرائط العشائرية الجديدة، واعداد قوائم القبائل، وسوف تبعث غداً الى حكامنا السياسيين أول مجموعة كبيرة من المعلومات السرية عن شخصيات بغداد ـ وهذا شيء غير قليل. وآن الاوان لأن تردني نتائج اعمال المسح الجديدة، وسوف أقوم بمراجعة أسماء الاماكن وتصليحها، وهذا شيء أود أن أقوم به لأنه من المستحسن أن تضبط الاسماء أولاً، وان ذلك يزيد في معلوماتي الجغرافية ثانياً. ومما يساعدني في ذلك ان قسم المساحة يترأسه رجل متحمس في عمله، ويفسح لي المجال لكل شيء. وسأصبح كذلك «أمينة للآثار القديمة»، أو أنني سوف أرى على الاقل «ناظر الواردات» فجميع الابنية القديمة وأنقاض الابنية التي استقام وجودها حتى اليوم، قد وعدني بالمحافظة عليها..

(*) كانت تتولى يومذاك مهمة الاستخبارات، وشؤون العشائر.

27 تموز

... ولم تقدم التجهيزات الكافية فأدى ذلك الى النتائج المنتظرة[*]. فلم يكن هناك ثلج كافٍ، ولم يتيسر العدد الكافي من الاشخاص، وفي عز الحر وشدته صدرت الأوامر بشن هجوم على موقع صغير من المواقع التركية في جبهة الفرات، فآل هذا الى وقوع ستين اصابة على ايدي العدو (450) اصابة بواسطة الشمس المحرقة ـ وتقهقر الى النقطة التي بدأنا منها. لكنك حينما تقرأ البيان الرسمي المنشور للملأ تستنتج منه أننا احرزنا نجاحاً رائعاً. لقد كنت اكره الاكاذيب دوماً، وما زلت اكرهها أشد من أي شيء آخر.

... وكلما ازدادت معرفة المرء بالشرق وأحواله، تزداد حاجته الى تعلم الصفح ـ أحسب ان ذلك تنطبق عليه قاعدة «تغاضَ عن جميع ما تعرف». وقد كان نصف الناس الذين هم أصدقاؤنا الحقيقيون الآن هنا يكتبون مقالات عنيفة ضدنا حينما كان الاتراك يمسكون بخناقهم. وان كونهم يكتبون بمثل ذلك العنف ضد الاتراك في يومنا هذا، ولو من دون ان نجبرهم نحن على ذلك، لا يمكن ان يكون سبباً لاقناع المرء ورضاه بما يفعلون. فالكلمات في الشرق هي مجرد كلمات عارية ـ لا تعني أي شيء[1]. اذ يمكنك أن تتخذ احتياطات مكتومة وتقول ما تريد وتشتهي من الاقوال، وليس هناك من يقول لك اين ينطوي ذلك التحوط؟ ويحصل مثل هذا في جميع المجالات، في الشؤون الدينية، والعلاقات الاجتماعية، وفي الكبير والصغير من الاشياء ـ وقبل ان يصيح الديك في فجر اليوم الثاني يبدأون بالتحدث بعكس ما كانوا يتحدثون به من قبل.

(*) استمرت الحرب في الجبهات العراقية، فكتبت هذه الرسالة تتذمر فيها مما أصاب الانكليز من خسائر فيها.

(1) حكم فج، لا يخلو من تضليل، وقد فات الآنسة بيل، ان الشرقي اعتاد ان يكون (صاحب كلمة) وان يقف دون رأيه وعقيدته مجاهداً.

ان ذلك لشيء محيّر، لكنك يجب ان تضع في فكرك على الدوام عادة الشرقيين التي يتعذر استئصالها، حتى تكون حذراً متهيئاً للتبريد. وقليل من الشرقيين من يموت من دون ان يتخلى عن عقيدته الراسخة بالكلمات، مثل ما نتمنى نحن جميعاً ان تكون لنا الشجاعة الكافية لنفعل ذلك.

30 أيار

... تذوب الايام كما يذوب الثلج في الشمس. لا بأس في ذلك لاني كنت أفكر هذا المساء بأني لو لم اكن مشغولة الى هذا الحد لشعرت بالوحدة كثيراً. فقد بقيت اليوم في المكتب من الثامنة والنصف صباحاً الى الثامنة مساءً ولم استطع أنهاء شيء الاّ القليل بالنظر للاكداس التي استغرقت وقتي كله. ولا يسعني الآن ان اكتب لكم شيئاً مهماً، لذلك يجب ان تكتفوا بشيء قليل من التغيير.

قضيت ساعتين يوم امس قبل الفطور وأنا أكشف على مسجد[*] دقيق الصنعة من مساجد القرن الرابع عشر، وعلى ضريح بُني في نفس الوقت، لأقرر الترميمات الاساسية التي يجب الاضطلاع بها في الحال. وكان دليلي في كلٍ من المكانين «العالم» المسؤول عن المسجد، كما اصطحبت معي ناظر الواردات المستر غاربيت[1]. اننا يجب ان يكون عندنا معمار مدرب بأسرع ما يمكن. ومن حسن الحظ ان يكون المستر ستورز[2] (سكرتير المندوب السامي في القاهرة) في طريقه الينا بزيارة

(*) لعلها تقصد جامع مرجان.

(1) ظل المستر غاربيت Garbett مسؤولاً عن دائرة الواردات في بغداد حتى تموز 1918 حيث وقع مريضاً، ثم غادر البلاد بإجازة مرضية في كانون الأول ـ وفي 1919 أصبح المعاون الشخصي للكرنل ايفانز مدير الزراعة العام.

(2) المعروف عن السر رونالد ستورز Sir Ronald Storrs انه اصبح بعد ذلك حاكما في القدس وروديسيا الشمالية.

قصيرة. وسوف يساعدني في الحصول على الرجل الذي نحتاجه لهذا الغرض، وفي أشياء كثيرة اخرى.

يريد مطران ناغپور[1] مني شخصياً ان اصحبه في زيارته لبابل، ويوسعي أن أقول بأن لي أهلية كافية لذلك! والامل أن أذهب معه. لأني أريد العودة الى هناك، مع أني سأتألم لدرجة ما لأن المنقبين الالمان كانوا لطيفين جداً معي، وليس بوسع اي حرب ان تزيل تقديري الودي لكولديوي[2].

ليس عندنا الآن العدد الكافي من الكتاب، وكتاب الطابعة، ولذلك يبدو ان ليس بوسع المرء هنا أن «يدفع الحجر الى قمة التل» ـ أنه يتدحرج ثانيةً لفقدان الوسائل الميكانيكية. أتأمل ان تعتدل الامور بمرور الزمن، على ان العمل سيبقى متعباً في غضون ذلك..

11 أيار

... كان اهم ما وقع في هذا الاسبوع وصول المستر ستورز من مصر، وسيمكث هنا اسبوعين. لقد جاء معه بعاصفة من الهواء العذب من الخارج، وسوف يسوؤني اذا لم نعده الى جناح عاصفة مماثلة تفتح أبوابهم عنوةً وشبابيكهم المتجهة نحو الشرق. فأن هذا الاتصال والتبادل يعد شيئاً مفيداً جداً. لقد اصطحبته معي في زيارة رجال الدين جميعهم، ومتعلمي البلد، فارتاحوا اليه وفرحوا بعربيته كذلك ـ ان ما يريح هو ان يصطحب المرء «أباً للغات» مثله! ومن سوء الحظ ان تحول مشغوليتي الكثيرة دون الاكثار من مرافقته، لكن اصطحابي له في بعض الاحيان ينعشني جداً..

---

(1) تقع مدينة ناغپور Nagpur في ولاية مهرشترا الهندية.

(2) هو روبرت كولديوي R. Koldewey (1855 ـ 1925) العامل الآثاري الالماني المعروف، أجرى تنقيباته في مدينة بابل بطريقة علمية دقيقة خلال (1899 ـ 1917). وهو الذي أقام في متحف برلين نموذجاً رائعاً لباب عشتار.

أصبحت حاذقةً في شؤون السياسية العربية ـ لكن ذلك لا يجعلها تبدو سهلة على كل حال. لاننا أخذنا على عاتقنا واجباً جسيماً، غير أني لا اتصور وجود وجه آخر للخيار .

أنا اقضي ايامي على المنوال الآتي: أخرج قبل السادسة صباحاً فأمر بركوبي بالبساتين المحاذية لضفة النهر احياناً، وأحياناً اعقب خط سور المدينة القديم فأخب جوادي في البر بعض الوقت، ثم اعود الى البيت عن طريق الازقة. واكشف في بعض الاحيان على أثر من الآثار التاريخية القديمة في طريق عودتي ـ فعلت ذلك في صباح هذا اليوم. واذهب بعد الاستحمام والفطور الى المكتب في التاسعة، وأمكث هناك الى ما بعد السابعة مساءً. واتناول في الثانية عشرة والنصف فنجاناً من القهوة ومقداراً من اللبن الخاثر، كما أتناول الشاي في الرابعة مع السر بيرسي وهو الوقت الوحيد الذي اراه باهتمام، من يوم لآخر تقريباً، لكي يكون بوسعي ان اساهم فيما أؤمل ان يكون شيئاً حاسماً في توجيه الامور توجيهاً نهائياً. وسأتمكن من ذلك بالفعل نظراً للمعلومات التي أحصل عليها في الوقت الحاضر. فالناس مقبلون علي بصورة لا تعبر عنها الكلمات. ولا يهمني أي شيء آخر حينما يكون العمل جسيماً كهذا.

18 أيار

. . . لا يسعني بأي حال من الاحوال أن اغادر بغداد في هذا الوقت. أنها فرصة عظيمة ان يستغل المرء الوقت، وقد اصبح منعماً بالعاطفة. اذ يستطيع أن يجد الشخص الذي لا يجده بعد ذلك أبداً، وان يؤسس علاقات لا تنفصم. ولا أفعل هذا من أجلي انا، وانما افعله لأنه يساعد على تزييت وتشحيم دواليب الادارة. ان ذلك يتم بالفعل الآن، واريد ان اراقب كل شيء فيه بحالةٍ هادئة. فان الناس يزوروننا طوال النهار، وقد تتيسر لأحدنا ساعة أو ساعتان من دونهم ـ حيث ينقطع

ورودهم بين الثانية عشرة والثانية بعد الظهر، وعندئذٍ يتيسر لي تعديل المعلومات التي اجمعها وترتيبها. لكن نهاية اليوم تجدني وانا لم أكمل شيئين أو ثلاثة من دون أن أؤمل النظر بها في اليوم التالي. وهي تتكدس الآن بعضها فوق بعض، ولا يسعني أن أتصور متى يتسنى لي اكمالها. ولذلك فان الذي يقلقني هو ان هناك معاملات اكثر مما يمكن انجازه على الدوام. واعود لتناول العشاء في حديقتي في الثامنة، واذهب الى الفراش بصورة عامة في التاسعة والنصف حين يستولي النوم على جفوني. ما يزال الجو بارداً بلطف، لكن ذلك سينتهي بعد يوم او يومين على وجه التأكيد .

ينبغي ان اقول لكم بأني أحب بغداد، وان الناس فيها مقبلون علينا، ان قسماً من هذا الاقبال هو من قبيل الاستعطاف والمصلحة بلا شك، لكنهم فرحون بوجودنا على كل حال .

ولأذكر لكم عرضاً ـ لكي لا تعجبوا عندما نلتقي ـ أن شعري سيبيض تماماً في هذا الصيف. انها احدى نتائج العيش في هذا الجو. على ان ذلك سوف لا يعبأ به الرجال مثل الرجل الذي قابلته هذا اليوم، وكان قديساً بحيث لم يستطع ان ينظر في وجه امرأة غير محجبة! ولم أعارض رغبته في أن يتحدث اليّ طويلاً عن شؤونه الخاصة .

كان الجنرال ويكهوب هنا مؤخراً، كما جاء المستر فيلبي من العمارة، أنه ذكي سريع في عمله... ولم يكن الوضع هنا مثل وضعنا هذا تماماً من قبل، يجب ان تفهموا ذلك ـ انه شيء يثير العجب ويعني صنع عالم جديد. ولذلك يمكنكم ان تعرفوا السبب في عدم مجيئي. لقد أبرقت وزارة الحرب طالبةً سلسلة من المقالات الموقعة عن العراق وآسية الصغرى .

ان أشغالي لا تنتهي، غير ان هذا خير من عدم انجاز أي عمل، سوى أنه يؤدي الى ان تكون رسائلي مقتضبة واني لأشعر بالخجل عندما اتسلم

رسائل ضافية منكما انتم الاثنين اللذين لا تقل مشغوليتهما عن مشغوليتي.

لم يزل الجو معتدلاً في الحقيقة، فنادراً ما تصل درجة الحرارة الى المئة، لكن الحر لابد من أن يبدأ في الحال. وما زلت أركب جوادي المحبوب فأحافظ بذلك على نشاطي. عليّ في الحقيقة أن احصل على نسخة اخرى من كتاب «آموراث»(*)، ورجائي ان تبعثوها لي. فالكتاب مطلوب كثيراً هنا لعدم وجود كتاب حديث غيره. ان الساعة تشير الى الثامنة، وقد كنت في المكتب منذ التاسعة صباحاً من غير انقطاع، عدا عشرين دقيقة لتناول الغداء .

26 أيار

. . . يغادر المستر ستورز هذه البلاد في الاسبوع القادم، بعد ان احسن الينا احساناً كبيراً. ان المرء يصبح غريباً عندما ينقطع عن مواجهة أناس من الخارج. وأهم ما وقع في أوساطنا هنا وصول فهد(**) بك شيخ العمارات الاكبر، وهو شخصية كبيرة وصديق من أصدقائي القدماء. فقد نزلت عنده في البادية قبل ثلاث سنوات في طريق عودتي الى دمشق. وآمل ان نمد يد المساعدة له بحركةٍ نقوم بها بين القبائل فانه لعمل عظيم ان نجعله «يحرق سفنه» ويرتمي في أحضاننا. وأؤكد لكم على ان مقابلتنا كانت مقابلة ودية رقيقة الى اقصى حد.

اسمحوا لي ان أقص عليكم الآن قصة شيقة. جاءني اثنان من الشيوخ المتقدمين في السن وهما بحالة رثة مؤسفة، لأن قبيلتهما كانت تقيم بالصدفة على الحدود فأزعجها الاتراك كما أزعجناها نحن، وأخيراً

(*) كتابها الذي اخرجته في 1911 عن رحلة قامت بها في الشرق الأوسط A murouth to A murouth.

(**) انه فهد الهذال، شيخ مشايخ عنزة وصديق الانكليز الحميم كما سيتبين في رسائل اخرى .

اختارت أهون الشرين فالتجأت الينا، ونحن، جرياً على طريقتنا السقيمة، زججنا بنصف افرادها في السجن فلم يستطيعوا العثور عليهم، ولذلك جاءا اليّ فقلت لهما دعوني أتذاكر مع السر پيرسي، لأرى ما يمكن ان نفعله. وعند ذاك أوشكا على البكاء من الفرح والمنة، وأخبراني بأنهما سيقدمان لي مهرة جميلة. غير أني رفضت ذلك، وقلت لهما ان ذلك شيء لطيف منهما لكني لا يسعني ان أتقبل هدايا، ثم ذهبت لأكلم السر پيرسي في الموضوع. وعند عودتي منه خاطباني بقولهما: خاتون، اذا رفضت المهرة فاننا سنبعث اليك بغزال بدلاً عنها! فلم أتسلم الغزال حتى اليوم، وأتأمل ان لا يصل لانه يأكل كل شيء تقريباً حتى الاوراق، ولكن ألم يكن جميلاً منهما ان يعرضا علي الغزال بدل المهرة؟ ان سروري العظيم في هذه البلاد هو أني أحب الناس فيها حباً جماً.

نحن نتمتع هنا بالفواكه. فالبرتقال الممتاز قد أوشك على النفاد، لكن المشمش قد نزل بكثرة، وكذلك الڤوجة الحلوة، كما بدأ موسم البطيخ الصغير الجيد وبعد ذلك سينزل العنب والتين ـ حقا أن البلاد بلاد خيرات. انتم تعرفون أني أحبها، أحب عملي وأتمتع بثقة رئيسي.

قمت بزيارة مبكرة، عندما كنت خارجة للركوب في صبيحة يوم من أيام الاسبوع الماضي، لولدٍ[*] من ابناء محارب من المحاربين الشركس القدماء، وكنت اعرفه في أيامي الغابرة. فوجدت هناك ايضاً احد الادباء المشهورين في بغداد، انه يقوم الآن بكتابة مقالات افتتاحية لي أبعثها الى الصحف المصرية. فجلسنا نشرب الشاي ونحتسي القهوة ونتحدث في شتى الشؤون، ثم خرجت وانا اشعر بأني في الحقيقة جزء من بغداد. فأنتم تعرفون بأن جذوري تتأصل هنا بسرعة فائقة فما هو رأيكم؟ لا

(*) لعلها تقصد داود بك بن محمد فاضل باشا الداغستاني.

اعتقد بأني سيكون بوسعي ان انفصل انفصالاً دائماً عن مصائر هذه البلاد. لكني لا اهتم بالنظر مقدماً الى الامام، اذ يكفيني ان عملي هو هنا في الوقت الحاضر. غير انه من العجيب ان اشعر بهذا الود والثقة من الناس المحيطين بي. اننا قليلون هنا بحيث يكون كل منا محطاً لانظار الناس وموئلاً لهذه الكثرة من المخاوف والآمال. على ان هذا هو شأن من يوجد في نهاية الحرب، وتطلق له اليد في العمل!

1 حزيران

. . . ذكرت لكم شيئاً من قبل عن فهد بك، أليس كذلك؟ لقد عقدنا معه في صبيحة أحد الايام مؤتمراً عمد في نهايته الى وصف الوقع الشديد الذي أحدثه كتاب مني كتبته له في الخريف الفائت ـ كتبت له من البصرة. فقد أخذ يقول: جمعت شيوخي وقرأت عليهم كتابكِ، ثم قلت لهم لاحظوا أيها الشيوخ ان هذه أمرأة، فكيف يكون رجالهم يا ترى؟ لقد أعادتني هذه الخاتمة الطريفة برمشة عين الى مكانتي الحقيقية. أخذناه يوم أمس ليشاهد استعراضاً للطيران، فسر لذلك سروراً بالغاً. وكان يقول انه لم يتمتع بشيء مطلقاً مثل تمتعه بهذا الاستعراض، حتى انه تجرأ فدخل الى احدى الطائرات ـ لكي يقول للاعراب، على حد قوله، أنه ركب احدى الطائرات. لكنه ما أن دخل فيها حتى التفت الي بتلهف وهو يقول: لا تسمحي لها بأن تطير!

ايه اعزائي، أن العيش هنا شيء مدهش ـ لا يسعني ان أصف لكم مقدار حبي له .

8 حزيران

. . . أنا مشغولة في لحظات فراغي بإعداد مقالات لوزارة الحرب التي أخبرتكم عنها، كتبت أربعاً منها حتى الآن وسوف يصل عددها الى السبع. ولا يعد هذا شيئاً هيناً بين الاشياء الكثيرة الاخرى المطلوبة مني.

انها خير ما يمكن نشره حول قضية العنصر العربي، فلينصت الناس لها .

ابتهجنا بقدوم معتوه عجوز غير مؤذٍ من جهات الحدود السورية في البادية. وكان الدافع لسفرته ما يأتي أنه صادف في البادية إمرأة ذات قوام ضخم وتقاسيم لماحة. وعندما سئلت عن نفسها قالت أنها الشمس، غير ان هذا الجواب لم يشف غليل صاحبنا على ما يظهر وحينما الحّ عليها اعترفت بأنها الحكومة البريطانية. وحينئذٍ قرر أن يأتي الى كوكز (السر پرسي كوكس) مباشرةً سعياً وراء الشمس، كما شرح بتعقل. ان كلمة (كوكز) تدخل بسرعة الآن في اللغة العربية، لا كاسم علم بل كصفة من الصفات. فأنت مثلاً «كوكز» كما لو كنت في يوم من الأيام كسرى أو فرعون. وكثيراً ما أوصف أنا بكلمة «كوكزة» أي مؤنث كسرى مثلاً. أليس هذا جميلاً؟

15 حزيران(*)

حدثت منذ ان كتبت لكم آخر مرة حوادث كثيرة، كان بعضها مكدّراً لدرجةٍ لا يستهان بها. وسأغتنم فرصة تهريب هذه الرسالة اليكم فأكتب عن الامور بالتفصيل، مما لا يسعني أن أكتبه بغير هذه الطريقة لئلا يخبر الرقيب القيادة العامة بأن رئيس الحكام السياسيين(**) يستخدمني في نقل آرائه الى الحكومة في الوطن، أني مقتنعة بأن القيادة العامة لا ترغب في عرض حقيقة الاحوال على أولي الامر هناك. ان

(*) هذه رسالة كتبتها المس بيل من بغداد الى السر آرثر هرتزل مساعد وكيل وزارة الهند في لندن. وهي غير موجودة في كتاب « غيرترود بيل » المطبوع ولا في كتاب المس برغوين، وانما عثرت عليها في كتاب (حياة السر پيرسي كوكس) لمؤلفه فيليپ غريقز (ص 226) فأوردتها أتماماً للفائدة، وهي تدل على موقف القائد العام الجنرال مود تجاه رئيس الحكام السياسيين، واختلافه معه .

(**) أي السر پيرسي كوكس قبل أن يرفع شأن وظيفته فيصبح حاكماً ملكياً عاماً.

موقف الجنرال مود، وقد بينه في عدة مناسبات خلال حديثه مع السر پيرسي، هو أنه يعتبر الجهاز بكامله جهازاً مغلوطاً. فأنه يرى عدم وجود فائدة من تعيين أي حاكم سياسي، وكل ما تدعو الحاجة اليه هو ان يعين ضباطاً للاستخبارات يرتبطون به مباشرةً. وليدعم رأيه هذا يستشهد بعدم وجود حكام سياسيين في جبهة فرنسة. ولا يحتمل الرأي الاخير أي مقدار من المناقشة والجدل، لانه لا يأخذ بنظر الاعتبار ان بلاداً محتلة لا يمكن مقارنتها مطلقاً بالوضع في فرنسة، حيث لا يضطر الواقع الى الاضطلاع بإدارة البلاد. والجنرال - يتفق معه في الرأي نفسه، وعلى هذا فأني افكر احياناً فيما اذا كانوا هم أم نحن الذين تعد آراؤهم من آراء سكنة مارستان المجانين. لكني عندما أقلب الوضع ملياً اراني مقتنعة بأنهم هم وليس نحن الذين يجب ان تعتبر آراؤهم بهذا الاعتبار. وتنفيذاً لرأيه هذا يبذل الجنرال مود جهده في ان يخفي عن رئيس الحكام السياسيين جميع المعلومات التي لها صلة مباشرة بالسياسة التي ينتجها هو. فمثلاً لم تعرض على رئيس الحكام السياسيين برقية بعث بها قبل شهرين الى الجهات المختصة يقترح فيها ان تكون الحدود السياسية بين الروس(*) وبيننا بعقوبة، كما لم يعرض أيضاً الرد عليها من المسؤولين في الوطن، وكان يفيد بأن رأيه لا يتفق ومضمون الاتفاقية الدولية وان (كوكس) يجب ان يؤخذ رأيه في الموضوع... ولم يكتشف السر پيرسي حصول تلك المخابرة البرقية الا بعد ستة اسابيع، وعند ذاك سأل عنها. وكان الخصام في الوقت نفسه محتدماً بينه وبين الجنرال مود. فقد كان الروس في خانقين، وما برحوا، ينشرون الدمار في البلاد ويجعلون

(*) كانت روسية القيصرية خلال الحرب العالمية الأولى في عداد الحلفاء، وقد سيق قسمٌ من جيشها لاشغال الاتراك والالمان في جبهة العراق، فاجتاز ايران كلها ووصل قسم منه الى راوندوز في الشمال وخانقين ثم بعقوبة في الوسط، والى قرب البصرة في الجنوب.

القبائل الكردية بهذا ترتمي في أحضان الترك ـ انهم يفعلون كل شيء للفرار من وجه الروس. فألح السر پرسي على ان يسمح له بندب معاون حاكم سياسي الى هناك. . . الأمر الذي كانت تدعو اليه جميع القرائن. لكن قائد الجيش رفض ذلك، وما نزال نحن من دون شخص يمثلنا هناك. على ان الروس قد جعلوا البلاد بأساليبهم المعروفة جيداً في وضع لا يمكن ان تحتلهم فيه، وآخر ما بلغنا من أنباء يفيد بأنهم يعتزمون الانسحاب الى كرمنشاه تاركين جناحنا الأيمن معرضاً للعراء. وكان يجب ان يكتب عن الوضع بكامله الى المسؤولين في الوطن لاتخاذ ما يلزم من تدابير عن طريق السفارة، كما طلب السر پرسي، لكن الجنرال مود لم يشأ ان يسمع شيئاً عن التدخل في (الحركات العسكرية) العائدة للقائد الروسي فكانت النتيجة كما تكهن بها السير پرسي. . . وبوسعي ان أشير الى أمثلة اخرى عن اخفاء امر البرقيات، وعن التأثير السيء الذي احدثه عدم اعتبار مشورة الخبير السياسي. ولا تقل السياسة المتبعة بشأن أسرى الحرب والهاربين بكوارثها عما ذكرت. فهم بصرف النظر عن هويتهم وأحوالهم يعبأون ويشحنون الى الهند. . . وقد بلغ السخف الاجرامي ذروته في هذا الاسبوع عندما نفوا الى البصرة، برغم احتجاج السر پيرسي، طبيباً أرمنياً تركه الاتراك وراءهم باسترحام منه. . . وقد اشار اخوه الى انه لم يكن يفكر أن أحداً يمكن ان يعتبر أرمنياً من الارمن ميالاً للاتراك. وقد عومل جميع المسيحيين على الشاكلة نفسها: والخطوة التالية هي ان يتوفق السر پيرسي أو أنا بعد جهود مضنية الى استحصال مخصصات لاسرهم الجائعة هنا. . . وبأمكاني أن أطمئنكم بأن استغراب أهالي بغداد من سلوك الحكومة العادلة هذا قد تجاوز حد التصور. . . ولذلك لا اعتقد بأننا سوف يتسنى لنا بأية طريقة كانت ان نتبع سياسة حكيمة بوجود الجنرال مود. ومن الواضح في الوقت نفسه ان وزارة الحرب لا يمكن ان ننتظر منها تنحية الجنرال الناجح الوحيد في

الحرب، ولهذا علينا ان نحاول تمشية الامر لكن ذلك ليس بالامر الهين. وأهم ما يترتب عليّ في هذه الآونة اقناع السر پيرسي بعدم الاستقالة. لأن الامر لا يقتصر على انه يشعر بعدم الانتفاع به فقط بل انه يشعر أيضاً بأن اعمالاً كثيرة تتم من دون ان تكون متفقة مع سياسة حكومة صاحب الجلالة، مع انه مسؤول عن تنفيذها ـ مسؤول ولكن لا قدرة له. لكنني فضلاً عن شعوري الشخصي العميق تجاهه.. أراني مضطرةً للاعتقاد باننا سنكون أسوأ حالا مع أي شخص آخر لأن الشخص الجديد، برغم الوزن المحدود الذي قد يعطى له، سوف لا تكون عنده خبرة كافية.. ان رأيي هو ان تفكروا سوياً لتتوصلوا الى ما يمكنكم صنعه لمساعدتنا...

وفي ورقة اخرى مؤرخة في 22 حزيران تذكر المس بيل ان الاتراك قد عادوا الى خانقين، وتقول:

أصبح جناحانا معرضين للخطر، لكننا سنتدارك الامر حالما يسمح الجنرال مود بأن نقدم لكم الترتيبات التي اقترح السر پرسي اتخاذها مع فهد بك شيخ عنزة، وليست بي حاجة الى القول بأن الجنرال غير راغب في ذلك الى حدٍ كبير، برغم ما كررته علينا وزارة الحرب في برقياتها بوجود الاتصال بسورية عن طريق عشائر عنزة .

22 حزيران

بدأ شهر رمضان في الليلة الماضية فصام الجميع. نحن نعترف هنا رسمياً برمضان، باطلاق المدافع عند غروب الشمس وقبل طلوع الفجر بساعة. لقد أيقظني المدفع الاخير من النوم هذا اليوم، والغرض منه تنبيه الناس بوجوب الاسراع في تناول آخر وجبة ممكنة من الطعام. وبينما كنت مستلقية أفكر في كل شيء أحسست بوجود ضوء ساطع في حديقتي. أني انام فوق سطح داري الصيفية الوسطى، فلمحت ناراً ملتهبة تشتعل في

سعفة من سعف النخيل في الهواء الحار بالقرب من خيمة بستاني الحديقة. فقد كانت زوجته تطبخ آخر وجبة طعام تؤكل عندما كان الجو يساعد على معرفة الخيط الابيض من الخيط الاسود. غريب، أليس كذلك؟ ان يعيش المرء في وسط هذا كله ـ ان هذا غريب وسار لأنني أحبه .

اصبحت هذه البلاد اكثر من وطنٍ ثانٍ لي ـ فان حياتي هنا حياة جديدة، واحتمال جديد في سير الوجود. الاّ اني اخشى فقط ان تتبدد آمالي وأماني الشخصية. فأني أقابل بالاطراء والتملق، وأقدر فوق قدري بسخفٍ، من قبل رؤسائي في انكلتره وزملائي هنا، ومن قبل العرب بطبيعة الحال ـ فاذا ظهرتُ بمظهر المتعالية ارجو تنبيهي بلطف. اذ يصعب جداً المحافظة على القيم والمقاييس.

ان «الحرمس»[1] فظيع في هذه الليلة، فأني أتوقف بعد كل جملة اكتبها لاكافحه كفاح موت، لكنه يتبع انسجاما ستراتيجياً خاصاً بعد ان يوقع بعض الاصابات. ويوجد النمل الطيار بالكثرة نفسها، لكنه لا يلسع والحمد لله. ومع هذا فأني أكره الطريقة التي ينصب فيها ذنبه في الهواء.

25 حزيران

يعد زملائي جميعهم سحرة في العمل ـ انهم يجعلون من تعاوننا شيئاً ساراً، وأحسن من كل ذلك لطف السر پيرسي وتقديره. فهو يعاملني بما يمكن وصفه بالتعاطف المستحيل، لأن كل ما أطلب عمله ـ كل شيء معقول ـ ينفذ في الحال. ولكي يفرحني في هذا الاسبوع عجل باتخاذ الترتيبات اللازمة لاصدار جريدة عربية محلية كنا نتمنى صدورها كلنا. وقد تأجل اصدارها حتى الآن لعدم توفر الورق اللازم، لكن

---

(1) ضرب من البعوض، ينشط ليلاً، وهو دقيق الشكل، يهجم باعداد كبيرة على فريسته .

اصدارها كان سيتأخر في مراحل رسمية عديدة لو لم أظهر رغبة شديدة له فيها. فعين المستر فيلبي محرراً رسمياً فيها، كما استحدث وظائف خاصة لأهم اصدقائي العرب في بغداد بين هيئة تحريرها، وسنصدر عددها في اليوم الأول من تموز[*] وقد أطلق عليها اسم «العرب» لانها الجريدة الأولى التي تصدر مستظلة بظل العهد الجديد من حرية العرب[1]. وبالنظر للفرص التي أخذت تتاح اصبح لي حس متزايد بالسيطرة على أشغالي، وبالتعرف على سكان البلاد واحوالها التي أجد متعة خاصة فيها. فهناك شيء كثير مما يجب تعلمه، لكن المرء بوسعه ان يتعلم الامور الاساسية منها على كل حال .

6 تموز

ابتعدت جداً عن المجتمع هذا الاسبوع لأني كنت أكتب ـ كتبت مقالاتي الخمس عن تركية بعد اوقات العشاء. فلا يمكن توفير الوقت اللازم لهذه الامور في النهار، لضغط الامور الاخرى عليّ. فقد كنت منشغلة بتنظيم واخراج المعلومات الكثيرة عن العشائر التي جمعتها منذ مجيئي الى هنا، وقد تمكنت حتى الآن من تبويب وتصنيف شؤون القبائل الشمالية وقبائل الشمال الشرقي بحسب الحروف الهجائية، وطبعها على الآلة الكاتبة طبعاً أنيقاً بعدة نسخ لجميع القواد وافراد

(*) يقول فائق بطي في (صحافة العراق) :.. وفي بغداد اسست حكومة الاحتلال جريدة بصفحتين تظهر بين يوم وآخر، صدر منها العدد الأول في 4 تموز 1917 باسم « العرب » وحملت في صدر صفحتها عبارة تشير الى سياستها وهي (جريدة سياسية تاريخية ادبية بناءة قومية وطنية عربية). وكان الهدف من صدورها محاولة فرض الرأي السياسي لسلطات الاحتلال على جماهير الناس تحت ستار (هو منكم واليكم).. أي ان جريدة العرب تصدر في بغداد ويحررها ابناء الشعب العراقيون في سبيل العراق (ص 31).

(1) أية حرية هذه تحت ربقة الاستعمار؟!!

الادارة من أصدقائي. ويعد ذلك في الحقيقة عملاً عظيماً كثير الفائدة - اذا حكمنا عليه بمقدار ما نستفيد منه في دائرتنا، وأنا منهمكة في الوقت الحاضر بتصنيف المعلومات المرتبكة الكثيرة عن عشائر الفرات، ولي وطيد الامل بتنظيمها على الشاكلة نفسها في نهاية الاسبوع التالي. فقد قابلت كل شيخ عند حضوره لتقديم احتراماته للسر بيرسي، واستحصلت جميع المعلومات عن قبيلة كلٍ منهم مباشرة، ولذلك لا يمكن ان تعد المعلومات المتجمعة بداية سيئة.. . لا أدري اذا كانت تعتبر حقائق علمية، غير انها من غير شك مبنية على الحقائق.

تعد الليالي البيضاء (المقمرة) أحر الليالي وأكثرها ركوداً على الاطلاق. وقد اندحرت اندحاراً تاماً تجاهها قبل ليلتين، فقد حاولت الاشتغال في الحديقة بعد تناول العشاء لكن الملابس القليلة التي كنت ألبسها قد ابتلت تمام البلل بعد نصف ساعة. ولما كنت منهوكة القوى في يومٍ مر على الشاكلة نفسها ذهبت الى الفراش منهدة القوى ونمت فوق سطحي في الحال. ولم أنم طويلاً حتى استيقظت لأجد «الدب الاكبر» في السماء يحدق في وجهي. وكان غريباً جداً ان أجد الدب الاكبر تلمع نجومه هذا اللمعان الشديد بوجود بدر رمضان التام وبينما كنت متحيرة وانا نصف نائمة ادركت ان الدنيا كلها اظلمت، وما التفت حتى وجدت آخر شق من القمر يبتلعه الخسوف الكلي. ولذلك أخذت أرقبه، فكان منظره، وقرصه يكاد ان يتلاشى، منظراً مدهشاً ذا لون نحاسي يبعث في المرء الكآبة. وكان كل شيء في الازقة على بعد عدة مئات من الياردات يدق بالعصا على أي شيء يمكن الحصول عليه ليخيف الشيطان الذي أخفى القمر[1]. والحق انهم نجحوا في النهاية لأن

---

(1) لا دخل لأيما شيطان، وفق العقائد الشعبية في بغداد، في خسوف القمر.. والسائد ان الحوت هو الذي يلتقم القمر خلال الظاهرة المذكورة ويبدو ان الآنسة بيل تجهل ذلك، لانشغالها بالتوزيع العشائري في العراق!!

الشق الاعلى من القمر عاد الى الظهور ثانية بعد غياب طويل، وانسحب الشيطان على مهل الى أسفل ولم يزل في حالة الغضب بلسانٍ شديد الحمرة وظفائر مدلاة من جسمه النحاسي، وقبل ان يتسنى لي النوم ثانية عاد بدر رمضان فقضى على لمعان النجوم في الدب الاكبر..

لقد انتهينا من عقد معاهدتنا مع فهد شيخ مشايخ عنزة[1].

20 تموز

... جاءني قبل أيام رجل من افراد القبائل كان دليلي في الايام الاربعة الاخيرة التي قضيتها في النجف حينما عدت من حائل[*]. وكانت أسوأ الايام التي قضيتها في الطريق بأجمعه، فخدمني خلالها خدمةً جلى، وهو رجل جدي صامت معروف تمام المعرفة في البادية. وكان على ما اذكر قد أنقذني مرتين من السلب، وقد أحاط في احدى هاتين المرتين بقافلتي رجال من قبائل العراق فأناخوا جملي قبل ان يروه (يروا الدليل)، وحينما نبههم تركونا وعادوا لشأنهم. وكنت قد بعثت أخبره بأني هنا وطلبت مجيئه. فأعطيته، علاوةً على الهدية المعتادة التي يتسلمها جميع رجال القبائل من السر پرسي عند مجيئهم لأول مرة، مئة روبية ثم كسوته. وقد وقف بوقار حينما ألقيت على كتفيه عباءة سميكة موشاة بكثير من «الكلبدون»، ووضعت على رأسه كوفية حرير برتقالية اللون. لأني كنت مدينة له لقاء ما بقي في عنقي من احسانه اليّ. ووقع هذا الاسبوع حادث مفرح آخر، فقد وصل الى هنا أحد الشاميين الذين

(1) تشير الآنسة بيل، هنا، الى الاتفاقية التي عقدتها سلطات الاحتلال مع الشيخ فهد. وقد انطوى مضمونها على منحة مالية وتعهد بالمحافظة على السلم على طول الحدود، ومعاملة اعداء الانكليز كما يعامل أعداءه، ومنه مرور البضائع عبر البادية، والتعاون ضد الاتراك وحلفائهم.

(*) في سفرتها الى هناك قبل الحرب العالمية الأولى.

رافقوني الى نجد. وكان قد سمع بأني كنت في البصرة، و «أتيت الى خدمتك» على حد قوله. ويسر السر پيرسي أن يستخدمه، ولذلك سوف نستفيد منه .

لقد تبدد الهدوء الحار بعشرين اطلاقة من اطلاقات مدفع العيد التي اطلقت اشعاراً بانتهاء شهر رمضان. حتى اني سمعت كلمات الحمد والثناء من أفواه الناس. وكان مما يقبض الصدر ان يفكر المرء بعطشهم على طول هذه الايام الطويلة!

جاء في احدى برقيات رويتر ان أدوين (مونتيغيو) قد انتقل الى وزارة الهند. ان ذلك شيء بديع، لانه سيكون رئيسي كما لا يخفى. اليس ذلك شيئاً ساراً؟ أتمنى لو تذهبون الى السر أ. هرتزل وكيل الوزارة الدائم وتزورونه. انه صديقي وحليفي .

27 تموز

. . . ذهبت مع السر پيرسي يوم العيد، بعد رمضان، لزيارة النقيب وتقديم التبريكات له. ان علاقاتنا الشخصية به علاقات مفيدة سارة. فالسر پيرسي على درجةٍ كبيرة من اللطف مع أهالي البلد، وهو يهتم بهم ويشفق عليهم ويسمع منهم[1]، ولذلك لا أعجب حينما أراهم يحترمونه ويثقون به. على أنه هو نفسه لا يدرك مقدار ما في شخصيته من قوة، لكننا نعتبر ذلك من خير العوامل المساعدة لنا. . .

قمت بزيارة أخرى قبل أن أتصبح[*] يوم امس لاسرة جميل زاده،

---

(1) هذا الحنان الأبوي (الذي تزعمه الآنسة بيل) يتناقض مع اجماع المؤرخين على ان السر پيرسي كوكس يعتبر أحرص حاكم انكليزي على خدمة حكومته ورعاية مصالحها الاستعمارية.

(*) أي أتناول الفطور .

أنهم من أقدم اصدقائي هنا. وهم من الملاكين الاغنياء جداً، المستقيمين النزيهين، الميالين للانكليز برسوخ. وان صداقتهم جديرة بأن يحتفظ بها[1]. فجلست مدة من الزمن اتحدث فيها الى عبد الرحمن أفندي رئيس الاسرة، ثم جلست معه ومع زوجته وأخواته اللائي زرتهن أيضاً ـ كنت أعرفهن من قبل ـ فخرجت بشعورٍ من الصحبة الودية تجاههم. ان المرء حينما يحصل على هذا يكون قد حصل على أحسن ما يمكن الحصول عليه. أضف الى ذلك ان صداقة عبد الرحمن تفصح عن نفسها افصاحاً ملموساً مقبولاً! فهو يبعث لي اسبوعياً بسلة كبيرة من فواكه بساتينه ـ الممتلئة في هذا الموسم بالاعناب البيضاء الغزيرة. . .

الى السر ڤالانتاين تشيرول[2]

13 أيلول

. . ما اعظم سروري حينما أفكر في أنك أصبحت أخيراً في طريقك الى الوطن، سوف انتظر رسائل شيقة للغاية منك حينما تكون في انكلترة. فليس هناك من يزودني بالاخبار العامة.. ولا يكتب الي والداي

---

(1) لم نجد، فيما بين ايدينا من مصادر، انكليزية أو عربية، ما يشير ولو اشارة عابرة الى « رسوخ ميل » اسرة جميل زاده للانكليز. والآنسة بيل، هنا، وفي مواطن كثيرة من رسائلها.. انما تكيل الثناء جزافاً لاشخاص لا تلبث ان تسخط عليهم بمرور الايام. والمعروف ان اسرة جميل زاده البغدادية انجبت رجالاً عرفتهم الحركة الوطنية في تاريخها المبكر

(2) هو السير اغناطيوس ڤالنتاين چيرول I. V. Chirol (1852 ـ 1929)، صحفي بريطاني مشهور. تولى وظيفة كتابية في وزارة الخارجية الانكليزية خلال 1872 ـ 1876. زار الشرق الادنى وفارس والهند واستراليا خلال 1876 ـ 1892، وكان مراسل التيمس اللندنية في برلين 1892 ـ 1896 وظل يعمل في تحرير الشؤون الخارجية في الجريدة المذكورة، وقد عرف بكثرة مؤلفاته السياسية.

سوى عن شؤونهما التي أود الاطلاع عليها أيضاً. ولذلك يترتب علي ان استنتج بعض الاشياء من أخبار رويتر. على ان الرسائل المهمة في الحقيقة هي الرسائل التي تردني من (المكتب العربي)(*) في مصر. فأني اكتب اليهم كل أسبوع، ويمدونني هم على الدوام بأخبار الشؤون الحجازية والسورية التي تمسنا من قريب ـ انها على الاقل جزء من اللعبة نفسها في النهاية.

ان عملنا هنا عمل شاق من الناحية السياسية، سيخبرك به اللورد هاردينج[1] لأني لا استطيع ان أكتب اليك بشأنه. يقوم صديقي فهد(**) بك بأعمال لا بأس بها، في توقيف المتاجرة مع العدو عن طريق باديته. وقد أقدمنا على عمق شاق في كربلاء فعينا فيها معاون حاكم سياسي، والامل أن يؤدي ذلك الى مزيدٍ من منع المتاجرة نفسها. هذا ويبدو ان المؤن قليلة في جهات دجلة، فقد نقل ثلاثة شيوخ خيامهم الى داخل منطقتنا مؤخراً بدافع الجوع، وقد يكون في ذلك الخير كله اذا ما استطعنا تدبير قيامهم بزراعة القمح والشعير هذا الشتاء، كما يقترحون. اما سورية ففي حالةٍ أسوأ، فقد ترامت الى سمعنا اشاعات عن تجمع كبير لعشائر عنزة من أجل العبور الى داخل حدودنا، حيث تكون تابعيتهم الاصلية، لأن الاطعمة يصعب الحصول عليها في دمشق.

(*) Arab Bureau، وهو مكتب الاستخبارات البريطانية المختص بالشؤون العربية الموجود في القاهرة.

(1) الاشارة هنا الى اللورد چارلس هاردينج Charles Hardinge (1858 ـ 1944). وقد اشتغل في السلك الدبلوماسي منذ سنة 1880 نوكان نائب الملك في الهند خلال 1910 ـ 1916. وتشير الانسة بيل، في شخصه، الى زيارته البصرة في شباط 1915.

(**) ظل فهد الهذال يتقاضى مبالغ طائلة من الانكليز لقاء هذه الخدمة مدة من الزمن، وقد بلغ ما كان يتقاضاه في كل سنة عدة ألوف من الباونات.

لم يخطر ببالي مطلقاً أن أخبرك بأني أحمل الآن عنوان «معاون حاكم سياسي». فقد منحني السر پيرسي هذا اللقب حينما انتقلت الى الدائرة السياسية قبل خمسة عشر شهراً، لأنه كان من الانسب ان يكون لي منصب رسمي معين ـ مع أني أعتقد بأن دافعه الرئيس في ذلك يومئذٍ هو ان يكون لديه حجة اقوى عليّ..

21 أيلول

أصبح الجو بارداً بلطف عندنا، اذ تتراوح درجة حرارته بين 70 و80 (فهرنهايت) ويكون على شيء غير قليل من البرودة في الليل. ولا اريد شيئاً أحسن من هذا، لكنني أعتقد بأن وقت التبدل المفاجىء هو وقت متعب حتى اذا كان شيئاً ممتعاً. لأن المرء لا يدري بأي وجه يكيف نفسه في بادىء الامر.

قمت في يومٍ من أيام هذا الاسبوع بعد الظهر برحلة قصيرة ذهبت خلالها، أنا والجنرال كوبي، الى الكاظمية الواقعة على بعد ميلين أو ثلاثة شمالي بغداد، وهي بلدة شيوخ فيها مسجد مقدس. أتذكر كيف أني حينما كنت هناك آخر مرة في 1909، اسرعت في المرور بباب المسجد وألقيت نظرةً جانبية خاطفة على الصحن. اما اليوم فقد احترمنا بعض السادة المعممين ورافقونا داخل الباب الى حافة الصحن. وفيما عدا الامتياز الذي لا مثيل له في معاملتنا لم اجد في الجامع شيئاً كثيراً يُعبأ به، لانه أسوأ مثل للبناء الحديث. فهو يغرّ الناظر اليه من بعيد لكنه بشع المنظر [1]، أخذ قاشانيه القديم منذ ثلاثين سنة بالتقفع عن الجدران،

---

(1) هذا ادعاء لا يقرها عليه ايما زائر للصحن الكاظمي، فهو آية فنية في الهندسة والزخرفة.. ويبدو ان حرمان الآنسة بيل من المشاهدة عن كثب دون التوغل الى ما وراء الابواب هو الذي حملها على إطلاق حكمها الجائر عليه.

وليس في هذا خسارة تذكر. وعلى كلٍ فقد سررت كثيراً بهذه الزيارة لاني لم أصل الى هنا منذ أن قدمت الى بغداد .

وصل هذا الاسبوع (كرميت روزفلت)[1] ومعه رسالتا تعارف لي وللسر پيرسي. وقد أحبه كلانا ـ فهو أنسان لطيف غير متبجح. انه يشتغل هنا كمهندس، وله في الجيش الامريكي الموجود في فرنسة ثلاثة أخوة يقومون هناك بحصتهم من الواجب، أليس كذلك؟ لم أزل أتناول عشائي في العراء، لكنني أجلس في الداخل بعد ذلك وأترك جميع الابواب والشبابيك مفتوحة، وذلك شيء يشرح الصدر. أني متشوقة الى ان أبدأ بركوب جوادي من جديد، والحقيقة أني قد بدأت بذلك قبل أيام قلائل الاّ أني لم انجح كثيراً ـ لقد شعرت بكثير من التعب بعد ذلك. وعلى هذا سأنتظر مدة أطول.

9 تشرين الثاني

إلى السر ڤالانتاين تشيرول

لم أتسلم بريد هذا الاسبوع حتى الآن. ويسرني ان اخبركم بأن حالتي تحسنت كثيراً، وقد شعرت اليوم بهمة ونشاط ـ لأول مرة. أظن ان سبب ذلك يعود جزئياً الى أني قضيت يوم أمس كله في الخارج، لأني ذهبت مع السر پيرسي الى بعقوبة بالسيارة. ولم استطرق هذا الطريق الا منذ ست سنوات ـ كان ذلك في 1911 لكنه عمر طويل ـ عندما كنت في طريقي الى رسم مخطط القصور الساسانية في قصر شيرين الكائنة على الحدود الايرانية. أتذكر ان تلك السفرة كانت سفرة

(1) هو Kermit Rooservelt (1889 1943) احد أبناء الرئيس الامريكي ثيودور روزفلت. عرف جندياً اميركياً ومغامراً ورجل اعمال ومهندساً وكاتباً. اشترك في الحرب العالمية الأولى برتبة كابتن في الجيش البريطاني، اشتهر بكتابة (الحرب في جنة عدن) الذي وضعه سنة 1919.

متعبة ركبنا فيها الدواب، فكانت طويلة استغرقت يوماً بكامله. وقد قطعنا المسافة يوم أمس بساعتين، فانها تبلغ (32) ميلاً من الطريق الصحراوي غير المعبد. اما بعقوبة فهي مكان صغير لطيف، قائم بين بساتين النخيل والزيتون على ضفاف ديالى. وقد ألقيت نظرة على المكان الذي خيمت فيه من قبل بالقرب من ضفة النهر، ثم حاولت ان أتذكر الشخص الذي نصب الخيام هناك لكني لم أتوفق في ذلك...

بدأت اضطلع ببعض الواجبات الجديدة الملذة، ومنها تسلم رئاسة تحرير «العرب»[*] ، الجريدة العربية التي نصدرها[1]. ولدي مشاريع كثيرة تجعل من هذه الجريدة شيئاً أكثر حيوية، بتعيين مخابرين في الانحاء ومخبرين في الداخل. انا متأكدة من أن جمهور القراء، حينما يقرأ فيها ان ابن فلان وفلان قد غرم لانه خرج ليلاً من دون فانوس، سيهتم أكثر مما يهتم بقراءة أنباء عن قصف قرية مجهولة في بلاد الفلاندرز مثلاً. المحرر الثاني، الأب انستاس، يأتينا مرة في الاسبوع ليقرأ عليّ المقالات الرئيسة التي أراقبها. وهو عربي من لبنان في

(*) صدر العدد الأول من جريدة العرب يوم 4 تموز 1917 (14 رمضان 1335)، وكانت غير يومية ثم أصبحت يومية منذ صدور العدد 28 بتاريخ 3/ 10/ 1917، وكان آخر عدد صدر منها هو العدد 872 بتاريخ 21/ 5/ 1920. ومما لا شك فيه انها كانت تعبر عن آراء سلطات الاحتلال، ومن غريب ما وجدنا فيها مقالات تندد بالاتراك لكونهم اضطهدوا اليهود الصهاينة واجلوهم عن بعض مستعمراتهم في فلسطين، وتدعو الى منحهم وطناً قومياً هناك. كما لاحظنا ان جميع مقالاتها تذيل باسماء مستعارة مما يدل على ان الكتاب هؤلاء كانوا يؤازرون السلطات المحتلة وهم خائفون من التصريح باسمائهم. كما قد يدل ايضاً على ان بعض المقالات المذيلة بمثل هذه التواقيع ربما كانت قد وضعت من قبل السلطات نفسها بهذه الاسماء للدعاية.

(1) راجع ايضاً تعليق المترجم على جريدة العرب في حاشية الرسالة المؤرخة في 25 حزيران 1917.

الاصل[1] يذكرنا بأيام شوسر[2]، مثقف كبير ومضطلع في لغته، ويتكلم الفرنسية ويكتبها كما يفعل الفرنسيون أنفسهم...

والغريب ان (المس برغوين) تورد الفقرة الاخيرة المختصة بالاب انستاس، في رسالة مؤرخة بنفس التاريخ ومعنونة الى الشخص نفسه، بتعبير آخر نورده فيما يأتي:

... انه راهب مرح، عربي من لبنان في الاصل، ومع ذلك فهو يذكرنا بعهد شوسر، وله نظرة متربصة يركزها في اقتناص الفرصة السانحة. أراني مضطرة الى أن أمحضه مزيداً من الود لكونه خبيثاً شريراً برغم لباسه الديني[3] (كتاب برغوين، ص 66، ج 2).

سامراء ـ 22 تشرين الثاني

كتبت لكم في الاسبوع الماضي في اليوم الذي سبق اليوم الذي كنت عازمةً على المجيء فيه الى هنا، مع مفتش المواصلات العام. لقد تناولنا العشاء تلك الليلة كلنا عند الكولونيل ديكسون مدير المنتجات المحلية. وكان المأمول ان يحضر القائد العام[*] ايضاً، لكنه بعث في

---

(1) المعروف عن الاب انستاس ماري الكرملي (1866 ـ 1947) انه عراقي، ولد في بغداد من اب لبناني الاصل وام بغدادية. وقد انجز دراسته الابتدائية والثانوية في بغداد.

(2) الاشارة هنا الى ايام الشاعر الانكليزي جيو فري چوسر Geoffrey Chaucer (1340؟ ـ 1400) الذي يعتبر اهم شخصية ظهرت في الادب الانكليزي قبل شكسبير. وتمتاز ايامه بذروة الادب الانكليزي الوسيط (منتصف القرن الرابع عشر).

(3) اعتادت الآنسة بيل في رسائلها شتم الافاضل من علماء بغداد ورجالات العراق، وها هي تطلق في مواجهة الاب الكرملي اقذر الصفات.. بينما كان من اظهر ما عرف به من الخصال الحميدة : طيب القلب، ونقاء السريرة، والتواضع الجم.. انه كان راهباً كاملاً يجمع بين فضيلة العلم والتقوى.

(*) الجنرال مود، راجع عن كيفية وفاته بالتفصيل «أيام فيلبي في العراق».

آخر لحظة يعتذر لانحراف صحته. وعندما بدأنا بالعشاء دُعي الكولونيل ويلكوكس (الطبيب) لحادثة مرضية مستعجلة، ولم يخطر في بال احد ان يسأل عن المريض الذي استدعي الطبيب لمعالجته. وقبل ان اتناول فطوري في صباح اليوم التالي جاء الى بيتي مفتش المواصلات العام وأخبرني بوجوب تأجيل سفرنا، لأن القائد العام أصيب بالهيضة (الكوليرا) اصابة خطرة وليس هناك أمل في بقائه على قيد الحياة. فأسرعت الى السر دبيرسي ـ وكان الوقت ما يزال مبكراً ـ فوجدت أنه لم يخبر بالامر بعد. ولم يصدق الجميع بوقوع الحادث تقريباً. فقد تفشت الهيضة في البلد بنطاق غير واسع منذ أسابيع، ولم يكن وضعها خطيراً. كما وقعت بعض الاصابات بين الجنود وتوفي أحد الضباط في الاسبوع الماضي. فتطعمنا كلنا ضدها، ولم نفكر بها بعد ذلك. وكان من المؤكد بأن آخر شخص يمكن ان يقع فريسة لهذا المرض هو القائد العام لانه كان بعيداً عن الاتصال بالعرب (!!) ونادراً ما كان يدخل البلد. على انه كان قد حضر حفلة مدرسة اليهود (الاليانس) قبل ليلة، لكننا حضرنا هناك بأجمعنا، فشربنا القهوة وأكلنا «الكيك» ولم يصب أي أحد منا بشيء. هذا كل ما هنالك ـ اما من أين سرت العدوى إليه فليس بوسع أحد أن يتكهن بشيء عنه. فارتاح بعد الظهر، ثم تحسنت صحته في صباح اليوم التالي لدرجةٍ انه قرأ برقية وصلته من زوجته وأملى جوابها على الكاتب. وبعد ذلك ضعف قلبه وغاب عن الوعي فتوفي(*) في

(*) توفي الجنرال مود على الشاكلة هذه، وبعد وفاته بأيام، أي في يوم الجمعة المصادف 30/ 11/ 1917، **جمع حاكم بغداد العسكري أمير اللواء هوكز جماعة من رجال بغداد برئاسته**، وتبادلوا في وجوب تخليد ذكراه في العراق. وبعد ان قُدمت اقتراحات عديدة تقرر اقامة تمثال له، **على ان يجمع العراقيون انفسهم المبالغ اللازمة لذلك. وتألفت لجنة خاصة لهذا الاكتتاب قوامها الذوات الآتية اسماؤهم**: عبد القادر الخضيري. والسيد جعفر السيد هاشم، ولطيف عبود، واسكندر عزيز عيسايي، وابراهيم حييم عقيرب، وكريكور اسكندر، ويهودا =

= زلوف، على ان يشاركهم في ذلك الحاكم العسكري نفسه والمستر تيمويل وكيل شركة لنج والكابتن مسغريف الملحق بالحاكم العسكري.
ويظهر من قائمة التبرعات الطويلة العريضة التي جرت في كثير من انحاء القطر، ومن بغداد والبصرة على الاخص، ان التبرعات كانت شبه اجبارية لأن اسماء المتبرعين تحتوي على اسماء جميع طبقات السكان في الاسواق. فجمعت بتلك الطريقة مبالغ جسيمة، اذ بلغ ما جمعته البصرة وحدها مئة الف روبية. كما يلاحظ من القوائم ان اهم المتبرعين بالمبالغ الكبيرة هم من غير المسلمين ولاسيما من اليهود (كانت القوائم مصنفة حسب الطوائف). وقد اشترطت البصرة ان تصرف المبالغ التي تفيض عن الحاجة على تشييد مستشفى «تذكار مود» وهو المستشفى الجمهوري الحالي الذي ظل يطلق عليه نفس الاسم الى حين تبديله باسمه الحالي. **وندرج فيما يلي اسماء بعض المتبرعين المعروفين**:
داود بك الداغستاني، حمدي بك بابان، عبد الرحمن جميل، فخري جميل، نعمان الباجه جي، رفعت الجادرجي، عبد الرزاق قدوري، عبد الهادي الشهربانلي، المرزار فتاح، الحاج عبد الحسين البحراني، السيد جعفر السيد هاشم، حسين أغا، السيد موسى النقيب، السيد عبد الرزاق النقيب، السيد حسين النقيب، السيد ضياء الدين النقيب، السيد داود النقيب، السيد عبد الله النقيب، السيد زين الدين النقيب، الحاج محمد حسن الجوهر، عبد المجيد الشاوي، محمد الحاج على الطباطبائي، قنصل الدولة الايرانية، مصطفى پاشا، محمود الاسترابادي، أيوب چلبي، وقد تبرع جميع هؤلاء بمبالغ تتراوح بين (200) و(1000) روبية.
اما الذين تبرعوا بأقل من ذلك من المسلمين فأهمهم: عبد الرحمن پاشا الحيدري، سليم چلبي الزئبق، عبد الوهاب محمد أغا، اسماعيل الحاج خالد، السيد محمد ابو النفط، السيد حافظ الريزه لي، حسن افندي الپاچه چي، شريف چلبي الدباغ، حمد العسافي، محمد ناجي بك الشاوي، ناجي الخضيري، السيد محمود النقيب، السيد حامد النقيب، حسن سامي، ابراهيم الچوربچي، الحاج عبد الحسين چلبي، محمود افندي عارف أغا، انور الحيدري، عبد الملك الشواف، جبوري الدهان، مصطفى الطرابلسي .**اما المسيحيون فمنهم**: اصفر وشركاه يوسف ارتين، اسكندر داود مسيح، صاحب اوتيل مود، داود فتو، انطوان سمحيري، أسكندر عزيز، انطون شماس، يوسف يعقوب مسيح، جبرائيل اندريه، يوسف جبوري، رزوق اسحق شمعون، دانيال طاطوسيان، يوسف =

المساء. وقد حضر عندي مفتش المواصلات العام بعد العشاء وأخبرني بالامر. وبذلك كان فتح بغداد خاتمة مفجعة له، ومع ذلك فمن حسن الحظ ان يموت الرجل ويبقى ذكره الطيب. وهناك جملة مأثورة في تاريخ اميانوس مارسيلينوس[1] عن فاتح آخر جرح جرحاً مميتاً في شمال شرقي طاق كسرى، هو الامبراطور جوليان، تقول «والحمد لله العظيم أنه قد مات في أوج المجد الذي حصل عليه بجدارة». وفي اعتقادي ان الجنرال مود كان قائداً أعظم، لكنه قضى كما يقضي الغير .

. . . وسامراء بلدة صغيرة مسورة، جميلة المنظر لدرجةٍ مدهشة، بقبة مشهدها الذهبية وهي تحجب معظم المنظر من الازقة الضيقة وتبين كأنها في غير محلها. . .

أني أشم رائحة المطر ـ أول مطرة في هذه السنة الممحلة منذ شباط. فلو سقطت مطرة جيدة واحدة لأصبح الحاصل جيداً في الربيع القادم. لان هطول مطرة واحدة بصورة مبكرة يعد أهم شيء في هذه البلاد، حيث أنها تبعث النماء في الحقول بأجمعها، وتؤدي الى البدء بالحراثة ـ لا يسع الناس أن يبدأوا بالحراثة حتى تجود السماء بأول مطرة .

= ڤورڤيس، ڤيومجيان أخوان.

اما قائمة اليهود فتحتوي تقريباً على جميع تجارهم ووجوههم الموجودين في بغداد وغيرها. وقد تبرع «المصرف الشرقي «بمبلغ (5000) روبية (نقلاً عن عدة اعداد من جريدة العرب أولها عدد 106، 3/ 12/ 1917).

هذا ويجب ان يذكر هنا ان التمثال المذكور نصب في الشواكة في الساحة الكائنة بين يدي السفارة البريطانية، وبقي قائماً الى يوم 14 تموز 1958، حين سارت اليه جماهير بغداد المتحمسة فهدمته وقوضته

(1) هو أميانوس مرقللينوس Ammianus Marcelinus (نحو 330 ـ 400) المؤرخ اللاتيني، اليوناني الاصل. ويعتبر تاريخه تكملة لتاريخ تاقيطوس، وقد ضاع القسم الاكبر منه .

وفي رسالة الى والدها مؤرخة في 15/ 11/ 1917 (أوردتها المس برغوين، ص 68، ج2) تصف المس بيل حفلة مدرسة الاليانس، التي كانت سبباً في موت الجنرال مود، بتفصيل أوفى ثم تقول:

. . . سوف أقوم من الآن فصاعداً برعاية الطائفة اليهودية، والتعرف أكثر على أحوال افرادها. لأني لم اتعرف حتى الآن الآ على كبار رجالها من مثل الحاخام الاكبر. فليس هناك شك بأن هؤلاء اليهود سيصبحون قوة كبرى هنا في يومٍ من الايام [1] . . .

سامراء[*] ، دائرة القائد العام ـ 7 كانون الأول

. . . وقد سررت جداً لعودتي الى بغداد، لأني انغمرت في الحال بالشغل المتراكم فلم أرفع نظري عن الخرائط والاضابير الاّ نادراً. لكن لذة الشعور بالعافية، والقدرة على الاشتغال طوال النهار، هي التي تدفعني الى العمل! حقاً، ان المرء لا يمكنه الاستغناء عن مثل هذا المخدر، وان البقاء من دون عمل معناه توفر الوقت للتفكير. وليست هناك أفكار يمكن تحملها .

ان العهد الجديد في العراق يبشر بالخير. لم أر الجنرال مارشال[**] منذ عودتي، لكن الدلائل تشير الى انه يميل بعطفه الى جانبنا في هذا الميدان. وما أحسن ذلك لاننا كما ارى كنا نعدو بسرعة في الطريق الخاطئة. ونحن الآن في أبان عمليات جناحنا الايمن التي يبدو أنها ناجحة جداً حتى الآن، وهو شيء مشجع للغاية ايضاً، مع أني

---

(1) نبوءة كاذبة.. وقد نقض الواقع مزاعم الآنسة بيل.

(*) يظهر ان المس بيل قد باشرت بكتابة هذه الرسالة وهي في سامراء، ثم اكملتها في بغداد. اما اشارتها الى دائرة القائد العام فتدل على ان القيادة يومذاك كانت ما تزال تعقب الجيش التركي المنسحب امامها نحو الشمال .

(**) وهو الذي عين قائدا عاما خلفا للجنرال مود أي أنه، خلاف الجنرال مود، كان يتعاون مع الدائرة السياسية (راجع الرسالة الاخيرة، 15 حزيران 1917).

لا اعتقد بأننا يمكن ان ننجز أي شيء مثير طالما كان الاتراك متمسكين بما عندهم. حيث أن وجود العدو يعتبر عنصراً أساسياً في المعركة، ولا يسعنا ان نتعقبه الى النهاية لأن الجيش يمشي على معدته .

ولقد اتخذت خطوات حازمة لتأمين الحصول على حاصل جيد في الربيع القادم ـ لكن ذلك لا يتم قبل منتصف نيسان، وسنعاني في غضون ذلك مشاق كثيرة في اعاشة السكان المدنيين. كنت هذا الصباح راكبة في طريق ديالى فصادفت بعض الاعراب قادمين من جهاتها مع حميرهم المحملة بالحطب للبيع. وما ان بدأت بحديثي معهم حتى أخذوا يقصون عليّ قصص الجوع الذي يعانونه في ديرتهم، اما أنا فقد شرحت لهم ما نصنعه نحن لمكافحة المجاعة، أتكهن ان هذه العشائر المنحطة ليست ممن يعيش عيشة مرفهة، لكنهم بالنسبة للاسعار العالية في هذه السنة لابد من أن يعانوا الضيق والضنك. وقد كان الحاصل سيئاً في هذه السنة، فكيف بالحال وقد انقطع المطر وأهمل شأن الجداول والقنوات. ان الجداول تكرى كلها الآن، كما توزع البذور وتمنح السلف، غير ان هذا عمل شاق كما لا يخفى .

بغداد 13 كانون الأول

. . . لقد بلغت الحرب نهايتها هنا، لكن الادارة تمشي جادة في طريقها. فاننا في دور الاستيلاء التام على وادي الفرات الى حد الجهة الجنوبية الغربية، وقد وصلنا الى أصقاع لا خرائط لها وقبائل غير معروفة الاّ قليلاً. وسأذهب الى هناك في نهاية هذا الشهر، لكني سأشتغل في هذه الاثناء بجغرافية الفرات، وكتابة وصف إجمالي له بقدر ما أتمكن. غير ان هذا العمل لا يمكن انجازه في المكتب، حيث يقاطع المرء على الدوام، ولذلك صرت آخذ الى البيت في الغالب الكتب والخرائط واشتغل فيها بعد العشاء.

كأني بالايام تطير، وتتلوها الاسابيع من بعدها، ومن المزعج ان أفكر بأننا الآن قد قاربنا منتصف الشتاء لكن المطر المطلوب لم تجد به السماء بعد، على ان البرد كان شيئاً ملذاً. فقد تجمد حوض الماء في حديقتي في صباح اليومين الاخيرين، وبات الجو منعشاً بصورةٍ تستدعي العجب. لقد خرجت يوم أمس الى البر عند الفجر في الهواء المصقع، وكان شيئاً ملذاً برغم أني عدت بعد ساعة من الركوب المتواصل وقد تخدرت يداي وقدماي..

29 كانون الأول

. . . هل أخبرتكم عن زيارتي لدار «**البنات الارمنيات**» قبل هذا؟ لقد جُمع فيها حوالي مئة بنت منهن، من جميع الاماكن وبجميع الاعمار، وهناك أموال خاصة يصرف منها عليهن. وكان البعض منهن يعيش عند العرب لعدة أشهر فوشمن كما توشم نساء البدو، بينما كان غيرهن طفلات لا يتذكرن من أي مكان جيء بهن. لقد جاء البدو المتواردون على حدودنا من الشمال بالمئات من مثل أولاء البنات، وقد طفرت الدموع الى عيني احداهن حينما وقع نظرها على دجلة أول مرة، وقالت «أواه! أن كل هذا الماء موجود هنا، لكن أختي ماتت من العطش في البادية». فيا للدموع والتعاسة أولاء اللقيطات! وما هي قيمة الحياة في عصر العنف هذا؟. . .

وفي رسالة معنونة الى والدها أيضاً، ومؤرخة بالتاريخ نفسه (29/ 12/ 1917)، أوردتها المس برغوين (ص69 ج2) تقول المس بيل:

. . ركبت في يوم عيد الميلاد، أنا والسر پيرسي، لنحضر حفلة شاي أقيمت في المستشفى العسكري. وذهبت في اليوم التالي الى المستشفى المدني الذي رممناه وأعدنا فتحه. . . وهناك تحدثت الى جميع المرضى، عرباً ويهوداً وأرامنة، والى صديقتي القديمة مدام(*) مصطفى

(*) أي والدة العقيد المتقاعد عزيز ياملكي .

باشا الكردي. وكانت قد أجريت لها عملية قبل مدة وجيزة، لكني وجدتها جالسة في فراشها وقد تعممت بلباس رأسها الكردي الاسود، وانهمكت في حديثها خلال تدخين سيكارتها. وهكذا عدت الى بيتي ماشية عن طريق اسواق الجانب المقابل من النهر (الكرخ). فكانت موحلة قذرة، وسارة مبهجة لأنها ما تزال مثل شوارع بغداد القديمة، وخالية نسبياً من السيارات والجنود وكل ما يشير الى الاحتلال. ثم تجولت على طول الساحل، وتحدثت الى الرجال الذين كانوا يطلون قففهم[1] بالقير، والى أشخاص لطيفين آخرين من دون ان أشعر بكوني غريبة عنهم. فمن النادر ان يتسرب نسيم الشرق المعروف عندي من قبل الى ما بين اضابير ومقاعد المكتب الذي أعمل فيه. هذا ولابد من ان تعلموا ان هدايا كثيرة قدمت لي بمناسبة عيد الميلاد، سلال من البرتقال وشدات من النرجس والبنفسج .

(1) القفة من وسائل النقل النهرية التي استعملها البغداديون بكثرة، وهي دائرية الشكل عميقة، يطلى ظاهرها بالقار الاسود، وهي انواع مختلفة الحجوم.



الفصل الثاني
1918

كربلاء ـ 3 كانون الثاني

. . . قطعت بالسيارة يوم امس الطريق الرملي، نفس الطريق الذي كنت اعرفه من قبل، الى كربلاء. فوصلت الى دار الميجر پاولي[1] حوالي الظهر. وقد انزلني في دار الكولونيل ليچمن[2] القريبة من داره، لأن الاخير كان في البادية يومذاك مع الاعراب، الاعراب أصدقائي انفسهم من قبيلة فهد بك، غير اني لا استطيع الذهاب اليهم في الوقت

---

(1) المعروف ان سلطات الاحتلال عينت الميجر پاولي في كربلاء في 15 ايلول 1917 فهو اقدم معاون حاكم سياسي في كربلاء .

(2) انه الكولونيل جيرالد ايڤلين ليچمن G. E. Leachman (1880 ـ 1920) ابرز خادم للامبراطورية البريطانية. زار العراق سنة 1907 يستطلع واقعه الاجتماعي والسياسي. وفي 1910 توغل في جميع المناطق العراقية متجسساً. وفي 11 مارت 1915 كان في البصرة يتلقى توجيهات الجنرال (أ. أبين) على الصعيد العسكري، ويخدم دائرة الاستخبارات البريطانية متعاوناً مع السر پيرسي كوكس. وبعد توغل الجيش الانكليزي في العراق اصبح حاكماً سياسيا في البادية الغربية وقد مارس هذه المهمة في 4 مارت 1917، ثم اصبح حاكماً سياسياً في الموصل في نهاية 1918، وحاكماً سياسياً في الرمادي سنة 1920 حيث قدّر له ان يقتل برصاص الثورة العراقية في خان النقطة بين بغداد والفلوجة على يد الشيخ ضاري المحمود في 12 آب 1920. ودفن في مقبرة الانكليز بباب المعظم في بغداد .

الحاضر. ثم خرجت بالسيارة وتجولت مارة بالمستنقع والوحول حتى وصلت الى حافة بادية الشام، فوجدتها تمتد أمامي وتلوّح لي بالتوغل فيها تلويحاً مغرياً بحيث كان من الصعب علي أن أعود الى البلد.. . وفي الدار التي نزلت فيها تناولت الشاي، واستقبلت أحد تجار البادية في العُقيل وكان قد سمع بطريقةٍ من الطرق عند مجيئي الى هنا. اذ كان لي معرفة بأحد اخوته في الشام وبأخٍ له آخر في بغداد. وهؤلاء، مثل سائر العقيل، يأتون من وسط الجزيرة العربية في الاصل، فجلست معه نتحدث في شؤون البادية مدة طويلة من الزمن - حتى شعرت من جديد بأني لا يمكن ان اتحمل الا بشق النفس قربي الى القبائل بهذه الدرجة غير ان ابادر للذهاب اليهم في الحال. فأي ترحيب سيلقاني به (فهد) لو ذهبت! أنه بعيد عنا الآن بمسيرة يومين.

بغداد - 25 كانون الثاني

تجولت يوم أمس في جميع نواحي المستشفى العسكرى مع طبيب البلدية الكابتن كاري أيڤانز - انه صهر المستر لويد جورج[1]. وهو يقوم بواجباته بذكاء حقيقي، ويمتلىء صدره بخطط للمستقبل.. . ان التأسيسات الطبية هي على جانب كبير من الاهمية، ليس لأنها يمكن ان تقوم بكثير من الخدمات فقط بل لانها تقدر تقديراً تاماً. ولذلك فهي من العوامل السياسية المفيدة التي لا تثمن بثمن اذا أراد المرء ان ينظر اليها من هذه الناحية. فأن المستشفيات والمستوصفات هي أول شيء يطلبه الناس، ويتقاطرون عليها رجالاً ونساءً. يقول المستر أيفانز ان مستوى الحيوية هنا أعلى بكثير من مستواها في أوربا. والناس يوافقون في

---

(1) هو Lloyd George دافيد ايرل دويفور (1863 - 1945) رجل دولة انكليزي، ورئيس حزب الاحرار. تولى رئاسة الوزارة خلال الحرب العالمية (1916) ولعب دوراً مهماً في مفاوضات فرساي .

المستشفى على اجراء عمليات لا يجرأون على اجرائها في البيت، لأن أعصابهم أشد صلابة ولأنهم لا يعانون آلام الصدمة فيها...

وفي رسالة معنونة الى زوجة ابيها بتاريخ 25/ 1/ 1918 ايضاً (اوردتها المس برغوين في الص 75، ج2) تقول المس بيل كذلك:

... واذكر لكم بالمناسبة انني اكره تصريح بلفور الصهيوني[1] حول سوريا فأن هذا التصريح في اعتقادي سوف لا يمكن تنفيذه، لأن البلاد غير ملائمة بالكلية للاهداف التي يضعها اليهود نصب اعينهم. فهي بلاد فقيرة غير قابلة للانماء والتطور بمقياس كبير، لاسيما بثلثي سكانها العرب المسلمين الذين ينظرون الى اليهود بازدراء واحتقار. أني أرى ان المشروع مصطنع بالكلية، ولا علاقة له بالحقائق، أتمنى له الفشل الذي يستحقه.

8 شباط

...من الغريب ان اجد ان كثيراً من وجوه بغداد هم من اصل عشائري، وان قسماً من هؤلاء لم يستوطن فيها الاّ منذ جيل واحد أو جيلين[*]. فان بعض أبناء العشائر يعمدون الى بناء دور لهم في المدينة، ويبعثون بأولادهم الى المدرسة فيها، فيوجهونهم نحو مهنة ثقافية تؤدي الى الانخراط في خدمة الحكومة وعندئذٍ يستوطنون في الحال، ويصبحون في عداد المواطنين المدنيين. غير ان الصلات القبائلية

---

(1) اشارة الى الوعد الذي قطعه وزير الخارجية البريطاني آرثر جيمس بلفور A. J. Balfour (1848 ـ 1930) للصهيونية حين اعطاها ما لا يملك بتصريحه (في 2 تشرين الثاني 1917) القاضي بتعهد الحكومة البريطانية بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين عقب الحرب. فكان لهذا الوعد المشؤوم أسوأ النتائج على شعبنا العربي الفلسطيني.

(*) ليس هناك داع للاستغراب.

تبقى غير مقطوعة. ويحق لأيّ شيخ تكون له حاجة في المدينة ان يقصد دار اقاربه لينزل فيها ضيفاً تقدم له وجبات الطعام كل يوم ـ وهذا واجب باهظ التكليف ـ واذا ما وقع أحد أفراد الاسرة في المدينة في مأزق يلتجى الى القبيلة بدوره، ويكون آمناً فيها بحيث لا يسلم الى أحد مطلقاً. ان عدداً ممن كنت اعرفهم قد فروا الى القبائل خلال السنة التي سبقت الاحتلال عندما شدد العثمانيون النكير على عرب بغداد. واصبح معظم هؤلاء في خدمتنا الآن، ويجعلهم اتصالهم بالعشائر اكثر فائدة لنا. ولدينا الآن عدد من الموظفين العرب يعتبرون من الصنف الأول، وقد وجدنا كذلك ان عدداً من شيوخ الصنف الأول يستطيعون في الحقيقة ان يتحملوا المسؤولية ويحافظوا على الامن. وليس هناك كثير من هؤلاء، لكن الموجودين لا يثمنون بثمن، وتقع علينا نحن بدورنا مسؤولية جسيمة تجاههم. . فقد ارتبطنا معهم بعهد وثيق، ومن الجريمة ان نتخلى عمن يخدمنا بولاء واخلاص [1]. . .

وتذكر المس برغوين (ص 77، ج2)، في رسالة مؤرخة بالتاريخ نفسه معنونة الى ابيها ايضاً، ان المس بيل تقول:

. . زرت يوم أمس بعد الظهر اصدقائي القدماء هنا، بيت جميل زاده. فهم يسكنون في بيت فرح يقع في وسط البلد، وأود ان اذهب لزيارتهم على الدوام. فهم الذين يزودونني بالعنب دوماً خلال الخريف، أما في الشتاء فيبعثون الي بالبرتقال والتمر الممتاز. وهم أثرياء جداً، ومن منبت عريق أيضاً، أي من أسرة عربية قديمة لها فرع في دمشق وآخر في الموصل.

(1) ذلك هو منطق العمالة، وما قالته الآنسة بيل انما هو تحصيل حاصل!!

22 شباط

يصلكم كتابي هذا بأسرع مما تصل به الكتب الاخرى، لأن السر پيرسي سيحمله اليكم. فأنه قادم الى الوطن بمهمة مستعجلة، وقد يمكث في انكلترة أياماً معدودة فقط لكني رجوته ان يتصل بكم عند وصوله لأني متأكدة من انكم ترغبون في مواجهته...

قمت بعد ظهر الاثنين بسفرة لطيفة مؤنسة. فقد استعرت سيارةً أخذت فيها صديقي القديم وصاحب بيتي موسى چلبي (الپاجه جي)، مع زوجته وابنته، الى بستانهم الواقعة على مسافة خمسة او ستة أميال خارج بغداد. ويعيش هناك شاكر، شقيق موسى، للاشراف على الاعمال الزراعية. فوجدت المكان غير مرتب، فيه بنايتان كل منهما ذات طابق واحد ومشيدة بالطين، كما وجدت اكوام الزبل منتشرة هنا وهناك، وحتى في ساحة الدار نفسها. والقرية هي قرية عربية قذرة منتنة [1]، نصف بيوتها خيام ونصفها اكواخ من الخصاص تجثم بالقرب من جدران البنايتين. غير ان الشمس كانت ترسل اشعتها على ضفاف النهر وعلى المزروعات والنخيل. وكان هناك ثلاثة من الاطفال المحبوبين هم اطفال شاكر، وقد اصطحبوني لأتفرج على الدجاج والجراء والعجائب الاخرى... وعدنا بعد ذلك بالسيارة الى البيت. وقد سر موسى والسيدتان سروراً لا مزيد عليه، لانهم لم يركبوا اية سيارة من قبل مطلقاً على ما أظن...

تذكرت الآن قصة أخرى أرويها لكم. فقد جاءني اليوم احد رفاقي في السفر منذ 1914، وكان عربياً من قبيلة الدليم ركب معي أربعة أيام حينما كنت عائدةً الى الشام. فكان دليلاً ماهراً، وقد سررت لرؤيته من جديد ـ سررت بقدر ما يسر المرء حينما ينشر شبح من اشباح ماضيه

---

(1) وماذا تنتظر القرى العربية من الاحتلال الاجنبي الطويل؟.. هل هناك غير التأخر والخراب؟

المستقبل فيقف ماثلاً بين يديه. اذا اهاج بي الحنين الى البادية، حيث ينمو العشب، ويتدفق الحليب في الخيام السود، فيرفل الانسان والحيوان بأثواب الرخاء .

22 شباط (ب)

عزيزي اللورد هاردينج[1]. أرى لزاماً علي ان ابعث اليكم بكلمة تحية مع السر پيرسي. انها لخطة مدهشة ان تقوموا باستدعائه للمداولة معكم، ومع اننا سنفتقده كثيراً خلال مدة تغيبه فاني مسرورة لسفره، فانه سيقدم لكم انطباعاً حياً عن الاحوال عندنا، وستساعدكم المعلومات التي يقدمها على الوقوف بجانبنا. اذ تبدو الأمور سيئة الآن بحيث ان فكرة عدم[*] امكان ترك البلاد وشأنها تحتاج الى ان يؤكد عليها. وسوف تسمعون من السر پيرسي عن الخطوات المدهشة التي خطوناها منذ شهر آذار الفائت في سبيل تأسيس حكومة منتظمة، وهذا ما يجب ان اخبركم به أنا أيضاً. اذ تتمتع ولاية البصرة، من الناحية الادارية، بعهدٍ من عهود السلم والهدوء، ولم يحدث اي اضطراب او مشكلة في ولاية بغداد تقريباً. على ان قبائل الحدود، وهم الناس الذين يدخلون دخولاً نصفياً في ضمن الاراضي المحتلة، كانت متعبة لدرجةٍ ما ولم تسلك سلوكاً يستحق الذكر ويدعو الى الاهتمام، اما الباقون فقد ابدوا الخضوع جميعهم من دون اطلاق اية اطلاقة. وليس هناك اي عنصر مهم يقف ضدنا في البلاد، ولا اي شعور ديني يعادينا عداءً خاصاً[2]. لكن هذا

---

(1) راجع حول هذا الرجل الهامش الرقم (1) بصفحة 55.

(*) يظهر ان فكرة انسحاب الانكليز من البلاد في تلك المرحلة، كانت موضع نظر بعض الدوائر الرسمية في لندن .

(2) انه الهدوء الخادع الذي يسبق العاصفة، وقد فاتها ان الشعب العراقي كان يترقب، باهتمام، ما سوف يتمخض عن الوجود الاجنبي في بلاده .

ليس ذلك النجاح الذي يمكن ان يحرز من دون ان يعرض للتسوية كل ما هو أحسن في البلاد، اما المساعدة التي طلبناها وتم تسلمها فانها تضع مسؤولية عظمى على عاتقنا .

وكلما استطعنا ان نتمسك قوياً بموقفنا هنا ازداد ارتياح الناس منا. لأن ما يخشونه هو التدابير النصفية غير الجادة. وهم لا يخالجهم شك في اننا سنعاملهم معاملة منصفة، لكنهم يشكون كثيراً في الحصول على معاملة منصفة من الاتراك، ولا يستطيعون ان يتصوروا وجود حكومة عربية مستقلة (!!). واعترف بأنني لا استطيع ان اتصور(*) ذلك ايضاً. فليس هناك احد يستطيع تسييرها هنا. اما بالنسبة لما يمكن ان تحصل عليه من الرأي العام، فأنك لا تستطيع ان تحصل عليه بغير الاتصالات الشخصية والانطباع الذي تتوصل اليه منها. وعند ذاك تكون الفكرة التي تستهدي بها الخوف العام من ان يختل التوازن مرة ثانية، ويجبر الجميع على موازنة الشراع من جديد ليواجه عاصفة خطرة جداً. فاذا كنا عازمين على الثبات بمتانة فذلك خير على خير، انه شيء مفهوم ومقبول. اما اذا كنا غير عازمين على هذا فان الاتراك او الالمان أو اية جهة اخرى قادرة على رسم طريق واضح لها، حتى اذا كان من المنتظر ان يكون ذلك الطريق غير مريح، هي التي ستتولى الامر. لكنهم هم أنفسهم (اي العراقيون) لا يستطيعون ان يرسموا لانفسهم أي طريق يسيرون فيه، وهم يعرفون ذلك (!!). واذا اردنا ان نحصل على تصويتهم لنا بصورةٍ أكمل خلال الفترة الطويلة التي تمتد الى نهاية الحرب - أو الفترة القصيرة - فعلينا ان نبذل قصارى جهدنا في تمشية الادارة من دون عائق. فالوضع السياسي هو اكثر اهميةً من الوضع العسكري. ومن المنتظر ان يبقى كذلك. وقد حان الوقت الذي يتحتم علينا فيه ان نفكر اولاً، وليس

(*) هكذا كانت تفكر في بداية الامر .

ثانياً على كل حال، بالاعتبارات السياسية ونوليها اهتمامنا الزائد. فلنؤكد على الحرب في سورية ونعد العدة للسلم هنا. ومن الضروري ان نسمح بكل ما يمكن من التراخي في القوانين العسكرية التي لا يتأتى خطر حقيقي عنها، اذا كان ذلك يؤول الى ازدهار الحالة في البلاد وتقدمها. وسيكون ذلك في الوقت نفسه أحسن وسيلة لمقابلة الدعاية التركية، وخيراً من فرض الحصارات والاستعانة بالاعتقالات وما اشبه .

وهناك نقطة اخرى لاشك في أن السر پيرسي سيعرضها بالتفصيل، وهي أنه لا يجب ان يكون هناك أي تمييز في ادارة الولايتين(*) . فأن الشروط التي نتمسك بها في احداهما يجب ان تطبق تماماً في الثانية .

6 آذار

سأذهب الى الفرات مرة ثانية بعد غدٍ لأجمع ما تخلفت عن جمعه حتى الآن من خيوط المعلومات العشائرية التي احتاج اليها لاكمال مؤلفي العتيد عن القبائل العراقية.. . آمل ان يتسنى لي الحصول على بغيتي، لكن ذلك عمل شاق لانه اذا كان احدهم يعتقد بانه أكثر تأكداً فيها من الآخر فلأن ما يكتبه عن القبائل يكون مملوءاً بالاغلاط على وجه التأكيد. وعلى المرء أن يعيش في كل منطقة شهراً أو شهرين لكي يفهم الامور فيها .

قمت هذا اليوم بعد الظهر بواجبٍ صغير حضرت فيه حفلة افتتاح مستوصف ملكي في قلب البلدة. فقد كانت امنية الكابتن كاري أيڤانز العزيزة ان يفتح مستوصف في هذا الجانب من النهر، وستكون فائدته عامة لا حدود لها. وكانت فيه ردهة ذات ستة اسرة، بجانب الترتيبات

(*) اي ولايتي البصرة وبغداد، اللتين خضعتا للاحتلال البريطاني في ذلك التاريخ وتلك المرحلة من الحرب .

المتخذة للعيادة الخارجية. وقد حضر الحفلة جميع الوجوه من رجال الدين وغيرهم، فكان ذلك شيئاً مقبولاً مرضياً. وجلست في الصف الأول الذي كان يجلس فيه القاضي ومدير الاوقاف وحاكم الاستئناف إلخ. فتناولنا الشاي وتحدثنا فيما بيننا وسر كل منا بلقاء الآخر. وكان هناك كذلك الحاخام الاكبر ورئيس دير الدومينيكان ورئيسة الراهبات، وممثلون عن جميع الطوائف المسيحية ايضاً...

لقد أزداد عدد زواري بغياب السر پيرسي كوكس، واخذت المقابلات تستنفد جميع وقتي قبل الظهر. وكانت قضية أنابيب ماء النقيب مشكلة الساعة، وبوسعي ان اقول انها قد حطمت آمالي واغرقت محلة النقيب، لأن تصليحها قد عجز عنه الجميع. ومع هذا فلا يمكن اعتبار هذه الانابيب كغيرها، لانها تختص بمؤسسة دينية ويجب ان تعالج بأقصى ما يمكن من الحزم والتيقظ. وفي الاخير وافق النقيب، بعد كثير من التردد، على ان يسمح للبلدية بأن تكون مسؤولة عن العناية بها فارتفع العبء عن كاهلي.

ومع هذا فان معالجة السر پيرسي الحاذقة لشؤون مثل هذه هي التي جعلت جميع الوجوه يحضرون لتناول الشاي في المستوصف الملكي...

الشنافية ـ 13 آذار

كلمة واحدة أقول لكم فيها اني اقوم الآن بجولة ممتعة، مفيدة جداً. فقد أقلعت بالزورق البخاري الى الكوفة حيث رحب بي الكابتن بلفور(*) بذراعين مفتوحين. وقد قضيت في اليوم الثاني صبحية ممتازة مع الشيوخ وحصلتُ على معلومات كثيرة عن العشائر. وذهبت بالزورق

(*) الحاكم السياسي، وقد اصبح حاكم بغداد العسكري في وقت لاحق.

في اليوم التالي الى ابي صخير، حيث اشغلت نفسي بتاريخ العشائر بعد الظهر كله. وركبت في اليوم الذي يليه مع احد السادة الى حدود البادية، فدونت في سجلاتي أحوال العشائر الموجودة هناك - أنها قطعة من البلاد تثير الكثير من حب الاستطلاع، وقد كنت منذ مدة طويلة أود زيارتها وتفهم أحوالها. فأمطرت الدنيا مطراً شديداً وقضينا ساعات ثلاثاً في كوخٍ طيني بانتظار توقفه، لأن السير لم يكن ممكناً في ذلك الطين اللزج. على اني لم أضيع الوقت سدىً لأني حصلت خلاله على تاريخ مضيفي كله ونسبه، ودوّنتهما عندي. ان حافة البادية تمتلىء كلها بالآثار التي تعود الى ما قبل الاسلام - اتمنى ان يتسنى لي الوقت الكافي لقليلٍ من الارتياد والتنقيب فيها.

اقلعت يوم أمس في القسم الغربي الجميل من الفرات - حيث شاهدت منظر الصفصاف المتبرعم وأشجار التين بين النخيل - وبت عند احد السادة. وقد أنزلني في غرفة لا شبابيك فيها، فكان ارتدائي الملابس مشكلة حقيقية عانيتها في صباح هذا اليوم. فلم أتمكن حتى من ترك الباب مفتوحة ولو قليلاً، لإن رأي السيد الكريم في واجبات الضيافة يجعل جلوسه هو بجانب الباب من الخارج شيئاً اجبارياً، ليكون على أهبة الاستعداد لتلبية ما أطلب. على ان ما كنت أريده في الحقيقة هو ان يبتعد عن الباب، حفظه الله،

وأقلعت هذا اليوم في الفرع الآخر من الفرات، فمررت أولاً بين بساتين النخيل، وبعد ذلك خلال بحيرة واسعة، وهو المكان الذي تصب فيه مياه الامطار المنسابة من البادية، ثم مررنا بنوع غريب من أماكن الشلالات - كان الماء قليلا فيه بحيث تغرزنا مدة ثلاثة أرباع الساعة. وهكذا وصلت الى هنا (الشنافية)...

السماوة ـ 17 آذار

لم أذهب بعيداً في طريقي الذي وصفته لكم في كتابي الاخير. لقد صادفت قافلة الكولونيل ليچمن، فهو الآن حاكم واحات البادية! انه رجل ممتاز. ولما كان من عادته ان يستصحب معه رجال مختلف الواحات عندما يتجول، وبالنظر لأنهم من معارفي القدماء في الغالب، فقد كانت هذه الاجتماعات شيئاً ممتعاً.

وكان الكابتن غولد سمث، الحاكم السياسي في السماوة[1]، قد جاء لعقد محكمة عشائرية في الشنافية فجئت بصحبته في الزورق البخاري. ان البلاد في هذه الجهات قفراء للغاية، وقد حفر النهر له هنا ضفافا عالية فقل الماء فيه أيضاً، وكانت النتيجة ان اصبح من الصعب ارواء الاراضي منه، ولذلك صارت تنعدم الزراعة فيها تقريباً. وكان في صحبتنا شيخان فأجريت بمساعدتهما الكثير من تدقيق المعلومات المدونة عن العشائر، ونحن في الزورق البخاري.

ان الشخص[*] الرئيس هنا سيد متقدم في السن كان دائماً شخصية بارزة في أيام الترك، وكان أحياناً ذا حظوة عند الحكومة لكنه لم يكن كذلك في أحيانٍ أكثر. وقد تغدينا عنده اليوم فقص علينا كيف ساق الاتراك قوةً عسكرية ضده قبل الحرب، فاضطر الى الالتجاء الى العشائر عدة أشهر، كما قص علينا أشياء كثيرة أخرى عدا هذه. وليس من شك عندي أنه شرير قديم، لكنه شرير ذكي، ومصدر ثر للمعلومات عن المناطق الريفية، ومؤيد وفي «لحكومة الانكليز العظيمة العادلة»[2].

---

(1) من المعروف ان الكابتن غولد سمث قبل ان يكون في هذا المنصب كان قد عيّن في الأول من نيسان 1917 معاون حاكم سياسي في الحلة.

(*) لعلها تقصد السيد طفار.

(2) انه السيد طفار بعينه، وقد سبق ان نوهت الآنسة بيل بذكره حين تكلمت على ثورة =

ان سادة الفرات الملاكين هم مصدر قوة لنا، فكلهم تقريباً ضد الاتراك، لكونهم شيعة ولا يكنون أي حب لكل حكومة سنية[1]. ولهم نفوذ كبير عند العشائر، لكنهم بعيدون عن اختلافاتهم وأحقادهم. وهم كذلك صانعو سلم محترفون، ومزارعون ماهرون في أراضيهم الخاصة، وتكون مصالحهم كلها في جانب القانون والنظام. وهناك مجموعة مهمة منهم في الشنافية[*] ايضاً، وانا اجدهم مفيدين جداً على الدوام حينما اقوم بجمع المعلومات وتدقيقها. . .

السماوة 17 آذار

بينما كنت واقفةً على نشزٍ من الارض في الكوفة شاهدت بعض الخيام السوداء والابل في منخفض من الارض يقع في الجهة الجنوبية، وجاء الينا أصحابها بعد ذلك فعرضوا علي مصاعبهم. لقد كانوا رجالاً من الغزي[2]، وهي قبيلة نصف بدوية تنزل بالقرب من الناصرية، وقد كانوا في البادية منذ تشرين الأول. انهم يريدون الآن العودة الى ديرتهم عن طرق النهر لتمضية الصيف، لكنهم ما أن وصلوا الشنافية، حيث كان في نيتهم ان يعبروا النهر، حتى قابلهم الجنود والخيالة من الناس

= النجف.. فقال: كان السيد طفار الرجل البارز في السماوة صديقاً لنا منذ مدة. راجع: فصول من تاريخ العراق القريب، ص 120.

(1) منذ هذه الرسالة وحتى في اغلب رسائلها القادمة، نجد الآنسة بيل تحاول ان تدق اسفيناً بين الشيعة والسنة، وهم ابناء شعب واحد في وطن واحد.. ولا يخفى على المواطنين ما ترمي اليه صاحبة الرسائل في تصعيد حدة الخلاف بين ابناء الشعب، وتصديع وحدة الصف الوطني

(*) انهم بلا شك السادة الافاضل آل مكوطر، وكان منهم العلامة السيد هادي من رجال ثورة العشرين الكبرى .

(2) كانت هذه العشيرة في الاصل بدوية مترحلة، يعود نسبها الى قبيلة الفضول في نجد. وفي ايام الاحتلال الانكليزي اصبحت عشيرة متوطنة تشتغل بالزراعة والرعي. وكان منشد الحبيب رئيسها.

ومنعوهم عن بغيتهم. وقد جاءوا يستفهمون عما اذا كان يسمح لهم بالعبور، وعما سيحل بهم اذا ما منعوا عن الوصول الى النهر. فقلت لهم أن شيخهم صديق للحكومة وطلبت اليهم ان يذهبوا الى اية جهة يرغبون فيها، غير أنهم لم يقتنعوا حتى كتبت لهم أمراً يخولهم العبور ليواصلوا السير في طريقهم. وعند ذاك قبلوا كتفي ورحلوا مطمئنين، لكنكم يمكنكم ان تتصوروا أي ارتباك تؤدي اليه مثل هذه الوقائع الغريبة في حياة اصحاب الابل الذين لا يعرفون ما هي نية الجنود او الحكومة تجاههم...

دونت ما حصلت عليه من معلومات عن القبائل، وزارني بعد الظهر الشيوخ والسادة على اختلافهم فتحدثنا حديثاً مؤنساً، كانت نتيجته أنهم كانوا متحيرين نوعاً ما أيضاً مثل ما تحير أصحاب الابل قبلهم. ولا غرو، فلم يمر على احتلالنا الفعال لهذه المنطقة سوى أشهر ثلاثة فقط، ولذلك فنحن غرباء الآن بالنسبة لهم وحديثو عهد بهم. لقد زارني عدد كبير من الشيوخ، واعتقد انني نظمت سجلاً عشائرياً لا بأس به...

بغداد ـ 28 آذار

خيمت على اعمالنا سحابة مفزعة هنا بقتل احد حكامنا السياسيين المنتمين الى الجيش في النجف (الكابتن مارشال) [1]. لقد كان رجلاً نابهاً ـ كنت مغرمة به جداً أنا شخصياً، حيث قضيت معه عصرية مؤنسة قبل ثلاثة اسابيع حينما كنت في الكوفة. اني اعتقد ان مستقبلاً عظيماً كان ينتظره، وانا آسفة لفقده أسفاً مريرياً...

---

(1) كان الكابتن مارشال Marshall قبل ان يتولى معاونية الحاكم السياسي في الكوفة.. معاوناً للحاكم السياسي في الكاظمية، وكان يتكلم الفارسية. وقد اجهزت عليه جماعة الحاج نجم البقال فجر يوم 19 مارت 1918 في بيته، كما قتلت معه طبيباً إرلندياً.

وقد أثارت هذه الفاجعة عاصفة في نهاية رحلتي، لكني يجب ان اقص عليكم بقية قصتي. فقد كتبت لكم من السماوة قبل أن أغادرها بيوم واحد، وكان يرافقني في الساعتين الاوليين الكابتن غولد سميث مع تسعة عشر من خيالة الشرطة ـ بقصد الاحتفاء لا للمحافظة، وكان بوسعي ان اصطحب عدداً أقل منهم، وبرغم وجودهم كلهم كانت السفرة في البادية المخضوضرة بالنباتات العبقة سفرة ممتعة. لأن شذى البادية في الربيع لا يضاهيه شيء في هذا العالم. وكنت في كل ليلة أجتمع بمجموعة من الوجهاء بعد تناول العشاء. وبعد ان استمعت في الليلة الثانية الى الثناء عليّ وعلى حكومتي ومضيفي خفف عني لحسن الحظ، دخول رجل مهم كبير السن يجب عليّ أن أصف لكم مظهره وحديثه. فقد أسود وجهه بتقدم العمر، وكانت لحيته قرمزية من صبغ الحناء. وقد لُف السواد والبياض معاً بعمامة بيضاء جسيمة الجرم. فقابلناه كلنا حينما دخل بتحيات أعيدت بعد ان أخذ مجلسه كذلك. ودار الحديث دورته،حتى وصل اليه، فراح يقول «بينما كنت قادماً الى هنا، وبالاحرى عندما كنت أهم بالدخول من الباب نظمت أبياتاً من دون الاستعانة بالقلم» وقد رجوناه ان يسمعنا ما نظم، فرفع يده العظيمة البالية كأنه يناشد العالم الانصات اليه، بصوتٍ متفرقع أنشد مقطعاً شعرياً هائلاً ثلاث مرات وكان مفاده ان الجميع تعلموا الانسانية من الحكومة المفخمة، وان مجيء الخاتون ملأ الكون بهجةً وسروراً[1]. فوجدت من واجبي بعد القراءة الثالثة ان ادونها ـ بعد ان عرفت ان لا قلم عنده. اما باقي المستمعين فقد اطنبوا بالثناء عليه، واعرب جميعهم عن أملهم بأن يكون الله في عون الحاج الشيخ ليكمل في تلك الليلة نفسها القصيدة التي بدأها بمثل هذا القول الحسن. لكني لا أدري فيما اذا كان أكملها أم

---

(1) تزلف رخيص.. قد يرمي الى حث المحتلين على الوفاء بالتزامهم حيال الاستقلال المأمول، او انه قيل باعتبار «الغواني يغرهن الثناء»!.

لا، فاني هربت من الديوانية بالسيارة في الصباح الباكر قبل ان ينهض الوجهاء من نومهم...

28 آذار (ب)

... ولم يكن لمقتله(*) أي نوع من الاهمية السياسية(**). فهناك عصابة صغيرة من الأوغاد اللعناء في النجف[1]، كانت تحصل لنا على الدوام مشاكل معهم. والرأي العام جميعه ضدهم لكنهم يحتمون وراء قدسية مدينتهم، ومن الصعب جداً انزال العقوبات بهم. انهم يعرفون هذا جيداً، وتنطوي شجاعتهم خلال ارتكاب الشر في قناعتهم بأنهم آمنون تجاه أي هجوم يشن عليهم لأن ذلك سيتضمن انتهاك العتبة المقدسة في النجف. ويكاد يكون هذا من سخرية القدر، مع أني لا أشك بأنه كان من قبيل الصدفة الحسنة ان ننتصر على الاتراك في نفس الوقت الذي بدأ فيه العصيان..، وندفعهم بعيداً في أعالي الفرات، بعد ان دمرنا بالكلية القوات التي تحارب ضدنا في الجبهة..

وتستمر هذه الرسالة في وصف رحلتها الفراتية، بعد ان غادرت السماوة في زورق بخاري مع الحاكم السياسي الكابتن غولد سميث، فتقول:

.. وقد كانت بدايتنا بداية جميلة عند الفجر، وحينما أشرقت شمس الصباح علينا رحنا نغلي «الكتلي» ونتناول الفطور الفخم اثناء

(*) اي مقتل مارشال في النجف، الذي اشارت اليه في الرسالة الاخيرة.

(**) انها تشير بلا شك الى ثورة النجف، وكانت لها اهمية سياسية لا تنكر، لانها كانت بمثابة مقدمة للثورة العراقية.

(1) لا عصابة.. ولا أوغاد لعناء... وانما هي جمعية النهضة الاسلامية التي كانت في النجف يومذاك تدبر ثورة منظمة ضد الوجود الانكليزي في بلادنا.. وكان من بين اعضائها الرجل الفاضل الحاج نجم البقال.

انحدارنا على وجه النهر. فما اسعد حظنا حين يتناول شعورنا مثل هذا المجال الضيق ـ وفي تلك اللحظة التي كنا نتمتع فيها بذلك الصباح الغض وفتنة النهر العظيم كان يدبر قتل الكابتن مارشال في النجف. ان فرع الحلة يعود للاتصال بفرع الفرات الغربي عن طريق عدد من الجداول الضيقة المسدودة كلها بسدود محلية. وقد سلكنا اكثر الجداول صلاحاً للملاحة منها، لكن السد الأول الذي كان عائقاً صلباً في طريقنا جعلنا نقضي وقتاً مثيراً. فقد تحتم علينا ان نشق طريقنا خلال ممر ضيق يخترقه تيار سريع، وكان يتولى دفة الزورق الكابتن غولد سميث بنفسه، اما نحن فقد كنا نسير على الاقدام ونسحب بالحبال، وهكذا استطعنا ان نمرق .

ثم تابعت السفر من هذا المكان وحدي، مع خادمي واثنين من الشيوخ. فوصلت الى الرميثة، وهي قرية جميلة تقع على ضفة النهر، في حوالي الساعة الواحدة وبت فيها تلك الليلة. وكان المدير، وقد أخبر بمجيئي قبل مدة، فقد دعا شيوخ المنطقة فقضيت قسماً كبيراً من فترة ما بعد الظهر معهم من أجل الحصول على المعلومات العشائرية المختصة بالمنطقة .

وغادرت الرميثة في فجر اليوم التالي يصحبني المدير، فأوصلت شيخين من الشيوخ، الذين جاءوا لمواجهتي في اليوم السابق، الى موطنيهما. وقد وصلنا في حوالي الظهر الى منزل شيخ من شيوخ البدو ـ وهو أكبر شيخ في تلك البقعة من العالم ـ وهناك شاهدنا بيوت الشعر السوداء وقطعان الاغنام وكل شيء على ما يرام، بما في ذلك ترحيب البدو بنا، بتقديم فنجان من القهوة المرة. وكان الشيخ يقوم بعمل نادراً ما يقوم به البدو ـ اي بحفر جدول لأرواء اراضٍ زراعية قديمة بعيدة عن النهر. ولا أقول ان البدو تولوا الكثير من أعمال الحفر، ولكنهم على كل حال كانوا يجلسون في خيامهم السود ويشرفون على ما كان يقوم به

أناس آخرون، وقد جلست قليلاً هناك فصادفت صحنا الشلال وهنأته على أعماله الجديرة بالثناء وتحمله العناء عن الغير.

والديوانية (التي وصلتها المس بيل بعد الظهر) بلدة صغيرة تقوم وسط الصحراء ـ ان جميع العشب الموجود حولها كان من زراعة الربيع الاخير. وقد كادت هذه البلدة ان تنمحي من الوجود حينما آثر الفرات ان يجري في فرعه الغربي وترك فرع الحلة، لكن (سدة الهندية) قد أعادت بعض الماء الى مجراه السابق هنا وستنعش الديوانية قريباً. ولدينا هناك وكيل[*] محلي، مضياف، مضجر، وعلى درجةٍ كبيرة من عدم الكفاءة. لقد أنزلني في بيته واستضافني فيه بسخاء، ثم راح يتكلم من دون انقطاع. رباه! كم تحملت من فترات الضجر التي مرت عليّ حينما كان يصف لي النجاح المدهش الذي اصابه في أدارته! لكني بقيت استمع بتأدب يشوبه الشك والريبة ـ فهلا أقدر على ذلك؟ وقضيت اليوم الثاني في عمل متواصل للحصول على معلومات عشائرية من الشيوخ الذين جاؤا لمواجهتي. فكنت اعقد في كل ليلة مجمعاً للوجهاء بعد العشاء، فأقضي ساعة ونصفاً مضجرين كنا نتبادل خلالهما أحاديث تافهة. وقد كان بوسعي ان أبكي من السأم، ثم وصلت الى حد الهستيريا بدخول رجل عجوز أخذ يلقي بصوتٍ اجش مقطعاً رديئاً من بيتين مفادهما ان الناس جميعهم قد تعلموا الانسانية والعدالة من الدولة المعظمة، وان مجيء الخاتون قد ملأ الكون بهجة وسروراً[1]...

(*) يعتقد الكثير من المطلعين بأن هذا الوكيل هو سلمان الجبار، وكان رئيساً للبلدية

(1) هذه القصة سبق ان ذكرتها الآنسة بيل في الرسالة السابقة، وقد اثقلناها بالهامش (1) صفحة 80 فليرجع إليه.

بغداد ـ 5 نيسان

ركبت مع المستر بولارد[1] الى مسافة اميال عدة على ضفة دجلة من جهة الشمال، ثم نزلنا لزيارة رجل متقدم في السن لطيف المعشر، يملك بستاناً واسعاً على مقربة من النهر. لقد استقبلنا خدامه وأخذونا الى داخل البستان، حيث وجدنا فائق بك يطعم أشجار البرتقال[2]، فأخذنا بعد ذلك الى جولة في بستانه المملوء بأشجار الفاكهة، وحقوله المزروعة بالحبوب، حتى وصلنا الى حافة البر فكان كل شيء أخضر مدهشاً فيه، قد ظهرت السنابل في الشعير وتكاثف الحشيش تحت الاشجار. ثم عدنا لتناول الشاي معه فقدم لنا تمراً وبرتقالاً كذلك.

جاء لزيارتي هذا الأسبوع مضّيفي البستاني الآخر الحاج ناجي[3]، وكان يرتدي لباساً ارجوانياً جميلاً ويبين مهيباً في منظره. فبادرني يقول وهو يرسم في الهواء بأصبعه أحاديث خيالية، «اتجلسين طول النهار هنا وتشتغلين؟»، «انك مجدة للغاية» ثم نقر على جبينه ليشير لي الى شعوره بمجهودي الفكري. واردف قائلاً «يجب أن تشرفي بستاني ثانيةً

---

(1) إنه المستر ر. و. پولارد R. W. Pollard الذي اشتهر بخدماته القنصلية في البلدان الشرقية. وكان يمتاز بمعرفة شخصية وثيقة بشؤون تركيا والعراق قبل الحرب وفي اثنائها. والمعروف انه اصبح في سنة 1920 احد اعضاء لجنة بونهام كارتر لصياغة المقترحات الخاصة بالدستور العراقي بحيث تتجاوب مع متطلبات الانتداب .

(2) رغم البحث الطويل لم نهتد الى هوية فائق بك، ولكننا علمنا من سياق الرسائل القادمة انه من الملاكين المعروفين في بغداد، وانه كان من اصدقاء الآنسة بيل، وانها اعتادت زيارته في بستانه في منطقة الفحامة (بالقرب من صدر القناة) ببغداد. ولكن بعد رجوعنا الى الاستاذ عزيز الحجية افادنا بانه فائق محمود.

(3) يبدو من خلال هذه الزيارة ان الانسة بيل قد زارت قبل يوم 5 نيسان 1918 بستان هذا الرجل، في الكرادة الشرقية، والحاج ناجي اشهر ملاّك في المنطقة المذكورة اضافة الى توليه رئاسة بلدية الكرادة. وقد تمتع فيما بعد بعضوية المجلس التأسيسي سنة 1924. وقد أفادنا الاستاذ عزيز الحجية بأن اسمه الكامل هو الحاج ناجي رضا، وأن بستانه تقع في منطقة الجادرية.

لينشرح صدرك بين الاشجار المثمرة»...

24 نيسان

جاء لمواجهتي اليوم رجل كان قد عبر البادية معي من دمشق سنة 1911، حينما امطرت الدنيا وفراً فحوصرنا أربعاً وعشرين ساعة، ثم صحبني الى بلاد الجزيرة العربية في 1913 ـ أنه (علي شقل)[1]، وهو كسلان فارقته غضبى عليه حينما وصلنا الى بغداد بعد الرحلة في 1914. على أنه بتجهم انهيت المقابلة بتقديم هدية له ووعدته بالمزيد اذا ما سلك سلوكاً حسناً. وكان يعيش في هيت حينما استولينا عليها قبل أيام، فالتحق في الحال بضابط الاستخبارات صديقي الميجر أيدي[2] بفضل معرفتي به. وقد جاء الميجر ايدي لزيارتي اليوم فأخبرني بأن علياً هذا كان مفيداً له. أن له معرفة ممتازة ببادية الشام كما ثبت لي من خبرتي معه.

ان قضية النجف تنتهي الآن بالموفقية لنا. فقد تسرب الخلاف بين العصاة، وأخذ اصدقاؤنا من النجفيين يتشجعون في العمل، فسلم لنا حتى الآن عددٌ من قتلة الكابتن مارشال الفعليين. ومن المؤمل او المنتظر ان نقوم بأعدامهم[*] . فقد دبرت المشكلة بحذق ومهارة يشكر عليهما

---

(1) اطلقت الآنسة بيل عليه في رسالة 9 أيار 1918 اسم (علي العقيلي) ولا أدري لما مسخت «العقيلي» «بـ «شقل».. ويبدو انها غضبى عليه بسبب موقف شائن اتخذه هذا المرتزق حيالها، وقد يكون هذا الموقف لا أخلاقياً!!

(2) في ايام الحرب الأولى جند الميجر ج. أي. ايدي قوة من الخيالة في الناصرية باشراف فرع الاستخبارات لجمع المعلومات العسكرية والعشائرية، وقد عرفت هذه القوة باسم خيالة المنتفك. وفي 1920 كان الميجر ايدي مساعداً للحاكم العسكري في عانة، ثم اصبح في 1923 معاوناً لمستشار وزير الدفاع العراقي.

(*) لقد أُعدم بالفعل احد عشر شخصاً من مجاهدي ثورة النجف، وهم جماعة الحاج نجم البقال وكاظم الصبي، من مثل اولاد الحاج سعد الحاج راضي وآل الرماحي =

الكابتن ويلسن وكيل الحاكم الملكي العام والكابتن بلفور. ولا أظن أني ذكرت لكم من قبل أي شيء عن الكابتن ويلسن(*) المخلوق غير الاعتيادي الى حدٍ كبير. فقد أخذ يعتبرني «دساسة بالفطرة»، وأنا أنظر اليه طبعاً بشيء من الشك والريبة أيضاً، حينما اعلم بأن هذا هو رأيه فيّ. وقد أنهينا تلك الحال وأصبحنا أصدقاء حميمين، وأني لأكن اعظم الاحترام لذكائه المدهش. واعتقد بأني قد ساعدت أيضاً في شيء من تثقيفه، لكنه يتولى تثقيف نفسه كذلك، وسيكون رجلاً عظيماً في يومٍ من الايام. اذ أخذ يصبح على درجةٍ أكبر من التسامح والصبر كما يفعل رجال الدولة. ولذلك أود أن اشتغل معه.

4 أيار

كان النهر في أوج طغيانه هذا الاسبوع. وقد ارتجفنا خوفاً على حقولنا المزروعة، لكن ذلك كان شيئاً بديعاً. فما أعظم ثروة هذا الماء وخيراته. فقد فاضت جميع مجاري الماء الصغيرة، وأخذت تصب في الحقول والبساتين، وازداد نمو المزروعات ثم غردت البلابل في أرجاء البساتين .

وكان حادث هذا الاسبوع حفلة الشاي التي أقمتها لسيدات بغداد

= وما اشبه. اما اصدقاء السلطات البريطانية الذين ساعدوا الانكليز في القبض على رجال الحركة وابطالها فيفهم مما نشر في مجلة الثقافة الجديدة (ع 4، 1969) للمرحوم الاستاذ محمد رضا الشبيبي حول ثورة النجف، ان منهم عبد الله الرويشدي، ومحسن الشمرتي، ومطلق المعمار وكثيرون غيرهم. اما الباقون من الثوار فقد تم نفيهم الى سمرپور في الهند وغيرها، وكان في مقدمة المنفيين السيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ جواد الجزائري، وعطية ابو ڤلل، والحاج محمد ابو شبع، وتومان عدوة، وسعيد الحار والسيد باقر الطباطبائي وكردي ابو گلل.

(*) اي السر ارنولد ويلسن وكيل الحاكم الملكي العام، وكان على اختلاف دائم مع المس بيل كما سيتضح في رسائل اخرى .

في دار السير پيرسي، لم أدع لها غير سيدات الاسر الكبيرة، المسلمة في الغالب، ومما أوجب تعجبي أنهن اتين زرافات زرافات. وقد خفّت لمساعدتي احدى الاسر الارمنية (مدام سقيان وبناتها اللواتي أحبهن كثيراً). وكبيرة الراهبات مع عدد من راهباتها، فكانت الحفلة ناجحة الى درجةٍ كبيرة. بلغني ان السيدات صرحن بأن العناية التي اتخذت لأبعاد الرجال عن البيت لا يمكن أن يبذل مثلها حتى في بيوت المسلمين ـ أليس من الغريب أن يتوقف نجاح الحفلة على ابعاد هذا العنصر؟ لقد صرحت احداهن، زوجة مدير الأوقاف (*) وهي تغادر الدار انه لو قدر لهن ان ترى احداهن الاخرى، ويجتمعن بين حينٍ وآخر على هذه الشاكلة، فان حياتهنَّ ستكون حياة تختلف عن حياتهن الحالية. ولذلك فاني اعمل الآن على استئجار ماكنة سينمائية لاحياء ليلة أدعو اليها السيدات، فانهن لا يشاهدن أي شيء في العادة ولا يذهبن الى أي مكان، فتصوروا!!

9 أيار

كانت آخر مرة زرت فيها الرمادي في نيسان 1914، حين بت ليلة واحدة هناك في بيت الشيخ علي السليمان، شيخ الدليم، قبل ان أعبر بادية الشام في طريق عودتي الى الوطن. انها بلدة صغيرة جميلة، ذات شوارع عريضة وبيوت كبيرة مبنية في البساتين. وقد كانت رحلتي اليها في هذه المرة رحلة ممتعة كذلك، لأن هذا الربيع المدهش قد أخرج أزهار البادية، فكانت هناك في البقاع المنخفضة مساحات شاسعة من أزهار «آذان الدب» الصفراء، السالڤيا البنفسجية، وسائر الازهار البرية.

(*) وجدنا في جرائد تلك الفترة ان مدير اوقاف بغداد يومذاك كان محمد سعيد افندي الزهاوي، المفتي السابق.

وركبت السيارة في اليوم التالي الى هيت، فبت هناك في مقر القائد وتغذيت عند معاون الحاكم السياسي الكابتن يتس[1]، وهو رجل لطيف جداً، ثم حدث بعد ذلك شيء غير اعتيادي للغاية ـ لقد أمطرت الدنيا مطراً غزيراً في فترة بعد الظهر كلها، من يوم 6 أيار ـ كان ذلك من قبيل المعجزة. على أني قضيت بعد الظهر كله في قشب[2] لطيف مع الميجر ايدي وتمتعت بالبرد الذي أخذت أشعر به. وما أن صحت الدنيا حتى قمت بزيارة رئيس البلدية، انه رجل مفيد، وقابلت وجوهاً آخرين، وكان دليلي في ذلك علي العقيلي الذي كان قد ركب معي الى حائل من قبل وأصبح في خدمة الميجر أيدي. وركبت في فجر اليوم الثاني مع علي من بين آبار القير الى خربة أثرية غريبة لم يزرها أحد من قبل غيري، وانا اعتزم التنقيب فيها بإشراف القائد في الخريف القادم .

وجاءني بعد تناول الفطور جميع من كانت لي معرفة به قبلاً، صاحب الخان وهذا وذاك، وأخيراً جاءني حسين الضابطية الذي ركب معي في رحلتي سنة 1909، فتعانقنا ـ كان ذلك شيئاً مفرحاً مع أنه كان باهظ التكليف .

وتناولت الشاي مع المستر نولدر (الحاكم السياسي)، ثم دخلت في حديث طويل معه، وهو الذي جاءني في صباح اليوم التالي بعلي السليمان وسائر شيوخ الدليم فاشتغلت كثيراً في تحليل وضع القبيلة معهم حتى الغداء. ثم ألقيت في المساء محاضرة يعززها الفانوس السحري على الضباط ونوابهم، وكانت تدور في موضوعها حال رحلتي الى الجزيرة العربية. وقد ركبت السيارة مع المستر نولدر وتوجهنا الى مضارب علي السليمان..

---

(1) انها تشير الى المقدم ل. و. يتس L. M. YETTS الذي اصبح فيما بعد ضمن الجماعة القوية التي كانت تعاضد السر پيرسي كوكس في سياسته.

(2) كلمة عامية تستعمل في بغداد بمعنى الدردشة في مصر.

10 أيار

الى السر ڤالانتاين تشيرول

ينبغي أن أجيب على كتابك السار للغاية، المرسل من ارنكليف وراونتون..

بلى ان أمورنا حسنة جداً هنا. فحتى ثورة النجف التي كان من الممكن أن تكون خطيرة قد أخفقت، وأصبح جميع رؤسائها في قبضة أيدينا، وصار الرأي العام الديني وغير الديني في جانبنا[1]. على ان ذلك قد كلفنا غالياً بقتل الكابتن مارشال، لكن ما دفعناه في هذا الشأن لم يذهب سدىً على الاقل. وقد جاء احتلال هيت في اللحظة السايكولوجية المناسبة، ودمرت شبكة الدس التركي الالماني[*] جميعها، واذا لم أكن مخطئة فسوف لا يحصل عندنا الاّ القليل من المشاكل في جبهة بادية الشام...

24 أيار

كان عندنا أسبوع الصليب الاحمر، وقد أقمناه بصورة متواضعة بلغت أوجها بحفلة بستانية أقيمت في الحديقة العامة هذا المساء. وكانت حفلة ناجحةجداً يعود الفضل في نجاحها لدرجةٍ كبيرة الى التعاون الذي

---

(1) اعتادت الآنسة بيل ان تكذب نفسها بنفسها، فهي بعد ان تعترف بهذا النصر المزعوم، اعترفت قبل ذلك في احد تقاريرها بان كربلاء والنجف (بعد مقتل مارشال واعدام قاتليه طبعاً) بقيتا معاً تكونان قبلة للفوران السياسي الذي كانت تسهل اثارته برد الفعل للحوادث التي تقع في العراق. راجع: فصول من تاريخ العراق القريب، ص 127.

(*) عثر في تلك الجبهة عند الاسرى الالمان على وثائق تشير الى اتصالات كانت تحصل مع بعض الشخصيات في النجف حول القيام بثورة عارمة فيها وضبطت بعض الاسماء.

أبداه اليهود. فقد حضر عدد كبير من وجهاء الناس فقدموا الى القائد العام، ودرت بعد ذلك على المدعوين معه فترجمت له. وألقى خطاباً في النهاية ـ كتبه له الكابتن ويلسن وأنا، لكنَّ معظمه كان من كتابة الكابتن ويلسن.

انا غير متأكدة من أنكم تدركون أي شخص هو الكابتن ويلسن، مع انه شخصية بارزة جداً. فهو نائب الحاكم الملكي العام ووكيله حينما يكون السر پيرسي متغيباً عن العمل ـ أنه رجل رائع جداً، ذو قابليات لامعة، ومقدرة عقلية وجسمية ممتازة يندر جداً وجودها في الرجال. اني مخلصة له ـ فهو أحسن الزملاء، ولابد ان يكون له مستقبل باهر. لا اعتقد أني صادفت في حياتي من يتفوق عليه في ما عنده من قوة خارقة(*).

24 أيار (ب)

كم يسرني ان تكون هنا لأريكم دائرتنا. لقد تعودت عليها الآن، لكنها مكان مدهش. فأننا نشغل دارين(**) يقوم كل منهما حول ساحة تطل على النهر. وتقع غرفتي وغرفة الكابتن ويلسن المتجاورتان في الطابق الأول، لكن غرفتي محصنة كلها بالحصران والستائر الخشبية ضد الشمس، ولذلك فهي باردة برودة محببة. وفيها منضدة للكتابة وأخرى كبيرة للخرائط، وأريكة مع كراسي مغطاة بالاغطية القطنية البيضاء المطرزة بشيء من التطريز الايراني الجميل بالاضافة الى قطعتين او ثلاث من السجاد الفاخر جداً مفروشة على الارض المرصوفة بالآجر، مع زوج من المزهريات الزجاج الايرانية القديمة، فوق خزانة الكتب

(*) سيلاحظ القاريء ان المس بيل ستغير رأيها فيه بعد ان تختلف معه مرة اخرى، ولا عجب فالملحوظ في رسائلها انها لا تستقر على رأي.

(**) كانت تقع في منطقة الباب الشرقي.

المصنوعة من الخشب الاسود. والجدران مغطاة بالخرائط، أنه مكان بديع حقاً. ويجلس في الطارمة المحيطة بداخلية الساحة قوامونا ـ خدام الدائرة بالبدلات الخاكي ـ ليحملوا لنا الاضابير والاوراق او يفتشوا عنها، وليوزعوا الرسائل والكتب وما اشبه. وهم عرب في الغالب، وبعضهم ايرانيون يضعون فوق رؤوسهم «الكلاوات» الطويلة بصليّة الشكل المصنوعة من اللباد. وتقع في الجهة المقابلة غرفة المستشار المالي الميجر مي، وتوجد فيما بيننا غرفة الخرائط، وغرفة الشفرة، وغرفة الحاكم السياسي في بغداد الكابتن غيلان، ويقف في انتظار مواجهته على الباب جمهور من الناس على الدوام. ويعمل في الدار الاخرى جميع الكتبة، وضباط الصف، وموظفو العاصمة، الهنود ـ الأورپيون (المولدون) الذين يتولون الاعمال السرية (أنهم من أول طراز) مع مكتبين للغتين المحليتين العربية والفارسية [1] ـ اني اودهم جميعاً، فانهم ممن يلذ الاشتغال معهم. لكنهم خليط عجيب، اليس كذلك؟ ومع أني قد تعودت على الوضع لم استطع التغلب تماماً على استئناسي به بصورة خاصة. واقضي صباح كل يوم وقتاً ممتعاً بتعلم الفارسية التي اوشكت على نسيان ما كنت اعرفه منها. لكن معرفتي بها تعود اليّ بسرعة، اذ بدأت خلال الاسبوع الأول اتكلمها برطانة عجيبة، أخشى أن تكون ثلاثة ارباع كلماتها عربية. وأتخيل نفسي، حينما أرطن بها على هذه الشاكلة، أني اتحدث بفارسية جيدة لأن معلمي يدرسني بالعربية ويفهم ما احاول ان اقوله، لكني أخشى ان لا يفهم الايرانيون شيئاً منها .

---

(1) لم تكن الفارسية لغة محلية في بغداد في أيما عهد من تاريخ العراق وانما كانت اللغة الطارئة لزوار العتبات المقدسة القادمين من ايران، ولغة بعض الرعايا الاجانب الذين طابت لهم الاقامة حيث مراقد الائمة في بغداد وبعض المدن العراقية .

14 حزيران

.. ركبت يوم الاحد قبل الفطور لزيارة صديقي القديم الحاج ناجي، وقد جلست تحت شجرة التوت عنده وأخذت آكل التوت وأشرب القهوة، بينما كنا نتناقش في شؤون الحكومة البريطانية من جميع الوجوه. وبعث لي في اليوم الثاني بعددٍ من ثمار الرقي المبكرة ـ انه يقول ان هذه عبارة عن نماذج لا هدايا...

28 حزيران

ان خطط سفرتي الى إيران قد تم وضعها كلها الآن. فقد عرض عليّ القائد العام[1]، وهو ذاهب الى الهند باجازة، ان استعمل سيارته. كما يقوم الجنرال غيلمان باتخاذ جميع الترتيبات لاعداد ما احتاجه من بغال وما أشبه..

يزورنا الآن الرئيس الديني لعبدة الشيطان (اليزيدية)[2]، وهو رجل لطيف كان انطباعنا كلنا حسناً عنه. ويعيش هؤلاء ما فوق الموصل، وهم يتشوقون لذهابنا اليهم ومساعدتهم ضد الاتراك[*]، وهو أمر ليس من السهولة بشيء في هذه الآونة. اتمنى ان نستطيع مساعدتهم، فأن لي صداقة قديمة مع بعضهم، وهم أناس طيبون...

30 آب

لو كان السر پيرسي هنا في الشتاء الاخير لكان بوسعهم تمشية الامور من دون أن أكون معهم، غير اني في اللحظة التي عدت[**] فيها

---

(1) وكان يومئذ الجنرال ويم مارشال William Marshall الذي خلف الجنرال ستانلي مود بعد موته. وقد توفي هذا القائد عام 1939 .

(2) المقصود هنا هو اسماعيل بك جول .

(*) لم تكن الموصل قد احتلت بعد يومذاك .

(**) ذهبت الى ايران باجازة استغرقت شهرين .

روى لي الكابتن ويلسن خبراً سيئاً مفاده تعيين السر پيرسي في طهران. لكن غيابه جعلني أشعر بأني لم أكن على حق في التغيب خلال الشتاء الفائت. على ان ذلك شيء مؤلم، أليس كذلك؟ فقد كنت انتظر عودته الى هنا على أحر من الجمر، بعد كل هذه الاشهر. غير أن الكابتن ويلسن وانا زميلان ممتازان وصديقان(*) من أحسن الاصدقاء، وان أعلم أنني يمكن أن اعمل كثيراً لمساعدته في مقابلة الناس والتحدث اليهم بقدر ما يريدون. وقد يكون ذلك عملي الرئيس. لكن اول شيء سأعمله هو جمع معلومات الاستخبارات عن ايران في كتاب خاص، وهي المعلومات التي حصلت عليها خلال تغيبي عن المكتب، وسيكون الكتاب شيئاً لا غبار عليه على ما أعتقد.

لقد أحببت كردستان، البلاد وسكانها. وكانت فارسيتي تكفيني للخوض في محادثات ممتعة معهم ـ ان الفارسية كما تعلمون سهلة للغاية، فقد تعلمت منها خلال الاسابيع الثلاثة التي قضيتها متجولةً وأنا راكبة في البلاد أكثر مما كان يمكنني ان أتعلمه خلال أشهر لو ذهبت بالسيارة. لكن هذا كان عملاً شاقاً ـ فالدروب كانت سيئة فوق الوصف، وكان الجو حاراً جداً في منتصف النهار. وقد مرت عليّ لحظات مميتة من التعب والسأم مما لم أذكره في يومياتي، لكنها لن تبرح مخيلتي وذاكرتي. ومع هذا فقد عدت نشطة تمام النشاط للعمل...

ان الشهرين اللذين قضيتهما في ايران قد جعلاني أكثر كفاءةً ـ وهو أمر مرضٍ. فقد اطلعت على الامور بوجه عام هناك، وبوسعي ان احكم حكماً أحسن على مقدار تأثيرها هنا. ولذلك أقول ان الرحلة تستأهل التعب والمشقة، فضلاً عن المتعة المنطوية فيها.

(*) تشير بهذا الى تولي ويلسن عمل كوكس بالوكالة بعد نقل كوكس بعنوان «وكيل الحاكم الملكي العام». اما صداقتها مع ويلسن فقد برهنت الايام على كونها صداقة غير حقيقية، على ما يفهم من رسائلها القادمة.

31 آب

الى السر ڤالانتاين تشيرول

.. ان السر پيرسي، كما تعلمون، ذاهب[1] الى طهران وانا موزعة الفكر بين حزني على فقده مرةً ثانية وسروري بعلمي انه قد تيسر في الاخير من يستطيع معالجة الوضع الصعب هناك.حيث ان السر مارلينغ لم يستطع ذلك، لاسباب عديدة ليست كلها ناتجة عن خطأ منه مطلقاً. فللسر پيرسي أفضلية كونه على اتصال وثيق بمقر القيادة العامة هنا، علاوة على كونه موضع ثقتهم. فمن الضروري أن يكون هناك، كما يمكن أن تدركوا، عمل موحد متفق عليه...

لقد دمر الروس كرستان الى حدٍ لا يدركه التصور، وعانت إيران في الشتاء الماضي من تأثيرات الاحتلال الروسي بقدر ما عانت أي بلاد أخرى نكبتها الحرب. فقد مات في بعض الاماكن خمس السكان من الجوع، لان جميع حاصلاتهم قد صودرت ومعظم قراهم قد خربت. اما الاماكن التي تسنى لنا الاستيلاء عليها فقد أطعمنا سكانها وأعدنا النظام اليها، وكلهم يعترفون بهذا الجميل برغم جميع ما يتحدث به المتشدقون في طهران. فان الفقراء والاغنياء في كرستان يتشوقون جميعهم الينا ويتمنون أن نتولى إدارة بلادهم[2]..

19 ايلول[*]

.. لقد صافح القائد العام، وهو يبتسم كما يفعل دوماً في هذه

(1) نقل السر پيرسي كوكس من بغداد ليكون وكيلاً للسفير البريطاني في طهران.

(2) هراء أطلقته الآنسة بيل للنيل ـ باسلوب غير مباشر ـ من نتائج ثورة اكتوبر في روسيا، ولتبرير النزعة الاستعمارية في التسلط على الشعوب.

(*) تشير الرسالة هذه الى اجتماع كبير عقده القائد العام في بغداد لشيوخ العشائر.

المناسبات، كل رجل ونطق بكلمات لطيفة مناسبة. وكنتُ انا اجلس في ركنٍ قصي من المنصة، لكن الشيوخ سرعان ما لمحوني وأخذوا يستديرون وهم في موكبهم المهيب عبر المنصة فيصافحونني أنا أيضاً. ولذلك كان عليّ أن أثب في الحال فأحيي هذه المخلوقات المبتهجة، وكنت أعرف كل واحد منها بطبيعة الحال. لكني كنت أشعر بأن هذا لم يكن شيئا مناسباً بالمرة، فتواريت وراء سيدة أمريكية بدينة وقنصل فرنسي ممتلئ. على ان ذلك لم يكن شيئاً ناجحاً. وقد ترامى الى سمعي ان الشيوخ كانوا على درجةٍ كبيرة من التحسس لأن القائد العام وقف يستقبلهم. قالوا أن مثل هذا لم يكن يفعله أي والٍ من الاتراك، فأن جل ما كان يفعله هو ان يتململ قليلاً في كرسيه حينما كانوا يأتون لتقديم احتراماتهم له. ويمكنني ان أقول ان الولاة الاترك لم يشاهد أحدٌ منهم ما شاهدناه نحن في ذلك اليوم. وقد جاء كثير من الشيوخ لزيارتي في المكتب خلال الايام التي قضوها هنا، فتحدث كلهم عما أخذوا يشعرون به من تبدل في علاقاتنا منذ العام الماضي، وعن كيفية تعرف بعضنا على بعض في يومنا هذا. واني اعتقد بأن شهادة المودة الصادقة تلك كانت تستأهل كل شيء .

وكان اجتماع الحكام السياسيين، الذين جاءوا على رأس جماعاتهم، مهماً بقدر أهمية اجتماع الشيوخ. فقد كان بعضهم، وهم قادمون من أماكن نائية في المناطق الادارية، لا يعرف البعض الآخر. فاجتمعوا سويةً، وتحادثوا فيما بينهم فعرف أحدهم مزايا الآخر. . .

19 أيلول (ب)

. . . قمنا بعمل عظيم هذا الاسبوع ـ فقد عقد «دربار»[1] للشيوخ

---

(1) الدربار كلمة فارسية، من معانيها: بلاط، قصر السلطنة، مسكن.. وهي هنا اقرب ما تكون الى معنى السرادق.

بأمر القائد العام. وكان في الحقيقة شيئاً مدهشاً، حضره جميع رؤساء البلاد من شيوخ وسادة عشائريين من السماوة الى تكريت ـ وكان القائد العام قد اجتمع برؤساء البصرة فيها على الشاكلة نفسها في الاسبوع الماضي، وبلغ عددهم ما يقرب من ثمانين شخصاً. ولم يقع الاختيار في هذا الاجتماع الاّ على اكبر الرؤساء في كل منطقة فقط. وقد عقد «الدربار» في الحديقة العامة، وحضر فيه أيضاً جميع وجوه بغداد، فكان اجتماعاً حافلاً. غير ان الجو كان حاراً بشدة، لكني لحسن الحظ كنت جالسة في الظل فوق المنصة مع القناصل والاجانب البارزين من الفرنسيين والامريكيين الذين صادف وجودهم هنا. وفي الساعة الخامسة جاء القائد العام بموكبه يتبعه قواده بأجمعهم، فكان المنظر بديعاً جداً. واصطف الشيوخ في طريقه بحسب المناطق، وقدم الحاكم السياسي في كل منطقة شيوخه الى القائد العام (*).

(*) لقد خطب في هذا الاجتماع القائد العام مرحباً بالشيوخ ومشيراً الى السكينة السائدة في ربوع البلاد، ونوه بأمله في تقدم العراق عمرانيا وزراعياً، وباتصال بغداد بسائر الجهات. ثم اشار الى مزايا العربي وقدرته على الاقتباس والتعلم. فرد عليه الشيخ مبدر الفرعون من مشايخ الفتلة اصالة عن نفسه ونيابة عن الشيوخ والرؤساء الحاضرين. وقد استهل خطابه بسروره لحضور الحفلة وتقديره لخطاب القائد. ثم تطرق الى ما تأمله الامة العربية من حسن نوايا الحكومة البريطانية العادلة والى اخلاص الامة العربية لبريطانية، الذي يؤيده الوداد والاتفاقات الحاصلة بين الحكومة العادلة وامراء العرب. **وفيما يأتي اسماء الشيوخ والوجهاء الذين حضروا الحفلة:**

منطقة الحلة: عداي الجريان، حمزة الحميد، رشيد العنيزان، محمد الخليل، فيصل المغير، ابراهيم السماوي، عمران الزنبور، عمران الحاج سعدون، سماوي الچلوب، رشيد العلي الخلف، محمد الدليمي، عبد المحسن، منظور العبد الله، الحاج صقبان، شعلان العطية، الحاج فرمان، چاسب الحميدي، سيد كاظم (الدغارة).

العمارة: ـ عثمان، شبيب المزبان، فالح الصيهود، قومندار الفهد ابو ريشة. =

13 تشرين الثاني

تركت بغداد قبل تسعة أيام كنت خلالها مع قائد القوة النهرية نمخر عباب دجلة ببطء، بباخرته المزودة بأسباب الترف. وأنا الآن آكل وأنام وأقرأ روايات، واتحدث مع الجنرال ـ ان هذا العلاج بالراحة لا يمكن ان يتم في مكان آخر .

حصلت عندنا، قبل ان اترك بغداد بأيام معدودة، مناسبة مثيرة قرأ فيها القائد العام على الملأ بيانه حول اعلان الهدنة مع تركية. وكانت الساحة مكتظة بالجنود ووجوه الناس، وقد تسلق الرجال والاولاد الاشجار، ووقفوا في أحواض المنائر، للاستماع. وحينما انتهى القائد العام رفع أحد البحارة العلم فوق العمود الكبير المقام في وسط الساحة.

= **بعقوبة**: ـ ابراهيم بن محسن البرغش، حسون محمد، عواد السلطان.
خانقين: ـ فريح آل رضا، عبد الحسن آل حمد.
الكوت: ـ محمد الصيهود، عبد الله الياسين، محمد القصاب.
الرمادي: ـ علي السليمان، شكر بن مطلق الشاويش، مشحن الحردان، ضاري بن ظاهر.
السماوة: ـ الحاج عبد العباس، الحاج عجة الدلي، بارد الجاهل، ناصر الحسين.
بغداد: ـ حسن السهيل، محمد السلطان، ملا خضير، حميد الطاهر.
كفري: ـ حميد الطالباني، كريم بك، جميل بن مجيد باشا بابان، فارس بك (البيات)، محمود بك.
العزيزية: ـ طرفة الصبر، الحاج خلف الحطاب، الحاج چلوب الطرفة، فيصل المطلق، مزهر السمرمد.
منطقة النجف: ـ السيد نور الياسري، محسن ابو طبيخ، السيد هادي زوين، سلمان الظاهر، محمد العبطان، علوان الحاج سعدون، مبدر الفرعون، عبادي الحسين.
سامراء: ـ علي الحسين، الحاج عبد (ابو ناصر)، محمد بن مهدي، فيصل (شمر)، محمد الحسين الضامر، احمد بك رئيس البلدية (نقلاً عن العدد 92 من جريدة العرب الصادرة بتاريخ 19/ 9/ 1918).

وبهذا كتبنا فصلاً جديداً في ذلك اليوم، فتساءلت في نفسي عما كان يفكر به أصدقائي المسلمون. أنا اعتقد أولاً بأن جميعهم كانوا مرتاحين تمام الارتياح، لانهم أيدوا الجواد الرابح على الاقل. وان هناك اعترافاً أكيداً بأن سيف الاسلام قد تحطم[1]،ولابد من ان هذا كان مر المذاق في فم العلماء ورجال الدين. وأخيراً كان الامل يخالج الجميع بأننا سنأتي لهم بالازدهار في المستقبل. لقد قال لي البستاني الذي يشتغل عندي، وهو بغدادي أمي تماماً يتكلم بلهجة لا استطيع حتى أنا ان أفهمها بسهولة. صاحب، كانت الدنيا رخيصة في أيام الترك، لكننا لم يكن عندنا مال نصرفه. اما الآن فان كل شيء غالٍ ولكن انظري الى الاجور التي نتقاضاها[2]...

وقفنا في «السنية» الكائنة في جنوب الكوت وتمشينا في ميدان[*] القتال، فتجولنا بين خطوط خنادقنا أولاً، ثم في الارض الخالية بين الجبهتين، وبعد ذلك بين الخنادق التركية المهدمة بقصفنا. وكانت وراءها مقبرة الاتراك التي عبث بقبورها الاعراب، فقد كانت مبعثرة فيها العظام والجماجم وحطام الاسلحة، وما تزال البقعة كلها مغطاة بالقنابل والقذائف الحية .

---

(1) تعتقد الآنسة بيل ان تركيا هي الممثل الشرعي لسيف الاسلام، وان انتصار قوات الاحتلال على الجيش التركي في العراق انما يعني ان سيف الاسلام قد تحطم. ولكن الاسلام ظل راسخاً في العراق، وثبت ديناً رسمياً.

(2) معادلة منطقية.. كان يجب ان تفهمها الآنسة بيل: في ايام العثمانيين، القرش غير موجود.. ولكن الخبز موجود، وفي ايام الانكليز، الروبية موجودة ولكن الخبز غير موجود.. ورغم ذلك تريد من العراقيين ان يحلموا بالازدهار الذي سيأتي به الاستعمار .

(*) تشير الى معركة الكوت وحصارها الطويل، الواقعة بين الاتراك والانكليز خلال الحرب العالمية الأولى بطبيعة الحال.

أقضي الآن أهم أوقات حياتي على الاطلاق، وأشكر الله على الصحة الموفورة التي تمكنني من الاضطلاع بما يقتضيه الوضع اضطلاعاً كافيا. لقد أحدث نشر التصريح (*) الانكليزي ـ الفرنسي هيجاناً في المدينة بأجمعها. فليس يحدث دائماً ان يقال لشعبٍ ان مستقبله كدولة مودع بين يديه، وان يسأل عما يريد في هذا الشأن. وراح الناس كلهم يتحدثون بالموضوع، ومما يدعو الى الارتياح ان كلهم يأتون اليّ وهم جادون تمام الجدية ليبحثوا معي ما في أذهانهم. انهم مجمعون كلهم على نقطتين بصورةٍ خاصة. هما أنهم يريدوننا أن نسيطر على شؤونهم، ويريدون السر پيرسي كوكس مندوباً ساميا (**) . اما فيما عدا ذلك فالاختلاف عظيم بينهم. ان معظم البلد يريد أميراً عربياً لكنه لا يستطيع تعيين الشخص المرشح لذلك بالذات. اما اعتقادي فهو ان العشائر في المناطق الريفية لا ترغب في اي أمير عربي طالما كان في مقدورها الحصول على السير پيرسي ـ ان له أسماً مدوياً عندهم ـ وانا شخصياً اعتقد بأن هذا هو أحسن شيء. لأن تأسيس بلاط ودولة يعد عملاً جسيماً[1]، وان الوضع بأجمعه يتطلب معالجة دقيقة. ولا يسعنا الآ ان

(*) نشر هذا التصريح في يوم واحد في لندن وپاريس وواشنطن والقاهرة، وهو يم 7/ 11/ 1918، ونشر في بغداد يوم 8/ 11/ 1918. فكان وقعه شديداً في البلاد لانه يشير الى وجوب تشكيل حكومات وطنية في البلاد المنسلخة عن الدولة العثمانية المنهارة تبعاً لرغبتها. فاستاء من ذلك رجال الاحتلال البريطاني في بغداد، لانه يحول دون تحقيق اطماعهم الاستعمارية ويخلق المتاعب لهم، بينما يؤيد الوطنيين في مطالبتهم بالاستقلال التام الناجز. ويبدو هذا الاستياء واضحاً في جميع ما كتبه الانكليز، على اختلاف وظائفهم ومسؤولياتهم، واخصهم المس بيل صاحبة هذه الرسائل .

(**) لم يكن ذلك صحيحاً لان نشاط الحركة الوطنية الذي اعقب ذلك يفند هذا القول .

(1) سوف ترى الآنسة بيل، في رسائلها القادمة، على رأس الدعاة الى تأسيس البلاط والدولة. وهذا من الدلائل البارزة على قلقها السياسي.

نكون متيقظين جداً في هذه اللحظة التي كون فيها الرأي العام بهذه الدرجة من الميوعة بحيث انّ كل ما يحدث يدفعه في هذا الاتجاه او ذاك. اما انا فأتحدث معهم بالصراحة على الدوام، واعتقد أنهم يصدقونني فيما أقول. انهم يعلمون أني اهتم بمصلحتهم أكثر من اهتمامي بأي شيء آخر، ويثقون بي كما يثقون بالسر پيرسي. أنا ممتنة جداً من وجودي هنا في الوقت الحاضر، وعليّ أن أبقى برغم كل ما يحدث حتى يعاد السر پيرسي الى هذه البلاد. لقد أبرقنا برقيات ضافية حول الموضوع، أ. تي ويلسن وأنا، وأظن اننا قدمنا رأياً منصفاً فيها بالنسبة للحالة الحاضرة. . .

وذهبت بعد يومين مع الجنرال لوبوك[1]، وستيوارت[2]، ورتلي[3]، الى بعقوبة لنتفقد حالة اللاجئين النساطرة في مخيمهم. فلدينا ثمانون ألف لاجيء منهم هناك، وكانوا قد هاجروا من اورمية هاربين من الاتراك. ويعد المخيم شيئاً مدهشاً ـ كأنه بلدة كبيرة. ثم تمشيت مع الجنرالية في بساتين البرتقال الكائنة في الجانب الآخر، فتصادقت مع أحد الملاكين وعدت محملة بالبرتقال. ان برتقال بعقوبة هو بكل تأكيد ألذ شيء في العالم. وللبساتين الآن منظر بديع ـ تتدلى خمس أو ست كرات صفراء من كل غصن في أشجارها، فتزدهي جميع البساتين بها .

(1) الذي نعرفه عن الجنرال لوبوك Lubbock ان سلطات الاحتلال عينته في الأول من نيسان 1920 مديراً عاماً للسكك الحديد في العراق .

(2) المعروف عن الكابتن ستيوارت Wtewart انه قتل في ثورة تلعفر. قتله ضابط دركي موصلي كان يشتغل معه، يدعى الملازم محمد علي الحاج حسين النعلبند في 4 حزيران 1920 .

(3) لم نجد لهذا الرجل ذكراً في ما بين ايدينا من مصادر، ولعل التصحيف ادرك اسمه، وربما كان الكابتن دبليو. ت. ريكلي (لارتلي).. وقد تولى معاونية الحاكم السياسي في شهربان (المقدادية).. وقتله الثوار العراقيون في المقدادية في 12 آب 1920 والجدير بالذكر انه حاز على وسام الصليب الحديدي في العراق.

5 كانون الأول

أنا في حالة جيدة جداً، وملتذة الى آخر حد في عملي، وأشعر في بعض الاحيان كما يشعر الخالق[1]. فلا بد من انه كان يتساءل في نفسه كيف ستكون مخلوقاته[*]، كما أفعل أنا. أتمنى ان يتخلوا عن فكرة تنصيب أمير عربي، اذ يتعبني ان أفكر في تأسيس بلاط جديد تمام الجدة هنا. لكنهم يميلون في الوقت الحاضر نحو هذا الاتجاه. أنهم قد لا يكونون قادرين على الاتفاق حول الشخص المطلوب ـ هذا هو أملي. وعند ذاك سيكون عندنا السر پيرسي وحده، وهو وضع ممتاز. أنني انا المرشحة الثانية لمنصب المندوب السامي هنا، هكذا يقولون لي فماذا سيقول جميع الموظفين الدائمين عندنا اذا ما اقترح هذا؟

13 كانون الأول

اعتقد ان وجهاء الناس في المناطق يعارضون بشدة فكرة تنصيب أمير عربي، ويعارضون حتى في تأسيس حكومة عربية في البلاد[2]. فهم يقولون انهم لا يريدون ان يتخلصوا من وضع استبدادي ليقعوا في أحضان وضعٍ آخر مثله. أتمنى ان تسير الامور على هذا المنوال، لاني لا أريد وجود بلاط هنا مع جميع ما يتبعه من هرج ومرج واضطراب. فوجوده لا يمكن الاّ ان يكون عائقاً في سبيل سير الامور هنا .

16 كانون الأول

هطلت الامطار يوماً كاملاً هذا الاسبوع، فتكوّن الوحل في كل

---

(1) بعض المؤرخين يتهم الآنسة بيل بالغرور، وقولها هذا تعبير صارخ عن غرورها .

(*) يلاحظ ان كاتبة هذه الرسائل تتبجح كثيراً في رسالتها هذه وغيرها، وتدعي بأنها خلقت كيان العراق الحديث ـ وكونت عرشه وجاءت بافكار حكومته وغير ذلك .

(2) انها تعتمد على «وجهاء الناس!!» في معارضة تأسيس حكومة عربية في البلاد.. اما الجماهير فهم بعيدون عن حسابها.

مكان. ومن حسن الحظ ان أول حفلة من حفلاتي الثلاث قد أقيمت قبل الظهر بيوم. فكان عندي حوالي خمسين سيدة أكثرهن مسلمات ـ انهن يتواردن الآن، وسوف أدعوهن كلهن في الوقت المعين. لقد تناولنا الشاي في الحديقة، وجلسنا نتحدث مدة ساعتين تقريباً بأحسن ما يكون من البهجة. اني اتكلم العربية لا كما أتكلم الفرنسية تماماً، بل بما يقرب من ذلك...

27 كانون الأول

... اما عن الحكم العربي، فان الناس[1] يريدوننا نحن ولا يريدون غيرنا، لانهم يعرفون اننا سنحكم حكماً مستمداً من عادات البلاد وأهلها. وهم يدركون ان تنصيب أمير عربي شيء غير ممكن لانهم، مع قبولهم الفكرة نظرياً، لا يمكنهم الاتفاق مطلقاً على الشخص المطلوب للإمارة...

(1) الناس، عندها، لا يجاوزون حثالة الاقطاعيين ووجهاء الملاكين، وحفنة من التجار الكبار.

الفصل الثالث

1919

3 كانون الثاني

مر علينا موسم مرح جداً من مواسم عيد الميلاد.. وكانت أهم من ذلك بكثير المحاضرة التي ألقاها البروفسور مرغليوث(*) . فقد كانت من أعمال البطولة الخارقة، لانه ظل يحاضر خمسين دقيقة عن أمجاد بغداد القديمة باللغة العربية الفصحى من دون أن يستعين بأية ورقة. أنه عزيز جداً علينا، واعتقد بأن مجيئه كان من أعظم فصول الدعاية التي نقوم بها. والعرب جميعهم يحبونه، وكذلك أنا. فله علاوة على جميع ما عنده من ثقافة وعلم مظهر فاتن للغاية .

أصبح فرانك بلفور(**) حاكم بغداد العسكري في الوقت الحاضر،

(*) المستشرق الانكليزي المعروف، صاحب التآليف العديدة بالانكليزية عن العرب والاسلام، واستاذ العربية في جامعة اوكسفورد. وقد استعانت به سلطات الاحتلال لتمشية اغراضها كما استعانت فرنسة بزميله المستشرق الفرنسي الاستاذ ماسينيون .

(**) كان فرانك بلفور حاكماً سياسياً في الشامية، وهو الذي تولى الامور في النجف كذلك بعد مقتل الكابتن مارشال فيها. وعلى عهده هذا قمعت ثورة النجف بقسوة وشنق عدد من رجالها. وهو الذي طارد الوطنيين في بغداد كذلك بصفته حاكمها العسكري، وعمل على قمع الحركة الوطنية فيها بعد ان وصلت الى حد الثورة في 1920.

ومن المبهج جداً ان يكون من زملائنا.

10 كانون الثاني

لقد مر علينا وقت عصيب هنا. فالشرق ميال الى ان يفقد أعصابه بسرعة حول الوعد الذي أعطي له بتقرير مصيره بنفسه. والحقيقة انه غير قادر على ذلك ـ اننا نعرف ذلك جيداً هنا، لانه قد يؤدي (اي تقرير المصير) الى أشياء من المؤكد ان تعقد زمور الادارة ولا يمكننا ان نسمح بها محافظةً على السلم العام. لكن العمل سوف لا يكون هيناً في مسك الميزان مسكاً مستقيماً. افكر الآن في مغادرة البلاد في آخر اسبوع من شباط، أو فيما يقرب من ذلك.

وفي هذه الاثناء أواصل العمل في كتابة الكتاب الكبير عن شخصيات العراق، وهو عمل جسيم. على أني أتوقع ان انتهي منه في نهاية هذا الشهر. أضف الى ذلك اني أقوم بمقابلة عدد كبير من الناس في المكتب، وعدد منهم عرضياً.

لقد تعينت عندنا أمرأة طبيبة فاخذتها للكشف على بعض صديقاتي، وأجريت الترتيبات اللازمة كذلك لتقوم بإلقاء سلسلة من المحاضرات في بيت زوجة احد الباشوات. والسيدات مهتمات جداً بها على ما يظهر.

10 كانون الثاني (ب)

... وسوف لا يكون من السهل علينا ان نمسك الميزان باستقامة حينما تعصف به بين حين وآخر عصفات الريح الساخن المنبعثة من الوطن بشكل تصريحات وبيانات(*) دولية. ان الاكثرية العظمى لا رأي

(*) انها تعرض على ما يظهر بالتصريح الانكليزي ـ الفرنسي الصادر في 7 تشرين =

لها هنا بالمرة، وان معظم المفكرين يريدون ادارتنا يتولى ارشادها السر پيرسي كوكس[1]، غير انه توجد جماعة صغيرة صخابة تعتقد بأنها تستطيع السير جيداً وحدها في ادارة البلاد، وانها يمكنها اكثر من هذا ان تسرح وتمرح شخصياً من دوننا. انهم سيسرحون ويمرحون كثيراً لفترة من الزمن، لكنها ستكون فترة قصيرة جداً سرعان ما تنتهي فجأة بالفوضى العامة الشاملة وسفك الدماء[2].

لا أدري ماذا سيحدث في سورية ـ انهم لا يخبروننا بشيء، وهذا خطأ على ما أظن...

17 كانون الثاني

كنت أكافح الاستبراد في هذا الاسبوع، لكن أمره قد انتهى الآن. لقد بدأنا بالدرس الصحي الأول، في دار زوجة أحد الپاشوات، وكان ينطوي على محاضرة ألقتها الطبيبة الجديدة التي جاءتنا مؤخراً. انها لا تتكلم ولا كلمة بالعربية، ولذلك كان من الضروري ان تترجم محاضرتها، لكنها اضطلعت بها على أحسن ما يكون وكان في الصف ثلاثون سيدة، معظمهن من اليهود والمسلمات. وسوف يقدم الدرس الآخر في الاسبوع التالي ـ كما ان حفلة شاي اسلامية ستقام غداً. لقد كثرت حفلات الشاي!

= الثاني 1918، وهو يحتم اطلاق الحرية للبلاد المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية في تعبير شعوبها عن نوع الحكم الذي تريده بالاستفتاء. ولكن ادارة الاحتلال البريطاني في العراق كانت تعارض هذا الاتجاه في الحكم كما سيلاحظ من هذه الرسالة وغيرها (راجع الهامش في رسالة 28/ 11/ 1918).

(1) هذا يؤكد ما قلناه في الهامشين (67) و (68).

(2) انها تشكك هنا بقدرة العراقيين على حكم انفسهم دون الاعتماد على الخبرة الوافدة مع قوات الاحتلال، وقد اثبت الواقع فجاجة آرائها.

يسير فرانك بلفور سيراً حسناً في منصبه الجديد الصعب. وهو منصب الحاكم العسكري هنا. وكثيراً ما يحضر الى مكتبي فيقص عليّ ما عنده من حكايات. أتمنى كثيراً ان يكون السر پيرسي موجوداً هنا، لكنه يقوم باعمال باهرة في ايران بحيث يصعب سحبه من هناك.

25 كانون الثاني

... كان أحسن ما وقع في هذا الاسبوع محاضرة البرفسور مرغليوث عن التاريخ العباسي. لقد سألته يوماً عن رأيه في البغداديين، فأجابني يقول: إني واثق من انك سوف تغفرين لي اذا استشهدت بقولٍ من اقوال النبي كثيراً ما يذكرني به أهالي بغداد، فانه يقول عن النساء (شاوروهن واعسروني)(*) .

31 كانون الثاني

أبرق الكولونيل ويلسن الى المسؤولين في الوطن هذا الاسبوع يقترح ايفادي الى انكلترة، لأكون بمثابة ضابط ارتباط بينه وبينهم في هذا الوقت الذي تجري فيه مباحثات كثيرة هناك. ان رأيي هو انه سوف لا يحصل على أي جواب.

لو كان بوسعنا ان نؤسس نوعاً من أنواع الحكومة الدائمة هنا قبل هذا الوقت من السنة القادمة فاننا سنكون محظوظين.. ان قلب مؤسسة عسكرية الى ادارة مدنية يعتبر عملاً جسيماً، وان الناحية الفنية من ذلك بالنسبة للحاميات والتلفونات والمؤسسات الطبية والصحية وما اشبه هي شيء قهار. ان ذلك يعني انك لا تستطيع ان تسرح كل شيء بالجملة، لانك لو فعلت ذلك سيحصل فجائياً في جميع اشغال الحكومة. ان هذا الامر لا يعنيني لكني استطيع أن أدرك مقدار تعقد الامور ودقتها..

(*) لم يثبت هذا عن النبي (ص)، ولذلك يمكن عده من الاقوال المأثورة.

باريس 7 آذار

أجريت محادثات مهة جداً مع اللورد ميلز، فهو يهتم اهتماماً حقيقياً بمشاكلنا ويرغب في ان يرانا نقدم نوعاً من الاسس العملية لحكم البلاد ـ سوف أتغدى غداً مع المستر بلفور، واعتقد انه في الحقيقة لا يهتم بقضايانا. وآمل في النهاية ان أمسك لويد جورج من ذيل سترته، واذا ما تسنى لي ذلك أظن انني أستطيع الحصول على تعاطفه معنا. وقد بعثنا في الوقت نفسه نستقدم الى هنا من بغداد الكولونيل ويلسن والمستر هوغارث[1] من القاهرة، وفي نيتنا حينما يصل الاثنان ان أكوّن جبهة قوية من المشتغلين في شؤون الشرق الأوسط، بما فيهم المستر لورنس[2]، لنعرض رأياً موحداً. لقد حثني الجميع على البقاء[*] هنا، واعتقد في الوقت الحاضرش بأني سأفعل ذلك .

أنا أقضي بعض الوقت في الاتصال بالفرنسيين لأتوصل الى ما عندهم من آراء. فان تسوية شؤون العراق ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتسوية

---

(1) هو الدكتور D.G Hogarth المستشرق الآثاري الانكليزي. كانت له وظائف متعددة، احداها وظيفة ضابط متخصص بشؤون الشرق الأوسط في دائرة المخابرات السياسية. وهو احد صانعي ما يسمى بالمكتب العربي في القاهرة، والمعروف عنه انه هو الذي بث في لورنس الروح الامبريالية .

(2) هو توماس ادوارد لورنس T. E. Lawrence (1888 ـ 1935) المغامر، الجاسوس الانكليزي المعروف، التحق بعد الحرب العالمية بقسم المخابرات البريطاني في القاهرة. ولعب ادواراً مختلفة في السياسة العربية بعد الحرب. ومات بحادث اصطدام سيارة بدراجته البخارية.

(*) وافقت الحكومة البريطانية على اقتراح وكيل الحاكم الملكي العام في العراق الكولونيل ويلسن على انتداب المس بيل من بغداد الى لندن لتشرح الوضع في العراق بتفصيل اوفى مما يمكن ان يشرح بواسطة البرقيات والمخابرات. فسافرت متوجهة الى هناك، ولكنها توقفت في باريس حيث كانت تقرر مصائر البلاد في مؤتمر الصلح لتعمل على ترويج ما كانت تريده ادارة الاحتلال من ترتيبات .

السورية بحيث لا نستطيع النظر في واحدة من دون الاخرى، وما يعتد به في التسوية السورية هو موقف الفرنسيين في الدرجة الأولى .

القاهرة(*) ـ 29 ايلول

سأبقى هنا بضعة أيام لأتثبت من بعض الاشياء ـ ليس هناك أحسن من الجنرال كلايتون(**) ، وزير الداخلية في الوقت الحاضر، يستطيع مساعدتي في ذلك. سأذهب معه الى الاسكندرية غداً لمقابلة السر ميلن جشم(1).. ورجال المكتب العربي(2). ان تبادل معلومات الاستخبارات من الامور التي اهتم بها جد الاهتمام..

يقول المستر كلايتون(3) انه بحسب ما عنده من معلومات، يشير علينا في العراق بأن نبدأ كما ننوي ان نفعل لأجل ان نتحاشى الوضع الذي نشأ في مصر. فمهما كانت المادة المتيسرة عندنا ضعيفة أنه يرتأي

(*) حينما عادت من لندن توقفت في القاهرة بضعة ايام.

(**) الذي اصبح السر غلبرت كلايتون في وقت لاحق، وتقلد منصب المندوب السامي في العراق سنة 1929 فتوفي في بغداد بعد مدة قصيرة. وكان ممن أشتغل في الحجاز على عهد الشريف حسين ولورانس في الثورة العربية.

(1) في هذا الاسم تصحيف، ولعل المقصود به (أو انه فعلا) السر ملن چيتام Sir M. Chatham الذي كان يقوم باعمال المعتمد البريطاني في مصر سنة 1914 .

(2) اسسه غلبرت كلايتون في القاهرة في اول كانون الثاني 1916، وكان هذا المكتب يتألف من عدد قليل من رجال المخابرات والحرب المتخصصين في الشؤون الخارجية، وهو فرع رسمي من فروع وزارة الخارجية البريطانية، وكانت القوات العسكرية لديها تعليمات بأن الرتبة العسكرية التي يحملها اعضاء المكتب العربي لا تشير بأي شكل من الاشكال الى وضعهم السياسي او الى واجباتهم ومهماتهم .

(3) هو السر غلبرت فولنقهام كلايتون G. F. Clayton (1875 ـ 1929) ضابط انكليزي تخرج في الاكاديمية العسكرية الملكية، خدم قوات الاحتلال البريطاني في مصر خلال 1910 ـ 1919 وتولى هناك ادارة الاستخبارات خلال 1914 ـ 1917، واسس المكتب العربي في القاهرة سنة 1916 .

تشكيل وزارات عربية مستقلة، وتعيين مشاورين للمندوب السامي فيها. وبوسع الوزراء أن يكوّنوا مجلساً يترأسه رئيس عربي، يمكن ان يتطور وضعه بسهولة بعد مدة ليصبح رئيساً دائماً للدولة .

.. وبعد ان رسم خطة عامة لبقائي قال ان القضية السورية كانت ما تزال في البودقة. اذ يستفاد من برقية وصلت يوم أمس من اللورد كرزن[1] ان قراراً حاسماً بشأنها لم يتخذ حتى الآن. فالظاهر ان فيصلاً، وهو موجود في لندن، قد جعل حكومة صاحب الجلالة تتردد في قبول القرارات المتخذة في باريس .

... وقد أيد كلايتون الانطباع الحاصل عندي من قراءة تقارير الحكام السياسيين أن كثيراً من اليهود المحليين في العراق يخشون تدفق اليهود الاجانب على البلاد لئلا يأخذوا منهم ميراثهم[2]. فقد سبق ليهود غاليسيا وبولونية ان أخذوا يجدون طريقهم الى بورت سعيد بأمل التوطن في فلسطين.

.. ويقول الجنرال كلايتون ان أشخاصاً ثلاثة سيكون لهم شأن في العراق، وهم ياسين پاشا وجعفر پاشا العسكري وزوج اخته نوري پاشا السعيد. اما ياسين فرجل متطرف لا يرغب في تلقي أي نوع من ارشاد الاجانب او مشورتهم، وهو بكلمة مختصرة (رجل مخطر). وجعفر رجل نزيه سيكون مفيداً لنا. وقد يكون نوري السعيد أحسن الثلاثة، فهو على جانب غير يسير من الذكاء..

---

(1) اللورد جورج ناثانائيل كيرزن G. B. Curzon (1859 ـ 1925) وهو سياسي بريطاني مشهور، تولى مناصب خطيرة في لندن، وكان وزيراً للخارجية خلال 1919 ـ 1924 .

(2) كانت هذه الخشية في محلها.. ومصداق ذلك تشبث الصهيونية بالتمييز العنصري بين اليهود الشرقيين والغربيين في الارض المحتلة.

القدس ـ 5 تشرين الأول

تحدثت الى المفتي[1] بشأن الصهيونية في الغالب. انه ضد الفرنسيين بصورة جازمة. فقد قال لي ان الانتداب الفرنسي على سورية سيعني القضاء على آمال سورية كلها.. اما الجنرال واتسن (الحاكم الاداري العام) فأنه سوف يعارض أية محاولة يبذلها الصهاينة للتعجيل بأنشاء المستوطنات[2]. فان اليهود المستوطنين هنا سوف ينظرون بارتياب الى تدفق سيل المهاجرين من غاليسيا أو غيرها! وقد وحد الخوف من الصهيونية المسلمين والنصارى. فهناك اليوم جمعية[*] تجمع الفريقين يرأسها في القدس رئيس مسلم، وفي يافا رئيس مسيحي، وهدفها الرئيس معارضة استيلاء اليهود على البلاد. وليس هناك شيء مكتوم في هذه الحركة لأن رؤساءها هم على اتصال دائم بالرئيس الاداري. ويقول رونالد ستورز ان معين هذه الجمعية الوحيد ورابطتها الأولى هو معارضة الصهيونية، ومن أجل ذلك كانت تناوىء البريطانيين في بعض الأوقات .

دمشق ـ 8 تشرين أول

.. سرت الى الجامع الكبير، فلاحظت ان دمشق قد تبدلت كثيراً، فأصبح سوق الحميدية من دوق سقف، وقد فتح المدخل الى الجامع جعفر باشا[**] . وهناك مدخل كبير جديد الى سوق الحميدية فتحه جعفر

---

(1) انه كامل الحسيني الذي توفى سنة 1921 وحل في مكانه اخوه الحاج امين الحسيني .

(2) مجرد تمويه.. دحضه الواقع الصهيوني في فلسطين، فقد كان انشاء المستعمرات الصهيونية يجري يومئذ تحت سمع بريطانيا وبصرها.

(*) ولا شك أن المقصود هو «الجمعيات الإسلامية المسيحية» التي تألفت في مختلف المدن.

(**) اي جعفر العسكري حينما كان موظفاً في حكومة دمشق العربية على عهد الملك فيصل الأول.

باشا أيضاً. اما المدينة فقد كانت قذرة الى حدٍ لا يمكن تصوره، والناس في الشوارع وان كانوا خشنين فأنهم أقل مجاملة بكثير تجاه الاوربيين مما كانوا عليه في أيام الترك .

ذهبت الى مكتب الميجر كلايتون[*] (ايلند كلايتون الذي اشتغل في العراق بعد ذلك) فوجدت هناك الميجر وادمن والكابتن كينغ، وكان من المؤمل أن يأتي الى هناك ثلاثة أعضاء من (العهد العراقي)[1] فساعدت في المداولة التي حصلت. وكانت هذه العصبة. أو الجمعية، تعمل من أجل استقلال العرب دون أن تكون هناك سيطرة أجنبية في سورية والعراق معاً. وكان عقلها المدبر ياسين پاشا (الهاشمي)، ومبدؤها الاساسي كره الفرنسيين. فاذا ما قدم الفرنسيون الى هنا فان هدف ياسين هو ان يثير العالم العربي برمته ضد الاوربيين. فهو على اتصال بجمعية الاتحاد والترقي في استانبول، وبمصطفى كمال، وقد يفضلون التبعية التركية على اية حماية اجنبية، وعلى الانتداب الفرنسي بالتأكيد .

وكان اعضاء العهد الثلاثة الذين جاءوا لمقابلة الميجر وادمن بغداديين كلهم. وهم يقولون أنهم يأسفون جد الاسف للاستياء العام من الحكم الانكليزي في العراق[2]، وانهم يعترفون بان مساعدتنا وحمايتنا

(*) كان المستشارون الانكليز ما يزالون في دمشق يومذاك، لمساعدة الحكومة العربية .

(1) تأسست جمعية العهد العراقية في شتاء 1917 ـ 1918، وكانت بقيادة ياسين الهاشمي، وغايتها الحصول على استقلال العراق عن أية سيطرة اجنبية واتحاده بسورية اتحاداً وثيقاً في ظل اسرة الشريف حسين.

(2) في معرض هذا الاعتراف الذي سجلته الآنسة بيل على لسان بعض اعضاء جمعية العهد.. لا بد من التأكيد على انها قد ناقضت نفسها حين ادعت في رسالة (27 كانون الأول 1918) بأن الناس [في العراق] يريدون الانكليز ولا يريدون غيرهم.. في حين انها هنا تعترف ضمنياً بوجود الاستياء في العراق من الحكم الإنكليزي.

للعراق ضروريتان له، وانهم يزغبون في ان يذهبوا هم أنفسهم أو يبعثوا أعضاء آخرين ليعملوا وسطاء بيننا وبين السكان. وأذكر بالمناسبة انهم كلهم يريدون وظائف يعملون فيها بإشرافنا .

وعدت من هناك الى المكتب للاطلاع على ملفة (العهد)، ثم ذهبت لزيارة ياسين. انه رئيس (المجلس العسكري في دمشق، وهو رجل ممتلىء الجسم في الثلاثين من عمره)، صغير الحجم قوي البنية ـ وهو فوق ذلك شخصية مؤثرة جداً، بعيد الصيت. وقد طلبت منه ان يقول لي ماذا سيكون منهاجه في العراق؟ فقال انه من الواضح ان لا يستطيع العراق خلال السنوات العشر التالية أن يسير من دون مشورة اجنبية. وليس هناك شك في أن أي أمة أورپية تستطيع ان تفي بالمتطلبات، ولكن ليس هناك أمة لها حق في هذا غير انكلترة. غير أنه ليس هناك من يعطي أي شيء من دون مقابل، وعلينا ان نطلب ضمانات لقاء ذلك، أي اننا يجب ان نسيطر. وتطرق في حديثه الى السرعة التي أمكن فيها تطوير العراق وتقدمه. فأشرت في حديثي الى شيئين يفتقدهما العراق: سكان محليين بعددٍ كافٍ، وأموال غير محدودة من انكلترة وسوف لا يكون التقدم شيئاً يعتد به خلال الثلاثين السنة القادمة. فلم يظهر عليه الاقتناع بالنقطة الثانية، مع ان شقيراً، الخبير السوداني، حينما عمل مشاوراً حالياً مدة من الزمن هنا، قد بيّن ان الحكومة العربية لا يمكنها ان تعتمد على المنحة البريطانية أو المساعدة المالية من الخارج.

والتفت ياسين بعد ذلك الى قضية الامير فقال ان عبد الله سوف يكتسح الميدان حالما يظهر في العراق. ثم اعترف بأن السر پيرسي له القدح المعلى في الوقت الحاضر، لكن ذلك كان بسبب كونه قد اشتغل هناك لمدة سنتين. وسيكون كوكس مندوباً سامياً الى جانب الامير .

وقد انتهى الحديث، بعد أن بدأ بقسوة غير قليلة، بلهجة ودية كان

ياسين يضحك فيها أحياناً ويبدو ودياً. وطلبت منه ان يراسلني اذا رغب في ذلك .

دمشق ـ 9 تشرين الأول

ذهبت مع الميجر كلايتون لزيارة الامير زيد، فكان سلوكه سلوكاً ودياً للغاية معنا. وكان من قبل قد سأل كلايتون عما اذا كان بوسعه ان يتحدث بصراحة معي، ففعل ذلك...

وقد سألت ياسين[*] عن رأيه في جيش الاحتلال الموجود في العراق، مبديةً انه ليس هناك جيش عربي فيه وليس في وسع أية حكومة ان تجبي الضرائب وتحافظ على النظام في مناطقنا العشائرية المتوحشة من دون اظهار القوة. فاضطر الى الاعتراف بان وجود جيش الاحتلال البريطاني كان شيئاً ضرورياً في مبدأ الامر، لكنه ذهب الى القول بأن الجيش العربي يمكن تشكيله في غضون ستة أشهر، واننا طالما كنا في وضع احتلال مسلح فأن السيادة يجب ان تكون في أيدينا. وأخذ يتكلم بعد ذلك حول التعليم، فقال أننا تعمدنا ان لا نلتفت الاّ قليلاً له. فهو يرضى بأن يترك جميع السيادة والادارة في أيدينا اذا تعهدنا بأن نقدم تعليماً صحيحاً للشباب العراقي. وقد شرحت له صعوباتنا في هذا الشأن، مثل عدم وجود المعلمين في الدرجة الأولى، وقلت انه من الافضل أن نسير ببطء الى ان يتوفر لنا الناس المناسبون اللائقون لهذا الغرض[1]. فقال أنه من الاحسن ان نستمر في تمشية المدارس التركية ونبادر الى تحسينها بالتدريج، لان ثمر الشجر الصغير يفضل على عدم وجود الثمر بالمرة. فأجبت بأن الثمر الذي كان يقدمه الاتراك كان سماً

(*) صادفته في بار الميجر كلايتون.

(1) ليس في هذا الجواب ما يثير العجب، لأن الاستعمار لا يمكن ان يستمد العافية الاّ من الجهل، ومناوأة التعليم .

زعافاً. وخالفني في فائدة تشكيل جهاز جيد للتعليم الابتدائي أولاً، مع عدد قليل من المدارس الثانوية التي يعقبها تأسيس مدارس صناعية. انه يريد البدء بالتدريس الجامعي في الحال، والاّ فاننا نكون قد خلقنا فلاحين جيدين ومهندسين لكننا بعد خمسين سنة سوف لا نكون قد تقدمنا الى الامام في الحصول على طبقة من المتعلمين تعليماً عالياً المؤهلين لتسلم حكومة البلاد بأيديهم .

ان جعفر پاشا[1] يتكلم سبع لغات بطلاقة، وقد جرب ان يمتحنني في كلها. فانا لا استطيع ان أجيب على كلامه باللغة الكردية، ولا أتمكن الآن من التحدث بالتركية، لكنني صمدت في وجهه بالانكليزية والفرنسية والالمانية والعربية والفارسية. والمقول أنه أقدر رجل اداري في الحكومة العربية، ذلك البدين المرح.

بغداد ـ 2 تشرين الثاني

كان اسبوعي هذا اسبوع الزوار الذين لا ينقطعون. فقد جاء كل فرد لزيارتي عند رجوعي ـ ان هذا شيء لطيف لكنه يستغرق وقتاً طويلاً. فهم يشغلون عادة الصباح كله، ويبدأون بالمجيء من جديد في الثالثة بعد الظهر. ومع كل هذا فأني أشتغل في كتابة التقرير عن سورية في الثامنة الى منتصف الليل .

2 ـ تشرين الثاني

ذهبت الى بيت احدى الاسر الكبيرة لأقدم تعازيّ لأهل عميدها المتوفى[2]، وكان من اصدقائي القدماء. . .

---

(1) القارىء يعلم جيداً ان الآنسة بيل كانت تتحدث عن ياسين الهاشمي ولكنها الآن ـ بلا مقدمات ـ طفرت. . لتتحدث عن جعفر العسكري. ولا ندري لماذا. ويبدو ان هناك بعض السطور المحذوفة اما من الترجمة العربية واما من الاصل الانكليزي.

(2) تقصد: عبد الرحمن جميل .

استقبلتني نساء الاسر جميعهن على باب الحرم وقد لبسن أشد أنواع السواد وقصصن شعورهن وكانت الدموع تنهمر على خدودهن. هذا بعد ان مرت على وفاته مدة شهر كامل. وأخذن بالنحيب من دون انقطاع لمدة عشر دقائق، ثم بين الحين والآخر حين كان يخطر ببالهن ان يفعلن ذلك. . .

وحضرت كذلك حفلة[*] اقيمت لمنفعة مكتبة عامة تفتح للاهلين. لقد بدأت بهذا زوجة أحد ضباط القضاء، المسز فوريز. فكانت الحفلة تدار بالعربية، وقد ألقيت خطاباً فيها لم يكن ارتجالياً. فقد طلب اليّ ان أفعل ذلك قبل يوم وتمكنت من تحضيره بمعونة أحد الوطنيين، لأن المفروض في المرء ان يخطب بالعربية الادبية الراقية. وكان جميع الخطباء الآخرين اكثر بلاغة مني. وقد ألقى كبير الادباء[1] قصيدة نظمها خصيصاً لهذه المناسبة، فقوبلت بنجاح عظيم. فقد كان الجمهور يقاطعة بعد كل بيت بليغ بكلمة «احسنت، أحسنت» و «أعد» أحياناً. . واستمرت الحماسة حتى النهاية، فكونت بعض ملاحظات ثمينة في فكري عن الطريقة المثلى لاقامة حفلات اخرى تكون مقبولة لدى الجمهور البغدادي. فأن قواعد ذلك تختلف تماماً عن قواعدنا. . .

(*) جاء في جريدة «العرب»، عددها الصادر في 4 تشرين الثاني 1919، ان الحفلة اقيمت في اليوم الأول من تشرين الثاني، وكان في النية ان تسمى باسم «مكتبة المستنصرية». كما كان من جملة خطبائها جميل صدقي الزهاوي، فتطرق الى أهمية العلم والمكتبات، والى مكانة بغداد الثقافية في التاريخ. ثم شكر المسز فوريز، واعقب ذلك بقصيدة كان مطلعها:

تجلي بلألاء المكاتب ... ما للجهالة من غياهب
ان المكاتب في عيو ... ن أولى البصيرة كالكواكب
يا قوم اعداد المكاتب ... فوق اعداد الكتائب
هذي مسلية النفو ... س وتلك جالبة المعاطب

(1) تقصد الشاعر جميل صدقي الزهاوي.

9 تشرين الثاني

لم أعمل الاّ قليلاً في هذا الاسبوع عدا دوامي في المكتب. وقد ذهبت لتناول الشاي عند زوجة مصطفى پاشا[1] - انهن أظرف النساء. وذهبت لتناول الشاي كذلك مع سيدات الاسرة الپاچه چية اللواتي أنا مغرمة بهن[2]. ثم الى حفلة شاي يهودية - تلاحظون من هذا أني أزور الآن جميع معارفي - ثم حضرت حفلة شاي زوجات بعض زملائي كالمسز ويلسن، والمسز والر، والمسز بِل. فأني أودهن جميعاً.. وسيتعشى معى الليلة المستر بونهام كارتر[3]، بعد ان قام بواجب كبير أقام فيه حفلة افتتاح كلية الحقوق الجديدة، وقد حضرتها بصفتي أحد الحكام السياسيين. وحضر فيها علية القوم في بغداد بأجمعهم تقريباً. فألقى كبير أبائنا خطاباً رائعاً من حسن حظي أن استمع اليه. فأنه خطيب بالفطرة، وكانت الجمل العربية المتدفقة من فمه فخمة نبيلة حينما يلقيها...

23 تشرين الثاني

.. ذهبت في احدى العصريات الى بيت أكبر عالم هنا. أنه لا يأتلف مع الاوربيين مطلقاً، لكني كنت صديقةً له منذ أول الامر، وعنده جماعة من النخبة ألتقي بهم. يجب ان اقول أني أشعر بانتصار شخصي حينما أجلس في داره كصديق حميم. غير أنه لا يحبنا (البريطانيين) ولا يريدنا، لكنه يسمح لاثنين آخرين من بين زملائي فيعاملنا كأصدقاء على الدوام.

---

(1) المقصود هو مصطفى ياملكي.

(2) انها تشير الى اسرة موسى الپاچه چي.

(3) هو السر ادغار بونهام كارتر، السكرتير القانوني السابق في حكومة السودان. كان رئيس اللجنة (التي سميت باسمه) التي قامت باعداد مقترحات لسن دستور للعراق يتمشى مع روح الانتداب. وكان قد وصل الى بغداد سنة 1917 أثر تعيينه ضابطاً عدلياً أقدم.

30 تشرين الثاني

... هناك جماعة كبيرة من الناس هنا قد رجعوا من استانبول حينما كنت متغيبة عن البلاد، وهم بين مبعوثين سابقين، وجنود في الجيش التركي، أو أناس فروا من البلاد عندما استولينا على بغداد. أنهم في العادة اما ميالون الى الاتراك في عواطفهم أو قوميون عرب متحمسون. وليس من الممكن في الحقيقة ان نستميل الجماعة الاخيرة حتى نستطيع تشكيل حكومة مدنية هنا ونعطي للعرب دوراً على جانب أكبر من المسؤولية في الادارة. ويتوقف ذلك على عقد الصلح مع تركية، وهذا بدوره يتوقف على قرار مجلس الشيوخ الامريكي ويبدو انه قد تأجل الى أجل غير مسمى. على ان الانتظار شيء مغضب لجميع المعنيين بالامور، ويجعل التسوية النهائية على جانبٍ أكبر من الصعوبة في كل يوم من أيام الاستمرار في هذه الحالة...

30 تشرين الثاني (ب)

وصلني اليوم كلبان جميلان من كلاب الصيد (سلوقي) العربية، أرسلهما لي صديقي فهد بك شيخ عنزة. لقد جاءا ماشيين على الاقدام لمدة عشرة ايام عن طريق الفرات، مع اثنين من أفراد القبائل، فوصلا وقد أوشكا على الموت جوعاً. انهما يجلسان بجنبي الآن على الاريكة وأنا أكتب، بعد ان تجولا في الغرفة مدة نصف ساعة. وهما رقيقان جداً غير مستوحشين، والامر ان يتعودا بسرعة على العيش في البستان بدلاً من الخيمة. كما أنهما جميلان تماماً، ومن أعرق الكلاب العربية بالطبع. لقد سميناهما «ريشان» و«نجمة».

ذهبت اليوم بسيارة السر جورج[أ1] لزيارة صديقي الحاج ناجي

(أ1) أمير اللواء السر جورج ماك مون.

صاحب أحسن بساتين للاشجار المثمرة في بغداد. فقدم لنا قهوة وخوخاً لذيذاً معلباً، كما اقترح علينا بعض الاقتراحات العملية جداً حول ادارة الشرطة التي تعد مشكلتها هنا، وفي كل مكان آخر، من أشد المشاكل تعقيداً وكان منظر بساتينه شيئاً بديعاً، فقد كانت الاشجار في بداية تبدلها الى اللون الاصفر في نهاية خريفنا.

بعثت لكم الآن بنسخة من «تقريري السوري». وهو سري بطبيعة الحال، لكني استرخصت بإرساله اليكم، وأتمنى ان تخبروني برآيكم فيه، اذ لا يسعني أن أحكم عليه أنا، وليس هناك من يقدم لي أي نقدٍ عليه سوى انهم لا يوافقونني بوجه عام على النتائج التي توصلت اليها فيه. ومع هذا فأني اعتقد بأني مصيبة.

8 كانون الأول

ان المعيشة غالية جداً هنا. فانا ادفع مئة وثمانية باونات في السنة للطباخ، وأربعة وثمانين باوناً لخادم السفرة سنويا ـ وعليّ أن أدفعه في الشهر القادم. واللحم غالٍ جداً كذلك، فلسنا نحن الموظفين المدنيين على قائمة الجراية العسكرية (راشن) في الوقت الحاضر، ولذلك أخذت أدرك مقدار تكاليف الطعام..

لقد توفي قبل ليلتين عزيزي موسى چلبي(*) (الپاچه جي) فجأةً. وكان موسى، مع النقيب ووجيه آخر توفى منذ ان ذهبت للتمتع بعطلتي، أقدم صديق لي هنا. ان الحديقة التي أسكن فيها تعود له، ولكني لم أكن أحظى منه بالحنان الودي فقط، بل كنت أحظى ايضاً بالتقدير الصريح القيم لسياستنا. فقد كان متكلماً صريحاً غير هياب، وكان بوسعي أن أذهب اليه للحصول على المعلومات والمشورة منه من دون ان يكون

(*) كان المرحوم والد الدكتور هادي الباچه چي واخوته.

بوسعي أن أذهب الى غيره. ولذلك فأني حزينة عليه ـ فليست بغداد هي بغداد نفسها من دونه ومن دون الصديق الآخر ـ عبد الرحمن جميل .

ذهبت لزيارة النساء المفجوعات هذا المساء فوجدت ان الموت لا يمكن ان يجردهن مما فيه من أهوال. اذ كان موسى چلبي قد دفن، غير ان زوجته وابنته، مع جميع أقاربهما من النساء كن يجلسن حول الغرفة وهن يندبن ويصرخن ويلطمن صدورهن. أنهن يفعلن مثل هذا لمدة اسبوع. وكانت السيدتان المفجوعتان تغطيان رأسيهما ووجهيهما ـ يمكنك ان تعرفهما من كونهما كانتا تصرخان بأعلى من غيرهن. وحينما خمد الضجيج قليلاً كلمتهما عن موسى وعن الخسارة التي أصابتنا كلنا بوفاته، فهدأتا بالتدريج. ثم رجوت الزوجة ان تذهب الى فراشها هذه الليلة وتتناول شيئا من الاسپرين الذي سأبعث به لها، فوعدت ان تفعل ذلك من أجلي .

وزرنا أنا وفرانك[1] بعد ظهر اليوم أحد أنجال النقيب، وهو السيد محيي الدين، وقد عاد مؤخراً من استانبول. انه يعيش في بستان جميل يقع في جنوب بغداد. وهو شديد الميل الى الاتراك على ما أظن، لكنه رجل لطيف جداً. كما انه مختص كبير بزراعة البساتين، على أنه واسع الاطلاع في أحوال الاشجار الاخرى أيضاً. وقد شرح لنا أشياء مهمة جداً عن النخيل ونموه. سوف أزوره مرة اخرى لأتعلم المزيد عن النخيل..

نحن في وسط وضع صعب للغاية ـ متأتٍ عن استيلاء قوة عربية على دير الزور[*] الكائنة على ضفة الفرات. على ان جميع ضباطنا هناك

---

(1) هو فرانك بلفور حاكم بغداد العسكري .

(*) انها تشير الى دخول القوات العربية بقيادة رمضان الشلاش الى دير الزور في يوم 11/ 10/ 1919، وكان يترأس هذه الحركة «العهد العراقي» في سورية يومذاك.

سالمون، لكن قلبي يتألم لأهل تلك البلاد الذين خدمونا بولاء مثل رئيس بلدية الدير الذي تغديت عنده حينما مررت من هناك. أنهم أسرى الآن.

20 كانون الأول

مر علينا اسبوع مرهق لأن أي تي ويلسن قد اشتغل فوق طاقته - وهي حالة مزمنة - واستمر على ذلك في حالة كان يتحتم عليه فيها ان لا يشتغل، فأدت به هذه الحال الى المنازعة معنا بصورة وحشية وأصبحت حياتنا كلها عبئاً علينا في النتيجة. على انه كان يبدو أحسن هذا اليوم، فغدا في وضع ودي من جديد، وآمل ان تكون أزمة مرضه قد انتهت.

ان قضية الدير آخذة بالتسوية. فقد أبرق فيصل باستنكاره الشديد لجميع ما حصل، ورفضت العشائر المحلية ان تسهم بأية طريقة كانت فيها. وبقي ان يلاحظ ما اذا كانت الجماعة المتطرفة في سورية بقيادة ياسين، ستستنكر موقف فيصل منها. ولو كان بإمكان حكومة صاحب الجلالة ان تستقر على رأيٍ ما طالما تخلت امريكا - لعنة الله عليها - عن التدخل فمن الخير لنا ولفرنسة ان نمضي في فكرة عقد الصلح مع تركية بأحسن ما يمكن. فليس هناك شيء آخر ننتظره، واننا كثيراً ما نحتاج الى تأسيس حكومة مدنية هنا مما لا يمكن ان يتم الاّ بعد عقد الصلح. ولسوف يستفيد الاتراك استفادة تامة كالعادة من انحرافاتنا.

الفصل الرابع
1920

4 كانون الثاني

سأحدثكم الآن عن حياتي وأوقاتي. فقد حضرت في يوم عيد الميلاد حفلة عشاء فخمة أقامها الكولونيل ويلسن لجميع موظفي الدائرة السياسية وزوجاتهم. فعدت الى البيت مبكرة، عندما بدأوا بالرقص، فأني لم أعد أرقص.

وفي صباح اليوم التالي لحقت قبل الثامنة بقطار خاص الى بابل، فوصلت الى هناك مع المستر والمسز لوبوك، والجنرال هامبرو، وغيرهم وكنت دليلتهم وقد قضينا فيها ساعتين ممتعتين ذهبت أنا والجنرال هامبرو، والكابتن بيكون، ومرافقه الى الحلة. وهناك تناولنا غداءنا على مائدة عزيزي الميجر تايلور الحاكم السياسي. فكان الغداء فخماً لأن الميجر تايلور كان قد أخبر أحد رجال البلد البارزين بأني كنت قادمة، وقد أصر على ان يبعث بجميع الطعام وكانت المائدة تنوء بالمأكولات العربية الشهية وأهمها «القوزي»...

وهنا افترقت عن الجنرال هامبرو وذهبت بالسيارة الى الفرع الآخر من الفرات حيث وجدت بانتظاري شابين هما الكابتن مان[1] والكابتن

---

(1) الذي نعرفه عن الكابتن مان أنه كان معاون الحاكم السياسي في ام البعرور منذ 15 آب 1919 ثم قتله الثوار العراقيون في الكوفة في 22 تموز 1920.

ويغان ومعهما زورق بخاري ليأخذاني به الى مخيم مضيفي الميجر نوربري، حاكم الشامية السياسي...

وكان المخيم قد أقيم بالقرب من القرية مقر شيخ المنطقة الرئيس عبادي الحسين(*) . ولذلك دعانا بعد العشاء الى مضيفه. ولا يمكنكم ان تتصوروا المضيف ما لم تروه رأي العين. فهو يصنع من القصب، اذ تفرض الحصر القصبية فوق حزم من القصب تتقوس فتلتقي في أعلاها بحيث يكوّن المضيف بأجمعه نفقاً جسيماً أصفر اللون، منتظم الصنع جداً، مشيداً بصورة جذابة طوله خمسون ياردة .

وفي وسطه موقد للقهوة تشتعل فيه خشبات كبيرة من الصفصاف. وكان هناك في كلٍ من جهتي المضيف صف من الوسائد، المغطاة بأغطية مطرزة، المسندة الى الجدر القصبية، لنجلس عليها ومن حولنا العرب وبين ايدينا صانع القهوة مكباً على دلاله. وكانت تضيئ المضيف كله نار الموقد مع زوجين من المصابيح الصغيرة، كما كانت نهاية المضيف تتضاءل بعيداً في عتمةٍ ذهبية .

وقضينا اليوم الثاني في المخيم... ان هذه البلاد هي بلاد الرز، وقد حصد أصحابه هذه السنة حاصلاً وفيراً منه. وكانت قرى الخصاص الصفراء تجثم متوسعة رخية في شمس الشتاء محاطة بتبن الرز وقشوره. ولم تكن بيادر الشلب الذهبية مخزونة كلها أو محملة الى الخارج وانما كانت مكوّمة في مساطح الحصاد. وركبنا حينما وصلنا الى الهور في (ساجات)[1] صغيرة، وجذفنا خلال الممرات المائية بين البردي حتى وصلنا الى الماء في العراء. وكانت هناك ألوف مؤلفة من البط والحذف

(*) انه والد عقيد الجو المتقاعد كاظم العبادي واخيه المرحوم اركان العبادي.

(1) جمع ساجة، كلمة عامية بمعنى ممر مائي ضيق (ساقية). ويبدو انها هنا بمعنى ضرب من الزوارق الصغيرة .

والطيور المائية الاخرى. وتفرخ الحدأة هنا أيضاً. وكان الماء مغطى بأوراق زنبق الماء الذابلة، وكان يرعى فيها الجاموس بهدوء وهو يقف الى بطنه في الهور. ومن بين جميع أنواع العلف غير الصالحة للجاموس يعد زنبق الماء بكل تأكيد أسوأها غذاءً .

وذهبنا في اليوم التالي جميعاً الى النجف.. . وقد أنست عندما وجدت ان مكانتي في النجف كانت ترتفع. فالمجتهدون، كقاعدة عامة، لا يواجهونني ـ وانا لا أطالب بذلك لانهم لا ينظرون الى امرأةٍ سافرة مطلقا ـ لكن احدهم، وهو مجتهد عربي لا أيراني من الطبقة الأولى، بعث يدعوني لمواجهته هذه المرة. فكان شخصيةً مهيبة.. . ومع ان النجف غامضة نهّاشة متعصبة[1]، فانها تجذبك بعجب واحجام بجمالها وبعد غورها .

4 كانون الثاني (ب)

كنت في الخارج لمدة أسبوع فتظافر، بطريقة من الطرائق، غيابي وتكاسلي ولقائي للشيوخ والناس في خارج بغداد لبلورة أفكاري بحيث عمدت الى تحرير كتاب طويل الى أدوين مونتغيو[2] عن نوع الحكومة التي يجب ان نشكلها هنا، حتى انني بعثت بلائحة تقريبية للدستور. اعتقد ان مقدماتي صحيحة مع ان الدستور قد يكون حافلاً بالاغلاط ـ فمن الصعب ان يصيب المرء نجاحاً في محاولته الأولى بالنسبة لعمل من هذا النوع. واذا ما قبل المعنيون في الوطن بمقدماتي، فأن الامور الاخرى تأتي من تلقاء نفسها. وعلى كل فقد بذلت قصارى جهدي في

(1) ما تزال المرارة تملأ فم الآنسة بيل، فهي هنا اذ تشتم النجف.. انما تتذكر مصرع الكابتن مارشال وبطولة الحاج نجم البقال وجماعته.

(2) هو ادوين صموئيل مونتاڤو E. S. Montagu (1870 ـ 1924) كان سكرتير دولة لشؤون الهند في الوزارة البريطانية خلال 1917 ـ 1922.

أن اجد ما يتحتم فعله، وفي ان اضعه بين أيديهم معاً. أنا أشعر في بعض الاحيان بأن الشيء الوحيد الذي اهتم به في الحقيقة هو أن ارى هذه البلاد تسير في الطريق الصحيح ـ أشعر دوماً بذلك حينما أكون هنا، وأفكر فيه غالباً حينما أكون في الوطن. .

ان الشامية هي حديقة العراق، او قل اذا شئت مربع أنسها، وقد كدت أنسى قبل مجيئي هذا كم هي جميلة في الشتاء. اذ يرفل الصفصاف فيها، وغرب الفرات، اللذان تكتسي بهما ضفاف النهر والجداول بحللٍ من اللون الذهبي والاخضر المائل الى لون الذهب، وتكوّن من ورائهما غابات النخيل خلفية بديعة، ولا يزيد عمرها كلها على خمسة عشر عاماً، أي تكون في أجمل أيام عمرها قبل ان تصبح نحيلة هشة .

وبعد ان جذفنا بالساجات في طرق الهور المائية تناولنا غداءنا في اليوم الأول عند شيخ المنطقة الاكبر، الشيخ عبادي الحسين. لقد كنا جياعاً لكننا لم نستطع ان نأكل كثيراً من تل الطعام المقدم لنا. لابد من ان تكون القبيلة كلها قد أطعمت في ذلك اليوم ما بقي منه. وقد سمح لي بأن أتناول طعامي بالملعقة، بينما أكل الباقون بأيديهم .

وخصصنا صباح اليوم التالي، أنا والميجر نوربري[1] وحميد خان[2] مساعده (من أبناء عم أغا خان)، لزيارة وجهاء المنطقة. فأعجبني ذلك لاني كان يسرني أن أراهم من جديد اولاً، ولأننا قد تحدثنا في مواضيع ذات شأن ثانيا.

لقد قبلت دعوة مجتهد عربي من الدرجة الأولى. انه شخصية

---

(1) الحاكم السياسي في الشامية .

(2) هو حميد خان بن الحاج اسد خان الملقب بنظام العلماء. تعاون مع قوات الاحتلال، وتقلد وظائف عديدة وظل نائباً في مجلس الامة سنوات عديدة. وقد توفي في 23 كانون الأول 1943.

مهيبة، طويل القامة كبير الجسم، ذو تقاسيم باسمة تعلوها عمامة بيضاء تضارع في حجمها قبعة «الكوانكل وانكل». لكن الزيارة لم تكن في الحقيقة شيئاً ممتعاً لأن الشيخ علياً ظل يتكلم من دون انقطاع، ومع انه كانت هناك أشياء كنا نريد ان نقولها له لم نستطع ان نقحم بين حديثه ولا كلمة واحدة منها. وقد تمشيت بعد الغداء حول سور النجف حتى وصلت الى الجرف العالي المشرف على بادية الشام ـ انه منظر بديع مدهش تمتد البادية فيه أمامك كلها، وتقوم في الجهة الاخرى البلدة المسورة ببيوتها المحتشدة، التي ترتفع من بينها قبة الامام علي المذهبة. غير ان هذا المنظر كان حتى على درجةٍ أكبر من الروعة عندما شاهدته قبل ليلة حين هرولت بعد تناول الشاي الى التل الكبير في الزاوية الجنوبية من سور البلدة. وكان الليل قد خيم أو كاد فامتد شريط أحمر بلألائه ما بين حافات الغيوم المخيمة فوق البادية، بينما كانت تتدلى الاضواء المتجمعة من حول منارات الجامع الاربع. . .

12 كانون الثاني

والدتي العزيزة: أنتِ تقولين بانك كلما فتحت الجرائد يبدو العالم عاصفاً في نظرك ـ ان المرء لا يحتاج هنا الى ان يفتح الجرائد ليتحقق من هذا. فهناك في شمالنا الاتراك الساخطون الذين يعتنقون الدعاية البولشفية[1]، البولشفية المخربة، وهو كل ما يقدر عليه الاتراك ـ والروس كذلك، حتى الآن. وهناك الاكراد المستعدون للتعاون مع أية جهة يؤمل منها ان تتغاضى عن قضية ذبح المسيحيين وجعلها تمر دون عقاب، برغم ما تتطلبه العدالة لكننا عاجزون عن تطبيق العدالة. وهناك كذلك الدولة السورية الى الغرب منا، وهي ضعيفة غضبى محتومة الى الانهيار في أعماق الارتباك المالي، اذا لم يكن في أي اتجاه آخر، ومع

(1) تضليل رخيص.. لا يدعمه واقع .

هذا فهي عازمة على رفض العون الأوربي الوحيد المعروض عليها، أعني عون فرنسة. وهناك مصر وقد أصبحت أيرلاندة ثانية[1] بسبب من غباوتنا في الغالب. وهناك هذه البلاد ـ فأي طريق ستسير فيه وهي معرضة لاغراء عوامل الاضطراب هذه جميعها؟ أتمنى ان يكون لي تأثير أكبر. لكن الحقيقة هي أني اكوّن أقلية واحد ـ او ما يقرب منه ـ في مسلك الخدمة السياسية في العراق، ومع هذا فأني متأكدة من ان الصواب في جانبي. فعلى أولياء الامور في الوطن ان يروا بأعينهم ويعرفوا الحقيقة المجردة فليس من الممكن ان يكونوا عمياناً بحيث لا يقرأون مثل هذه الكتابة الضخمة التي يضعها العالم على الجدران امام أعينهم[*].

18 كانون الثاني

... نسيت أن اخبركم بأن حدث الاسبوع الماضي كان افتتاح سكة حديد البصرة. فقد ذهبنا كلنا لاستقبال القطار الصاعد، بعد ان قطع المسافة من البصرة الى هنا بأربع وعشرين ساعة، وهو يقل اربعين وجيهاً من الوجهاء. لقد وضع المستر والمسز ماكمون آخر قضيب من القضبان في مكانه فدخلنا المحطة على اجنحة البخار منتصرين، حيث حضرنا حفلة شاي كبيرة!

---

(1) انها تشير الى ثورة 1919 في مصر وما خلفته في اعماق الشعب العربي هناك بعد ذلك.

(*) وفي رسالة اخرى مؤرخة بالتاريخ نفسه تأتي المس بيل بنفس المعنى (منشورة في الرسائل الاصلية) وتزيد لتقول:.. فيدركوا ان الفرصة الوحيدة لنا هي ان نعترف بالمطامح السياسية منذ البداية، وان لا يحاولوا الضغط على العرب ليصبوهم بقالبنا فتكون النتيجة أنْ تسري الفوضى الى شمال العراق وشرقه ايضاً.. كتبت الى أدوين، وسأكتب في هذا الاسبوع الى السر آرثر هرتزل..

25 كانون الثاني

كان يوم الاثنين يوماً ممتعاً. فقبل كل شيء جرى عندنا الافتتاح الرسمي لمدرسة البنات ـ مدرستنا الأولى من هذا النوع. وقد دعوت لها سيدات البلد البارزات، ومن دواعي سروري ان المسلمات قد لبين الدعوة بأحسن مما كنت اتوقع. وكانت المس كيلي[1] مديرة المعارف قد جعلت المدرسة تظهر في مظهر بديع. . وقد القيت خطاباً طويلاً بالعربية شرحت فيه ترتيبات المدرسة وطريقة تعليم الاطفال. فساهمت السيدات المسلمات بذلك بترديد عبارات التأييد والقبول، فكان كل هذا شيئاً بالغ الروعة. وأعلنت المسز هاول[2] بعد ذلك افتتاح المدرسة، فتجولن فيها معنا ثم قدمنا لهن الشاي. وكانت الحفلة عملاً ناجحاً للغاية .

ودعوت في ذلك المساء شابين من العرب الى تناول العشاء، مع ضابط بارز جداً من ضباط الشرطة، الكابتن مورغن[3]، ليتعرف عليهما. فجاءوا في السابعة ومكثوا حتى العاشرة ونصف يتكلمون في موضوع المعارف، واصلاح الاوقاف، وأمور أخرى. فكنا جميعاً حين غادروا البيت على أحسن ما نكون من الود والصفاء. وانا عازمة على تكرار هذه الدعوات في كل اسبوع لغيرهما من شبابي، أي شبان العرب. انا متأكدة ان هذه خطة حسنة .

وتناولت الشاي عندي في اليوم التالي المسز ليزلي زوجة وكيل القائد العام، انها امرأة جذابة للغاية. ثم اقمت حفلة شاي لراهبي الامثل

---

(1) ذكرت الآنسة بيل في احد تقاريرها ان الآنسة كيلي كانت تتولى ادارة هذه المدرسة. وهي امرأة انكليزية كانت لها خبرة تعليمية طويلة في الهند. وقد قدمت الى العراق في خريف 1919. وتم تعيينها في 7 تشرين الأول 1919.

(2) لعلها كانت زوجة الكولونيل هاول ناظر الواردات في بغداد .

(3) لم نعثر على اي تعريف لهذا الكابتن .

الأب أنستاس ماري الكرملي، انه يشبه الرهبان في أيام شوسر[1] تمام الشبه. . .

1 شباط

أخذت تنهال علينا الاخبار من سورية وتركية، وظل المخبرون يتقاطرون من حلب. . .

ان اللوم فيما يحدث يجب ان نتقاسمه نحن مع فرنسة وأمريكة - اعتقد بأنه يندر حصول سلسلة من الاخطاء الفاضحة الميئوس منها مثل الاخطاء التي ارتكبها الغرب في الشرق منذ ان أعلنت الهدنة. وتجني ادارتنا في العراق، في الوقت نفسه، ثمار ما فعلته بخلاف جميع التبريرات، فان جميع من يأتي من الخارج يجلس في المقاهي ويقول للبغداديين (انتم لا تعرفون أهمية ما أنتم فيه من وضع حسن حتى تروا ما كنا نراه)[2]. يبدو أن الفرنسيين يفتشون عن الاضطراب في سورية، انهم سيواجهونه عاجلاً أو آجلاً، لكني أخشى أن يكون السوريون هم الذين سيدفعون الثمن في المدى الطويل .

. . .ان سبب مشغوليتي هو ان الناس أخذوا يأتون عن طريق حلب ومعهم أخبار عن سورية وتركية، وانا بالنظر لما عندي من مخبرين، بشبكتهم الكافية، أسمع عن قدوم أكثرهم فأبعث عليهم. أضف الى هذا أني أحصل منهم على معلومات كثيرة فأدوّنها، وبذلك تكون صبحياتي ممتلئة امتلاء غير يسير. ان القصة التي يروونها قصة مؤلمة. ونحن نشترك في تحمل اللوم عن جميع ما يحدث الآن مع فرنسة وأمريكا. .

أقمت حفلتين أخريين دعوت فيهما الشبان العرب للعشاء، فكانت

---

(1) يراجع الهامش 2 في صفحة 59.

(2) هذا منطق العملاء .

اثنتاهما وديتين ناجحتين. لقد كنا نتحدث خلالهما في السياسة أحياناً وفي أحيان اخرى كنا نتكلم لمجرد الكلام عن البلاد ونتبادل الرأي ليتعلم أحدنا من الآخر..

اضطررت الى ان أترك تقريري الى وزارة الهند جانباً ـ بعد كتابة فصلين عن العلاقات مع الاكراد، وهو موضوع شائك صعب ـ لأن وقت التقارير السنوية قد أزف ويتحتم عليّ ان أقرأها وأهضمها قبل أن أتمكن من اتمام فصولي الخاصة عن الادارة. وستستوعب هذه فصلين أو ثلاثة، يتبعها فصلٌ عن الاحوال السياسية والاجتماعية كتبت نصفه حتى الآن، وتأتي بي المراجعة العامة بعد هذا الى نهاية المهمة. وكانت عملاً جسيماً، ولا يسعني الآن ان أحكم فيما اذا كنت قد استوعبت فيه كل شيء على الوجه المطلوب .

اتفق رأينا أنا وفرانك[1]، هذا المساء على اننا نشعر بمزيدٍ من الفرح للوضع بأجمعه هنا. ونشعر كذلك باننا نتقارب أكثر فاكثر الآن، وبأن الاختلاف أخذ يذوب ويختفي، والتعاون أخذ يتزايد. آمل ان نكون مصيبين في كل هذا. تناولنا العشاء، هو وأنا والمستر هاول وزوجته، في حفلة عشاء عربية فخمة أقامها في الاسبوع الماضي فخري جميل تكريماً لابن عم له بمناسبة يوم ميلاده، وهو الابن الذي جاء الى الدنيا بعد وفاة والده صديقي المأسوف عليه عبد الرحمن جميل.. . ودخلت بعد العشاء الى جناح النساء لأرى الطفل المولود[*] وكان عمره ثلاثة أيام، ومع ذلك كانت أمه خارج الفراش ـ لا استطيع ان أتصور كيف يعيشون. دعوني أقول لكم أني رئيسة الشرف لأسرة آل جميل ـ انهم يعتبرونني

---

(1) هو فرانك بلفور الحاكم العسكري في بغداد .

(*) انه نور الدين بن عبد الرحمن بن مصطفى وفي بن عبد الغني چلبي جميل زاده المعروف، وقد توفي شاباً في سنة 1936 .

كذلك باعترافهم[1] .

4 شباط

انا ذاهبة الى الحلة لمدة يومين بقصد تغيير الهواء. لقد كنت مشغولة للغاية، فهناك مادة كثيرة جداً يتحتم علي أن أقرأها، وهي تختص بجميع المزعجات التي تحدث في أماكن أخرى. ولابد للمرء من ان يقرأها كلها لأنها جميعها لها ما يقابلها هنا، وأقصد ما يحدث في سورية وآسية الصغرى والقفقاس - أعني جميع تلك الفوضى والاضطراب. انا لا أقول ان هذه المستندات والوثائق السرية غير مهمة، غير ان المرء يشعر كما لو كان يمشي في بحر من الوحل والقذارة عند مطالعتها. فالفرنسيون لا يقلون سوءاً عن الباقين - أنك تجد النذالة والفساد والدس أينما تلتقي بهم - فكيف يستطيعون السير بمثل هذا والعالم يتساقط من حولهم باستمرار! لكنهم يسيرون على كل حال. . .

مرت علينا أبرد عشرة أيام يمكن ان تحصل في بغداد، فقد هبطت الحرارة الى 59 درجة فهرنهايت خلال الليل. ان هذه الدرجة لا تبدو كثيرة البرودة، لكنها شيء مرهق حينما تكون الابواب والشبابيك من النوع الذي يصعب سده، ووسيلة التدفئة الوحيدة «صوبات» النفط الصغيرة .

---

(1) اعتادت الآنسة بيل في علاقاتها الاجتماعية، خلال وجودها في بغداد، ان تنفذ الى البيوت البغدادية المعروفة عن طريق نسائها، وكانت تستغل كل مناسبة لتقيم حفلات الشاي لعدد من النساء البغداديات اللواتي يعشن في ظلال المراكز العائلية المشهورة، وهي بهذه العلاقات كانت تصبو الى احكام روابطها (المشبوهة) بالرجال، للوقوف على آرائهم حيال السياسة العامة في البلد.. وفوق ذلك اعتادت حين تمدح احداً في رسالة تذمه في رسالة اخرى، وهذا الموقف القلق يجب ان يحمل القاريء على التحفظ في مواجهة اقوالها المتناقضة، وعدم الالتزام بتصديق ما تقول لأول وهلة. وكفى بالقاريء قناعة ان يقرأ رسالتها الآتية المؤرخة ي 12 شباط (ب) ليقف على ما كانت ترمي اليه الآنسة بيل من علاقتها بالنساء .

12 شباط

الى السر فالانتاين تشيرول

اعتقد في الحقيقة أني بدأت أسيطر على النساء هنا، أقصد نساء الطبقات العليا.. ولم يكن هذا شيئاً سهلاً، مع أنهنَّ يلاقين المرء في منتصف الطريق. ان ذلك يعني مكابدة كثير من التعب والازعاج في الذهاب الى زيارتهن، وفي دعوتهن الى حفلات شاي صغيرة في بيتي. وفيما عدا هذا أني أحب لقاءهن والتعرف على ناحية من نواحي الحياة في بغداد لا استطيع التعرف عليها بغير هذه الطريقة فأني متأكدة من ان عملي هذا يستحق كل شيء. فالمرء يروح ويأتي الى البيت بمودة وألفة، ويكون له جيش من الصديقات اللواتي يحسّن علاقات المرء الشخصية تحسيناً متسعاً بالرجال. سوف أجرب مشروعاً على درجة اكبر من الطموح، فأجعل السيدات المتقدمات في المجتمع يشكلن لجنة خاصة تجمع من الاسر الثرية مبالغ من المال يشيد بها مستشفى صغير للنساء من الطبقة الراقية، وهو أمر يتحمس له بعضهن أشد التحمس.

وفيما عدا هذا فان الامور ليست سهلة. اعتقد ان (أي تي ويلسن) يعالجها باحسن ما يمكن. انما يصعب علينا ان نقدر لماذا تقوم الحكومة العربية (في الشام) بشن حرب علينا تقريباً في جهات الفرات الاعلى، ويصعب علينا كذلك معرفة ما اذا كانت الحكومة العربية هي التي تقوم بهذا العمل أو المتطرفون وحدهم هم الذين خرجوا عن الطوق ـ ربما يكون المتطرفون هؤلاء هم الحكومة العربية نفسها. نحن لا نحصل على أخبار من مصر تساعدنا في هذا الشأن، مع ان المسؤولين هناك لابد من انهم يعرفون عن سورية أكثر مما نعرف نحن. ولا نعلم اذا كان فيصل قد عاد من أوربة او اذا كان قد أتفق مع الفرنسيين، ولا أي شيء آخر. اعتقد انه من الفظاعة بمكان ان نعتمد على المخبرين العقيليين والمسافرين، وعلى الجرائد الانكليزية في أخبارنا. فلدي جهاز كامل

للاستخبارات قوامه العقيليون من سكان بغداد[1]، ولا اعتقد ان كثيراً من الناس المهمين يصلون الى بغداد من دون ان يخبرني هؤلاء بوصولهم. وعلى هذه الشاكلة نحصل على أخبار سورية بعد ثلاثة اسابيع، ثم تؤيدها الجرائد الانكليزية بعد اسبوع. وكان ذلك التأييد يحصل دوماً فيدل على ان استخباراتنا مضبوطة. لكننا بطبيعة الحال يجب ان نحصل عليها طريةً جديدة، بواسطة البرقيات من القاهرة. فقد وجدت اللورد اللينبي[2] حينما قابلته في لندن راغباً مثلنا على ما يظهر في حصول تبادل وثيق في معلومات الاستخبارات. نحن نبعث بكل شيء من عندنا من دون ان نحصل على شيء بالمقابل.

ويمكن القول بصورة عامة ان الفوضى التي تضرب أطنابها في سورية تعود علينا بالفائدة فليس هناك من يسلك طريق حلب الآ ويُسرق في الجانب العربي من الحدود - وكثيراً ما يتم ذلك على أيدي الدرك الذين تبعثهم الحكومة العربية للحماية! اذ لابد لهؤلاء، وهم لا يتقاضون رواتبهم، من ان يجدوا مجالاً للعيش بطريقةٍ من الطرائق. ويقص المعتدىٰ عليهم حينما يصلون الى بغداد مغامراتهم تلك فينهونها بقولهم: لقد كان يسرنا والله ان نصل الى البو كمال ونتمتع بالسلامة والامان. وهكذا أصبحت الحكومات العربية المستقلة بنتيجة ذلك غير محبوبة[3].

---

(1) هذا اطلاق لا يقره العقل.. اذ لا يعني ان حفنة من العقيليين الرحل الذين يزورون بغداد ويخدمون مكتب الآنسة بيل في نطاق جاسوسي يمكن ان نجد فيها المبرر لاتهام جميع العقيليين في بغداد بالعمل في جهاز الاستخبارات الذي ذكرته الآنسة بيل.

(2) هو ادموند هنري هينمان اللينبي E. H. H. Allenby (1861 - 1936) فيلد مارشال بريطاني، قاد الحملة البريطانية على مصر (1917 - 1919) واستولى على فلسطين وسوريا. وفي نيسان 1919 عين مندوباً سامياً في مصر، وفي 1925 استقال من منصبه.

(3) انها شنشنة قديمة استغلها الاستعمار في تثبيت مواقعه، ولم تعد اليوم تنطلي على احد.

هناك الآن شيء من الدعاية للاتراك (وللبولشفيك ايضاً) يقوم بها غالباً اعضاء جمعية الاتحاد والترقي (من العرب) العائدون من استانبول مؤخراً. ولا استطيع ان اقول بأني أشعر بقلق كثير تجاهها، فانها تبدو لي وكأنها تضرب بكلبٍ ميت بأمل ان تظهر فيه امارات الحياة. اعتقد ان الوحدة الاسلامية ليس لها الاّ تأثير قليل هنا سوى عند جماعة صغيرة من العلماء، السنة والشيعة. فهي حلف ليس من المنتظر ان يستقيم طويلاً، ويكره الشبان والراقون من الناس العلماء في دخيلة أنفسهم[1] حتى ولو كانوا يكرهوننا نحن ايضاً. فقد كنت أقابل عدداً غير يسير من الشبان، اذ كنت أدعوهم الى حفلات عشاء صغيرة يأتي اليها في العادة اثنان أو ثلاثة مع شخصٍ من زملائي وأنا. وكنا في بعض الاحيان ندخل في حديث مثمر من هذا القبيل في الحقيقة، كما كنا نشعر بأن أحدنا قد تعرف أكثر من قبل على البعض الآخر.

ان شعوري الخاص هو اننا، عند تشكيل حكومة مدنية في هذه البلاد، اذا ما فعلنا ذلك على قواعد تحررية في الحقيقة، من دون أن (نخاف) فان البلاد ستكون في جانبنا. وهناك صعوبات هائلة تعترضنا بلا شك، لكننا يجب ان نضع في فكرنا صعوبة ان نحاول عمل أي شيء آخر هي في المدى الطويل أعظم للغاية، حتى وليس على مثل هذا الطول في المدى. ان الشيء المهم هو كيفية حماية سكان الريف وأبناء القبائل من البغداديين الذين لا يعرفون شيئاً عنهم ولا يعبأون بهم[2]. لأن

---

(1) لم يكن هذا كما توهمت المؤلفة، فقد كان العلماء يومئذ معقد الاحترام لدى ابناء الشعب كافة. وقد كانت فتاواهم الدينية من بين المحركات الاساسية لثورة العشرين.

(2) تحاول الآنسة بيل هنا، وفي مواطن اخرى من رسائلها، ان تزرع العداوة والبغضاء بين الريف العراقي والمدينة، لتوسع بذلك شقة التفاوت والخلاف بينهما تمهيداً لتصديع وحدة الصف الوطني، وسوف نراها في الصفحات القادمة تؤكد على هذا المنزع الاستعماري حماية لمصالح اسيادها.

الموظفين العرب كما تلاحظونهم، ويجب ان يكونوا كذلك دوماً، من البغداديين السنة، بسبب عدم وجود طبقة مثقفة اخرى في البلاد. والعشائر (ومعظمها من الشيعة على ما تذكرون) تكرههم[1].

ذهبت مرتين الى جهات الفرات مؤخراً. ومن المدهش أن يرى المرء هناك مقدار ما حصل من تقدم خلال السنتين الاخيرتين. فمن الصعوبة ان يعرف المرء الآن القرى والبلدان التي كان يعرفها من قبل، لأنها أصبحت على درجةٍ لا يستهان بها من النظافة والتنسيق والازدهار...

14 شباط

قضيت ثلاثة أيام مؤنسة حقاً في الحلة، وقد عدت منها نصف ميتة ثم استعدت صحتي باطراد. لقد نزلت عند الحاكم السياسي الميجر تايلور، وموظفيه البالغ عددهم عشرة شبان، فكان العيش معهم متعة عظيمة.. كانت مهمتنا ان نتفقد أعمال مسح الارض الأولى، وتتوقف عليها تسوية حقوق الملكية في الارض وجميع مشاكلنا العشائرية - ستكون مهمة جسيمة جداً، لكننا اذا ما أنجزناها على الوجه الصحيح فان ذلك سيعني حلول السلم في قضايا الاراضي الى الابد. ولذلك واجهنا المساحين ولاحظنا الخرائط وثايات[2] الحدود - انها في هذه البلاد عبارة عن أكوام من التراب، وليس من الاحجار لعدم تيسرها.

---

(1) تبدو الآنسة بيل، في هذا المقطع، حريصة على حماية ابناء القبائل (الشيعة!!) من موظفي بغداد (السنة!!).. في حين انها في جميع رسائلها القادمة لم تكتم ما في نفسها من كراهية للشيعة.. وللقاريء - بعد ذلك - ان يتبين بنفسه أبعاد هذه المهزلة في مواجهة شعب واحد كالشعب العراقي.

(2) جمع ثاية، ومعناها في الفصحى مأوى الابل، وهي هنا بمعنى الثوة: ما ينصب على الطريق ليهتدى به.

ومن ثم عدنا راكبين ووقفنا في منصف الطريق لنتغدى في مضيف أكبر شيخ في المنطقة. وكان قد جمع ممثلين عن جميع العشائر المجاورة التي يخصها أمر التسوية و لكنه نظراً لكونه رجلاً فقيراً أفهم الجميع بأنه سوف يقوم فقط بإطعامنا نحن وبني حسن أقرب المجاورين له!! وعلى هذا عندما وضعت صينية أكلنا الكبيرة وضعت صينية اخرى في نهاية المضيف دعي لها بنو حسن. اما الباقون فقد اكتفوا بالسكاير والقهوة. وجرى بعد الغداء حديث طويل ـ هكذا تسيّر الاشغال في الانحاء، فليس هناك مجلس احسن من مجلس المضيف.. فكان ذلك منظراً بديعاً. وكان مضيفنا قد حارب ضدنا في الكوت، بعد أن عبّأ قبيلته بأمرٍ من الترك. فسألته «كيف كانت الاحوال عندما حاربت بجانب الاتراك؟» فأجابني بهدوء يقول «خاتون، لم يكن عندنا شيء نأكله، مع أنهم كانت عندهم أرزاق كثيرة لكنهم لم يعطونا شيئاً منها». ثم سألته «هل حاربتم وانتم جياع؟» فأجاب يقول «لا والله، عدنا لأهلنا»..

وذهبت في اليوم التالي، انا والميجر تايلور، الى الديوانية بالسيارة. لم أكن قد رأيتها منذ سنتين فكدت لا أعرفها، لانها أصبحت نظيفة مرتبة، ذات شوارع عريضة ومستشفى جيد ـ انها معجزة. وكذلك كانت الحلة، وقد قضيت الصباح التالي في تفقدنا بعد ان تحدثت ساعة واحدة مع أبرز اثنين من سكانها. فكان فيها المستشفى والمدرسة والسجن والاسواق ـ كلها مثل الورد كما نقول بالعربية .

23 شباط

.. زارنا السيد طالب[1]،من وجهاء البصرة، وهو أمهر وأعظم

---

(1) هو السيد طالب باشا النقيب البصّري، وستتكلم عنه المؤلفة في رسائلها القادمة باسهاب.. وهي في هذه الرسالة وصفته بما لا ينبغي وبما ينبغي. والعجيب انه عندها أمهر شرير في البلد.. وأشهر شخصية في العراق، فتأمل!!

شرير موجود في البلد. لقد كان منفياً الى الهند، ثم عاش عيشة معتزلة في مصر منذ تشرين الثاني 1914، لكنه عاد الى موطنه مؤخراً. وقد يكون هو أشهر شخصية في العراق، فكان من المهم للغاية مشاهدة الاستقبال الذي قوبل به. وهو مؤدب جداً وأهل للاحترام، لكن الناس في عهدنا لم يعودوا يخافون منه - أنه يشبه العدد القديم من الجرائد، وآمل أن يكتشف ذلك عاجلاً. لقد أقمت حفلة عشاء له حضرها السر أيدغار، ومدير المعارف (بومن)[1]، ورئيس بلدية بغداد[2]، والسيد محيي الدين أحد أنجال النقيب. أظن إنه يندر ان قضيت ليلةً على درجة أكبر من المتعة مثل هذه الليلة. عدت لتوي من حفلة عشاء وداعية كبيرة - يعود السيد طالب الى البصرة في هذه الليلة - أقيمت في بيت فخري جميل، أكبر شخصية هنا. وقد حضر الوجهاء جميعهم فيها فكانت حفلة شيقة جداً، قص السيد طالب فيها قصصاً ممتازة علينا لكنه لم يكن الرجل الذي يرتجف في حضوره كل فرد[3]. ومن المدهش كيف ننسجم كلنا في هذه المناسبات الاجتماعية. فأن فرانك (بلفور) محبوب جداً، وهو يستحق ذلك، لكنني كنت المرأة الوحيدة في الحفلة بطبيعة الحال. وكان الحديث شيقاً في الحقيقة، كما كان السيد طالب مرهف الحس لا يفوته شيء. واذا كان قد جاء الى بغداد ليطلع على مجرى الاحوال فيها فقد تم له ذلك على ما اعتقد .

---

(1) اسست قوات الاحتلال دائرة المعارف في بغداد سنة 1918 وقد تولاها الميجر هـ. أي. بومن في 22 آب 1918 بعد أن أعيرت خدماته من وزارة المعارف المصرية .

(2) في سنة 1920 عين عبد المجيد الشاوي رئيساً لبلدية الرصافة ومحمد حسن الجوهر رئيساً لبلدية الكرخ.. ولا ندري من المقصود برئيس بلدية بغداد.. ولكن المرجح انه الشاوي .

(3) يبدو ان السيد طالب باشا النقيب كان ذا شخصية رهيبة في نظر الآنسة بيل، كما يبدو أنه كان مصدر هلعها وخوفها.

29 شباط

. . . انا مشغولة جداً في محاولة تأسيس مستشفى خاص لنساء الطبقة الراقية من الناس ـ سبق للجهات المختصة ان خصصت ردهة ممتازة في المستشفى الملكي للنساء الفقيرات. وحينما أرينا هذه الردهة لنساء الطبقة الراقية طلبن ان يسمح لهنَّ بجمع المال اللازم لتشييد بناية لمستشفى خاصة بهن. انها ستكلف (45,000) روپية، وعليهن ان يدفعن الكلفة اذا أردن المستشفى ـ على ان تكون فيها أربع غرف وحمام وممرضات وسائر المرافق، أي بمجموع ست غرف. ولذلك أقمت حفلة فخمة في دار أوريليا تود(*) لانها دار مناسبة أكثر من داري من حيث وجودها في داخل البلد. وقد رتبتها ترتيباً جميلاً لنا. فشرحت قضية المستشفى للسيدات، فكن متحمسات جداً للمشروع. سأوجه كتباً خصوصية لعشرة من أغنى الناس في هذه المدينة أطلب الى كل منهم فيها التبرع بثلاثة آلاف روپية. واعتقد باننا سوف لا نلاقي صعوبة في جمع المبلغ المتبقي بتبرعات قليلة .

7 آذار

. . أخبرتكم من قبل عن المستشفى، أليس كذلك؟ ان مبلغ الثلاثين ألف روپية المتبرع به قد بدأ يرد شيئاً فشيئاً. . .

ذهبت الى تناول الشاي عند السيد داود(**) يوم الاثنين. لقد كانت داره دار مدهشة، انها أجمل دار هنا. ويمر الداخل اليها في مجاز ضيق صغير الى ساحة كبيرة تحيط بها في الطابق الثاني غرف مبيضة بالجبس الناعم، ذات سقوف مزينة بالمرايا والجبس الفارسي منذ مئة سنة، ومن

(*) زوجة المستر تود ووكيل شركة لنج (بيت اللنج يومذاك) .

(**) اي السيد داود النقيب بن السيد سلمان اخي السيد عبد الرحمن النقيب، وكانت داره على ما يعتقد في محلة السنك.

هناك الى ساحة أكبر ملأى بأشجار برتقال وزيتون يبلغ ارتفاعها أربعين قدماً، وتحاط بغرف وطارمات جميلة، وأحسن من جميع ما وجدت عش لقلق في احدى الزوايا .

7 آذار (ب)

.. ان التبرعات (للمستشفى) آخذة بالتوارد الآن. وكان أول مبلغ تسلمناه من النقيب، فقد جاء به ابنه رسمياً مشفوعاً برسالة من الرجل العجوز، الذي أقول وانا محقة في قولي انه لم يكن يعرف بكونه يتبرع بمثل هذا المبلغ الكبير لأي مشروع عام خلال السنوات الثماني والسبعين من عمره كلها. ولذلك فأني اعترف بجميله هذا.

.. وفي طريقي الى البيت سمعت من فرانك بلفور ان فيصلاً قد انتُخب ملكاً للعراق وعبد الله ملكاً في سورية(*) .حسناً اننا سنتورط في ذلك، واعتقد بانا سوف نحتاج الى كل قصاصة من التأثير الشخصي وكل ساعة من الاختلاط الودي حصلنا عليها هنا للحيلولة دون وقوع هذه البلاد في أحضان الفوضوية...

14 آذار

... من الصعب ان تجد هنا طريقة للاتصال بالشيعة، ولا اقصد بهذا العشائر من سكان البلاد لاننا على وئام تام معهم جميعاً، وانما أقصد سكان المدن المقدسة الورعين العابسين[1]، ولاسيما رؤساء الدين

(*) انها تشير الى المؤتمرين السوري والعراقي اللذين عقدا في الشام يوم 7 آذار 1920 ونودي فيهما بالامير فيصل ملكاً في سورية والامير عبد الله ملكاً في العراق وليس بالعكس كما جاء في هذه الرسالة .

(1) عادت المؤلفة، هذه المرة، لتفرق ـ لا بين السنة والشيعة ـ وانما بين الشيعة أنفسهم على صعيد الريف والمدينة.. وقد غابت هذه المحاولة في ذمة الماضي، واندثرت.

«المجتهدين» الذين في مقدروهم ان يحلوا ويعقدوا بكلمة واحدة، نظراً لما يتمتعون به من سلطة تستند الى اطلاعهم التام على العلم المتكدس الذي لا علاقة له تماماً بشؤون الانسان، ولا قيمة له في أي فرع من فروع الحياة البشرية[1] انهم يجلسون هناك في جوٍ يزخر بمعالم القدم، ويكتسي بكساء سميك من غبار الاجيال بحيث لا تستبين عيناك شيئاً من خلاله ـ ولا يمكن لأعينهم ان تفعل ذلك ايضاً. وهم على الاغلب شديدو العداء لنا، انه شعور لا يمكن تغييره لانه من الصعب علينا ان نتصل بهم. أرجو ان يلاحظ أني اتكلم عن المترفين منهم، لأن قسماً قليلاً منهم على صلة ودية بنا. وقد كنت حتى زمنٍ متأخر جداً منقطعة عنهم لأن تعاليمهم الدينية تحظر عليهم النظر في وجه امرأة سافرة. وان تعاليمي لا تسمح لي بالتحجب ـ اعتقد بأني مصيبة في هذا الرأي لأن ذلك يعد اعترافاً صريحاً بالضعة يؤدي الى ارباك اتصالنا بهم منذ البداية. وليس من المستحسن جداً ان نحاول تأسيس صداقات عن طريق النساء[2] ـ ولو سمح للنساء بمقابلتي فانهم سيتحجبن بحضوري كما لو كنت رجلاً. وعلى هذا تجدون أني أبدو كثيرة الانوثة من ناحية، وكثيرة الرجولة بالنسبة للجنس الآخر .

وهناك جماعة من اولئك الوجهاء في الكاظمية، المدينة المقدسة الواقعة على بعد ثمانية أميال من بغداد، تعتنق مبدأ الوحدة الاسلامية بشدة وتناوئ البريطانيين بكل وسيلة. ومن ابرزهم أسرة تسمى أسرة

---

(1) تهجم حاقد على الفقه وجدواه في تنظيم الاسرة والحياة يوم لم يكن في العراق أيما بديل لبعض احكامه.

(2) هذا يتناقض ما ذكرته الآنسة بيل في الرسالة المؤرخة (12 شباط ـ ب)، فهي هنا تستهجن المحاولات الرامية الى تأسيس صداقات عن طريق النساء، ولكنها هناك تتشامخ بسيطرتها على نساء الطبقة المترفة، وتبالغ في دعوتهن الى حفلات الشاي.. فهن، عندها، جيش من الصديقات يوثقن علاقاتها الشخصية بالرجال.

الصدر، وهي اسرة قد تكون أبرز من أية اسرة أخرى في العالم الشيعي بأجمعه من حيث العلم أو الثقافة الدينية. وقد وقعت سلسلة من الحوادث جعلتهم يتقربون اليّ، فأخبرتهم بأنهم اذا كانوا يرغبون في أن أزورهم سأكون سعيدة بالتشرف عندهم. . . وقصارى الامر اني ذهبت يوم أمس يصحبني شيعي متقدم من شيعة بغداد كنت أعرفه معرفةً تامة وأميل الى الاعتقاد بأنه حر التفكير متكلم. فسرنا في أزقة الكاظمية الضيقة الملتوية ثم وقفنا عند ممر صغير مقوس. وقادني صاحبي على طول خمسين ياردة من الممر المظلم المقوس هذا - لا يمكنني أن أتصور ما كان فوق رأسينا - الذي أدى بنا الى ساحة دار السيد[1]. وكانت الدار قديمة مبنية قبل مئة سنة على الاقل، وكان فيها ديوان في الطابق الاعلى يحجبه خشب مشبك قديم جميل الصنع. وتطل الغرف بأجمعها على الساحة - لا شبابيك تصلها بالعالم الخارجي - وكانت الساحة كأنها بركة من الصمت تعزلها عن الزقاق خمسون ياردة من البناء الذي مررنا من تحته. وكان يقف في الطارمة باستقبالنا السيد محمد، نجل السيد حسن، متشحاً بلباسٍ اسود وملتحياً بلحية سوداء، وتعلو من فوق رأسه عمامة نيلية ضخمة قاتمة اللون يعتمّ بمثلها المجتهدون في العادة. وكان السيد حسن يجلس في الداخل، وهو شخصية مهيبة مخيفة يلتحي بلحية بيضاء تصل بطولها الى منتصف صدره، ويعتمّ بعمامة اكبر من عمامة السيد محمد في حجمها. فجلست بجانبه على السجادة، وبعد تبادل التحايا الرسمية بدأ يتكلم بالجمل المتدفقة التي يتكلم بها العلماء، أي بلغة الكتب التي لا تسمعها من أفواه الآخرين. ولدى المجتهدين في العادة أشياء كثيرة يتحدثون بها - لأن الكلام صنعتهم، ويوفر ذلك على الزائر العناء. وقد تحدثنا عن أسرة الصدر بجميع فروعها في ايران وسورية

---

(1) هو السيد حسن الصدر، الفقيه المؤرخ، والد السيد محمد الصدر .

والعراق، ثم تحدثنا عن الكتب ومجموعات الكتب العربية في القاهرة ولندن وپاريس وروما ـ توجد لديه فهارس جميع المكتبات. وتطرقنا بعد ذلك الى جو سامراء، وقد شرحه لي بأنه أحسن من جو بغداد بكثير لأن سامراء تقع في المنطقة الثالثة من مناطق الجغرافيين. وكان يتكلم بحيوية متدفقة بحيث ظلت عمامته تنزلق نازلة الى حاجبيه فيضطر الى ارجاعها الى قمة رأسه.. . كنت أشعر بأنه لم تُدعَ أية امرأة قبلي لتناول القهوة مع مجتهد مثله والاستماع الى حديثه، كما كنت في الحقيقة متلهفةً لئلاً أخيب في توليد انطباع حسن في نفسه .

ولذلك قلت له بعد ثلاثة أرباع الساعة انني أخشى ان أكون قد ازعجته وطلبت الانصراف. فهدر قائلا «كلا ، كلا لقد خصصنا بعد ظهر هذا اليوم لكِ». وعند ذاك تأكدت من ان زيارتي له قد اقترنت بالنجاح، فمكثت ساعةً اخرى عنده. لكنني تصرفت في الساعة الاضافية هذه بكثير من الثقة. فقلت له أني أريد ان احدثه عن سورية، فحدثته عن جميع ما كنت اعرفه عنها الى آخر برقية وصلتني عن النية في تتويج فيصل هناك. فسألني باهتمام مفاجيء يقول «سيتوج على جميع سورية الى البحر؟»، وأجبت «كلا ، سيبقى الفرنسيون في بيروت» فأجاب «اذن فذلك شيء غير حسن»، ثم ناقشنا الموضوع من جميع الوجوه. وتحدثنا بعد هذا عن البولشفية، فوافقني على أنها بنت الفقر والجوع، ثم أضاف يقول: (ان العالم بأسره أصبح فقيراً جائعاً بعد الحرب). وقد قلت له أني أرى ان فكرة البولشفية قد وضعت للقضاء على كل ما هو موجود وبنائه من جديد. وأبديت مخاوفي من ان يكون القائمون بها لا يحسنون صنعة البناء، فأيدني في ذلك. وحينما أظهرت ما يفهم منه رغبتي في الانصراف خاطبني يقول (أنه من المعلوم جيداً أنّكِ أعلم امرأة في زمانك، واذا احتاج ذلك الى دليل فانه ينطوي في رغبتك في التردد على محافل العلماء، وهو سبب مجيئك الينا اليوم). فأبديت شكري الجزيل على هذا

الامتياز وانصرفت يشيعني بسيل من الدعوات للعودة متى شئت..

البصرة 24 آذار

والدتي العزيزة. جئت الى البصرة لاستقبل والدي...

لقد قضيت يوم أمس كله في التحدث الى المستر ڤانيس[1]، المبشر الامريكي. أنه أعظم الاصحاب تنشيطاً وانعاشاً، فهو ملم بشؤون البلاد أكثر من أي شخص آخر، ومما نشكر الله عليه انه يقص علينا أحسن القصص تشجيعاً بالنسبة لشعور العرب تجاهنا. ولذلك فنحن في الحقيقة فوق قمة الموج .

سأقوم اليوم بإرشاد استاذ أمريكي قديم حول النقاط التي يحتاجها في كتابة مقال يريد ان يكتبه للجرائد الامريكية ـ دعاية حسنة ـ وسوف أجلس بعد ذلك في بيت ڤانيس فأتقبل الزيارة من جميع وجوه البلد. لقد قابلتني في بغداد، خلال الاسبوع الماضي، صحفية أمريكية فوجدتها امرأة ذكية لطيفة، وتحدثت اليها ساعات عديدة، وآمل أن تظهر النتيجة منشورة في (الساتر دي ايڤنينغ پوست)[*] . ومما قالته لي انهم في الولايات المتحدة ليست لديهم أية فكرة عما فعلناه في الحقيقة هنا. أنا يسرني أن أقابل هؤلاء الناس، لاننا ليس عندنا ما نخفيه عن الغير، وانما الامر بعكس ذلك حيث ان أي نوع من النشر والكتابة يعتبر في صالحنا .

---

(1) تشير الى المستشرق والمبشر الامريكي جون ڤان أيس John Van Ess مؤلف كتاب (أقدم أصدقائي العرب). جاء الى البصرة مبشراً في سنة 1903 وأسس فيها مدرسة الاميركان التبشيرية في سنة 1910 وظلت هذه المدرسة على قيد الحياة حتى أغلقت بعد ثورة 17 تموز 1968. وقد توفي هذا المبشر سنة 1949 .

(*) Saturday Evening Post.

سوف أملأ وقت فراغي غداً في زيارة مدارسنا ومستشفياتنا...

البصرة ـ 30 آذار

وصل والدي صباح أمس، وهو يبدو في حالة جيدة للغاية ـ ليس من الممكن التعبير عن الفرح الذي شعرت به حين رأيته. كنا نقضي صباحاً مؤنساً في الزبير، حيث دخل والدي في حديث طويل مع الشيخ[1] (بواسطتي) فترك انطباعاً حسنا بحيث أهداه شيخ الزبير سجادتين صغيرتين. سأقيم في عصر هذا اليوم حفلة شاي أدعو اليها حوالي اربعين وجيهاً من الوجهاء للتعرف عليه! فمن المؤنس أكثر مما يمكن ان تعبر عنه الكلمات ان أقوم بزيارة الاماكن المختلفة معه أشعر كما لو كان هذا حلماً من الاحلام..

سنتوجه غداً الى الناصرية بالقطار، ومن هناك الى الحلة فالنجف، حتى نصل الى بغداد في اليوم الثامن .

10 نيسان

... أشعر شعوراً جازماً باننا اذا تركنا هذه البلاد وشأنها فان ذلك سيعني اننا يجب علينا ان نعيد النظر في وضعنا في آسية بأجمعه. واذا ذهب العراق من ايدينا فان ايران ستذهب بصورة لا مناص منها، ثم تعقبها الهند. وسيحتل المكان الذي تفرغه الشياطين السبعة، ويصبح وضعه أسوأ بكثير من أي وضعٍ كان عليه قبل مجيئنا...

9 أيار

... حضر عندي الكابتن لايونيل سمث[*] لتناول العشاء، فجرى

---

(1) هو الشيخ ابراهيم (شيخ الزبير).

(*) مستشار وزارة المعارف يومذاك.

بيننا حديث طويل حول تعليم العرب. انا غير مرتاحة تماماً مما كنا نفعله في هذا الشأن، وليس هو مرتاحاً كذلك. فمن الحسن جداً ان نقول اننا يجب ان لا نبدأ بتأسيس مدارس ثانوية(*) حتى تتهيأ لدينا مادة ممتازة لذلك، من المدرسين والطلاب معاً، لكننا لا يسعنا ان ننتظر. وعلينا ان نبدأ بطريقةٍ ما وان نقنع بأحسن الموجود، لأن الناس هنا راغبون جداً في أن تتهيأ لهم الدراسة العالية، واذا وقفنا دون رغبتهم هذه سيعتقدون بأننا نفعل ذلك عن قصد لتأخيرهم. ولذلك يجب ان ينظر الى الامر من الناحية السياسية كما ينظر اليه من الوجهة التربوية .

ذهبت يوم الجمعة لتناول الشاي عند سيدات آل جميل زادة، ولأتفقد (ابني) الصغير[1]، وهو الابن الذي ولد بعد وفاة والده صديقي عبد الرحمن. أنه طفل جميل للغاية. . .

9 آيار (ب)

تسلمنا مذكرة ممتازة من وزارة الحرب، وقد ارسلت الينا للاطلاع. ان وزارة الحرب تلفت النظر فيها الى الحماقة غير المتناهية المنطوية في شروط الطلح التركية. وكما تشير المذكرة بحق، من هو الذي سيتولى توطين الارمن في الاراضي التركية المخصصة لهم؟ فاستانبول عاجزة تماماً عن تنفيذ أي حكم تصدره، حتى لو قبلت بالشروط. وبأية وسيلة يقترح تشكيل حكومة كردية تتمتع بالحكم الذاتي؟ وتوصي وزارة الحرب بأن الضرورة تقضي بأن لا يوضع في شروط الصلح أي شيء يؤمل عدم قبوله، لانه ليس هناك أحدٌ منا مستعد لتجهيز المال والجيش اللازمين لغرض مالا يمكن قبوله الاّ بالقوة. ولذلك أتوقع ان يكون قد أرسل نداء

(*) كان ارنولد ويلسن وكيل الحاكم الملكي العام لا يرى وجوباً في التسرع بفتح مثل هذه المدارس.

(1) تقصد: نور الدين بن عبد الرحمن جميل.

جديد الى أمريكة يطلب فيه الى الولايات المتحدة ان تضطلع هي بمسؤولية أرمينية. لكنهم سيرفضون بطبيعة الحال ـ ولو سئلت أنا لرفضت ذلك أيضاً. ويعتزم النساطرة (الآثوريون) في الوقت نفسه العودة الى بلادهم التي يسيطر عليها الاكراد كلها، وهي أبعد ما يمكن ان نساعدهم فيه. انا أنظر الى هذه المشكلة بأعظم ما يكون من التخوف. واعتقد بأن رجالاً كان يجب ان يرسلوا أولاً لتمهيد الطريق، وأخشى ان تحصل نكبة مؤلمة. واذا ما حصلت فأننا لا نستطيع ان نبرئ وجداننا منها. ومما يؤيد ان هذه الحركة تعتبر مجازفة الاثارة التي قد تسببها شروط الصلح لشعور مسلمي الاناضول مما قد يؤدي الى ذبح المسيحيين ذبحاً عاماً هناك. وأود أن أقول معلقةً هنا اننا يمكننا ان نفعل أي شيء في استانبول لأننا قادرون على ذلك، لكننا لا نستطيع ان نفعل أي شيء في أواسط آسيا الصغرى.

16 أيار

.. شرعت في اقامة حفلات أسبوعية للوطنيين الشبان في حديقتي. وقد حضر أولها حوالي ثلاثين شابا ونصف دزينة من زملائي، بما فيهم فرانك والسر ايدغار (بونهام كارتر). ان فرانك يعتقد أن مشروعي هذا مشروع أساسي. وقد علقت كثيراً من فوانيس بغداد القديمة الجميلة في حديقتين ـ ما أجمل منظرها. وسأقدم للضيوف مرطبات باردة، مع فواكه وكيك وسيكون من المهم ان نرى مقدار ما تحققه الحفلة من نجاح .

جاءني السر أيلمر هولدين(*) في احدى العصريات بعد تناول الشاي. لقد وجدته لطيفاً جداً، لكنني أقول والحديث يجب ان يبقى بيننا أنه ليس عنده ما يكفي من قوة الشخصية. وقد لا تكون لذلك أهمية

(*) هو القائد العام للقوات البريطانية في العراق، وقد وقعت الثورة العراقية في عهده فكتب كتابه المعروف عنها .

تذكر، لانه يظهر من المحتمل ان تلغى وظيفته، وأتوقع أن مشروع تقليل القوات الموجودة الآن الى فرقة واحدة وجعل القائد العام من رجال الطيران سوف يتم تنفيذه. اني اشعر بشكوك خطيرة بالنسبة للحكمة فيه، لأني لا اعتقد كثيراً بالجو للاغراض الدائمة. فانك لا تستطيع ان تنجز الاّ أعمالاً «زنبورية» بواسطته - في حين ان ما نريده هو الاصرار الهادئ الرزين على مراعاة القانون والنظام، وليس العقوبات الصغيرة المخربة لمن يتحداهما. ولا يهمني حتى لو بقيت فرقة واحدة من الجيش معززة بالكثير من القوة الجوية اذا كان القائد جندياً وليس من رجال الطيران. يضاف الى ذلك ان المشروع هو من بنات أفكار وينستون (تشرشل)، وأني لشديدة الارتياب به..

23 أيار

... يقوم الشاه [*] بزيارة هذه البلاد الآن. ومع اني لم أشهد وصوله ركبت في صباح اليوم الثاني مع فرانك والميجر (هي)[1] الى الكاظمية لنراه يزور هناك. وقد فتشنا الدار التي كانت قد رتبت له، من أجل ان نقيم حفلة استقبال فيها. وهناك التقيت برئيس تشريفات الشاه، «وزير دربار»[2]، وهو رجل إيراني متقدم في السن يرتدي سترة ايرانية سوداء، رثة قذرة، غير حليق اللحية، لكنه رجل «جنتلمن» في كل بوصة من جسمه. فتحدثت اليه حديثاً ودياً بالفارسية، بينما كان فرانك يقوم بالتفتيش. قال وزير الدربار ان الشاه كان مسروراً من كل شيء. وركبنا بعد ذلك الى المرقد الكبير عن طريق السوق، فكان المنظر بديعاً. فقد

(*) اي احمد شاهر، آخر شاهات الاسرة القاجارية المالكة في ايران .

(1) هو الميجر دبليو. د. هاي W. R. Hay الذي كادت الثورة العراقية سنة 1920 تجهز عليه في مضيق راوندوز .

(2) تركيب فارسي بمعنى «وزير القصر» .

كان السوق كله مفروشاً بالسجاد ـ الدكاكين والشوارع ـ لا اتذكر أني ركبت سائرة من فوق السجاد في يوم من الايام قبل هذا ـ كما كانت الدكاكين نفسها مغلفة الجدران من الداخل بأطوال الحرير والاقمشة المقصبة بحيث أنك حينما تسير راكباً يقع نظرك في كل جانب على غدران من الالوان .

سيرحل مقر القيادة العامة برمته حالما يغادر الشاه البلاد، الى (كرند) وسيبقى هناك الى حد تشرين الأول. لا أدري فيما اذا كان هذا الترتيب يعزى(*) في النهاية الى السر أيلمر أو الجنرال هامبرو، لكنه خطأ فاحش هناك شعور قوي ضده في الاوساط العسكرية والمدنية معاً. فأمامنا ستة أشهر حرجة، وعلينا جميعاً ان نكون موجودين في مواقعنا. وعلى كل فالسر أيلمر ما يزال رئيساً للادارة ـ حتى اذا كان لا يعرف شيئاً عنها، وكانت المعاملات ما تزال تصدر باسمه. وعليه ان يسمع مناقشتها بعناية تامة ويقدم كل مساعدة ممكنة ـ وهذا شيء لا يمكن ان يحصل بواسطة البرقيات. فلدينا هنا مراوح ومصابيح كهربائية، وكثير من الثلج، وبيوت ممتازة كذلك. ولا يعد الطقس الحار صعوبةً في مثل هذه الظروف، واذا أعتبر كذلك فان أناساً كثيرين، بما فيهم جميع المنتمين الى الادارة المدنية، يجب ان يتحملوه، وعلى مقر القيادة العامة ان يتحمله أيضاً. . .

23 أيار (ب)

. . . منح أي تي ويلسن وسام الـ «كي سي آي أي»(**) ـ اني

(*) يعزوه السر ارنولد ويلسن، وكيل الحاكم الملكي العام، في كتابه المعروف الى السر أيلمر ويحمله قسماً غير يسير من مسؤولية نشوب الثورة العراقية الكبرى (1920).

(**) وفي رسالة بنفس المعنى توردها المس برغوين (في ص 136 ج2) تزيد المس بيل =

لسعيدة، وسعيدة جداً لذلك. فانه يستحق هذا، وانا مسرورة على الاخص من تقدير حكومة صاحب الجلالة لاشتغاله.

. . . ركبت في الصباح مع فرانك والميجر (هي) الى الكاظمية لنرى الشاه يؤدي الزيارة. وقد تحركنا في السادسة فكان صباحاً عظيماً لا يسعكم ان تتصوروا روعة الجو هنا في الصباح، انه غير حار ورائق روقاً ذهبياً ـ فوصلنا الكاظمية في حوالي السابعة. . .

وتطلعت من باب الجامع الى داخل الصحن المقدس، فكانت الساحة التي لا يسمح لنا بدخولها مملوءة بصفوف من خدم (الحضرة) بعمائمهم الخضراء، وجماعات العلماء المعممين بعمائم بيضاء ونيلية، المتشحين بالزبنات الطويلة ـ كان المنظر كأنه صورة پليني الوثني[1]. وقد جاء الشاه بزورق بخاري. وعند ذهابنا الى النهر وجدنا هناك رئيس البلدية السيد جعفر (عطيفة) ـ كان والدي قد تناول الشاي عنده ـ واثنين من الوجهاء وانتظرنا هناك تحت النخيل ـ كانت المشرعة في مقابل الاعظمية تماماً، البلدة السنية. وكان النهر ينساب بلونه الازرق والفضي، والهواء كأنه ذهب سائل، كما كانت بساتين الاعظمية وبيوتها في الجهة المقابلة تلتمع وهي تستقبل أشعة الشمس، وتعلو من بين بيوتها المنارة المرتفعة في العتبة السنية. ما كان أبدعه منظراً لاستقبال الملوك .

حل شهر رمضان وصام الجميع. وقد أقمت أول حفلة من حفلات

= الى ذلك قولها: واني لاعترف بأني كنت أتمنى ان يكون بوسعهم، وقد انعموا عليه بوسام الفروسية، ان ينعموا عليه ايضاً بأخلاق الفرسان المعروفة عنهم تقليدياً .

(1) وهو المشهور باللاتينية باسم ج. پلينيوس سيسيلوس G. Plinius Cae-Cillus (62 ـ 113) المعروف بلقب پلينوس الاصغر. اديب روماني، ورجل ادارة. له مجموعة رسائل تصور بأمانة حياة المجتمع في آخر القرن الأول. ولعل الآنسة بيل، هنا، تشير الى احدى صوره الاجتماعية .

رمضان مساء الخميس الماضي، ودعوت اليها خمسة من الشبان العرب وخمسة من زملائي. وجرى بيننا حديث ممتع عن المعاهدة التركية. وبعد ان انصرف العرب في حوالي الحادية عشر تناولنا عشاءً بارداً بأجمعنا في الحديقة. أني أواصل اقامة هذه الحفلات، أملي ان تكون ناجحة...

1 حزيران

نحن الآن في معمعان هياج عنيف، ونشعر بقلق لا بالنسبة لسلامتنا نحن - لا تفكروا بهذا ولو لحظة واحدة - بل بالنسبة ما اذا كنا سننهي رمضان من دون اضطراب او قلاقل. أننا نعتقد بأن ذلك يُعزى لدرجةٍ كبيرة الى الخطأ الذي اقترفه المقر العام للقيادة العسكرية في البلاد. فقد انتُهي من وضع الدستور ولم يبق الاّ ان يترجم الى العربية ويطبع بحيث يكون جاهزاً للتوزيع. وقد طلب أي تي ويلسن الى المسؤولين بلهجة قوية ان يسمحوا له بأطلاع الرأي العام عليه قبل رمضان، فرفضوا لاسباب مجهولة لدينا وليس هناك على ما نعتقد سببٌ معين عدا انهم يعتقدون دوماً بأنهم يعرفون الامور أحسن مما نعرفها نحن. أنهم ليسوا كذلك. فقد وقع جميع ما كان ويلسن يخشى وقوعه. فأن كوننا لم نفعل شيئاً قط سوى اصدار بيانات عامة عن نيتنا في تشكيل دوائر عربية، واقتران ذلك بالدعاية التي كانت تبث من سورية، مع الاحساسات التي استثارتها شروط الصلح التركية، قد هيأت كلها للمتطرفين في البلاد ممسكاً يتمسكون به الآن. فقد سلكوا مسلكاً تصعب علينا مقاومته، بتوحيد الصف بين السنة والشيعة ومراعاة الوحدة الاسلامية، وهم يسيرون في مسلكهم هذا الى النهاية. فهناك الآن اجتماعان أو ثلاثة تعقد في الجوامع اسبوعياً للاحتفاء بمثل هذه المناسبة غير المسبوقة. ويتم هذا مرة في أحد جوامع السنة واخرى في أحد جوامع الشيعة، فيحضرها الجميع من الطائفتين معاً. وهي في الحقيقة اجتماعات سياسية وليست دينية، ولا أعرف أي شخص يعتقد

بأن هذه الوحدة(*) المتبجح بها تعد شيئا دائماً. وهناك في هذه الاجتماعات كثير من التبشير شبه الديني وشبه السياسي، مع القاء القصائد الشعرية، وينطوي هذا كله في فحواه على (فليخرج الكافر). ان عقيدتي هي ان الناس الذين لهم وزن أثقل في المجتمع هم ضد هذا كله ـ انا أعرف ان بعضهم(**) مشمئزون بمرارة ـ غير انه من الصعب جداً عليهم ان يقفوا في وجه النداء الاسلامي، وكلما طال أمد هذه التحريكات تصبح على جانب أكبر من الصعوبة. لقد بدأت قبل عشرة ايام تقريباً، فأوقف فرانك شاباً متحمساً كان يلقي خطابات طائشة[1]. وقد يكون مصيباً فيما فعل، لكن عمله هذا يعتبر على الدوام نوعاً حساساً من أنواع البت بالامور.

وكان هناك في مساء اليوم الثاني اجتماع عظيم في الجامع الكبير(***) الكائن في الشارع الجديد، فظن فرانك ان ذلك الاجتماع هو تحشد خطر فبعث بسيارتين مصفحتين للقيام بواجب الدورية في الشارع. وقد رُمي سائق من السائقين بالحجارة، واضطر الى التراجع قليلاً فهاجمته الجماهير لكنه أطلق بعض الاطلاقات فوق رؤوس الناس، ودعس أحدهم، فلاذ الحشد المتجمهر بأذيال الفرار كما تفعل

(*) يلاحظ من هذا ان الوحدة الوطنية والدينية التي تمسك بها العراقيون في تلك الايام كانت تقض مضاجع الانكليز وترد كيدهم الى نحرهم .

(**) لا شك ان هؤلاء كانوا من العراقيين الممالئين للانكليز ومن انصارهم المستفيدين منهم .

(1) هذا الشاب هو عيسى عبد القادر، وقد ألقى في احتفال **جامع الحيدر خانة** قصيدة مطلعها :

بني النهرين نسل الطيبينا   افيقوا واسمعوا حقاً يقينا

وقد القي عليه القبض ليلة 24 مايس 1920، والجدير بالتنويه ان عيسى عبد القادر أصبح فيما بعد مدير حسابات الأوقاف.

(***) **جامع الحيدر خانة** في شارع الرشيد.

الارانب[1]. واصبحت الشوارع خالية في ظرف ثانية واحدة من الزمن. لقد سمعت عما كان يحصل ثم سمعت صوت الاطلاقات في اللحظة التي آويت فيها الى فراشي. ولذلك ركبت قبل تناول الفطور في اليوم الثاني الى فرانك لاخبره بما كنت أعرفه، وأخبرني هو بما كان قد حصل. وكان الرجل الذي جاءني بالمعلومات[2] يأتي اليّ في صباح كل يوم فيقص عليّ ما يحصل ويقع بالضبط في جميع الاجتماعات وأبعث بما أحصل عليه منه الى فرانك. وهو يعلم في الغالب جميع ما كنت أعرفه، لكنه كان من المفيد حصول التأكد بالتأييد. وكان قد بعث يستقدم[*] بعض المسؤولين من الناس وقال لهم اننا عازمون على ان نحافظ على النظام في المدينة، وانهم يستطيعون ان يقيموا حفلات دينية بقدر ما يريدون بشرط ان لا تكون ميداناً للعمل السياسي. وكانت النتيجة ان قام في تلك الليلة القاضي العربي الأول في الاجتماع الكبير وطالب أن لا يتحدث أحد بالسياسة، فسار كل شيء على ما يرام. غير ان هرج بغداد ومرجها يثيران كربلا، وكانت اشاعات الليلة الماضية تفيد بأن العرب يقومون، بقيادة عبد الله، بمهاجمة طريقي الفرات والموصل،

---

(1) ولكن هذه الارانب ستقض مضاجع لندن في ثورتها الوشيكة الخالدة.

(2) لعلها تشير الى خادمها الحلبي فتّوح الذي استخدمته في جمع المعلومات من الشارع.

(*) يفهم مما جاء في (الوقائع الحقيقية.. ص 113 ـ 117) لمؤلفه الاستاذ علي البازركان أن السيارتين المصفحتين اللتين ارسلتا الى جامع **الحيدر خانة** كان يجلس في أحداهما الحاكم العسكري فرانك بلفور نفسه شاهراً مسدسه بيده. وقد رشقه المتجمهرون بالحصى والحجارة فجرح في وجهه. وعلى أثر ما جرى من حوادث في تلك المناسبة استقدم بلفور جعفراً أبا التمن، وعلياً البازركان، والاستاذ مهدي البصير، والشيخ احمد الداود، الى مكتبه في السراي فأنب الثلاثة الاخيرين بخشونة واسمعهم كلاماً قارصاً، ولم يتحدث أبا التمن بشيء. ثم صرف الجميع بطريقة غير مهذبة. وكان خلال حديثه معهم ذاك يضمد جراح وجهه بين حين وآخر بالقطن «والپاودر».

ويعزز هذه الاشاعات ان القبائل عبرت الفرات الاعلى في الاسبوع الماضي فغزت عبر دجلة ودمّرت سكة الحديد في أسفل الشرقاط .

ولقد بعث الذين ينظمون هذه الحركة هنا ـ وهناك اربعة اشخاص معروفون جيداً منهم فقط ـ برسالة الى ويلسن يطلبون منه ان يسمح لهم بالمواجهة وتقديم آرائهم اليه. وكان قد رد عليهم بكثير من التعقل يقول بأن في وسعهم أَنْ يأتوا بطبيعة الحال، لكنه لا يعتقد بأن الموقعين على الرسالة يمثلون الجهات المعنية تمثيلاً كافياً، وانه سوف يدعو معهم أيضاً سائر الوجهاء البارزين(*) . ولذلك فقد تبرهن المناقشة على كونها ذات فائدة، لأنني لا استطيع الاعتقاد بأن نسبةً كبيرة من الحاضرين ستطالب بحكومة عربية من دون حماية بريطانية. لا بل ان عدداً منهم مطلعون على مضمون الدستور المقترح ويؤيدونه. وسيتعزز موقف ويلسن لدرجةٍ كبيرة اذا كان بوسعه ان يقدم نسخاً منه الى الباقين، وآمل حتى في هذه الحالة انه سيقدم ملخصاً عنه للمجتمعين .

لا يزال (فتوح)(**) يشتغل عندي، وهو مفيد جداً في تقديم المعلومات. انه يقول ان البغداديين أشرار أسوأ من ريشان (أحد كلاب المس بيل) برغم ان ريشان قد سطا مؤخراً على عدة دجاجات فأكلها(***) .

(*) انها تشير الى طلب «المندوبين» الذين انتخبهم الشعب في جامع الحيدر خانة مواجهة ويلسن ومقابلته لهم في يوم 2 حزيران 1920 (راجع التفصيلات في ص 429 ـ 431 من كتاب فصول من تاريخ العراق الحديث للمؤلفة نفسها، ص 61 ـ 66 من كتاب الثورة العراقية لارنولد ويلسن).

(**) خادمها المسيحي الحلبي .

(***) من المؤسف ان تنحط صاحبة الرسائل هذه مثل هذا الانحطاط في اللهجة وهي في منزلتها المعروفة.

7 حزيران

كان هذا الاسبوع أسبوع حوادث أيضاً. فقد اجتمع ويلسن أولاً بالمحركين، وكانت النتيجة جيدة جداً. اذ حال خطابه بين أصحاب المذكرة وبين ما كانوا يريدون أن يقولوه، وكان حديث الناس في السوق ان المدينة قد بهذلت نفسها فيما فعلت[1]. وما يزال هذا الانطباع آخذاً بالنمو والتوسع، كما علمت من فتّوح، الذي يرتاد المقهى كل يوم[*] .

ثم طار ويلسن في اليوم الثاني الى الحلة والنجف حيث وجد انه ليس هناك أحد يميل الى الاسهام في التحريكات البغدادية، والحقيقة ان أهالي النجف قد رفضوا بصورة جازمة ارسال ممثلين عنهم للمطالبة باستقلال العرب. ويتنازع مناوؤونا في الوقت نفسه فيما بينهم .

يقوم يوسف السويدي، ذلك الحمار الهرم[2]، بتجنيد درك له براتب ستة پاونات في الشهر! وقد نجح في تجنيد عشرين شخصاً، فكان موضع تفكه البغداديين وتندرهم ـ أنهم سرعان ما يهزأ احدهم بالآخر .

لقد هاجمت شمر (وهي قبيلة بدوية تشغل جميع البادية الممتدة بين الفرات ودجلة، وكانت في خصام دائم مع الأتراك) قبل ثلاثة ايام، بتحريض من الدعاية الشريفية وبقيادة ضباط شريفيين، بلدة تلعفر الواقعة على بعد اربعين ميلاً غربي الموصل. ولم يكن عندنا جيش هناك، كما كان معاون الحاكم السياسي يقوم بجولة في الخارج. وقد اعلنوا ان الشريف عبد الله شقيق فيصل موجود في الدير (بينما كان هو في مكة)

---

(1) لا هرج ولا مرج.. ولا بهذلة.. انها الثورة التي افقدت المستعمرين صوابهم.

(*) اليس من الغريب ان تكون المس بيل آراءها من اخبار غير مضبوطة يأتي بها خادمها الغريب عن البلاد من المقاهي!!

(2) الفاظ بذيئة تفصح عما يساور الآنسة بيل من حقد في مواجهة الرجال الذين مسخوا أحلام المستعمرين اضغاث احلام.

وانه يزحف نحو العراق ليتسلم امارته، ثم طالبوا التلعفريين باعلان انضمامهم الى الحكومة العربية والبرهنة على ذلك بقتل الانكليز. ولذلك قتلوا ضابط الشبانة (الكابتن بي ستيوارت)[1]، وكان رجلاً مدهشاً حصل على وسام (دي أيس أو) في الحرب، مع كابتنين انكليزيين[2] وعدد من المسؤولين عن سيارات الشبانة. كما عمد القرويون الى القاء القبض على الكابتن بارلو معاون الحاكم السياسي وبعثوا به الى تلعفر بعد يومين. وهناك تقصدوا ان يقتلوه على عتبة داره[*]. انني لا استطيع التعليق على هذه المأساة.

فخرجت حملة تأديبية في الحال. ولا نستطيع القبض على الشمريين لانهم الآن في نصيبين، غير ان جميع سكان تلعفر سوف يطردون ويطلب اليهم ان يذهبوا الى القرى والسهول، وسيهدم كل بيت من بيوتهم. وسوف لا نسمح باعادة تشييد البلدة أيضاً. أني أوافق تمام الموافقة على هذا القرار، ويوافق عليه كذلك سكان الموصل[**] الذين يقولون لنا اننا اذا كنا الدولة المنتدبة فيجب علينا ان نحميهم من أخطار حوادث من هذا القبيل.

سأذكر لكم شيئاً فظيعاً. فبعد أن وردت أنباء تلعفر قبل أيام توجه السر أيلمر الى طهران مستصحباً معه الجنرال ستيوارت رئيس الاركان، ومعاون رئيس الميرة الجنرال هامبرو. وبعد ان يزوروا طهران سيقيمون في كرند ثم يعودون الى هنا في تشرين الثاني. اننا غير معتادين على ان

---

(1) يراجع الهامش (2) في صفحة رقم 100.

(2) هما السارجنت لاولر، واتلسارجنت ووكر.

(*) الصحيح هو ان الكابتن بارلو قتل على بعد ميلين تقريباً من تلعفر. راجع (الثورة العراقية للسر ارنولد ويلسن، ص 94 من الترجمة العربية).

(**) لابد ان يكون الموافقون من اذناب الانكليز، إنْ وجدوا. اما كونهم يهدمون البيوت فهو شأنهم وشأن المستعمرين الذين ينكلون بمن يطالب بحقوقه الوطنية.

تكون عندنا سلطات عسكرية لا تسهم في مهمة ادارة البلاد بصورة جدية كما نفعل نحن، ونشعر بهذا التهرب في مثل هذه الآونة شعوراً عاماً. فالجنرال فريزر[1] يبذل قصارى جهده في الموصل، وهو مجبر على ان يعمل متحملاً المسؤولية بالكلية، لعدم وجود من يصدر له الاوامر المطلوبة. كنت قد تناولت الغداء مع السر أيلمر في نفس اليوم الذي غادر فيه البلاد، فتحدثنا عن أناس كنا نعرفهم معرفةً مشتركة في لندن منذ القدم، وحينما كنت أهم بالخروج قلت له: اعتقد بأنك حينما تسمع في كرند بأن القبائل العراقية قد احتلت بغداد سوف تذهب الى كرمنشاه؟ فأجاب يقول آه، أنا لا افكر في أية مسؤولية حينما اكون في الخارج!

نتمنى هنا، كلما جلسنا نتحدث، ان يعود السر ويليام[2].

14 حزيران

... مر علينا أسبوع عاصف، فأن دعاية الوطنيين آخذة بالازدياد. وقد أخذوا يعقدون اجتماعات مستمرة في الجوامع حيث ترتفع درجة الحرارة الفكرية الى ما فوق (113) بكثير[3]. اذ يطالب المتطرفون بالاستقلال من دون انتداب. وهم يلعبون من اجل هذا بعواطف الجماهير من جميع الوجوه، مستغلين على الاخص الوحدة الاسلامية وحقوق العنصر العربي. فخلقوا في البلد جواً من الرعب بحيث اذا أحدث أي شخص صوتاً ما في الاسواق فانها سرعان ما تغلق ابواب دكاكينها كما

---

(1) كان هذا الجنرال يقود الفرقة الثامنة عشر في الموصل.

(2) لا نعرف من هو السر ويليام، ولعل المقصود هو السر ايلمر.. الذي ادركه التحريف في الترجمة.

(3) قاست الآنسة بيل درجة الحرارة الفكرية بمقياس فهرنهايت، وهي تعادل بمقياس سلزيوس المئوي أكثر من 35 درجة.. أي أنها لا تطاق.

تغلق المحارة شقّيها[1]. وعلى هذا لم يشتغل الناس في السوق منذ أسبوعين تقريباً. . .

لقد دبجت ثلاث مقالات بطلب من ويلسن حول عصبة الامم والانتداب. فسر بها هو والسر أيدغار، وسوف تنتشر هنا بالعربية والانكليزية .

14 حزيران (ب)

لقد خلق الوطنيون عهداً إرهابياً هنا. فلم يتم أي عمل تقريباً خلال الاسبوعين الاخيرين. وهم يبعثون بأكياس من الرسائل كل يوم الى جميع القبائل يحرضونهم فيها على خلع نير الكفار، لكن القبائل لم تستجب الاّ بكلام هوائي. ولذلك لا اعتقد بأن انفجاراً سيحصل هنا أو في المناطق الاخرى[2]، غير ان الوضع بات دقيقاً خطراً على كل حال، وهو الشيء الوحيد الذي أتلهف لتحاشيه من دون أي شيء آخر. ان البعض منهم يأتي لمقابلتي بعد العشاء في أغلب الليالي، ثم يبدأون من جديد في السابعة والنصف صباحاً. ولا أقصد بهذا الوطنيين بل أقصد المعتدلين والناس المنحازين الى جانبنا، ممن يريدون أن يطمئنوا. وسرعان ما سيبدأ المتطرفون بالمجيء ايضاً. لقد صمد النقيب أطول ما يمكن ـ لكنه غُلب على أمره في الاخير فاضطر لأن يسمح لهم بعقد اجتماع حافل في جامعه. انه لم يكن حاضراً فيه. وقد القى الخطباء خطباً ثورية متطرفة، وتصايح الجميع بالنداءات حتى بحت أصواتهم بأسم استقلال العرب.

ووقف رئيس البلدية عبد المجيد الشاوي موقفاً صلباً كالحجر أنه

---

(1) إنه التجاوب مع الحركة الوطنية. . ولا دخل للرعب فيه.

(2) لقد اثبتت الوقائع التالية سقم ما ذهبت اليه الآنسة بيل.

هو الذي يزورني في السابعة والنصف صباحاً على الاغلب. وأذكر لكم هنا ما يجب علينا ان يكون مكتوماً بيننا، وهو أننا قد أقحمنا مشروعاً يسمح للمحركين المشاغبين بأن يبعثوا بوفدٍ منهم الى لندن، أن ويلسن يؤيد الفكرة، وقد بلغني الآن انهم أخذوا يتكلمون بها جميعهم. ومما يسهل الامر في الحقيقة ان يطلبوا تنصيب عبد الله شقيق فيصل أميراً في البلاد. فعبد الله رجل «جنتلمن» يود الاطلاع على نسخة من جريدة «الفيغارو» حينما يتناول الفطور كل صباح! ولا يخالجني أي شك في أننا لابد من أن نسير معه على احسن ما يكون (*) وعند ذاك ندعو العراقيين من سورية ونشكل حكومة وطنية بأسرع ما يمكن ـ ان قسماً منهم رجال مقتدرون لهم خبرة غير يسيرة في شؤون الحكم. واذا ما عاملناهم معاملة الند للند سوف لا تنشأ أية صعوبة في حملهم على العمل بحكمة .

وكان طريقي أنا في الوقت نفسه صعباً وعراً. فقد كان لي في الاسبوع الماضي مع أي تي ويلسن موقفٌ مروّعٌ (**) . اذ كنا نتمتع بفترة من الهدوء والسكون، ومن المؤسف جداً أني أفضيت الى رجلٍ من أصدقائنا العراقيين هنا بنبذة من المعلومات كان يتحتم عليّ، أصولياً، ان لا أبوح بها. ولم تكن ذات أهمية كبيرة (ان فرانك يؤيدني في هذا الرأي) كما لم يخطر ببالي أني اقترفت خطأ حتى ذكرت الامر بالصدفة لويلسن نفسه. ومن الصدف انه كان متهيجاً للغاية في ذلك الصباح، فأفرغ كل ما ينطوي عليه ذلك التهيج فيّ أنا فقد قال لي ان طيشي وحماقاتي أصبحت شيئا لا يطاق، وانني يجب ان لا أطلع على أية مخابرة أخرى في الدائرة. لكنني اعتذرت عن الحماقة التي اقترفتها بالذات، غير أنه تمادى يقول: انك قد سببت أضراراً أكثر من أي

(*) سيجد القاريء في رسائل اخرى انها تهاجمه بشدة وتهزأ به.

(**) يتذكر القارىء أن المس بيل كانت تمدح رئيسها اي تي ويلسن في رسائل سابقة.

شخص آخر هنا، ولو لم أكن انا مقدماً على الانفكاك لتحتم عليّ ان اطلب اقصاءك منذ أشهر ـ أنت واميرك!! وعند هذا الحد اختنق غضباً. ولذلك قلت له: طيب لقد سببت أضراراً أكثر من أي شخصٍ آخر ـ فاستمع الى ما يجب ان أقوله اذن لانه مهم. فأعطيته المعلومات التي جئت احملها له .

ولم أره بعد ذلك لمدة يومين، لأن اليوم الأول كان هو متغيباً فيه واليوم الثاني كان يوم أحد. لكنني وجدت اليوم في المكتب أوراقاً محولة لي كالمعتاد، كما كان ويلسن لطيفاً للغاية خلال الغداء، وكنت أنا أشد لطفا . ليست لي أية فكرة عما يختلج به قلبه مطلقاً، ولا أنوي كذلك أن أسأل عنه، لكن الامر يكاد لا يصدق، أليس كذلك؟ ان جملة (أنتِ وأميرك) لتضاهي ببراعتها تقريباً جملة «**دسّاسة بالولادة**» .

أني في الحقيقة على علم بجوهر هذا الموقف ـ لقد كنت على حقٍ فيه وكان هو مخطئاً. ولا أحتاج الى القول بأني بذلت جهداً كبيراً في الامتناع عن الاشارة اليه، لكن كل شيء يوجد مكتوباً على الورق. فانك لو تصفحت تقريري عن سورية لوجدت في ضمنه لائحة دستور عراقي أعده ياسين(الهاشمي)، وقد وجدتها لائحة معقولة جداً لدرجة غير يسيرة فذكرت ذلك. لكن ويلسن بعث رسالةً خاصة بملاحظاته على التقرير يقول فيها ان كل شيء من هذا القبيل لا يأتلف بالمرة مع السيطرة البريطانية، وقال لي انه سوف لا يقبل به بتاتاً. ولو كانت عندكم مقترحات لجنة السر بونهام كارتر الدستورية(*) ، وقد بعث بها ويلسن الى المسؤولين في الوطن، لوجدت أنها أكثر سخاءً وتحرراً من مقترحات ياسين. وحينما ألقى ويلسن خطابه على المندوبين اضطر الى

(*) يراجع ما كتبه ويلسن في (الثورة العراقية) الص 37 و38 و40 و49 من الترجمة العربية.

ان يصرح فيه بأنهم قد يحصلون على أمير اذا ارادوا. ولا شك أننا لا نستطيع أن نحول دون ذلك، وليست لنا اية مصلحة في ان نفعل هذا. لكني اعرف تمام المعرفة اننا لو اتخذنا مثل هذا الموقف قبل ثمانية أشهر لما كنا اليوم نقف في الوضع البالغ الدقة الذي نجد انفسنا فيه اليوم. وأتوقع ان يكون ويلسن على علم بذلك ايضاً. أنا شخصياً اعتقد بأنه يجب ان يترك البلاد(*) الآن لانه لا يمكن له البتة ان يتعاطف تعاطفاً حقيقياً مع السياسة التي أختُطت في الوطن سنة 1918. انه في الحقيقة كان يتجاهلها على الدوام. ويعلم الناس هنا انه غير متعاطف مع السياسة المذكورة، ولذلك فهم لا يثقون به .

وقد أكون أنا في الوقت نفسه هي التي يجب ان ترحل عن هذه البلاد، لكني سوف لا أبعث باستقالتي. وانما سأرحل اذا ما تلقيت أمراً بذلك فقط. ومما يجب ان نشكر الله عليه ان السر پيرسي (كوكس) سيكون هنا في الاسبوع القادم، في طريقه الى انكلترة، وسأستشيره في الموضوع .

انتم تعلمون ان ويلسن له صفات حميدة جداً، لكنه يتصف بصفات بغيضة أيضاً. غير انه ليس من السهل على المرء ان يسمع رئيسه المباشر يقول انه كان يجب ان يطلب اقصاءه قبل أشهر، حتى اذا كان لا يعني ما يقول، واعتقد انه لم يكن يعني ذلك .

وصل الميجر كلايتون(**) ليتسلم عمله هنا. فجاء لزيارتي في البيت وتحدثنا سوياً ثلاث ساعات. وقد أدركت حين كنا نتحدث ماذا كان يعني الكفاح ضد التيار طوال هذه الاشهر، لانه يعتبر ما أفكر به هو الرأي الصائب بشأن القومية العربية. آمل ان يكون بوسعه ابداء المساعدة

(*) وهو ما حصل بالفعل بتأثير الثورة العراقية.

(**) انه ليس غيلبرت كلايتون .

في تبديل صبغة الادارة، أعني ادارتنا نحن. اما كيف سيماشي ويلسن فان ذلك ما سنكون بانتظاره .

غادر فتّوح[1] بغداد في الاسبوع الماضي الى حلب بطريق الموصل، لكن شمراً هاجمت خط القطار في تلك اللحظة من ثلاثة أماكن فصدوا عنه بخسارة فادحة. على ان طريق الموصل قد توقف مؤقتاً لسوء حظ فتوح - ولذلك عاد الى هنا وبقي عندي مرةً ثانية ريثما يفتح الطريق .

يعتبر محمد الصدر، نجل المجتهد الاكبر في الكاظمين، الشخصية الأولى في الاضطرابات الحالية. اعتقد انه رجل بارع ومعقول، ولا يمكن ان أصدق بأننا لا نستطيع التوصل الى اتفاق عملي معه اذا حاولنا ذلك نشكر الله ان رمضان سينتهي في هذا الاسبوع، وعند ذاك يمكن ان نفعل شيئاً. لكنك اذا كنت جائعاً، وتجاوز الحد في أكلك فأنت لا تكون معقولاً في منطقك.

20 حزيران

لقد انتهى رمضان. . . ركبت في صباح الجمعة قبل الفطور، وتجولت في ضواحي بغداد حيث كنت أعلم ان الناس يجتمعون. فرأيت العالم كله مبتهجاً بعيد الفطر، وهو عيد التوقف عن الصوم. وكان هناك عدد لا يحصى من باعة الحلوى، «المراجيح» يتأرجح فيها الاطفال، وجماعات النساء اللواتي يرتدين أحسن ملابسهن، وكان الجميع محافظاً على الهدوء والسكينة كأحسن ما تتصور. .

وحينما ذهبت الى المكتب في صباح يوم السبت صادفت غلاّلاً (رئيس القواسين) تعلو شفتيه ابتسامة عريضة فقال لي أن السر پيرسي قد وصل. فقصدت الدار ووجدته يتناول الفطور مع الليدي كوكس والميجر

(1) خادمها الحلبي

موري[1]، وعندئذٍ شعرت كأن حملاً قد ارتفع عن عاتقي. لم أذهب اليوم الى المكتب كالمعتاد، فأرسل لي السر پيرسي ورقةٍ بعد الظهر يخبرني فيها أنه قادم للتحدث اليّ. وقد وصل بعد تناول الشاي فتحدثنا كثيراً عن كيفية تدبير الامور خلال الشهور الاربعة التي سيعود بعدها الى هذه البلاد. فقد أبرقت اليه حكومة صاحب الجلالة بالعودة الى انكلترة في الحال، وسيغادر العراق غداً. ومع أني أكره ابتعاده عنا بطبيعة الحال فأني أحمد الله انه سيكون هناك ليُركن اليه. وسأتمكن من الكتابة اليه بكل شيء كتابةً لا يمكنني ان أكتبها لغيره، لكونه رئيسي، وسيكون بوسعه ان ينفذ ما نريده في الحال. واصطحبني معه في السابعة لزيارة النقيب، فكان شيئاً مؤثراً ان ارى سرور النقيب وفرحه به. وقد جلسنا في صحن الدار ـ كان الجو حاراً رطباً بصورة فظيعة ـ وتحدثنا ساعة من الزمن.. شعرت براحة غير متناهية لأني تمكنت من التحدث في الشؤون العامة هنا، من دون التورط بشيء من عدم التقدير، كما هي العادة في تحدثي اليه. وكانت الليدي كوكس[2] أيضاً على غايةٍ من الود والصداقة.

20 حزيران (ب)

انتهى رمضان والحمد لله، أو الشكر للنبي، يوم الخميس مساءً. وكانت تعقد فيه اجتماعات مستمرة في الجوامع، ولكن من دون قلاقل، وكان السبب في هذا على ما اعتقد اقناعي لفرانك بعدم توقيف المحركين. والآن فان الشرق يعيش عطلته ـ لا أكثر. واذا ما فرك أحدنا عينيه فانه يعجب لكابوس الايام الماضية. قام فرانك بجولة تنطوي على زيارات العيد كما هي العادة في كل سنة، وزار فيها من بين من زار

(1) هو المقدم س. ج. موري الذي كان ضمن الجماعة القوية التي تعاضد سياسة پيرسي كوكس في العراق .

(2) من المعروف ان الليدي كوكس هي ابنة الجنرال ج. بتلر هاملتون .

زعماء الحركة الطائشة الاخيرة ضدنا فاستقبل ببشاشة ودية في كل مكان. وأخذني في العاشرة فذهبنا معاً لزيارة النقيب، وكانت الحرارة ملتهبة في ذلك الوقت والريح نارية محملة بالغبار. فأخذنا الى سردابه البارد، ثم نزل النقيب في الحال مترنحاً الينا بملابسه الصيفية البيضاء وهو يبدو ضعيفاً من الصوم، ولانه كان بطبيعة الحال يستقبل الضيوف منذ ان انتهى من صلاة الفجر. وقد جرى بيننا حديث تافه لكنه حميمي قال له فرانك خلاله ان السر پيرسي كوكس كان ينتظر مجيئه في اليوم التالي فكان هذا الخبر مفاجئاً لي أيضاً .

اما بالنسبة لما وقع بيني وبين ويلسن فلم يذكر شيء عما حصل في الاسبوع الماضي. وهو يحيل اليّ الآن الاوراق لبيان المطالعة كالمعتاد، ونجتمع على مائدة الغداء كأن شيئاً ما لم يحصل. على اني لا أذهب الى غرفته بأية حجة، لأني لا أريد أن أجده من جديد في حالة جنون عاطفية. ولذلك كان عليه ان يأتي هو الى غرفتي حينما يحتاج الى بعض الاشياء، ولما كانت به حاجة الى أشياء كثيرة عادة فقد ترتب عليه أن يأتي عدة مرات. وقد أسرّ فرانك اليّ بأنه كان قد قابله للمذاكرة في مساء اليوم الذي جعلني فيه فرجة للناس فبدر منه نفس العنف، مع شخصٍ آخر هذه المرة. وقد ظن فرانك يومذاك انه لم يكن مسؤولاً عما يفعل .

تعشيت يوم أمس مع السر أيلمر، وكان قد استُدعي ببرقية شديدة صدرت اليه من وينستون تشرشل لكنه ما زال يصرح بأنه ينوي العودة الى كرند بالسرعة الممكنة. انه رجل غريب الاطوار! كان عندي بالمناسبة جماعة صغيرة بينهم الجنرالان هامبرو وستيوارت، فتسنت لي الفرصة لأن أروي لهما معاً قصة ما كان يحدث ويقع في الايام الاخيرة .

جاء السر پيرسي بعد العشاء فأبديت له ما اعتقد بأنه الرأي الصحيح عن الوضع العربي برمته، وبأية حالة سيئة كان يعالج خلال الاشهر الثمانية الاخيرة. فكان سهل التفهم الى آخر حد. وقد جعلني

جلوسي معه أشعر كأنني كنت أجلس فوق صخرة صلبة للامان، بعد التقلبات الجامحة التي وقعت خلال الاسبوعين الاخيرين على أني لم اذكر شيئاً عن موقفي مع ويلسن لأني اعتقد بأن ذلك مجرد حماقة..

27 حزيران

... ركبت في صباح اليوم (الاحد) لارى الحاج ناجي فوجدته في حالة فكرية متوترة جداً. كان ينبغي عليّ أن أزوره قبل هذا، فقد مر عليه وقت عصيب طوال شهر رمضان لان المتطرفين كانوا يضغطون عليه بالتهديد والشتائم لينضم الى التحريكات، فرفض بجرأةٍ ومتانة. وقد حدثني يقول (أنا لا أنام الليل، وأضع حراساً حول بيتي لأني وحيد هنا وبعيد عنكم، وبوسع هؤلاء الكلاب أبناء الكلاب ان يفعلوا كل ما يريدون. ومع هذا فأنك لم تأتِ لزيارتي)[1]. وقد جلسنا في «الچرداغ»[2] بجانب بيته بينما كنت آكل التفاح والرقي وهو يتدفق في أحاديثه وكلامه. فوعدته بأن أمر عليه دائماً، وبأن يكون كل شيء على ما يرام ـ فقد أخذ الناس يستعيدون وعيهم ويرجعون الى الصواب. هذا وقد تم اعتقال بعض الاشرار الحقيقيين في كربلاء والحلة[3] واعتقد ان هذا قد أدى الى بعض التحسن كذلك.

---

(1) يراجع الهامش (3) في الصفحة (84).

(2) حواجز وسقائف، تصنع من الاعمدة الخشبية والبواري تقام على مساحة من الارض مفتوحة على شاطيء النهر. والچرداغ يشبه كابينة البلاج .

(3) قام بعملية الاعتقال الميجر باولي الحاكم السياسي في الحلة وتم فيها اعتقال عدد من وجوه كربلاء بينهم الشيخ محمد رضا بن المرزا محمد تقي الشيرازي، وفي الحلة اعتقلت سلطات الاحتلال رؤوف الامين وجماعته. وقد سيق جميع المعتقلين الى هنجام. ونتيجة لهذه الاجراءات استاء العلامة الشيرازي وطالب بالافراج عن المعتقلين،فلم يفرج عنهم، ولذلك اضطر الى اصدار الفتوى باستعمال القوة والعنف في المطالبة بحقوق البلاد واستقلالها .

من الغريب ان العربي يمكن اخافته بكل شيء تقريباً[1] (ويستثنى من بينهم الحاج ناجي وعبد المجيد الشاوي). فان معظم الناس الذين كانوا يحضرون اجتماعات رمضان في الجوامع لم يكونوا يريدون ان يفعلوا ذلك، وانا متأكدة من ان تسعين بالمئة من أهل السنة ينفرون من الاحتكاك بالشيعة والعكس بالعكس[2]. ومع هذا فان المرء حينما يتكلم بين الناس لا يمكن ان يجرء أحد على مخالفته حتى اذا كانوا لا يؤيدون المتكلم في رأيه. وما يمكن ان نصنعه لهم الآن هو أن ننشئ لهم جسراً يستطيعون العودة عن طريقه الى مسلك معقول فنحن مستعدون لمنحهم جميع ما يريدونه في الحقيقة، وهم على علم بذلك. ومع هذا فأني اسائل نفسي في بعض الاحيان عما اذا كنا مستعدين للذهاب الى الحد الذي يجب ان نذهب اليه لولا وقوع هذه الحوادث عندنا .

ان ما يغيضني هو اللغو الذي يقدم الى الرأي العام البريطاني عنا. فقد نشرت جريدة التايمس رسالة من السر جي بو كانان[3] كانت لغواً وسخافة من أولها الى آخرها. لقد حررت رداً عليه برجاء من ويلسن، وآمل ان يرسل بواسطة مخابر التايمس الموجود هنا. فهذه الاشياء يجب ان يرد عليها دوماً، ومن الخطأ ان لا تفعل ذلك وزارة شؤون الهند، أو ان لا تطلب الينا ان نفعله .

---

(1) هذا هراء لا يعتد به، فالعربي ـ على امتداد تاريخه الطويل، كان معروفاً بالشجاعة، وكانت الشجاعة من سجاياه الأصيلة.

(2) ادعاء فارغ يناقض ما ذكرته الآنسة بيل نفسها في رسالتها المؤرخة في الأول من حزيران 1920 حيث قالت: ان المتطرفين (حسب تعبيرها) سلكوا مسلكاً تصعب علينا مقاومته بتوحيد الصف بين السنة والشيعة.. ثم قالت ان الاجتماعات تجري في مساجد السنة والشيعة ويحضرها الجميع من الطائفتين.

(3) لعلها تشير الى السير جورج وليام بوكانان G. W. Buchanan (1854 ـ 1924) الدبلوماسي الانكليزي المشهور.

27 حزيران (ب)

ان أحوال البلاد آخذة بالتحسن الآن، وهناك في الجو مشروع يبشر بالخير.. وفي زحام الحوادث هذا ليس هناك شك بأن الناس يتجهون الينا هنا. ما زال رئيس(*) البلدية الهرم يمر بي على الدوام في الصباح قبل الفطور لكي يتحدث الى «الخاتون» في شتى الشؤون فقط. وليس في عمله هذا شيء خاص يلفت النظر سوى انه يود ان يفعل ذلك. قال لي يوم أمس أنه آسف جداً لمغادرة فرانك البلاد بإجازة. ثم اردف يقول (وعلى كلٍ ستكونين أنت هنا لتعرفي الميجر بولارد[1] بالناس، وبقيمة كلٍ منهم) ان هذا النوع من الملحوظات يجعل من الصعب على المرء ان يترك البلاد، اليس كذلك؟...

لقد توصلنا الى أن تقريري(**) يجب ان ينجز بأسرع ما يمكن، وقد أخذ السر پيرسي نصفه الأول معه الى الوطن. وسوف أبعث له بقسم آخر منه هذا الاسبوع، ولم يبق لي الآن سوى نصف فصل عن الادارة وآخر فصل عن الشوؤن السياسية على أني أود أن احتفظ بالفصل الاخير عندي لمدة شهر آخر أتمكن خلاله من الحصول على شيء مفيد أنهى به الفصل. لكننا يجب ان نزوق التقرير لنبين ان العمل هنا يجري على احسن وجه، ورجائي ان تتفضلوا علينا ببث أكثر ما يمكنكم ان تفعلوه من الدعاية له...

4 تموز

ما تزال الاجتماعات مستمرة في الجوامع مع ان شهر رمضان قد

(*) كان رئيس البلدية يومذاك عبد المجيد بك الشاوي.

(1) يراجع الهامش 46 .

(**) انها تشير الى التقرير الكبير (سي أيم دي 1061) الذي ترجمناه ونشرناه بعنوان «فصول من تاريخ العراقي القريب».

انقضى، كما أخذت العشائر تبدي شيئاً من التمرد[1]، وهو أمر يدل على شيء. تتذكرون صديقنا حسن السهيل شيخ بني تميم، لقد غزا فريق من قبيلته بعض عشائر الدليم. فجاء الشيخ حسن الى فرانك يقول ان الدليم طالما كانوا موالين على الدوام فعلينا ان نلقي درساً على ذلك الفريق من تميم، واذا كان فرانك مستعداً لأن يأتي بالخيالة لهذا الغرض فهو (أي الشيخ حسن) مستعد للركوب معه. ولذلك خرجوا في حملة ليلية، وطاردوا المعتدين فألقوا القبض على اثنين منهم، وكان الشيخ حسن في مقدمة المطاردين .

لقد سلبت قبيلة نذلة[2] صغيرة بالقرب من المحمودية، في منتصف الطريق بين الحلة وبغداد، كثيراً من الزوار الايرانيين وهي الآن تتحدى الجميع. فتحتم علينا ان نسوق جيشاً ضدها كذلك. وأشد من هذا خطورةً، قيام عشائر الفرات النازلة ما بين السماوة والديوانية بثورةٍ عارمة، وقد قطعت خط القطار في ثلاثة مواقع. ان القبائل هناك من أكثر العشائر العراقية تمرداً. فقد كان الاتراك عاجزين تجاهها، ولم يكونوا يستحصلون ولا بنساً واحداً من المنطقة بصفة ضرائب مدة سنين عديدة. اما نحن فقد استطعنا ان نستحصل ما نريده منها بالتمام، وحينما كان الشيوخ يبدون أية مقاومة كنا نقصف قراهم بالقنابل[3]. أنهم اشرار أنا على علم بذلك وكذلك كل فردٍ آخر غيري[4] لكنني اشك فيما اذا كنا قد سلكنا سلوكاً صائباً في هذا الشأن يجعلهم يقدرون منافع الحكومة

---

(1) اذن، اين هذا من قولها (في الرسالة المؤرخة 14 حزيران 1920)؟ انها هناك قالت ان القبائل لم تستجب للنداء الوطني الا بكلام هوائي..
وهي الآن تقول ان العشائر اخذت تتمرد!!

(2) كان الأحرى أن تتجنب الآنسة بيل مثل هذه الألفاظ البذيئة في رسائلها.

(3) هكذا منطق الغزاة: اما النهب واما الموت!!

(4) طبيعي أن يكونوا أشراراً في نظرها ونظر الحكام العسكريين ومعاونيهم.

المستقرة. وكنت أنا وأناس آخرون نقول للمستر ويلسن منذ اشهر اننا كنا نضغط عليهم بأكثر مما يجب من الشدة، وكنت أتوقع باستمرار ان تبدأ الاضطرابات والقلاقل في منطقة الديوانية هذه اذا ما قُدّر لها ان تقع .

هناك الآن حادث واحد يبشر بالخير ـ فقد تسلمنا برقية من اللينبي(*) يحثنا فيها على السماح لجعفر باشا (العسكري) بأن يحضر الى هنا ليشرح وضع حكومة فيصل، فسلمها ويلسن اليّ فأجبته بأن ذلك يعتبر فرصة حسنة. فقد كان ما فعلته سورية أساساً للاضطراب الحاصل عندنا، وسوف لا نستطيع التقدم الى الامام ما لم نتفق مع فيصل ونعامله معاملة الرجل للرجل. فان وجود جعفر باشا هنا، وهو على أتم الود معنا كما سيكون على كل حال مع الكابتن كلايتن ومعي أنا، سيؤدي الى احباط الدعاية المناوئة للبريطانيين، وكان فيصل يعارضها دوماً، من الاساس. وكان جعفر يراسلني خلال الشتاء كله ويطلب العودة الى هنا، لكن أي تي ويلسن لم يكن يسمح لي بتشجيعه. وعلى كلٍ فما الفائدة التي كانت ستحصل فيما لو جاء الى هنا ولم يهتم به أحد كما كنت اتوقع ان يكون.

لقد أقمت حفلة عشاء صغيرة في الاسبوع الماضي ـ حضرها الميجر ويتلي والميجر موري، والمستر بولارد، ورؤوف الچادرچي(**) . أنه ابن احد وجهاء بغداد ولم يعد الى هنا الاّ مؤخراً ـ لم نكن نسمح له بالمجيء قبل هذا بحجة كونه عضواً فعالاً في الاتحاد والترقي. وكان

(*) كان الجنرال اللينبي بصفته قائداً عاماً في جبهة مصر مسؤولاً عن جميع المعاملين في تلك الجهات ومنهم جعفر العسكري.

(**) كان رؤوف الچادرچي اخا للاستاذ كامل الچادرچي، وكلاهما من ابناء رفعت الچادرچي.

هذا على درجةٍ من السخف بمكان على ما اعتقد. انه يتكلم الفرنسية والانكليزية والالمانية بطلاقة ويتخذ موقفاً ساخراً منعزلاً على حدة بالنسبة لجميع ما يحدث الآن هنا. لكن أقرباءه كلهم هم في وسط التحريكات والمشاغبة الحاصلة. وهو رجل ذكي، بيد انه غير متزن جداً على ما أحسب. ومن عادته أن يأتي لزيارتي باستمرار، فأتحدث اليه كما لو كان واحداً منا. اعتقد انه سيتسنم بعض الوظائف هنا في المستقبل، واتولى انا تقديمه الى زملائي على مهل .

4 تموز (ب)

ان طغيان السياسة يمد ويجزر ولا تتقدم تقدماً ملحوظاً. لقد مَرَّ بي رئيس البلدية صباحاً، عندما كنت اتناول الفطور قبل أيام، جرياً على عادته وأخبرني بأن عدداً من وجهاء البلد اتصلوا به وسألوه عما اذا كان بوسعهم ان يتأكدوا من اننا راغبون حقاً في تأسيس حكومة عربية اذا قبلوا هم بالانتداب. فأجابهم بأنهم يمكنهم ان يتأكدوا من ذلك وانه مستعد للذهاب معهم الى أبعد من هذا في أي وقت، غير انهم لم يفعلوا أكثر من هذا حتى الآن.

ركبت في صباح اليوم قبل الفطور لزيارة الحاج ناجي فوجدت عنده أناساً كثيرين. وقد تحدثنا طويلاً في الوضع السياسي، فأشاروا الى الكثير من هفواتنا وأكثرها مما كنا قد سهونا عنه لا مما اقترفناه عمداً، فكانت ملاحظاتهم شيئاً معقولاً للغاية، وقد أبديت تعاطفي التام معهم. اذا اتفقنا جميعاً على انه ليس ثمة ما يدعو الى عدم امكان تطبيق الانتداب اذا توفر حسن النية عند الطرفين. اما الحاج ناجي، وهو معنا قلباً وقالبا، فقد ساهم مساهمة حكيمة في الحديث. .

تعد حركة الرميثة(*) حركةً خطيرة. فهناك حوالي مئتين من رجالنا محصورين فيها، معظمهم من الهنود المستخدمين في السكك، وقد عجزنا حتى الآن عن فك الحصار عنهم. اما الطعام فيرمى لهم الآن من الجو بواسطة الطائرات. ان ما أمكنني استنتاجه مما حصل هناك هو ان القضية قد عولجت علاجاً سيئاً منذ البداية، ولا شك ان السبب يعود لدرجةٍ ما الى ان مقر القيادة العامة للجيش كان يصطاف في الجبال الايرانية، وقد رفض ان يدرك أهمية هذه الثورة. فقد استولت العشائر على قطار أو أكثر من قطارات النجدة مع رشاشات لويس المزودة بها، وأخذوا يتمرنون جيداً بواسطة تلك الرشاشات على اسقاط طائراتنا حينما كانت تطير لالقاء الطعام على المحاصرين. ونظراً لأن وسائل النقل بالسكك لم تكن كثيرة قط، فقد اصبحت تقل عن الحاجة بصورة مؤلمة في هذه الظروف، وبات من الصعب تجهيز اللواء المنجد بما يريد أو سوق الامدادات بالسرعة الممكنة. وقد بدأت الحركة بتوقيف اثنين من الشخصيات البارزة في منطقة قناة الدغارة(**) من قبل الحاكم السياسي الميجر ديلي[1]. وبينما كانا في القطار الذي سيقا فيه الى البصرة انقذتهما العشائر منه وقطعت خط السكة. وكان على الميجر ديلي ان يعرف ما اذا كان في وضعٍ يستطيع فيه اتخاذ مثل هذه التدابير الصارمة أم لا ـ لقد اتضح الآن انه لم يكن يعلم ذلك. لكن القضية كلها لها جذور أطول من هذا بكثير. ولم تنتشر الحركة في الوقت نفسه الى أبعد مما انتشرت اليه.

(*) يراجع ما كتبه ويلسن عن الموضوع في كتابه (الثورة العراقية) ص 101 ـ 103 من الترجمة العربية .

(**) ان المعروف لدى الجميع ان السبب المباشر للثورة كان توقيف شعلان ابي الجون شيخ الظوالم في منطقة الرميثة .

(1) كان حاكماً سياسياً في الديوانية .

اذ كان الميجر نوربري قد حصلت له بعض المشاكل مع اصدقائنا شيوخ الفتلة، لكن السلم امكنت المحافظة عليه. ويعزى كثير من الفضل في هذا الى الميجر نوربري[1] نفسه، فقد كان هو والكابتن مان متعقلين جداً، وعلى جانبٍ غير يسير من البراعة واللباقة.

لقد استحصل اي تي ويلسن رخصة الجهات المختصة في الوطن بأن يشرع في اتخاذ استعدادات فعالة لدعوة مجلس دستوري الى الاجتماع. وسوف يدعى جميع (المبعوثين) السابقين للاجتماع في مجلس خاص ومناقشةالاسس لطريقة الانتخاب. وكان المبعوثون بوجه عام، سواءٌ أكانوا ممثلين حقيقيين ام لم يكونوا (لم يكونوا بطبيعة الحال لكونهم كانوا منتخبين من قبل جمعية الاتحاد والترقي)، رجالاً بارزين لهم شيء من القابلية والمقدرة، ولم يكن لنا دخل في انتخابهم، بل كان في فكرنا ان مجموعةً من الناس، كان قد تم انتخابها في أيام العهد السابق لتمثل العراق، قمينة بأن تدعى لهذا الغرض، ريثما يتم انتخاب جماعة جديدة. وهي تضم الرجل الطيب عبد المجيد الشاوي[2] ـ كما تضم أيضاً السيد طالب النقيب. وسيكون من المهم جداً ان نرى أي موقف يتخذ. وكان فرانك[*] يصر خلال الاسبوعين الاخيرين على أننا يجب ان نستفيد منه، وأنا أؤيده في هذا. فقد كان يجلس معتزلاً، ويرفض الاسهام في التحريكات القائمة للمطالبة بالاستقلال التام، وكان وجهاء البصرة جميعهم مبتعدين عنها ابتعاداً جازماً. لقد صوتوا على اصدار قرار شديد اللهجة في صالح الانتداب البريطاني من مجلس ادارة المنطقة[3].

---

(1) الحاكم السياسي في الكوفة.

(2) عرفنا الآنسة بيل، دائما، لا تثبت على رأي.. فهي لا تمدح احداً في رسالة الآّ وتذمه في رسالة اخرى.

(*) فرانك بلفور حاكم بغداد العسكري.

(3) وماذا يريد الوجهاء غير هذا؟

ولم يكن من جهةٍ أخرى قائدا الحركة البارزان، يوسف السويدي والسيد محمد الصدر، من المبعوثين السابقين. وكانا في الوقت نفسه مشغولين في ترشيح الاشخاص الذين يذهبون في وفدٍ خاص الى لندن (وهما من جملة المرشحين). فقد استطاعا ترشيح اربعة ثم تنازعوا كلهم فاستقال أحد الاربعة. وأشك في انهم سيتوصلون الى اتفاقٍ ما في هذا الخصوص. لكنني أتوقع ان مشروع المبعوثين اذا ما نجح في الغرض الذي وضع من اجله فان فكرة ارسال وفد الى لندن ستموت موتاً طبيعياً. ولا اقول هذا لأني أهتم بتوجههم الى 'هناك مطلقاً. بل لأن الفكرة ستبقيهم منشغلين خلال الشهرين او الثلاثة التالية من دون ان يصدر منهم أي اذى .

اعتقد انه يكاد يكون من الضروري، اذا اردنا ان نصل الى نتائج مرضية، ان نستدعي بعض العراقيين من دمشق الى هنا. وأحسب ان حكومة صاحب الجلالة لم تسمح حتى الآن بهذا، لكنه من المحتمل ان تكون توصية اللنبي القوية بوجوب السماح لجعفر پاشا بالمجيء هي التي تجعلهم يبدلون رأيهم. وقد يفعل السر پيرسي شيئاً أيضاً في هذا الاتجاه..

11 تموز (ب)

.. ذهبت لتناول الشاي مع الراهبات الفرنسيات في المستشفى الملكي، ولاجراء الترتيبات اللازمة مع الكابتن ابراهام[1] لفتح مستشفى صغير يخصص لنساء الطبقة الراقية[2]. وقد جمعت ما يزيد على عشرين ألف روپية لهذا الغرض، ومع ان هذا المبلغ لا يكفي للبناء فأنه سيكفي

(1) عين الكابتن ابراهام الضابط الطبيب في بغداد في 8 مايس 1919، واصبح في سنة 1923 مفتشاً عاماً في دائرة الصحة بوزارة الداخلية .

(2) يبدو ان الطبقة الراقية كانت دائماً موضع رعاية الآنسة بيل وسلطات الاحتلال .

لترميم بناية قديمة منفصلة على حدة. وستكون عندنا بهذا الترتيب اربع غرف في كلٍ منها سرير واحد، و هي ما سنبدأ به..

20 تموز

.. ما زال «الوضع الراهن» محافظاً على بقائه هنا، لكن العشائر تبدي امارات الرغبة في التصالح. فقد اعلنت الجمهرتان الكبيرتان في منطقة الشامية، الخزاعل وبنو حسن، الثورة لأنهما لم تفعلا شيئاً يعتد به حتى الآن. وكان الخزاعل بعهدة الكابتن مان في أم البعرور، وهي قبيلة كبيرة مهمة. ويبدو انه ليس هناك أي نوع من العداء ضده، ولذلك ظلوا يؤكدون له عزمهم على مؤازرتنا الى ما قبل أيام قلائل، لكنهم حينما عقدوا النية على الانضمام الى الحركة الوطنية خيّروه في الذهاب الى أي مكان يريده. فأخبرهم أنه لا يريد الذهاب الى أي مكان بعد، وسيبقى في أم البعرور. اما بنو حسن فهم منقسمون الى جماعتين يرأسهما أخوان(*) . فلم يعلن عمران شيخ الجماعة الشمالية الثورة في الحقيقية وهو يقضي نصف وقته في مساعدتنا. وكان الاخ الآخر، علوان، النازل بالقرب من الكوفة أقل ثباتاً واتزاناً على الدوام. والمفروض انه قد أعلن الثورة الآن. لكني لا اعتقد بأنه قد فعل الكثير حتى الآن .

وتقف الامور في بغداد عند حدها. فقد قبل واحد أو اثنان من المبعوثين السابقين الدعوة الى تشكيل اللجنة المطلوبة وترامى اليّ ان اثنين آخرين قد رفضا الدعوة. ولذلك يخالجني شك قوي في نجاح السيد طالب في تمشية المهمة المودعة اليه اذا ما قبل بالمجيء الى بغداد .

عاد مقر القائد العام الى هنا نهائياً، بما فيه الجنرال هامبرو وأحسب انه كان أكثر احجاماً من غيره في المجيء. وذهبت في الاسبوع

(*) هما عمران وعلوان الحاج سعدون.

الماضي لتناول الشاي مع السر أيلمر والجنرال ستيوارت، فكان السر أيلمر لطيفاً للغاية ومعقولاً، وقد تحدثنا طويلاً حول جميع ما كان يحدث فقدمت له مقترحات اقترنت بقبوله. ثم بعثت في النهاية بمذكرة موجزة الى أي تي ويلسن، فكان نصيبها ان ترمى في سلة المهملات على ما اعتقد. وكانت الفكرة اننا ينبغي ان نحاول التفاوض مع العشائر بواسطة لجنة من أهل البلاد ذوي الوزن الثقيل، واقترحت ان تؤخذ مشورة النقيب ثم عينت أشخاصاً مناسبين للعضوية. ان السر أيلمر يؤيد تمام التأييد فكرة الحل الوسط. لكن رأيه لا وزن له نظراً لجهله التام بشؤون البلاد ـ وحتى جغرافيتها تعتبر لغزاً مستديماً بالنسبة له!

. . . حبيبي الوالد، أملي انك تلتذ برسائلي بقدر ما التذ بكتابتها! فاذا كانت في نظرك وسائل حمقاء فأن عذري الوحيد أني أعيش في عالم مجنون الى آخر حد. أضف الى هذا ان حرارة الجو تجعل المرء خفيف العقل، وعلى المرء ان يقبل بما يقع من يوم لآخر من دون ان يستغرب من شيء. . .

26 تموز

. . . لقد تزحزحت أحوال البلاد قليلاً عما كانت عليه حينما كتبت اليكم في الاسبوع الماضي. فقد انجدنا الرميثة ـ لكننا قاتلنا قتال انسحاب على طول تراجعنا، وتركت البلاد ما بين الديوانية والسماوة فريسةً للفوضوية والاضطراب[1]. فليس لدينا جيوش كافية نعالج بها الامور في هذه الجهات حالياً. وبقيت هادئة ـ كنت مخطئة حينما ذكرت ان عمران شيخ بني حسن قد تخلى عنا. لقد صمد بمتانة، لكن موقفه موقف صعب جداً، لأن أخاه علواناً قد أعلن الثورة مع جميع الفريق

---

(1) انها تركت ملكاً لاهلها لا فريسة للفوضى والشغب .

الجنوبي من العشيرة المحيط بالكوفة. وقد حُصر الكابتن هوپكنس مع أناس آخرين في أبي صخير أربعة ايام، لكن قسماً من محاصريهم كانوا يرون ان يسمح لهم بالذهاب الى الكوفة سالمين، وضغطوا على الباقين في هذا المآل. وكان الكابتن مان كذلك قد جاء الى الكوفة، فسقط طريح الفراش وهو يصارع حمى خبيثة جداً، استولت عليه بسبب الاجهاد والقلق على ما اعتقد. وكان الفتلة قد حاولوا ان يقتلوه مرتين لكن القبائل التابعة له قد نجحت في حمايته(*) .

وصل السيد طالب يوم امس، وجاء بعد الظهر لزيارتي. وكان السبب في مجيئه الى بغداد دعوة المبعوثين السابقين الى الاجتماع، فالمفروض ان يجتمعوا هنا في الحادي والثلاثين من هذا الشهر، لقد أخذ فريق الوطنيين يعارض المشروع لأنهم يرون فيه محاولةً منا لتغوير الارض من تحتهم. فان ما يريدونه هو ان يمضوا في الحال الى تشكيل مجلس استشاري باختيارهم يتغلبون فيه على جميع العناصر المعتدلة اذا لم يستثنوهم استثناءً تاماً. أما «الكليشة» التي أخذوا يتذرعون بها فهي انه من المعلوم جيداً في أيام الترك أن النواب كانت تعينهم لجنة من جمعية الاتحاد والترقي، ولذلك لم يكونوا يمثلون الشعب برمته. والشيء المضحك هو ان هذا الاتجاه يؤمن به أناس كانوا هم أنفسهم من مشايعي «الاتحاد والترقي» العنيفين. على ان الرد على اعتراضهم هو أولاً ان الذنب في ذلك كان ذنبهم لأنهم سمحوا لأنفسهم بأن يتم تمثيلهم على هذه الشاكلة. اما نحن فنأخذ المؤسسات التركية السابقة بموجب قيمتها الظاهرية في هذا الشأن وغيره. وثانيا ـ وهو الحجة الحقيقية ـ ان جمعية الاتحاد والترقي كانت تنتقي من تريد باعتناء بالغ، وان المبعوثين

(*) كان المعروف في تلك الاثناء ان مرزوقاً العواد شيخ العوابد هو الذي حماه وأوصله سالماً الى الكوفة.

السابقين هم جماعة من الناس ربما كانوا سينتخبون بجدارة تامة لو كانت هناك انتخابات حقيقية. لكن ثغرةً كانت قد تركت بمنح هيئة المبعوثين السابقين الحق في انتخاب اعضاء جدد يضافون الى عددهم لكي ينفسح المجال بالاسهام لبعض الوطنيين المتقدمين، مثل يوسف السويدي، الذي يصادف ان يكونوا من غير المبعوثين السابقين. وليس هناك أيضاً أناس من الشيعة بين العدد المذكور من الاعضاء ـ لم يكن أي شيعي يشغل أي نوع من المناصب الحكومية في أيام الترك ـ ولذلك يترتب على المبعوثين السابقين ان ينتخبوا البعض منهم. ويشغل السيد طالب وضعاً فريداً في بابه بينهم. فقد بدأ بكونه عضواً في جمعية الاتحاد والترقي، ثم انقلب انقلاباً عنيفاً عليهم وقاد الحزب الوطني المتقدم في أيام ما قبل الحرب وينظر الناس الجدد اليه بالشك والريبة، لانهم يشكون شكاً هم على حق فيه بأنه يستهدف تسنم منصب السلطة الذي يريدونه لانفسهم، ولانهم يعرفون لدرجةٍ ما أنه على اتفاقٍ تام معنا وليس من المحتمل ان يعمل من أجل تشكيل حكومة عربية حرة من دون انتداب. على أنهم يخشونه ـ وهم على حق في هذا أيضاً، فهو أقدر رجل في البلاد. وعلينا أن نتذكر انه رجل عديم الضمير كذلك، لكن مصالحنا ومصالحه تلتقي في صعيد واحد[1] كما قال لي بصراحة في الليلة الماضية. وما يستهدفه في الحقيقة هو الحصول على ضمان من عندنا بأنه اذا ما نجح في تشكيل حزب معتدل سنؤيده في الحصول على المنصب الاسمى في البلاد. وهذا بطبيعة الحال لا يمكن ان نعطيه أياه، لاننا لا نستطيع ان نقيد الحكومة العربية، بعد ان تكون قد شُكلت، في انتخاب شخصٍ ما لرئاستها.

---

(1) لقد أثبتت الوقائع، فيما بعد خطل هذا الرأي، وان مصالح السيد طالب النقيب لا يمكن ان تجتمع على صعيد واحد مع مصالح المستعمر.

. . . لقد كتبت ما كتب في أعلاه قبل الفطور، وحينما وصلت الى المكتب ألفيت ان جميع معالم الوضع في الفرات قد تبدلت. فقد التحقت جميع القبائل بالثورة، فأخلينا السدة، ونحن نخلي الديوانية الآن. ولا أدري اذا كان بوسعنا ان نتمسك بالحلةأم لا، ثم حوصر الميجر نوربري في الكوفة. على أنه هناك جيش تحت تصرفه مع كثير من الاقوات، ولذلك هو في وضع حسن. ويبدو لي ان السلطات العسكرية كلها على جانب من عدم الكفاءة لا يمكن تصوره. اما الفضيحة التي تبلغ الذروة في هذا الوضع السيء فهي ما حدث في سوق فوج مانشستر قبل يومين من الحلة الى الكفل. فقد أمروا بالتحرك في الرابعة صباحاً، لكنهم تحركوا في العاشرة مع جراية يوم واحد وقناني مائية فقط. أنتم تذكرون ذلك الطريق الحار القاحل؟ تصوروا المسير فيه في منتصف النهار خلال شهر تموز! وما قطعوا سبعة عشر ميلاً عن الحلة حتى أخذوا يتساقطون من ضربة الشمس. فهاجمتهم القبائل ـ هجوماً غير شديد على ما أحسب، لكنه كان أكثر من المطلوب لفوج مانشستر المذكور لانه لم يكن قد بقي في جنوده رمق للدفاع. فاستولت العشائر على المدفعية والذخيرة التي كان يستصحبها الفوج معه الى الكفل، وعند ذاك لم يمانعوا في مجيء وسائل الاسعاف من الحلة لالتقاط المصابين بضربة الشمس او الرصاص(*).

اعتقد ان هناك جيوشاً أخرى قادمة من الهند، لكنهم ما لم يبعثوا بقيادة عليا جديدة معها فانهم يستطيعون ان يبعثوا بسهولة عشرين فرقة لتذهب عبثاً.

وقد خلق البغداديون في الوقت نفسه، وهم مسببو جميع هذا

(*) لا شك ان الكاتبة تشير الى واقعة الرارنجية التي تعتبر من اهم وقائع الثورة العراقية.

الاضطراب، عملاقاً لم يعودوا يستطيعون السيطرة عليه. فالعشائر تتمتع تمتعاً تاماً بالثورة الآن، وسوف لا يصيخون السمع لأي كان. أنهم يتوقون الى حلول فترة طويلة من نعيم لا يدفعون أية ضريبةً في ظله. لكن البغداديين لا يودون كل ذلك ـ والحقيقة أنهم مذعورون للغاية[1]. فقد زارني اليوم وجيهان من وجهاء السنة البارزين، أصحاب العمائم، وكان أحدهما من الوطنيين المعروفين فرحبت بهما. وقالا «لقد جئنا لزيارتك لأنك محبوبة من الناس، وكل فرد في بغداد يمدحك ويثني عليك. وهم يقولون نتمنى ان يكون رجالهم مثل نسائهم». وحينما سألتهما بعض الاسئلة البارعة اكتشفت أنهما جاءا ليعلما فيما اذا كان يمكن ان نفعل شيئاً ناجعاً لتهدئة العشائر. وخلاصة ما انتهينا اليه اننا وضعنا مشروعاً لتشكيل لجنة مشتركة من السنة والشيعة تذهب الى كربلاء والنجف. وأخذته بنفسي الى أي تي ويلسن فبدا الانزعاج على وجهه وقال أنه لا يستطيع ان يستمع الى شيء مني ما لم يقدم اليه عن طريق الكابتن كلايتون[2]. فأجبت بأني كنت أكثر من مستعدة لجعل الكابتن كلايتون يتصل بكل أحد لكنني اعتقد بأنه من المناسب ان أسهم انا بالامر، لانه لما كان حديث عهد بالدائرة وأعمالها فأنه لا يعرف الناس الذين كنا بصدد الحديث عنهم، ولا يستطيع تقديم أية مقترحات. فتحتم على ويسلن حينئذٍ ان يهبط من عليائه، وجئت بعزيزنا الكابتن كلايتون فجلس يستمع بينما انهينا وضع المشروع. انه مشروعي انا من رأسه الى منتهاه، اذ كنت قد قدمت مذكرة الى ويلسن في هذا الموضوع قبل عشرة ايام. لكن الوجيهين المعممين يعتقدان بانه من بنات أفكارهما، والفضل يعود للدقة المتناهية التي عوملا بها في صباح هذا اليوم، ويعتقد ويلسن كذلك أنه مشروعهما .

---

(1) عادت الآنسة بيل من جديد الى زرع البغضاء والكراهية بين الريف العراقي وبغداد

(2) تشير الى الكابتن ج. ن. كلايتون الذي كان ضمن الجماعة القوية التى تؤازر پيري كوكس في العراق.

وسيأتي الاثنان غداً ليعطيانا قرارهما النهائي في الامر، لكنني أخشى ان يقولا بأنه يتعذر عليهما الاضطلاع بالمهمة. وكانت رغبتهما ان يضعا اللوم بأجمعه على الشيعة، وان يتركاهم ليخرجوا بأنفسهم من الحفرة التي كان السنة في الحقيقة قد اسهموا في حفرها بقدر ما فعل الشيعة. وهما يكرهان كذلك فكرة العمل في لجنة مشتركة مع الشيعة، مع أنهما لا يستطيعان الاعتماد على الشيعة في انهاء المهمة لوحدهم. لكنهما لم يكن بوسعهما ان يرفضا العمل المشترك مع الشيعة لانهما كانا خلال رمضان كله يبشران بوحدة الاسلام الكاملة ضدنا كما لا يخفى عليكم. لقد لعبت تلك الورقة بكل ما تنطوي عليه من قيمة فكانت الحيلة ناجحة في كل مرة.

وقد تكوّن في غضون ذلك وضعٌ جديد في سورية، وهو وضع لست بحاجة الى ان أقول انه وضع ملعون. فمهما حصل الفرنسيون على نجاح مبدئي فيها فانهم لابد من ان يسقطوا الى الحضيض في النهاية، كما لابد من ان نصعد نحن الى القمة هنا اذا ما نفذنا المنهاج الذي ندعي باننا سوف نقوم بتنفيذه، لان هناك تعاطفاً أساسياً بيننا وبين الأهلين هنا (!!) وكرهاً اساسياً بين السوريين والفرنسيين.

اعتقد بأن فيصلاً سيحارب، كما اعتقد بأنه سيطلب معونة مصطفى كمال في تركية. فأية جهة أخرى يمكن أن يتوجه اليها للمساعدة يا ترى؟ وسيعني ما يحدث، مهما كان نوعه، تطاول بقاء السخط والمرارة اللذين لابد من ان ينعكس تأثيرهما علينا هنا. وعلى كلٍ، فأني اذا ما انسحب البريطانيون من العراق سأبقى في هذه البلاد بهدوء وأرى ما يحدث..

وقد ننقطع نحن عن العالم في أية لحظة، اذا ما ثارت عشائر دجلة. وسوف لا يهمنا ذلك على ما يظهر. والحقيقة اني لا اهتم قط بما يحصل[1].

---

(1) انها شجاعة المتورط!!

2 آب

لم يعد عالمي الى رشده(*) منذ ان كتبت اليكم آخر مرة.. . ان ملخص رأيي في هذا الشأن هو أننا لا يمكن ان نترك البلاد تتخبط في حالة الفوضى التي سببناها فيها، مهما كان نوع السياسة التي سنسير بموجبها في المستقبل، فليس في مقدور أحدٍ ان يسيطر عليها اذا لم يكن في مقدورنا نحن ان نفعل ذلك. واذا ما قررنا الانسحاب على الفور فعلينا أن نبعث بفرقتين من الجيش الموجود في الهند على الاقل لننقذ الموظفين والقوات المحاصرة هنا. على ان الاحرى بنا ان نستخدم هاتين الفرقتين، او ما يقل عن ذلك، في اعادة الامن والنظام الى نصابهما في البلاد. وحينما يتم ذلك علينا ان نبدأ بالبحث من جديد.. .

ولو عهد اليّ بالامر فسوف أرخي حبلاً طويلاً للعرب، كما قلت مراراً من قبل، وأطمنهم باننا لا يمكن ان نساعدهم ما لم يطلبوا هم مساعدتنا، وأنا متأكدة من انهم اذا وثقوا بنزاهة (!) نوايانا فانهم سيطلبون مساعدتنا من تلقاء أنفسهم.. .

ذهبت مع الكابتن كلايتون، والميجر بولارد، والميجر بومان، وغيرهم لمشاهدة رواية وطنية كان يقوم بتمثيلها جماعة من الشبان الوطنيين المتطرفين.. . وكلما كانت تذكر كلمة (الاستقلال) ـ وكثيراً ما كانت تذكر ـ كانت تقابل بتصفيق حاد مسموع الصدى. فقابلت بود شديد جميع من كان يعمل على مناوئتنا بكل قوة وصافحتهم ببشاشة. غير ان رجلاً من الذين كانوا يجلسون منغمسين في الرواية بالقرب من السياج مال عليّ وهمس في أدني يقول: بالله عليك، متى ستحرروننا من فزع العشائر.

(*) ان الاشارة هنا الى الثورة في الفرات، فقد كانت ما تزال قائمة على قدم وساق في هذا التاريخ.

ان حالتنا محفوفة بالخطر - أراني غير قادرة على التكهن بما سيحدث. فان موقعة اخرى شبيهة بالموقعة التي نكب فيها جنود مانشستر(*) ستأتي بالقبائل الى ما يقرب من بغداد رأساً. ولذلك فنحن نعيش في يومنا فقط من دون ان نفكر بالمستقبل - انا على علمٍ بذلك - فالحالة خطيرة، وقد تقرب من اليأس عند وقوع أي ميل بسيط في الميزان.

على أني سوف لا أذهب الى الهند. . فكروا بكل ما يعنيه وضعنا من خسارة وما يعقبها من مرارة لا مناص منها، وبالصعوبة في تقويم الوضع بعد هذا الانهيار الهائل - وعلى كلٍ ليس من المستحسن التفكير في ذلك. على أنه من الأنفع، على الاقل، التفكير في كيفية ايجاد المسكنات العاجلة .

2 آب (ب)

لم يثب عالمي الى رشده قط منذ ان كتبت لكم. نحن نراقب بتلهف تراجع رتل الرميثة(**) البطيء الى الحلة. انه لابد من أن يصل

(*) اي الموقعة التي دارت فيها دوائر الثورة على الانكليز في الرارنجية، الكائنة بين الحلة والكفل.

(**) كان انسحاب رتل الرميثة هذا يعني في الحقيقة انسحاب الجيش البريطاني والحكومة من الديوانية كلها. ويقول ويلسن في هذا الشأن (الثورة العراقية، الص 107 من الترجمة العربية): ولم يكن هنا ما يمكن ان نفعله سوى ان ننسحب من الديوانية، فنفذ العملية بنجاح الجنرال كونينغهام. وكانت حركة الرتل تقتصر على سكة الحديد، وكانت عدة اميال منها قد دمرت. وقد جعل النقص في عربات السكك من الضروري ان تسحب مع الارتال جميع المكائن المتيسرة، والعربات، البالغ مجموعها ست مكائن (لوقوموتيف) وحوالي (250) قاطرة - فتكون من ذلك كله قطار طوله ميل واحد. . . انتهى.
وكانت عملية الانسحاب هذه تعتبر من اشق الحركات العسكرية. فقد قاومها الثوار في كل خطوة، حيث كانوا يقطعون السكة قبل تقدم القطار فيضطر الى التوقف =

الى هناك غداً، وحينما يتم ذلك سنتنفس الصعداء. لقد احدثت مأساة كتيبة مانشستر انطباعاً سيئاً جداً. فمن بين الاربعمائة جندي الذين ذهبوا الى هناك كان المفقودون مئة وتسعة وتسعين. ومن المحتمل جداً ان يكون معظمهم سالمين في أيدي العشائر، التي تقاتل بروح انتقامية(*).

وفي ايران، اضطررنا الى التراجع من قمة البرز الى قزوين، وطلب المستر نورمان اسعافه بلوائين لا يمكن أن يزود بهما. على ان لواءً جديداً يصل من الهند قريباً، وآمل ان يعقب ذلك وصول مزيد من الالوية لأن الرأي العام المحلي محق حينما يقول ان القبائل يجب ان تجابه بنجاح عسكري باهر قبل ان تذعن. ان بغداد يلفها ذعر شديد الآن باستثناء جماعة صغيرة متطرفة ـ بسبب ما اقترفته هي ـ وهي تطلب الينا ان نتخذ تدابير عاجلة لحمايتها[1]!!

سيغير انهيار الحكومة العربية في سورية وجه الاشياء كلها. نحن لا نعلم القصة بحذافيرها بعد، لكننا يجب ان نستفيد من أرجحيتنا لنبرهن على أن عزمنا على تشكيل دوائر ومؤسسات وطنية هنا لا يتبدل برغم كل ما يحدث في سورية.

= ويتم اصلاحها تحت الحماية والمناوشات المستمرة، ثم يتابع السير. ولذلك اضطرت القوات المنسحبة الى الاشتباك مع الثوار في الابيخر (قوچان)، والهاشمية، والحمزة والجربوعية، والجسر وغير ذلك. ولم يصل الرتل المنسحب بهذا القطار إلى الحلة الا بعد احد عشر يوماً.

(*) ويقول ويلسن كذلك (الص 104 من المرجع الاخير) ان الاندحار في الرارنجية كلف الانكليز (180) قتيلاً، وستين جريحاً، وحوالي (160) اخذوا أسرى، مع خسائر في وسائط النقل من عربات وحيوانات. ولم يعامل الاسرى الذين اخذهم الثوار معاملة سيئة في الاسر، فمن (79) أسيراً بريطانياً لم يمت سوى اسير واحد في أيدي الثوار.

(1) دس رخيص لا يحظى بتصديق.

ويتمادى في الوقت نفسه هذا الوجود الغريب في سيره. فان السيد طالب يبذل قصارى جهده في العمل، غير انه لا يبدي أية قابلية بناءة، ويعترف بأن مهمة تشكيل حزب معتدل هي أصعب مما كان يتوقع. لقد باءت محاولات تأليف لجنة مشتركة للمصالحة بالفشل، فليس بوسع أحد ان يأتي بنفسه الى العمل المطلوب. وبغداد محاطة بطوق من الاستحكامات المنشأة لحمايتها من غزوات العشائر، ولا ينكر ان خط دجلة قد يقطع في أية لحظة.

8 آب

يبدي السيد طالب مقداراً غير يسير من المهارة. فقد جعلوا لجنة المبعوثين السابقين تسير في طريقها. ويأخذ الوضع العسكري بالتحسن كذلك بوصول جيوش جديدة من الهند، كما يمر بنا السر أيلمر من وقت لأخر، وهو لطيف على الدوام. اعتقد انه سيقوم بواجبه خير قيام الآن .

في نية حسين أفنان(*) ان يصدر جريدة(**) تعمل لصالح الحزب المعتدل الذي يقوم بتشكيله السيد طالب. وان حسينا صديق عظيم من أصدقائي، ورجل على أقصى ما يمكن من البراعة

أخذت الاخبار تردنا من سورية ـ بواسطة العقيليين ـ تجار البادية كالمعتاد. فقد وصلت في هذا الاسبوع قافلة كبيرة يقودها صديقي الخاص منصور الرميح. وقال لي وهو يحرك عينيه حركة خاصة انه قد

(*) عين حسين افنان سكرتيراً لمجلس وزراء الحكومة المؤقتة في وقت لاحق، وهو من اصل ايراني، ومن اقارب البهاء زعيم النحلة البهائية، وكان في اثناء الحرب العامة من موظفي الانكليز في الهند فاشتغل معاوناً لآمر معتقل الاسرى العرب في سمر پور، ثم جيء به مع الحملة البريطانية موظفاً في حكومة الاحتلال في العراق.

(**) لقد اصدر بالفعل جريدة «الشرق».

تكون له في القريب شغلة صغيرة في طريق كربلا، وقد يقص عليّ بالمناسبة ما كان قد سمع ورأى. وأبرق كذلك الى صديقٍ عكيلي في سوق الشيوخ يصف فيها الاخطار التي صادفتها القافلة .

8 آب (ب)

. . . ان الوضع السياسي آخذ بالتحسن. كما ان الوضع العسكري يزداد استقراراً بوصول الجيوش الجديدة من الهند. غير ان قبائل الفرات ما زالت في عنفوان الثورة، لكنها تلقت ضربة أو ضربتين أليمتين، ويقال أنها تعبت بعض الشيء من الجهاد. ومن دواعي الارتياح الشديد ان يبادروا الى الكف عن الثورة قبل ان يتسنى لنا اتخاذ تدابير صارمة ضدهم. لأن النظام يجب ان يعاد الى نصابه، لكن اعادة النظام على حساب الكثير من الانفس العربية يعد ظفراً مشكوكاً فيه للغاية. . .

16 آب

. . . ان يوم الاحد هو اليوم الذي اكتب فيه رسائلي اليكم عادةً، غير اني كنت مشغولة جداً يوم أمس بكتابة خلاصة عن الحركة الثورية التي كلفني ويلسن بالكتابة عنها. ومن الامور الشاقة جداً ان يكتب المرء التاريخ من قريب، ويتعقد هذا الواجب عليّ لأنني كثيراً ما انقطع عن الكتابة في أثناء الدوام صباحاً بحيث يندر ان تتوفر لي ساعة اتفرغ فيها للكتابة. . .

ولأقص لكم الآن شيئاً عن الثورة. فقد أنتخبت لجنة المبعوثين السابقين في بداية الاسبوع عدداً من الناس كان بينهم أربعة من رؤساء المتطرفين. ورفض يوم الاربعاء اولئك الاربعة بأجمعهم قبول الدعوة للاجتماع، وقد اخطرتنا الشرطة في الوقت نفسه بأن اجتماعاً كبيراً كان من المقرر ان يعقد في الجامع الكبير في اليوم التالي، على ان يعقب ذلك القيام بمظاهرة كبيرة في البلد. وكان من المؤمل ان يؤدي ذلك

بطبيعة الحال الى وقوع اضطرابات مقصودة. لأن المتطرفين وجدوا ان الارض قد ساخت من تحتهم بتشكيل حزب دستوري معتدل يلتف حول المبعوثين السابقين، ولذلك كانت الورقة الاخيرة التي بقيت في أيديهم ان يلتجئوا الى الرعاع[1] وعلى هذا صدرت الاوامر الى الشرطة بتوقيف الرؤساء الآربعة[*] اني اعتقد بأن الشرطة قد تسربت منها هذه الاوامر قبل وقوعها لانهم لم يلقوا القبض الاّ على واحد من الاربعة، وفر الآخرون الى الكاظمية وهم الآن في النجف على ما علمت. وصدرت الاوامر بعد ذلك بمنع الاجتماعات في الجوامع، مع فرض منع التجول ـ منع خروج أي أحد الى الشوارع بعد العاشرة مساءً. فكان تأثير هذين التدبيرين شيئاً ممتازاً بالنسبة لبغداد، لأن المدينة عادت الى حياتها الاعتيادية، وليس هناك أحد لم يبد ارتياحه من ذلك على ما اعتقد. حتى ان كثيراً من الناس تساءلوا لماذا لم تتخذ هذه التدابير من قبل، لكنني اعتقد ان ويلسن سلك سلوكاً حكيماً في هذا الشأن. فانه انتظر حتى اتضح له ان التحريكات لو سمح باستمرارها لاصبحت المدينة في أيدي المخلين بالامن ـ لأن أكثر الذين كانوا يحضرون الاجتماعات من أَحطّ انواع الرعاع[2] ـ وعند ذاك أنزل ضربته للمحافظة على الامن العام. ولم يكن عمله ذاك، على ما يعلم الجميع. محاولةً للقضاء على شعور العرب الوطني[**] . . .

---

(1) رعاع الآنسة بيل هم جماهير بغداد التي دوّخت اسيادها .

(*) اي جعفر ابو التمن ويوسف السويدي وعلي البازركان والشيخ احمد الداود، ولم يقبض الاّ على الاخير.

(2) كذا في منطق صاحبة الرسائل، ويظهر ان قاموسها غني جداً بالمفردات والنعوت البذيئة .

(**) يتضح للمطلع على ما فعله ويلسن وكتبه انه كان يريد ويتعمد القضاء على الشعور الوطني.

16 آب (ب)

ان اسوأ اخبارنا هي ان الكولونيل ليچمن نصب له كمين وقتل. سمعت القصة اليوم من احد العقيليين الذين اثق به جداً. واليك ما سمعته، آمل انه صحيح: وقف الكولونيل ليچمن في مخيم شيخ زوبع حينما كان في طريقه الى الفلوجة، فأهانه بلهجة عنيفة جداً لكونه لم يحافظ على سلامة الطريق. وكان الكولونيل يستعمل على الدوام لغةً غير مهذبة مع العرب، وكان الشيخ يحقد عليه كثيراً لهذا السبب. أضف الى ذلك ان ضاري كان حقوداً محباً للانتقام. ثم ترك ليچمن مخيم الشيخ لوحده، فنصب له عبيد ضاري كميناً وقتلوه. وقد كان ليچمن جندياً متهوراً أناط مصائده بكف القدر، لكنه كان ضابطاً باسلاً جداً اشتهر صيته في الجزيرة العربية كلها(*) .

الله أعلم ماذا سيحدث هنا ـ ان أحسن اقتراح يمكنني ان اقدمه هو ان فيصلاً(**) موجود الآن في انكلترة، وعلى السر پيرسي أن يتوّجه ملكاً على العراق في كنيسة ويستمينيستر[1] ثم يأتي يداً بيد معه الى هنا. ولا يبدو هذا الامر أكثر استحالةً من سائر الاشياء الحادثة جميعها. على أني لا أرى ان السيد طالب يصلح ان يكون ملكاً. وأتصور انه يشك في ذلك هو نفسه، مع انه جرى بينه وبين المستر تود قبل أيام الحديث التالي: (أن ما تحتاجه هذه الادارة هي الخبرة، وأنا أملكها. فالطبيب قبل ان يتعلم مهنته يقتل مئتي شخص على الاقل في أثناء التمرين. اما أنا

(*) هذه الرواية غير مطابقة للواقع في جميع نقاطها. راجع التفصيلات ما كتبه ويلسن في (الثورة العراقية الص 126 ـ 130 من الترجمة العربية)، وكذلك كتاب (الشيخ ضاري، الص 49 ـ 55) لعبد الحميد العلوچي وعزيز الحجية.

(**) أي بعد أن اخرجه الفرنسيون من سورية وقوضوا عرضه .

(1) هي كنيسة وستمنتر آبي في لندن. تم فيها تتويج جميع ملوك الانكليز منذ وليم الأول، كما دفن فيها كثير من الملوك والساسة والأدباء والشعراء .

فقد قتلت المئتي شخص ـ وليس هناك من يعرف هذا أحسن منك انت).
ولم يستطع المستر تود في الحقيقة ان يقول بأنه لا يعرف.

23 آب

ليس هناك أنباء سارة بوجهٍ خاص، عدا خبر وفاة المجتهد الاكبر المرزا محمد تقي بتعفن شيخوخي[1]. انه لم يكن سوى شكل رمزي، لكنه كان كثير الضرر في وضعه هذا لانه كان يسخر لتبرير الثورة والقتل، والتعصب الديني، هناك شائعة ان خلفه المنتظر، وتكاد تكون له نفس الاهمية، قد قضى نحبه في أثناء سفرته من النجف الى كربلا للصلاة في حفلة تأبينه. أتأمل ان تكون صحيحة[2]. اما الرجل التالي في القائمة فهو رجل معتدل في آرائه لا يمكن ان يدفعه المتطرفون الى ان يدعو الى العنف ـ على ما سمعت. ان وضع المجتهدين سيكوّن على الدوام مشكلةً خاصة قائمة بذاتها. وهي أشبه بما لو كانت عندنا عدد من البابوات الاجانب يقيمون دوماً في كانتر بري، ويصدرون فتاوى تتقدم في الاهمية على قوانين البلاد. لقد كان الاتراك في حالة خلاف وخصام معهم، وستجد الحكومة العراقية نفسها في المستقبل في حالة مشابهة .

ونظراً لما تقره القواعد العسكرية السارية المفعول في يومنا هذا لم تكن اضطرابات بعقوبة لتقمع في مهدها حالا ، فأدى ذلك الى سريانها على طول الخط الى خانقين. فقد خرج الآلاف من أفراد القبائل للسلب والنهب، وستستدعي حالتهم الى الكثير من أعمال القمع ـ وهي مهمة لا نستطيع التفرغ لها حتى يحصل عندنا مزيد من التقدم في منطقة الحلة.

---

(1) عبارة وقحة تدل على التشفي .

(2) انها تريد ان يموت رجال الدين كلهم .

لقد عرفت ثورة بعقوبة بانها أشد الحوادث التي عرفناها وحشية ـ أسوأ حتى من واقعة تلعفر. فقد هاجم كثير من أفراد القبائل الانذال[1]، من دون ان يكون لهم رئيس يخضعهم لنوع من انواع السلوك والاصول، بلدة شهربان (المقدادية) وقتلوا جميع[*] موظفي الدائرة السياسية فيها، وهم ستة من ضمنهم ضابط الري وكابتن تناط بعهدته شؤون الشبانة. فسلك افراد الشبانة ـ وكلهم من العرب ـ سلوكاً مدهشاً خلال المحنة وساعدوا الضباط في الدفاع عن أنفسهم لمدة ثلاثة أيام. وما زالت المسز بوكانان، زوجة ضابط الري، في دار رئيس البلدية، وهو رجل متنور بتعقل، ولذلك سوف لا يمسها أذى. غير أنكم يمكنكم ان تتصوروا مقدار الالم النفسي الذي لا بد من ان تكون تعانيه في الوقت الحاضر!

أجريت مقابلة مؤثرة مع عقيلي هرم كنت أعرفه منذ مدة طويلة. وقد جاء ليزودني بآنباء تحركات ضاري شيخ زوبع قاتل الكولونيل ليچمن. آمل ان تساعدنا معلوماته في الانقضاض على ضاري، الذي انتهك كل قانون من قوانين الضيافة العربية[**] وحسن النية. كما آمل ان تعيد الى جانبنا حسن السهيل شيخ بني تميم. فالشيخ ضاري هو جاره، وقد بعث يسألنا عما اذا كان بوسعنا ان نحميه ممن يريد ان ينتقم منه فيما لو نقل ميخمه الى الكاظمين. فنقلت تطميناتنا له، وأجاب بأنه سيأتي في الحال. لقد كان صديقاً حميماً لكل واحد منا.

---

(1) ما زالت الآنسة بيل تستعمل اقذر الفاظها في شتم الثوار العراقيين.

(*) قتل الحاكم السياسي الكابتن ريفلي وضابطا الشبانة نيوتن ونسبيت، والكابتن بوكانان مهندس الري، وجورج جون بينز المسؤول عن مزرعة العلف العسكرية في شهربان.

(**) تعتقد المس بيل خطأ بأن ليچمن جاء الى مضيف ضاري وأهانه. فالصحيح ان ليچمن أهان الشيخ ضاري في مكتبه بخان النقطة، ولم يجد الشيخ المهان بداً من قتله في عقر داره وليس في مضارب زوبع.

ان المعجزة الحقيقية هي معجزة الناصرية، وسوق الشيوخ، والحي. فلابد من أن حكامنا السياسيين قد ساسوا القبائل في تلك الجهات على أحسن ما يرام لأن هذه المناطق وان كانت من أشد الجهات العراقية توحشاً قد حافظت على هدوئها(*) خلال الحركات. كما ان جميع قبائل دجلة(**) قد رفضت ان تسهم في الثورة ـ ولو تسنى لها ان تثور لأصبح الوضع في بغداد خطيراً للغاية. وكان الكولونيل نولدر بارعاً جداً وماهراً، فلم يحصل أي اضطراب في الموصل...

وهذا جميعه(***) يجب أن يضاف الى شعوري العام بعدم التأكد من المستقبل. فلا محيص من الاستنتاج في ضوء الحوادث الواقعة خلال الشهرين الاخيرين، باننا وقد منينا بفشلٍ ذريع هنا. اذ لابد من ان يكون الجهاز الاداري الذي أنشأناه أشد خطأً بكثير من أي جهاز آخر، ويتحتم علينا تبديله. ويلوح لي بأننا قد بخسنا حق الوضع الحقيقي في البلاد واعتبرنا سكانها جمهرةً غير متجانسة من القبائل التي لم يمكن اخضاعها لأي جهاز حكومي بعد. فلم يكن الاتراك يحكمون البلاد بينما حاولنا نحن ان نحكم ـ ففشلنا. اعتقد اننا جربنا ان نحكم أكثر مما يجب، لكني آمل ان تحافظ الامور على وضعها الراهن حتى يعود السر پيرسي، وعند ذاك يمكن ان يتم نقل البلاد من عهدة الحكم البريطاني الى عهدة الحكم الوطني بطريقةٍ سلمية، وفي تلك الحالة يمكن ان يستفاد من كثير

(*) كان السبب في ذلك يعود لدرجة كبيرة الى مسلك الشيخ خيون العبيد وحرصه على ولاء الانكليز.

(**) لقد لعب الشيخ محمد الصيهود امير ربيعة دوراً بارزاً في هذا الشأن بعد ان وعده الانكليز باعفائه من الضرائب.

(***) ذكرت المس بيل في رسالتها هذه فقرة اخرى لم نر موجباً لترجمتها، وهي تتلخص بتخاصمها مع ويلسن مما ترجمنا قسماً منه في رسائل اخرى. وقد أدى هذا الى تسلمها كتاباً خاصاً من وزيرها في لندن (المستر مونتيغيو وزير شؤون الهند) ينصحها، ويعاتبها فيه.

مما كنا قد فعلناه من قبل. وأخشى الآن ان كل هذا سيكون غير ممكن. علينا ان نوطّن أنفسنا لنرى عقارب الساعة تدار كثيراً الى الوراء. فان أشياء مثل شؤون الادارة الصحية والخدمات الطبية هي التي يؤسف لها بمرارة، غير أني لا أهتم كثيراً بشؤون التعليم الذي تجدني دائمة الشك والريبة في جدواه[1]. وسوف لا أبقى هنا ما لم أحصل على ثقة الناس الذين اشتغل في معيتهم. كما سوف لا أبقى ما لم أشعر بأن منهجهم في العمل هو المنهج المصيب .

لقد اصبح كل شيء في البودقة الآن. وأشعر كما لو كنت أعيش يوماً بيوم من دون ان أجرب وضع أية خطة للمستقبل. فبعد أشهر الحر هذه يصبح ذهن المرء غير مطاط بحيث لا يستطيع ان يضع اثنين جنب اثنين سويةً على ما يقال. ونحن كذلك نتلمس طريقنا بين مشاكل يصعب جداً التكهن بحلها مقدماً. فأتركها جانباً، وأتوقف عن التفكير بها، بعد ان يصيبني ما يشبه الدوار، ثم أتوجه بكثير من عدم الكفاءة الى الاشغال اليومية. لقد اعتدنا الآن كثيراً على المآسي الفجائية، وصرنا نتلقاها من دون تململ تقريباً. انها تولد خدرا في الاحساس بجعل المرء يشعر وكأنه نصف ميت. لكنني اعتقد في قرارة نفسي بأن الوضع يمكن ان ينجلي بنفس الطريقة غير المنتظرة التي تكوّن فيها اولاً، مع انه من الممكن بنفس المقدار ان لا يحصل هذا. .

أيهِ عزيزي الوالد! أتمنى ان يكون العالم على جانب أكبر من الاعتياد ولو بمقدار قليل. الا تعتقد بأن الحروب والثورات يمكن ان تعتبر من الاشياء الاعتيادية؟

---

(1) تعتبر الآنسة بيل الخصم الالد للتعليم، فهي في عدد من رسائلها تناوئ الداعين الى فتح المدارس، وتهاون حلفاء الجهل.

23 آب

برهن فهد بك، شيخ عنزة، على تعلقه الراسخ بنا ـ انه هو الذي أهدى لي الكلبين. فقد كتب لي ولويلسن يقول انه ليس هناك شيء يزعزع ولاءه المتين لنا. وهو لم يتردد في ذلك منذ البداية حتى الآن، فقدم لنا جميع ما كان يمكنه ان يقدمه من مساعدة(*).

. . . وبدأنا بتسفير زوجات الحكام السياسيين الموجودين في المناطق والانحاء، واعتقد بأن ذلك هو الشيء الوحيد الذي يجب ان نفعله. لقد أتين كلهن الى بغداد تقريباً، حيث لا توجد أماكن كافية لاسكانهن، والمستقبل غير أكيد بدرجةٍ يُشك معها في امكان عودتهن الى أزواجهن ـ ويشك في عودة الازواج الى مكانهم في حالات كثيرة أيضاً. فما زلت أتوقع اننا سوف لا نعيد تشكيل «الادارة السياسية» في جهات الفرات، برغم عدم تيقننا مقدماً مما سيحل هناك. انه من المحزن حقاً ان نرى بأعيننا انهيار ما أسسناه من هذا القبيل .

30 آب

والدي الاعز. تعلمون أني أصبحت بعد المراسلات الحاصلة مع ادوين(**) سريعة التحسس بالنسبة لكيفية تعرفكم برسائلي. انا احتفظ بمفكرة أكتب فيها يومياتي، لكني اكتب كل شيء لكم. وعليكم ان لا تبعثروها او تذيعوا ما فيها للغير. فاني ارتجف حينما أفكر بانكم تقرؤون انتقاداتي الصريحة الى الشخصيات العسكرية المرموقة. فليس هناك ما لا

(*) كان فهد بك الهذال يتقاضى من الانكليز مبالغ كبيرة سنويا كما سبق ان ذكرنا في هامش سابق.

(**) هو ادوين مونتيغيو وزير شؤون الهند، وكان قد كتب ينصح المس بيل بالتعقل وينبهها الى عدم افشاء اسرار الدائرة بالرسائل التي تكتبها الى هذا وذاك، كما مرت الاشارة في رسالة سابقة .

يمكن ان يدور حول العالم، وبوسعكم ان تتأكدوا من ان ما اشرت اليه سيصل الى أسماع السر أيلمر، وفي الوقت الذي يصل اليه يكون قد كبُر وتوسع من رسالة بسيطة موجهة لكم الى مخابرات شخصية معنونة الى وزارة الهند. ولذلك أرجو ان تكونوا حذرين. . .

حضر السيد طالب عندي بينما كنت أتناول الفطور. وقد استهل حديثه بقوله انه يعتبرني أختاً له، وليس موظفة من موظفي الحكومة، فهل يمكنني ان أمحضه النصح والمشورة. فكنت استمع الى جميع ما يقوله وأنا آكل بيضتي مع التين الاسود. ثم سألني بعد ذلك عما اذا كان من الواجب عليه ان يوافق على تمويلنا له ـ أي هل يؤدي ذلك الى التقليل من قيمته في نظرنا أم ماذا؟ فاجبته بأنه من الاحسن له ان يأخذ المال من عندنا لقاء خدمات تقدم لنا من ان يكون مديناً لزيد أو عمر أو خالد، ممن يمكن ان يطالبوه في المستقبل. انه يقوم بأعمال مفيدة تماماً، ثم لمحت له بأني قبلت بأن أتقاضى راتباً من الحكومة وليس هناك ما يدعوه الى عدم تقاضيه. أننا كثيراً ما نتساءل عن اللعبة الحقيقية التي يلعبها ـ مع انه قد لعب باستقامةٍ تامة حتى الآن ـ وانا متأكدة من انه يتساءل عن الشيء نفسه بالنسبة لنا، مع اننا كنا متساوين في النزاهة والاستقامة[1]. ومن الاسهل الاحتفاظ بسوية التوازن طالما يكون من عادته ان يأتي اليّ ويتحدث بصراحة في حضوري، لكنني غير متأكدة قط من كونه يفعل ذلك مع أي شخص آخر ام لا. وأقول بالمناسبة انه من المضحك ان نفكر ملياً بأننا اذا لم نقدم المال له فأنه سوف يحصل على ما يريده بطريقة الابتزاز التهديدي، وهو عمل أصبح متخصصاً به، لكن ذلك سوف لا تكون فيه منفعة لنا، ولا له في الامد الطويل. انه لابد من ان يلعب دوراً كبيراً في المستقبل، والى ان يأتي ذلك الوقت علينا ان

---

(1) انها نزاهة الثعلب حيال الدواجن .

نحاول ابعاده عن سوء التصرف وأيقاع الاذى.

حضر أصدقائي العقيليون وهم على أهبة الاستعداد تماماً. أنهم يأتون دوماً بمعلومات مضبوطة عن اماكن وجود الناس الذين يهمنا جداً ما يفعلون. وهم يوصون كثيراً بأننا يجب ان نشكل قوة للهجانة، وانا متأكدة من أنهم محقون فيما يوصون به. وقد تعشيت قبل يومين مع السر أيلمر هولدين فجعلت الجنرالات المجتمعين يتحمسون للموضوع، ولا استطيع القول بأنهم سيفعلون شيئاً ام لا. أنهم لا يفعلون شيئا في العادة، لانهم في الحقيقة مجموعة اجساد ميتة هرمة! فليس من الممكن محاربة القبائل بقوات نظامية، وانما المطلوب قوات أكثر قابليةً للحركة، ومستقلة عن نظم الميرة وتوزيع الماء والخدمة الطبية، ليحرسوا الحدود. ولا يستطيع القيام بذلك العمل سوى الهجانة .

قضيت نصف ساعة ممتعة مع النقيب في صباح اليوم. أتكهن أن آراءه حول جدوى الوساطة لدى الثوار قد تغيرت تغيراً غير يسير لأن العشائر الثائرة في ديالى لم تتردد في نهب بساتين العنب والنخيل وحقول الشعير التابعة له. ويعتبر ذلك شيئاً صعباً عليه، فليس هناك رجل يقل تعاطفه مع الحركات الوطنية مثله. لكني يضحكني في هذا الشأن موقف سائر وجهاء البغداديين ـ ولكل منهم مقاطعات وبساتين في ديالى ـ ممن كانوا مستعدين للاسهام في الحركات أول الامر لكنهم الآن لا يجدون ما يكفي من الكلمات السيئة لوصمها. قال لي أحدهم انه يعتبرنا مسؤولين عن الخسائر التي تكبدها هناك، فأجبته بأنه يجدر به ان يقدم طلباً بذلك الى يوسف السويدي فانفجر الحاضرون بالضحك والقهقهة. فيوسف السويدي ومحمد الصدر هما الآن في ديالى يشجعان القبائل الثائرة ويطمئنانها بقولهما انهما رتبا أمرهما في اخراج الانكليز من بغداد في الحال. على ان تحمس الثوار قد وهن بعض الوهن بمحاولة الزعيمين المذكورين تشكيل حكومة مؤقتة ـ تتألف منهما ـ ومطالبة الناس بدفع

الضرائب بموجب تلك الصلاحية. ان القبائل هناك تشعر بأنها مظلومة، فكيف بها وقد خاب أملها بهذه الحركة وبكوننا قد استعدنا بعقوبة منهم؟ وبذلك أخذ رصيد المؤسسات الوطنية بالهبوط والتدهور .

قال النقيب حينما كنت عنده هذا الصباح انه يكره تهريجات الوطنيين، وهو مستعد ليتفق بأسرع ما يمكن مع أي كافر ـ ما عدا الفرنسيين ـ على الدوام. ثم مضى يقول لكني على فرض اني ارتقيت المنبر وصرحت بما اعتقد به فان ذلك سينتشر في انحاء أفغانستان والهند حيث يحترمني الناس للغاية، وسيقولون أني اصبحت أتقاضى أجراً من الانكليز وصرت أخون الاسلام والمسلمين. ولذلك لا أرى كيف ان ذلك يمكن ان يكون مقترناً بأية فائدة لكم. أنا لا اجد في الحقيقة أية فائدة لنا في ذلك أيضاً! غير ان القدرة على تبادل أكثر الآراء صراحة مع الشرق القديم، كما أفعل انا مع النقيب، تعتبر شيئاً مدهشاً وممتعاً معاً..

5 أيلول

. . . ان مشكلتنا هي مشكلة المستقبل. فالقبائل لا تريد ان تكوّن قسماً من الدولة الموحدة(*) ، وليس بوسع المدن ان تسير من دونها.

(*) لم يكن هذا صحيحاً، فقد طالبت القبائل الثائرة، والعلماء المشرفون على الثورة، في عدة مناسبات بتأسيس دولة عراقية موحدة مستقلة استقلالا تاماً ناجزاً. وفيما يأتي نورد المذكرة التي سلمها الوفد النجفي ـ العشائري الى الحاكم السياسي في الشامية (نوربري) تأييداً لقولنا هذا:

بتوسط حاكم الشامية والنجف الاشرف الى الحاكم السياسي والملكي العام في بغداد لما طال انتظار الامة العراقية لتحقيق وعود الحلفاء الرسمية، ولاسيما الحكومة البريطانية المعظمة.. باستقلال البلاد التام رأت ان السكوت في المطالبة بحقوقها الصريحة لا يجوز لها بوجه من الوجوه.. لذلك قرر علماء النجف واشرافها وزعماؤها، وممثلوا الرأي العام فيها، وسادات الشامية ورؤساء قبائلها وممثلوها، ان ينتدبوا وفداً لملاقاة الحكومة المحتلة ويطالبها بعهودها =

ولا ادري كيف سنتمكن من تأييد عناصر الاستقرار وحمايتها ونلبي في الوقت نفسه الطلبات المحقة من الوطن الأم بمراعاة الاقتصاد؟ لانه ليس من الممكن ان تؤسس حكومة مركزية اذا كان الجميع لا يدفعون الضرائب، ولا تدفعها أغلبية السكان ما لم تجبر على ذلك. كما أنهم لا يحافظون على الأمن والنظام الضروريين لممارسة التجارة...

نحن الآن في معمعان الجهاد، أي اننا نجابه أفظع انواع التعصب عند أناس في حالة بدائية من حالات المدنية. ومعنى هذا ان الأمر لم يعد منوطاً بالعقل والمنطق، وان الحالة الحاضرة يدعمها جنوح الى الفوضوية المتأتية عن العرب في جميع انحاء العالم[1]. ويتضح للمرء حينما ينظر ملياً الى كل هذا ان المفكرين من الناس ينبغي عليهم ان يثوروا على نظام عالمي يؤدي بهم الى الدمار، كالحرب. أما غير المفكرين، وهم يكونون السواد الاعظم في هذه الدنيا، فيحذون حذو المفكرين ويثورون ضد النظام القائم في العالم بصورة عشوائية. وهم لا

= وانجاز وعودها. وقد ندبونا نحن الموقعين ادناه.. ان نطالب الحكومة المحتلة باستقلالنا التام.. وان تنفذ بسرعة المطاليب الآتية:

(1) اننا نطلب فعلاً ان يؤلف الشعب باختياره مؤتمراً عراقياً.. مهمته تأليف حكومة عربية مستقلة كل الاستقلال عارية عن كل تدخل اجنبي يرأسها ملك مسلم.

(2) نطلب رفع الحواجز عن ارتباط الشعب العراقي وتفاهمه مع الشعوب الاخرى بحرية المواصلات وكافة المنشورات والمطبوعات.

(3) نطلب تمكين الامة في عقد مجتمعاتها واقامة منتدياتها في سائر مناطق العراق.

الموقعون: عبد الكريم الجزائري، جواد نجل المرحوم صاحب الجواهر. عبد المحسن شلاش، السيد علوان الياسري، السيد نور السيد عزيز، عبد الرضا الشيخ راضي.

(1) من المعروف جيداً ان العرب، منذ تاريخهم الأبعد، يمقتون الفوضى ويجهلون الفوضوية.. ولكن الآنسة بيل تحكم على العرب جزافاً، وتشتمهم بلا تحفظ.

يعرفون كيف يبدلون الوضع القائم بأحسن من هذه الوسيلة. . ونحن الآن على قاب قوسين أو أدنى من انهيار المجتمع التام ـ ان اقرب مثال تاريخي لحالتنا هو حالة الامبراطورية الرومانية في آخر عهدها لقد وصلنا تقريباً الى انهيار المجتمع هنا، ولم يبق عندنا مما نعتمد عليه في اعادة بنائه الاّ القليل. فقد انمحى تقدير المدنية الأوربية واعتبارها، وكثيراً ما يقول الناس هنا انه كان من دواعي العجب والصدمة لهم ان يروا أورپة تنقلب هذا الانقلاب نحو البربرية. ولم يكن عندي ما أجيبهم به ـ فماذا تسمون الحرب؟ كيف نستطيع نحن، الذين دبرنا شؤوننا بهذا التدبير السيء، ان نزعم باننا يجب ان نعلم الآخرين على تدبير شؤونهم تدبيراً أحسن؟ ربما يكون العالم محتاجاً لأن يغطس من جديد في فوضى القرون المظلمة، ليخرج منها وهو شيء قد لا يكون أحسن مما كان..

5 أيلول (ب)

. . لقد خسرنا ضابطاً آخر، معاون الحاكم السياسي[*] في كفري ـ لم أكن أعرفه. وكانت العشائر قد سجنته، وقتل في السجن على ما اعتقد. أنها قصة مثيرة، لكن المتوحشين حينما يذهبون الى الحرب يرتكبون اعمالاً وحشية، ولم يحاول أحد قط ان يجعل من القبائل شيئاً آخر، أي غير متوحشين، خلال جميع هذه الآلاف من السنين[1]. أنا أحبذ بالكلية اعدام المذنبين اعداماً ينتشر ذكره بين الناس اذا كان من الممكن القبض عليهم ـ ثم معاقبة الباقين من الرعاع عقاباً خفيفاً. وهذا رأي ويلسن أيضاً، على ما أظن .

(*) انه الكابتن جي أيج سالمون. راجع تفصيل الحادث فيما كتبه ويلسن في (الثورة العراقية)، الص 114 من الترجمة العربية). وقد هاجم كفري فريق من عشيرة الدلو يقوده ويس بك وابراهيم خان فاحتلها بتاريخ 24 آب 1920.

(1) ولكن ماذا عن قبائل اوربا؟.. وهل ظل احفاد الفيكونغ والفارانجيين والهون والقوط والبربر متوحشين..؟ ذلك منطق غريب!

ان مهمتنا هذه لا تصبح أكثر سهولة بما يكتبه تي أي لورنس(*) من هراء في الجرائد. اذ يعتبر التحدث عن تجنيد فرقتين لتكوين جيش عربي لغواً خالصاً(1). ففيما عدا الضباط لا تتيسر لنا المادة اللازمة لذلك وقد كنا خلال الحرب نجمع بصورة متقطعة فرقاً متفرقة للعمل بمقدار غير يسير من الضغط حتى بلغ المجموع عشرين ألف عامل. ويعترف الجميع بأن استنزاف الأيدي العاملة في الزراعة كان يتم بأكثر مما يمكن ان تسير به الاعمال الزراعية في البلاد، حتى برغم ما كان يحصل في بعض أوقات السنة التي يشتد فيها الطلب على الأيدي الزراعية العاملة من تسريح موقت للعمال .

.. أرجو ان اصحح(**) ما ورد من رأي لي هنا، فأقول ان مجموع العمال الذين كانوا يشتغلون في فرق العمل كان ستين ألف عامل، وقد قيل لي باننا نستطيع ان نحصل على عشرين ألف جندي من دون تجنيد (متطوع) في بحر سنتين او ما يقرب من ذلك. لكنك لا تستطيع ان تشكل جيشاً من هؤلاء في أقل من خمس سنوات .

.. لقد تمكنا حتى في الوقت الحاضر من تسجيل ثلاثة آلاف

(*) راجع رسالة لورنس الى جريدة التايمس المنشورة بتاريخ 22 تموز 1920 في (الثورة العراقية، ص 159) .

(1) تحاول الآنسة بيل، هنا، تزييف ما كتبه لورنس في 22 تموز 1920 في جريدة التايمس اللندنية.. فمما قاله في مقاله: كانت الحكومة التي شكلناها [في العراق] انكليزية في طرازها، وهي تدار باللغة الانكليزية، ولذلك يعمل فيها الآن ويسيرها (450) ضابطاً تنفيذياً بريطانيا، من دون ان يكون معهم ولا مسؤول عراقي واحد. ثم يستطرد قائلا: ولو اتيحت لي الفرصة لجندت فرقتين من المتطوعين المحليين، العرب كلهم، من قائد الفرقة الاقدم الى الجندي البسيط .

ومن المعروف ان لورنس كان يتظاهر بحب العرب، ويخدم الامبريالية بلا هوادة .

(**) تقول ناشرة هذه الرسالة المس اليزابيث برغوين انها وجدت في الحاشية تعليقاً بالحبر الاحمر عليها تجري فيه المس بيل التعديل المذكور في رأيها .

شبانة أو أكثر ـ وهم يقومون بعملهم بصورة حسنة في الحلة. لكنني متأكدة للغاية من ان البلاد سيمر عليها وقت طويل قبل ان تستطيع تقديم ما يكفي من الناس للمحافظة على النظام. وقد كان للاتراك جيش من الترك انفسهم ـ فلم ينجحوا في المحافظة على النظام، وكذلك كانوا يجندون الاهلين..

لا أدري لماذا تسمح وزارة الهند باللغو الذي ينشر من دون ان ترد عليه. وهنا نعود من جديد لما نشره لورنس فنقول: لم يكن ما قاله باننا فرضنا اللغة الانكليزية(*) بالقوة على البلاد كذباً فقط بل كان كذباً يعرفه هو أيضاً. فان كل صغيرة وعنوان للاعمال الرسمية يتمان بالعربية، ولا تستعمل أية لغة اخرى في المدارس والمحاكم والمستشفيات. ان هذا يحصل لأول مرة منذ ان سقطت الدولة العباسية[1].

والحق اننا نعاني في الغالب من ظروف لم نستطع السيطرة عليها من قبل. فربما كان الاندفاع الجامح للقومية العربية المستاءة مما حدث في سورية، والاسلام الساخط في تركية، شيئاً أكثر مما كنا نستطيع مجابهته مهما كان مقدار ما عندنا من بعد نظر. لكن هذا لا يعفينا من كوننا كنا عمياناً. ان قليلاً من الناس في بغداد يريدون انتداباً بريطانياً. وليس بوسع أحد ان يعرف ماذا يريدون عدا كونهم لا يريدوننا نحن. فهل سيستطيع السر پيرسي ان ينفذ الى ما وراء أحساساتهم؟ هناك احتمال بأن الخسارة المالية والمضايقة البالغة التي سببتها ثورة العشائر(**) (ليس

(*) راجع رسالة لورنس الى جريدة التايمس اللندنية، المشار اليها في الهامش الاخير.

(1) لم يكن هذا حقاً، فان خلفاء المغول بعد سقوط بغداد كانوا يستعملون اللغة العربية في الدواوين الرسمية، ولم تختف العربية على الصعيد الرسمي الاّ في العهود العثمانية.. ثم عادت الى الظهور أحياناً في عهد المماليك.

(**) لا تريد المس بيل ان تعترف بأن البلاد كلها كانت ثائرة عليهم في 1920 وليست العشائر وحدها على ما يظهر.

لدينا فواكه الآ القليل جداً، وقد ارتفعت أسعار الطعام الى ثلاثة اضعاف) قد توصل عدداً من الناس الى استنتاج أن تلك الثورة لم تكن شكلاً مناسباً للاحتجاج. وقد يقولون للالتفاف حول هذه النقطة باننا لو لم نكن هنا لما ثارت العشائر، وهذا صحيح لانه لم يكن هنا شيء يثار ضده ـ لم تكن هناك حكومة بالمرة. ولم تكن هناك حكومة في سورية مؤخراً. فقد قال أحد العقيليين الذين يشتغلون تحت تصرفي حينما عاد من سورية قبل أشهر (انهم جميعهم يجلسون في بيوتهم، لانهم لا يجرأون على الخروج. وليست الحكومة هي التي تجعلهم يسكتون ـ فليس هناك حكومة، لكني انا تاجر ولا أجد أحداً في الاسواق) .

أنا أعارض لورنس مرةً أخرى. فهو يقول ان العربي يتحلى بالخلق ويحتاج الى ذكاء. ان الحقيقة هي بعكس ذلك تماماً. فهو يملك الكثير من الذكاء، وان ما ينقصه هو الخلق[1]. وهذا ما يجعل الدولة المنتدبة مدعوة لتزويده به. فهل يمكن ذلك؟

12 أيلول

هناك شائعات عن وقوع ثورة في سورية ـ لا ادري اذا كانت صحيحة لاننا لا نحصل تقريباً على معلومات رسمية. انها تبدو شيئاً لا يمكن تصديقه، لكننا ليست عندنا أخبار رسمية عن التسوية المصرية كذلك ـ لا شيء سوى ما نقرؤه في برقيات رويتر. ولم تصلنا ولا كلمة من القدس منذ ان وصل اليها السر هربرت صموئيل[2]، مع أني أجد في

---

(1) ولكن العربي رغم الجور الموجود في قولي لورنس وبيل، فانه كان وما يزال يجمع بين أفضل سجاياه، الخلق (الذي أعترف به لورنس) الى جانب الذكاء (الذي اعترفت به الآنسة بيل).

(2) وهو هربرت لويس صموئيل H. L. Samuel (المولود سنة 1870): من يهود بريطانيا. تسلم في مطلع تموز 1920 منصب المندوب السامي البريطاني في =

الصحف المصرية ان الحالة هناك بعيدة عن كونها مطمنة. ان هذه الجرائد المصرية، الصادرة قبل شهر من يوم وصولها، هي مصدر أخباري الوحيد عن سائر العالم العربي، ما لم تعبر اليها قافلة عقيلية. ولا تنورنا الجرائد بالكثير من الاشياء لأن الفرنسيين يفرضون أشد رقابة ممكنة في بيروت. ولم تصلنا أية قافلة منذ شهر تقريباً، لكنني انتظر وصول قافلة من حلب هذا الاسبوع .

ان الهاجس الذي يستبد بالسر أيلمر في الوقت الحاضر هو ان ثورة العشائر تعزى في الدرجة الأولى الى كره شخصي للحكام السياسيين. ومن المؤسف ان يكون هناك شيء من الصحة في هذا الرأي بالنسبة للديوانية ـ ولا يعني ذلك ان الثورة سببها كره العشائر للميجر ديلي، لكن كونهم يكرهونه قد عجّل بالامور. لقد بدأت الثورة في الديوانية ـ اذ انكسر الثلج في أخف مكان. غير انه باستثناء الحالة المختصة بالكولونيل ليچمن وكان مكروهاً جداً ايضاً (قال لي فتّوح في ايار ان ليجمن سيقتل حتماً وأخبرت ويلسن بذلك)، لا أعرف أية حادثة أخرى لم تكن فيها العلاقات الشخصية بين الحاكم السياسي والناس غير طيبة. لاشك ان السر أيلمر يعاني من الجهل التام بالامور.

تغدى معي الجنرال هامبرو الطيب قبل ايام واقترح عليّ رأيه الواضح بأننا يجب ان ندمر المناطق الثائرة. فبينا له أنا والسر أيدغار ان المناطق التي يُعنى هو بها مباشرةً، أي ديالى والهندية، هي مقاطعات

= فلسطين. وقد اوصى الصهيوني وايزمان بوضعه في هذا المنصب، فكان أبرز نصير للصهيونية في السياسية البريطانية.

وهو الذي اعتبر اللغة العبرية لغة رسمية في فلسطين الى جانب الانكليزية والعربية، ووضع قوانين الهجرة التي تضمن تدفق اليهود على فلسطين وملأ دوائر الحكومة بالموظفين الصهاينة.. وغير ذلك من الخدمات التي كانت مناطاً لاحلام الصهيونية.

زراعية تعود للبغداديين وأنه مع كونه قد ينجح في انزال خسائر فادحة بالنقيب، وبيهودي جدير بالاحترام، وأناس مثلهما، فانه لا يستطيع ان يذهب بعيداً في تهدئة البلاد..

كان السيد صفاء الدين، أحد انجال النقيب، في مقاطعته طوال الوقت وقد أجبر على تجهيز العشائر الثائرة بالطعام من بساتينه. ولابد من ان ذلك كان شيئاً مؤلماً جداً له، لأن أسرة النقيب لا تعطي أي شيء لأحد مطلقاً.

19 أيلول

... كنت الشخص الوحيد الذي رؤيت له بالتمام صعود وهبوط الاحوال في هذه الاشهر الصعبة للغاية... ولذلك ستصدقني حينما أقول لك انني لم أدرك الاّ مؤخراً المكانة المرموقة التي حصلت عليها عند الرأي العام كشخص ميال للعرب، من بين الاشخاص الذين يسيّرون الادارة هنا. فكثيراً ما صرت أسمع في الايام الاخيرة من المترددين على المقاهي، من خدامي ومن الناس الذين يترددون على الاسواق، ان أقوالي صار الناس يستشهدون بها في أحاديث المقاهي، وأني أعتبر في عداد المدافعين عن العرب وقضيتهم. وقد كنت أجيب على الدوام بأن هذا غير صحيح، لأن حكومة صاحب الجلالة هي التي تدافع عن حقوق العرب واننا كلنا خدام حكومة جلالته[1].

19 أيلول (ب)

هناك تحسن في حالة البلاد. ولم يفتح الخط الايراني بعد، لكن

---

(1) بعد ان اطرت الآنسة بيل نفسها اطراء سخيفاً.. عادت الى ما يؤكد أنها اللسان الصادق للتغني برسالة الاستعمار، وما يحققه في البلاد التي يستعمرها من اصلاحات.

جيوشنا قد اتصلت في منتصفه. ان العشائر منشغلة كلها بالاستسلام، وقد أخذ الشيوخ بطبيعة الحال يبذلون جهداً غير يسير في تبرير موقفهم على اننا لم تظهر منا أية اشارة تدل على عزمنا في الايفاء بوعودنا. فلم يكن في نيتنا ان نفي بها في مجال الادارة المحلية اذا كان بوسعنا ان نفعل ذلك، ولو ان ويلسن قد أبدى تغييراً جوهرياً مفاجئاً في الاتجاه. وقد صادف حصول هذا التبدل في لهجته في نفس الوقت الذي منح فيه الانتداب، لكنه حصل لسوء الحظ في نفس الوقت الذي وقعت فيه التحريكات في بغداد أيضاً، ولذلك يمكن ان يُسامح الشيوخ وغيرهم لظنهم ان هذا التبدل قد حصل بتأثير الثورة لا بتأثير التبدل في الاتجاه. وما كان لأحد، حتى ولا حكومة صاحب الجلالة أن يفكر في منح العرب الحرية التي سنمنحها لهم الآن ـ بنتيجة الثورة! وسواء أكانت هذه الحرية ستكون لفائدتهم في النهاية، أو اذا كانت ستؤخر، بدلاً من ان تقدم، سير الدولة الحديثة الى الامام، وهو ما يعمل من أجله الوطنيون الشبان المتحمسون، فان ذلك يعد مشكلة أخرى. اني شخصياً اعتقد بأنها (أي الحرية) ترجع عقارب الساعة خمسين سنة الى الوراء[1]، ولست متأكدة من ان ذلك سيهمني. على أني متأكدة من ان اصدقائي الشبان المتحمسين سيصبون النبيذ الجديد في قنانٍ قديمة بأكثر مما يجب من الوفرة. ولذلك فأني مسرورة لأن ما كان سيؤخرنا عن تشكيل ادارة بأدق مما يجب سوف يعترض طريقهم هم أيضاً. وعلى كل فان جيلين لا يعتبران شيئاً كثيراً في عرف الابدية والخلود، وأعني انه ليس هناك حاجة لكل تلك العجلة الملعونة.

ان كوننا مذنبين حقيقةً في اقتراف غلطة أساسية يجعل من الصعب

---

(1) وهذا ما يعتقد به جميع اللصوص الذين عرفتهم البيوتات المالية والمصارف والبورصات وشركات النقل البحري في لومبارد ستريت بلندن.

علينا الرد على رسائل مثل رسائل تي أي لورنس[1]. انا اعتقد بانها مضلِلة (بكسر اللام) تماماً، لكن معرفة السبب في كونها مضلِلة يتطلب تعرفاً دقيقاً لا بتاريخ السنتين الاخيرتين فقط بل بالبلاد وسكانها أيضاً، الى جانب تعاملها معهم، بحيث اني أكاد أيأس من تصحيح ما صار يعتقد به الرأي العام في انكلترة. وليس بوسعي ان أصدق بأن لورنس يتحدث عن جهل بالموضوع، ولذلك اعتبره مذنباً بجريمة... تعكير الجو التي لا تغتفر. فبين ايدينا مهمة على درجة كافية من المشقة في هذه البلاد، لكنه بعمله هذا يجعلها على درجة اكبر من المشقة بتوجيه الناس الى اعتبارها مهمةً سهلة. فكيف تكون سهلة حينما تُدعى انت الى التوفيق بين أفكار وآراء سكان عشائريين لم يتبدلوا قيد أنملة في التفكير، خلال الخمسة آلاف السنة الاخيرة[2]، وأفكار وآراء عصبة فجة متسرعة من السياسيين المدنيين[3] الذين يلومونك على عدم تأسيس جامعات في بلادهم؟ واذا سألتهم من أين يؤتى بالمال لهذا الغرض يقولون من الحكومة، وهم لم يطلعوا بعد على ان الحكومة ليس لديها بنس واحد لم يؤخذ من جيوب الشعب. اننا لم نصل على ما يبدو في هذا الشأن الى تلك النتيجة حتى في انكلترة.

سأضرب لكم مثلاً لطيفاً من نوع آخر: انهم يريدون حق التصويت للرجال «كما كان الامر في أيام الترك». فقد كان هناك حق في الانتخاب

---

(1) انها المقالات التي نشرها لورنس في: التايمس (21 حزيران 1920) وفي الأوبزرفر (8 آب 1920) والديلي هيرالد (9 آب 1920) والسنداي تيامس (22 آب 1920) والدايلي نيوز (25 آب 1920).

(2) ان الآنسة بيل، هنا، في هذه المكابرة، تريد ان تلغي جميع الحضارات التي قامت في العراق.. منذ السومريين حتى وقتها الراهن.. مروراً بالحضارة البابلية.. فالعربية.. وانها لمهمة شاقة!!

(3) سبق للانسة بيل ان اعترفت بما يملك بعض الرجال العراقيين الذين عرفتهم، على الصعيد السياسي، من فطنة وذكاء وكفاية.. وهي هنا كالتي نقضت غزلها!!

للرجال على عهد الاتراك ـ على الورق. والحقيقة انه لم يسجل أي رجل من افراد القبائل نفسه مطلقاً، لأن التسجيل كان يعني تعرضه للتجنيد الاجباري. ولذلك لم يكن أهل الريف قاطبةً يمثلون في الحكومة، فلم يعنِ ولا يعني هذا أي شيء لهم. ويمكن ان تلاحظ بالمناسبة انك اذا أردت ان يُشكل جيش بالتجنيد الاجباري هنا، فان الظاهرة نفسها ستتكرر. واذا اردت من جهة اخرى ان يشكل جيش بالتطوع فعليك ان تدفع الاجور بالاسعار الدارجة، او اكثر منها لتقنع الجنود بالتغرب عن مواطنهم. وسيكلفك هذا روپيتين او ثلاثاً في اليوم، ويبلغ ذلك مبلغاً قدره مئة پاون استرليني في السنة لكل رجل انه مبلغ باهظ لدولة ناهضة يصوت القسم الكبير من سكانها ـ اذا ما جيء به الى التصويت ـ بعدم فرض الضرائب على الناس! وازاء هذا تجد لورنس يتحدث عن تشكيل فرقتين كما لو كان من الممكن خلقهما غداً. فمن أين يؤتى بالمال يا ترى[1]؟

جاءني حسن السهيل شيخ بني تميم في عقرقوف يوم أمس، فكنت مسرورة بلقائه. لقد كنا قلقين جداً بشأنه لأن ضارياً، الشيخ الذي قتل ليچمن، كان ينزل بجواره وكنا نحن نقصفه باستمرار. وقد جلا ضاري عن مكانه الآن، وتخلى عنه معظم افراد قبيلته[2]. فجاء حسن يضحك بملء شدقيه ليقوم بجولة زيارات. انه عزيز علينا. . .

20 أيلول

قال لي المستر بولارد قبل أيام ان ما سمع الناس يتحدثون به هو

---

(1) يبدو ان الكاتبة تبدو كمن يريد ان يخنق طموحات الشعب العراقي.. فهي تمقت ايما اصلاح.. قانعة بما يزودها المرتزقة العملاء من أخبار!!

(2) لم يتخل عن الشيخ ايما فرد من عشيرته، وانما رحلوا معه جميعاً الى الجزيرة على الحدود المشتركة بين العراق وسوريا.. وقد كابدوا حياة التشرد في هذا المهجر زهاء سبع سنوات.

ان حكومة صاحب الجلالة أرادت ان تشكل حكومة عربية في العراق، وان أي تي ويلسن كان عازماً على الحيلولة دونها. وقد تكلم المستر بولارد كما لو كان هذا شيئاً مضحكاً، لكنه الصدق بعينه، أو أنه كان الصدق بحذافيره الى حد نيسان الماضي حينما أدرك ويلسن أنه غُلب على أمره فبدّل الاتجاه تماماً. لم أقل هذا للمستر بولارد، لانه ما الفائدة من قولي هذا؟ انها صفحة قد طويت. غير أنه حينما جاء الكابتن كلايتن الى هنا في حزيران وقرأ الملفات والاضابير أدرك حقيقة الوضع في الحال وصار ينظر اليه، من دون تلقين مني، في نفس الضوء الذي كنت أنظر اليه أنا تماماً. وانا استشهد به كشاهد مستقل تمام الاستقلال وغير منحاز .

27 أيلول

... يسافر ويلسن الى الهند ومصر واستانبول في طريقه الى الوطن ـ هذا هو منهجه. انه يريد ان يفهم المسألة الشرقية فهماً جيداً. وقد قلت له أنكم سيسركم لقاؤه في لندن ...

ان ما آمله هو ان يقوم السر برسي بتسليم قسط كبير من المسؤولية الى أبناء هذه البلاد. فهي الطريقة الوحيدة التي تعلمهم مقدار الصعوبة في تمشية شؤون الحكومة. أظن أننا يجب ان نخوض فترة طويلة من عدم الاستقرار واقتراف الاخطاء، مما ستكون نتيجته ان نتقاسم بالتساوي مجالات عملنا اذا تحلوا هم بالحكمة وتحلينا نحن بالصبر. فقد تحملنا المسؤولية جميعاً حتى الآن وعلينا ان نسمح لهم بتحملها كلها مدة من الزمن لنرى بعد ذلك اذا كان من الممكن تدبير الامر بصورةٍ أحسن ...

27 أيلول (ب)

كان الاسبوع محتشداً بحفلات الوداع المقامة لويلسن. وفي الليلة السابقة ليوم سفره جاء يودعني، فقلت له اني كنت أشعر بفتور همتي

أكثر مما استطيع قوله وأني متأسفة للغاية لاننا لم نستطع ان نستغل علاقتنا بأحسن مما فعلنا. فأجاب يقول انه جاء يعتذر لكنني اوقفته عن ذلك وقلت له اني كنت أشعر بانها كانت غلطتي انا بقدر ما كانت غلطته، وآمل ان لا يحمل معه أي شيء غير ودي. فكان هذا شعوراً استجاب له استجابةً ودية. والله وحده أعلم بحقيقة ما يشعر به تجاه هذا كله.ومع انه شخصية مدهشة فأني سأكون مسرورة لو انسحب من ميدان السياسة الآسيوية. فأن جميع ما حصل هنا سيحسب ضده على الدوام في الشرق، وان كثيراً مما لا يلام عليه هو سوف يلصق به. لكنني لا اعتقد بأنه سينسحب، وسيبقى يمارس نفوذاً كبيراً بالنسبة لما عنده من قابلية جبارة. أني أعترف بأني كنت أخافها. ولا أظن ان رجلاً يصب في مثل القالب الذي صب فيه هو سيكون على درجة كافية من المرونة تسمح له بالخضوع للعلاقات الجديدة التي ولدتها الحرب ما بين أوربة وآسية، وأحب ان أرى المستقبل في أيدي أناس يملكون قوى عقلية أقل وتفهماً انسانياً أعظم. وكان ويلسن قد تلقى درساً قاسياً هنا، وأنا أكن أحتراماً كبيراً لذكائه الذي أعتقد بانه قد جعله يتعلم كثيراً من هذا الدرس. غير أنه يُشك فيما اذا كان من الممكن في عمره هذا ان يغيّر وجهة نظره. وقد تكون وجهة نظري هي المغلوطة، وفي هذه الحالة يتحتم عليّ بالتأكيد ان لا أبقى هنا. وسيكون من واجب السر پيرسي ان يحكم عليّ في هذا الشأن.

وليس لدي سبب يجعلني أرضى بدوري في القصة، وأشك في وجود شيء يميزني عن الاختيار ما بين الاثنين، او اذا كان هناك اختيار فأني أنا التي يجب ان تلام أكثر من غيري لأني كان ينبغي ان لا أبقى حين وجدت ان آرائي تختلف كثيراً عن آرائه. ولم أكن لابقى لو كنت أعرف مقدار امتعاضه الشديد من موقفي. وعلى كلٍ فأني أقلب الصفحة الآن وأنا اشعر بأني تاركةٌ ورائي فصلاً غير مرضٍ للغاية.

ان السيد طالب النقيب ذاهب الى البصرة لمواجهة السر پيرسي بناءً على طلبه. وقد كان هنا قبل لحظات لانه جاء يودعني، وهو يمتلىء ثقةً بالمستقبل. أظن انه لا يقدّر الصعوبات الموجودة في طريقه بشكل مخطر. فكل شيء حسن جداً حينما يتكلم المرء بالعموميات، لأنه سرعان ما يشعر بالخطورة حين يأتي الى التفصيلات العملية .

الفصل الخامس
1920
تشرين الأول ـ نهاية كانون الأول

3 تشرين الأول 1920

ركبت، كعادتي في كل يوم أحد، لأزور الحاج ناجي قبل تناول الفطور. فوجدت عنده عدداً من الضيوف يجلسون في «چرداغه»، وكان يريهم مقص الاشجار الذي بعثتموه اليه ويقول لهم (انه أول مقص من نوعـه يصـل الى العراق). وقد قطع متباهيا خصلةً من أغصان شجرة توت قريبة ليريهم كيف يشتغل المقص، فتمنيت أن تكونوا هنا لتروا ذلك. لقد انغمست جداً في الشؤون الزراعية هذا الاسبوع. فحضرت محاضرة عملية في مزرعة القطن التي تجرب فيها الآن زراعة أنواع عدة من القطن ومختلف العمليات الزراعية[1]. وكان بين الحاضرين حوالي «دزينة» من ملاكي بغداد المهتمين غاية الاهتمام في الموضوع، وكذلك كنت أنا. فقد ظهر نتيجة تجارب أجريت خلال سنوات ثلاث أن هناك نوعاً من القطن الامريكي[*] الطويل التيلة يبشر بالنجاح. وتدل جميع

---

(1) عين الكابتن توماس في الأول من آذار 1919 مديراً لقسم البحوث في دائرة الزراعة، وهو الذي كان يرعى محطة تجارب القطن.

(*) انه النوع الذي سمي «ميزو وايت» Miso- White فيما بعد .

القرائن على أننا سوف ننتجَ قطناً جيداً يضاهي ما تنتجه البلاد الاخرى في العالم، وان حاصله سيكون وفيراً جداً...

هناك جماعة اخرى لم اخبركم عنها حتى الآن. فقد ذهبت انا والكابتن كلايتون لتناول الشاي عند رجلٍ من أبرز رجال عُقيل في بغداد. والعقيل كلهم تقريباً من أواسط الجزيرة العربية، وهم يدعون بدون اختلاف أنهم من رعايا ابن سعود. وهم كذلك تجار البادية ورؤساء قوافلها. وقد كان معي في القافلة حينما ذهبت الى حائل رجل منهم. انهم يقيمون في الجانب الأيمن من بغداد ـ المسمى بالكرخ ـ ولهم مقهى مشهور خاص بهم. وانا على صلات وثيقة بهم لانهم الناس الذين أحصل منهم على الاخبار[1]، وأساعدهم بقدر ما أتمكن فيردون ذلك اليّ بزيارتي عندما يعودون من سورية، او الجزيرة العربية، ويخبرونني بما سمعوا ورأوا... وكانت حفلة الشاي التي حضرناها حفلة مؤنسة. فكانت جدران الديوان ملطخة بطبقات من دخان التبغ، وكان الاثاث الوحيد التخوت المصفوفة حول الغرفة، ومنضدة واحدة لنا في صدرها. وقد أحضرت من باب التقدير لنا حلوى العنجاص معلبةً بعلب من الصفيح. فكنا نغرف منها ونأكلها باردة ودعوت جماعة كبير من العقيليين البارزين لمقابلتنا ـ وكلهم من المترددين على مكتبي ـ فتحدثنا عن السياسة العربية بكثير من الحماسة مدة ساعة ونصف الساعة. وكان سليمان خلال الوقت كله يقف بين أيدينا ويتكلم، فكان أعجوبة في الشكل واللطف واذكر بهذه المناسبة انه مثل جميع النجديين يملك انحف يدين مع أصابع واظفار طويلة قد تغبطه عليها جميلات أميركا. وتعد أيديهم هذه من أخص صفاتهم الجسمية. انهم نادراً ما يحلقون أوجههم لكن لحاهم خفيفة بوجه عام ـ من النادر أن تجد في أوجههم لحية كثة

---

(1) يراجع الهامش رقم (1) في صفحة 132.

كاملة. وبعضهم وهابي العقيدة، اي انهم لا يدخنون. معظم من يتردد منهم على المدن يتخلى عن الاحكام الصارمة التي تفرضها عقيدة البادية. انا أكن لهم حباً جماً، ولي بهم ولع غير متناهٍ. وهم يقطعون القفار رائحين غادين كما لو كانت طرقاً عامة مألوفة، ويعاملني جميعهم بكل أدب ويعتبرونني زميلةً لهم لأني ارتدت الجزيرة أيضاً. فهم حين يتحدثون عن القبائل او الشيوخ او عيون الماء لا أشعر بحاجة للاستفهام عنهم أو عنها. لاني أعرف ذلك كله، وأتصور أفق الجزيرة الرحيب حينما يتحدثون...

3 تشرين الأول (ب)

قد تكون مشكلة الشيعة أخطر المشاكل وأشدها ازعاجاً في هذه البلاد. كنا نناقشها في حفلة عشاء أقمتها في بيتي الليلة الماضية. فقال عبد المجيد بك (الشاوي) (ماذا ستفعلون اذا أصدر المجتهد الاكبر، وصوته صوت الله، فتوًى يحرم فيها على الشيعة الجلوس في المجلس التشريعي؟) ـ والمقصود هو حينما تكون الحكومة خاضعة للانتداب البريطاني ـ (أو لنفرض، حينما تبدأ المناقشة في تشريع قانون من القوانين، ان المجتهد يقاطع المناقشة فيصدر فتوى باعتبار ذلك القانون مخالفاً للشرع الشريف ويجب رفضه بصرف النظر عن الاعتبارات الاخرى؟). تصوروا اقدام البابا على ممارسة السلطة الدنيوية في أيطالية واعاقة سير الحكومة أينما توجهت، في الوقت الذي تمسكون فيه بزمام الحكم في أيديكم. ان العلاج الناجح لذلك هو نفس العلاج الذي توصلت اليه ايطالية بمرور الزمن. اذ ينتهي البابا والمجتهد في النهاية باعتبارهما أناساً هرمين سخيفين[1]. لكننا لم نصل بعد الى تلك المرحلة هنا.

---

(1) .. هذه وقاحة استمدتها الآنسة بيل من حياتها الليبرالية التي استغرقها صباها المبكر في بيت ابيها في يوركشاير، وهي ـ هنا ـ لم تتورع عن اهانة شيخ الشريعة في النجف، والبابا بندكتس الخامس عشر في الفاتيكان.

واذا كنت ستشكل أي شيء من قبيل المؤسسات النيابية الحقيقية، فانك ستحصل على أكثرية شيعية فيها. ولهذا السبب انك لا تستطيع مطلقاً ان تشكل ولايات ثلاثاً مستقلة تمام الاستقلال في حكمها الذاتي، ولذلك يجب ان يحتفظ بالموصل السنية في ضمن الدولة العراقية من أجل تنظيم التوازن[1]. أني أرى ان هذه النقطة هي من الحجج الرئيسية الداعية الى منح العراق حكومة مسؤولة. فنحن كأجانب لا نستطيع التفريق بين السني والشيعي. غير انك لو تركت الامر بأيديهم فأنهم سيتغلبون على الصعوبة بنوعٍ من أنواع التحايل والتمويه، كما فعل الاتراك تماماً، ويعتبر هذا فيِ الوقت الحاضر الطريقة الوحيدة لحل المشكل. على ان السلطة النهائية يجب ان تكون في أيدي السنة، برغم أقليتهم العددية، والا فستكون عندك دولة يسيّرها المجتهد، وهو أمر خبيث جداً. وهناك اعتباران ايجابيان الآن: احدهما، ان فشل الثورة التي نشبت بتحريض من المجتهدين على ما تعتقد العشائر قد يحط من شأن أولئك الزعماء كقادة دنيويين بمقدار غير يسير. وثانيهما، أن المجتهد الاكبر الحالي يسير الآن مترنحاً الى قبره ـ كان من المؤسف جداً ان يحال دون وقوعه فيه قبل سنة، حينما أنقذه ضابطنا الطبيب في النجف ـ وقد أتى بعده مجتهد أكثر تفتحاً وتنوراً منه، فهناك أناس من هذا القبيل حتى بين المجتهدين.

وما علينا الاّ ان يكون بوسعنا تنصيب رئيس للدولة من أهل البلاد. أني اؤيد عبد المجيد بأن السيد طالب يجب ان يستثنى من الموضوع، وليس هناك بديل يمكن ان يشغل المنصب سوى نجل من انجال

---

(1) يبدو ان الآنسة بيل ـ في تأكيدها على الخلاف بين السنة والشيعة ـ من انصار التفسير الطائفي للتاريخ العراقي. وهي هنا تريد ان توهمنا بأن الاحتفاظ بولاية الموصل من مستلزمات التوازن بين الطائفتين وكأن النفط لم يكن له حساب في هذا التقدير.

الشريف. لقد ترامى الى سمعي ان الشبان العرب في بغداد قد أسقطوا عبد الله من الحساب على اساس أنه فظ غليظ، ويبدو ان فيصلاً تحول دونه حساسية الفرنسيين، فتباً للفرنسيين.

حضر حسن السهيل في صباح أحد الايام وقال انه يأمل ان تتاح للشيوخ الكبار الذين لم يثوروا فرصة من الفرص يضعون فيها آراءهم بين يدي السر پيرسي قبل ان يتفاوض مع الثوار. ثم راح يقول (والا فأن أولئك الذين ثاروا عليكم هم الذين سيضعون منهج الحكم - نحن نريد ان تكون لنا يد فيه، ونعتقد بأن لنا الحق في مثل هذا الطلب، أننا نحن الذين نريد انتداباً بريطانياً يجب ان يُسمع صوتنا قبل غيرنا). فكتبت مذكرة في الموضوع الى السر پيرسي. ان اجتماعاً مثل هذا الاجتماع الذي يقترحه الشيخ حسن سيكون اجتماعاً مهيباً. لاننا نستطيع حينئذٍ ان ندعو اليه شيخ مشايخ عنزة البدوية (صديقي القديم فهد بك)، وشيوخ الدليم في أعالي الفرات، وشيخ شمر بدو ولاية الموصل، مع جميع شيوخ الحلف الكبير في جنوب دجلة. وليست هذه بدوة غير حسنة، لأن هؤلاء سيمثلون أكثر من نصف السكان العشائريين.

أشعر، منذ ان غادر ويلسن البلاد، بأني قد خرجت من كابوسٍ مخيف. فلم أكن ادرك كيف كان وجوده شديد الوطأة الى درجةٍ مرعبة الاّ بعد ان ترك العراق. وليست عندي أية فكرة عما سيصنعه السر پيرسي معي، هل سيريدني أن أبقى أم لا؟ على أني متأكدة من شيء واحد، هو أني سوف لا أشتغل قط مع ويلسن مرة ثانية. فاذا عاد الى هنا سأرحل في اللحظة التي يأتي فيها، لأني لا استطيع الاشتغال مع رجلٍ متهور مثله. حيث ان عدم الثقة في استقامة الناس الذين تشتغل معهم وأمانتهم يعتبر شيئاً مميتاً. ولست أنا الأولى في هذا الشأن، فأن المستر دوبس(*)

(*) السير هنري دوبس فيما بعد، وقد أصبح مندوباً سامياً في بغداد بعد السر پيرسي كوكس.

يحمل الشكوك نفسها وللسبب نفسه. وقد كنت على شاكلة المستر دوبس أحمل آراء مستقلة لم يستطع أي تي ويلسن تغييرها مع أنه بالنسبة لي كان لا يعبأ بها. اما بالنسبة لدوبس فلم يتمكن ويلسن من عدم اعتبارها لكنه تمكن من جعل اشتغاله غير مريح في المنصب بحيث لم يستطع الدفاع عنه تقريباً.

لم احتفظ على ما يبدو بنسخة من حديث عبد المجيد (الشاوي) ولذلك لا استطيع اقتراف حماقة ارساله اليكم. كانت خلاصة ما فيه ان بغداد تهزأ بادعاءات السيد طالب بالامارة، وقال مجيد انه يعتقد في الوقت الحاضر بانه لا يمكن ان يكون رئيساً للدولة سوى السر پيرسي. ثم اقترح علاوةً على ذلك منح مقدار غير يسير من الاستقلال المحلي لكل من الولايات الثلاث، مع أضافة المناطق الفراتية. وأظن ان منزلة السر پيرسي هنا تجعل الحل الوقتي لمثل هذا شيئاً ممكناً، لكنها لا تتركنا في حلٍ من التفتيش بعناية وبصورةٍ عاجلة عن مشروع على جانبٍ أكبر من الثبات.

10 تشرين الأول

. . . ذهبت في أحد الايام لزيارة امرأة أخ ساسون افندي[1] فوجدت جميع الرجال هناك يتوقون لمحادثتي. قال ساسون افندي انه متأكد من انه ليس ثمة رجل من رجال البلد هنا يمكن ان يكون مقبولاً لدى الجميع كرئيس دولة، لأن الآخرين جميعهم سيحسدونه. ثم مضى في حديثه متحسساً شتى الجهات ـ وقال اننا بوسعنا ان نفكر بأحد انجال الشريف، أو بأحد ابناء اسرة سلطان مصر، او سلطان تركية[2]. فقلت

(1) المقصود هنا هو ساسون حسقيل الذي تولى وزارة المالية فيما بعد أما اخوه فيسمى شؤول حسقيل.

(2) أراد ساسون حسقيل، عندما طرح هذا الرأي، ان يؤكد للآنسة بيل الشائعات التي =

اني من جهتي متأكدة من ان السر پيرسي لا يمانع في تنصيب أي شخص ينتخبه العراقيون، عدا أني أرى ان الاسرة التركية يجب ان تكون خارج الموضوع - ان رئيس الدولة يجب ان يكون أميراً عربياً... وسيوافق العراقيون على أي شخص يعتقدون بأننا نؤيده، لكنهم سيحوكون الدسائس ضده من دون انقطاع. فليست هذه أرضاً تسهل حراثتها! ان هذه التأملات ستلقي ضوءاً على ما ينشر الآن في الصحف الانكليزية التي يبدو منها أن السر پيرسي ليس عنده سوى ان يقول لحكومة عربية كوني فتكون، فيهييء «زيوس»(*) آلهة اخرى. ويمكنك ان تقول، اذا شئت، انهم يعتقدون بأن السر پيرسي يقوم بدور «زيوس» لكن الآلهة التي يرسلها ستجد المسرح مملوءاً بمسائل تافهة كثيرة كالمشكلة الشيعية، ومشكلة العشائر وغير ذلك من المشاكل التي تتعثر بها حتى الآلهة بسهولة! لكن كوكس اذا لم يكن زيوس في الحقيقة فأنه طبيب ماهر جداً، يضع فيه مريضه ثقته التامة. ومن الواضح عندي اننا يجب ان نسير في الطريق الذي يقع اختياره هو عليه، مهما كانت حالته، وعلينا ان نسير وراءه بجميع ما يملكه من مقدرة وقوة كلٌ منا شخصياً. على ان الحقيقة المنطوية في الانتقادات كلها هي انا كنا قد وعدنا بتأسيس مؤسسات يمارس فيها الحكم الذاتي، واننا لم نتخذ أية خطوة للوفاء بذلك الوعد، ولم نكتف بذلك فقط بل كنا منشغلين بتأسيس شيء يختلف عن الشيء الذي وعدنا الناس به تمام الاختلاف. وتقول احدى

= روجتها الصحافة الاجنبية يومئذ بأن فؤاد الأول ملك مصر ادعى انه وريث ممتلكات السلطان عبد الحميد وصاحب السيادة الشرعي على الاجزاء العربية من الامبراطورية العثمانية القديمة، وان الامير محمد سليم اكبر انجال السلطان عبد الحميد اخذ يطالب بحقول ابيه في نفط العراق، وان عبد الله أو (زيداً أو فيصلاً) هو المرشح اللائق لحكم العراق .

(*) كبير آلهة اليونان.

الجرائد، وهي محقة، اننا كنا قد وعدنا البلاد بتأسيس حكومة عربية لها مستشارون بريطانيون لكننا أسسنا حكومة بريطانية لها مستشارون عرب(*). وهو قول ينطوي على كثير من الانصاف...

10 تشرين الأول (ب)

كان من المؤمل أن يكون السر پيرسي كوكس(**) وعقيلته قد وصلا منذ يوم أمس، لكنهما بقيا يوماً آخر في العمارة والكوت، وسوف لا يصلان الى هنا الا غداً.

ما غادر السيد طالب بغداد لاستقبال السر پيرسي في البصرة حتى أخذت جميع التيارات الخفية المعادلة له بالظهور ـ راجع حديث عبد المجيد معي. وسيأتي السر پيرسي بالسيد طالب معه، ولذلك راحت بغداد تدمدم وتغمغم بعبوس من جراء هذا الوصول المشترك، لاننا نعرف أنه سيبذل قصارى جهده ليبين كما لو كان يطري السر پيرسي ويقدمه الى العراق وأهله تحت اشرافه هو. ولا ندري الى أي حدٍ ذهب السر پيرسي في توريط نفسه مع السيد طالب بالوعود ـ اني استغرب واستبعد صدور مثل هذا من السر پيرسي. لكني استنتج ان أي تي ويلسن، بما عنده من لا مبالاة ساخرة، كان يبذل جهده في مؤازرة السيد طالب، سواءٌ أكان مقبولاً او غير مقبول عند الناس، ومن المحتمل ان يكون قد حرف الحقائق وشوّه حقيقة الحالة للسر پيرسي. على ان الاخير لا تخدعه المظاهر بسهولة، وأظن انه سيسبر غور السيد طالب عن كثب. لقد أبرقنا له مقترحين ارسال السيد طالب الى بغداد قبله ـ أي اليوم ـ ليكون

(*) كان هذا فحوى التعليق الذي كتبه اللورد كرزن وزير الخارجية البريطانية يومذاك في معرض شرحه على المقترحات التي قدمها ويلسن الى حكومته في هذا الشأن.

(**) عاد السر پيرسي كوكس كمندوب سام في البلاد، وكان في بداية عهد الاحتلال حاكماً ملكياً عاماً ثم نقل سفيراً إلى إيران.

حاضراً في المحطة كرئيس للجنة المبعوثين حتى يقدمهم له عند وصوله ـ انها وسيلة بارعة ابتدعها الكابتن كلايتون ليهيء للسر پيرسي احدى الثغرات، اذا كان يريدها.

ليس لدينا أي شعور ضد السيد طالب او معه، لا انا ولا أي شخص آخر منها[1]، بل بالعكس سيكون من المناسب جداً لنا اذا توفق في الحصول على تصويت العراق له. لكن محاولة فرضه على البلاد ستكون شيئاً قاتلاً بالنسبة لنا. والحقيقة اننا اذا كنا سنفرض أحداً فمن الاحسن ان يتولى ذلك السر پيرسي نفسه. فالنظرية هي اننا سوف نشكل حكومة يقبل بها الجميع، غير ان العائق هو ان حكومة مثل هذه ليس لها وجود.

أجريت حديثاً طريفاً مع ساسون[*] افندي قبل ايام. فقد قلت له أني أشعر ان السر پيرسي لم يكن يبالي، ولا يبالي الآن، بمن يقع اختيار العراقيين عليه. واعتقد بأنه يجب ان يكون أميراً عربياً. فبادرني ساسون افندي يقول (اذا كانوا يعتقدون بأنكم تؤيدون السيد طالب فأنهم كلهم سيوافقون ظاهرياً عليه، بصرف النظر عما يعتقدون به. فقد صادف في احدى المرات ان كنت معه على نفس الباخرة الراجعة من استانبول ـ كان ذلك حينما كان السيد طالب مبعوثاً عن العراق. وكان سكان البصرة من دون استثناء تقريباً يكرهونه ويخافون منه، لكنهم كلهم خرجوا يستقبلونه من المحمرة ويرحبون به، وكان الذي استقبله بأكثر ما يكون من الود والصميمية هو أكثرهم كرهاً له! لقد كانوا يخشونه، وسيكون كذلك الآن).

---

(1) كذبت الآنسة بيل في هذا الادعاء، فهي في رسالتها المؤرخة (16 تموز (ب) 1920) كانت ضده حين قالت: انه رجل عديم الضمير. وكانت معه حين قالت: انه أقدر رجل في الابلاد.

(*) ساسون حسقيل، وكان مبعوثا في مجلس المبعوثان عن العراق على عهد الاتراك، ثم جيء به وزيراً للمالية عدة مرات في بداية تشكيل الحكم الوطني.

تكتب الجرائد الانكليزيّة بالتفصيل هراءً فظيعاً ـ فهي تكتب مثلاً ان ادارة الشؤون العربية قد سارت في الطريق الخاطئ منذ ان مات الجنرال مود! لقد كان مود بعيداً بالكلية عن أبعد فكرة ترمي الى الحكم الذاتي في آسية لدرجةٍ لا يمكن تصورها. ولم يقبل بالبيان[1]، وقد كتب في لندن، وصار يعزى اليه في العادة، الاّ وهو ساخط ناقم، ولم يصدره الاّ بعد ان تسلم أوامر مشددة تجبره على ذلك. وقد قضى السر پيرسي بعد ذلك ستة أشهر مضنية وهو يحاول التمسك باعطاء السكان المحليين حتى أكثر الحقوق المدنية اعتدالاً. ولهذا جاء موته في محله تماماً، وكان من حظه ان يقضي نحبه في مثل هذه المرحلة.

ومن المضحك ايضاً ان نسمي ادارة ويلسن ادارة فظيعة دامية. انها لم تكن من هذا النوع. فالحقيقة المنطوية على جميع الانتقادات ـ وهذا ما يجعل الرد على المقالات من الصعوبة بدرجة غير يسيرة ـ هي اننا قد وعدنا البلاد بتشكيل حكم ذاتي فيها ولم نمتنع عن اتخاذ أية خطوة في هذا السبيل فقط بل كنا مشغولين أيضاً بتشكيل شيء يختلف تمام الاختلاف عنه. ولكن دعنا نوزع الانتقاد توزيعاً غير متحيز. إذ تقول إحدى الجرائد بحق اننا كنا قد اعطينا وعداً بتشكيل حكومة عربية لها مستشارون بريطانيون لكننا شكلنا حكومة بريطانية لها مستشارون عرب. ولنلتفت الآن الى بلادٍ اخرى خاضعة للانتداب ـ فلسطين. ان نفس القواعد العامة يجب ان تطبق هناك كما تطبق هنا، كما يبدو لي. ومع ذلك فقد أسس هربرت صموئيل في فلسطين الاصلية خلال الشهرين الاخيرين نفس الشيء الذي حصل هنا بالتمام، اي حكومة بريطانية لها

(1) وهو البيان الذي خاطب فيه أهل بغداد يوم دخوله العاصمة العراقية فاتحا، والذي أعلن فيه ان الجيوش البريطانية لم تأت الى البلاد فاتحة. بل محررة!! وكان ذلك في 19 مارت 1917.

مستشارون من الأَهلين[1]. وهو يفعل هذا لانه يعلم ان أي شكل من أشكال الحكم الوطني المستقل استقلالاً حقيقياً يمكن ان يشكل في البلاد سوف يرفض الاعتراف بالصهيونية. أفلا يكوّن ذلك ادانةً كافية للصهيونية[2]؟ أنا شخصياً كذلك، وأرى ان فلسطين العربية سوف تتملص من النير الصهيوني في وقتٍ من الاوقات، وقد يكون هذا بمساعدة مصر. وعند ذلك ستكون الغلطة غلطتنا نحن، لانه اذا كان هناك أي درس قد أتاح لنا العراق فرصة تعلمه هو اننا لا نستطيع ان نعلن عن شيء بسلام وننفذ غيره.

... تناول الشاي عندي في الليلة الماضية جماعتي الاعتيادية من الزملاء. أي الميجر يتس والكابتن كلايتون والميجر موري، ومعهم حسين أفنان محرر احدى الجرائد[*] المحلية. انه يكاد يتكلم الانكليزية

---

(1) المعروف عن هربرت صموئيل (وقد عرفناه في الهامش رقم (2) في صفحة 199) انه أسس الادارة المدنية في فلسطين على اكتاف الصهاينة، وكان من بينهم الجنرال ديدز (سكرتير الادارة المدنية) وسمولود (سكرتير الادارة المالية) ونورمان بنتوتش (مفتش عام) والكابتن هراري (للتجارة والصناعة) والكولونيل سلمون (سكرتير المخازن) وريجنالد وينجت (قائد لمقاطعة حيفا).. وكانوا جميعاً يحملون الجنسية الانكليزية. اما العرب سكان البلاد فلم يكن لهم نصيب في هذه الادارة.

(2) اين هذه الادانة؟ وما هي مقوماتها؟.. وهل لرجل مثل هربرت صموئيل ان يصوغ تلك الادانة الكافية للصهيونية؟.. لقد أعترف وايزمان في مذكراته (التجربة والخطأ) انه هو الذي أقترح على الحكومة البريطانية تعيين هربرت صموئيل مندوباً سامياً على فلسطين لتولى نقل الوعد النظري الى حقيقة واقعة. فماذا تنتظر الآنسة بيل من مندوب على هذه الشاكلة؟ وما يدرينا.. لعل الادانة المزعومة تتمثل في منجزات صموئيل التالية: الاعتراف بالعبرية لغة رسمية ـ تسهيل الهجرة الصهيونية بقوانين ـ تطعيم الدوائر الحكومية بالموظفين الصهاينة ـ اكراه الفلاح العربي على بيع اراضيه ـ حماية الصناعة الصهيونية على حساب المستهلك العربي ـ التعاون مع الوكالة اليهودية ـ منح الصهاينة حق الاستقلال الثقافي ـ تعيين احد الصهاينة مشرفاً على الأوقاف الاسلامية ـ رعاية المستعمرات الصهيونية.. الى آخر القائمة. فهل في هذا او بعضه ما يستقيم ادانة للصهيونية؟!!

(*) جريدة الشرق التي أمر باصدارها الانكليز.

كما أتكلمها أنا، وهو ثنائي اللغة بالنسبة للعربية والفارسية، وله اطلاع واسع في شؤون الشرق الادنى مقروناً بتفهم تام لوجهة النظر الاوروپية وتعاطف عظيم معها. وهو غير كبير الامل بالشرق كله. فأن ما يلفت نظره فساد الحياة الخاصة عند الناس، وفقدان القيم الاخلاقية بالمرة[1]. اذ يدهشك طراز معيشة معظم الوطنيين الشبان المتحمسين لو اطلعت عليه يضاف اليه ما يقوله حسين (ماذا يمكنك ان تنتظر من أناس لا يذهبون الى النوم وهم صاحون؟) أرجو ان لا تعتقدوا ولو لبرهة من الزمن ان هذا كله يُعزى الى الاحتكاك بالغرب. فقد كانت حياة المدينة على ما هي عليه الآن دوماً، وسواء اسكروا بالشامبين او العرق فان ذلك لا يؤثر في الامور. ومن النادر جداً ان تجد مسلماً يعيش عيشةً مهذبة جديرة بالاحترام [*] ! انه يدفع الثمن جسدياً، ويعني ذلك عقلياً أيضاً. أما العلاج فأني أجهله. فمن العجيب حين نعمد الى التفكير به ان نجد نحن في أوروپة ان حداً أدنى معقولاً للفضيلة والنزاهة يعتبر من الملازمات الاساسية لأي مجتمع ناجح. لكن أهالي آسية لم يتوصلوا الى ذلك، مهما كانت الديانة التي ينتمون اليها[2].

---

(1) ان حسين افنان (العميل المعروف) ينعى على الشرق كله (وضمنه العرب) غياب القيم الاخلاقية في حياته العامة.. ولكنه ـ فيما بعد ـ اقترف في بعض العواصم الأوربية اقذر القيم اللا اخلاقية.. ومن هنا حصافة حكمه على اخلاق الشرق!!

(*) يلاحظ القاريء ان المس بل تسف اسفافاً كبيراً حينما تكتب في خصوصياتها مثل هذا الدس والتحامل الدال على الغل والحقد والتعصب. ويشاركها في ذلك اذناب الانكليز مثل حسين افنان وغيره.

(2) جاء كلام الآنسة بيل، هنا، تطبيقاً لمقولة شاعرها (وشاعر الاستعمار) روديارد كيپلنغ Rodyard Kipling الشرق شرق والغرب غرب.. ولن يلتقيا».. ولكنها انفردت عنه بالتهجم عل العبادات والاديان.

17 تشرين الأول

سأحاول أن أقص عليكم ما وقع خلال هذا الاسبوع الحافل بالحوادث. فقد وصل السر پيرسي يوم الاثنين في 11 منه الى محطة غربي بغداد. وحينما وصلنا الى المحطة في الرابعة والنصف اضطررنا للانتظار، نظراً لأن موعد وصول القطار كان في الخامسة والنصف، وكان في المحطة شبه غرفة للانتظار مفروشة بالسجاد الى محل وقوف القطار.. . فطُلب اليّ ان ادخلها، وقد اجتمع فيها بالتدريج حوالي عشرين او ثلاثين من وجهاء بغداد.. . مع القائد العام وضباط أركانه، ورؤساء الدوائر، وضباط مقر السر پيرسي هنا. وقد اطلقت المدافع سبع عشرة اطلاقة للتحية في خارج المدينة، ولما كان اتجاه الريح معاكساً فلم نسمع دويها، ولذلك قيل لنا فجأةً ان القطار قد بان من بعيد فأخذنا مواقعنا بسرعة عند موقفه. وكان يقف من الجهة اليمنى السر أيدغار ورؤساء الدوائر وأنا، وبقربنا القناصل، ثم رجال الدين. اما في الجهة اليسرى فقد كان القائد العام وضباط الركن، والسيد طالب والمبعوثون، وأمين العاصمة وواحد أو اثنان من الوجهاء مثل ابن النقيب الاكبر. وكان في خارج المحطة جمهور من الناس وعدد من الضباط البريطانيين وزوجاتهم وكثيرون غيرهم ممن لم أتمكن من تمييزهم. وحينما وقف القطار كانت الشمس تقارب المغيب، فتقدم القائد العام للسلام على السر پيرسي، حين خرج متشحاً بالبدلة العسكرية البيضاء، وبعد ان صافح القائد العام وقف للتحية بينما الفرقة الموسيقية تعزف نشيد (ليحفظ الله الملك). وقد شعرت حينما كان يقف هناك، ببدلته البيضاء وقياطينها الذهبية والوقار البسيط تبدو اماراته عليه، بأنه لم يقع مثل هذا الوصول التاريخي مطلقاً ـ لم يكن ثمة أي شخص موئلاً للشعور والعواطف المتناقضة، ومعقداً للآمال والشكوك والمخاوف مثله، فضلاً عما كان يوضع من الثقة في حكمته وكماله الشخصي.. . وحينما جاء الى غرفة

الاستقبال قدمني اليه السر أيدغار، وبينما كنت أرد عليه بما يقتضي من واجب التأدب كان كل ما استطعت ان أعمله هو ان امسك نفسي عن البكاء من الفرح.

وحالما انتهى تقديم المستقبلين اليه ألقى في حضوره جميل الزهاوي، شاعر بغداد الشهير، خطاباً (*) ترحيبياً رد عليه السر پيرسي بالعربية يقول انه جاء، بأمرٍ من حكومة صاحب الجلالة، للمداولة مع أهالي العراق من أجل تأسيس حكومة عربية بنظارة بريطانية العظمى، ثم طلب الى الشعب ان

(*) نشرت جريدة الشرق في عددها المرقم 29 الصادر بتاريخ 12/ 10/ 1920 الخطاب بكامله مع جواب كوكس. وفيما يأتي نورد شيئاً مما جاء في الخطاب.

فقد استهل الزهاوي خطابه بالبيتين الآتيين:

عد للعراق واصلح منه ما فسدا   واثبت به العدل وامنح أهله الرغدا

الشعب فيه عليك اليوم معتمد   فيما يكون كما قد كان معتمدا

وبعد الترحيب قال:... انما جئت في أبان الحاجة اليك، فخذ يا طبيب الأمم بيد العراق، وجس نبضه لتعلم درجة اضطراب قلبه الخافق من حرارة حمى الثورة، فتسقيه من سلسبيل سياستك كأساً تعيد اليه ما فقده من الصحة، وتخفف آلامه. فقد زال ايها الأب المشفق بعدلك الآمن الذي وطدته في ربوع العراق، واخذت الفتن والاضطرابات والمخاوف يا للأسف تحل مكانه... اني ايها المندوب الجليل اؤكد لحضرتك ان القلاقل، التي ثار ثائرها في الأطراف، لم تحدث الآ من سوء التفاهم، وان المتفكرين من الأمة قد ذموها في أبانها. فاذا علم الناس من منشوراتك عليهم فيما بعد بنيات الحكومة العادلة تسابقوا الى السلم وعرض الولاء الذي كانوا يظهرونه في سنوات الاحتلال السابقة... ثم انهى قوله هاتفاً فليحيا المندوب السامي السر پيرسي كوكس الافخم، ولتحقق آمال الشعوب.

وقد رد السر پرسي كوكس بالعربية قائلا:

يا جميل افندي ويا أيها المندوبون: ان دولة انكلترة ارسلتني الى الاتفاق مع الاشراف ورؤساء العراق ومساعدتهم لنحصل على الغاية المطلوبة للطرفين، وتؤلف الحكومة العربية المستقلة بنظارة دولة انكلترة. وقد جئت لهذا المقصد، لكنه ما زال الاغتشاش مستمراً طبعاً لا يمكن العمل وانا حاضر عندما تحصل الفرصة، وهذا شيء بيدكم.

يتعاون معه في تهدئة الحال وتوطيد السلم حتى يستطيع التفرغ لمهمته. وقد قوطعت كلماته بعبارات الموافقة والقبول من مستمعيه.

وفي هذه الاثناء كانت الليدي كوكس والمستر فيلبي، والكابتن چيزمان (السكرتير الشخصي للسر پيرسي) قد خرجوا من القطار فتبودلت بيننا جميعاً التحيات الحارة. وقد خرجت الليدي كوكس، بعد سفرة عشر ساعات مغبرة، وكأنها قد خرجت من «الكاغد» ـ كان ذلك أعجوبة كما قلنا لها. واوصلتنا السيارة بعد ذلك كلنا الى دار السر پيرسي.. . وبعد ان قدمت لنا الليدي كوكس الشاي اختفت مع الكابتن چيزمان لتفقد دارهما الجديدة المطلة على الجسر، ولم تكن قد أعدت لهم بعد، وبقيت انا والسر پيرسي وفيلبي نتحدث. وقد لاحظت من أول لحظة ان كل شيء أخذ يسير على ما يرام. اذ صرح السر پيرسي انه عازم على تشكيل وزارة عربية في الحال، كتدبير مؤقت، من غير ان ينتظر الى ان تتم تهدئة البلاد. وكانت خطته ان يطلب الى شخصٍ ما تشكيل وزارة يعين لها هو بنفسه مشاورين بريطانيين. وقد اتفقنا كلنا على ان الصعوبة هي في إيجاد شخصٍ لائق يطلب اليه أن يكون رئيساً للوزارة. وكانت فكرته الأولى أن يكلف السيد طالب، لكنها كانت فكرة تدعو الى النظر. فقلت له انه من المستحسن ان يتذاكر في هذا الشأن مع الناس الموجودين هنا ليخرج بفكرةٍ ما من المذاكرة، لأن ما يقرره سيتحتم علينا ان نبذل جهدنا في ترويجه. ومن المستحيل جداً ان اصف لكم مقدار الارتياح الذي يشعر به المرء عندما يخدم بامرة شخص يضع ثقته في حكمته وتعقله. ذلك الشخص الذي ينظر الى المهمة الصعبة صعوبة غير اعتيادية بنظر الرغبة في العمل من أجل مصلحة أهالي البلاد لا غير[1]...

---

(1) هذا يعني انه لا يريد جزاءاً ولا شكورا.. وانه يعمل لآخرته!!

وذهبت في صباح اليوم التالي مبكرةً الى المكتب. فدعاني السر پيرسي في الحال، وتحدثنا حول البرقيات الوادرة - وكنت خلال ذلك أحاول كبت شعوري بهذه الخبرة المبتكرة بالكلية التي تجعلني موضع الثقة في الشؤون المهمة! وما عدت الى مكتبي حتى شرعت أتسلم الرسائل واستقبل الزائرين، وكل منهم منزعج أكثر من الآخر مبدين ان المدينة بأجمعها مستاءة من حفلة الاستقبال لأن الوجهاء دعوا اليها ثم حشروا، عدا القليل منهم، في الغبار خارج المحطة، ولم يتسن لهم حتى مصافحة السر پيرسي. فقد قال لي شيخ هرم وهو يحتدم غيضاً (لقد جئنا حباً وطاعة، وعندما حاولنا الاقتراب من فخامته دفعنا جانباً). وعومل بهذه المعاملة حتى أخوة النقيب.

وعلى هذا عزمت على الاضطلاع بواجبات السكرتير الشرقي، اذ لم يكن يوجد احد في الدائرة يعرف بغداد غيري، وبعد ان دعوت المستر فيلبي لمساعدتي حررنا مسودة دعوة الى وجهاء بغداد جميعهم للحضور في صباح اليوم التالي، ولم نتمكن من مواجهة السر پيرسي الا قبيل وقت الغداء، لكنني في الوقت نفسه احضرت قائمة باسمائهم - تتجاوز المئة اسم - وكذلك احضرت قائمة صغيرة بالاشخاص الذين يترتب عليه مقابلتهم على انفراد. فصادق على كل شيء وترك لي مطلق الحرية. . . فوزعنا بطاقات الدعوة ذلك المساء. ان فرائصي لترتعد حينما أتصور ما كان يمكن ان يحدث لو لم نبادر الى معالجة الوضع عاجلاً، اذ لم يكن هناك ولا شخص واحد من أصحاب السلطة يهتم بالناحية المختصة بالعرب، في الوقت الذي كان من المهم جداً ان يتصل السر پيرسي اتصالاً شخصياً عاجلاً بوجوه البلد. وقد تعشى المستر فيلبي عندي تلك الليلة فجرى بيني وبينه حديث طويل مفيد. ثم تناول الشاي معي أيضاً فدبرت حضور ساسون افندي ليتعرف عليه، فكان ذلك على جانبٍ عظيم من الفائدة، فأن ساسون افندي من أعقل الناس هنا، وقد

استعرض معنا الوضع بكامله بحكمته المعتادة واعتداله المعهود.

وفي صباح اليوم التالي استقبلنا الوجهاء المدعوين ـ فكان ذلك على جانبٍ عظيم من النجاح. ولما كانت المقاعد في غرفة السر پيرسي محدودة فقد دبرت حضورهم بثلاث مجموعات يتأخر موعد كلٍ منها عن موعد الاخرى بمقدار نصف ساعة. وقد أجلسنا في غرفة السر پيرسي حوالي ثلاثين شخصاً في كل دفعة، ورتبنا دخولهم على أربع دفعات. وكان يقوم باستضافة المنتظرين كلٌ من المستر فيلبي وأنا في غرفة الانتظار المجاورة. لكنني دخلت مع احدى الجماعات فرأيت كيف ان الامور تسير سيراً حسناً فقد كان الوجهاء يجلسون حول الغرفة وتقدم لهم القهوة والسكاير على ما يرام في حين كان السر پيرسي يشرح منهجه ويسأل رأيهم فيه. وكان ذلك من الامور التي برع فيها كل البراعة، اذ انصرف كل منهم والفرح باد عليه. وقد اجتمعت بعبد المجيد الشاوي، رئيس البلدية، اجتماعاً خاصاً بعد ظهر اليوم نفسه، ثم اجتمعت بساسون افندي وغيره في صبيحة اليوم التالي، وبجماعة أخرى صباح يوم الجمعة. وعلى هذا كنت مشغولة تمام المشغولية بهذه المقابلات، وبالتملص من المتطفلين الذين كانوا يفدون على المكتب. ويقوم الآن بالاشراف على مقابلات السر پيرسي انا والكابتن چيزمان، فأتولى أنا ما يختص من ذلك بشؤون العرب بينما يقوم هو بما يختص بشؤون الانكليز.

دعاني السر پيرسي يوم الخميس بعد الظهر ليبحث معي المشورة التي أبداها ساسون افندي حول تهدئة الحالة في منطقة بعقوبة، وهي ان وجوه بغداد الذين يملكون مقاطعات هناك يجب ان يستدعوا ملتزمي أراضيهم من أبناء العشائر فيشرحوا لهم نوايا السر پيرسي وخطل قيامهم في وجه الحكومة. اذا كان السر پيرسي يرى ان تنفيذ ذلك يعد خطوة ملائمة لانها تدعو البغداديين أنفسهم الى الاسهام في شيء يعتبر من صالحهم. .فذكرت للسر پيرسي أسماء الذين يجب ان يتولوا كتابة

الرسائل المطلوبة في هذا الشأن. ثم أملى عليّ بياناً بالمآل نفسه، وطلب اليّ ان انشره بالعربية في الحال بعد استشارة المستر فيلبي. وهنا يجب أن اخبركم بأن أنباء مهمة وردت الينا هذا الصباح من الفرات تشير الى اننا استولينا على طويريج، وان كربلاء قد أبدت استعدادها للتسليم ولذلك عقد السر پيرسي اجتماعاً حضره أيڤلين هاول وفيلبي وانا، فتقرر ان يطلب الى الحكومة(*) المؤقتة في كربلاء التي ألفها الثوار ان تسلم بدون قيد أو شرط، وان تحضر لمواجهة السر پيرسي ولها الامان. فكان لانباء الفرات هذه وقع شديد في البلد.

ولأكمال قصة منطقة ديالى أقول أن جميع الملاكين انصاعوا برغبة لما اقترحه عليه السر پيرسي. وسيبعث النقيب بولده السيد صفاء الدين، وقد زارني هذا الصباح ليخبرني بجميع ما ينوي القيام به. وجاء في اثره فخري جميل يحمل برقيات كان يزمع ارسالها الى ملتزمي أراضيه. وبهذا تكون قد نجحت الخطة.

واقنعت السير پيرسي، في مساء الخميس، بعد ان عرض عليّ وعلى المستر فيلبي أسماء الوزراء العرب الذين وقع اختياره عليهم، على الاجتماع بمن بقي من جماعتنا ـ الميجر موري والميجر يتس والكابتن

(*) تألفت في ايام الثورة حكومات محلية في كربلاء والنجف والديوانية. وكانت حكومة كربلاء تتألف من مجلسين: المجلس الاعلى وقوامه أربعة علماء هم السيد هبة الدين الحسيني، والسيد أبو القاسم الكاشاني، والسيد أحمد الخراساني، والشيخ عبد الحسين، والمجلس الملي وقوامه ثمانية من وجهاء البلد، يضاف اليهم ممثل عن العلماء هو الحاج محمد حسن ابو المحاسن من وزراء المعارف الأوائل، الشاعر المعروف، وممثل واحد عن كل قبيلة من القبائل المحيطة بكربلاء. وكانت واجبات هذا المجلس أدارية في الغالب. كما ان المشرف على المجلسين سماحة العلامة الشيخ محمد تقي. وقد عين السيد محسن ابو طبيخ أحد زعماء الثورة المعروفين متصرفاً في كربلاء.

كلايتون، فجرى بيننا حديث مرضٍ للغاية. وقد أردت بذلك ان يدرك هو ان هؤلاء الاشخاص(*) هم الذين سيشتغلون معه قلباً وقالباً، فأدرك ذلك بعد زمنٍ يسير. وطلب الى المسترفيلبي في نهاية الاجتماع ان يقدم له مخططاً عن تشكيلات سكرتاريته. وهذه قضية شائكة جداً لانها تختص بالاشخاص، فنحن نعتقد بأنه يجب ان يكون عنده في «المقيمية» تشكيلات كاملة، فيكون عنده مثلاً سكرتير مدني، وسكرتير سياسي، وسكرتير عسكري، وسكرتير شخصي...

وقد حاولت بكل اخلاص ان ابتعد عن مواطن الجدل، لأنني أشعر ان السر پيرسي يسلك الطريق الذي يرتأيه. وكان هناك من يعارض في تشكيل وزارة عربية عنيدة، لكن السر پيرسي سلك طريقه من دون ان يلتفت لأحد. لانه يعلم بانه ليس ثمة طريق آخر، وهو حينما يقرر شيئاً لا يزحزحه عنه أي امر من الامور. ولا غرو فان بساطته الهادفة لا يدركها العجب.

ما زلنا نشعر كأننا في حلم، وحينما نجد ان جميع الاشياء التي كنا نفكر بانجازها قد انجزت من دون اعتراض. واني لأشعر بنفس المقدار من التأكد بأن الامر حينما يصل الى المشكلة الصعبة، في معالجة شؤون القبائل الثائرة في الفرات، فان السر پيرسي سينبذ جميع ما كان يخالج البعض من أفكار الانتقام السخيفة، ويتخلى عن فكرة انزال العقوبات، وسوف لا يسترشد الا باعتبارات السلم المقبلة في البلاد وهي مقدمة على ان تستظل في ظل حكومة عربية جديدة. وأول سؤال يخطر على البال هو: من سيكلف بتشكيل الوزارة؟ ان معظم الذين قابلهم السر بيرسي قد اقترحوا تكليف النقيب، وأظن ان محاولته

(*) اي الذين يؤمنون مثلها بالفكرة التي جاء بها كوكس، وهي تأسيس ما سموه بالحكم الوطني تطميناً لرغائب البلاد الثائرة، بخلاف الباقين من الانكليز من جماعة ويلسن.

ستتجه في هذا الاتجاه غداً. غير اني لست مقتنعة فقط بأن النقيب سيرفض هذا التكليف عن نفسه، لكنه سيمتنع عن التوصية بأي شخصٍ آخر ايضاً. .

واذا رفض النقيب ان يخطو الى الامام، ويسد الثغرة الحاصلة، فأن وجه الخيار الوحيد الذي أراه هو ان يضطلع السر پيرسي كوكس نفسه بالمهمة، فيدعو أعضاء الوزارة المؤقتة ويعينهم في مناصبهم. ان المعتدلين أنفسهم هم الذين يفكرون بهذه الفكرة الآن، فقد اقترح فخري جميل ذلك عليَّ في صبيحة هذا اليوم. ولست بحاجة الى القول بأني رحبت بالفكرة وأبديت غاية التعجب والاهتمام لأني أريد ان يأتي كل شيء من عندهم، لا من عندنا نحن. لكنهم اذا الحوا على السر پيرسي بهذا الحال فانه سيكون دليلاً قاطعاً على صلاحية المبدأ المفضل عندي، وهو أنك اذا ألقيت بالمسؤولية عليهم فأنهم سيجبرون على العودة اليك للمساعدة.

والغرض من تشكيل الحكومة المؤقتة هو أن تقوم فقط بأجراء التمهيدات اللازمة لأول انتخاب عام يتم في البلاد، واجرائه بالفعل. وحالما يتهيأ وجود هيئة انتخابية فان تلك الهيئة ستنتخب ممثليها الرسميين فتتلاشى الحكومة المؤقتة من الوجود. ومن الواضح ان الانتخابات العامة لا يمكن ان تتم وما زال ثلث البلاد في حالة ثورة علنية، لكنه من الواضح أيضاً كما يرى السر بيرسي ان الوضع لا يتحمل التأخير في تأسيس شكل من أشكال الحكم الوطني. وعلى هذا يتوقع الجميع هنا انه سيقوم بعملٍ ما في الحال، واذا لم يفعل فستفلت الفرصة الذهبية وتتزعزع الثقة.

بقيت في البيت طوال هذا اليوم، ما عدا نصف ساعة قضيتها مع السر پيرسي في المكتب بعد الظهر. لقد سألني عما اذا كنت أوافق على الاشتغال في معيته مباشرةً كسكرتيرة شرقية، أو أي شيء آخر يقدره هو،

فأخبرته بأني يلذ لي أن أخدم معه بأية صفة يختارها هو.. . وقد وجدته يتحدث الى محرر الجريدة الوطنية هنا، انه من الوطنيين المتحمسين فكان تأثيره عليه مرضياً للغاية...

17 تشرين الأول (ب)

... وقد جمع معظم وجوه البلد وسيقوا[*] سويةً الى خارج المحطة حيث وقفوا في الغبار، ولم تهيأ لهم فرصة الوصول الى السر پيرسي.

ومما جعل الكأس أكثر مرارةً ان الشخص الذي «ساق» الوجهاء كان الميجر ديلي الذي يعتبره جميعهم مسؤولاً بالذات عن ثورة العشائر. وكانت النقطة المهمة حينذاك: ماذا يجب ان نفعل بعد هذا؟ كان السر پيرسي يتداول مع ايفلن هاول والكولونيل سليتر[1]، وهما يعنيان كليةً بمستقبل الموظفين البريطانيين وموقفهم من الوضع الجديد، وهذه أمور تبدو لي غير مهمة تماماً اذا ما قورنت بمستقبل العراق الذي يعتمد برمته على مزاج الشعب في البلاد. ولذلك قررت في الحال ان أنصب نفسي في وظيفة «السكرتير الشرقي».

وكان من الاشياء الاخرى التي أفعلها: (1) أن أدعو بعض الشيوخ الكبار الذين وقفوا بجانبنا في حوادث الفرات و (2) أن أبعث بالسر پيرسي الى الموصل لئلا يحصل استياء كبير هناك. فوافق السر پيرسي

(*) تشير المس بيل في هذه الرسالة الى المعاملة السيئة التي عومل بها المستقبلون من وجوه البلد حينما خرجوا لاستقبال السر پيرسي في محطة غربي بغداد، كما ذكر في الرسالة السابقة ايضاً.

(1) عين هذا الضابط سكرتيراً مالياً في 29 آذار 1919 وكان مستشار وزارة المالية 1921 وما بعدها، وقد لعب دوراً مهماً في المفاوضات النفطية بين العراق وشركات النفط.

على الاثنين. وقد أبرقنا الى أهم اربعة شيوخ (وأحدهم فهد بك الهذال الذي أهداني الكلبين)، وحررت برقية للمستر جيزمان (سكرتير السر پيرسي الشخصي) ليبرقها الى الكولونيل نولدر في الموصل ويعلن فيها وقت وصول السر پيرسي الى هناك، ثم يخبره بأنه يريد الاجتماع بوجوه البلد. فطار الى هناك صباح يوم أمس وسيعود في هذه الليلة.

سأروي لكم هذه القصة كما وقعت. وسوف لا استمر على تمشية شؤون العراق، غير انه ليس هناك في هذه اللحظة شخص آخر يتولى الامر، ولما كان الوقت ضيقاً للغاية فقد نهضت وتوليت المهمة.

يعتبر تشكيل السكرتارية الشخصية للسر پيرسي مهمة عويصة، شائكة جداً، بالنسبة لسائر المشاكل لانها قضية شخصية. فالمشكل في الامر أنه عازم على ان يأتي بالمستر غاربت ليعينه سكرتيراً مدنياً. انها ليست وظيفة مهمة، وسيضطلع بها المستر غاربت على وجهٍ اكمل. غير ان ايفلن (هاول)، ومن الغرابة بمكان ان يكون الكولونيل سليتر معه، يخشيان من ان يقوم السكرتير المدني بمنع مستشاري الوزراء العرب ـ انهما سيكونان من بينهم بطبيعة الحال ـ من الاتصال مباشرةً بالمندوب السامي. ان هذا هو الحماقة بعينها، على ما اعتقد، لكني تعمدت أن أبقى خارج المأزق[1]. فقد كانا يعارضان بشدة في تشكيل وزارة عربية، لكن السر پيرسي مضى في طريقه لا يلوى على شيء، وانا انشر ترانيم

(1) وفيما بعد استقامت دائرة المندوب السامي على الوجه التالي:
السير هنري دوبس(مستشار) والميجر ب. هـ. بورديللون (سكرتير) والمستر ن. ج. داڤيدسن (سكرتير قضائي) والمستر م. س. كاينن بيرس (سكرتير مالي) والكابتن ر. أي. جيزمان (سكرتير خاص) والآنسة غير ترود بيل ـ صاحبة هذه الرسائل (سكرتير شرقي) والمستر ر. سي. م. ستارجس (معاون السكرتير) والمستر ف. أي. ستافورد (معاون السكرتير المالي) والمستر ل. ت. پولارد (مساعد السكرتير العام) والمستر ج. ك. كونال (مدير الادارة).

الثناء في قلبي طوال اليوم. وأشعر بتأكد مماثل انه حينما يأتي الى التعامل مع الثوار العشائريين في الفرات سوف يتخلى عن جميع أفكار الانتقام السخيفة والعقوبات المنتظرة، مما كان يتداول به الناس في خارج دائرتي السياسية. فكيف يمكن معاقبة الناس عن الثورة ضد الحكومة العسكرية البريطانية بينما لم يعد لها وجود؟ أنك تستطيع معاقبتهم عن الضرر الذي أوقعوه ببلادهم، وحتى في هذا الشأن ليس بوسعك ان تتأكد مما تفعل لأن معظم الضرر كان قد سببه الجيش البريطاني. ولذلك فليس هناك حينما تنتهي العمليات العسكرية سوى العفو العام، لكن الاستثناءات الممكنة الوحيدة هي الاشخاص الذين عرفوا بارتكاب القتول.

على ان تشكيل وزارة مؤقتة في الوقت نفسه يعتبر أمراً بالغ الصعوبة. فقد أدرك السر بيرسي تمام الادراك قوة الشعور الموجود ضد السيد طالب. والمشكل هو ايجاد شخص يدعى الى تأليف الوزارة. ان معظم الناس الذين اجتمع بهم اقترحوا عليه بأن يكلف النقيب. غير اني مقتنعة بآن النقيب سوف لا يرفضها لنفسه فقط، وانما سيرفض أيضاً ان يوصي بأي شخص آخر. فأن منصبه الديني بالنسبة له أكبر من أي شيء آخر في العالم، وهو يعتقد بأنه سيعرضه للخطر بأخذ أي دور مباشر في الشؤون العامة. على اني اؤيد كل التأييد اقدام السر پيرسي على مفاتحته بالامر، واذا كنت مخطئة في الجواب الذي سيقدمه فذلك خير على خير. لكني اذا كنت مصيبة سأقول من هو البديل؟ اني اعتقد، ويرى السر پيرسي الآن، ان دعوة السيد طالب لتشكيل الوزارة ستكون غلطة قاتلة تقريباً، غير أنك لا تستطيع تخطيه وتدعو رجلاً آخر غيره. فبرغم تحذيراتنا له كلها بأنه يجب عليه أن يثبت نفسه بنفسه، وبأننا لا نستطيع مساعدته في الامر، فانه يرى اننا يجب ان ندعمه ونفرضه على البلاد. وهو الآن يشد على كل خيط يمكن ان يخطر على باله ليجعل نفسه

مقبولاً. فاذا كان بوسعه ان يجعل نفسه مقبولاً في الحقيقة فليس هناك، من وجهة نظرنا، ما نرحب به مثله، لكني اعلم انه لا يستطيع. فلم يكن تقاطر الناس من مختلف النزعات السياسية على مكتبي، طوال الاسبوع الفائت، من دون جدوى...

24 تشرين الأول

ذكرت لكم في الاسبوع الماضي عن اصابتي بالتهاب القصبات.. ومع ان انحراف مزاجي كان شيئاً متعباً فأني، من بعض الوجوه، لم أكن آسفة لابتعادي عن المنازعات الشخصية العنيفة التي وصلني صداها. فقد تعهد أهل بغداد بأن لا أكون بعيدة عن الازمة السياسية. لانهم كانوا بجانبي طوال ساعات... اذ كانوا يأتون اليّ بحجة السؤال عن صحتي فيجلسون على أريكتي ليصبوا آمالهم ومخاوفهم عندي. وقد حاولت ان أسد بابي الى حد الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، لكن ذلك لم يكن شيئاً ناجحاً جداً. لأن رئيس البلدية يتدحرج قادماً في التاسعة، أو يبعث النقيب بابنه السيد محمود ليتفقدني فاضطر الى ارتداء (الروب) والخروج لمقابلتهما. والمزعج في الامر هو اننا لم يحصل عندنا أي تقدم. فقد غمرت السر بيرسي تفصيلات الامور وطغت عليه بحيث لم تترك فرصة له ينظر فيها في أمهات القضايا والمسائل، وليس هناك أحد في المكتب، على ما يبدو، عنده ما يكفي من سرعة الخاطر ليقف في بابه ويمنع دخول أي أحد عليه. ولذلك فان جل ما كنت استطيع صنعه هو أن أبعث اليه بتقارير يومية عن هذر الناس وأحاديثهم، وعن الشائعات وقلة الصبر، التي كانت المدينة تغلي بها فتدل على أنها لا يمكن ان يوضع حد لها الاّ بقرارٍ سريع حاسم. على ان السر بيرسي سبق ان توصل الى قرار في هذا الشأن، وعزم على ان تكون أول خطوة يخطوها هي ان يكلف النقيب بتشكيل الحكومة المؤقتة، لكن الأيام مرت يتلو أحدها الآخر ولم يجد وقتاً يخطو فيه تلك الخطوة.

وجاءني في يوم الاربعاء شيخا الفرات، بعد مواجهة السر پيرسي مباشرة. فجاء أولاً فهد بك شيخ عنزة وهو يبدو أصغر مما كان عليه (انه يناهز الثمانين) وأخبرني متباهياً بأنه تزوج امرأتين مؤخراً. وبين لي بعد ذلك خطته البسيطة للمستقبل، وهي ان السر پيرسي يجب ان يعتمد على مشورته (مشورة فهد) في جميع شؤون العشائر، وان يستشير النقيب واثنين آخرين من المعممين المعروفين في الشؤون الاخرى. وجاء بعده علي السليمان شيخ مشايخ الدليم، الكثير الاقتدار، بخطط أحسن تناسباً مع الاحوال الجديدة من خطط فهد، ثم تبعه أناس أقل منه شأناً.

وفي يوم الخميس بعث السر پيرسي يخبرني بأنه سيعقد (مجلس دولة)[*] في بيتي بعد ظهر اليوم نفسه، نظراً لعدم تمكني من الذهاب الى المكتب. فاجتمعوا في الساعة الثالثة: السر پيرسي، إيفلن هاول والمستر فيلبي، والمستر بولارد، والسر ايدغار، والكولونيل سليتر. واعقبت ذلك ثلاث ساعات من المناقشة الممتعة ـ الاليمة، لأن السر پيرسي عرض خطته في تشكيل الحكومة المؤقتة من الوزراء العرب والمستشارين البريطانيين.. . وقد أقرت خطته في النهاية بعد ادخال تغييرات طفيفة عليها، وأعلن انه سيعرضها على النقيب.

ولم يحدث شيء آخر يوم الجمعة، غير ان عدداً كبيراً من الناس جاء يعودني، وكان يبدو ان جميع ضوضاء بغداد أخذت تدور حول حديقتي. ثم زارني في المساء المستر تود وزوجته وناشداني بنفسي مثل ما فعل الآخرون، «استعجلي، استعجلي». وعلى هذا الاساس بنيت تقريري اليومي ورفعته الى السر بيرسي.

(*) يدل هذا على ان الانكليز قد شكلوا «مجلس دولة Council of State من بين موظفي الاحتلال الكبار، قبل تأسيس مجلس الدولة العراقي وهو أول مجلس وزراء للحكومة المؤقتة كما سيأتي.

بدأت يوم السبت بزيارة ممتازة تفضل علي بها جعفر باشا. أنه امير اللواء ذو الخدمة الممتازة مع الاتراك أولاً، ومع فيصل فيما بعد. لقد رأيته في الشام خلال العام الماضي، ثم ظل يكاتبني باستمرار منذ ذلك الوقت وواجهني في الشتاء على عجل بعد ان واجه السر پيرسي.. . فقلت له انه من واجبه كوطني أن يساعد في تأسيس حكومة عربية بأي شكل كان، وانه اذا ما تقدم هو والآخرون من أمثاله بجرأة الى الامام معتمدين على مؤازرتنا فأنهم سوف يخرسون ألسن النقاد. ولا أدري اذا كان قد صدقني في قولي ام لا... كان جعفر اول العراقيين العائدين من سورية، وسوف تتوقف على موقفه هو أشياء كثيرة...

وجاءني حسين أفنان ايضاً. وما بدأت بحديثٍ ودي معه حول مقالات افتتاحية كان يزمع نشرها في جريدته حتى دخل المستر فيلبي واشخاص آخرون، وعلى رأسهم السر بيرسي، وقد توقفت أنفاسنا من التأثر، ابتدرنا يقول «انه قد قبل». وكان قد جاء لتوه من عند النقيب الذي وافق على تشكيل الحكومة المؤقتة وبذلك أصبنا اول نجاح ولم يكن بوسع أحد غير السر بيرسي ان يصيبه. والحقيقة هي ان اقناع النقيب وحده بأن يمد يد المساعدة في الشؤون العامة كان يعد شيئاً قريباً من المعجزة. ولم يكن يساوي سرور السر پيرسي وامتنانه غير ما كان عند كلينا منهما، فجلسنا كلنا مدة نصف ساعة، يعلو أوجهنا البِشر ويلفنا الفرح، وأخذنا نمجد بالنقيب ونثني على المندوب السامي بالتناوب.

استيقظت في هذا الاحد يخالجني شعور غير متناه بالفرح.. . ستوزع دعوات النقيب بين أعضاء الوزارة المقبلة غداً.. . اني معتقدة بأن المشروع سيكتب له النجاح، وستصبح البداية الأولى الصعبة للغاية هذه في ذمة التاريخ.. .

24 تشرين الأول (ب)

.. في يوم الخميس عقد (مجلس دولة) في بيتي مرر فيه السر بيرسي مشروعه (بتأسيس حكومة مؤقتة) بعد اجراء تبديلات طفيفة فيه، وأعلن انه سيضعه بين يدي النقيب. ولم يحدث شيء في يوم الجمعة. ثم بدأ يوم السبت بزيارة زارني فيها جعفر پاشا (العسكري) ليأخذ رأيي فيما اذا كان اشتراكه في الحكومة المؤقتة سيضر بسمعته، باعتباره من الوطنيين، على أساس ان تلك الحكومة سينظر اليها كوسيلة من وسائل حكم البريطانيين للبلاد! فأخذت بخناقه مجازياً وهززته هزاً. لقد تزعزعت ثقة أولئك الذين حاربوا في سورية تزعزعاً شديداً بما اعتبروه (ولا يخلو ذلك من بعض الحق) تخلياً منا عن فيصل في محنته، ولذلك نحن نبدأ في العراق بوضع غير مؤاتٍ. ويعتبر جعفر أول العراقيين الذين عادوا من سورية، وستعتمد على موقفه اشياء كثيرة. وقلت له ان قناعتي الشخصية هي اننا يجب ان لا نخلد الى الراحة هنا حتى يكون العراق على اختيار احد انجال الشريف أميراً للبلاد، وان الحكومة البريطانية سوف لا تعارض ولا تستطيع ان تعارض الاختيار. فأحدث هذا تأثيراً آنياً فيه. اذ شرع في الحال يناقش صفات زيد وعبد الله، لكن تلك كانت نقطة رفضت الانجرار اليها على أساس انها كانت مسألة لا تعنينا، وان رغبتنا الوحيدة كانت ان نترك للشعب العراقي حرية الاختيار بالنسبة لشكل الحكومة التي يفضلها.

جاءني الميجر نوربري بعد الظهر، على اثر خروجه من حصار في الكوفة دام واحداً وتسعين يوماً. لكن سرورنا بسلامة الحامية يعكره بقسوة موت الكابتن مان (*)، وكان قد قتل برصاصة طائشة. والميجر نوربري

(*) هو معاون الحاكم السياسي الشاب في الشامية، الذي وافق شيوخ الثوار في بداية الثورة على توصيله سالماً الى الكوفة، وقد حوصر مع من كان في حاميتها بعد ذلك لكنه قتل فيها برصاصة طائشة.

رجل مدهش، لا يفكر مطلقاً بالانتقام او أخذ الثأر، ويعنى في الدرجة الأولى بالتحدث عن حسن النية التي قوبل بها في كثير من أوساط الثورة. انه سيجعل من مهمة التهدئة شيئاً عملياً...

كان مما أفرحني ان يأتي السر پيرسي الى عندي رأساً بعد انتهائه من زيارة النقيب، وان يحمل معه بشارة موافقته على الاضطلاع بتشكيل الحكومة المؤقتة(*) . وبذلك اقترنت أول حركة بالنجاح.

1 تشرين الثاني

مر علينا أسبوع حرج للغاية، لكن الامور ظلت تسير بوجه عام كما يمكن ان نأمل. وقد أعددت في مساء الاثنين كتب النقيب وبرقياته الى الثمانية عشر شخصاً الذين كلفهم بالاشتراك معه في تأليف مجلس الوزراء. وتعشيت تلك الليلة مع الكابتن كلايتون والميجر موري لمقابلة جعفر پاشا. فكانت ليلة مدهشة.. أفضيت له فيها بأن ما نرغب في اعطائه في النهاية هو الاستقلال التام. فأجابني «سيدتي ـ كنا نتكلم بالعربية ـ ان الاستقلال التام لا يعطى، بل يؤخذ على الدوام» ـ أنه قول مأثور...

وجعفر پاشا رجل مثالي ذو مقصد سامٍ، تحدوه الحمية على

(*) **صدر مرسوم تأليف الحكومة المؤقتة، او الوزارة النقيبية الأولى، بعد ايام (27/10/ 1920)**. وكانت تتألف كالآتي: السيد عبد الرحمن النقيب للرئاسة، السيد طالب النقيب للداخلية، جعفر العسكري للدفاع، حسقيل ساسون للمالية، عبد اللطيف المنديل للتجارة، محمد مهدي الطباطبائي للمعارف، عزت الكركوكي للأشغال، محمد علي فاضل للأوقاف. اما وزراء الدولة (وزراء من دون حقائب) فهم: عبد المجيد الشاوي، فخري جميل، عبد الرحمن الحيدري، الشيخ عجيل السمرمد، عبد الجبار الخياط، الحاج عبد الغني كبة، الشيخ محمد الصيهود (أمير ربيعة)، الشيخ سالم الخيون، الحاج نجم البدراوي، احمد باشا الصانع، الشيخ ضاري السعدون، داود اليوسفاني.

عنصريته وبلاده. . . وحينما افترقنا في تلك الليلة لم يخامرني شك بأنه سيرفض دعوة النقيب الى الاشتراك في الوزارة كوزير للدفاع. ولم يقع ذلك بالفعل. . . وقد وردت في ذلك اليوم عدة أجوبة بالقبول. وأقمت بعد ظهر اليوم نفسه دعوة شاي فخمة في حديقتي لفهد بك والعقيليين. . . فكانت شيئاً بديعاً حقاً. فقد جلس فهد بك يقص قصص البادية التي انتهت بأن فتح ثيابه وأراني ثقباً كبياً في صدره تكوّن من طعنة رمح في ظهره طُعن بها في غارةٍ اشترك فيها على أيام شبابه، ولم يكن بوسع أحد ان يتم له الشفاء من هذه الطعنة غير العربي ابن البادية. وفي صباح الاربعاء كان يبدو ان كل شيء يسير على ما يرام. ومر بي بعد الظهر الميجر يتس لتناول الشاي بصحبة المستر تود وعقيلته. فابتدرنا المستر تود يقول انه مر بساسون افندي ليهنئه على تعيينه وزيراً للمالية فوجده مع حامد[*] پاشا بابان (الذي كلف ليكون وزيراً بلا وزارة) وهما يتحدثان بالاعتذار عن قبول الوزارة. . . فتركت كوب الشاي من دون أن أشربه وأسرعت الى المكتب لأخبر المستر فيلبي فلم يكن هناك، الاّ انني لاحظت وجود ضوء في غرفة السر بيرسي. فدخلت اليها واخبرته بالامر. فطلب اليّ الذهاب الى ساسون أفندي في الحال، وخولني أن أحمله على تبديل رأيه. وقد توجهت الى هناك وأنا أشعر كأني أحمل مستقبل العراق في يدي، لكني عندما وصلت الى بيت ساسون وجدت مع بالغ ارتياحي المستر فيلبي والكابتن كلايتون قد سبقاني الى هناك. فقد تسلم النقيب كتاب ساسون بالاعتذار واستحث المستر فيلبي بالتعجيل اليه. على أني وصلت في الوقت المناسب، لانهم كانوا قد استنفدوا جميع حججهم ولم يزل ساسون متمسكاً بقراره. أظن ان قلقي الشديد ربما يكون قد الهمني الحجج باقناعه، لأن عناده قد تزعزع بعد

(*) حمدي بابان.

ساعة من الجدل المركز برغم أن أخاه شاؤولاً (الذي احترمه ايضاً) دخل في الجدل وبذل جهده ضدنا. . . فحملنا ساسون على الموافقة على ان يفكر ملياً في الامر ويواجه السر پيرسي في اليوم الثاني. وقد حصلت عندي قناعة داخلية باننا قد كسبنا اللعبة ـ ويعود ذلك ولله الحمد الى علاقات الثقة والاعتماد التي كنت قد وطدتها شخصياً مع ساسون ـ لكن أحداً منا لم يستطع ان يشعر بالاطمئنان. ولم أنم كثيراً في تلك الليلة، فقد كنت اقلب في فكري الحجج التي استعملتها عند مجادلتي له، ولا ادري اذا كان بوسعي أن أكون أبرع مما كنت.

وجاء في صباح اليوم التالي، الخميس. ساسون افندي في الساعة العاشرة. فأخذته الى السر پيرسي رأساً، ثم تركتهما وحدهما. وقد عاد بعد نصف ساعة ليقول لي أنه قد قبل بأن يستوزر. ثم سألني ماذا بوسعه ان يفعل الآن لمساعدتنا، فبعثته الى النقيب رأساً. واعتذر كذلك شيخ(*) بغداد الأول عن الاشتراك في الوزارة، وكان من الضروري أن يحمل على القبول. وفي أبان هذا الحديث طلبني السر پيرسي، فتركت ساسون مع المستر فيلبي وذهبت للتشاور معه. وقد اتفقنا على أن أبعث حالاً في طلب جعفر لاخبره بما وقع وأناشده ان يفعل شيئاً. فتجاوزت الساعة الواحدة قبل ان أحصل عليه، وجرى بيننا أهم، الحديث وأمتعه، وبيّن الهواجس والدوافع التي دفعته الى قبول الاشتراك في الوزارة. . .

وبحثنا بعد ذلك في كيفية كسب المتطرفين. فطمنته بأن تلك هي غاية السر پيرسي الأولى، فتشجع وتساءل عما اذا كان من الممكن ان يكلم السر پيرسي. وأخذته اليه فوراً ثم تركتهما وحدهما وانا مطمئنة من اقتناعي بأن السر پيرسي هو خير من يدافع عن سياسته.

(*) امتنع السيد مصطفى الألوسي عن قبول وزارة الأوقاف لكنه اقنع بقبول وزارة العدلية.

وذهبت في صباح السبت مع المستر فيلبي لمواجهة النقيب.. وكان فيلبي رسول السير پيرسي اليه دوماً، فقام بعمله هذا خير قيام. لقد وجدنا السرور يطفح من وجه النقيب، ولم يكن ممتلئاً بالرأي السديد حسب بل كان يغمره ايضاً شعور بالعزم على تسيير الامور بنفسه. وكانت رغبته الوحيدة ان يشتغل يداً بيد مع السر پيرسي وان لا يسمح لأي عضو(*) آخر في الوزارة ان يسيّره، انا مسرورة بذلك سروراً قلبياً. وقد بعث يخبر السر پيرسي بأن أكون أنا وكيلته حينما يتعذر ارسال فيلبي في بعض الاحيان.

ابتهل الى الله ان يطيل عمر الحكومة(**) العراقية هذه. فلنعطهم المسؤولية ونجعلهم يحلون مشاكلهم بأنفسهم، وعندئذٍ سنجدهم يفعلون ذلك احسن مما نفعله نحن بألف مرة.

انهيت هذا اليوم بإقامة حفلة عشاء لساسون أفندي وجعفر پاشا وعبد المجيد الشاوي، وقد ساعدني في ذلك المستر فيلبي والكابتن كلايتون والميجر موري. فقد اردت ان يتصل الثلاثة الأول بعضهم ببعض. فكانت الحفلة شيقة للغاية، وقد قص عبد المجيد على جعفر قصة الاسس التي بنيت عليها ثورة العشائر بأجمعها. غير ان جعفرا دافع بكل لباقة عن الحاجة الماسة لأجراء تسوية عاجلة مع الثوار. ومما قاله (يجب ان يعود الفلاح الى محراثه والراعي الى قطيعه، ويجب ان تحقن

(*) ربما يكون المقصود بهذا السيد طالب النقيب، فقد كان من الشائع يومذاك انه هو الذي سيهيمن على الوزارة ويسيرها..

(**) يقول المستر فيليب آيرلاند في حاشية الص 218 من كتابه (العراق ـ دراسة في تطوره السياسي) ان احد الموظفين البريطانيين المتصلين بادارة العراق اتصالاً وثيقاً كتب عن الحكومة المؤقتة يقول «ان عرب بين النهرين (العراق) سيعدون على درجة كبيرة من السذاجة اذا اعتقدوا بانهم منحوا حكماً وطنياً حقيقياً. لكني استنتج من جميع ما سمعته انهم ليسوا تحت نير هذا الوهم».

دماء شعبنا ونعود الى زراعة الارض وملئها بالمحاصيل. فهل تريدون ان تزهق أرواح ابناء عشائرنا هدراً، وتموت مدننا وبلداننا من الجوع؟)... ان الحق مع جعفر، فأول عمل عظيم يقوم به مجلس الوزراء يجب ان تكون وجهته تهدئة البلاد وتوطيد السلم. ولهذا يحسن بالنقيب، كما قال ساسون بحق، ان يضم أحد رجال كربلاء والنجف البارزين الى عضوية مجلس الوزراء لكن إحدى الصعوبات هي ان جميع رجال الشيعة البارزين في المدن، أو كلهم تقريباً، هم من رعايا ايران(*) ويجب ان يحملوا على التجنس بالجنسية العراقية قبل ان يتمكنوا من اشغال الوظائف الرسمية في الدولة العراقية.

وقد تحدثنا في المساء عن الجيش العراقي. فان شروط الانتداب تنص على عدم فرض التجنيد الاجباري على أهل البلاد، وجعفر (العسكري) حائر الآن في كيفية جمع المجندين ـ انها مشكلة معقدة. وشرح لنا مساعيه التي بذلها للاتصال بالعناصر الدينية في الكاظمية. فقد زار الزعماء هناك وحاول ان يبرهن لهم ان غاية الحكومة المؤقتة

(*) لم يكن هذا صحيحاً، وانما هو دس مقصود ينم عن حقد المس بيل وكرهها لهذه الطبقة من السكان التي حملت لواء الثورة في الفرات الأوسط فأفسدت على الانكليز خططهم. فالمعلوم يومذاك ان بعض الاسر الشيعية كانت على عهد الدولة العثمانية، ولاسيما خلال الحرب العامة الأولى، قد تجنست بالجنسية الأيرانية برغم عروبة محتدها هرباً من الجندية وتخلصاً من تعسف الاتراك ومعاملاتهم الشاذة. اضف الى ذلك ان قسماً آخر منها لم يشأ التعاون مع الانكليز في تأسيس الحكومة بتأثير العلماء والحركة الوطنية. ولذلك فان هذا لا يمكن ان يتخذ حجة لابعادهم كلهم يومذاك عن اشغال المناصب والوظائف الحكومية. فقد قبل الانكليز بتعيين وزراء يحملون الجنسية التركية، وصادقوا على تعيين عدد من الموظفين الكبار والصغار من المتمسكين بنفس الجنسية. حتى ان اول قائمة صدرت بتعيين المتصرفين كان فيها رجل بقي مصراً على التمسك بالجنسية التركية زمناً طويلاً، ثم غادر العراق الى تركية. وعاد اليه بعد مدة عضواً في الوفد التركي المشترك في لجنة الحدود التي الفتها عصبة الأمم لحسم قضية الموصل.

الوحيدة التي ألفها النقيب وضع أسس المؤسسات والدوائر الوطنية. لكن جوابهم الوحيد كان أنهم يريدون حكومة ينتخبها الشعب بكامل حريته، ولا شيء غير ذلك تكون فيه اية فائدة. غير ان جعفراً قال ـ (لكن الانتخابات العامة لا يمكن اجراؤها في يوم واحد، ونحن نريد أن نبدأ بالعمل في الحال) فلم يتقدموا بأي اقتراح وظلوا متمسكين بموقفهم العدائي المعاند. فسألته «وماذا قلت لهم بعد ذلك؟» وأجاب يقول لقد سكتّ. هذا هو موقف الشيعة، وليس بوسع أحد من غير ابناء البلاد ان يهديهم الى الطريق بصورة تدريجية. أني آمل في الاخير ان يصبح قسمٌ منهم عرباً بالتمام ليسهموا في تمشية شؤون الدولة. . .

وذهبت بصحبة المستر فيلبي والكابتن كلايتن لتناول الشاي عند شكري الآلوسي[1]، وهو يعتبر أمثل العلماء وأعظم المتنسكين المنعزلين عن العالم. ومن دواعي الاعتزاز العظيم لي ان يكون بوسعي الذهاب الى داره متى شئت.

إيه أيها الوالد، أني اتمنى ان يكون بوسعنا ان ننفض غبار الجمود ونجمع سويةٍ الشباب ذوي الرؤوس الحارة، والشيعة الواقفين في طريق التقدم والاصلاح، والمتحمسين مثل جعفر (العسكري)، ورجال الدولة المحنكين مثل ساسون، والعلماء مثل محمود شكري ـ اذا كان بوسعنا ان نحملهم على الاشتغال معاً ليجدوا مخرج انقاذهم بانفسهم فان ذلك سيكون شيئاً ما أبدعه. اني أتخيل الخيالات وأحلم الاحلام في سبيل ذلك.

فاتني ان أذكر ان مجلس وزراء أول دولة عربية تتأسس في العراق منذ زمن العباسيين سيجتمع غداً.

---

(1) هو السيد محمود شكري الآلوسي (1857 ـ 1924) وكان من الدعاة الى الاصلاح. ولما احتل الانكليز بغداد عرضوا عليه القضاء، ثم تولى بعد ذلك عضوية مجلس المعارف في بدء تأليف الحكومة المؤقتة في بغداد.

1 تشرين الثاني (ب)

.. مر علينا اسبوع حرج، لكن الاشياء بوجه عام قد أصبحت على أحسن ما يمكن ان يؤمل. تعشيت يوم الاثنين مع الكابتن كلايتن والميجر موري للاجتماع بجعفر باشا. فكانت أمسية مدهشة تفتح فيها جعفر كما تتفتح الزهرة وقص علينا قصة سورية بأجمعها (وقد سمعناها بخجل وسكوت)، وناقش بعد ذلك أحداث دير الزور فقال انها صدعت قلبه. وقلت له انها كادت ان تصدع قلبي أنا ايضاً. فرد يقول (انها كانت أسوأ بالنسبة لنا، لأن أملنا الوحيد كان دعمكم لنا، لكن المعتوهين، في جانبي كانوا يعكفون على ابعاد التعاطف الانكليزي عنا). وقد اتفقنا على أنه لو كان هناك اتصال حرّ بين الادارتين العراقية والسورية فان الحركات المخزية برمتها كان يمكن ان يتم تجنبها (وكان هذا من الامور التي لم يعترف بها ويلسن قط). ثم وصف بعد ذلك كيف انه وجد المتطرفين هنا يستحيل جلبهم الى طريق الصواب كما كان شأنهم في سورية. (اني اقول لهم هل تريدون الاستقلال؟ أنا اريده كذلك. ألا يحلم كلٌ منا بجاريةٍ حسناء، عمرها اربعة عشر عاماً، يصل شعرها الى خصرها؟ ان مثل هذه الجارية لا وجود لها! والاستقلال التام في الظروف والاحوال الحالية شيء مستحيل. ولكن طالما أنا أؤمن بنزاهة قصدكم فانا مستعد لأن أعمل معكم لأنقاذ بلادي، وحينما أذهب الى أخواني لاقنعهم ببدأ المساعدة يطوون كشحاً عني، ويقولون لي أنت انكليزي). وعند ذاك قلت له (ان هذا هو دورك الآن. لأني حينما قمت بدوري وكلمت أخوتي أنا في العام الماضي أداروا وجههم عني، وقالوا أنتِ عربية)[1]. ألم يكن هذا حواراً مدهشاً؟ وقال شيئاً آخر يستحق التسجيل. فقد قال في أثناء وصفه لرحلته في دجلة (لقد نظرت الى

(1) هذا قياس فاسد، كما يقول المناطقة، وشتان بين انكليزية جعفر وعروبة الآنسة بيل!.. الغبي هو الذي يصدق هذا الهراء.

السكان النازلين على ضفتي النهر، وهم ذوو عيون صافية وأرجل نظيفة نساءً ورجالاً وجدتهم منحطين الى سوية الوحوش بسبب الجهل والتسيب. فقلت لنفسي اذا لم تكن رغبتي البسيطة تنطوي على رفع سوية هؤلاء وتنويرهم اذاً فلتغرق هذه السفينة بي).

وكان أول من قدم الى عندي في صباح الثلاثاء السيد طالب، يحتج بقوله ان تنازله بقبول وظيفة ثانوية حتى ولو كانت تحت رئاسة النقيب يعد شيئاً منافياً لكرامته ـ عُرضت عليه وزارة الداخلية. على اني مع المستر فيلبي قد أقنعناه فيما بيننا بأن من واجبه ان يقبل. ففعل ذلك، ولكن ليس قبل ان يبذل قصارى جهده في ان يجعلنا نصرح له بأنه يأتي في المرتبة الثانية بعد النقيب فقط، وان النقيب اذا ما سقط مريضاً أو توفي فلابد له من ان يحل في محله. وانه على كل حال سيقدر أعظم تقدير ويسمح له باستصحاب شخصي كبير. فلم نتورط معه بشيء واحلناه على السير پيرسي الذي اعتبر قبوله المنصب شيئاً طبيعياً.

وبينما كان كل شيء يسير وفقا للخطة المرسومة علمت ان ساسون افندي، وحمدي پاشا بابان يرفضان منصبيهما. ومع ان كلاً منهما كان مهماً فأن ساسون افندي (عين وزيراً للمالية) كان شيئاً اساسياً. ان رفضه يدفع الوزارة بكونها وزارة سيد طالب ويجعل امرها محتوماً للزوال منذ البداية. ولذلك تركت الشاي من دون ان أتناوله واندفعت متجهةً الى المكتب، فوجدت هناك السر پيرسي. وقد طلب اليّ ان أذهب في الحال وأقنع ساسون أفندي بتبديل رأيه، فقد فشل المستر فيلبي والكابتن كلايتون في التأثير عليه، لكنه بعد ان قضيت ساعة أخرى معه أخذ يتزحزح عن موقفه. وأقول فيما بيننا أننا أقنعناه بأن السر پيرسي لم تكن له رغبة في فرض السيد طالب ولا أي شخصٍ آخر على العراق، لكن طالباً يجب ان يُعطى الفرصة مثل غيره. فاذا برهن على كونه ذا فائدة فانه سيتسلم واجبه في تأسيس مؤسسات وطنية في البلاد، وإلاّ فيصبح ميتاً

من الناحية السياسية. وحملنا ساسون افندي على ان يوافق على التفكير في الامر والمجيء لمقابلة السر پيرسي في اليوم التالي. وكانت لي قناعة باطنية باننا قد فزنا في اللعبة ـ ويعود سبب الفوز لدرجةٍ ما الى علاقات الثقة والاعتماد التي كنت شخصياً قد وطدتها مع ساسون بفضل الله وتوفيقه ـ لكننا لم يكن احد منا يشعر بالاطمئنان.

. . . وقد أمسكت بجعفر پاشا في أواخر اليوم الثاني، فجرى بيننا حديث فوق العادة. اذ قال لي انه قبل بأن يشترك في الوزارة ليعمل على دحر السيد طالب واحباط خططه، وانه يشمئز منه ولا يثق به، ويعتبر وجوب كونه من الشخصيات البارزة في العراق شيئاً معيباً. لكني قلت له ان العراقيين انفسهم هم الذين جعلوه في وضعه هذا بخوفهم وخنوعهم، وان الامر يعود لهم فيما لو أرادوا تحطيمه.

ويقف النقيب بصلابة ضد السماح لقادة الثورة بالعودة الى بلادهم قبل ان تكون الحكومة العربية قد ترسخت أقدامها في منصبها. أليس من المريح جداً ان تأتي هذه الحركة من النقيب نفسه وليس منا؟ الا فلتحيا الحكومة العربية، ولتعش بعمر مديد! أعطهم المسؤولية بأيديهم، واجعلهم يدبرون شؤونهم بأنفسهم، فإنّهم سيفعلون ذلك بأحسن مما نفعله نحن بألف مرة. يضاف الى ذلك انهم ما ان يتسلموا المسؤولية حتى يدركوا مصاعب الحكومة وحاجاتها، ويتخلصوا من الكلام الفارغ في صالح الاشياء المعقولة.

ما حلت نهاية الاسبوع حتى كنت اعاني من الاعياء العصبي، فعزمت على الخروج من بغداد خلال يوم الاحد كله. ولذلك أعددنا كل شيء للخروج في سفرة الى الفحامة، أي الى بستان جميل يقع على بعد ساعة تقريباً بالسيارة في أعالي النهر. وقد أخذت المستر فيلبي معي ليرى صديقي العظيم فائق بك، وهو عبارة عن حاج ناجي آخر ولكن في

مستوى اجتماعي ارقى. فوجدناه يشرف على عملية جني التمر من النخيل. ولهذا جلسنا الى جنب تل التمور الذهبي، بينما كان فائق بك يبدي لنا آراءه ويخبرنا بما كان قد ترامى الى سمعه في بغداد من أخبار. ولم تكن اخباراً حسنة جداً، وكان هو على درجةٍ كبيرة من الشك في نجاح النقيب في النهاية، كما كانت لديه انتقادات يقدمها ـ فكانت كلها قيّمة جداً يجدر سماعها من رجلٍ نزيه غير متحيز مثله. وقد تمشى فائق عائداً معنا، لاننا كنا نتوقع ملاقاة السر پيرسي في الطريق فالتقينا به وبالليدي كوكس، ورجوت السر پيرسي ان ينزل من السيارة وقدمته الى فائق بك الذي أبدى كثيراً من الامتنان. وكان الكابتن كلايتون، والميجر موري، والمستر جيزمان، قد وصلوا من قبل، فأعد لنا زيا وماري[1] غداءً. وذهبنا من بعد ذلك كلنا نصطاد الدراج في المزرعة على حدود الصحراء.

قضيت صباح اليوم كله في تفقد مدرسة دار المعلمين، والتحدث الى المعلمين جميعهم. وتغديت عند المستر والمسز تود[*] فسمعت منه ان المدينة كلها كانت تثني على ما عند السر پيرسي من نزاهة في قصده. اعتقد اننا اذا سرنا باستقامة الى الامام نستمع الى الانتقادات ولا ننزعج كثيراً منها، سوف نفوز في النهاية. لكني اعتقد ايضاً بأن السيد طالب سيسقط. آه ليتنا نتوفق في ذلك! اني اتخيل خياليات وأحلم أحلاماً...

الى السر ڤالانتاين تشيرول

2 تشرين الثاني

اجتمع مجلس وزراء النقيب أول مرة يوم أمس لكنه لم يتوصل

---

(1) كانا خادمين في بيت الانسة بيل، وكانت ماري فتاة ارمنية، وكان زيا طباخها.

(*) وكيل شركة بيت اللنج في بغداد.

الى مقررات ملحوظة على ما يبدو، باستثناء القرار المتخذ بوجوب دعوة السر پيرسي كوكس ليوضح للمجلس طبيعة عمل المستشارين البريطانيين وصلاحياتهم. على أنهم بعثوا بعد الاجتماع يستدعون فهد بك بن هذال، شيخ مشايخ عنزة، الموجود حالياً في بغداد وسألوه عما اذا كان يريد الاضطلاع بمهمة تهدئة يتولاها لدى العشائر الثائرة. فخف اليّ يسألني عما اذا كان ذلك يتفق ورغبات كوكس. اذ خاطبني يقول: (إني أعرف كوكس وأعرفك انت يا خاتون، لكني لا أعرف شيئاً عن الحكومة العربية. وأي شيء يأمرني كوكس بفعله سأفعله، لكن ذلك يجب ان يكون بأمرٍ منه ومقترناً بمصادقته).

وآخر ما عندي من أخبار في الوقت نفسه هو ان العشائر تتذاكر فيما بينها حول تقديم الخضوع، واعتقد بصورة عامة انه من الانفع لنا بأنها يجب ان تخضع لقوة السلاح البريطاني بدلاً من انصياعها لتضرعات واقناعات مجلس الوزراء العراقي. فالشيعة يتشكون من انهم غير ممثلين تمثيلاً كافياً في المجلس وهم بهذا يتغاضون بالكلية عن أن قادتهم كلهم تقريباً رعايا ايرانيون(*) ، وعليهم ان يغيروا جنسيتهم قبل ان يتبوأوا المناصب في الدولة العراقية. انهم أصعب العناصر انقياداً في البلاد، وهم كلهم متذمرون مستاءون تقريباً، ولا يبالون بالمصلحة العامة بالمرة.

ويقوم المستر فيلبي بعمله بصورة ممتازة. لقد عُين لعملٍ بالغ الصعوبة، فهو يعمل مستشاراً للسيد طالب لكني أظن انه سينجح فيه.

لا تفكروا بأني لا أدرك اية مصاعب جسيمة تعترض طريقنا، لكنا على الاقل نجابهها بنزاهة واخلاص. انا اعترف بأني أشعر بتلهف تجاه

(*) راجع هامش الرسالة السابقة في هذا الشأن.

مناورات النفط الدائرة بين المسؤولين في الوطن - فهل هي مناورات نزيهة يا ترى[1]؟

بلى، مصر والعراق - ينبغي ان نجدد سمعتنا بالتعامل معهما. أما بالنسبة للهند فلا أدري، لكنني يبدو لي انه ليس هناك سوى ان نذهب الى أبعد بكثير من هذا في طريق الاستسلام، لئلا نجبر على الاعتراف بحقيقة الكلمة التي قالها جعفر باشا قبل أيام (ستي ان الاستقلال التام لا يعطى أبداً - أنه ينتزع على الدوام ويؤخذ).

4 تشرين الثاني

. . . ان الامور تسير في سيرها الاعتيادي عندنا. وسوف تنتقل وزارة الداخلية (السيد طالب وفيلبي) الى بنايتها الجديدة. ما زال الشيعة يتخذون موقفاً معادياً، وظلامتهم الرئيسة هي ان مجلس الوزراء ليس فيه وزير شيعي ذو حقيبة وزارية. وهناك أيضاً فئة كثيرة العدد ميالة الى الاتراك، فأن جعفر باشا يتشكى من أنه لا يجد في البلاد غير أناس ميالين الى الاتراك، وهؤلاء يحسدون العرب الذين خدموا مع فيصل حسداً كثيراً ويتخذون موقفاً عدائياً منهم. وتعتبر الفوضى الموجودة في تركية أساسا لهذه المشكلة، ولا أرى امكان حصول استقرار حقيقي في المستقبل قبل ان يتم ايجاد حل للمشكل هناك - فقد خرج مصطفى كمال ثائراً ضد الجميع وتوصل الاتراك الاناضوليون الى اتفاق بشروط معينة مع البولشفيك. والذنب ذنبنا نحن في هذا الشأن. فان لمصطفى كمال، مثل سائر الناس، سببين في موقفه هذا احدهما اليونان، والثاني أزمير.

---

(1) لقد ثارت شركات النفط الامريكية ثورة جنونية على فرنسا وبريطانيا ولا سيما على الثانية، وقالت صحفها في النفطيين الانكليز والفرنسيين بكل صراحة: انهم لصوص، انانيون مستعمرون، وعدوا العرب بتحريرهم من النير التركي، ولم تكن وعودهم الا خداعاً وتضليلاً لأجل سرقة بترولهم.

وكان احتلال اليونان لأزمير هو الذي صنع مصير القومية التركية مجدداً. والحقيقة هي ان آسية الآن، من البحر المتوسط الى الحدود الهندية، عبارة عن قدرٍ يغلي بالشر بحيث يكون من المستحيل علينا ان نقتنع بأننا سننقذ العراق من الفوضى العامة. وأني لازداد قناعةً يوماً بعد يوم بمسؤولية ويلسن عما حدث هنا. فلو كان عنده بعد نظر سياسي لأمكن ان تقل مشاكلنا المحلية الى درجة هائلة.

لقد طلبت الوزارة ان يعود جميع الذين كان ويلسن قد نفاهم الى الخارج لتآمرهم ضدنا[1]. وبعض هؤلاء مجانين وأوغاد[2] سيكونون شوكةً في جنب أية حكومة يمكن ان تحكم البلاد، لكنني أتصور انهم لابد من ان يعودوا جميعهم. ومن حسن الحظ ان يكون يوسف السويدي وسائر المحركين البارزين قد هربوا الى الخارج. اذ يتخذ النقيب موقفاً متصلباً جداً ضد السماح لهم بالعودة، ولذلك فمن حسن الحظ ان يكونوا قد حسموا هذا المشكل بالتواري عن الانظار..

الى فرانك بلفور

5 تشرين الثاني

.. انتهت التحضيرات المطلوبة الآن، وقد استقرت الوزارة الأولى ـ الداخلية ـ في «ساحة الفردوس»(*) اليوم. ولم يحصل أي وزير

---

(1) كانت سياسة نفي الوطنيين تقليداً انكليزيا في المستعمرات وقد طبقه المندوبون الساميون البريطانيون في مصر والعراق منذ بدء الحرب العالمية الأولى، فنفوا عدداً من الوطنيين المصريين الى مالطة، ومثلهم من العراقيين الى هنجام.

(2) ليس في الشتائم والنعوت البذيئة التي اعتادت الآنسة بيل ان تطلقها على الوطنيين العراقيين.. أية غرابة، وهي ان دلت على شيء، فانما تدل على أنهم ارادوا ان يقصموا ظهر المحتلين وإن الآنسة بيل فقدت توازنها في مواجهتهم!

(*) Paradise Court، ولاندري من اين جاء هذا الاسم!

آخر بعد على مكتبٍ يضع فوقه رأسه، لكن السر پيرسي سوف ينتزع بالتدريج «السراي» من السلطات العسكرية فيعطي الحكومة العربية مقراً مستقراً فليس للوزراء الذين لا مكتب لهم وزن كبير عند الناس.

أظن ان جميع الاسباب تحملنا على ان نكون راضين بوجه عام. وسواءٌ أكنا سننجح أم لا، فلست أنا ولا غيري على علمٍ بما ستأتي به الايام. انا لا أشاركك مشاعرك تجاه أي تي ويلسن، لأنَّ شعوري يزداد رسوخاً يوما بعد يوم بمقدار ما ادى اليه قصر نظره من تعريض فرص النجاح الى الخطر. أنا اعلم من خبرتي الشخصية انه كان متهوراً بالكلية، واعتقد بأنه كسياسي قد سبب من الاضرار بقدر ما يستطيع أي شخص آخر ان يسببه.

نحن بأمس الحاجة الى العراقيين الذين خدموا مع فيصل في سورية ـ أنهم رجال متشبعون بروحية القومية العربية. واذا ما تعذر كسبهم الى جانبنا، واتخاذهم حلفاء لنا، فاننا على ما اعتقد سنتعثر ما بين الثيوقراطية الشيعية والبورقراطية الميالة الى الاتراك. ان خطر تحالف الوطنيين الاتراك مع البولشفية يلازمنا هنا على الدوام.

أي فرانك، من الصعب عليك ان تتمكن من ادراك عمق المياه التي كنا قد عبرناها. ومع هذا فاننا قد نشعر به أكثر مما يفعل العرب. كنت يوم أمس في البادية في وسط عشيرة زوبع، وكانت قبل شهرين ثائرة ثورة عارمة بعد ان قتلت الكولونيل ليچمن. وهناك وجدتهم مضيافين الى آخر حد وكثيري الود والصداقة، كما لو لم يكن قد حدث شيء من تلك الامور المفجعة، ولا يمكن ان يكون الامر على مثل هذا المنوال بطبيعة الحال ما بين بني حچيم الذين قصفناهم وتمادينا في تشتيتهم وملاحقتهم لمدة سنة أو أكثر ـ هل الذنب ذنبهم أم ذنبنا نحن؟

ربما تكون ثورة ديالى أشد الثورات وحشيةً واعتداءً، وقد برهنت

على كونها من اشد الثورات استعصاءً على المعالجة. انا لا أظن أن أولئك الثوار كانت عندهم أية ظلامة حقيقية يشكون منها ـ انهم فقط مجموعة من الانذال(*) استثيرت باسم التعصب الديني والرغبة في النهب. ولما كانوا وحوشاً كاسرة فقد سلكوا كما يسلك المتوحشون (!). انهم لم يتوقفوا عن عملهم هذا بعد..

7 تشرين الثاني

... وكان يناوئ مجلس وزراء النقيب، بالاضافة الى العناصر الميالة الى الاتراك، الشيعة قاطبةً لانه كان يُنظر اليه اولاً بكونه من نتاج الابوة البريطانية، ولأنه ايضاً كان يضم أعضاء من الشيعة أقل بكثير من الوزراء السنة. والشيعة، كما بيّنت في مناسبات عديدة من قبل، يكونون مشكلةً من أعظم المشاكل... ان رجالهم المتقدمين في المجتمع من العلماء وأسرهم كلهم من رعايا أيران. وقد وجدت ان أحسن حجة اتذرع بها، عندما يأتي اليّ بعض الناس شاكين من ان فلاناً أو فلاناً لم يُدخل اسمه في قائمة الوزراء. هي أن اسألهم قائلةً «افندم. هل يمكنني أن أسأل عما اذا كان الموما اليه من رعايا الدولة العراقية ام لا»، فيكون الجواب «افندم، كلا انه من رعايا ايران»(**) . وعند ذاك أذكر لهم انه في هذه الحالة لا يمكنه أن يشغل منصباً في الحكومة العراقية. وبذا لم يستطع أحد محدثيّ في هذا الشأن ان يحير جواباً.

انى احاول الآن ان أرسم لكم الصورة لكي تدركوا مشكلتنا. ولا ينكر أن قليلاً من الناس فقط هم الذين يسرهم ما صنعناه، لكن الذين لم يسرهم الامر لا يمكن ان يسرهم شيء مما نصنعه على أي حال. اعتقد

(*) لو كانوا كذلك لما انقذوا زوجة الكابتن بوكانان في شهربان (المقدادية) وحافظوا عليها، ولما انقذوا الميجر لويد والمستر ستراخن في دلتاوة (الخالص).

(**) يراجع تعليقنا على رسالة اول تشرين الثاني 1920.

تمام الاعتقاد بأن السر پيرسي قد اختار أحسن السبل الممكنة.

علينا ان نبدأ بانتخاب (مجلس وطني) بأسرع ما يمكن. وسأكون مخطئة جداً اذا لم يطالب أعضاء المجلس بنجل من أنجال الشريف كأمير. أنا اعتبر ذلك هو الحل الوحيد..

7 تشرين الثاني (ب)

ترامى الى سمعي ان جعفر پاشا، ولم اره هذا الاسبوع، يدخل في مشادات حادة مع الضباط العرب المسرحين من الجيش التركي، ممن لم يلتحق بجيش فيصل. انهم ميالون الى الاتراك بصلابة، ويرفضون المساعدة في تشكيل جيش عربي لانهم يذهبون الى القول بأن الأتراك لابد من ان يعودوا. وفحوى مناقشتهم أن أية دولة معظمة لم تستطع ان تتمسك بالعراق ما لم تكن تمتلك الممرات الشمالية، لاسيما كيليكية، ولما كان الاتراك ما زالوا يمتلكون هذه الابواب فانهم لابد عائدون. وهذا تاريخ مشوّه الى حد الغرابة لأنه لا البابليون ولا الآشوريون ولا السلوقيون، ولا الپارثيون، ولا الخلفاء العرب، كانوا مسيطرين على الممرات الشمالية، لكن القول على كل حال فيه من الحقائق الستراتيجية ما يكفي للتأثير على عقول الناس.

ينبغي علينا ان نمضي في انتخاب «مجلس وطني» حالما يكون بوسعنا ان نفعل ذلك مهما يمكن ان تكون الانتخابات غير وافية بالمرام، وحتى سخيفة مضحكة. وسأكون مخطئة جداً (وكثيراً ما أكون كذلك) اذا لم يطلبوا أحد أنجال الشريف أميراً للبلاد. اني اعتبر ان ذلك هو الحل الوحيد. فالنقيب نفسه هو رئيس محترم للدولة، لكنه رجل مريض جداً، وابناؤه كلهم تافهون. فهم معروفون بالفساد الشخصي، حتى بالنسبة لمقاييس بغداد حيث يكون الطابع الاخلاقي عرضةً للاهمال. فان العلاقة بالنساء لا تؤثر كثيراً في الشرق، غير انه هناك شيء أو شيئان لا يستطيع

الاسلام ان يدينهما بصراحة، ومنها الغلمان والخمر[1]. وعلى كلٍ فان فيصلاً (ولا اعرف شيئاً عن عبد الله) رجل ذو اخلاق عالية فوق العادة. . .

14 تشرين الثاني

ان الامور تسير في اعنتها. فقد قبل مجلس الوزراء ترتيبات السر پيرسي. المختصة بواجبات الوزراء ومستشاريهم، من دون تغيير تقريباً. وكان المستر فيلبي قد وضعها بصورة مدهشة، وأظن ان هذا شيء يجب ان يقدر عليه.

ستنتقل غداً وزارة الداخلية الى مكانها الجديد في السراي ـ دوائر الترك القديمة. وكانت في السنة الماضية قد قلبت الى مساكن للضباط وزوجاتهم، ومما يدعو الى الارتياح الحقيقي ان وزارة الحرب قد أمرت بتسفير جميع الزوجات الى الوطن. ولولا ذلك لنشأت عندنا صعوبة عظمى في اخراجهم منها. . فلم يكن هناك مكان آخر تشغله دوائر الحكومة العراقية، ويهتم الناس كثيراً بأن تكون الحكومة في الدوائر القديمة التي كانوا معتادين عليها. ان اشغال الوزارات لتلك الدوائر هو الطريقة الوحيدة للبرهنة على أن الحكومة العربية هي شيء حقيقي.

وقد ظل الشيعة متمسكين بموقفهم العدائي، ظلامتهم الرئيسية هي انه لا يوجد ولا شيعي واحد بين الوزراء أصحاب الحقائب، ولهذا فاني اعتقد بانه سيحصل تعديل في الوزارة لكي يدخل واحد منهم فيها. وهناك أيضاً حزب معين ميال الى الاتراك، يتألف في الدرجة الأولى من موظفي الحكومة التركية القدماء، المدنيين والعسكريين. ان هؤلاء لا يريدون حكومة عربية ويصرحون بانهم لا يشتركون فيها لأن الاتراك

---

(1) في هذا الحكم المتسرع جهل مبين بموقف الشريعة الاسلامية من الخمر واللواطة. . ولو رجعت الآنسة بيل الى كتب التفسير والفقه لوجدت فيها ما يردعها عن اطلاق احكامها الجائرة.

يجب ان يعودوا، وعودتهم شيء لا مفر منه.

يلاحظ ان السر پيرسي يحافظ على قوة حكم متزنة عادلة، وهذا أشد نواحي عملنا تشجيعاً. وقد شرعت، في الوقت نفسه، أكوّن شعبيتي في السكرتارية على أساس ان الشيء الرئيسي هو ان استمر في العمل، من غير ان انتظر حصول تطورات اخرى. ولذلك سأخرج في هذا الاسبوع أول تقرير نصف شهري للاستخبارات، يراد به ان يكون بمثابة اسهامنا الرسمي في أخبار العالم.. ولست بحاجة الى أن اقول لكم انه من دواعي الفرح العظيم للمرء ان يؤسس دائرة جدية بمعونة السر پيرسي السديدة وتأييده الدائم. وقد خطونا في الاسبوع الماضي بالذات خطوة حميدة خرجنا فيها من الفوضى الى الامام، بفضل هذه التشكيلات.

22 تشرين الثاني

بوسعنا ان نقول من دون خشية ان المستشار البريطاني هو أحسن من المستشار التركي فيما لو قوبلا رجلاً برجل، ونحن نريد ان نعطي هذه البلاد أحسن ما نتمكن عليه من الفرص. انما المهم هو ان تقنع العرب باهتبال هذه الفرصة وأظن اننا نستطيع ان نفعل ذلك اذا لم تزحنا عن مقاعدنا حوادث خارجة عن طاقتنا. ولو كنا فعلنا ما نفعله الآن قبل ثمانية عشر شهراً لكانت المشكلة على اكثر مما هي عليه الآن من بساطة.

وافتنا اليوم أنباء اندحار فنزيلوس(*) المهمة فوق العادة، وبخروج فنزيلوس من الميدان يكون من الممكن التوصل الى بعض النتائج في تركية، لأن احتلال اليونانيين لأزمير كان أساس كل المشاكل، فقد كان هو مسببها ومؤيدها. ولابد للتطورات التي تحصل هناك من أن تمسنا ـ

(*) انه رئيس وزراء اليونان الذي احتل ازمير وقسماً آخر من الاناضول بعيد الحرب العالمية الأولى بتحريض لويد جورج ومؤازرته. غير ان نجاح الثورة الكمالية على الحلفاء وانصارهم من اليونانيين ادى الى سقوط فنزيلوس.

وسواءٌ أكانوا سيعملون على احلال السلم أو على التمادي في الثورة فان ذلك لا يمكن ان يقال شيء بشأنه، لكن الامپريالية اليونانية اذا ما اختفت باختفاء فنزيلوس فستزال عقبة واحدة من الطريق. واذا ما هدأت تركية وانصرفت الى ترتيب بيتها هي وتنظيمه (وهو ما يندر توقع حصوله بعد ان لم نبق لها ما يمكن ان يسمى بيتاً في الحقيقة)، فانها قد تمتنع عن احداث القلاقل في جهات اخرى، ونحن في العراق سنجد مهمتنا أسهل الى درجة غير يسيرة.

انا ميالة الى الاعتقاد بأن ما فعله أي تي ويلسن من أعمال لو لم يكن قد تم منه شيء لكان ذلك أحسن، لأننا لم يكن بوسعنا ان نحصل عليه من دون ان نحصل معه أيضاً على معارضته العنيدة للاشياء التي تنظم علاقتنا بالشرق. لقد كان عمله حسناً الى نقطة ما، اما ما كان منه بعد هذا الحد فقد كان مضراً بحيث يكون الحسن خفيفاً تجاهه في الوزن. لكننا ما زلنا غير قادرين على تكوين حكم نهائي ـ قد نجني بعض الفائدة منه في النهاية.

كانت عندي حفلة عشاء ممتعة للغاية ـ حضر فيها ثلاثة من أشراف الموصل مع الكابتن كلايتون والميجر بولارد. ان محمد علي فاضل[*] رجل معمم كثير المرح والحديث، ولم يجعل هو وداود يوسفاني[1] المسيحي كرة الحديث في الحفلة تدور باستمرار فقط بل تغزل أيضاً. ولا اعتقد بأن المضيف في أية حفلة أخرى كان يمكن ان يتسلى بالضيوف

(*) كان السيد محمد علي فاضل من سادة الموصل «التفضيلية»، وهم على ما كان يقول المرحوم عبد الغني النقيب «سنيو العبادات شيعيو المعتقدات». وكان قد عين عند تشكيل الحكم الوطني وزيراً للعدلية مرة، وللأوقاف مرة اخرى، كما سيتبين من بعض الرسائل القادمة.

(1) هذا الرجل عينته سلطات الاحتلال في 22 آذار 1919 ملحقاً سياسياً في الموصل. وكان من وجهاء هذه المدينة، وقد سبق ان مثلها في مجلس المبعوثان العثماني.

كما فعلت أنا، بينما يكون الضيوف غير ضجرين بالكلية. لقد تولوا ضيافة انفسهم ـ وضيافتي أنا ايضاً.

وينتمي محمد علي فاضل الى طائفة الزيدية، وهي طائفة من المسلمين تنظر الى امام اليمن وتعتبره رئيساً لها. غريب، أليس كذلك، ان يتحدث المرء حديثاً ترفع فيه الكلفة بمثل هذه اللهجة الودية مع أتباع امام اليمن. لقد كان هو وداود يوسفاني من أعضاء مجلس المبعوثان العثماني منذ سنة 1908، وهما يعرفان استانبول معرفةً تامة وقد اثنيا على الامير عبد الله، وتفضله الموصل على غيره، لكنني أشك فيما اذا كان المجلس التأسيسي سيختاره هو أو يختار غيره كأمير. فمن المحتمل جداً ان يطالبوا بتسيير الامور على المنوال الذي تسير عليه الآن تقريباً. انا افترض على الدوام عدم حصول تبدل فجائي عنيف. على اني لا أود أن أقف موقف المتنبىء، لأني أخيب بما يقع من حوادث دوماً.

ذهبت بالسيارة يوم السبت الى الزور ـ على دجلة في اسفل طاق كسرى ـ فوجدت هناك الزورق البخاري العائد الى الكابتن پيدر معاون الحاكم السياسي في الصويرة. وقد انحدرنا مدة ساعة الى الصويرة نفسها. وكان للكابتن پيدر هناك أبسط مسكن يسكنه أي حاكم سياسي نزلت عنده. وهو يعتقد بأن بيته الصغير المحلي الطراز هو ضرب من ضروب الترف ـ لكنه ليس كذلك مطلقاً. فبعد ان أراني العدد القليل من الغرف الطينية المظلمة قال باعتزاز (ولم يكلفني أكثر من مئتي روپية). فأجبته متعجبة «كيف تقول ذلك؟» وانا أقول في نفسي وحتى المئتي روپية أين صرفت؟ لقد أنزلني في أحسن غرفة كانت عنده، وهي غرفة المطالعة في العادة. وكان يأتيها النور من الباب فقط، وحينما كانت تغلق الباب لم يكن يبقى فيها أي مقدار من النور مطلقاً. وقد شعرت باللذة عندما استحم والباب مفتوحة، كما كنت ارتدي ملابسي في الصباح على ضوء الفانوس. وقد خرجنا نركب الخيل في التاسعة صباحاً الى برية الجزيرة

المبهجة يصحبنا عجيل(*)، فزرنا جميع شيوخ بيت عبد الله(**) الكبار وتناولنا غداءنا عند ابعدهم. ويقع منزل الشيخ فيصل(***) ما بين أدغال الشوك بالقرب من «بدعة[1] حمد» ويتألف من حوالي مئة خيمة. وقد كان حوالي ثلث خيمته الهائلة مخصصاً للاستقبال ومفروشاً بالسجاد والوسائد تنتشر من حولها، كما كانت جدران الخيمة متألفة من ستائر متدلية بحرية مصبوغة ومنسوجة محلياً. وكانت بالوان صارخة فجة منها البرتقالي والقرمزي والازرق الغامق، او الابيض المعرق باشكال حمراء وزرقاء اللون. وكانت وهي تتدلى من سطح الخيمة الاسمر المعتم، وتشع من بينها شمس الشتاء الضعيفة الباهتة، تبدو في غاية البداعة. وقد كان العداء يتألف من خمسين لوناً على الاقل، مع جبال من الرز تتوسطها «القوازي»[2] المشوية بكاملها. وذهبت فيما بعد الى زيارة النساء اللواتي كن جميلات للغاية، وكانت أم فيصل هي التي تتولى الحديث، لأن النساء الاصغر في عمرهن كن خجلات بحيث لا يفعلن شيئاً سوى التحديق بعيونهن السوداء الواسعة والقهقهة، ثم برقعة أوجههن حينما يتوجه الحديث اليهن. وكان الرجال والنساء بوجه عام مجموعة معجبة من المخلوقات ليس من المؤمل ان يرى المرء أكثر روعة منهم. وهم ايضاً محبوبون تماماً بالفطنة وخفة الدم بطريقتهم الخاصة. اما عجيل فهو من أقدر الرجال الموجودين في العراق. ثم عدنا راكبين عدواً الى الصويرة، فأزعج ذلك العرب الموجودين برفقتنا

(*) لعله عجيل باشا السمرمد من شيوخ زبيد.

(**) آل عبد الله هم رؤساء عشائر زبيد في انحاء الصويرة، وينتمون الى زبيد الأكبر، وكان شفلح الشلال شيخ زبيد المشهور من شيوخهم.

(***) ورد هذا الاسم في الرسالة مكرراً بشكل «ديصل» وهو خطأ. والصحيح هو فيصل، وفيصل من أبناء مطلك بن فحل. و «بدعة حمد» منسوبة الى الشيخ حمد، وهو والد سمرمد وجد عجيل باشا.

(1) كلمة عراقية بدوية بمعنى: ساقية كبيرة لسقي الارض، تستمد ماءها من النهر الكبير.

(2) جمع قوزي، وهو عند العراقيين، بمعنى الخروف الصغير، أي: الحمل.

كثيراً، لأن اللباس العربي غير صالح بصورة خاصة للركوب السريع. فليس هناك أي جزء منه يبقى محيطاً بجسم الراكب، والحقيقة ان جميع العدة قابلة للانفصال، بما فيها الركاب، وكل شيء يصبح قطعاً منفصلة. على ان الكابتن بيدر وأنا متعنا أنفسنا كثيراً، فقد كان الركوب صعباً خلال الاشواك والجداول الصغيرة الجافة ـ أنها أرض يغمرها الفيضان، ولا تسقى بالماء الاّ في الطغيان العالي...

29 تشرين الثاني

ان ثورة العشائر تعيقنا كثيراً، فقد أخرت تسليم مقاليد الامور الى الحكومة العربية. وقد قرر السر پيرسي، وهو محق على ما اعتقد، ان يحمل العشائر على الاذعان للقوة. فليس ثمة طريق آخر يحملهم فيه على القاء السلاح أو يعطيهم درساً بعدم المضي في الثورة، ولو طلب اليهم علماؤهم ذلك.. وبغير هذا الدرس، ومن دون ان تقلع اسنانهم بتغريمهم بالسلاح (ويستحيل جمعه بغير القوة)، فان الحكومة العراقية ستجابه مشكلة يستحيل عليها حلها. ومع هذا فمن الصعب ان تحرق القرى في جهة من جهات البلاد بأيدي الجيش البريطاني في حين نطمئن فيه الشعب في أخرى منها باننا حقيقةً قد سلمنا المسؤولية الى وزراء من أبناء البلاد.. وقد تمسك السر پيرسي بشدة، في الوقت نفسه، برأيه في تأخير اعلان العفو العام الى ما بعد خضوع الثوار. وحاول العلماء بكل جهدهم ان يحملوه على جعلهم وسطاء في الصلح، كما طلبت العشائر مراراً ان تجري المفاوضات بواسطة المجتهد(*) الاكبر الذي لا يلقون السلاح الاّ بأمرٍ منه. فرفض السر پيرسي ذلك الطلب بعناد ـ فازداد بذلك

(*) كان المجتهد الاكبر يومذاك حجة الاسلام شيخ الشريعة المقيم في النجف. وقد تولى زعامة الثورة بعد وفاة الحجة الاكبر العلامة الشيخ محمد تقي. وتوفي شيخ الشريعة في 18/ 12/ 1920.

قوة وسطوة! غير ان سيطرة العلماء في الحل والعقد هي من اصعب المشاكل التي تجابهها الدولة العربية. ولذلك فأن رفض الاعتراف بسلطتهم السياسية يعد شيئاً حسناً من دون اي تقليل في شأنه.. . انه يسير الآن بحذق ولطف لا يمكن أن يبديهما غير السر پيرسي، كما أن رسائله الى العلماء ذات لهجة لا يستطيع تدبيجها غيره.

واخيراً، فان ملخص مشاكلنا هو ان الحكومة لا يمكن ان تنتقل من يد الى اخرى برمشة عين..

عقد مجلس الوزراء بعد ظهر اليوم جلسة خطيرة، لكني لم يبلغني حتى الآن ما حدث فيها.. . ان عدد المداولات الودية، من القلب الى القلب، التي جرت وفي مكتبي ليثير التعجب! لكن جميع الفضوليين يأتون الى هنا ليقصوا عليّ ما يدفعهم فضولهم الى عمله، ويترتب عليّ أن أنصت اليهم باهتمام وتعاطف، وان امحضهم النصح الذي يستبعد جداً ان يعملوا به. أنا أحار أحياناً في نفسي وأفكر فيما اذا كنت انا نفسي فضولية في الباطن!

اعتاد السر پيرسي ان يطلبني قبل نهاية الدوام لنتحدث سوية بالشؤون التي مرت علينا خلال اليوم. وبعد ذلك أتناول الغداء معه ومع الليدي كوكس والكابتن چيزمان، ومع أننا لا نتحدث عادةً في شؤون العراق خلال هذا الوقت لكننا يروي أحدنا للآخر القصص والنكات المضحكة. وعلى هذا فأني، مع انه يصعب جداً تضييع ساعة من الوقت في منتصف النهار، أشعر ان الاتصال الدائم غير الرسمي قيّم جداً. أضف الى هذا اننا نخرج احياناً الى الخارج يوم الاحد. فقد خرجنا الى الصيد، السر پيرسي وانا والكابتن چيزمان والكابتن پيدر، الى ضفة النهر فيما يقابل طاق كسرى.. . وكان معنا حوالي عشرين من «الحواش»[1]

(1) طائفة من الفلاحين.

ليثيروا الطيور. وكان هناك قليل من المنازل في قلب ما نسميه هنا «الزور»، كما كان العرب يقطعون السوس والغرب كأحطاب يبعثون بها الى بغداد، ويحفرون الارض لاستخراج عروق السوس.

يروق لي ان أتمشى مع «الحواش» واستمع الى ما يتحدث به أحدهم للآخر باللهجة العراقية الصريحة التي اعتز بفهمها. وقد لاحظت ان ملابسهم لا تناسب بصورة عجيبة، أي عمل يشتغلون به لاسيما في شقهم الطريق بين الاشواك. انهم يعاملونني بتأدب دائم مشوب بشيء من توجس الخوف، ويدوسون على الاشواك بأقدامهم العارية ليسمحوا لي بالمرور، ويتنحون عن طريقي ليسهل عليّ ذلك. ولهذا ترون اني لم أصبح شرقية عبثاً[1]...

29 تشرين الثاني (ب)

لقد ركب الجنرال هامبرو رأسه وأصرّ على عدم تسليم «السراي»، حيث كانت تقع دوائر الحكومة التركية، الذي تشغله السلطات العسكرية حالياً. ويعد موقفه هذا عملاً سخيفاً الى حد الاستثارة، لأنه يؤخر الانصياع لأوامر وزارة الحرب، المنطوية على وجوب الاسراع في تأسيس حكومة عربية في العراق حتى يتسنى لها سحب الجيوش من البلاد. فليس هناك الآن امكنة للموظفين العرب، وسيتمكن في النتيجة ـ عندما تؤسس الحكومة ـ قطع ألسنة الكثيرين من الناس، الذين ينبحون (!) ويشاغبون الآن في المقاهي، حينما يعينون في الوظائف.

نحن الآن في وسط مدٍ طاغ من أزمةٍ وزارية. فقد استقال السيد طالب وطلب أن يسمح له بالذهاب الى انكلترة مع اولاده. وهو يقدم

---

(1) اي انها اصبحت من بنات (الشرق).. الشرق الذي دأبت هي ـ ومعها حسين افنان ـ على تجريده من القيم الاخلاقية.. ولكنها على اية حال تنسى ما تقول!!

لذلك حججاً مهلهلة للغاية ـ ان دوافعه الحقيقية هي على ما اعتقد كالآتي: لقد عرض على الوزارة خطة طويلة للعفو العام، وهو يأمل ان النقيب سوف يردها. وعند ذاك سيكون بوسعه الظهور بمظهر الوطني الصادق الذي لا يجد من الممكن الاشتغال مع الانكليز برغم استعداده لذلك ـ اما الحقيقة فهي أنه قد وجد اننا ليس في نيتنا ان نفرضه فرضاً على البلاد ضد ارادتها، وهو يأمل ان يجمع العناصر المتطرفة من حوله، وحتى العنصر الوطني الاصلي، في سبيل مصلحته. أظن ان الوزارة ستقر منهج السيد طالب مع بعض التعديلات، وبذلك يحرمون أشرعته من الريح. نحن نتفق كلنا على ان هذه الاستقالة ستكون شيئاً مؤسفاً. انها ستصيب الوزارة بهزة، وهي غير قادرة بعد على التفكير ملياً برباطة جأش وهدوء. واذا أصر السيد طالب على موقفه في الوقت نفسه، وغادر البلاد الى الخارج، فعلينا ان نواجه الموقف بجرأة. ولا شك ان منافع كثيرة ستحصل بالتخلص منه ـ اذا كان بوسعنا ان نتحمل اللغط.

وزارني في صبيحة هذا اليوم كذلك احمد پاشا الصانع(*) ، وكان قد وصل تواً من البصرة ليشغل مقعده في مجلس الوزراء. فقد قبله بعد احجام كثير، لانه يكره بغداد وأشغالها كلها (لم يكن قد أتى من قبل اليها طَوال أيام حياته)، ويشجب حماقة أهلها وجهلهم، ويطري حكمة أهالي بلده وتعقلهم. وهو يصرح بأنه يقف مندهشاً تجاه اللغو الذي يتحدث به الناس هنا ـ ألا يشعرون بالشيء الحسن حينما يحصلون عليه؟

(*) كان احمد الصانع من المرحبين بقدوم الانكليز منذ البداية، برغم احترام الاتراك له وتقديرهم لمنزلته، ولذلك ابرق الى الملك جورج يهنؤه باحتلال البصرة، وتبرع بمئتي پاون للصليب الأحمر البريطاني. وتقول تقارير الاستخبارات البريطانية عنه انه كان من رجال السيد طالب وكان يبتز الاموال من الناس بالاشتراك مع السيد يوسف النقيب شقيق السيد طالب. كما كان من الموقعين على العريضة التي ترفض تشكيل حكم وطني في العراق.

فقد كان هو قبل الاحتلال البريطاني يضطر الى حمل مسدس في الليل والنهار، ولم يكن بوسعه ان يخرج لتفقد بساتينه من دون ان يصطحب معه عشرين مسلحاً. بينما أصبحت البصرة اليوم آمنةً مثل لندن. اما سكة الحديد، ولم يخطر بباله مطلقاً ان يراها، فقد أنشئت ليخربها العرب. وهو شخصياً يحبذ ان يترك العراق ليغلي مرقته، اذا كنا نتمسك بالبصرة وحدها لنا. فأخذت أشرح له ان المرقة سرعان ما ستغلي فتسمط البصرة ومن فيها، ولذلك فأن من واجبه ومصلحته أيضاً ان يشترك في اللعبة حتى اذا تطلب ذلك البقاء قليلاً في بغداد البغيضة! أظن انه تحسس قليلاً وأدرك هذه الحجج. وسوف لا يمكث طويلاً هنا لكن موقفه سيكون، خلال مدة مكثه هنا، موقفاً مفيداً يساعد على اصلاح الوضع.

أقمت ثلاث حفلات عشاء في الاسبوع الماضي. وقد جاء الى الأولى السر پيرسي كوكس والليدي كوكس، والسر أيلمر، والكولونيل بارنيت وجعفر پاشا. ولا اظن انها كانت ناجحة جداً. . . وحضر الى الثانية المستر والمسز فيلبي، ورشيد بك الخوجة، ومحرر الجريدة(*) الوطنية البارزة في البلد. وكان المحرر نفسه أمياً تقريباً فلم يفتح فمه بشيء، لكننا جميعاً تكلمنا بجد عن قضية الساعة المهمة وهي قضية الانتخاب، وعن البولشفية وما أشبه. وبقي ان نعرف ما اذا كان المحرر قد تعلم شيئاً من الحكمة والتعقل، فاذا لم يكن قد تعلم فان الساعة آتية حينما سنضطر الى ايقاف الجريدة عن الصدور. وبعد ان خرج الضيوف العرب، بقي المستر فيلبي والكابتن كلايتون الى ما قرب من منتصف الليل ـ يا الهي ما أكثر ما يتكلم! غير ان هناك شيئاً كثيراً جداً مما يجب ان يقال حينما تحاول تشكيل دولة جديدة ضد جميع ما يمكن ادراكه من العقبات.

لقد اتفقنا، السر پيرسي وانا، حينما كنا ذاهبين بالسيارة الى طاق

(*) لعلها جريدة الاستقلال لصاحبها عبد الغفور البدري.

كسرى على ان العقل البشري قد خُلق بحيث يستطيع التوقف عن التفكير بالمخاطر والصعوبات. فها نحن نبني قصوراً رملية لتقف ضد المد الطاغي، ومع هذا نستطيع ان نقضي يوماً بكامله من دون ان نفعل شيئاً سوى ان نأخذ الشمس والهواء مثل «دودو»[1] في الشعر. قال السر بيرسي وهو مستبشر «انها ستكون مأساة، أليس كذلك؟ اذا كانت قصة البولشفية هذه ستفسد علينا خططنا حينما تكون هذه البلاد قد سنحت أول فرصة لها»، نعم انها ستكون كذلك...

4 كانون الأول

... ركبت البارحة بعد الظهر الى الكاظمية لأزور أميرة فارسية متقدمة في السن، يلقبونها (بانو عظمى)، انها ابنة ناصر الدين شاه[2]..

وكانت قد قدمت الى الكاظمية للزيارة فأجرت لها داراً صغيرة. وهناك وجدتها في غرفة صغيرة مفتوحة على باحة الدار، وقد فرشت بالسجاد ووضعت فيها الوسائد وعُلقت الستائر اتقاءً للبرد. واكتمل أثاث الغرفة بوجود «منقلة»[3] ملأى بالفحم وببغاء في قفص. لقد وجدتها مستلقية على فراش مفروش على الارض مغطى بلحاف، وما يمكن ان يُرى من رأسها كان معصباً بالسواد الى حاجبيها من فوق وحتى ذقنها من تحت. وكل ما كان يظهر من جسمها يدان ذلقتان ووجه رقيق القسمات، مع عينين واسعتين وراء النظارات. والظاهر انها كانت جميلة جداً في يوم من الايام، فقد أشتهر النساء القاجاريات بجمالهن. فكانت تتكلم وهي مستلقية بفارسيةٍ جذابة

---

(1) الذي نعرفه ان (دودو) طائر لا يطير، وهو اكبر من الديك الرومي.

(2) كان شاه فارس خلال 1848 ـ 1896، والمعروف عنه انه منح الانكليز أمتيازات كثيرة، منها أنشاء بنك فارس الامبراطوري عام 1889 وقد شهد حكمه انتشار المذهب البابي.

(3) موقد يتدفأ به.

للغاية، وحلوة سريعة ذات نبرات خافتة كأنها خيال صوتٍ مسحور. والملحوظ ان الاميرات القاجاريات اللواتي يأتين الى هنا بين حين وآخر، للزيارة في الغالب، لطيفات المعشر فوق العادة - انهن سيدات عظيمات - لكن بانو عظمى هي الاميرة التي احببتها أكثر من غيرها بكثير.

4 كانون الأول (ب)

. . . اتمنى ان يكون النهار أطول بضع ساعات، لأكتب اليكم بالتفصيل. أنكم على ما أعلم تحتفظون برسائلي.

ان ألاعيب السيد طالب هي أهم ما يلفت النظر الآن. لقد اخبرتكم باستقالته وسحبها، اذا كان الغرض الوحيد منها الحصول على خطوة لدى الوطنيين. فقد أبدى رأيه بوضوح في مقابلةٍ له مع محرر الجريدة المتطرفة «الاستقلال»، وقد صدرت بعد ان سحب استقالته. حيث قال فيها انه كان يراقب الرأي العام عن كثب، فتوصل الى نتيجة أنه كان ضد الوزارة الحالية. وانه شخصياً كان قد قدم سلسلة من المطاليب كان على مجلس الوزراء ان يطالب السر پيرسي بها. وتشتمل هذه على عودة المنفيين الهاربين، ومنح المزيد من الحرية للوزراء في العمل وما أشبه. فلم يقابلها الزملاء مقابلةً حسنة، وقد شعر هو ان من واجبه كمواطن ان يستقيل. وكان يؤمل ان يحذو حذوه جميع اعضاء مجلس الوزراء لو كانوا يحبون بلادهم، ثم لمح بغموض الى ان المجلس لو كان قد قبل بمشروعه فانه كان بوسعه ان يعيد النظر في الوضع بأجمعه. وكانت هذه التصريحات جميعها عبارة عن سلسلة من التحريفات.فقد كانت قضية المنفيين موضع نظر ومذاكرة بين السر پيرسي كوكس ومجلس الوزراء. وقد سبق للسر پيرسي ان وافق على عودة البعض منهم. وكما يعرف السيد طالب جيداً ان السير پيرسي كان يراسل الجهات المسؤولة في الوطن برقياً يحثها على ارجاع الضباط العراقيين

من سورية في الحال. اما بالمنسبة للوزراء فقد طلب السر پيرسي نفسه الى المجلس ان ينظر في واجباتهم وصلاحياتهم. والحقيقة انه استطاع بلا شك ان يحسن وضعه بمناوراته هذه لدى الشبان العراقيين، وكانوا يشمئزون منه حتى الآن.

وقد وقع على عاتقي ان أطمن ساسون افندي وعبد المجيد الشاوي، اللذين أكن لهما أعمق المشاعر. فهما الشخصان الوحيدان اللذان كانا يقفان حقيقةً ضد السيد طالب في المجلس. واعتقد بأني اقنعتهما باننا ولو لم يكن من واجبنا ان نقرر اي شكل لحكومة يريدونه في النهاية، فانه من واجبنا لدرجةٍ كبيرة ان نرى ان يكون القرار المتخذ قراراً أصيلاً غير متأثر بدسائس أي شخصٍ من الاشخاص. ويقول حسين افنان، سكرتير مجلس الوزراء حالياً، وهو يهز رأسه ان السيد طالب قد قضى ثلاثين سنة وهو يخدع بحيله ودهائه أمكر الموظفين الاتراك وأدهاهم، وانه على علمٍ تام بكل حركة من حركات هذه اللعبة. ان جعفر پاشا يقوم الآن بمماشاته، لكنني كونت قناعة مفادها انه يفعل ذلك فقط حتى يجد الطريق واضحاً امامه، وفوق ذلك كله الى ان يصل بعض العراقيين من سورية لمساعدته، وقد أيّد لي هذا الرأي اليوم عبد المجيد الشاوي الذي قال لي بكل ثقة ان جعفر پاشا اتصل به وقال له انه يريد مساعدته وتأييده، وان كليهما يحمل نفس الآراء ويجب ان يكونا صديقين حليفين. هذا هو الائتلاف الحق، أنا مسرورة أنه يظهر للوجود في هذا الايام.

ان السيد طالب رجل شرير. فاذا انتخبوه أميراً للبلاد فكل ما استطيع قوله هو أنهم قد اصيبوا بما يستحقونه. لكنهم لن ينتخبوه. وكانت احدى النقاط التي تضمنتها مذكرته المقدمة الى المجلس تنطوي على ان لجنة من مجلس الوزراء يجب ان توفد الى النجف والفرات بوجه عام لوضع خطة خاصة لادارة هذه الجهات. و.ان السر پيرسي قد كتب الى المجلس في اليوم نفسه يقدم الاقتراح بعينه، فعينوا لجنة تتألف من جعفر

(العسكري) والشيخين العشائريين عجيل السمرمد ومحمد الصيهود امير ربيعة (كلاهما عضوان في مجلس الوزراء). وكان كذباً محضاً ايضاً ما صرح به السيد طالب من ان زملاءه قد رفضوا المنهج الذي تقدم به. فقد قدمه الى النقيب فقط، فقال له حسب الاصول بأنه يجب ان يعطى له بعض الوقت ليفكر به.

وقد زارني رجل يثير الكثير من الاهتمام، انه الشيخ محمد رضا الشبيبي. وكنت قد عرفته في 1918، لكنه ذهب فجأةً في نوبة غضب (لم أعرف سببها مطلقاً) الى الحجاز وسورية[*] ، حيث كتب مقالات عنيفة ضد البريطانيين في الجرائد المحلية ـ يندد فيها بالطريقة التي كنا نحكم بها البلاد. أتصور انه استاء جداً من الطريقة التي خنع فيها السوريون للحكم الفرنسي ـ كانت ادانته للفرنسيين أول شهادة حقيقية وصلت اليّ على نوعية النجاح الذي يحققه الفرنسيون هناك، وهو أعظم مما كنت أظن على ما يظهر. وعلى كلٍ فقد عاد محمد رضا يقول ان ما نقوم به هنا هو الصحيح. أنه رجل مشهور جداً، ذو قلم سيال. فاذا اشتغل معنا بنزاهة، وعرّض نفسه لمجازفة تلقيبه بالانكليزي من قبل المتحمسين، قد يكون مفيداً.

ان النزاهة في سلوك السر پيرسي الشفاف هي التي تساعد المرء في التعامل مع الوطنيين من هذا الطابع. وتصلنا الآن اشاعات عن تجمعات الوطنيين العرب ضدنا، وعن الحجاز وابن الرشيد[1] وبقايا

(*) كان المعروف ان المرحوم الاستاذ محمد رضا الشبيبي قد انتدب من رجال الثورة في الفرات لمقابلة الملك حسين وغيره في الحجاز وسورية.

(1) اسرة عربية من آل جعفر من قبيلة شمر، اسست امارة مدّت نفوذها على بعض اجزاء نجد نحو قرن من الزمن، كانت عاصمتها حائل. وابن الرشيد الذي تشير اليه الآنسة بيل هنا هو محمد بن طلال الذي اضطر الى الاستسلام للبيت السعودي سنة 1921.

الحزب السوري، كما تصل عن التهديدات التركية العربية من الشمال، حيث يوجد جميع الزعماء الهاربين (يوسف السويدي وزمرته)، لكننا اذا استطعنا ان نجعل العراق يسير سيراً مطرداً فأني لا أخشاهم.

12 كانون الأول

... لقد استقرت فكرة تمثيل العشائر على انتخاب ثلاثين عضواً منهم في المجلس التأسيسي، على ان يمثل عشرون منهم أكبر عشرين قبيلة، اما العشرة الآخرون فيمثل كلٌ منهم مجموعة العشائر الصغيرة المتجمعة في كلٍ من الالوية العشر الجديدة. وقد زودت «لجنة قانون الانتخاب» بالمعلومات المطلوبة وانتقيت العشرين قبيلة المراد تمثيلها. لا اعتقد ان مجلس الوزراء سيختلف فيما بينه حول انتقائي هذا. وسيحاول جميع الملاكين الكبار الموجودين في مجلس الوزراء ان لا يشاركوا العشائر، على أني أتوقع ان العشائر سوف تصوت عن طريق لجنة تتألف من كبار شيوخهم الذين سينتخبون واحداً من بينهم...

أني استضاف لاجد نفسي في نظر وزارة الداخلية (ونظر الحكومة العراقية) أول مرجع في شؤون العشائر هنا. والحقيقة هي كذلك، لأني اذا لم اعرف عن أية قبيلة بالذات بقدر ما يعرفه ابناؤها، فأني أعرف من أي شخصٍ آخر بعشائر العراق ككل. ولا غرو، فقد اشتغلت في شؤونها سنين عديدة. ولذلك كنت أنا التي حسمت تفصيلات التمثيل العشائري في الحكومة. فليس من الاصوب فقط ان يكون تمثيل العشائر شيئاً واجباً وانما يكون من الضروري ايضاً لسلامة الحكومة الوطنية ان تشترك العشائر في تمشية شؤونها. يضاف الى هذا ان شعوراً قوياً حول الموضوع يوجد لدى الاوساط الوطنية المتقدمة. وعلى كلٍ فأنها تعد خطوة جريئة. فأن الملاكين وأبناء المدن الذين يكرهون العشائر ويخافونها (كما تكره القبائل سكان المدن وتخشاهم) لا يودون مطلقاً ان يحصل هؤلاء على منزلة سياسية في البلاد. والطبقة المثقفة التي لا تملك الارض هي التي تريدها،

وهي العمود الفقري للجبهة الوطنية. لكن جميع الملاكين الكبار في الوزارة من النقيب فما دون يحاولون ابعاد العشائر عنها. . .

18 كانون الأول

يشعر مجلس الوزراء بالحاجة الماسة الى تشكيل جيش وطني يحل في محل جيوشنا، وكان السر پيرسي يضغط على المجلس دوماً في هذا الشأن. وأقول بهذه المناسبة ان جعفر پاشا يعتقد بأنه ليس من الممكن تشكيل جيش من دون اعلان التجنيد الاجباري بحيث لا يكلف تكليفا باهظاً قد يمنع امكان تشكيله. واذا أرادت الحكومة ان تتنافس في سوق العمال فيجب عليها ان تضع نصب اعينها بانها ستدفع الى المتطوعين ستين روپية في الشهر على الاقل لكل جندي. . . على ان ذلك من القضايا التي لا يمكن ان يبت فيها سوى مجلس منتخب. وقد شكل جعفر، في الوقت نفسه، لجنة(*) من خبراء استعارهم من مقر القيادة العامة لهذا الغرض، وهم يبحثون الآن في الخطوات التي ينبغي اتخاذها في هذا الشأن. انهم يعتقدون بوجه عام بانه يمكن ان يكون عندنا لواء واحد في 1921، وفرقة عربية في خريف 1922، وهذا يعني اننا سوف نستطيع انقاص قوتنا (البريطانية) الموجودة هنا الى فرقة واحدة على ان تبقى فرقتنا حتى يحين ذلك الوقت. . . فليس بوسع اية حكومة، سواءٌ أكانت حكومتنا ام الحكومة العراقية، ان تسيّر البلاد من دون ان تكون وراءها قوة عسكرية. وبالنظر لأن الحكومة العراقية ليس

(*) قرر مجلس وزراء الحكومة المؤقتة في جلسته المنعقدة بتاريخ 18/ 11/ 1920 تأليف لجنة لدرس مسألة تأليف جيش من جعفر باشا وزير الدفاع (رئيساً)، وساسون افندي وزير المالية، وعزت باشا وزير المعارف، والميجر بويل قائد الشبانة في منطقة الحلة ومندوب الاستخبارات العسكرية البريطانية. وكان الانكليز على ما يظهر هم الذين اوعزوا بذلك لانهم كانوا يريدون الاقتصاد بنفقات جيشهم الموجود في العراق.

لها مثل هذه القوة، وستبقى كذلك حتى يتم تشكيل جيشها، فانها لا يمكن ان تبقى في الوجود ما لم نعرها شيئاً من قواتنا.. . وأساس هذه الحجة هو انه ليس هناك ادارة يمكن ان تظهر للوجود ما لم تكن وراءها قوة تسندها. أظن انكم قد عرفتم ما يكفي عن البلاد بحيث يمكنكم ان تدركوا قولي هذا. فالعراق دولة غير متمدنة، لانه يتألف على الاغلب من عشائر متوحشة لا ترغب في المساهمة بتحمل أوزار المواطنة ونفقاتها. وعندما نؤلف نحن حكومة عربية فانما نحن نعمل في صالح سكان المدن والقرى الذين يتوقعون بحق ان تكون خميرةً يسري تأثيرها في الاخير الى مجموع السكان. وحتى يقطع سريان هذا التأثير شوطاً بعيداً، يجب على السكان المدنيين الحاليين ان يسيطروا على المجموع ويكبحوا جماحهم. ومن هنا تنشأ الحاجة الى وجود قوة تحافظ على الامن و النظام في الداخل.

وكنا في الوقت نفسه مشغولين بشؤون اخرى. فقد كرسنا أول الاسبوع لقانون الانتخاب الذي كتبت لكم عنه في الاسبوع الفائت. اذ عرض على مجلس الوزراء يوم الاثنين، وكنا نتوقع ان يعارضه خمسة من الاعضاء فقط غير انهم جميعهم كانوا يعارضون بشدة اتخاذ ترتيبات خاصة لتمثيل العشائر ويطلبون ان يسجل افرادها أنفسهم وفقاً للأصول ويصوتون مثل غيرهم من السكان. فكان ذلك يعني ان العشائر سوف لا تشترك في الانتخاب لأن سكان العراق، كما أشار عبد المجيد بك الشاوي، مع ان أغلبيتهم من العنصرين الشيعي والعشائري، لم ينتخب[*] منهم لتمثيل هذين العنصرين من السكان في مجلس المبعوثان العثماني

(*) ان هذا غير صحيح، فقد انتخب الحاج عبد المهدي الحافظ (كربلاء) عضواً في مجلس المبعوثان عن كربلاء منذ اعلان المشروطية حتى الحرب العظمى. وكان ائتلافياً، لكنه انتخب في المرة الاخيرة، برغم تدخل الحكومة «الاتحادية».

ولا عضو واحد خلال انتخابات عامة أربعة جرت في عهد الاتراك. وفي صباح اليوم التالي جاء الى مكتبي ساسون افندي وداود اليوسفاني (من الموصل) للمداولة حول الموضوع. فاتفقنا في الرأي كلنا على أنه من البلية ان تتمكن الطبقة العشائرية من اغراق أهل المدن بممثليها، لكني ضغطت عليهما بان يلاحظا أنه مهما كان يحصل في أيام الترك فأن حكومةً عربية تؤسس في هذه البلاد لا يمكن ان يكتب لها النجاح ما لم تعمل على اشراك العشائر في أعمالها. وقد أبديا اعتراضات وجيهة ضد اشتراط تمثيل العشائر الكبيرة المنتقاة، لكننا اتفقنا ايضاً على ان تلك الاعتراضات يمكن تلافيها بتحديد عدد ممثلي العشائر عن كل لواء وجعل انتخابهم محصوراً في شيوخ تلك العشائر كلها، أعني ان يحرم افراد العشائر الاعتياديون من الاشتراك في الانتخاب. وقد اتضح انه كان ثمة كثير من سوء الفهم بالنسبة لماهية آراء السر پيرسي في هذا الشأن، وللدوافع التي كانت تحدوه في اعتباره التمثيل الكافي للعشائر شيئاً اساسياً، فنقلت جميع ما دار بيننا من حديث اليه. فكانت النتيجة انه أرسل كتاباً يثير الاعجاب الى مجلس الوزراء يقول فيه ان جميع طبقات المجتمع في العراق يجب ان تتمثل في المجلس التأسيسي الذي سيقرر مستقبل البلاد، وانه يترتب عليه ان يطمن حكومته بأن هذه النقطة ستؤخذ بنظر الاعتبار. فاقترح جعفر پاشا التمسك بوجه الاختيار الثاني، وتأمين هذه النقطة في التمثيل عن طريق انتخاب ممثلين عشائريين عن كل لواء وليس عن عشائر معينة بالذات. فقلت أني أرى أن هذا الترتيب يحل المشكل بطريقة بارعة. وفي صبيحة اليوم التالي عاد اليّ ساسون افندي بخطة منقحة ـ تتضمن انتخاب ممثلين اثنين من العشائر عن كل لواء، على ان يكون بوسع أي رجل من أفراد القبائل ان يسجل نفسه ويصوّت بالطريقة الاعتيادية. فكان هذا تمثيلاً من أول باب لأنه يؤمن وجود حد أدنى للتمثيل العشائري بعشرة ممثلين من العشائر في المجلس، وفي

الوقت نفسه لا يستثنيهم من الاشتراك في انتخابات كسائر الناخبين ـ اذا رغبوا في ذلك.

فتقرر هذا الترتيب أخيراً في جلسة مجلس الوزراء بعد الظهر، ولا شك ان كتاب السر پيرسي قد ساعد في استحصال النتيجة المطلوبة. . .

وزارني خلال هذا الأسبوع كلٌ من الشيخين(*) العشائريين الموجودين في الوزارة، وكان كل منهما راضياً بما آل اليه قانون الانتخاب. . فذكرت لهما ان الامر كله مودع اليهم بالكلية، ونحن لا يهمنا أي أمير سينصبون في رأس الدولة، وأي نوع من الحكومة يرغبون فيها بشرط ان نتأكد من ان الاختيار الذي سيجري سيكون حراً منصفاً، خالياً من أي ضغط أو ارهاب. . .

ولتلخيص انطباعي عن حوادث الاسبوع أقول ان شعوري بتلهف الناس الذين يشتغلون معنا، ويمتثلون لنصحنا ومشورتنا يزدادون يوما بعد يوم. فانهم يمرون بي على الدوام في المكتب ويستشيرونني في كل صغيرة او كبيرة، ثم يستفسرون عن رأي السر پيرسي فيها. فيسألون مثلاً: ان فلاناً او فلاناً يقترح تعيينه لمتصرفية الحلة ـ هل يعتبر ذلك شيئاً حسناً؟ فأقول جازمةً بلى، ان ذلك على ما يرام. وحينئذٍ يتنفس محدثي الصعداء فيذهب ويصوت له. . . وعلى مثل هذا المنوال سار قانون الانتخاب ـ حيث انهم من ساسون فما دون يريدون كلهم ان يعرفوا مقدار اجادتهم في تنفيذ رغائبنا(**) . اما انا فلا أفوّت أية فرصة مطلقاً من دون ان اقول فيها لهم اننا نسترشد فقط برغبتنا في ان يعملوا احسن

(*) كان بين اعضاء الوزارة اربعة من الشيوخ، وهم عجيل السمرمد، ومحمد الصيهود امير ربيعة، وسالم الخيون، وضاري السعدون، فأي اثنين من هؤلاء تقصد؟

(**) ان هذا يؤيد تمام التأييد ما كان معروفاً بين الناس يومذاك من ان تلك الطغمة العراقية الحاكمة المتعاونة مع الانكليز كانت «اشد انكليزية من الانكليز».

ما يمكن لانفسهم وللبلاد - فهم يعرفون بلادهم أحسن مما نعرفها نحن، ولذلك فهم اعرف بالكيفية التي يصلون بها الى هذا الهدف؟ وعلى هذا الاساس نناقش كل امرٍ من الامور سويةً، سواءٌ أكان ذلك قانوناً أو دعوة الى العشاء! وبذلك حصلنا على ثقة الناس الذين نشتغل معهم، الاّ اذا كنت مخطئة في رأيي هذا...

18 كانون الأول (ب)

... ويجيب أدوين(*) ان مسألة التراجع الى خط ناصرية - قرنة، وممارسة الانتداب على العراق كله الى حد الموصل في الوقت نفسه سوف تثيرها وزارة الهند. غير ان السر بيرسي وأنا متفقان على ان هذا لا يعد اقتراحاً عملياً - ان رسالتي الى أسكويت (رئيس الوزراء)[1] كانت حول هذه النقطة بالذات. فانك لا تستطيع ان تسحب الجيوش الى البصرة وتضطلع بشؤون الانتداب على البلاد كلها.

اما بالنسبة للدفاع الخارجي فيكفي ان نقول ان هناك في هذه اللحظة حشداً من الرعاع الأتراك (يتمولون بالمال البولشفيكي، نحن نعلم) حول حدودنا الشمالية يطلقون على أنفسهم «جيش العراق»، وهم يعتزمون اعادة دمج العراق بالامبراطورية التركية. لكن الوطنيين العرب لا يرغبون في العودة الى الاتحاد مع تركية، ونحن اذا ما تراجعنا الى البصرة سيكونون عاجزين عن الحيلولة دون ذلك.

(*) ادوين مونتيغيو وزير شؤون الهند.

(1) اننا نعجب كيف يكون هربرت هنري اسكويت H. H. Asquith رئيس وزراء بريطانيا في سنة 1920 في حين ان وزارته قد اسقطها دافيد لويد جورج في سنة 1916 وحل مكانه في رئاسة الوزارة حتى 1922.. ولعل هذا الالتباس قد حصل من قيام وضع المرحوم المترجم كلمة «رئيس الوزارة» بين قوسين بعد اسم (اسكويت).

فمن المحال التحدث عن تحقيق الانتداب من قاعدة عسكرية ترابط في البصرة. ان الأمة البريطانية قد تستطيع الإصرار على سحب احدى الفرقتين العسكريتين اللتين تحتاجهما للإيفاء بوعدنا في تشكيل حكومة عربية، أو أنها قد تصر على سحب الاثنتين معاً، واني لا استطيع ان أفرض رأيي على مواطنيّ، ولا استطيع ان اجبرهم على ايجاد المال الذي لا يملكونه على ما يظهر. غير ان ما اتمكن عليه، وما يجب علي ان اقوله بوضوح، هو أننا في تلك الحالة يجب علينا ان نتخلى عن الانتداب، والشيء النزيه الذي نفعله على ما اعتقد هو ان نطلب الى الاتراك ان يعودوا الى البلاد.

والأمر الآخر الذي ينبغي ان نجابهه هو أن هذا يعني الانسحاب من البصرة أيضاً ـ كما بينت للمستر أسكويت. فمما لا يمكن ادراكه ان يسمح لدولة اجنبية بالتمسك بالميناء الوحيد الذي تملكه البلاد. فان الاتراك والعرب معاً سيطالبون به على الدوام، وسيحاربون من اجله. فهل يمكن ان تتصوروا ان بريطانيا العظمى سترضى بالبقاء في البصرة في حالة حرب مستديمة؟ كلا بلا شك.

وسيبعث السر پيرسي بطبيعة الحال جواباً يتصف بالحذق والمهارة، غير أني لا اعتقد بأن ذلك سيكون مختلفاً عن اي شيء كنت قد بينته سوى أنه قد يرغب في التمسك بالبصرة. ومهما كان تفكيره فان هذا سوف لا يغير من رأيي بأننا اذا كنا غير قادرين على ان نحتفظ في البلاد بالحد الأدنى من الجيوش في السنتين القادمتين ـ فرقتان أو أقل منهما بقليل ـ فعلينا ان نجلو من البلاد بالكلية.

دخل عليّ ساسون افندي متهيجاً يوم الخميس بعد ان حضر ثالث اجتماع من اجتماعات مجلس الوزراء. وهو يعلن ان قانون الانتخاب قد «لفلف» بسرعة.

وجاء اليوم، الاحد، السيد طالب ولابد لي من ان اعترف بأنه قد ولد فيّ انطباعا حسناً. فقد قال لي بصراحة أنه يرغب في ان يكون (أمير العراق). وتباحثنا في وضعه بصورة مطولة، واعتقد بأنه قد أظهر حكمةً وشعوراً طيباً ثم تكلمنا حول غلق الجريدة(*) الوطنية الجامحة التي اصبحت الآن بولشفية بالتمام، وربما تكون قد بدأت تأخذ المال من هذه الجهة. انه يعتقد بأنها يجب ان تسد، وأرى انه محق في ذلك. سأتحدث الى السر پيرسي بشأنها غداً. وحثني كذلك على الحاجة العاجلة الى تقليل اللغط في المقاهي بأيجاد الاعمال في الدوائر الحكومية للاغطين (وهم في الغالب موظفون سابقون جياع، مدنيون وعسكريون) فاتفقت معه اتفاقاً كلياً بشأن هذه النقطة. هذا وهو غير مرتاح تماماً من اشتغال فيلبي (مستشاره)، فهو برغم آرائه التحررية الراقية[1] يبدو انه لم يدع للسيد طالب فرصة كافية يعبر فيها عن آرائه ويتخذ القرارات المطلوبة. ان أحسن المستشارين هنا يجد من الصعوبة عليه ان يعلم بأن واجب المستشارين هو تقديم المشورة لا غير.

أقول، ما لم أكن مخطئة جداً، اننا قد حصلنا على ثقة من نشتغل معهم من الناس. ان الرجل الذي أحبه تماماً هو ساسون أفندي، فهو أقدر رجل في مجلس الوزراء. وهو بصلابته القليلة يتمسك بوجهة نظر رجال القانون الدستوري من دون ان يسمح بما يكفي من المرونة لمراعاة احوال العراق البدائية، لكنه مخلص وغير متحيز الى آخر حد. وهو لا يملك مقدرة حقيقية فقط وانما يملك خبرة واسعة، وانا أتحسس لا بل أخجل تقريباً من التواضع الذي يبديه عند أخذ المشورة مني. والحقيقة

(*) لعل المقصود بها جريدة «دجلة» لصاحبها داود السعدي المحامي، وكان يعد من انصار السيد طالب يومذاك على ما يظن.

(1) يبدو ـ من خلال احكام الآنسة بيل ـ ان رجال المخابرات الانكليز، وسدنة الامبراطورية.. يتحلون بالافكار التحررية.. وهذا من عجائب الزمان!!

انها ليست مشورتي أنا، وأنما أنا اردد فقط ما يعتقد به السر پيرسي[1]. لكن ما أفرح له وأثق به هو الصداقة المتينة والتقدير الموجود بيننا. انا اشعر بالشعور نفسه تجاههم كلهم، ولكن بدرجات متفاوتة. وهذا شيء غير قليل، أليس كذلك؟ انه أساس من الاسس التي تبنى عليها عملية الاضطلاع بواجبات الدولة المنتدبة.

زرت النقيب زيارة طويلة يوم أمس. انه يبدو متقدماً في السن، واهناً الى درجة لا تصدق، سوى أن حديثه ما زال متطاولاً مرحاً على الدوام. أسأل الله ان لا يقضي نحبه قبل ان نجمع المجلس التأسيسي بسلام، لأني لا أعرف ماذا سنصنع من دونه.

كان اليوم بارداً جداً، لا شمس فيه. ركبت في الصباح الى الكرادة لأرى الحاج ناجي، لكنه لم يكن في بيته، ولذلك جلست وأكلت من المشمش المربى وتحدثت الى زوجته وعمال المزرعة حول الصقيع والحاصلات. وتبدو الدنيا جميلة هناك، فقد كانت آخر الاوراق السمراء تتساقط من اشجار الفاكهة، كما كان الشعير الاخضر يتنامى بين النخيل.

25 كانون الأول

اسمحوا لي أن أقص عليكم قصة سخيفة ينبغي ان تتعلموا التركية لتفهموها. فهناك قاعدة في التركية مفادها ان المرء حينما يريد ان يقول «وما أشبه» يترتب عليه ان يكرر الكلمة الأصلية، ولكن بعد ان يستبدل أول حرف في الكلمة المكررة بحرف الميم. . . وقد وصلت الينا مؤخراً قصة حديث دار بين الشريف وأحد رجالات العرب من هذه الجهات - وهو الذي رواها لنا. فقد كان الشريف غاضباً على ما يجري هنا، فقال

(1) واخيراً اعترفت صاحبة الرسائل بانها ببغاء كوكس، وانها لا تنطق عن الهوى، وفي هذا ما يمزق ادعاءها بانها على رأس الذين صاغوا كيان العراق!!

في احدى سورات غضبه «من هو كوكز موكز، أو فيلبي ميلبي؟» لقد سر بيرسي بذلك. . .

بدأت أشعر شعوراً متزايداً في الأيام الاخيرة بمقدار رغبة اصدقائنا العرب في الاسترشاد بنا. انهم يأتونني دوماً ليس فقط من أجل المشورة حول سير الامور، بل للاستفسار عن المستقبل ايضاً، فيقولون: «ولكن ما هو رأيكِ، خاتون». . . أشعر شعوراً واضحاً تماماً بأنه ليس هناك غير حل عملي واحد، وهو تنصيب أحد أنجال الشريف، واختار فيصلاً من بينهم: ان ذلك هو اختياري الأول تماما وابداً. . .

25 كانون الأول (ب)

كنت أفكر مؤخراً في مقدار ما يريد اصدقاؤنا العرب هنا ان نعطيهم من ارشاد وهداية. لقد كان عدد منهم يستحثني ويستحثون سائر الضباط البريطانيين الذين يعرفونهم ويثقون بهم، على انتخاب النوع الاصلح من الناس حينما تجري الانتخابات المقبلة، والا فقد يكون المجلس التأسيسي مؤلفاً من جميع انواع «الضاربين على الطبل» الذين يقولون ويفعلون أشنع الأشياء فعلينا ان نستخدم نفوذنا، كما يقولون، بحيث يكون من المؤكد مجيء أكثرية من الرجال المعقولين الذين يتحملون المسؤولية. ويسألون بعد ذلك من جديد، بتلهف، عما اعتقد بأنه أحسن شيء للبلاد. فأقول لهم دوماً ان أي نوع من السلطة العربية يرغبون في تشكيل جهاز لها سوف يكون مقبولاً لدينا، لكنهم يريدون ان يعرفوا ما افكر به أنا، والجواب على ذلك شيء صعب. انا أشعر بوضوح تام في دخيلتي ان هناك حلاً عملياً واحداً فقط، وهو تنصيب أحد أنجال الشريف واختار من بينهم فيصلاً. ان ذلك هو الاختيار الأول. لكنني على كلٍ لا استطيع ان ابوح به، لأنه سيكون من الضروري لذلك ان نرضي الفرنسيين ولا يمكن ان يفعل

هذا الآن المسؤولون في الوطن. وهناك امارات تدل على ان هذا ينظر فيه حالياً.

ليس هناك أي شك عندي في ان أحسن ما سيلائمنا، ويتحاشى ما لا نهاية له من التعقيدات، هو ان تقوم الحكومة بتقديم المنصب الى فيصل قبل ان نجري أي نوع من الانتخاب، غير أني لا أظن أنهم ستكون عندهم الشجاعة المطلوبة لمثل هذا العمل. على انهم لو سمحوا لنا فقط بأن نرشد البلاد الى الطريق الأصوب فقد ندير أمر الانتخابات من دون كثير من الصعوبة. غير أني أخشاهم، كما يخشاهم مشاوريّ المتلهفون، اذا ما طلبنا الى البلاد ان تنتخب ما تريد من دون ان نلمح لهم عن أحسن ما يمكن ان يقع اختيارهم عليه. انهم مترددون ومرتبكون. وهم يعرفون انهم لا يمكن ان يكوّنوا رأيا ما، يضاف الى ذلك ان هناك الاتجاه الشرقي الذي لا يتبدل، المنطوي على ألقاء مسؤولية البت في الأمور على عاتق الغير. فهذه هي المسؤولية التي يجب على الدولة المنتدبة ان تكون مستعدة للاضطلاع بها على ما أرى.

الفصل السادس
1921
كانون الثاني ـ نهاية تموز

3 كانون الثاني (ب)

حينما أقرأ أخبار ايرلاندة أعجب كيف نجرأ نحن على جعل انفسنا نموذجاً للغير في الأدارة وفن الحكم. اما بالنسبة لفن الحكم فانني في الحقيقة اعتقد بأنك لو فتشت تاريخنا من أوله الى آخره لما وجدت مثل لويد جورج ووينستون تشرشل في سوء الحكم وضعفه.

لم تكن سفرة الرمادي ناجحة جداً، لأن الجو لدرجةٍ ما لم يسعفنا. فقد انزلنا الميجر يتس(*) عنده ـ اذ كان يعيش مع موظفيه في دار محلية، وهي مريحة اذا ما قورنت بالدور المحلية الاخرى، لكن ذلك لا يعتبر شيئاً كثيراً. فالشبابيك غير مزججة، ولذلك فعليك اما ان تسد أبوابها وتجلس في الظلام أو تفتحها فتجلس في البرد القارص، على انا كنا نوقد ناراً ملتهبة في الليل ونتحلق جميعنا من حولها. وقد كان في معيته موظفون لطيفون للغاية، لا سيما الشابين اللطيفين الكابتن كارفر(**) معاون الحاكم

(*) الحاكم السياسي.

(**) كان قد اشتغل في عانة ودير الزور مدة من الزمن.

السياسي والكابتن وليامس ضابط الشبانة. انّ هذه المنطقة هي من بلاد الدليم كلها. ويعد علي السليمان، شيخ مشايخ الدليم، رجلاً ذكياً مقتدراً للغاية. وقد وقف بجانبنا بثبات خلال الاضطرابات كلها، وأبقى عشيرته هادئة ساكنة، وهو ثري كذلك، يربح اموالاً طائلة بانشاء أسواق وفندق في الرمادي، وابتياع البساتين. لقد ألمّ به كثير من القلق حينما وصلت اليه انباء تشكيل الحكومة العراقية. والرجل التالي في الأهمية هو الشيخ مشحن (الحردان)، أظن أنه أحسن من علي السليمان، غير انه أصغر منه سناً وليس له نفس التأثير.

ركبنا خيولنا في اليوم التالي، وخضنا في الأطيان فذهبنا لتناول الغداء في خيام الشيخ مشحن الكائنة في الجانب الثاني من النهر. وقد كانت في خيمة «الديوان» الكبيرة جماعة عشائرية هائلة، غير ان الطعام في مثل هذه المناسبات لا يكون مستساغاً الاّ بالكاد حينما تكون شديد الجوع. وقد أدخلني مشحن على النساء لزيارتهن، في النصف الآخر من الخيمة، وهن منعزلات تمام الانعزال، لأن الدليم قد أضاعوا عادات الحرية المعروفة في البادية ـ أنهم ليسوا من البدو الآن. على انه كان هناك استثناء واحد لهذا فقط وهو عمة مشحن (نعمة) التي كان يسمح لها، وهي غير متزوجة، بأن تروح وتغدو كما لو كانت رجلاً. وقد ردت لي الزيارة في مساء ذلك اليوم، واقترحت ان تصحبني الى بغداد. ولا أنكر أني قد تملصت من طلبها حين أرادت ان تعرف موعد رحيلنا اليها.

وكان في نيتنا ان نذهب بالسيارة في اليوم الثاني لمشاهدة بعض العيون الكائنة على بعد أربعين ميلاً تقريباً غربي الرمادي في البادية، وكان الشيخ يريد ان يطوّرها. و «ويزه» هذه كما يسمى موقعها عبارة عن ينابيع ماء جوفية غريبة ـ مررت بها في 1914 م ووضعت اسمها في الخارطة. لقد تحركنا في حوالي السابعة مع علي السليمان، ومشحن، وفرحان شيخ الصايح، وكان من ضيوف علي، وكان دليلنا أحد أولاد

محمد العبد الله وكان قد ركب معي في 1909 حينما كنت أفتش عن الأخيضر[1]. وبعد سبعة أو ثمانية كيلو مترات نزلنا قليلاً ـ كان الجو قارص البرد لكنه لذيذ، وكان الدليم يغدون ويروحون في اشغالهم، كما كانت الغزلان والحبارى منشغلة بالشيء نفسه. وعند ذلك ترطبت الارض وتكاثفت الغيوم، فقررنا اننا لا يمكن ان نتقدم الى ابعد مما وصلنا اليه. ولذلك عدنا الى الرمادي رأساً، ولما كنا انا والكابتن كلايتون قد تناولنا الفطور عند الميجر يتس من قبل ذهبنا بالسيارة الى هيت. وتسلقنا في المساء البلدة المتحررة التي تقوم فوق تلها كأنها قلعة من القلاع ـ انها من دون ريب القلعة القديمة التي تتوغل في قدمها الى أبعد ما يصل التاريخ ـ الى أن وصلنا الى بيت أحد وجوهها، الحاج علي، وقد دعانا الى تناول الشاي عنده. فجلسنا على الأفرشة والوسائد المسندة الى الحائط، وكانت هناك «منقلة» فحم تدفىء الغرفة، كما جيء بالعشاء في صينية كبيرة نصبت فوق كرسي خشبي بين أيدينا. وجاء القاضي، وهو رجل معمم ماكر، فحاولت أن أعرف ما هو رأيه في مستقبل البلاد لكنه كان كثير التهرب والزوغان، ولم أعرف منه سوى انه كان غير كثير الثقة بسياسة بغداد وساستها.

وتقع هيت على مقربة من قلاقل آسية كلها، ولا أظن ان سكانها يودون ذلك. فمنذ ان استولينا عليها كانت هيت قد حظيت بسنتين من الامن الذي لم يكونوا يحضون بمثله من قبل ويمكنك ان تجد تأثيرات ذلك في أيكرات[2] النخيل المزروعة حديثاً في البلدة. والى مسافة ثلاثة أميال في اتجاه البادية، حيث تقع خرائب بلدة قديمة بالقرب من عين من

(1) قصر قديم محصن، طوله 170 متراً وارتفاع سوره 21 متراً. يقع في محافظة كربلاء. اختلف الاثريون في تحديد اصله وقد زعم انه لاحد ملوك الحيرة.

(2) جمع اكر acre وهو قطعة ارض صغيرة وقد اتخذ مقياساً للمساحة، يساوي 4840 ياردة مربعة.

عيون الكبريت، يزرع الآن الشعير وتغرس فسائل النخيل ـ ربما يكون المكان قد آل الى الخراب قبل مئتي سنة حينما اتجهت هجرة شمر البدوية من الجزيرة الى الشمال وفي أثرها عنزة. ومنذ ذلك الوقت حتى اليوم ما أحسب ان احداً تجرأ على زراعة نخلة واحدة في «المعمورة» هذه، اذ كيف يفعلون هذا بينما كانت العشائر تأكل كل شيء يزرع، كأنها ارتال الجراد؟...

وعدنا في اليوم الثاني الى الرمادي وقت الغداء، وقد زرت علي السليمان بعد الظهر وزرت زوجته، وهي من صديقاتي القديمات، حيث كنت قد نصبت خيمتي وانخت رحلي في البستان المجاور لدارهم في 1914م وقد امطرت الدنيا مطراً شديداً في المساء فوجدت انا والميجر يتس مشقة كبيرة في الوصول الى بغداد في اليوم التالي. اذ بدأت متاعبنا بعد ان عبرنا الفرات في الفلوجة وعدنا الى طمي بين النهرين اللزج، فقد غرّزت السيارة الى حد «الجزع» (أكسل) في الوحل، وتحتم علينا مرتين ان نستنجد بجماعات الجيش الهنود المتعبين من النقاط الممتدة على خط القطار لاخراجنا من الوحل. وقد خُيّل لي في احدى اللحظات اننا سنضطر الى قضاء الليلة في العراء ـ او ما وراء أكياس الرمل على الأقل في احدى هذه النقاط. وعلى كلٍ فقد وصلنا الى بغداد بعد ان خيم عليها الظلام، وحللت مشكلة قضاء ليلة رأس السنة وحيدة بالنوم العميق في الحال.

أنا مسرورة حقيقة لأني لا اعرف ماذا ستأتي به هذه السنة الينا. ولا أحسب اني سأستيقظ في اول كانون الثاني من أية سنة اخرى بمثل ما يخالجني الآن من خشية وترقب.

فاني مقتنعة بأن رجالنا العسكريين لو خفّضوا من مستويات صرفياتهم ونفقاتهم المسرفة فاننا سوف نستطيع الاحتفاظ بالعدد

الضروري من الجنود هنا بتكاليف أقل للغاية. فهل عرفتم مثلاً باننا ما نزال نحتفظ هنا بوحدات عمل عسكري لتعبيد الطرق ورش الشوارع، وكل هذه تتقاضى أجورها من دافع الضريبة البريطاني، بينما يجب ان تتولى مثل هذه الاعمال، اذا استطاعت، البلديات العراقية نفسها - واذا لم تستطع فليس من الضروري ان تقدم لها هذه الخدمات. كما ان قوتنا الكهربائية، وحتى زبدنا وحليبنا يقدمها الجيش البريطاني لنا، وبخسارة من دون شك. ان هذه يجب ان تتولاها مشاريع اهلية - بربح. اضف الى هذا ان جميع تشكيلات المقر العام للقيادة ما تزال تسير على أسس أيام الحرب - فأية حاجة تدعو الآن مثلاً للاحتفاظ بفرع للاستخبارات يرأسه أربعة أو خمسة ضباط يتقاضون رواتب عالية يا ترى؟ انها حاجة من حاجات الحرب لا حاجات السلم. انهم يقومون بعمل ليست هناك حاجة للقيام به مطلقاً، وكثيراً ما يؤدونه بصورة مغلوطة. فقد جاءني قبل أيام ميجر بريء التحق بالقسم (أ)، وقال انه قد عهد اليه بواجب جمع «معجم جغرافي» عن العراق ولما لم يكن قد مر عليه أكثر من ثلاثة أشهر في هذه البلاد فقد جاء يستمد المعلومات مني. وراح يقرأ عليّ سلسلة من الأسئلة لم يكن بوسع المرء ان يهتدي الى معرفتها. فسأل مثلاً: كيف كانت بغداد في عهد هارون الرشيد؟ أنا لا اعرف ذلك - ولا أحد غيري يعرف. فقد قضى بعض الناس فترة حياتهم بالبحث وهم يحاولون ان يكوّنوا فكرة غامضة عنها، لكنهم لم يتوصلوا الى أية نتيجة في الحقيقة[1].. ثم مضى يسأل بهدوء: هل اعتقد انا بأن الأتراك هم من الاقوام السامية؟ ان هذا امكنني أن أجيب عليه في الحال، غير انني ارجو ان تتصور الحالة الفكرية للرجل الذي سأل هذا السؤال! ثم ربط نفسه بعقد غير قابلة للحل مطلقاً حول الكلدانيين القدماء (لم تكن لديه أية فكرة عنهم مهما كانت) والكنيسة

---

(1) لانهم يجهلون المراجع الاساسية في هذا الموضوع كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ومناقب بغداد والاغاني.. وغيرها من امهات الكتب العربية.

الكلدانية الحالية، وهي لا تخرج عن كونها الفرع الروماني الكاثوليكي للنساطرة - انه الاسم المزوق لطائفة تشكلت بجهود العمل التبشيري. وأخيراً نفد صبري، وقلت له أني مشغولة، واقترحت عليه انه قبل ان يأتي اليّ يجب عليه ان يقرأ بعض فقرات في «الموسوعة البريطانية»[1]. ان ما أود ان اشير اليه بهذا أنكم تدفعون من كيسكم لأبحاثه هذه، وللكثيرين من أمثاله، وبذلك يمكنكم ان تطمئنوا!...

3 كانون الثاني

يسكن شيوخ الدليم الكبار، الذين يعيشون في الخيام خلال الشتاء في مساكن غير معروفة في الانحاء الأخرى أيام الصيف (ان علي السليمان فقط يعيش في دار تقع خارج الرمادي). ويسمى كل منها «محراب»، وهو بمثابة خيمة طينية - انه لا يخرج عن كونه غرفة ضيقة طويلة حيطانها الطينية خفيفة جداً، خالية من الشبابيك، لكن سقفها واطئ من الجهة الشمالية بحيث يكون قريباً من رأس الجالس على الارض. ويوجد في هذه الجهة صف من الفتحات الصغيرة يصنع بأشكال مختلفة، بترك محل بعض اللبنات مفتوحاً على مسافات - متساوية منظمة بحيث يدخل منها الهواء لتبريد الجالس. وهناك فتحات مربعة في اعلى الحائط تأخذ الهواء الحار الى الخارج، وهم يقولون ان الغرفة تبقى باردة منعشة بصورة مدهشة على هذه الشاكلة. اما غرفة الاستقبال فتترك النهاية الشرقية مفتوحة فيها وتنتهي بديوان في الهواء الطلق، يكون عبارة عن ساحة طينية يحيط بها جدار واطئ، حيث يجلسون في الليل. لكنها في النهار لا يمكن ان تكون باردة مثل غرفة النساء المغلقة من جميع الاطراف. ولا يبني هذه المحاريب غير الدليم.

---

(1) Encyclopaedia Britannica.

اما هيت القائمة فوق تلها القديم، وآبار القار تبقبق من حولها، فلا يشبهها شيء في العراق. لكنها بالنسبة لي ملأى بذكريات الاسفار المرحة، وبالأشباح التي كانت تتجول راكبةً فوق ظهور الابل على مرأى من العالم، عالمي المسبوك بعد التصدع. لا أظنني سأذهب الى هناك ثانيةً، بل لا أود ان أرى منظر تلك الأشباح ـ انها سعيدة جداً ممتلئة بالثقة. فأني انا التي تشعر كأنها شبح الى جنب تلك الأشباح في هذه الأيام.

تمشينا حول البلدة بعد الظهر، وتسلينا بأشغال احدى آبار الزفت، فارتفع الماء المتشبع بالغاز وهو يبقبق حاملاً معه أفاعي سوداء ملتوية من القار الذي يكوّن قشرةً فوق البئر. فقد رمينا جريدة مشتعلة فالتهب الغاز وأخذ يترجرج من فوق العيون المتبقية، وصار يبدو كأن الماء هو الذي يشتعل. وبعد ان تفرجنا طويلاً على معجزة الشيطان هذه تكونت فجأة حية سميكة من القار فخنقت لمدةٍ ما الغاز والماء المتبقبق واختفى اللهيب. لقد كان هناك صبيّان يسحبان طبقة القار، وهما يلويانها ويكسرانها كما يفعلان بالـ «توفي» (وهي حيلة صعبة مع انها تبين سهلة بأيديهما ـ لأن الناس هنا يحترفون هذه الصنعة أباً عن جد منذ خمسة آلاف سنة) ثم يرميانها الى حيث كان يقف حمار بانتظار الحمل. . .

وهناك في شمال هيْت منطقة لا تعود لأحد. فمنذ ان انسحبنا منها أخذت القبائل تسلب المارة فيها وتغزوهم، ولا غرو فقد جرد كل شخص يده ضد جيرانه. كما أخذ وكلاء مصطفى كمال يرتمون في أحضان هذه الفوضوية فغدت هيت وعلى أبوابها جميع قلاقل آسية. .

وبالنسبة لنفسي فاني مسرورة لجهلي بما ستأتي به السنة هذه. لا احسب انني سوف استيقظ في أول كانون الثاني من أية سنة بمثل هذا الشعور الذي يساورني من توجس الخيفة. فانك يمكنك ان تناضل خلال الخيبة وسوء الحظ حينما يتقربان اليك ببطء ـ وتراهما يزحفان نحوك

فتفوض أمرك بالتدريج الى القدر المحتوم. لكن المستقبل اذا ما تفتحت ابوابه فجأة، فتعرف على اية حالة ستستيقظ في صبيحة اليوم الأول من كانون الثاني، فان جميع ما تراه امامك سيكون شيئاً قاهراً. اما الحقيقة فهي ان هناك قليلاً مما يبشر بالخير..

17 كانون الثاني

... تسلمت الآن رسالة الوالدة، وهي تشير فيها الى الضجة التي أحدثها تقريري(*) . ان الموقف العام الذي اتخذته الصحافة على ما يبدو انه من المدهش حقاً ان يتمكن كلبٌ من الوقوف على رجليه الخلفيتين - أي ان تستطيع أمرأة كتابة «كتاب أبيض». لكنني آمل ان يتركوا التعجب جانباً ويلتفتوا الى التقرير نفسه، اذا كان ذلك يساعدهم على ان يفهموا كيف هو العراق الآن. وأكاد اشك اذا كان هذا التقرير ستكون له فائدة كبيرة من هذه الناحية بالنشر للحالة التي كتب فيها ـ وبالمناسبة أرجو من الوالدة ان لا تظن ان ويلسن هو الذي طلب اليّ ان أكتبه ـ كانت «وزارة الهند» هي التي طلبت ذلك، وقد أبديت اصراري، خلافاً لرغبته، على ان أكتبه بالطريقة التي أريدها انا، وهي طريقة مع انها قد تكون غير صائبة الاّ انها احسن من طريقته على كل حال..

والآن فلأتذكر ماذا كان يحدث منذ أن كتبت لكم آخر مرة. لقد اقمت حفلتين للعشاء، كانت الأولى منها للمستر والمسز ديكسن (سيعين حاكماً سياسياً في الحلة) وكان لابد لهما من ان يتعرفا على جعفر پاشا وحسين افنان. فكانت حفلة ناجحة حقاً.. وكانت الحفلة

(*) إنها تشير بهذا الى التقرير الصادر بعنوان Review of thd Civil Administration of Mesopotamia، الذي ترجمه كاتب هذه السطور ونشره بعنوان «فصول من تاريخ العراق القريب» فصدرت طبعته الأولى في 1949 (بيروت).

الثانية تضاهيها في النجاح ـ حضر اليها عبد المجيد الشاوي وفخري جميل وأمير ربيعة (محمد) ليتعرفوا على المستر فيلبي والكابتن كلايتون والميجر موري. وكان الغرض منها تهدئة امير ربيعة. فهو رئيس قبائل ربيعة المحيطة بالكوت، وقد وقف باخلاص في جانبنا خلال حوادث الاضطراب والثورة، أما الآن فقد أصبح يتشوق لمعرفة ما سيحدث له ولقبائله حينما يبقى في الكوت موظف عربي فقط. أتأمل انه خرج من حفلة العشاء وهو يشعر بارتياح من اننا سوف لا نتخلى عنه. انه رجل في حوالي الخامسة والعشرين من عمره منهمك لدرجة بالراقصات، لكنه رجل طيب، واذا ما تسلمته أيدٍ حكيمة (ليس هناك أحسن من يدي الميجر موري) فلابد من ان يكون عضواً نافعاً في المجتمع. وهو الآن عضو في مجلس الوزراء ويكن كرهاً شديداً للسيد طالب، ويتخوف منه.

ويبدو في الوقت نفسه ان السيد طالب يسير سيراً حسناً. فقد عرض على المجلس قبل أيام قائمة كبيرة بمقترحاته عن الادارة ـ تعيينات في الألوية، من المتصرفين والقائمقامين ـ فمن الضروري ان تتم هذه التعيينات حتى يتسنى للناس في مختلف الألوية ان يروا بأعينهم موظفين عرباً يشغلون المناصب المهمة فيدركون ان هناك حكومة عربية في البلاد. وقد وافق السر بيرسي على مقترحات طالب المختصة بأجراء تبدلات في مجلس الوزراء وتشكيل وزارة جديدة، لكن النقيب رفضها كلها تقريباً. فجاء طالب مندفعاً اليّ هذا الصباح ليصف لي المداولة العاصفة بينه وبين النقيب، وكان عليّ ان اعجل بتقديم تقرير بكل ذلك الى السر بيرسي. لا اعرف بالضبط ما هي لعبة طالب هذه. أظن انه قد تخلى عن أمله في ان يصبح اميراً للبلاد في الحال ـ انه يقول كذلك ـ غير انه يعتقد بأنه اذا ما وقف بجانب النقيب فمن المؤمل جداً ان يخلفه في وقتٍ لا يمكن ان يكون بعيداً. ما زلت اعتقد ان البلاد سوف لا تنتخب

طالباً. اما تعاطفي فينحاز اليه في الوقت نفسه. فان تعييناته(*) لا تظهر فيها اية دلالة على الرغبة في إيجاد رجال يؤيدونه في مطامحه، وانما هي عبارة عن جهد مخلص لإيجاد رجال يليقون لأشغال المناصب موضوعة البحث. ان ساسون افندي يشمئز منه، وهو ميال الى ان يثير اعتراضات تافهة على اي شيء يفعله. على أني أود ساسون افندي واحترمه، واعتقد بأنه احسن وزير ذي أهلية وجدارة عندنا. جاء اليوم الى مكتبي وجرى حديث طويل بيني وبينه. أتمنى لو كان عندي مزيد من الوقت، أو لو كان بوسع السر پيرسي ان يخصص شيئاً أكثر من الوقت، الى التفسيرات والتوضيحات الشخصية التي تكون أكثر فائدة من أي شيء آخر في العادة. فليست الجوقة من الجوقات التي يسهل قيادها، وهي

(*) قرر مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير الداخلية في جلسته المنعقدة يوم 18/ 1/ 1921 الموافقة على اجراء التعيينات الآتية: حامد بك متصرفاً للواء الموصل، الشيخ صالح باش أعيان متصرفاً للواء العمارة، احمد حالت افندي متصرفاً للواء ديالى، ناظم بك (النفطچي) متصرفاً للواء كركوك، رشيد بك العمري متصرفاً للواء الدليم، عبد العزيز بك القصاب قائمقاماً لقضاء الكوت، عبد الله بك الزهير قائمقاماً لقضاء بدرة، الحاج سليم افندي قائمقاماً لقضاء عانة، شاكر بك قائمقاماً لقضاء دلتاوة، مصطفى بك باجلان قائمقاماً لقضاء خانقين، عبد الرزاق آل شاكر قائمقاماً لقضاء شهربان، عبد الله بك الصانع قائمقاماً لقضاء قلعة صالح، الحاج عذار قائمقاماً لقضاء الهارثة، الحاج محمود معتوق النعمة قائمقاماً لقضاء ابي الخصيب. ناجي بك شوكت پاشا معاوناً لمتصرف بغداد، جاد افندي غاوي معاوناً لمتصرف البصرة.

وفي قرار اتخذ بعد هذا التاريخ (7/ 3/ 1921) قرر مجلس الوزراء ما يأتي: اعتبار تعيين ناظم بك متصرفاً للواء الحلة بدلاً من لواء كركوك على ان يعين فتاح باشا متصرفاً للواء كركوك بدلاً منه.

وتعيين حميد خان متصرفاً للواء كربلاء، ومصطفى افندي أزمير قائمقاماً لأبي صخير، وممتاز بك قائمقاماً للهندية، وعبد الرزاق افندي (حلمي) الشيخ قاسم قائمقاماً لقضاء الديوانية، والحاج شكري بك قائمقاماً لقضاء السماوة، وحمدي افندي الپاچه چي قائمقاماً لقضاء الكاظمية.

تحتاج الى معالجة شخصية مستمرة. ومع هذا فأن شعوراً يخالجني بأننا نحقق الآن نجاحاً حسناً. فهناك مزيد من الشعور بالاستقرار، وقد حققت الحكومة نجاحات غير قليلة، فأخذ الناس يدركون اننا ننوي في الحقيقة ان نضع بواسطتها ما نقوله في موضع التنفيذ. مسكين هو الجنس البشري الذي يترتب عليه ان يقضي كثيراً من وقته هو يحاول اقناع اخوانه من بني البشر بصدق نواياه ودوافعه[1]! ان ما لا استطيع تنفيذه يمكن ان ينفذ بواسطة ساسون افندي أو جعفر باشا، وهذا ما أود أن يأخذ مجراه خلال الوقت. على ان المهم هو ان تترك الكرة تتدحرج، كما فعل السر پيرسي، وما عليك بعد ذلك سوى ان تجلس جانباً وتدعهم يدحرجونها هم بأنفسهم.

ذهب جعفر باشا في رحلة تفتيشية تفقد فيها منطقة الفرات الى الناصرية. وقد قال لي انه يرى ان معظم الشيوخ لا يبدون أقل أهتمام بنوع الحكومة التي يتم تشكيلها في البلاد، لكنهم يفضلون بوجهٍ عام الاتراك الذين يعرفونهم على المجهول الذي لا يعرفونه. وقد سألوه بقولهم «متى يعود والدنا؟» أي السلطان الى هذه البلاد، فرد جعفر على ذلك رداً صريحاً بأنه غير عائد مطلقاً، وانه بالاضافة الى ذلك ليس والدهم. أتوقع ان كلمةً واحدة من كلامه فيها من الاقناع ما يزيد على خطاب طويل من خطبنا ـ انه وزير عربي حقيقي للدفاع!

وكان الحدث الاجتماعي في هذا الاسبوع حفلة الغداء التي اقامتها زوجة السيد طالب، وكانت قد قدمت من البصرة. فانك لا يمكنك ان ترغب في مقابلة أمرأة على جانبٍ أكبر من اللطافة والرقة مثلها. انها امرأة شركسية جميلة جداً لها شمائل حلوة للغاية، ووقار مرح لا يشوبه خجل، يصل الى حد الكمال. فذهبت مع الليدي كوكس سويةً، ووجدنا

(1) ولكن هذه المسكنة ترتفع حينما تكون النيات والدوافع نظيفة وصادقة.

هناك أوريلياً وعدداً من زوجات المستشارين. فاستقبلتنا بحماسة وقالت لي أن طالباً يعتبرني أختاً له، ولذلك يجب أن أكون أختاً لها أيضاً، وهي علاقة استعجلت في الاعتراف بها. لقد أكلنا أكلات شركسية مدهشة خلال الغداء، وقالت لنا انها هي التي طبختها بنفسها ـ كانت أكلات لذيذة جداً، استثارت حتى دهشة الليدي كوكس وحظيت بمصادقتها الناقدة..

ولما كان اليوم الثاني يوم أحد فقد ذهبت بعد الفطور مباشرة. مع الكابتن كلايتون والميجر موري وحسين أفنان، الى المحمودية، وهناك جلسنا في أحد المقاهي نشرب الشاي ونأكل خبز العرب الحار، بينما كنا نتذاكر مع الاهلين حول المكان الذي نذهب للتصيد فيه. وقد حضر «المدير» فجاءنا برجلٍ قال لنا أنه سيأخذنا الى مكانٍ ممتاز ـ فاتضح ان المكان هو مزرعته الخاصة، فحصل على توصيله اليها بركوبه معنا! على انه كان مكاناً جميلاً جداً يقع وسط الصحراء في منتصف الطريق الى ايوان كسرى. وكانت هناك قطعة من الهور كان يخوض فيها الناس بينما جلست انا في الشمس على ضفتها أراقب اسراب البط الوحشي. غير ان البط هذا تغلب علينا فتحتم علينا ان نسوق السيارة الى جهة دجلة. وكذلك تغلب علينا الدراج الاسود، لكن الحيوان الوحيد الذي استطعنا صيده كان طيراً من طيور الحباري.. فقد طاردناه عبر الصحراء وأصبناه من السيارة في النهاية ـ كانت عملية مثيرة واذا كنا لم نرجع بصيدٍ يعتد به فقد تمتعنا بسفرة نهار جميل على الاقل...

22 كانون الثاني

خرجت من المكتب بعد الظهر في أحد الآيام لأركب ذاهبة لزيارة الحاج ناجي. انه يقول ان السيد طالب يحصل على عطف الناس بسخائه وكرمه. وعليّ أن أقول ان كرم السيد طالب هو على حساب أناس

آخرين. فهو يعيش بأكثر من موارده، وحينما يريد مبلغاً من المال يبعث الى أحد الاثرياء في بغداد فيخبره بأنه يريد عشرين ألف روپية او ما يقرب من ذلك. والغريب في الامر انهم ينصاعون لطلبه ويقدمون المبالغ المطلوبة لأنهم يخافونه. ان هذا عمل قمين بالشجب الكثير. لكنني لا أعرف كيف نوقفه عند حده.

22 كانون الثاني(ب)

.. حضر عجيل باشا (السمرمد) والكابتن پيدر معاون الحاكم السياسي لتناول الشاي عندي، مع حسين أفنان للتعرف عليهما. وقد عبر عجيل عن رأيه الاعتيادي الصريح في عدم اعتقاده بالحكومة العراقية والانتخابات العامة. انه غير مخطئ كثيراً في الحقيقة، ولكن مع هذا فأني آمل بأننا سوف لا نتأخر كثيراً في اجراء الانتخابات، لأن حكومة مثل الحكومة الحالية (اذا لم نقل جميع الحكومات) من المحتمل ان يتطرق الوهن الى سمعتها بدلاً من ان تحصل على مزيدٍ منها. لقد كنت أجس نبض السر پيرسي في هذا الشأن اليوم.

سأذهب الآن لتناول العشاء عند السيد طالب ـ يبدو ان جميع الناس مدعوون عنده. فمن الذي يدفع تكاليف هذه الضيافة يا ترى؟

.. سمعت شائعات مفادها ان سنة بغداد ينظرون الآن فيما كان من الأوفق لهم ان ينصب أحد الامراء الاتراك ملكاً في العراق. لانهم خائفون من ان يطغى عليهم مّد الشيعة، الامر الذي سيجعل الامير التركي خير حصنٍ لهم يلوذون به ويفضلونه على أحد أنجال الشريف. ولا تعمل الحكومة الحاضرة، وأكثريتها الساحقة سنية، شيئاً لاسترضاء الشيعة واستمالتهم. أنهم ينظرون في الوقت الحاضر بعددٍ من التعيينات الادارية، وان جميع الاسماء التي اقترحت تقريباً هي أسماء أشخاص من السنة حتى الذين يراد تعيينهم في الألوية الشيعية بكليتها في

الفرات ـ عدا كربلاء والنجف ـ لا عذر لهم في تعيين اشخاص من السنة لهما . . .

فعلى السر پيرسي ان يتدخل في الامر حينما تعرض عليه الاسماء للمصادقة[1]. لانه اذا كان هناك شيء اكيد فهو ان الفرات سوف لا يحتمل الموظفين السنة. وعليهم ان يضعوا في فكرهم انهم لا يستطيعون ان يأخذوا كل شيء. واذا كانوا يريدون تأسيس مؤسسات وطنية محبوبة فان الشيعة وهم أكثرية كبيرة، يجب ان يأخذوا حصتهم منها. فهناك عدد كبير من الشيعة البارزين في الفرات يفضلون الادارة البريطانية (التي لا يمكنهم ابقاؤها) على ادارة عربية سنية او تركية سنية. لكن الظروف اذا حكمت لا يجرأ المسلم مطلقاً على رفع صوته ضد المسلم، حتى اذا كان مسلماً من نوعٍ يكرهه[2]. ولذلك اعتقد بأننا اذا كان بوسعنا تنصيب أحد انجال الشريف فقد ينجح في التوفيق بين الطرفين. أما اذا ترددنا فقد ينحاز الرأي العام الى الاتراك بصورة قاهرة. . .

هل تعلمون ان هذا هو عيد الميلاد الثامن الذي أكون فيه بعيدةً عنكم؟ ـ 1913 في الجزيرة العربية، 1914 في بولوني، 1915 في مصر، 1916 في البصرة، والبقية في بغداد. انه شيء غير اعتيادي، أليس كذلك؟

---

(1) تريد الآنسة بيل ان تبرئ نفسها، وتبرئ المندوب السامي من محاولة توسيع الخلاف بين السنة والشيعة وهم شعب واحد في وطن واحد.

(2) لقد نهض بالثورة العراقية أهل المذهبين، ثم جاءت بعد ذلك الحركات الوطنية لتوطد الوحدة بين ابناء الشعب الواحد، وقد استقرت هذه الوحدة الوطنية، الى الابد.

30 كانون الثاني

. . . ان ما ذكرتموه حول آراء ويلسن(*) كان شيئاً يلفت النظر. لقد قرأت فقرة كتابكم على السر پيرسي وقلت له اني سوف لا أبقى في الخدمة مع ويلسن مهما كانت الظروف. اما من الناحية غير الشخصية فأعتقد بأنه معتاد تماماً على تمشية الأمور بالطريقة التي يرتأيها هو بحيث لا يمكن ان يكون لائقاً للاشراف على تنظيم علاقاتنا بآسية، وهي علاقات يجب ان تكون ذات طبيعة استشارية في الاساس ومبنية على امكان خلق الثقة والتعاطف بين الجانبين. ولم أكن من ناحيتي الشخصية أثق بويلسن، وليس بوسعي الاشتغال معه. ومن الخطأ جداً على ما اعتقد ان يعطى منصباً في الدائرة الجديدة المزمع تشكيلها في الوطن، مهما كان الاسم الذي سيطلق عليها. انه مقتدر جداً ورجل ممتاز في العمل لكن اتجاهه السياسي على درجةٍ غير كافية من المرونة والاتساع. وهو كذلك «ملوث» في نظر الوطنيين العرب، وهم الناس الذين يجب ان نعمل سويةً معهم اذا كنا نريد النجاح. وبالنظر لامكانية الاستشهاد بنقطة معينة في مسيرة الشؤون السياسية، والقول بانها كانت نقطة تحول، فأني استشهد بمكالمة جرت بين أي تي ويلسن في دمشق خلال شهر أيار 1919، حينما كان في طريق عودته الى بغداد من لندن، وبين ياسين باشا وناجي السويدي ونوري السعيد ـ لا أدري اذا كان جعفر باشا حاضراً ام لا. لقد طرحوا عليه آراءهم حول مستقبل العراق ـ كانت آراء معقولة، تنسجم مع المنهج الذي نسير عليه الآن ـ فقال لهم بفظاظة انها كلها اضغاث أحلام، وانهم يجب ان يعملوا اولاً في المجالس البلدية قبل ان يستطيعوا تولي القيادة بأيديهم، وأشياء أخرى مثل هذه. وقد قصّ عليّ القصة ضابط بريطاني كان حاضراً في المقابلة، فقال ان الضباط

(*) كان ويلسن في هذه الآونة خارج الوظيفة بعد ان انهيت خدماته على اثر نشوب الثورة العراقية. وقد دعاه الى العشاء في لندن والد المس بيل وزوجته.

العرب المشار اليهم صمتوا في الحال وتركوا ويلسن يتكلم لوحده. وقد كانوا يسيرون الادارة العسكرية والمدنية برمتها يومذاك في سورية ـ أما انهم لم يستطيعوا تمشيتها بأحسن مما كانت عليه فان السبب الرئيسي في ذلك هو أننا لم نكن قادرين على تزويدهم بالمستشارين الذين طلبوهم، مجاملةً لحلفائنا الفرنسيين. لقد كان مما ينافي العقل والمنطق ان نقول لأمراء الالوية هؤلاء وأمثالهم من الاداريين المحنكين بأنهم يجب ان يكتفوا بتمشية المجالس البلدية. فيئسوا منذ ذلك اليوم من امكان تأسيس حكومة وطنية في العراق. ولما كان ياسين ذلك الرجل العنيف الفعال فقد أوعز للعهد العراقي، وهو دماغه المفكر، بمضاعفة الدعاية المناوئة للبريطانيين فأقر هذا العمل منذ ذلك اليوم. وكانت تلك الدعاية السبب الوحيد لتحريك الثورة هنا. وبالنظر لأن ويلسن قد أغضب الشعور الوطني في البلاد، واخطأ في تقدير قوته، واساء فهمه بالمرة (لقد كتب الى الجهات المختصة في صيف 1919 يقول اني اعتبر العهد العراقي شيئاً تافهاً جديراً بالاهمال)، فهو يدان باقتراف أشنع الاخطاء السياسية التي ارتكبناها في آسية..

علم جعفر (العسكري) من رسالة تلقاها من ناجي السويدي انه قد قرر العودة الى العراق في الاخير ـ انها جرأة منه ان يعود مع أبيه الهرم، الهارب والخارج على القانون[1]. ونوري السعيد هو في طريقه الى هذه البلاد ايضاً. ان هؤلاء الناس وامثالهم هم الذين يمكنهم ان يساعدونا على ان نحظى بثقة الوطنيين من جديد.

7 شباط

كان عندنا اسبوع حامٍ في هذه الايام، للاختلاف الحاد الذي

---

(1) سبق للآنسة بيل أن شتمت يوسف السويدي، في رسالة ماضية، وها هي الآن تدمغة بنعوت بذيئة.. انها اخلاق الخاتون الشرقية!!

حصل بين اثنين من المستشارين (المستر فيلبي والكولونيل سليتر) حول قضية التخلص من مشكلة الشبانة العرب (الدرك، الجندرمة). فقد أهاج كل منهما وزيره (السيد طالب وساسون افندي) وكلٌ منهما يكره الآخر على كل حال، بحيث كان من المؤمل ان يستقيل ساسون اذا ما اتخذ المجلس قراراً ضد رأيه ووضع الشبانة بعهدة وزارة الداخلية بدلاً من وزارة الدفاع. وكان هذا قراراً خاطئاً على ما اعتقد، لكن الامر لا يستدعي مثل هذه الضجة طالما وضعت الشبانة بعهدة احدى الوزارات العربية في الحال، لاننا نريدها ان تتسلم زمام الامور في الفرات الأوسط حينما نسحب الجيوش البريطانية من هناك، كما سيحصل فعلاً خلال اسبوعين أو ما يقرب من ذلك. والمشكلة هي ان جعفر پاشا لا يريد في الحقيقة ان تلحق الشبانة بوزارة الدفاع لانها خاضعة للسيطرة البريطانية بالكلية. ولو كنت في مكان السر پيرسي لزجرتهم، وجعلت الشبانة تكيّف نفسها لاحتياجات جعفر فألحقها بوزارة الدفاع. على أنه لم يفعل ذلك. وأحسب أنه أعلم بالحل المناسب. وعلى كلٍ لم يحصل أي تمرد خطير، لأني هدأت عزيزي ساسون افندي وحملته على ان يقبل بقرار مجلس الوزراء في هذا الشأن. وبعد مناقشات طويلة لم ينصت اليها معظم الاعضاء الاّ في النادر، همس النقيب في أذن السيد طالب بحديثٍ لم يسمعه أحد في الحقيقة ـ عند ذلك التفت وزير الاوقاف(*) الى من كان جالساً بجواره وقال: من هم الشبانة؟

تناول ساسون العشاء عندي يوم الخميس، وجلب معه حكمت بك (سليمان)، وهو رجل قدير جداً كان قد شغل منصباً في دائرة المعارف التركية. انه الرجل الذي أريد ان يكون وزيراً للمعارف في وزارتنا، لأن السر پيرسي قد نجح في نقل الوزير السابق، ولم يكن

(*) كان وزير الاوقاف السيد محمد علي فاضل.

بوسعه ان يقرأ ويكتب العربية، الى وزارة الاشغال العامة(*) !

.. وفي صباح الاحد ركبت الى الفحامة لأرى فائق بك. ان له وجهاً مثل التفاحة الحمراء، وهو رجل مخلص بسيط، يحب الارض وجميع ما ينبت فيها. وهو يقول «خاتون، ان ضباطكم يظنون ان العراق مثل انكلترة. نحن متخلفون عنكم كثيراً، وليس بوسعكم ان تحكموا هذه البلاد كما تحكمون بلادكم». فأجيبه «ولذلك أريد أن أرى العرب يحكمون انفسهم بأنفسهم» لكنه يرد عليّ بقوله «ولكن ينبغي عليكم ان تلاحظوهم وتعنوا بأمرهم».

وهذا ما قاله حكمت بك أيضاً حينما قلت له أني أريد ان أقف جانباً وآراهم يتولون الاعمال بأنفسهم. فقد أجابني يقول «كلا، نريدك ان تقومي بشيء كثير من العمل أيضاً».

أطلق لهم العنان، وسترى كيف يلتفتون الينا، ولكنك حينما تشد العنان فتسحب تجد انهم سينسحبون ضدك. ولذلك أنا مسرورة لأن المتصرفين والقائمقامين يتولون العمل في مناصبهم حالياً، حتى ولو كان بعضهم من نوعٍ غير صالح.

وكان في طي هذه الرسالة (7 شباط) مظروف كتب عليه «سري للغاية» ومما جاء فيه:

ان مستقبلنا عاد مظلماً جداً. فأن مؤتمراً سيعقد اما في لندن أو في باريس يوم 21 شباط ليقرر التعديلات التي ستُدخل على معاهدة سيفر. وتتوقع السلطات المسؤولة في الوطن انها لأجل ان تسترضي تركية من دون ازعاج اليونان بشدة، قد تقدم عرش العراق الى أمير تركي. كما ان وينستون (تشرشل) في الوقت نفسه لن يأتي الى هنا، لكنه قد يجتمع

(*) لعلها تقصد عزت باشا الكركوكي.

بعد المؤتمر بكوكس وصموئيل (هربرت صموئيل في فلسطين) واللنبي في مكان مناسب (مصر مثلاً). وهو يعتقد بأنه يستطيع اقناع الرأي العام البريطاني بتقديم خمسة ملايين پاون في السنة الى العراق خلال السنتين القادمتين، وليس أكثر من ذلك.

. . . ان الأمل الوحيد هو ان الحلفاء قد يدخلون تعديلاً على طريقتهم، ويجرون ترتيبات مع تركية بحيث يرضون الحزب الوطني ومصطفى كمال. وهذا من شأنه ان يزيل في الحال الخطر الذي يهدد حدودنا الشمالية، ويوقف سيل الدعاية التركية المتدفقة الى هذه البلاد عند حده. ان الوطنيين المتقدمين هنا، وهم لا يريدون الاتراك لكنهم غير راضين عن وضعهم الحالي، يستخدمون «البعبع» التركي بأمل اخراجنا من البلاد بواسطته واخراج الاتراك أنفسهم بعد ذلك. ويكوّن المؤمنون بهذه الطريقة وهذا التفكير جماعةً صغيرة لكنها صخّابة، ولسان حالهم جريدة الاستقلال. ومعظم كتابها واتباعهم أناس ليس بوسع أية حكومة ان تعينهم موظفين عندها، واذا ما تركنا البلاد نحن فأنهم سيقفون في وجه من سيخلفنا أيضاً. وهناك في الوقت نفسه ظلامات كثيرة يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار. فقد كانت العقوبات التي عاقبت بها جيوشنا القبائل الفراتية عقوبات قاسية على ما علمت. والقبائل المذكورة ساخطة على البغداديين المحركين، اكثر من سخطها علينا نحن، لأنهم على ما يقولون قد ضللوهم وخرجوا سالمين غانمين من المعمعة[1]. ويتخذ البغداديون المحركون من خسائر العشائر في الوقت نفسه رأسمالاً يثيرون بواسطته تحريكات جديدة.

انا التفت الى الصحافة التفاتاً خطيراً جداً في الوقت الحاضر، وهذا عمل ضروري مع كوني أكره الاضطلاع به. فقد أجريت ترتيبات

(1) هذا دس رخيص، لا يخفى على أحد ما وراءه.

خاصة مع صاحب الجريدة المعتدلة في بغداد[*] (تسمى العراق) بأن يأتي لزيارتي مرتين او ثلاث في الاسبوع لأزوده بالاخبار والافكار. انه رجل طيب صغير الحجم لكنه كثير الذكاء.

وانا اخطط ايضاً لادخال اثنين من الرجال الطيبين حقاً في الوزارة. احدهما حكمت بك والآخر ناجي السويدي، وهو في طريق عودته الى هنا من سورية. وأخيراً أريد ان ينقسم مجلس الوزراء الى: مجلس استشاري من نوع «مجلس الملك»[**] ومجلس وزراء صغير يتألف من وزراء اصحاب حقائب فقط. لقد قدمت بعض المقترحات التمهيدية في هذا الشأن الى السر پيرسي، وهو يؤيدها على ما يظهر.

جرى لي حديث طويل استغرق ساعتين مع ساسون افندي حول الامور بصورة عامة. فقد ناقشنا امكانية تنصيب أمير تركي مؤيداً للفكرة، بشرط أن نأخذ الانتداب بأيدينا على الدوام. وقال فائق بك الشيء نفسه في صباح هذا اليوم. ثم اضاف يقول «وحتى حينما كانوا يصرخون منادين بالامير عبد الله في العام الماضي، فقد كنت أنا أقول انها كلها أكاذيب.» على اني اعتقد ان المياه تسير الآن في ذلك الاتجاه، ولو كان بوسعي أن أغير هذا الاتجاه لفعلت[***]، لكن القرار ليس بأيدينا ولا يمكن أن يكون كذلك. وعلى كلٍ فعندنا نحن في بريطانية أسرة المانية مالكة، وكذلك الامر بالنسبة لليونان، كما ان مصر تحكمها أسرة البانية مالكة ـ فلماذا لا تكون للعراق أسرة تركية حاكمة؟ ان ما يهم في الموضوع هو الترتيب الذي يحتمل ان يؤدي الى حصول اعظم استقرار في البلاد، وليس فكرة السيادة العربية السارة (!!)

(*) تقصد الاستاذ رزوق غنام بلا شك.

(**) Privy Council.

(***) يلاحظ في هذه الرسالة ورسالات اخرى غيرها ان كاتبة الرسائل تناقض نفسها بنفسها.

13 شباط

كان هذا الاسبوع معروفاً أولاً بعودة حوالي عشرين او اكثر من المنفيين(*) الذين نفاهم ويلسن الى هنجام، وبينهم واحد من رؤساء المشاغبين في بغداد. وقد أوقف في اليوم التالي ابنه مع عدد من المشاغبين الآخرين الذين يملكون او يحررون او يؤازرون جريدة الاستقلال ـ بعثتُ لكم في الاسبوع الماضي بمقتبسات منها. وكان تعطيل هذه الجريدة موضوع بحث المسؤولين منذ مدة من الزمن، لكن السر بيرسي قال بحق ان وزارة الداخلية هي التي يجب ان تتولى هذا الأمر.

وتعتبر الحكومة الحالية ضعيفة في الألوية، لكني أحسب انها تثبت أقدامها هنا...

(*) وجدنا في مقررات مجلس وزارة الحكومة المؤقتة، للجلسات المنعقدة بين 22/ 11/ 1920 و 17/ 1/ 1921 ان مجلس الوزراء قرر ان يطلب من المندوب السامي اعادة المنفيين التالية اسماؤهم الى مواطنهم، اطلاق سراحهم:

1 ـ يعاد الحاج مخيف (الديوانية) بعد اخذ التأمينات اللازمة منه.

2 ـ يعاد الشيخ احمد الداود، ومحمد جعفر الشبيبي، ومحمد المصطفى الخليل، ويؤخذ عهد خطي منهم بحسب رأي المندوب السامي.

3 ـ يعاد عارف السويدي، والشيخ احمد مختار محلة الحاج فتحي، وصبري افندي بن قاسم اغا، وأمين افندي رئيس بلدية الاعظمية ونوري بك فتاح پاشا، والسيد صالح الحلي، وذلك بعد ان يؤخذ منهم عهد خطي، على ان يؤجل امر السيد صالح الحلي لحين وصول المعلومات اللازمة عنه.

4 ـ يعاد منفيو الحلة وهم: رؤوف افندي علي الحمادي، جبار الحساني، السيد الهنداوي، السيد عبد السلام، السيد احمد سالم، بعد ان يؤخذ العهد الخطي منهم ايضاً. (وقد توفي السيد احمد سالم بسكتة قلبية في منفاه بهنجام).

5 ـ يعاد منفيو كركوك الثلاثة.

6 ـ يعاد السيد محمد السيد صافي (كربلاء)، تلبية لطلب ولده السيد علي الصافي بكتابه المؤرخ في 27/ 12/ 1920 أسوة بالذين اعتقلوا معه ثم عفي عنهم.

7 ـ يعاد السيد احمد البرزنجي.

لا اعلم ماذا يريد الحلفاء بقضية الانتداب، لكنني منحازة الى جانب عصبة الامم التي احتجت بوجوب نشر ما يقرر بشأنها. لأن نشر ذلك يعتبر شيئاً اساسياً.

وقد أخطئ احيانا في التنبؤ، غير أني اعتقد بأننا اذا رفضنا الانتداب ستقوم ضجة في البلاد هنا يسترحم فيها الناس قبوله(*)...

ما زالت القضية الشيعية، في الوقت نفسه، قضية شائكة جداً. اذ يقول الجميع في ألوية الفرات ان الناس فيها سوف لا يقبلون بالموظفين السنة، بينما يتمادى مجلس الوزراء بتعيينهم بدلال... وأخيراً قبل أحد(**) الشيعة الكربلائيين بأن يستوزر في وزارة المعارف، بعد ان اقنع النقيب بتقديمها له...

والقضية الشائكة الاخرى هي قضية العفو العام. أنا متأكدة من شعوري بأن الوقت قد أزف، او اقترب جداً، لانهائها غير ان السلطات العسكرية ستعارض فيها معارضة شديدة.. وأريد ان يكون لنا الفضل في اتخاد الترتيبات اللازمة لها من قبلنا، وأن لا نكون كمن يخضع لضغط العرب عليه. فمن المؤسف ان لا نفعل الاشياء في وقتها، غير ان السر پيرسي عازم على ان يفعل ما يرى فيه الصواب بصرف النظر عن عدد من يحتج من العسكريين. لانه كما يقول، وهو على حق في قوله، هو المسؤول في الدرجة الأولى وليس غيره..

(*) ان ما وقع فعلاً في العراق عند اعلان الانتداب قد أيد خطأ المس بيل في هذا التنبؤ، ولا شك انه كان مبنياً على ما كانت تراه من مداهنة المنافقين والمتزلفين لسلطات الاحتلال البريطاني من العراقيين. فقد اعلنت البلاد بصحفها وهيئاتها وزعمائها وسواد شعبها سخطها، وعدت الانتداب نوعاً من انواع العبودية بثوب جديد. وقاوم الملك فيصل الأول الانتداب مقاومة فعالة (راجع العراق ـ دارسة في تصوره السياسي للمستر ايرلاند، الص 201 ـ 205) من الترجمة العربية).

(**) اي السيد محمد مهدي الطباطبائي.

وعلى كلٍ فالسر پيرسي يقف وقفةً حازمة بشأن تعيين الشيعة في الوظائف. . .

اما حادث الاسبوع الآخر، عدا تعطيل جريدة الاستقلال، فهو وصول رسول من ابن سعود الى بغداد. انه أحمد الثنيان قريب الامام، وكان في صحبته ولده فيصل في انكلترة سنة 1919. وقد نشأ في استانبول، حتى انه يعرف قليلاً من الفرنسية. وهو رجل رقيق جداً معتل الصحة، يبلغ الثلاثين من عمره، وله وجه نجدي رقيق القسمات، ذكي جداً. ويصطحب معه طبيب ابن سعود الدكتور عبد الله بن سعيد الموصلي (أي عبد الله الدملوجي) الذي درس في استانبول. . لقد جاءا للمداولة في النزاع غير المنتهي القائم بين ابن سعود والشريف ـ اعتقد ليس هناك حل له. ولا يسعنا غير ان نبقيه معلقاً. . . وقد دعوتهما لتناول العشاء عندي هذه الليلة، فكانت الحفلة من اهم حفلات العشاء التي اقمتها واغربها. فقد دعوت اليها، عدا النجديين، الميجر أيدي والسيد محيي الدين (الكيلاني) وشكري افندي الآلوسي. ويعد الاخير من أهم شخصيات بغداد وألطفها، وهو عالم من الطراز القديم يجمع في شخصه جميع العلوم الاسلامية ـ فهو يعلم الميكانيك مستعملاً له كتب الحديث باعتبارها كتباً تدريسية، كما يعلم العلوم الاخرى بالطرق نفسها ـ وهو وهابي صرف[1] لا يشرب المشروبات ولا يدخن مطلقاً، كما انه المسلم الوحيد المعروف الذي لم يتزوج مطلقاً. . . ويعتبر اواسط الجزيرة العربية الوهابية أرض احلامه، فيعدها مصدراً حقيقياً لكل وحي ومنبعاً لكل علم. ولذلك ارتمى على أحمد الثنيان يعانقه حينما دخل عليه، بينما كان الآخر يصطاد من بين ألبسته الكشميرية الجميلة الموشاة كتاباً من ابن سعود الى شكري. ومما توّج الروح الودية للاجتماع ان محيي الدين

(1) لم يعرف عن السيد محمود شكري الآلوسي إنه وهابي النزعة، ولم يصرح أحد بذلك.

اكتشف ان الدكتور كان من معارفه السابقين في استانبول، فبدأت المعانقة عوداً على بدء بينهما. وعلى هذا جلسنا حول المائدة ونحن مجموعة غريبة: شكري رجل الآخرة العالم المسن ينصت الى أحمد الثنيان و هو يصف له تقدم شأن الطائفة الوهابية، الاخوان، في نجد، ومحيي الدين السياسي الهادئ العالم.. . واحمد بوجهه الطويل الغائر المنوّر بروحية الاسلام المتعصب الطاهرة. وكان أحمد يقول «ان الامام حفظه الله يقود العشائر بعون الله الى الطريق السويّ»، فرد عليه شكري معلقاً بقوله «الحمد لله» ـ ثم استطرد أحمد يقول «انهم يتعلمون الحكمة والدين وفقاً لقواعد الاخوّة» ـ شكري أفندي: «الله أكبر، عسى ان لا يكونوا قد أظهروا العنف» ـ أحمد افندي: «لا سمح الله، ان هذا لا يقع عندنا كما وقع في اوربة على عهد محاكم التفتيش ومع الكالفينيين[1] ـ (واقول لكم بالمناسبة ان الاخوان يقتلون جميع الجرحى في الحرب، ويقتلون بعد ذلك نساء واطفال العدو لانهم كفار، وألاّ لما حاربوا الاخوان. . .) وقد دخل ضيوفي العرب الاربعة في مناقشة حادة بينهم. فبحثوا في الأدوية وخصائص الاعشاب، فأشار الدكتور بالمناسبة الى ان البخور يعد في مقدمة المواد المعتمة، ثم بحثوا في مناخ نجد وعاداتها، وفي شؤون مهمة أخرى. اما انا والميجر أيدي فقد جلسنا نستمع، فشعرت كأننا ارواح متجردة يتكون منها الجمهور والمستمع للمحاضرة الشرقية ذات المواضيع المتعددة، ولم يؤخر حضورنا مطلقاً سير الحديث الذي تعوّد متعلمو الشرق على خوضه فيما بينهم. وقد اضطلع محيي الدين بدوره بأحسن ما يكون من اللطف، لكنهم حينما انصرفوا جميعاً همست في اذنه قائلة «وعلى كل، فأني سوف لا أعتنق ديانة الاخوان» فرد عليّ هامساً بحماسة «ولا أنا».. .

---

(1) اتباع يوحنا كلڤين J. Calvin (1509 ـ 1564) المصلح الديني الفرنسي الذي نشر في فرنسا وسويسرا مذهباً بروتستانتياً يحمل اسمه.

13 شباط (ب)

أكتب اليكم رسائل مطولة لانها الشكل الوحيد من اليوميات الذي احتفظ به. ولا أريد نسخاً منها، شكراً، لكنني مسرورة لانكم تحتفظون بها لأني قد أحتاج اليها في يومٍ من الأيام. من يعلم؟؟.

كان عندي قبل لحظات الكابتن توماس(*) للمذاكرة. لقد جاء من الناصرية حيث ذهب لمساعدة ديچبرن في منطقة الغراف حينما بدأت الثورة.

وكان قد قام بأعمال باهرة(**)، ثم جاء الآن بخيّون العبيد، أبرز رجل في الغراف ليرى السر پيرسي. وكان توماس قد ظل يستخدمه أعظم ما يكون من البراعة والحذق طوال أيام القلاقل والاضطرابات، وكان ذلك هو السبب في عدم نشوب ثورة في الغراف. ولو حصل ذلك لسرت نيرانها من دون شك الى جهات دجلة، ولانقطعنا حتماً عن العالم الخارجي.

(*) انها تقصد برترام توماس الذي اشتغل بعد ذلك في عدن، واستطاع ان يعبر من هناك الربع الخالي في الجزيرة العربية، ويدون رحلته في كتاب خاص ممتع. ومما نذكره عنه، انه نقل بعد اشتغاله في جهات المنتفك الى الحلة معاوناً لحاكمها السياسي في ديكش. وكان من جماعة فيلبي المناوئين لتنصيب فيصل ملكاً في العراق. ولذلك قابله حينما نزل من القطار في الحلة، قبيل وصوله الى بغداد عند أول مجيئه الى العراق، بكل وقاحة وصلف وصارحه بحضور مرافقيه قائلاً (ان الاهالي لا يريدونك). ومع هذا فقد ابقاه الانكليز مفتشاً ادارياً الى سنة 1924، حين فصل من الخدمة برغم الحاح مستشار الداخلية كورنواليس على ابقائه.

(**) ان العمل الباهر الوحيد الذي قام به توماس هذا هو توفقه في الفرار بالطائرة من الشطرة، حينما بانت نذر الثورة فيها. اما الحيلولة دون انتشار الحركات الثورية في تلك الجهات فسببها الموقف الممالي للانكليز الذي كان يتخذه خيون في جميع المناسبات. ويعزى انحياز خيون وتحيزه للانكليز الى براعة خاصة كان يبديها توماس، بل الى ميل طبيعي نحوهم كان يتصف به خيون على ما يظهر.

وفي متابعة تحقيقاتي حول ما يفكر به الناس بالنسبة للمستقبل تعجبت للشعور المناوئ للاتراك وقوته، الذي أصادفه احياناً في أبعد الاماكن والمظان عن مثل هذا التفكير. فقد حملت السر پيرسي على دعوة حكمت بك وساسون أفندي لتناول الغداء عنده. وفي أثناء الحديث اعترض حكمت بشدة، وهو رجل تركي بثقافته وخدمته وعضو من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، على تنصيب احد أبناء السلطان عاهلاً في البلاد، ثم قال انه كان قد نفض يده من الاتراك الى الأبد. ومضى يقول «انهم لا يستطيعون ان يحكموا أنفسهم، فلماذا أريد واحداً منهم ليحكمنا نحن؟» ثم راح يدعو الى فكرة الاستفادة من النقيب. وقد أبدى عزت باشا[1] من جهة أخرى قبل ايام ان النقيب لا يصلح لهذه المهمة لأنه عاجز، وقد يموت «بعد خمسة أيام»، ومضى يقول اننا كنا نفتش عن عمود للخيمة فأن أي عمود كان يفي بالمرام طالما كنا نحن الانكليز نمسك به مسكاً قوياً. وقد اعتبر جميع من تحدث اليهم الاتيان بأحد أنجال الشريف فكرةً من طراز قديم. اني آسفة، واذا كان الأمر كذلك فهو كذلك ولا استطيع تغييره. أظن اننا اذا أيدنا فكرة تنصيب أحد أبناء السلطان فان ذلك يعتبر أحسن اختيار نضطلع به. اللهم الاّ اذا وقع المستحيل تقريباً واستولى السيد طالب على الموقف.

لقد ابدى عزت باشا رأياً معقولاً، فقال انه من الخير لنا ان ننتظر عدة أشهر لنرى كيف تتطور الامور بوجه عام. فانه وسائر الناس من امثاله ـ لم يكن يوصم مطلقاً بكونه ميالاً للبريطانيين ـ يرتأون اننا لا نستطيع اجراء انتخابات عامة الى ان يعلن الانتداب على الملأ، وغرضهم من ذلك هو ان يوضحوا ان الانتداب ليس من القضايا التي يدعى المجلس التأسيسي للبت فيها. أنا اعرف ما تنطوي عليه الاعيب

(1) وزير الأشغال والمواصلات.

الحلفاء وحيلهم حول الانتداب لكني أؤيد بالكلية ما تذهب اليه عصبة الأمم في احتجاجها ودعوتها الى نشر تفاصيل الانتدابات والخطط المرسومة لها على الناس. ولا أعجب حينما أراهم يترددون في نشر ما يختص بالانتداب على فلسطين، بعد ان اطلعت على ما في لائحته. واعتقد بأن الانتداب على سورية قد يكون على درجة مماثلة من الصعوبة في التبريد على ان انتدابنا (أي على العراق) يبدو معقولاً (!). لكنني أشك فيما اذا كان الوقت سيسمح لنا بأن نأخذ بمشورة عزت باشا. فقد يعرض «مؤتمر باريس» امارة العراق على تركية، وحتى اذا لم يفعل ذلك فأن السر پيرسي متأكد من انه سيواجه ضغطاً خاصا للتوصل الى قرارٍ ما في هذا الشأن حينما يتم الاجتماع المقبل في أوائل آذار ما بين السر پيرسي وتشرشل واللنبي وصموئيل. وبالمناسبة اذكر ان السر پيرسي يريد ان يأخذني معه. وسيكون من الممتع الاشتراك في هذه المعمعة. على أني سأكون قلقة البال لترك البلاد وشأنها خلال مدة غيابه بحيث يكون من الأحسن لي بوجهٍ عام ان ابقى هنا طالما كان الامر بحاجة الى من يعمل اي شيء لتوجيه الرأي العام. اعتقد بأني من اولئك الناس الذين يستطيعون الاضطلاع بهذه المهمة، حيث اني على وجه التأكيد من الذين يمكنهم الاتصال بالرأي العام وبهذا اتمكن من تزويده بالمعلومات اولاً بأول خلال مدة وجوده في الخارج. وهو يريد ايضاً ان يأخذ ساسون معه، وبهذا ضرب من العبقرية على ما اعتقد. فان ذلك سيساعده على ان يخلق للمؤتمر جواً يشعر فيه بحقيقة الحكومة العربية!! ـ لانها تعتبر حقيقة لا بمعنى ان أضعف مؤسسة انسانية تعتبر شيئاً حياً في عالم الأشباح ـ وستساعد الحكومة العربية نفسها بأن يشعر افرادها بأنها حقيقة واقعة. وعلى كلٍ فأن مصيرهم بالذات هو الذي يبت فيه في هذا المؤتمر، فلماذا لا يسهمون فيه؟

ما زال الفرنسيون يمارسون حيلهم القذرة كالمعتاد. فقد قال لي

عزت باشا بأنه يعلم علم اليقين بأنهم يقومون بتحريض الأكراد على عدم الاستماع لنداء العراق والالتحاق به، وعلى طلب انتداب فرنسة عليهم. وهناك كردي(*) هرم في باريس يبثون دعايتهم بواسطته على ما يقول عزت باشا.

ان من امارات تبلور الرأي العام في بعض الأحيان ظهور جمل وشعارات خاصة تعبر عنه. والشعار الجديد هو «أنكم اذا ما رحلتم عن البلاد فالناس سيأكل بعضهم بعضاً ـ ناس تأكل ناس» وهذا بلا شك الصدق بعينه[1].

حضر يوم أمس بموعد ذلك المغفل الهرم الشيخ احمد الداود[2]، ليقدم احتراماته للسر پيرسي ولي، فوجدني بمحض الصدفة منهمكةً في حديث ودي مع الشيخ أحمد بعد عودته لما كان بأمكاني أن أخرجه بأحسن مما حصل عفوياً. إنّ عزت باشا له اسم ذائع الصيت والشهرة في البلاد بكونه رجلاً وطنياً نزيهاً اما الشيخ أحمد (ويعتبر نفسه بطل العراق، اذا لم يكن اميره المرتقب) فقد بان عليه انه أخذ على غرة وتراجع بحيث كان بوسعي ان أراه يتضاءل بعيداً أمام عيني.

.. تناول جعفر (العسكري) عشاءه عندي يوم امس وجرى لي حديث طويل معه. فقد دعا بشدة لتنصيب أحد أنجال الشريف، ثم قال انه لا يعتقد بوجود أية امكانية اخرى. فأخبرناه بأن يعمل على أن يعتنق الناس هذه الفكرة اذا كان بوسعه ان يفعل ذلك. فتساءل يقول «ليس هذا ضد الحكومة البريطانية، أليس كذلك؟» ـ لم أستغرب هذا التساؤل منه

(*) المقصود هو شريف پاشا الكردي على الارجح.

(1) هذا احد المفاهيم التي كان يروجها اقطاب المكتب العربي في القاهرة لتبرير الاستعمار، والاحتفاظ بالمستعمرات بحجة تمدين الشعوب المتأخرة.

(2) بعد عودته من منفاه في جزيرة هنجام.

بعد خبرته المعروفة في سورية، ولم أعجب لما ابدى من عدم ثقة. اني اشك فيما اذا كنا سنحصل على ما يريد. اما السيد طالب فهو يصرح علنا بأنه سيكون ملك العراق في الخريف القادم.

24 شباط

نحن الآن في الطريق(*) ، فهكذا كانت النهاية ان اسافر. وقد سر جعفر (العسكري) وساسون جداً لانهما طلب اليهما ان يحضرا المؤتمر ايضاً. اما من جهة اخرى فقد تكدر السيد طالب للغاية لأنه لم يكن عضواً في الوفد. وكنا كلنا قد تناولنا العشاء عنده في ليلة سفرنا، وكنت وأنا اجلس بجانبه ابذل جهداً كبيراً في المحافظة على التوازن. لانه كان يهمس في اذني، بين اقداح الوسكي التي يعبها، بلهجة الثمل المشتدة، بأنه كان يعتبرني أخته على الدوام، وأنه كان يسير بمشورتي ويعتبرني عضيده وسنده الوحيد في الوقت الحاضر. ولم يكن بوسعي، وانا اشعر شعوراً عميقاً بأن أطماعه سوف لن تتحقق ويجب ان لا تتحقق مطلقاً، سوى ان اهمهم بجمل ودية لا طابع لها.

لقد تم في الاسبوع الماضي وصول عنصر جديد الى البلاد لأول مرة. فقد أخذ الضباط العراقيون، الذين كانوا في سورية، يعودون منها، وكان اول من وصل منهم نوري باشا السعيد زوج اخت جعفر. ومن الصحيح ان جعفراً يفتقر الى القوة. فهو سهل القياد بالطبيعة، كثير السمنة، ترتسم على ثغره ابتسامة عريضة، ويستجيب الى التعاطف والتودد في الحال، ثم يضع فيك ثقته حالاً. والعجيب هو ان يكون رجلٌ في مثل صفاته العقلية والجسمية متحمساً في آرائه السياسية بمثل ما يكون هو. لكنه لم ينجح في السيطرة على شبان بغداد المتطرفين ويقنعهم

(*) كتبت هذه الرسالة من الزورق السائر جنوباً في دجلة، ثم من الباخرة هاردينج، فقد أصر السر پيرسي كوكس على اصطحاب المس بيل الى مؤتمر القاهرة معه.

باستقامة عملنا، كما اقتنع هو بها. ويختلف تمام الاختلاف عنه زوج اخته نوري. ففي اللحظة التي وقع نظري عليه، وهو الرجل الصغير الجرم النحيف البنية للغاية، ذو الوجه المستدق والعيون الرمادية التي تستيقظ عندما يتحدث، أدركت اننا نقف وجهاً لوجه امام قوة قهارة مطواعة ينبغي علينا اما ان نعمل يداً بيد معها او نشتبك واياها في صراع عنيف ـ يصعب احراز النصر فيه.

.. وفي اجتماعٍ ضم جعفر باشا والكابتن كلايتون والميجر موري تشجع نوري فلخص منهاجه للمستقبل، فنوقشت نقاطه بالتفصيل، وكانت أهمها قضية انتخاب عاهل للبلاد. وقد سألوه على من يقع اختياره في هذا الشأن؟ فتردد في اعطاء الجواب، وقال انه لا يريد أن يبدي رأياً في الموضوع لئلا تستثار القوى المعارضة ضده (ملمحاً بذلك الى طالب)، وكان يرى ان الأمر يجب ان يترك الى المجلس ليبت فيه. فقلت له أنت تعلم جيداً بأننا نحن، أنت وأنا، الذين سنقرر كيفية تشكيل المجلس، وانا مستعدة لأن ابدي رأيي فقل ما هو رأيك؟ وعند ذاك قال بأحجام انه ليس هناك غير فيصل يستطيع ان يكون عاهلاً في العراق. فقلت له ان فيصلاً سيجابه بمعارضة غير قليلة، وبكثير من الشك والريبة ـ الشعور الموالي للاتراك او الميل الى تنصيب أمير تركي يخضع لانتدابٍ بريطاني. وفوق ذلك كله عدم الثقة بالحكومة العربية ولو كانت مدعمة بالانتداب البريطاني. وقد سألني عن احسن طريقة للتغلب على هذه المصاعب، فأجبته بأن الطريقة الوحيدة هي المضي في تشكيل حكومة عربية يرأسها أمير عربي. اما بالنسبة للأمير فيجب ان يكون أحد انجال الشريف في رأيي. ثم بعثناه بعد ذلك الى السر پيرسي فتحدث اليه بصراحة وانفتاح، وطمنه بأن رغبته الوحيدة هي التأكد من تشكيل حكومة مستقرة، وانه الى ان يعقد «مؤتمر القاهرة» لا يستطيع ان يصادق على أي مشروع في هذا الشأن. ثم رجا نوري بأن يكف عن المضي في أي

نوع من أنواع الدعاية حتى يعود هو من القاهرة. فوافق نوري على هذا في الحال، وتعهد علاوةً على ذلك بأن يبقى حزب الشباب العربي محافظاً على الهدوء، ويطمئن الرجال الذين قد يعودون من سورية في غيابنا عما يريدون، بحيث يجمد جميع النشاط السياسي.

الى الكولونيل بلفور

القاهرة ـ 25 آذار

اكتب اليك وانا في طريق عودتي الى بغداد، جواباً على كتابك الذي وصلني الى القاهرة فملأني بالاسف مرةً اخرى لانك غير عائد للاشتغال معنا. ولأذكر لك شيئاً عن المؤتمر. لقد كان مؤتمراً مدهشاً انجزنا فيه من الاعمال خلال اسبوعين أكثر مما كان قد أنجز من قبل خلال سنة بكاملها. وكان المستر تشرشل يثير الاعجاب، اذا كان مستعداً على الدوام لملاقاة كل أحد في منتصف الطريق، كما كان بارعاً في ادارة اجتماع سياسي كبير وتسيير أعمال اللجان الصغيرة التي توزعنا عليها. ومن الظروف التي كانت مؤاتية ان السر پيرسي وانا حينما فتحنا حقائبنا وقدمنا مناهج معينة واضحة، قد وجدنا انها كانت مطابقة تماماً للمناهج التي جاء بها الوزير (تشرشل) معه. ونحن عائدون الآن الى بغداد لتسوية الأمر مع النقيب ولاقناع السيد طالب، اذا كان قابلاً للاقناع، بأن آماله وأمانيه قد اصبحت محتومة بشكلٍ لا يرضيه(*) . وانا متأكدة من ان الرأي العام الوطني السائد في البلاد سيكون في صالحنا، ولا أشك في نجاحنا.

.. وحينما يظهر أميرنا للوجود فأنه سيحتاج الى كثيرٍ من المساعدة والارشاد، وسوف لا أتحمل في مثل هذا الظرف أن لا أكون

(*) لان مؤتمر القاهرة قد وافق على تأييد ترشيح فيصل لعرش العراق.

موجودةً في الميدان لأقدم ما بوسعي تقديمه من العون والمساعدة. ان الأمر سيكون على درجة من الاهمية يا فرانك، واذا نجحنا فيه سنكون قد أوجدنا شيئاً جديداً يمكن ان يكون مثالاً للآخرين.

بغداد ـ 12 نيسان

بعد ان يئس طالب من اصابة هدفه اصابة مباشرة، أخذ يؤيد ترشيح النقيب للأمارة بنية ان يرثها منه. فقد قام بجولة واسعة شاملة في البلاد خلال مدة تغيبنا عنها، وأجرى ترتيبات متعمدة لاستقباله استقبالاً كبيراً أينما ذهب.، ثم أقحم على مسامع مستمعيه تبيان مزايا النقيب بتعابير مقنعة.غير أنه كان كمن يضرب في حديد بارد، فقد سئم الناس في الفرات الأوسط الشعارات والانذارات، وانقبضت صدورهم من جراء فشل الثورة، حتى صارت منطقة الحلة تريد انتخاب الحكم البريطاني المباشر، اذا تسنى لها ذلك على انه يجب ان نتذكر انهم قد يفكرون بأن انتخابهم هذا هو ما نريده نحن. على اننا آخر من نريد انتخابه هو أحد انجال الشريف ـ ألم يطلبوا ذلك في العام الماضي فعوقبوا وأدبوا، وانه هو الذي يؤثر على تعبيرهم عن رأيهم. اما في بغداد فان اعتبارات أخرى تدخل في الحساب. فلا يحبذ الوجهاء، المتنفذون للغاية، فكرة قيام الشبان ـ واكثرهم ليسوا من اسر معروفة ـ الذين سيطروا على سورية الفيصلية بأن يسيطروا على العراق في يوم من الأيام. ولا تتلاءم أفكارهم مع أفكار الشبان التقدميين الذين من المحتمل ان ينادوا دوماً بالحاجة الى اخراج الرجعيين القدماء من الميدان وافساح المجال للمتنورين الجدد في مكانهم ـ هناك كثير من الصدق في هذا لكنه من شأنه ان يجعلهم غير محبوبين. ولذلك يقفز الوجهاء الى امكانية تنصيب النقيب ويغمضون أعينهم تجاه امكان حلول السيد طالب في مكانه من بعده.

وهذا هو السبب في ان حزب النقيب، لم يكن له وجود حينما غادرنا البلاد الى القاهرة، قد أصبح له وجود حقيقي. ومع هذا فإن أكثرية الناس، حتى في بغداد نفسها، تنتظر ما نلمح به نحن من اشارات قبل ان يعلنوا عن رأيهم.

12 نيسان (ب)

قضيت اليوم التالي كله، في تمشية الاوراق في المكتب ثم عدت الى تناول الشاي فجاء لزيارتي عدد من الزائرين الأوربيين في الغالب. وكان يوم أمس وهذا اليوم من الأيام التي انشغلت فيها كثيراً بأشغال المكتب وبكثير من المراجعين. سيصل فيصل الى السويس غداً، ولذلك ففي ظرف أسبوع أو عشرة أيام يجب ان نتسلم برقيات معنونة الى مؤيديه يعلن فيها ترشيح نفسه. وعند ذاك سيترتب على السر پيرسي ان يكون في وضع يستطيع فيه اعلان الخطة بالتفصيل، لانه سيكون قد تسلم أمراً يسمح له فيه باعلان تلك الخطة من المستر تشرشل بعد ان يكون قد تشاور مع الوزارة في الوطن. ولذلك لابد من ان تبدأ الأمور بسيرها السريع..

17 نيسان

... كانت هناك شائعة تفيد بأني، حينما كنت متوجهة الى البصرة في طريقي الى مؤتمر القاهرة، قد قلت لأشخاص لم ترد أسماؤهم بأن الغرض من المؤتمر هو اعلان فيصل ملكاً في العراق.. ان هذه الشائعة غير صحيحة بالمرة، لكن الواقع هو اني عندما كان يضغط عليّ في السابق ويطلب اليّ بيان رأيي في الموضوع كنت أقول دوماً ان فيصلاً كما أرى هو خير من يمكن انتخابه، وعلى هذا فإني اعرف الآن بكوني شريفية الميول، ولا أعبأ بذلك مطلقاً، لكنني كنت أقول على الدوام ايضاً ان اختيار الملك يجب ان يكون من حق الشعب، وأنا أبذل كل عنايتي الآن في الاحتفاظ لنفسي برأيي الخاص..

أخذ الناس يبرقون في كل يوم الى ملك الحجاز برقيات يسترحمون فيها ان يبعث بأحد أنجاله الى هنا.

ان واجبات الوزراء(*) العرب سوف يضطلع بها المستشارون (البريطانيون). لكنا لم نتسلم حتى الآن البرقية التي وعد المستر تشرشل بارسالها، بعد ان يكون قد تشاور مع الوزراء بشأنها. ولذلك فنحن غير احرار الآن بأن نعلن تأييد حكومة صاحب الجلالة لفيصل في ترشيح نفسه. لكني متأكدة بشعوري ان بياناً عن مؤتمر القاهرة يجب ان لا يتأخر صدوره، ومن أجل هذا حملت السر بيرسي على نشر بيان(**) تمهيدي.

(*) ان الخطة التي وضعت لتمشية الامور عندما يرشح فيصل نفسه للعرش هي ان يكف الوزراء العراقيون عن مزاولة اعمالهم الى حين انتهاء المهمة، على ان يشتغل المستشارون في مكانهم. ولعل ذلك كان يرمي الى ابعاد السيد طالب وزير الداخلية عن التدخل لصالحه او لصالح النقيب.

(**) **ندرج فيما يأتي نص البيان المشار اليه المؤرخ في 12 نيسان 1921:**

كان السبب الأول الذي دعا الى عقد المؤتمر، الذي التأم في القاهرة، رغبة وزير المملكة الجديد في الاجتماع بالممثلين البريطانيين في المناطق الواقعة ضمن دائرة مسؤوليته كالمندوبين الساميين للعراق وفلسطين وحاكمي عدن وبلاد الصومال. لكي يطلع الوزير المذكور رأساً على مجرى الامور في الاقطار المذكورة.

أما فيما يختص بالعراق فكانت المسألة الموضوعة على بساط البحث ضرورة انقاص المصروفات انقاصاً كبيراً لكي تتمكن الحكومة البريطانية من القيام بأعباء المحافظة على حالة ثابتة الاركان في البلاد العراقية، ريثما تتمكن الحكومة الوطنية ذاتها من ان تأخذ على عاتقها مسؤولية الدولة العراقية التي ترمي الحكومة البريطانية الى تأسيسها وتأييدها. وقد تمكن فخامة المندوب السامي، وجناب القائد العام، من ان يقدموا الى المؤتمر اقتراحات ترمي الى اقتصاد بعضه عاجل وبعضه تدريجي، مما جعل وزير الدولة شديد الامل بانها ستأتي مرضية لآراء حكومة جلالة الملك والرأي العام العربي والبريطاني. وفي الوقت ذاته فان الاتفاق الذي توصل اليه قد حل مسائل المحافظة على الامن الداخلي وحماية الحدود والترتيبات اللازمة لترقية الجيش العراقي محلها من الاعتبار. وسيصدر في وقت قريب عفو عام يشمل جميع الذين اشتركوا في الاضطرابات الاخيرة عدا =

ولا يحتوي البيان على اي شيء يختص بالانتخابات لكنه ينص على أن عفواً عاماً سوف يصدر قريباً، فقوبل ذلك بالاستحسان.. . ان عوامل جديدة سوف تنشأ في وقت قريب جداً، وهي: فيصل واعلان ترشيحه، وزعماء ثورة العام الماضي المعفو عنهم.، والجريدة الشريفية، وتوقف أعمال الوزراء العرب...

وقد تحسن، في الوقت نفسه، موقف البلاد العام تجاهنا تحسناً كبيراً. فهناك اجماع في الرأي على أنه مهما يحدث في البلاد فأنهم لا يمكن ان يستغنوا عن ارشادنا، ومعونتنا. ولما كان اليوم هو يوم أحد ركبت في الصباح الباكر الى الحاج ناجي فتناولت فطوري عنده، اذ أكلت خبزاً محلياً وزبداً طازجاً غير مملح، وتفاحاً مربى بالسكر وقهوة. انه من أشد انصار الشريف، وهو يعتقد بأن نوري وجعفراً وناجياً وانصارهم هم أحسن من يعرف شؤون العراقيين، كما أنه مقتنع بأن أكثرية البلاد الساحقة هي مع فيصل. ولذلك قال بحكمته المعتادة «دعوا الشعب يفعل ذلك بنفسه، وعلى الحكومة البريطانية ان لا تتدخل في الأمر». وعندما انصرفت من عنده، كان جلوسنا في ظل أشجاره المثمرة، وقد تفتحت فيها الأزهار، شيئاً ملذاً مهدئاً، وهي الآن مثقلة بثمارها الخضراء. والحق ان ذلك الصباح كان صباحاً سماوياً تبزغ فيه الشمس الحارة ويهب فيه نسيم الشمال.. . أنا مسرورة في العمل على ما فيه خير هذه البلاد وتحقيق رغبة أفضل أهاليها..

= بعض افراد ارتكبوا جرائم فظيعة كقتل الكولونيل ليچمن وما أشبه من الجرائم. وعند انتهاء المؤتمر سافر وزير الدولة الى فلسطين ومنها الى انكلترة لكي يقدم بذاته النتائج التي توصل اليها المؤتمر الى مجلس الوزراء والأمل وطيد بأنه سترد في بضعة الايام الآتية برقية تنبيء بمصادقة مجلس الوزراء على تلك النتائج، وعندئذ يصدر فخامة المندوب السامي بلاغاً آخر.

17 نيسان (ب)

يتردد علـى مكتبي في الوقت الحاضـر ناجـي (السويدي)، ونوري ا(السعيد)، وجعفر (العسكري). وقد جاء الأولان بالرجل[*] الذي انتخباه لاصدار جريدة، ترفع لواء حملتهم الدعائية، لمواجهتي. على ان السيد طالب قد وضع[**] الموافقة على اصدار أية جريدة «الى ما بعد الانتخابات»، ولما كانت موافقة السيد طالب ليست ضرورية من الناحية القانونية فاني مخولة من قبل السر پيرسي بأن اوافق على اصدار الجريدة.

أخذت البرقيات تصدر يومياً الى ملك الحجاز (الملك حسين) مسترحمة ايفاد أحد أنجاله الى هنا. وقد أمر السر پيرسي بأن تبرق بواسطة اللاسلكي اذ لا يجرأ أتباع فيصل على استعمال الوسائل الاعتيادية لهذا الغرض لئلاً يستولي السيد طالب على البرقيات بحجة الرقابة. وبدل هذا كله على استحالة اجراء «انتخاب حر» حينما يكون أحد الفرقاء مستولياً على المنصب السامي المهم، ولذلك فانا مقتنعة بأنه سيكون من الضروري تجميد الحكومة العربية حالما يصل فيصل فينزل الى الميدان، وحتى تكون الانتخابات قد انتهت.

يعتبر السيد طالب في أشد حالات غضبه الآن ـ ليس بالنسبة لي أنا لأن كلا منا يحافظ على علاقات ظاهرية طيبة تجاه الآخر. غير أنه أرخى لنفسه العنان في حفلة عشاء أقامها في بيته هو هذا الاسبوع فانفجر. وكانت الحفلة قد اقيمت على شرف المستر لاندون مخابر جريدة «الديلي تلغراف» اللندنية وكان في الحفلة المستر والمسز تود، وعدد قليل من البريطانيين الآخرين، مع اثنين من العرب المهمين: أمير ربيعة،

(*) لعله ابراهيم حلمي العمر الذي كان يصدر جريدة «لسان العرب» قبـل ان يصـدر جريدة «المفيد».

(**) بموجب صلاحيته باعتباره وزيراً للداخلية.

وسالم الخيّون شيخ الچبايش. فقد خاطب السيد طالب المستر لاندون بعد العشاء بخطاب مهيأ بعناية من قبل على ما يتضح. فصرح يقول بأنه راضٍ تمام الرضا عن المندوب السامي، وعن الموقف الذي تقفه حكومة صاحب الجلالة، غير انه هناك في حاشية صاحب الفخامة اناسٌ عرفوا بالتحيز وانهم يمارسون نفوذاً غير مسموح به ـ فهل يشير عليه المستر لاندون بأن يلتجئ الى الملك جورج ام الى السر پيرسي لابعادهم؟ فاجابه لاندون بجواب بارع يقول فيه انه هناك أيضاً موظفون بريطانيون عرفوا بالانحياز الى الجانب الآخر ـ فهل يرى السيد طالب ابعادهم كلهم؟ فهمس حسين أفنان، وكان يتولى الترجمة، في أذن السيد طالب يقول «لقد غلبنا». وبعد شيء من التبجح والوعيد ترك السيد طالب التحدث بالامر. لكنه مضى يقول «واذا ما بذلت أية محاولة للتأثير على الانتخابات فعندي هنا أمير ربيعة، مع ثلاثين ألف بندقية، وشيخ الچبايش مع جميع رجاله (ان كلاً منهما يكن عداءً متطرفاً تجاه السيد طالب، لكن أنانية شيخ الچبايش غير المتناهية تحول دون التمييز بين كونه مؤيداً أو معادياً)، وهما على استعداد لمعالجة الموقف بالطريقة المناسبة.» ومضى يقول «وسوف يستعين النقيب بالمسلمين في الخارج، في الهند ومصر وفي استانبول، وبباريس كذلك». فكان هذا تحريضاً على الثورة يضاهي في شناعته جميع ما كان قد قاله الناس الذين أثاروا البلاد ضدنا في العام الماضي، وغير بعيد عن الدعوة الى الجهاد. ولم يكن في خارج حدود الامكانية ان يستغل السيد طالب الحملة الانتخابية استغلالاً حامياً ليجد نفسه مرميا في السجن في النهاية.

... وبينما كنت منغمسة في الكتابة جاءني الكابتن كلايتون بخبر مهم جداً. لقد أعتقل السيد طالب وأرسل مخفوراً الى الفاو اذ نخس السر پيرسي الفقاعة، وكان الدبوس الذي استخدمه في هذا الشأن، من دون شك، التقرير المختص بخطاب السيد طالب الذي رفعته اليه في

صبيحة يوم أمس. وينبغي عليّ أن أبيّن لكم كيف حدث ذلك؟ فبعد ان قدمت التقرير لم أرَ السر پيرسي، وجاء السيد طالب في الساعة الرابعة والنصف لتناول الشاي عند الليدي كوكس، وكان هناك عدد من الناس من بينهم الميجر بوڤيل أحد ضباط المقر العام للقيادة العسكرية، لكنني لم أذهب الى هناك لأن شغلاً كان يتحتم عليّ انجازه قد حال دون ذلك. ثم جاء السيد طالب بعد نصف ساعة ليقول «مع السلامة» ـ فكان ذلك وداعاً حقيقياً! فقد لاقاه الميجر بوڤيل، بعد ان كان قد تسلل خارجاً قبله، بالقرب من الجسر وقال له بأنه يأسف ليخبره بأنه يحمل أمراً باعتقاله. فنقله الى زورق القائد العام البخاري وأقله الى الكوت، ومن هناك سيتوجه بالباخرة الى البصرة ثم الى الفاو. ولم يطلع أحد على كل ذلك، وانا مسرورة لأني لم أعلم بالامر..

اشكر الله على اني قدمت تقريراً كتب بعناية حول ذلك الخطاب، وقد حصلت على المعلومات المطلوبة من المستر تود، ثم من المستر لاندون نفسه. ألم أقل لكم انه ليس هناك رجل قادر على معالجة المشاكل السياسية الدقيقة مثل السر پيرسي!

اشعر كأن عبئاً قد ازيح عن فكري. فقد كان السيد طالب قادراً على أن يعمل كل شيء. حيث انه اخذ يجمع حوله مؤخراً عصابة القتلة التي كان يستخدمها في البصرة على عهد الاتراك. وجاء معه قبل ايام من البصرة برجل كان معروفاً تمام المعرفة بأنه قتل أحد القادة(*) الاتراك بأمر من السيد طالب. وكان هذا الخبر من الفقرات التي اضفتها الى

(*) انها تشير بلا شك الى مقتل قائد حامية البصرة فريد بك، من قبل اتباع السيد طالب فيها. وكان ذلك في مساء يوم 15 رجب 1331 هـ، وقد قتل معه بديع نوري بك متصرف الناصرية ايضاً، وهو من اخوان الاستاذ ساطع الحصري على ما نعتقد.

تقريري المقدم يوم أمس، لأني أردت ان انذر السر پيرسي بأنه كان يحاول بالتأكيد ان يقتل فيصلاً عندما يصل الى هنا.

وهذا بديع حقاً لان السر پيرسي منغمر تماماً بحماقات السيد طالب. وكان كلٌ من القنصل الفرنسي والقنصل الايراني حاضراً حينما فاه السيد طالب بخطابه ووجهه الى مخابر جريدة لندنية.. ويعتبر ما قام به السر پيرسي آخر عمل من أعمال ازالة الضرر الذي كان ويلسن قد سببه، فلا يعلم أحد ماذا وعد طالباً به حينما جاء به الى هنا في مبدأ الامر.

25 نيسان

لم ينبس أحد ببنت شفة ضد الضربة البارعة التي ضربها السير پيرسي، بل أصبحت البلاد بأجمعها مرتاحة ارتياحاً كبيراً لاختفاء السيد طالب. لقد كان من الغريب ان يبلغ هذا النجاح في «عالم الجريمة». ان الشعور البارز بين الناس في هذا الشأن هو الاعجاب بشجاعة السر پيرسي، ومن السخف ان يلوح السيد طالب شريراً ثقيلاً للناس بهذا المقدار، بينما لم يكن مرعباً بالدرجة التي يحسبونها. أن خيلاءه السخيف هو الذي كان يجعله على الدوام عرضةً للنقد والتجريح. وعلى كل فقد كان رجلاً ذا حيوية، برغم الشرور المضعفة، كتعاطي المشروب والمخدرات وما اشبه. لقد تتبعنا منذ يوم سقوطه شبكة الدسّ والابتزاز، او النشاط الذي لا يهدأ في التمرس بالدعم المالي العاجل والدعم السياسي في النهاية ـ كان يأخذ المال لنفسه ويصرفه ولذلك كان هناك شيء من الربح، على ان الوعود المبذولة للمستقبل لم تكن ذات فائدة يعتد بها وقد سارع الذين بذلوا المال في هذا الشأن الى انكار ما فعلوه. مسكين طالب! انه حتى هو نفسه قد يجد شيئاً من الارتياح في الهدوء المفروض عليه في جزيرة سيدان، بعد كل هذه الشهور المنقضية بالدس

المحموم ورسم الخطط. أظن أني لم أصادف حتى الآن أي شخص يتركز عالمه تركزاً كلياً في نفسه مثله هو. فليس هناك أي أثر للمثل العليا فيه، وأي تفكير ينحصر في غير نفسه وتقدمها. فقد كانت نفسه شغله الشاغل عنده. ومن الصعب عليّ ان أفهم كيف كان يمكن للمستر فيلبي، وكان مستشاراً له، ان ينخدع به. لكنه (فيلبي) تكدّر كثيراً في الحقيقة لما حدث. لقد تجهم وجهه عليّ لمدة اسبوع حتى فرضت حديثاً من القلب الى القلب عليه، وجعلته يعترف على كل حال بأني لم أفعل غير ما كان يتوجب عليّ فعله في هذا الشأن. انه لا يستطيع ان يتشاجر مع السر پيرسي، ولا أسمح له بأن يفعل ذلك معي - أظن أني قد حلت دون هذا - غير أني لا ادري بأنه سوف يبقى(*) هنا عند انتخاب فيصل أميراً في البلاد ام لا!

جاء الميجر ديچبرن من الناصرية في الاسبوع الماضي مع حشدٍ كبير من الشيوخ. انه يجابه اوقاتاً صعبة هناك، لأن شيوخ السوق أخذوا يسلكون سلوكاً سيئاً جداً نتيجة التدابير التي كان من الضروري ان تتخذ خلال الاضطرابات. فأنهم لم يعاقبوا ولم ينزع سلاحهم لكونهم لم يشتركوا أشتراكاً فعلياً في الثورة حينئذ، وقد اخذوا الآن يعودون الى الفوضوية والتمرد على القوانين. لقد جعلت الميجر ديچبرن يتعشى عندي في احدى الليالي ودعوت جماعة صغيرة معه لأغيّر الجو عليه. ان هؤلاء الشبان العاملين في الأوعار، لدعم السلطة الحكومية بلا شيء تقريباً سوى سيطرتهم الشخصية، يضطلعون بواجبات صعبة.

كنت اليوم منشغلة باصدار قوائم العفو العام، ومواجهة الناس. والاستماع الى الاحاديث، والحضور لمدة نصف ساعة في حفلة عرس شقيق طباخي - لم أجد مثل هذا الحشد من الرجال السمان من قبل -

(*) لقد اخرج من الخدمة عند اول وصول فيصل الى بغداد.

واخيراً دخلت في حديث هادىء مع ناجي السويدي.

25 نيسان

أخذ الكابتن توماس، الموسيقار، بيانو الى الشطرة فدعى شيوخ منطقته للاستماع الى «پاثيتيك سوناتا»[1]. وسألهم في النهاية عن رأيهم في هذه الموسيقى، فأجابه احدهم بقوله (والله خوش دقة).

5 أيار

. . . لا يعد الدور الذي نمر فيه دوراً سهلاً جداً، فما تزال إيران كميةً مبهمة لكنها بقيت هادئة حتى الآن.

أظن أني أخبرتكم بأن المتطرفين في انقرة قد انتصروا، ومعنى ذلك بالنسبة لوجهة نظرنا ان التحريكات ستستمر في حدودنا الشمالية. . .

ان أصدقائى من الشبان الوطنيين يتخوفون من نشاط الاتراك على الحدود، ومن وجود طبقة كبيرة من الناس تميل الى الاتراك في هذه البلاد. وينحصر خوفهم في أن عودة الاتراك ستقضي على أعز امانيهم،

---

(1) توهمت الآنسة بيل ان الپاثيتيك Pathe'etique سوناتا، في حين انها السمفونية السادسة التي وضعها الموسيقي الروسي تشايكوفسكي، ومعناها «المحزنة» وقد أطلق عليها أحد النقاد اسم «الفاجعة» ولكن مؤلفها كان يراها عاطفية. ومن العجيب ان الكابتن توماس لابد ان يكون متشائماً حين عزفها على الپيانو لشيوخ الشطرة.. ويبدو ان المصير الفاجع الذي كان ينتظر الوجود البريطاني في العراق هو الذي دفعه الى اختيار الپاثيتيك للعزف، لان الحركة الثانية فيها تعبر عن الهجوم الاخير اليائس للمقاتل الذي يعلم علم اليقين ان المعركة خاسرة، ثم تجيء الحركة النهائية تعبيراً عن مناحة للنفس الراحلة الى العالم الآخر، وتنهدات أسيفة على الآمال الاخيرة الضائعة والافراح التي هربت الى الابد، وعلى ظلمة النهاية وعبثها. تلك هي الحقيقة. . . ولكن الآنسة بيل تجهلها.

أو تؤخر تحقيقها لأجلٍ غيّر مسمى ـ تلك الاماني التي تستهدف تشكيل دولة عربية مستقلة. وهذا الشعور هو الذي يجب ان نغذيه، ولما كان الشريفيون هم الذين يحملون هذا الشعور فهم الذين يجب ان نسندهم كما قررنا في القاهرة. ومن سوء الحظ ان شيئاً من التأخير قد حصل، لأن فيصلاً يجب ان يكون هنا في منتصف آيار، لكنه لم يغادر مكة حتى الآن. أضف الى ذلك ان عصبة الامم تتمسك بالانتداب وتراعي أصرار أمريكا بتعصب عليه. وكان يجب ان يدلي المستر تشرشل بتصريحه في البرلمان يوم 2 حزيران، لكن هذا الموعد قد تأخر من جديد. اما السر پيرسي فقد طلب التخلي عن فكرة الانتداب بالمرة، والاستعاضة عنه بمعاهدة تعقد مع الدولة العراقية عند تشكيلها. وستكون هذه حركة بارعة اذا حصلت عندنا الجرأة الكافية لتنفيذها. فليس الانتداب هو الذي يثير فينا التبرم هنا ـ ليس هنا أي اثر وطني يريد ان يتحلل من المساعدة والاشراف البريطانيين ـ لكن كلمة «الانتداب» كلمة غير مستساغة[1]، ولذلك سيكون عقد المعاهدة بمفاوضات حرة أحسن من كل شيء آخر، فضلاً عن ان المعاهدة ستمنحنا مزيداً من الحرية في العمل. لقد كنا نعلم دوماً ان فيصلاً سيصر في النهاية على طلب المعاهدة بدلاً من الانتداب[2] ـ وقد سنحت لنا الفرصة بأن نقوم بحركة بارعة فنعطي من تلقاء أنفسنا ما سنضطر لاعطائه اذعاناً لطلبه بالتأكيد. لقد اعلن العفو

---

(1) لم تكن كلمة «الانتداب» غير مستساغة في ذوق الآنسة بيل، ولكن الشعب العراقي هو الذي قهرها وقهر السر ت. أ. ولسن قبلها، فالانتداب Mandate ينهض على فكرة الوصاية، ولذلك نفر منها الرأي العام العراقي باعتبارها توسعاً استعمارياً بثوب جديد، فهو لا يعني سوى الخضوع لدولة اجنبية وضياع الاستقلال الوطني.

(2) هذا هراء مضلل، لان عقد المعاهدة التي ستكون بديلاً عن الانتداب كان قد تقرر في لندن منذ كانون الأول 1920، يوم كان فيصل هناك للنظر في ترشيحه لعرش العراق.

العام[1]، فأخذ اصدقائي يشغلون أنفسهم في تأليف حزب شريفي معتدل له منهاج معين ـ وقد قدم المنهاج اليّ.. فأخبرهم السر پيرسي بواسطتي ان يواصلوا العمل فيعتمدوا على مؤازرته لهم...

ذهبت مع الكابتن سمث الى حفلة مدرسية أخرى هذا الاسبوع. فكانت شيئاً هائلاً، حيث ان بغداد كلها كانت هناك ـ كنا نحن الانكليزيين الوحيدين فيها ـ فاستغرقت ثلاث ساعات كالمعتاد. وقد جلسنا بصفوف نستمع الى الخطب والاناشيد والاشعار، واعتقد في الحقيقة ان جمهور المستمعين قد استساغ الحفلة. لكن بعض الخطب كانت طويلة بصورة تستدعي الانتباه (لم يستغرق اي خطاب أقل من خمس عشرة دقيقة)، وكان مؤداها ان نور العلم هو النور الوحيد الذي ينير السبيل للعالم. لكني يجب ان اعترف بأن الحفلة كانت فيها لحظات ممتعة. وكانت احداها حينما ألقى شاعر نصف مشلول يدعى جميل الزهاوي قصيدته التي استغرقت خمساً وثلاثين دقيقة، وهو وقت طويل بالنسبة لقصيدة من القصائد، ومع هذا فقد كان استماعها يستأهل الجلوس. انه ليس بشاعر عظيم فقط بل هو خطيب عظيم أيضاً. وقد بدأ بالسقوط فوق المنصة واضطرار المسؤولين عن الحفلة الى تدفيعه اليها واسناده، بينما كان الحاضرون يهمسون قائلين «اللّه، اللّه». واستهل القصيدة بما يقرب من عشرين بيتاً يشيد فيها بسماء[*] العراق. وكان بدؤه

---

(1) كذبت الآنسة بيل في هذا الادعاء، اذ لم يعلن هذا العفو الاّ في 30 مايس 1921.

(*) وهي القصيدة التي مطلعها:

انتِ مما تبدينه من صفاء — يا سماء العراق خير سماء

انظريني فقد أحبك قلبي — واحبتك مثله حوبائي

اما قصيدة العلم التي يظهر انه قد القاها بعد قصيدة السماء فمطلعها:

العلم ثروة أمة ويسار — والجهل حرمان لها وبوار

بهدوء وبصوتٍ متهدج سرعان ما انقلب الى صوتٍ عال، فتكهرب الحاضرون بأجمعهم، وكانوا يميلون الى الامام بأوجه مشرقة، كما كانت الابيات الملقاة يعاد القاؤها من جديد على أثر صراخ المستمعين بكلمة «أعد، أعد»... وأعقب جميلاً الزهاوي شاعر آخر منافس له يدعى معروفاً (الرصافي). والمقول انه من المتخصصين المعروفين بالعربية فلم أفهم شعره الذي قوبل بتصفيق حاد، لكني فهمت الكلمة التي قدم بها القصيدة وأحسب انها من الطراز الأول، فانها كانت كلمة حرة جريئة جداً ملأى بالكلام المعقول..

وتحتم علينا ان نستيقظ كلنا في الخامسة من صباح اليوم التالي لنذهب الى الاستعراض الذي أقيم بمناسبة ميلاد الملك (ملك بريطانية) في العراء قريباً من داري. وقد حضر جميع الوجهاء العرب، واستعرض عدد مدهش من الجنود. لكن الامر لم يكن يخلو من خدعة. فقد كانت في بغداد صدفةً الكتيبة التي عادت من ايران مؤخراً، في طريقها الى الهند أو انكلترة. وانتهى الاستعراض بتحليق ثلاثين طائرة في الجو، فكان منظرها بديعاً حقاً. وفي تلك الليلة أقام السر پيرسي كوكس وعقيلته حفلة عشاء.. فكانت حفلة حسنة التنسيق..

8 أيار

أقامت القنصلية الايرانية يوم الجمعة حفلة شاي فخمة احتفاء بيوم ميلاد الشاه ـ ما هو عدد الحفلات التي ستقام بهذه المناسبة للشاه وهو في عرشه يا ترى؟ يبدو ان شؤون ايران مستقرة استقراراً لا غبار عليه،

يا علم قد كانت ربوعك جنّة ... غناء تجري تحتها الانهار

ومنها:

انا في عصرٍ قد أبان رقيه ... والناس قد غاصوا البحار وطاروا

قد عاتبوني بجهالتهم على ... ما قد أتيت كأنني مختار

لكن ضغطاً عظيماً في الرأي يوجه الآن ضد طبقة الملاكين الاثرياء، وقد زج معظمهم في السجن، ولم يمس الاّ الشاه الذي يُعدُّ أعظم الملاكين شأناً. . .

سئمت من الجلوس دون حركة او ركوب، فركبت في صبيحة هذا اليوم، الاحد، مبكرة الى الكرادة وتناولت فطوري عند الحاج ناجي ملح الارض. وهناك تحدثنا حديثاً ممتعاً عن جميع ما كان يحدث، وتمشينا في ظل الاشجار المثمرة كان المشمش قد بدأ بالنضج. لقد أكلت منه أول أكلة اليوم. سيبدأ رمضان هذا الاسبوع فينهي حفلات الشاي، وهذا شيء سوف لا آسف عليه. .

ان سياستنا غير مستقرة. . . جاءني في أحد الايام سيد صغير متحيّر من النجف فأفضى اليّ بمخاوفه وآماله، وكان خجولاً جداً. . . فتركني أشعر بأنهم لا يعرفون ما هو غرضنا في كل ما نعمله. فنحن ندخلهم السجون من جهة لأنهم يطلبون الامير عبد الله، ونشجعهم على طلب فيصل من جهة اخرى. وأخبرني مخبر من أحسن المخبرين الذين يزودونني بأخبار بغداد انه حينما كان يسأل عما تريده الحكومة البريطانية كان جوابه «والله يا أخي! من يعرف ما يجول في فكرهم؟».

15 أيار

. . . لم نعلن العفو العام حتى الآن(*) . لقد توقفنا عن ذلك حتى نأخذ رأي الفرنسيين أولاً، وحكومة الهند بعد ذلك. كما لم نصدر أي بيان بشأن الانتخابات، لكن الامر قد تأخر بغية الوقوف على أي المناطق الكردية ستلحق بالدولة العراقية آمل أن يتم في هذا الاسبوع

(*) راجع رسالة (5 إيار) التي تقول فيها انهم اعلنوا العفو العام، لعلها تسرعت في تلك الرسالة واذاعت النبأ مقدماً.

التحاق معظمها. لقد بدأت أجوبة الشريف تصل رداً على البرقية الأولى التي أبرقت له في ارسال احد انجاله، وهي اجوبة غامضة كالمعتاد..

وسيكون لرأي البصرة شأن كبير. انهم يحاولون الآن وضع منهج للانتخاب، يكون شاملاً بحيث يضم رأي جميع الطبقات. فقد اطلعت على المسودة والظاهر انها شيء لا بأس به. وهكذا نجد انهم اذا ما تركوا لوحدهم. وشجعوا تشجيعاً مفعماً بالعطف، يأتون للسؤال عن أمورٍ كثيرة ويتفق بعضهم مع بعض، وهو الاحسن..

مما يلفت نظري في هذه الايام ان عدداً غير قليل من طبقات الناس العليا لم يصم في هذه السنة. فلم يصم حتى النقيب للمرة الأولى في حياته ـ لاعتلال صحته، حيث انه لو صام لمات.. فألى متى سيستمر المسلمون على الصيام يا ترى[1] ـ ان الصيام مثل حجاب المرأة يتلاشى بسرعة باعتباره من فروض الاسلام العامة[2]. كما يجد النساء العائدات من سورية او استانبول القيود الاجتماعية متعبة شاقة عليهن، لأنهن تعودن على شيء أكثر من الحرية. وسيكنّ حينما تترسخ مؤسساتنا المحلية ترسخاً قوياً على شيء اكثر من الجرأة. انهن مع ازواجهن يخافون من اتخاذ أية خطوة تقدمية الآن لئلا يثيروا لغط المتعصبين فيؤثر

---

(1) سيستمر هذا الصوم ما دام شهر رمضان ثابتاً، شامخاً في التقويم الهجري.. وكان على الآنسة بيل ان تعلم بأن الصوم فرض ديني لدى اتباع الاديان السماوية الاخرى، فهو ليس حكراً على المسلمين وحدهم.

(2) لم يكن الحجاب، في يوم من الايام، من فروض الاسلام العامة، وقد شهد صدر الاسلام الوجه السافر الجميل المحتشم عند عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وغيرهما.. ولكن بمرور الايام اعتادت المرأة المسلمة ان تحجب وجهها بأنواع كثيرة من البراقع للزينة، ولم يكن هذا بدعا، فقد لبست المرأة البرقع للزينة في العهود اليونانية والرومانية، وقد فرضته بعض نظم الرهبنة على الراهبات في المناسبات، وما تزال العروس في الشرق والغرب تغطي وجهها حماية لجماله من الحسد.

على مستقبلهم. ومع هذا فهؤلاء الرجال يأتون بزوجاتهم لزيارتي، وهذا خروج غير منتظر على عادات بغداد التي يتقيد بها الرجل في عدم خروجه مع زوجته مطلقاً. أنا أرحب بكل شيء يجنح الى هذا الاتجاه، لكن المرء لا يسعه ان يفعل شيئاً سوى ان يرحب بالمرأة ترحيباً يمتليء بالعطف، وعليهن ان يعملن على تحرير انفسهن وسوف لا ينفعهن كثيراً ان يسندهن كافر من الكفار، حتى اذا كان ذلك الكافر أنا التي يسمح لي بالقيام بأشياء كثيرة هنا...

15 أيار (ب)

أخذت أجوبة الشريف تتدفق، رداً على البرقيات الأولى التي أبرقها الناس اليه طالبين فيها ارسال أحد انجاله الى هنا. والملحوظ ان الاجوبة مفخمة بنحوٍ متميز فضلاً عن كونها غامضة. فبعد ما يشبه اللغو من التشكرات لهذا الاعتراف بصفاته الخاصة المتميزة بتنازل الشريف ليعد بأنه سوف «يبعث به» من دون ان يخصص من «هو» الذي سيبعث به.

ما زال الناس متلهفين لمعرفة موقف السلطات البريطانية، ويجب ان يطمئنوا بان انتخاب المرشحين ونشر آرائهم نعتبرهما من الاشياء الملازمة لكل انتخاب. فليس من العجيب ان يكونوا مترددين ـ لقد كان من الخيانة في العام(*) الماضي ان يقول المرء بأنه يريد أحد أبناء الشريف هنا، وحتى في يومنا هذا نجد ان بعض ضباطنا البريطانيين لا يستطيعون تماماً ان يتراجعوا عن الموقف السابق.

كان الصباح في هذا اليوم، الاحد ساحراً بعد ان هطل المطر بحيث ركبت مبكرة عبر البر الى الفحامة. وعدت راكبة عن طريق دجلة

(*) اي حينما كان يدير البلاد أي تي ويلسن وكيل الحاكم العام الذي اقصي عن الخدمة.

غالباً. ويمر الطريق المحاذي لضفة الماء من فوق سدة عالية تصاقب بساتين البرتقال والنخيل، التي تبدو بديعة زاهرة في هذا الوقت بالختمة والدفلى البيضاء والوردية اللون. لقد كانت السماء زاهية وكان النهر يحاكي حجر الأوپال الباهت في لونه.

22 أيار

تكهنت من قبل ان تسير الامور بأسرع مما تسير به الآن، لكن ذلك لم يحصل. انها آخذة بالاسراع، فقد أحدثت البرقيات الواردة من مكة.. تأثيراً لا يستهان به. والناس ميالون الى التفكير.. بأن الامور تسير بوحي من حكومة صاحب الجلالة، أو انها على كل حال تنطوي على ميلها نحو الشريفيين. ويعد هذا نتيجةً طبيعية لقولنا ان أحد أنجال الشريف يعتبر عندنا مرشحاً لائقاً للعرش...

لقد وضع ناجي السويدي منهجاً لحزبٍ شريفي معتدل وقدمه اليّ - عرضته على السر پيرسي فوجده منهجاً لا بأس به. أنا ممتنة جداً من ناجي لانه يجعلني على مثل هذا الاتصال الوثيق بهذه الامور... والحق اني وجدت ناجياً رجلاً معقولاً جداً ومقتدراً كما ألفيته كثير الصبر بالنسبة للتأخيرات المتطاولة. ان هذا يبشر بالخير في المستقبل...

نحن نبحث الآن فيما يمكن عمله لتقوية أسس طاق كسرى حتى ننقذ جدار الجبهة العظيم. ليس هناك أمل بسقوطه الاّ ان فيه تصدعاً بارزاً من الخارج. وقد حفرنا بعض الحفر بالقرب من الاسس، فذهبت في صباح الاحد الباكر مع الميجر ويلسن (المهندس المعماري كما تتخطرون) لنتفقدها. انه يقترح ان نبني دعامة ساندة كبيرة في محاذاة الاسس تحت الارض، وأخشى ان نضطر الى تمديدها بصورة مائلة قرب الجدار الى علو يناهز مئة قدم فوق الارض، مما سيشوه المنظر، لكنها سوف تبقى الجدار سالماً على قدر الامكان.

لم يزل الوقت مبكراً للتكهن، لكن دورة الدولاب هذه قد تعني وقوع ايران الشمالية تحت السيطرة الروسية ثانيةً - أعني تحت حكم النظام الجديد في روسية، وهو لا يختلف في سياسته الخارجية عن سياسة النظام القديم فيها مطلقاً..

اما أخبار الاناضول فليست حسنة. فقد سيطر المتطرفون على الامور في انقرة، وسوف لا يقبلون بأي حل توافقي بشأن أزمير وتراقية، لانهم عازمون على كفاحٍ متطاول مع اليونان سيكونون خلاله مناوئين للسياسة الاوربية مناوأة عنيدة. وأملنا الرئيس هنا أن نأتي بفيصل لعله يستطيع الاتفاق معهم بشأن حدودها الشمالية.

سيعلن العفو العام غداً[1]، فلله الحمد. ان ذلك سيطلق الحرية

---

(1) **في 30 مايس 1921 اذاع السر بيرسي كوكس البيان التالي:**
بناء على التخويل الصادر من حكومة جلالة الملك يعلن فخامة المندوب السامي بمزيد السرور عفواً عاماً عن المجرمين السياسيين يعمل به ابتداء من يوم 30 أيار، وعلى القاعدة الآتية: -
البند الأول - يشمل العفو جميع من كان لهم يد في فتنة سنة 1920 وذلك فيما يخص الجرائم التي تعد مرتكبة ضد الحكومة ومساعدة على الفتنة.
يطلق سراح المسجونين، والذين تحت التوقيف، ويؤذن للهاربين بالرجوع، ولا خوف عليهم من ان يحاكموا.. ذلك من استثناء الآتين: -
(*) الافراد الذين عند اشتراكهم في الفتنة كانوا موظفين بالاجرة في ادارة حكومة المناطق المحتلة، فهؤلاء ينظر في امر كل منهم على حدة حسب استحقاقه.
(*) الافراد المذكورين فيما يلي، المعتقد بأنهم مسؤولون عن اقتراف بعض الجرائم الشنيعة أو التحريض على اقترافها، وهم الآن هاربون من وجه العدالة:
آ - الشيخ ضاري وولديه خميس وسليمان، وسرب وسلوبي ولدَي محباس «الصواب» صعب وصلبي ولدا مجباس] ودهام [الصواب: دحام] بن فرحان، وجميع هؤلاء تابعون لعشيرة زوبع. وجميعهم متهمون بقتل الكولونيل لچمن او التحريض على قتله. =

لوطنيينا الذين سينصرفونَ الى العمل بصورة جدية. ولابد من أن يؤدي تصريح المستر تشرشل في المجلس الى مزيدٍ من تصفية الامور لأني أحسب انه سوف يعلن فيه قبول حكومة صاحب الجلالة بأن يرشح فيصل نفسه للعرش، وسيعني هذا في كل مكان انه سيكون أشد المرشحين ارجحيةً.

في نيتي الآن أن اذهب الى السليمانية في نهاية الاسبوع لأمكث هناك بضعة أيام - وفي كركوك مدة ليلتين، وهكذا دواليك. فقد رفضت السليمانية بنتيجة الاستفتاء العام الذي تم فيها ان تنضم الى الحكومة العربية، وسوف تكوّن في الوقت الحاضر دويلة كردية صغيرة يديرها السر

= ب - جميل بك [المدفعي] وحميد افندي التبوني [الصواب: الدبوني] المتهمين بالتحريض رأساً على قتل المرحومين اليوزباشي بارلو والملازم ستيوارت، وغيرهما من الموظفين البريطانيين في تل أعفر.

ج - جاسم المويلي، من عشيرة المهدية، المتهم بقتل المرحوم اليوزباشي ريڤلي.

د - محمد الملا محمود، من البحاحثة، المتهم بقتل المرحوم الملازم برادفيلد. وحسن العبد وجاسم العوض، من عشيرة بني تميم، المتهمين بقتل المستر بوكاتن.

هـ - ناصر بن اريضير، وعلاوي الجاسم، وابن أريميدي، والثلاثة متهمون بقتل بعض = = = الاسرى البريطانيين.

و - بسيوس [الصواب: بسبوس] بن محاويس، ونعمة بن شعينة، وكليهما من عشيرة الجوابر ومتهمين بقتل بعض ضباط سلاح الطيران الملوكي.

ز - فالح بن الحاج صفر العجيوب [لعله: سفر الاعجيرب] من عشيرة الجوابر، والمتهم بالتحريض على قتل الملازم هدكار وخمسة من رجال المدفعية البريطانية على المركب كرين فلاي.

البند الثاني - أما بشأن الافراد الذين لم يكن لهم علاقة بفتنة سنة 1920 ولكنهم معتقلون او منفيون أو هاربون لاسباب متعلقة بجرائم سياسية أرتكبت قبل الفتنة المذكورة، فقد خول فخامة المندوب السامي مبدئياً أن يشملهم بالعفو على أن ينظر في أمر كل منهم على حدة وبحسب استحقاقه عند تقديم صاحب الشأن طلباً رسمياً الى أقرب ممثل بريطاني والى فخامة المندوب السامي رأساً.

بيرسي رأساً.. ان أهاليها أكراد كلهم، وهم يقولون بأنهم لا يريدون ان يكونوا جزءاً من الدولة العربية. أني لم أرها من قبل مطلقاً، ولما كنا سوف نسمع كثيراً عنها في دائرة المندوب السامي فأني أود ان أراها وأتعرف على شعور الناس فيها من منبعه الاصلي، ولذلك أخذت أقضي أوقات مسائي الآن في تنظيف الصدأ عن فارسيتي القديمة.

5 حزيران

... أصبح للمتطرفين في أنقرة القدح المعلى، وهذا يعني ان التحريكات التركية ستستمر على حدودنا الشمالية. وكان آخر ما حدث من هذا القبيل ان ضابطاً تركياً (اوزدمير) مع ثلاثين من رجاله ظهروا في راوندوز، وهي بلدة كردية تقع ما بين الجبال شرقي الموصل. وكان القسم الاعظم من أهالي البلدة قد بعثوا الينا بعريضة يطلبون فيها ان يسمح لهم بأن يلتحقوا بالدولة العراقية الخاضعة لانتدابنا، لكن ظهور هذه الطليعة التركية بعثت الرجفة، أو احدثت صدمة، في أنفس الناس على طول الحدود الكردية التي تنتظر الآن لترى هل سيتبع ذلك مجيء مزيد من الاتراك، وماذا سيفعل الانكليز؟ ليس لدينا فضلة من القوات العسكرية للدفاع عن الحدود، وكان المفروض في القاهرة اننا كنا في حالة صلح مع تركية.

... واذكر بالمناسبة أني لم أذهب الى السليمانية. فحينما قلت لناجي (السويدي) ونوري (السعيد) بأني أفكر بالذهاب الى الخارج لمدة اسبوع اكفهر وجهاهما بصورة جعلتني أقول اني سأعيد النظر في الامر. وقد تذاكرت مع السر پيرسي فقررنا أني من الافضل ان لا ابتعد عن بغداد في مثل هذا الظرف. وكنت كذلك قد ذكرت للحاج ناجي ـ وهو شريفي متحمس ـ اني أنوي الذهاب الى الخارج فبعث لي برسالة مستعجلة يرجوني فيها أن أمرّ به قبل السفر. وقد ذهبت اليه في مساء

ذلك اليوم، فابتدرني يقول «بعثت اليك بالرسالة لأني لا أريدك ان تبتعدي عن بغداد في الوقت الحاضر» فقلت له اني غير ذاهبة، وعند ذاك رد عليّ يقول (الحمد لله، أرجو ان تعلمي ان المندوب السامي هو مثل الله سبحانه وتعالى (!!) وأنت بمقام النبي عيسى. فكيف يستطيع الله أن يعلم (!) ما يجري في العالم اذا لم تكوني فيه أنت؟).

ان احدى مشاكلنا الآن هي وجود المستر فيلبي. انه يحمل تعصباً شديداً ضد فيصل، ولما كان يهيمن على وزارة الداخلية فهو في وضع يسمح له بابداء مقاومة سلبية من نوع فعال جداً. ولذلك لا نستطيع اصدار جريدة وطنية لانها يجب ان تسجل في الداخلية، فتخلق جميع العراقيل القانونية لتأخيرها. وينبغي بالطريقة نفسها بموجب القانون التركي (وهو ما نعمل به) على الحزب السياسي ان يسجل في تلك الوزارة أيضاً، ونحن نتوقع ان تأخيرات مماثلة ستحصل. على أن السر پيرسي قد اخطر الآن بمثل هذا الوضع، وسوف يتخذ الخطوات اللازمة لتسهيل الامور. ولذلك يعد وضع المستر فيلبي وضعاً مثيراً جداً، فمن الضروري جداً على ما يظهر ان لا يعرقل سياستنا الرسمية بأية وسيلة كانت رجلٌ من موظفينا نحن. انه لا يأتي لزيارتي مطلقاً، وأحسب انه ينظر اليّ باعتباري عدوه الأول ـ او ما يقرب من ذلك. ولا استطيع والحالة هذه ان أقدم له كلمة تحذير ودية، لكنه يشغل نفسه بـ «غزل قطنٍ رديء»، لأنه أصبح يسمى خصماً في موقفه هذا. أنا آسفة للغاية، لكنني بذلت قصارى جهدي لتهيئة جسر له، وما لم يكن مستعداً للسير عليه فاني غير قادرة على مد يد المساعدة له. . .

12 حزيران

وأخيرا بدأت الامور تسير في سيرها المطلوب. فقد وردت برقيات من الملك حسين تفيد ان فيصلاً سيغادر الحجاز الى العراق هذا الاسبوع.

على ان الشيء الذي يرغب الجميع في معرفته هنا هو رغبتنا نحن واتجاهنا، وحالما يحصلون على أي نوعٍ من القيادة في هذا الشأن فانهم سرعان ما ينحازون كلهم اليها. فقد أخذ أصدقائي الشريفيون الشبان يزورونني زيارات مهيجة طالبين تطمينات وارشادات كنت اعطيها على قدر ما يسعني اعطاؤه منها ووفقاً لتعليمات السر پيرسي. فهو بارع في ألاعيب السياسة، ويعد التطلع اليه وهو يلعبها ثقافةً بحد ذاته..

وزارني في صباح هذا الاحد زيارة طويلة شيخان كبيران هما فهد بك شيخ عنزة وعلي السليمان شيخ الدليم. فقد قدما سوية من الرمادي لمواجهة السر پيرسي والوقوف على رأيه.. ولذلك قيل لهما ان يمكثا هنا مدة يوم أو يومين حتى تعلن حكومة صاحب الجلالة عن سياستها.

أنا لا أتردد لحظة في الحكم على استقامة سياستنا الحالية. فليس من الممكن لنا ان نستمر على الحكم البريطاني المباشر برغم ان البلاد تحكم حكماً أحسن بواسطته، لأن وضعنا يصبح شيئاً مضحكاً بعد ان كنا نقول لهم بين الفينة والاخرى انهم، شاؤوا أم أبوا، يجب ان تؤسس لهم حكومة عربية لا بريطانية.

19 حزيران

لقد بدأنا بالسير في طريقنا المحفوف بالمخاطر. فقد جاء الى مكتبي يوم الاثنين صديقي القديم رئيس البلدية وقال لي انه لما كان فيصل على وشك ان يصل البلاد فيتحتم على أشراف بغداد ان يعدوا له استقبالاً لائقاً، وان لا يتركوا كل شيء الى الشبان المتطرفين. لأن فيصلاً من مشاهير العرب ومن ابناء الملوك، والواجب يدعو الى أن يستقبل كما يستقبل المشاهير وأبناء الملوك. فقلت له أنه مصيب، ويترتب عليه بصفته رئيساً للبلدية ان يتخذ ما يلزم من الترتيبات.

وقد تردد على مكتبي الشبان ايضاً في هذا الاسبوع. وكان علينا أن

نضع شكل عَلَم مؤقت ـ اظن ان المجلس التأسيسي ستكون له الكلمة النهائية في الموضوع ـ وعندئذ نشأت مشكلة المكان الذي يجب ان يسكن فيصل فيه، وهي مشكلة عويصة. ولو كانت الأوامر الرسمية قد وصلتنا من الوطن ساعة أبكر لكان من الممكن لكل شيء ان يكون على درجة أكبر من السهولة.. . ان عقيدتي هي ان فيصلاً على درجةٍ من السياسة وحصافة الرأي بحيث يدرك وجود اجتذاب الكبار والمتأنين من الناس في نفس الوقت الذي يمتنع فيه عن اظهار البرودة تجاه الحماسة التي يبديها مؤيدوه المتحمسون.

واتماماً للقصة.. . أقول ها ان فيصلاً سيصل الى البصرة(*) في يوم 23 من الشهر هذا ولما تصلنا التعليمات الرسمية من المسؤولين في

(*) ندرج فيما يأتي صورة البرقيتين المتبادلتين بين الامير فيصل وهو على ظهر الباخرة «نورث بروك» في عرض البحر، والنقيب رئيس الوزراء (نقلاً عن محضر جلسة مجلس الوزراء المنعقدة بتاريخ 23/ 6/ 1921:

فخامة رئيس الوزراء ـ حضرة النقيب

بمزيد السرور أخبر فخامتكم بأني واصل البصرة صباح الجمعة القادمة شاكراً المولى عز وجل الذي أسعدني بقرب لقاكم ومشاهدة البلاد التي هي محط آمال مفاخر الأجداد، واثقا بازدياد عواطفكم الودية انتم وزملاؤكم، وكافة الشعب العراقي الكريم.

فيصل

فرد عليها النقيب بالبرقية الآتية:

الباخرة نورث بروك

ضياء مصباح بيت النبوة، والكوكب الدري في سماء بيت الشرف، سمو الامير فيصل حفظه الله لقد أخذت بيد الاحترام برقية سموكم الدالة على عواطفكم الهاشمية نحو هذا الداعي والمبشرة بقدوم سموكم البصرة يوم الجمعة فأمتلأ القلب سروراً فنشكركم شكراً وفيراً، داعين لسموكم بسرعة الوصول بالسلامة، مرحبين بقدومكم الميمون نحن والوزراء والشعب.

رئيس الوزراء عبد الرحمن

الوطن بعد.. . وقد أخذ اتباعه، في الوقت نفسه، يقل صبرهم بالطبع ويتلهفون للعمل. فأدرك السر پيرسي الوضع كله وصادق بصورةٍ غير رسمية على المشروع الذي عرض عليه بواسطتي ـ وذلك ان يدعى رجال البلد الى اجتماع كبير يقام يوم الجمعة، أي قبل وصول فيصل بستة أيام. وما وزعت بطاقات الدعوة باسم ناجي السويدي، حتى جاء الى مكتبي الكتاب وغيرهم ليستمزجوا رأيي فيما اذا كان يتحتم عليهم الذهاب ام لا. فقلت لهم «بلى، لم لا؟ فالاجتماع قد اقترن بمصادقة صاحب الفخامة». وفي يوم الخميس بعد الظهر تحرك النقيب.. . حركةً صائبة. اذ اخبر مجلس «الوزراء بإن فيصلاً قادم وأنهم يترتب عليهم اجراء الترتيبات المقتضية لاستقباله استقبالاً مناسباً، واسكانه في محلٍ لائق. وعلى هذا عينوا لجنة تتألف من خمسة وزراء(*) . وعندما كنت في خارج البيت بعد الشاي، وفي طريق عودتي اليه، صادفت سكرتير مجلس الوزراء(1) فأوقفني وأفضى اليّ بهذا الخبر السار. فتابعت ركوبي وانا مستبشرة. وعندما وصلت الى البيت وجدت كتاباً من السر پيرسي يحتوي على «البلاغ» الذي كنا نتوقعه من المسؤولين في الوطن بفارغ الصبر، وقد طلب اليّ أن أبلغه الى جعفر وناجي السويدي قبل الاجتماع الذي كان من المؤمل ان يعقد في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي. وكان من

(*) **قرر مجلس الوزراء في جلسة الخميس (16/ 6/ 1921) ما يأتي:**

اقترح فخامة رئيس الوزراء وجوب الاحتفال بقدوم سمو الأمير فيصل، والقيام بما يليق بعضمته من التفخيم والتبجيل من قبل الحكومة الوطنية، فقرر المجلس باتفاق الآراء تعيين لجنة مؤلفة من حضرات اصحاب المعالي: جعفر باشا العسكري، عبد الغني جلبي كبة، فخر الدين جميل، عبد الجبار پاشا الخياط، عبد المجيد بك الشاوي، عبد الرحمن پاشا الحيدري، لاختيار محل يليق بسمو الأمير ووضع منهاج لاستقبال سموه، وان تتعهد وزارة المالية بصرف المبالغ اللازمة في هذا السبيل.

(1) حسين أفنان.

حسن الحظ ان جعفراً وزوجته وشقيقته كانوا سيحضرون لتناول العشاء عندي، فترجمت البلاغ لهم وسلمته الى جعفر ليقرأه في الاجتماع. وقد سر جميعهم به، وهو ما كنا نريده في الحقيقة.

وجاء الى مكتبي في اليوم التالي بعد الاجتماع المتصرف(*) وناجي السويدي لأخباري بما وقع. اذ كان الاجتماع ناجحاً تمام النجاح، قد حضره الجميع وانتخب ستون شخصاً للذهاب الى البصرة والترحيب بفيصل ـ وقد رجوني أن أجري الترتيبات اللازمة لذلك مع ادارة السكك. وبقيت قضية سكناه هنا، فاقترحوا حلها بأسكانه في بعض غرف السراي التي كان يجري ترميمها، اذ كان من الممكن انهاء الترميم قبل الوقت. فاحتجت دائرة الأشغال العامة بأن الترميم لا يمكن ان يتم في الوقت المطلوب، وقد أخبرني جعفر بذلك تلفونياً بلهجة اليائس، غير اني تلفنت الى دائرة الاشغال، واقترحت عليهم تغطية الجدران الجرداء ببعض المعلقات، فتم تركيب كل شيء في النهاية.

وذهبت لأزور النقيب في المساء فوجدته يتسلم تقرير لجنة الاستقبال. وحالما دخلت أراني برقية(**) كانت قد وصلته مؤخراً من الملك حسين منمقة بعبارات مناسبة، تفيد بأنه بعث بابنه فيصل اليه..

ولما كان اليوم يوم أحد ركبت انا والمستر تود قبل الفطور الى

(*) رشيد بك الخوجة.

(**) انها البرقية الآتية، المؤرخة في 17 حزيران 1921:

فرع الدوحة النبوية فضيلة السيد الأجل حضرة النقيب ـ بغداد

ضروري أبلغكم توجه ابني فيصل الى طرفكم بناء على طلبات الأهالي العديدة، ولامتزاج عائلتنا بكم فلا احتاج ان أبحث عما يجب لسعيكم جميعاً فيما يستلزم راحة البلاد ومضاعفة الرغبة وتأمين مستقبل الكل. هذا ما انتظره من همم نجابتكم والحسية الدينية والقومية، والله يتولانا وأياكم بالتوفيق.

الحاج ناجي. . . وهناك أخذني الحاج ناجي جانباً وافضى اليّ بأنه يفكر في الذهاب الى البصرة مع جماعة المستقبلين، لكنه يخشى ان يضيع بين الازدحام. فقلت له اني سأزوده بكتاب تقديم الى المستر كورنواليس[1] فانه قادم مع فيصل.

23 حزيران

يصل فيصل الى البصرة هذا اليوم. ويتوقع أتباعه ان يؤدي قدومه الى ابتهاج الناس ابتهاجاً عاماً. فعسى ان يكون ذلك شيئاً حقيقياً لانه سيسهل لنا الامور تسهيلاً لا مزيد عليه، وينفي اعتبار مجيئه باعثاً على قلق الوجهاء. وقد حضر عندنا يوم الاثنين وفد قوي من البصرة يحمل عريضة يطلبون فيها ان تعامل منطقة البصرة في حكمها معاملة خاصة. فقد كانوا على استعداد لقبول ملك مشترك، لكنهم طلبوا ان يكون للبصرة مجلس تشريعي خاص وجيش على حدة مع شرطة خاصة، وان تجمع المنطقة ضرائبها الخاصة فتتصرف فيها على ان تدفع مبلغاً مناسباً للادارة المركزية. وقد مروا عليّ في طريقهم الى السر پيرسي، وطلبوا اليّ أن أؤيد استرحامهم. فأجبت بالنفي قائلةً ان كل شيء تقرره حكومة صاحب الجلالة يحظى بتأييدي الخالص كخادمة من خدام الحكومة، وحتى تأمر تلك الحكومة بما تقرره يجب عليّ ان استخدم رأيي الخاص الذي يفيد بأن ما يطالبون به ينافي مصلحة البلاد بوجه عام، كما ان البراهين ستثبت لهم ان ذلك في غير مصلحتهم هم ايضاً على الدوام[*]

(1) قدم الكولونيل كينهان كورنواليس Kinahan Cornwallis مع فيصل على ظهر الطراد البريطاني نورث بروك. وهو يعتبر من ابرز رجال المكتب العربي في القاهرة. وقد عرفناه في سنة 1922 مستشاراً لوزارة الداخلية، ثم اصبح بعد ذلك سفيراً لبريطانيا في بغداد.

(*) لم نستطع العثور على هذه العريضة، لكن فحواها معروف من سياق هذه الرسالة. وقد علمنا بالاستقصاءات الخاصة من البصريين المطلعين وغيرهم ان من جملة =

.. .ولذلك ذهبوا الى السر پيرسي فاستمع اليهم بتعاطف لكنه قال لهم بكلمات عامة أنه لا يخفى عليهم ان حكومة صاحب الجلالة تريد ان ترى في هذه البلاد عراقاً موحداً. على ان هذا لا يتنافى مع اعطاء ما لا يستهان به من الحكم الذاتي المحلي للمنطقة، وسوف ينظر بنوع من التوافق على هذا المنوال...

لقد انتخبت رئيسةً لمكتبة[1] بغداد العامة...

استحصلت «لجنة الاستقبال» موافقة مجلس الوزراء على منهاجها يوم الاثنين. فحملها الينا متصرف بغداد (رشيد الخوجة)، الشريفي القح، لاستحصال مصادقة السر پيرسي عليها يوم الثلاثاء. والشيء الذي كانوا يريدون معرفته هو أي دور من الادوار سيلعبه السر پيرسي، وفوق ذلك كله من سيأمر بأعداد حرس الشرف للاستقبال. فوعدتهم بالحصول على جواب بأسرع ما يمكن. لكن الامور لا تسير بالسرعة المطلوبة، وفي صباح يوم أمس، الاربعاء، جاءني رشيد بك (متصرف بغداد) ثانيةً وقال لي انهم لم يحصلوا على جواب بعد. وفي ساعة متأخرة من الصباح اتخذت الترتيبات اللازمة لحضوره هو، وعبد المجيد الشاوي، لمواجهة السير پيرسي مواجهةً شخصية. وكان نوري السعيد قد واجهني في الليلة

= الموقعين عليها: عبد اللطيف باشا المنديل، وأحمد باشا الصانع، وسليمان بك الزهير، وأغا جعفر، والحاج طه السلمان، والشيخ ابراهيم شيخ الزبير، وسليمان الغملاس رئيس بلديتها. وقد جاء بها الى بغداد عبد اللطيف باشا المنديل واحمد باشا الصانع. ومن طريف ما يلاحظه القاريء الكريم من الرسالة ان الانكليز انفسهم لم ترق لهم الفكرة لانهم كانوا يريدون عراقاً موحداً، وقد نصحوا أعضاء الوفد البصرى بهذا المآل.

(1) الثابت هو ان الآنسة بيل هي التي اسست هذه المكتبة، وقد اطلق عليها اسم (مكتبة السلام). وقد أصدرت هذه المكتبة مجلة الخزانة، استمرت عاماً واحداً بعد ثلاثة اعداد فقط. وقد صدر عددها الأول في كانون الثاني 1923.

السابقة، بعد عودته من البصرة، وأخبرني عن الحفاوة والمظاهرة الشعبية التي سيقابل بها فيصل عند وصوله. وهو يرى ان ذلك قد يؤدي الى سرعة المناداة بفيصل ملكاً في البلاد، ثم سألني بتلهف عما اذا كنا نمانع في ذلك. فأجبت بعبارات مناسبة مؤداها اننا نريد فقط ان نقف على رأي البلاد فيه.. . وقد نقلت ذلك كله الى السر پيرسي كوكس في تلك الليلة حينما التقينا في حفلة «بالو» أقامتها الليدي كوكس، وربما كان لذلك تأثير جزئي على الجواب الذي أعطاه لرشيد بك في صباح اليوم التالي. وعلى كلٍ فقد تقرر ان يخرج حرس الشرف لفيصل في البصرة هنا.. .

آمل ان يتفق فيصل مع وجهاء البصرة فيقنعهم بأن البصرة ستحظى بالالتفات والرعاية التامة. ولا يخفى ان المستر كورنواليس قادم معه، وهو على درجةٍ كبيرة من المتانة وأصالة الرأي. وقد بعث اليه برسالة عرّفته فيها على مهب الرياح في جميع انحاء العراق، وحالما يكون هنا سيكون بوسعي ان أطلعه على السياسة المحلية.. .

لقد رفعت المدينة بأجمعها الاعلام الشريفية منذ الآن. فقد شاهدتها اليوم ترفرف بين دكانٍ وآخر في السوق، والنية في ذلك نية حسنة، الاّ ان العلم لم تكن ألوانه مرتبة وفقا للأصول لا أدري اذا كنتم تعرفون ذلك! لأني شاهدت المثلث الأَحمر يأتي فوق الاسود، والاخضر، على هذا فهو مغلوط.

وافتنا يوم أمس أنباء وصول فيصل الى البصرة، فكان الاستقبال شيئاً ممتازاً ولله الحمد.. . وقد توجه فيصل الى النجف وكربلاء، وسوف يصل الى هنا يوم الاربعاء 29 منه. وأنا اقضي نصف وقت الدوام من كل يوم في زيارة المتصرف لي، أو في تبادل الاخبار معه على التلفون، حول الاستقبال والمراسيم التي ستتخذ هنا. أظن اننا قد

رتبناها ترتيباً صحيحاً في النهاية. وقد ساهمت الموصل ايضاً في الامر، فقد وصل في الليلة الماضية الى هنا وفدٌ كبير يتألف من رجالها البارزين جميعهم، ثم أخبرني نوري السعيد حينما التقيت به في صبيحة هذا اليوم بأن ما يفكرون به هو انهم لا يستطيعون ان يفهموا وجود مثل هذا الانقسام في الرأي هنا، ولذلك فأن أحسن طريق نسلكه هو ان ننادي بملوكية فيصل في الحال.. . وقال لي كذلك انهم لو لم يحصلوا على مساعدتي المستمرة في السابق لما أمكنهم ان يمضوا قدماً في عملهم، فأجبته بأني وقفت موقفاً ثابتاً بجانب نوايا السر پيرسي التي لا تتزعزع. لكنني أفدتهم على كل حال في الاسابيع الاخيرة، وانا مسرورة لأني كنت موجودة هنا.

قيل لي ان ناجي السويدي يفضل الانتداب على المعاهدة المزمع عقدها، لأن الانتداب يخولنا مزيداً من السلطة! غير اني أعلم بأن فيصلاً يريد المعاهدة ؛ وعلى هذا فقد تسير الامور في هذا الاتجاه، اما أنا فاعتقد بأن الفرق غير مهم. فلا يمكن تسيير الانتداب من دون حسن نية الشعب، واذا ما حصل ذلك فليس مهما ان نرتبط معه بالانتداب أو بواسطة المعاهدة، لكن الذي يفرحني ويسرني هو تحقيق الحلم الذي كنت أحلم به، وذلك اننا يجب ان نجلس جانباً ونخلد الى الراحة لنجعلهم يأتون الى اعتابنا الامامية ليلتمسوا منا ان نكون أكثر فعالية.. .

23 حزيران (ب)

يصل فيصل في هذا اليوم الى البصرة. لقد رمينا بزارنا[1] وسترينا الأيام القليل القادمة ما اذا كنا رابحين ام لا.

---

(1) مكعب صغير، يصنع عادة من العاج، وعلى وجوهه الستة تتوزع الأرقام 1 و 2.. الى 6 وهو يستعمل في لعبة النرد.

عشت أمسيةً غريبة يوم الثلاثاء. فقد كان من المقرر ان تغادر زوجة السيد طالب وأولادها الى البصرة في طريقهم الى سيلان حيث يلتحقون به، فوجدت من المناسب حقيقةً ان أذهب الى المحطة لتوديعها. فوافق السر پيرسي وتوجهت الى هناك في الساعة التاسعة بملابس السهرة. وقد سررت لذهابي هذا لأن عدداً من اصدقاء السيد طالب او ممن يفترض انهم اصدقاؤه حضر الى هناك، وكان من غير المناسب لو لم يحضر من يمثل السر پيرسي. وتأكدت من تهيئة ما يلزم لراحتها، ثم انتظرت لأفعل الشيء نفسه بالنسبة لزوجة ولي عهد ايران، لأنه وحاشيته كانوا متوجهين الى الهند وأوربة.. وبعد ان أجريت اللازم مع زوجته وعبيده توجهت الى حفلة الليدي كوكس الراقصة في نادي الرياضيين شمالاً بالقرب من الاعظمية. وكانت الليلة جميلة مقمرة هواؤها بارد، فرقص الراقصون في الخارج.

وتستمر الرسالة بتاريخ 26 منه فتقول:

لقد تركت الكتابة جانباً لأذهب الى حفلة العشاء التي اقامها شيخ الچبايش (سالم الخيون). وكان قد اشترى مؤخراً سيارة غالية جداً فبعث بها لتقلني الى الحفلة. ان اقتران شيوخ العشائر بالسيارات من آخر طراز هو أقتران أجد من الصعب عليّ ان أوطن نفسي له. وللشيخ سالم قابلية غير قليلة وحتى مزيد من الطموح، وهو مؤيد قوي لفكرة الجمهورية، ويعزى ذلك في الدرجة الأولى على ما اعتقد الى اعتقاده بأنه يمكن ان يصبح رئيساً لها ـ أنها فكرة خيالية. وكانت الحفلة لطيفة، لكن الليلة كانت بالغة الحرارة! ان ريحاً حارة محرقة كانت تهب حينما كنا نجلس في شرفة الشيخ سالم المطلة على النهر[*].

(*) كان الشيخ سالم يسكن في دار تقابل بناية المجلس النيابي في جانب الكرخ. وكان هذا المجلس يشغل البناية الكائنة في مقابل السراي عبر النهر.

وافتنا الانباء يوم أمس بوصول فيصل الى البصرة، وباستقباله استقبالاً ممتازاً هناك، فالحمد لله. وقد جاءت الاخبار عن طريق المستر فيلبي، وكان السر پيرسي قد أوفده الى البصرة، بحركة سياسية بارعة، لاستقبال فيصل. ولا يسعني الاّ ان آمل بأن يتغلب فيصل ويعود المستر فيلبي شريفياً متطرفاً.

30 حزيران

أخذت الامور تسير سيراً يثير الاهتمام بدرجة فظيعة - ولأبدأ من البداية. فقد كانت الجريدة المحلية الصادرة يوم الاثنين هي التي نشرت مرة وصف وصول فيصل الى البصرة وصفاً تاماً مهيباً، وأشير الى الخطاب(*) المدهش الذي ألقاه في حفلة كبيرة أقيمت له هناك. وبعد ان قرأت هذا مباشرة جاءني «الوكيل» الذي كنت قد بعثته الى البصرة ليقدم لي تقريراً عن مزية استقباله، فقص عليّ قصةً مشرفة عن وقع هذا الخطاب الذي قال انه اجتذب جميع القلوب الى فيصل. فكان هذا شيئاً يشرح الصدر، ثم مرّ بي في المساء ناجي السويدي ونوري السعيد بعد الشاي فكانت عند ناجي عندما عاد من البصرة قصة زاهرة حول الموضوع. وانصرفنا بعد ذلك الى التحدث عن الخطوات التالية، فاتفقنا على ان فيصلاً لا يمكن ان يبقى هنا ستة أو ثمانية أسابيع، من دون ان يعرف ما سيكون مصيره، ريثما تكون الانتخابات قد انتهت. ولذلك فعلى البلاد ان تعلن عن رغبتها فيه بطريقة من الطرق. وكنت قد بحثت هذا الامر مع السر پيرسي من قبل، لكنني لم أجد نفسي حرة في ان أذكر ذلك لصديقيّ الاثنين، وعلى هذا لم يسعني سوى ان اعطيهما تطمينات

(*) وهو أول خطاب يلقيه في العراق، وكان ذلك بعد ظهر الجمعة المصادف 24 حزيران 1921، راجع الص 232 من كتاب (فيصل بن الحسين) الذين نشرته مديرية الدعاية العامة - بغداد - سنة 1945.

مريحة. غير أننا لا نريد ان يأتي فيصل الى العرش على أثر «انقلاب» يقوم به الوطنيون المتطرفون ـ بل يجب ان نرتب لذلك شيئاً أكثر دستوريةً في صبغته من ذلك.. . وكان المأمول ان يصل فيصل يوم الاربعاء في السابعة صباحاً، فركبنا السيارة أنا والكولونيل جويس(*) الى المحطة معاً، ومررنا بالشارع المؤدي الى الجسر الشمالي. فكانت المدينة كلها مزدانة بأقواس النصر والاعلام العربية، ومحتشدة بالناس في الشوارع وفوق السطوح وفي كل مكان. كما كانت الجماهير المحتشدة تملأ المحطة، وكان الاستقبال فيها قد نظم تنظيماً حسناً اعدت فيه المقاعد في كل مكان، وقد امتلأت كلها بالوجهاء وأعيان البلد وبالسير پيرسي والسر أيلمر (القائد العام) وحرس الشرف وغيرهم. لكننا علمنا هناك ان قطاراً قد خرج عن السكة فسد الطريق ـ ووردت برقية تفيد بأنه قادم بالسيارة، وسيصل في الوقت المعين. فانتظرنا وتحدثنا وتصافحنا جميعاً ـ لقد فعلت ذلك انا على الاقل ـ وتفرجنا على الشبانة العربية، وفي حوالي الثامنة وصل نداء تلفوني يقول انه قادم بالقطار، وقد يصادف وصوله وقت الظهر! غير ان السر پيرسي تولى الامر بنفسه في الحال. لأن وقت الظهر في حزيران لا يمكن ان يكون وقتاً مناسباً تجري فيه حفلة استقبال خارج الابواب.. . ولذلك طلب الى فيصل ان يقضّي اليوم في القطار بحيث يتم وصوله في السادسة بعد الظهر. وهكذا عدنا كلنا الى بيوتنا. وقد عدت انا الى المكتب حيث جاءني نوري في الحال وطمأنني بأن استقبال المساء سيكون أحسن من استقبال الصباح. ثم جاءني الحاج ناجي من البصرة مباشرةً وهو ممتلئ حبوراً. ويعود الفضل في هذا الى الكتاب الذي زودته به ليقدمه الى المستر كورنواليس، اذ تمكن بواسطته من التحدث الى فيصل وكان هو الشخص الذي يريدونه،

(*) لعله الزعيم ب. سي. جويس الذي أصبح فيما بعد مستشاراً لوزارة الدفاع.

وصار كل شيء على ما يرام. . . واذا بالساعة الخامسة تأزف فأتوجه الى المحطة من جديد. . . وفي هذه المرة وصل القطار.

وكان منظر سيدي فيصل منظراً بديعاً، وهو يقف في باب القاطرة بملابسه العربية الكاملة، راداً على تحية حرس الشرف. وقد صعد اليه السر پيرسي والسر أيلمر وحياه كلٌ منهما بغاية اللطف والمجاملة، بينما كان الناس قاطبةً يصفقون ويهتفون. ثم نزل وتفقد حرس الشرف. . . وراح السر پيرسي يقدم له الوجهاء العرب من ممثلي النقيب وغيرهم. وقد اختفيت وراء المستر كورنواليس، لكن فيصلاً لمحني فتقدم وصافحني. وكانت تبيّن عليه امارات التأثر والتلهف، لكن ذلك أسبغ على وقاره الفطري شيئاً أكثر من الجاذبية البشرية. ثم ضاع بين الجموع المحتشدة، فوقفت اتحدث انا والكولونيل جويس الى المستر كورنواليس وكان قد جف ريقه من العطش بحيث لم يستطع الكلام الاّ بالكاد. لكنه قال لنا ان الامور لم تكن تسير على ما يرام حتى الآن، حيث كان الناس منكمشين(*) . . .

وكانت القصة التي سمعوها على طول الطريق ان المندوب السامي يتخذ موقفاً محايداً وان الخاتون وغاربيت يريدان فيصلاً، وان المستر فيلبي يريد الجمهورية. . . وقد ارتبك فيصل بطبيعة الحال ـ واحتار مشككاً في وقوف المندوب السامي بجانبه، واذا كان الامر كذلك فلماذا يتخذ موظفوه موقفاً مغايراً؟ وقد اشتدت حيرته حينما قيل له ان الموظفين البريطانيين الموجودين في البلاد اذا أشاروا بأصبعهم فأن الناس أجمع سيحذون حذوهم. فلماذا لا يشار بالاصبع اذن، اذا كانت

(*) كان ذلك بسبب وجود المستر فيلبي في وكالة وزارة الداخلية وتقصده في مقاومة ترشيح فيصل. راجع الكتيب الذي نشرناه في 1949 بعنوان «أيام فيلبي في العراق».

السياسية الرسمية تقتضي ذلك؟ وقد شرحنا جميع ما وقع، مشيرين الى التأخير الطويل الذي طرأ على وصول الاوامر من انكلترة، وبيّنا كذلك ان موقف السر پيرسي كان موقفاً صحيحاً بالكلية وانه عازم على المضي في الامر الى النهاية.

وحينما توجهت الى المكتب في صبيحة هذا اليوم عرجت في طريقي على السراي، وأعطيت بطاقتي الى مرافق فيصل. فطلب اليّ ان انتظر دقائق معدودة لأن الامير يريد مواجهتي، وكان الوقت قد تجاوز السابعة بقليل، وهو بلا شك وقت مبكر للزيارة في الصباح. فانتظرت قليلاً وانا احدث المرافق غير ان فيصلاً استدعاني عاجلاً فأخذوني الى غرفة كبيرة، ثم جاء مسرعاً واخترق الغرفة بملابسه العربية البيضاء الطويلة وأخذ بيدي فقال (لم استطع ان أصدق بأنك من الممكن ان تساعديني بالمقدار الذي بدر منكِ). وعلى هذا جلسنا على الاريكة، وطمأنته بأن السر پيرسي يقف بجانبه تماماً..

وجاء المستر كورنواليس الى مكتبي بعد ذلك، فأخبرته بأني تشرفت بزيارة فيصل. فقال لي «لقد فعلت حسناً، لانه كان يسمع على طول الطريق ثناءً عليك وكلفني بأن ابلغك رسالةً عنه فيما اذا لم يستطع مواجهتك اليوم. ومفاد الرسالة انه ممتن جداً من موقفكِ.» وقال له جاسوسه الذي بعثه الى البصرة ان الناس كانوا يسألون دوماً: هل الخاتون راضية؟...

وكان الحدث الآخر مأدبة ذلك المساء المقامة في «حديقة مود». لقد كانت حقاً حفلة منسقة تنسيقاً جميلاً، وكان منظر المكان المضاء بالمصابيح الكهربائية منظراً بديعاً.

وقد تحدث فيصل حديثاً مقتضباً بالفرنسية مع السر أيلمر، لكن أكثر الحديث كان يدور بينه وبين السر پيرسي وأنا، كما كنت أنا وعبد

المجيد نتحدث عبر المائدة. وكان يلوح على فيصل انه مبتهج جداً، وكذلك كان السر پيرسي وأنا...

ثم نهض شاعرنا الكبير جميل الزهاوي، وقد حدثتكم عنه في السابق عدة مرات، وألقى قصيدة[*] عظيمة كان يكرر التلميح فيها بفيصل ملك العراق فيقابل بتصفيق الجميع وهتافهم. وتقدم بعد ذلك في الفراغ المعشوشب بين الموائد أحد الشيعة متشحاً بملابس بيضاء وجبة سوداء ومعتما بعمامة سوداء كبيرة. وأنشد شعراً لم افهم منه ولا كلمة. وكانت قصيدته طويلة غير مفهومة على ما اعتقد، ومع هذا فقد كانت شيئاً مدهشاً. فقد كان بهيكله الطويل المتسربل بالملابس المحلية، وانشاده المصحوب بحركات يده، وبخلفيته التي يتلفع فيها النخيل بظلمة الليل خارج الدائرة المضيئة، شيئاً مؤثراً ـ انه شيء ساحر...

لكن الوضع لم يكن سهلا فيما بعد. لأن التقارير أخذت تردنا مفيدة بأن قبائل الفرات الاسفل تقوم بتنظيم عريضة طويلة يطالبون فيها بالجمهورية، وان مجتهدي الشيعة كلهم ضد فيصل. على أني لا اعتقد بصحة نصف هذه الاخبار، لكن المرء يبقى قلقاً عندما يسمعها[*]...

---

(1) كانت بلدية بغداد هي التي اقامت الحفلة، اما القصيدة فمطلعها:

انا محبوك فاسلم ايها الملك ... ومصطفوك لعرش شاءه الفلك

عرش العراق ضمان للعراق وفي ... تأييده الشعب والأحلاف تشترك

ما ان أقامك أهلاً في تبوئه ... الا الأصالة في الآراء والحنك

ومنها:

من هاشم في قريش من ذؤابتها ... حيث الوشائج والأرحام تشتبك

ان اختيارك للتاج المدلّ به ... أمر به الناس كل الناس تشترك

للّه يا فيصل ما أنت مورثه ... للعرب من شرفٍ في شكره اشتركوا

في نهضة برجالٍ كنت ترأسهم ... حينا لتحرير أوطانٍ انسبكوا

(*) يقول البعض ان الشيخ خيون العبيد هو الذي كان يسعى في تنظيم تلك العريضة في المنتفك بايعاز من الانكليز. ولعل هؤلاء الانكليز كانوا من اتباع المستر فيلبي من مثل برترام توماس الذي كان على اتصال بخيون.

وقد استدعيت اليوم أحد شيوخ الفرات البارزين وهو شريفي بحت فتحدثنا في هذا الشأن من جميع وجوهه. وكنت قبل مقابلته قد واجهت جماعةً متنفذة من البغداديين، فكان رأيهم أننا يجب ان نبادر في الحال في انهاء الوضع الذي لا يحتمل الانتظار الى وقت اجراء الانتخابات. فمن الضروري ان ينادى بفيصل ملكاً للبلاد بطريقةٍ من الطرائق. وقد حولتهم على فيصل نفسه، لأني كنت أعلم بأنه قد بحث الامر مع السر پيرسي، وأشرت عليهم بتلقي أوامره. وقد استدعاني فيصل بعد الظهر وأفضى اليّ بآرائه، وكانت مصيبة جداً. واقترحت عليه كذلك بعض المقترحات ليعرضها على السر پيرسي. . . فأخذها وذهب لمقابلته ولذلك أحسب ان أشياء كثيرة ستحدث قريباً. لقد بدأت أشعر بأني لا يمكن ان أحتمل طويلاً! فالمرء في هذه الظروف يجهد جميع اعصابه دوماً ليدفع الامور الى الامام، بالتحدث والتعقيب والكتابة، حتى أني وجدت نفسي أناقش الامور في نومي. وعلى كل فغرفة انتظار فيصل فيها عدد كبير من النوع الصالح من الناس دوماً، ومن المريح ان يشعر المرء انه ـ أي فيصل ـ يستطيع التحدث بمثل هذه البراعة. ويخال لي أنا قد كسبنا بغداد حتى الآن، واني متأكدة تقريباً من أنا قد كسبنا الموصل أيضاً، اما بقية البلاد فسيأتي دورها بالترتيب.

30 حزيران

. . . وبعد ان صافحت فيصلاً في المحطة وقفت أكلم المستر كورنواليس، وكان قد جاء معه. فقال لي ان الامور لم تكن على ما يرام. فقد كان الناس يقفون على مسافة بعيدة، وكان الحكام السياسيون فوق ذلك كله منكمشين وأسوأهم في هذا الشأن المستر فيلبي. ومن حسن الحظ انه اضطر الى النزول في الحلة لحمى ألمت به! وبعد هذا حملت المستر كورنواليس في سيارة ساسون وتوجهنا الى «جسر مود»[1]. ولكن

---

(1) يسمى هذا الجسر، اليوم، جسر الاحرار.

لا تتصوروا أنا وصلنا الى هناك، ففي الربع الأول من الساعة وصلنا الى منتصف الطريق تقريباً، وحينذاك توقفنا في زحمة السير، بينما كان كورنواليس يتحرق عطشاً. فتركنا السيارة ومشينا الى بيت المستر غاربت، وبعد ان تناولنا كثيراً من الصودا جلسنا في الحديقة واخذنا نتحدث لمدة ساعة.

وبينما كنت أتمشى في عتمة الغروب الى البيت حياني أحد السواق بعد أن عرفني، وعرض عليّ أن يقلني اليه. وكانت سيارته هي السيارة الملفوفة بالاعلام والمزينة بالورود، التي أقلت فيصلاً من المحطة! وهكذا أشغلتها بعده فوصلت الى البيت فيها، فكنت موضع عجب خدامي ودهشتهم. وقد أخبرني السائق بأن فيصلاً حينما خرج من المحطة احتشدت الجموع من حوله فاستعجل به الى السيارة. ورأى السائق بعد ذلك رجلاً يتشح بألبسة بيضاء، ويلتحي بلحية سوداء، وهو يبذل جهداً كبيراً في اللحاق به. فساور السائق الهام سماوي بأن فيصلاً يجب ان يذهب الى مقره وحيداً، ولذلك أغلق باب السيارة بشدة وتحرك مسرعاً. اما الرجل - وانا اعرفه بطبيعة الحال - فقد كان يسمى الشيخ أحمد الداود، أحد أكياس الهواء الفارغة في العراق، ومن قادة ثورة العام الماضي، وقد اصبح اليوم موضع سخرية الجميع[1]، فتصوروا اي رفيق كاد يظهر مع فيصل للملأ أول مرة. ثم قال السائق «لم يكن فيصل متأكداً جداً في بداية الامر، ولم يكن بوسعي ان أتقدم في السير. لأن الناس تعلقوا بالسيارة وحالوا بيني وبين الحرس المرافق، لكننا حينما وصلنا الى الشارع الكبير أفسحت الشرطة المجال لنا. فأخذت أسير ببطء كبير،

---

(1) اعتادت الآنسة بيل أن تسب مناوئي الاحتلال، وتنعتهم بأشنع الالفاظ، وهذا موقف لئيم كان الاجدر بها ان تتحاشاه وهي في معرض الذكريات.

ووقف هو في السيارة، وكان الناس يصرخون ويهللون وأخذ هو يحييهم على طول الطريق من «جسر مود» الى السراي ـ لقد كان يبدو مسروراً، وهكذا جاء الى بغداد.

وفي صبيحة اليوم التالي مررت، وانا في طريقي الى المكتب، بالسراي حيث كان يقيم فيصل لأترك له بطاقتين، لكن الامير شاء ان يستقبلني.

جلسنا على الاريكة فأفضى اليّ بشكوكه لكني ارحته منها، وطمأنته بأن السر پيرسي في جانبه تماماً.. وحينما كنت أغادر المكان وجدت الشيخ أحمد الداود قابعاً في غرفة الانتظار.

وفي ساعة متأخرة من فترة الصباح تدحرج داخلاً الى مكتبي الشيخ علي السليمان، أعنف خصم من خصوم فيصل. وقد صارعته في هذا الشأن قولاً وكتابة، فجاء معه الشيخ المهم التالي من شيوخ الدليم. وكان عندي المستر كورنواليس فقدمته له ذاكرة انه ممن قدم مع فيصل. وقد اخبرنا علي السليمان بأنه وصل بالسيارة في تلك اللحظة من الرمادي، وجاء تواً اليّ فقلت له (الى اي مكان آخر تأتي، اذا لم تأت اليّ؟) بمثل هذه اللهجة المبهجة بنينا حديثنا عن فيصل، وقد فاه كورنواليس بأشياء مبعثها البراعة والحذق. وكان علي السليمان قد جاء لمقابلة فيصل.

وتستمر الرسالة بتاريخ 2 تموز، فتقول فيها:

وكانت المناسبة الثانية تلك الحفلة المسائية التي اقيمت في «حدائق مود». لقد كانت حفلة شيقة. غير أني يجب ان أضع قواعد مناسبة للتشريفات تتبع في بلاط فيصل ـ حينما يكون له بلاط ـ لانه ليس هناك أحد يحمل أية فكرة عما يجب ان يتم عمله بعد هذا. وقد وصل فيصل الى الحفلة وصافح السر پيرسي، والقائد، والليدي

كوكس وأنا، ثم أرتد الى الاريكة وأخذ يتحدث اليّ بصفتي الشخص الوحيد الذي كان في متناول حديثه ـ انه لا يتكلم الانكليزية لكنه يتكلم قليلاً من الفرنسية. فشعرت ان الوضع غير مناسب مطلقاً، ولما لم يبادر أحد الى أية حركة سألته عما اذا كان من الممكن ان آتي بالناس اليه، وعند ذاك جئت اليه بالمسز سليتر والمسز غاربت والمستر تود، وبكل من كان حوله الى ان توجهنا الى تناول العشاء. وقد تحدث فيصل قليلاً الى السر أيلمر بالفرنسية، بينما تحدثت أنا مع عبد المجيد الشاوي عبر المائدة. وقد بدا فيصل مسروراً جداً، فشعرت أنا بسرور عظيم، وكذلك السر پيرسي. اما عبد المجيد فقد أخفق في لفت انظار فيصل اليه.

وقد كوّنوا بعد العشاء دائرة تحت النخيل جلس فيصل في وسطها - ثم تركوه. ولذلك ملأت الفراغ من جديد فجئت اليه بالناس حتى استطاع عبد المجيد ان ينتظر نوبته وأخذ يقدم الناس له. غير ان التقديم قد أعاقته الخطابات المملة التي أصر خطباؤنا على القائها. مسكين فيصل، لقد جاء اليّ، حينما استطاع في الاخير ان يحرر نفسه فينهض للذهاب، وقال (لقد كنت معتاداً في سورية على ان أبذل جهدي واتحاشى الخطابات، وأخشى ان يكون الوضع أسوأ بكثير هنا).

7 تموز

. . . وكنت أقرأ الصحف المحلية الاربع كل يوم، وكنت اذا وجدت شيئاً غير مناسب في رأيي أنبه المحررين عنه رأسا او بالواسطة. وقد اضطررت اليوم ان افعل ذلك رأساً، فقد هاجم احد المتحمسين الفرنسيين في سورية مهاجمةً عنيفة فاستدعيته واقنعته بالبرهان بأنه من الافضل ان يترك السوريون وشأنهم. . .

ومما يساعد في كل شيء ان فيصلاً يذهب الى ثلاثة أرباع الطريق.

فقد كان منهمكاً في جمع الاتباع، ومعظمهم يأتي اليّ للتربيت على الظهر الذي اصبحت متعودة عليه. وتزداد دقة ذلك حين يرتجفون وهم على حافة الهاوية، وحينئذٍ أضع امامهم ان السر پيرسي وفيصلاً يعملان يداً بيد ـ اعجب كيف انهم يقتنعون تماماً حين يعلمون ان السر پيرسي هو الذي يصادق على كل شيء. أنه يمسك بالبلاد مسكاً قوياً فوق العادة.

لقد بعثت معظم البلدان ـ أظن أني اخبرتكم بذلك ـ بوفودها للترحيب بفيصل. فأخذت اتبادل الزيارات مع هذه الوفود.. . وأخذ رؤساء الثورة كلهم يأتون واحداً فواحداً لتقديم الاحترامات. وقد جاء أحدهم يوم الثلاثاء فقوبل بتعنيف شديد مني أولاً، ومن السر پيرسي بعد ذلك. على انه تحمل ذلك التعنيف بروحية طيبة وانصرف يقول انه مبتهج بمقابلة السر پيرسي. كما اخذ جميع من قاتل ضدنا من الشيوخ والسادة يفدون أيضاً. ولست بحاجة الى القول بأن معالجة السر پيرسي لهم كانت معالجة ممتازة.. . وفي صبيحة هذا اليوم سنحت لي فرصة استطعت فيها ان افعل ما كان يجب ان افعله، وان أفعل ما يسرني في الوقت نفسه ـ ونادراً ما يقع مثل هذا الجمع. فقد جاء أحد زعماء الثورة، وهو رجل فظيع لا نفع فيه.. . فخاشنته ببرودة خشونةً لم أقابل بها أي أحد من قبل مطلقاً. وقد كان يأمل بطبيعة الحال ان يتسلق راجعاً الى نوعٍ من انواع التقدير والاعتبار بالسماح له في مقابلة السر پيرسي. فجعلته يفهم بوضوح في الحال ان السر پيرسي لا يسعه ان يأذن له بالمقابلة، فرجع يتعثر بأذيال الفشل وكان ذلك شيئاً يشفي الغليل

7 تموز (ب)

عاد المستر فيلبي الى بغداد يوم الاحد ليلاً، وتداول مع السر پيرسي في صباح اليوم التالي. لقد أوعز السر پيرسي له بأن يسلم منصبه

الى المستر طومسن[1]. ان اخراجه يعد شيئاً مفجعاً، لكنه عليه ان لا يلوم الاّ نفسه. فقد أرخى له السر پيرسي حبلاً طويلاً، اذ أوفده الى البصرة لاستقبال فيصل بأمل ان يتفق الطرفان. غير ان المستر فيلبي لم يفعل شيئاً سوى ان يصر على مزايا ابن سعود، وعلى قناعته بأن ما يحتاج اليه العراق هو الجمهورية. وقد أخبر المشاور في الحلة، الميجر ديكسن، بأن يمضي قدماً في جولته بحيث انه تغيب عن الحلة حينما مر بها فيصل. وجاء الميجر ديكسن الى هنا بعد ذلك فقبل فيصل عذره. وقد قطع السر بيرسي، وهو لا يتردد قط في تنفيذ ما يؤمن به،، العقدة بالطريقة الوحيدة الممكنة. ومع هذا فإني آسفة. وذهبت يوم الثلاثاء لزيارتهم، ولأبدي له اسفي فحصلت مقابلة مؤلمة جداً بيننا. اذ انفجرت المسز فيلبي باكية، واتهمتني بكوني كنت السبب في اخراج زوجها من الوظيفة[2]، ثم خرجت من الغرفة. وذكّرته بعد ذلك بصداقتنا الطويلة، كما طلبت اليه ان يعتقد بأني بذلت قصارى جهدي في اقناعه بأنه ليس هناك موظف حكومي يستطيع الافادة من السير بعكس ما تقتضيه أوامر الحكومة. اما كيف استطاع ان يعتنق مبدأ ذلك الوغد طالب[3] ويكاد لا

---

(1) في هذه المقابلة ختم پيرسي حديثه مع فيلبي بقوله: شكراً يا فيلبي، أنا آسف لتعذر عملك معنا ومساعدتنا.

ويقول فيلبي: ثم تبادلنا الحديث بعد ذلك عمن سيخلفني، وكان كورنواليس هو المرشح الافضل، ولكن تعيينه في مثل هذا الظرف، وهو النصير الأول لفيصل، سيفضح الموقف تماماً، فتم القرار أخيراً على تعيين تومسون مساعد مستشار وزارة المالية، وخرجت من مكتب كوكس لاسلمه مهام منصبي فوراً.

(2) يقول فيلبي في هذا الصدد: وقبيل المساء جاءت جرترود بيل، تقول: «جاك.. انا آسفة لسماع هذه الانباء». فردت زوجتي عليها بضراوة قائلة: «كلا.. انك لست آسفة». وعندما خرجت زوجتي من الغرفة، طيبت خاطر جرترود، واعربت لها عن سروري للخلاص من هذا المأزق المزعج.

(3) من تناقضات الآنسة بيل انها هنا تطلق صفة (الوغد) على السيد طالب النقيب (الذي نفاه پيرسي كوكس الى سيلان).. بينما صرحت في رسالة سابقة بأنها ليست مع طالب النقيب ولا ضده. راجع الهامش رقم (1) في صفحة (217).

يصدقه أحد، لكنه حشر نفسه معه على كل حال.

وفي تلك الصبيحة نفسها جاءني الزعيم النصراني في بغداد عبد الجبار باشا (الخياط) مستصحباً معه المتصرف وناجي السويدي ليبدي اننا لا يسعنا ان ننتظر الى وقت الانتخابات، وعلينا ان نستعين بطريقة الاستفتاء من أجل تنصيب فيصل في العرش. لقد كنا كلنا شاعرين بهذا، والشيء الوحيد الذي كان يخشاه فيصل هو وقوع نوع من الانقلاب. ولذلك يجب ان ندبر الامور بحيث نجعل طريقة التنصيب طريقة دستورية بقدر ما يمكن. ان الشطيطة[1] الوحيدة المتيسرة من شكل الحكومة العربية هي النقيب ومجلسه، برغم انهم ليسوا أشباحاً خلقها السر پيرسي. ومع هذا فالحركة التالية يجب ان تأتي عن طريقهم. وعلى هذا الاساس واجه السر پيرسي النقيب فاتخذت الترتيبات اللازمة لأن يبادر المجلس الى سؤاله عن المدة التي يجب ان تجري بعدها الانتخابات. فتأكد السر پيرسي بأننا لا نستطيع إكمال تسجيل الناخبين قبل مرور شهرين على الاقل، وهذه مدة أطول مما نستطيع الانتظار خلالها. وسوف يجيب المجلس بهذا المآل، لكنه سيضيف الى ذلك قوله أننا يمكننا ان نستعين بوسيلة أسرع من عملية الانتخاب اذا ما وافق المجلس عليها. وعند ذاك سيتوجب علينا ان نوعز الى المجلس بما نريد، وهذا ما نتمكن عليه بطبيعة الحال. أني أفضل اجراء انتخاب في هذا الشأن، لكن الانتظار لمدة شهرين هو أطول مما يمكن احتماله، وآمل أننا في وضعنا الحالي المؤاتي للغاية نستطيع ان نجعل البلاد تقبل بكل ما نصادق عليه. لقد سبق للصحافة المحلية ان أخذت تكتب عن الاستفتاء، من دون أيحاء من أحد. انا اعتقد في الحقيقة ـ من دون مبالغة ـ بأني أضع كل شيء الآن في راحة يدي.

---

(1) كلمة عامية بمعنى القطعة الصغيرة من كل شيء.

وقد أخذ قادة الثورة يأتون واحداً بعد آخر لتقديم احتراماتهم. وحضر كذلك جميع الشيوخ والسادة الذين قاتلوا ضدنا. وكلهم يرددون القول بأن السربيرسي لو كان موجوداً هنا لما وقعت الثورة، وهو قول صادق تماماً[1].

الجمعة 8 تموز 1921:

أقام النقيب في الليلة الماضية حفلة عشاء للملك فيصل في بيته المقابل لجامعه الخاص. وكان ضيوفه البريطانيون السر پيرسي وموظفيه، فكانت الشوارع مزدحمة بالناس عندما سارت بنا السيارة الى هناك، فاستقبلنا أفراد أسرة النقيب على الباب، ثم صعدنا سلّمين الى سطحٍ يطل على الجامع كأنه شرفة واسعة. وقد فرش بالسجاد وأضيء بالانوار، كما أضيئت باب الجامع في الجهة المقابلة بالمصابيح وامتلأت المنائر بها. وكان النقيب جالساً مع الوزراء، فنهض مرتعشاً الى الامام بشكله المهيب المؤثر لاستقبال السر پيرسي. اما بقية المدعوين، وأظنهم كانوا يبلغون المئة، فقد كانوا تحتنا في الطارمة المكشوفة المحيطة بباحة الدار من جهتين في الطابق الأول منها. وحينما كنا نحتسي القهوة ونتحدث هب هواء محرق جاف، وبينما نحن في هذه الحال دوى التصفيق في الشارع مشيراً الى وصول فيصل. فنهض النقيب ومشى مستنداً الى طبيبه الخاص على طول المسافة المفروشة بالسجاد حتى وصل الى رأس السلم، وحينذاك بانت قامة فيصل المتشحة بألبسة بيضاء. فقبل أحدهما الآخر على الوجنتين، كما يقتضيه العرف، ثم مشينا الى نهاية السطح حيث كنا نقف بأجمعنا. وقد جلس فيصل بين النقيب والسر پيرسي، وبعد دقائق معدودة أعلن عن العشاء. فنزل فيصل والسر پيرسي والقائد

---

(1) وهو كاذب تماماً، لأن الثورة كانت محتومة، ولا بد لها ان تقع.

العام وأنا، ثم نزل النقيب بعدنا مستعيناً بخادم من كل جانب. وكانت مائدة العشاء الطويلة قد صفت في الطارمة المكشوفة، فجلس فيصل على كرسي الشرف في مقابل النقيب والى جانبيه القائد العام وأنا. . . وكان منظر حفلة العشاء تلك منظراً مدهشاً، بالالبسة المحلية الفضفاضة والبزات الرسمية وجيش الخدم، المربين كلهم في بيت النقيب، وبالروعة الاصيلة والروحية التي كانت تساور المرء هناك حينما كان يشعر بحرارة الليل المحرقة. وعلى كل فقد كنا نصنع التاريخ بأحسن ما كان عندنا من مقدرة. . .

لكنكم يجب ان تثقوا بشيء واحد ـ انني سوف لا اشترك في خلق الملوك وتنصيبهم بعد هذا، ان ذلك لجهد عظيم[1].

وحين عدت بالسيارة مع السر پيرسي الى البيت كان كل منا يشعر بأننا طفرنا مانعاً آخر، لكننا اتفقنا على اننا نعمل في بلاد قوية الشكيمة جداً صلبة العود.

قضيت صبيحة هذا اليوم كما أقضي صبيحة أي يوم آخر في المكتب ـ انها صبيحة تبتدئ في السابعة وتنتهي في الواحدة والنصف. وكان فيصل هناك مختلياً بالسر پيرسي حتى قبل ان اصل الى المكتب انا. . . وبعد الغداء حرر السر پيرسي والمستر غاربيت وأنا مسودة الكتاب[*] البالغ منتهى الدقة الى مجلس الوزراء، وبعد الثالثة مباشرة

---

(1) لم تترك الآنسة بيل ـ بهذا القول ـ غروراً لاحد، ويبدو انها مصابة بالغرور المزمن!!

(*) انه على الارجح كتاب سكرتير المندوب السامي المرقم سي دي 1631 والمؤرخ في 8/ 7/ 1921، ويشرح فيه الاسباب المؤدية الى تأخر المندوب السامي في الموافقة على قانون الانتخاب، الذي يجب ان يصدر تمهيداً لجمع المجلس التأسيسي. وكانت أهم الاسباب تأخير البت في قضية المناطق الكردية، وتنفيذ معاهدة سيفر.

جئت الى البيت، ثم ذهبت الى دار فيصل في الرابعة وفي حقيبتي خرائط العشائر لألقي عليه درساً في الجغرافية العشائرية. وقد حضر المستر كورنواليس كذلك. وكان محل جلوسنا هناك بارداً، لاننا جلسنا في غرفة كبيرة سقفها من الطُوق (عقادة) وارتفاعها ينخفض نصفه تحت الارض. وهكذا قضينا ساعة ندرس شؤون القبائل ونشرب «الليمونادة»، ثم قضينا ساعة أخرى نبحث في تشكيل وزارة فيصل الأولى، وفي فكرته الممتازة جداً بتشكيل مجلس يشبه «مجلس شورى الملك»[*] ويتألف من أعيان الناس وغيرهم...

وجاءني في اليوم التالي عزت باشا[**] (الكركوكي) ملتمساً مواجهة السر پيرسي فأدخلته عليه في الحال.. وقد جاء يخبر السر پيرسي بأنه واجه فيصلاً، وبوسعه ان يأتيه برؤساء الاكراد في وقت يرغب فيه السر پيرسي.. وكان من جملة ما قاله لي (خاتون، لقد واجهت الولاة والسلاطين والقواد من قبل، لكني لم أرَ حتى الآن مثل السر پيرسي، أني أرضى بكل شيء يرشدنا اليه). وهو مصيب في قوله هذا، اذ يعتبر السر پيرسي بسهولة أحسن من معدل الولاة لكن قناعة عزت بأنه أحسن من كل أحد غير قابلة للخطأ. الا يعد مركزه مركزاً غير اعتيادي لكل من يتولاه؟ فالبلاد كلها تنتظر كلمته وماذا كان بإمكاننا ان نفعل من دونه؟...

أتوقع بثقة ان قبائل الهندية ستنصاع لنا في هذا الاسبوع، فأنهم يحجمون الآن عن اتخاذ أية خطوة قبل ان يستشيروا من يعرفونه منا..

(*) كانت هذه الفكرة موجودة قبل ان يبت نهائياً في تشكيل مجلس اعيان عند النظر في وضع الدستور.

(**) وزير الاشغال العامة.

8 تموز[*] (ب)

.. كنت مسرورة لأن الفرصة سنحت لي في اجراء حديث ممتع مع فيصل، ولكني سلمته بعد مدة الى السر أيلمر ودخلت في حديثٍ مع عزت (پاشا الكركوكي). وفي منتصف الحديث أدار عليّ عيونه الهرمة الهازلة وأخذ يقول: (لماذا جئتم بهذا الرجل؟)، وكانت لحظة مناسبة لحديث صريح فقلت له هل تريد جواباً؟ لقد جئنا به لأنه أفضل عربي في زمانه، فهل يكفيك هذا؟ فرد عزت يقول: (بلى، انه يكفي). وتكلمنا بعد ذلك عبر المائدة مع النقيب والسر پيرسي. لكنني علمت ان عزت پاشا جرى له حديث طويل مع فيصل في صباح هذا اليوم، ويعتقد فيصل بأنه قد كسبه الى جانبه. فأذا تم ذلك يكون قد كسب كركوك نفسها. وفي أواخر الحفلة ألقى أحد خطبائنا المفوهين خطاباً قصيراً ممتازاً وأعقبه بشعرٍ أقصر وأحسن، ينطوي فحواه على ان تكاتف النقيب والامير قد ضمن مستقبل العراق. وكان كل بيت شعر ينتهي بجملة فاتنة حول الوقوف في بيت النقيب وبين يدي فيصل. وقد جلس النقيب منحنياً وهو يبدو كأن عمره عدة قرون، وكان يعلق بقوله بين حين وحين «اجدت، اجدت». أظن انه كان ينوي ان يقول شيئاً في الحفلة، لكن فيصلاً عديم الصبر في الجلوس بعد تناول العشاء، وبعد ان اديرت أكوام الفاكهة على الجالسين نهض واقفاً فضاع ما كان يمكن ان يقوله النقيب الى الابد لسوء الحظ. وعدنا بعد ذلك الى شرفتنا العالية ورتبنا أنفسنا في المقاعد، فجلس النقيب الى جنب فيصل وجئت بشيخٍ هرم آخر ذي قدسية مماثلة تقريباً ليجلس في جانبه الآخر، ثم جلستُ أنا الى جنب هذا الرجل لأساعد في تسهيل الحديث. لكننا لم نتمتع طويلاً بهذا، فقد ذهب فيصل تشيعه الجموع المحتشدة بالتصفيق، وترخصنا كلنا للذهاب.

(*) تشير هذه الرسالة الى بعض ما حدث في حفلة العشاء التي أقامها النقيب لفيصل في مساء يوم 7 تموز.

16 تموز

.. ان عربة السياسة تسير الآن على عجلات زيتت بزيتٍ مائع جداً، وان فيصلاً والسر پيرسي يصيبان نجاحاً عظيماً. ففي يوم الأثنين المصادف 11 منه قرر مجلس الوزراء، باقتراح من النقيب.. . قراراً(*) جماعياً ينادي بملوكية فيصل، وكلف وزارة الداخلية باتخاذ الترتيبات اللازمة لذلك. وكنت في تلك الليلة، وانا اتناول العشاء وحدي، أشعر بتلهف في هذا الشأن ـ أظن ان الحرارة هنا تجعل المرء بحالة غير اعتيادية. ولذلك يمكنكم ان تتصوروا شعوري حينما ذهبت الى المكتب في صباح اليوم التالي، وعرفت بهذا النبأ من السر پيرسي في اللحظة التي وصلت فيها. وقد أضاف قائلاً انه يشعر بأن هذا العمل، مع كونه مستحسناً يعد عملاً ناقصاً يجب علينا ان نجري استفتاءً عاماً حول الموضوع لنبرهن على ان فيصلاً تدعمه في الحقيقة أصوات الشعب. وعند ذاك خابرني أحد مرافقي فيصل تلفونياً طالباً مني الحضور. فوجدت فيصلاً منشرح الاسارير ـ بخلاف ما وجدته فيه عند أول زيارة زرته فيها، في الصباح الباكر الذي تلى يوم وصوله الى البلاد. لكنه كان مصراً بشكلٍ جدي على الحاجة الى الاستفتاء بواسطة وزارة الداخلية، فتمكنت من تطمينه بأن ذلك يتفق تمام الاتفاق مع رغبة السر پيرسي.. . وكان المنظر في داخل غرفة الانتظار منظراً ساراً ـ فقد كانت تغص بوجوه بغداد، وبالشيوخ من جميع أنحاء العراق. ثم عدت لأقدم تقريراً الى

(*) وفيما يأتي ندرج القرار المذكور (البيعة):

.. . فقرر مجلس الوزراء بناءً على اقتراح فخامة رئيس الوزراء (النقيب) باتفاق الآراء المناداة بسمو الأمير فيصل ملكاً على العراق، ويشترط ان تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون. وقرر ايضاً باتفاق الآراء ابلاغ هذا القرار الى وزارة الداخلية لتذيعه في جميع الدوائر الحكومية الرسمية، ولأجراء ما يلزم.

السر پيرسي عن زيارتي هذه. والظاهر ان الشيء الذي كنا ننتظره أصبح في طريقه نحو التكامل. ويقوم السر پيرسي وفيصل حالياً بتأليف حزب شريفي يضم اليه جميع الصلبين والمعتدلين من الناس.. . وقد لعب فيصل دوره ببراعة، فأنه كان يسيّر اتباعه المتطرفين في حماستهم بحنكة تثير الاعجاب...

ان دائرتنا تعج خلال الدوام بشيوخ القبائل. وقد كانوا في هذا اليوم يجلسون بصفوف على الارض تحت مظلة الساحة، لأنهم جاءوا لمواجهة فيصل وتقديم احتراماتهم للسر پيرسي ولي بالمناسبة. اما الشيء الذي جاءوا يستطلعونه فيما اذا كان فيصل يحوز على تأييد ناله أم لا؟ وقد علموا ذلك مني أولاً ومن السر بيرسي بعد ذلك، أحسب انهم كانوا ينصرفون وهم راضون منا. وقد كان هذا الاسبوع اسبوع شيوخ الفرات، لكن الاسبوع القادم سيكون أسبوع دجلة. لقد دعا فيصل في هذه الليلة خمسين منهم للعشاء.

وتكون حفلات العشاء في هذا المناخ حفلات متعبة في الحقيقة. فقد أقام السر پيرسي وعقيلته يوم الاربعاء حفلة من هذا القبيل لفيصل فكنت مرتاحة فيها، وكنت أجلس بجنب مارشال الجو السر جون سالموند، وكان قد طار من القاهرة الى هنا بتسع ساعات، وهو يقول أنه لم يعان في السابق الضيق الذي عاناه هذه المرة في مثل هذا الانتقال السريع من جو مصر المعتدل الى منطقتنا المتلظية بالحرارة...

16 تموز (ب)

في يوم الاثنين 11 تموز صدع مجلس الوزراء للامر، باقتراح من النقيب، وقام حتى بأكثر مما كنا نتوقعه منه. فقد نادوا بفيصل ملكاً على العراق بالاجماع، وكلفوا وزارة الداخلية باتخاذ الترتيبات اللازمة لذلك.

يتذاكر السر پيرسي وفيصل فيما بينهما بتشكيل حزب شريفي جديد

يتألف من جميع المعتدلين المتينين، اما الحزب الشريفي القديم الذي أضرم نيران الثورة (العربية) فهو يغطس في خمول ذكرٍ نزيه، وسيبقى مغموراً تحت كره الجميع وارتيابهم. فقد قام فيصل بدوره، وقاد أتباعه المتحمسين بتعقل يثير الاعجاب. وفي حفلة كبيرة أقيمت يوم السبت الماضي في احدى مدارس الشيعة الاهلية (*) نادى به أحد الحقوقيين، ممن كان منفياً الى هنجام مؤخراً، باسم جميع أفراد الاسرة القانونية على ما يدعي، ملكاً للعراق. غير ان فيصلا اعترض عليه في الحال، وقال له أنه لم يأت الى العراق ليفرض نفسه عليه، وانه يرى ان الفرصة يجب ان تتاح للشعب ليقرر فيما اذا كان يريده أم لا. أعتقد بأنه قد ربح بخطابه هذا أكثر مما ربح بأية وسيلة اخرى منذ ان وطأت قدماه أرض البصرة.

على اننا لم نتخلص من المشاكل تماماً. فقد وضع أتباعه المتحمسون، بتحريضٍ من السيد محمد الصدر على ما اعتقد، صيغة مبايعة تنطوي على كثير من ذكر (العراق المستقل الحر حريةً مطلقة). ومضوا يديرونها على الناس للتوقيع. والمهم انها يجب ان تؤخذ الى الالوية بأيدي اناس بغداديين ليوقعها الجميع من الشيخ الكبير الى الرجل الفقير. ولابد من ان تكون هذه الضرورة قد خلقت مشكلة خطيرة لهم. لأن الالوية تضمر الكثير من عدم الثقة بالبغداديين ومن المحتمل جداً ان يرفض التوقيع على مضبطة غير رسمية ليس فيها أي ذكر لبقائنا المستمر في البلاد. وجاء في أثره عمران الحاج سعدون رئيس بني حسن وعدد آخر من الناس، وكلهم يسأل عما اذا كانت هذه المضبطة قد أرسلت برضاءٍ منا، وعما اذا كانوا ملزمين بتوقيعها. على ان المسألة قد رويت كما يجب: فقد دعا فيصل ناجي السويدي مساء أمس وطلب اليه

(*) حصل هذا في الحفلة التي اقامتها المدرسة الجعفرية الاهلية، اما الحقوقي المشار اليه فهو ابراهيم ناجي المحامي على ما يفهم من خطاب فيصل في الحفلة نفسها.

إيقافها، وفي اجتماع عقد في صبيحة ذلك اليوم بينه وبين السر پيرسي تقرر ان يقوم مستشار الداخلية ـ المستر طومسن ـ بتأليف لجنة صغيرة في الحال من أناس مثل مجيد الشاوي(أدخل فيها ناجي السويدي ببراعة لأنه هو الذي كان قد وضع الصيغة الرسمية) لتنظيم صورة مضبطة رسمية تنشر في البلاد كلها بواسطة المتصرفين والقائمقامين. ولذلك تمكنت من صرف زواري المستفسرين بعد ان طمأنتهم، وقلت لهم بأن ينتظروا الى حين وصول المضبطة الحقيقية اليهم. وعلى هذه الشاكلة سوّينا مشكلة اخرى.

ومن المهم ان اذكر ان الكماليين حالما سمعوا بأن فيصلاً قادم الى العراق قد بدأوا ببث دعاية حامية في صالح مرشحهم الشيخ أحمد الادريسي، السنوسي[1]. وكان اول ما سمعنا بهذا من رجلٍ موصلي جاء الى المستر نولدر بوثيقة تدعو العراقيين جميعهم ان يقسموا يمين الولاء للسنوسي. وجاء الخبر الآخر من رجلٍ يلقب بلقب (نقيب سامراء) كان مع الاتراك منذ سنة 1918 م وعاد مؤخراً الى البلاد. ان له سمعةً شريرة لكني أرجح تصديقه. فقد قال لي ان الاتراك طلبوا اليه ان يأتي بأوراق البيعة هذه، وانه قد رفض ذلك، مع انه ذكر أسماء أناس آخرين قبلوا بالتكليف. ومن الصدف ان يأتي رجلٌ آخر في اليوم ذاته الى جعفر پاشا فيسلمه ثمانين نسخة منها، ويطلب اليه ان يسلمها الى فيصل! والظاهر ان السنوسي لم يكن يلاقي نجاحاً يذكر، وان ما يحدث في هذا الشأن هو نفس ما نريده نحن بالذات، وهو ان وجود فيصل من شأنه ان يقضي قضاءً مبرماً على الدعاية التركية. فليس هناك أحاديث عن الاتراك في

---

(1) هو احمد الشريف بن محمد السنوسي (1867 ـ 1933). قاتل الايطاليين حين اعتدوا على طرابلس الغرب وبرقة في حربهم مع الدولة العثمانية وحين قامت حركة مصطفى كمال والاها وناصرها... ولكنه في نهاية الأمر اتهمته السلطات التركية بالاتصال ببعض آل عثمان وأوعزت اليه بالخروج من تركيا.

المقاهي هذه الايام، انهم يتكلمون عن خطاب فيصل الاخير وعما اذا كان سيتم الاستفتاء أم لا.

ان مجرد اقدام الناس النافرين مثل نقيب سامراء على التقرب، أو ارسال رسائل الى فيصل يسألونه عما اذا كان بوسعهم ان يعودوا الى البلاد، يعتبر شيئاً مرضياً. فالظاهر أنهم لم يبق عندهم كثير من الثقة بالمشروع السنوسي التركي. ويقوم فيصل بالبت في مثل هذه الطلبات بأحسن ما يكون من اللباقة. فهو يقول للمرسلين اليه ان الخارجين على القانون الذين بعثوا بهم عليهم أولاً ان يستحصلوا عفو الحكومة، ومن ثم يبعث بهم الينا. فأراهم أنا بدوري، واستحصل أوامر السر پيرسي في الموضوع، ثم اعلم فيصلاً بأن عليه ان يخبرهم بأن يأتوا فيواجهوا السر پيرسي. وعلى هذا الاساس يحصل على المنة والشهرة، ونؤمن نحن حقوقنا المشروعة!

لقد ترتب علينا ان نذهب كلنا في يوم 14 تموز(*) الى الحفلة الراقصة التي اقامها القنصل الفرنسي. وكانت حفلة مؤنسة لأنهم رووا قصصاً عربية لطيفة. لقد تلقى القنصل الفرنسي تعليمات من حكومته تشير عليه بأن لا يبدي أي التفات لفيصل! وسيكون الامر صعباً عليه نوعاً ما حينما يصبح فيصل ملكاً.

الى الكولونيل بلفور

17 تموز

أرى لزاماً عليّ أن اخبرك عن اصدقائنا كلهم. فان عبد المجيد الشاوي يزور فيصلاً في صبيحة كل يوم. وهو يأتيني في أغلب الاحيان،

(*) انه يوم سقوط الباستيل، او سقوط الملكية، في الثورة الفرنسية الكبرى، ويحتفل به الفرنسيون رسمياً كل سنة.

وسرعان ما يخرج ساعته باهتمام ويبادرني بقوله (خاتون، انا مضطر لأن أترخص منك لأن الوقت قد حان لأخذ أخبار المدينة الى سموه). وكثيراً ما يجد هناك فخري جميل جالساً في غرفة الانتظار منتظراً وقت المثول بين يديه. ويعتبر الشيخ أحمد الداود مضحكة المكان هناك. فهو يجلس بصورة مستمرة على عتبة فيصل، وينهض في كل مناسبة فيقسم يمين الولاء له مردداً قوله (بصفتي مندوباً عن الشعب). ولابد من أنه قد فعل ذلك خمسين مرة حتى الآن. غير أنه لا فيصل ولا أي شخص آخر يبدر منه أقل التفات اليه. وفيصل مشمئز من السيد محمد الصدر (!)، وهو يقول عنه انه يعمل من أجل نفسه فقط، ولا يمكن ان يستفيد منه مطلقاً. على انه ما يزال يعامله بعناية واعتبار لانه ما زال له شيء من التأثير والنفوذ. ولقد اتخذ يوسف السويدي لنفسه لقب أمير (!) وكتب ذلك على بطاقاته، وفي اعتقادي انه فعل ذلك احتجاجاً على المقعد الخلفي الذي يجد نفسه محشوراً فيه. ويتقاطر علينا الشيوخ في كل يوم. فقد جاءني الفرات كله في الاسبوع الماضي، وستأتي دجلة في هذا الاسبوع.. وأقول لك بالمناسبة ان طالبا (السيد طالب) لم يكن سكراناً حينما فاه بخطابه المعهود، لقد تمرن على القائه قبل الحفلة.

20 تموز

.. ان معكر صفو السلم هو السيد محمد الصدر، وهو عالم طويل القامة، أسود اللحية، ذو تقاسيم شريرة، قفز الى الظهور البغيض بصفته رئيس المحركين خلال الاضطرابات. وقد كان يعامل في تلك الايام المجنونة كما يعامل رجل الدين. فقد كان الشيعة يقبلون أردان من يمسكون يده، فحاولنا اعتقاله لكننا أخفقنا، اذ فر هارباً من بغداد وأخذ يدور في انحاء البلاد ويسري شره فيها كما يسري لهيب الحرب، ويهيج القبائل. وحينما انتهت اللعبة في الاخير هرب مع سائر السادة وشيوخ العشائر عبر البادية الى مكة، وعاد الى البلاد بمفعول العفو العام مع

فيصل. وكان في نيته ان يكون الرجل الثاني بعد فيصل، اذا لم يكن فيصل هو الثاني بالنسبة له، لكنه يجد نفسه الآن مبعداً الى منزلة المغمورين نسبياً. ولم أقابله منذ ان عاد الى هذه البلاد حتى الآن. لكن حفلةً كبرى أقيمت في هذا المساء بمناسبة افتتاح «مدرسة الضباط»، أي (ساندهرست)[1] الجيش العربي هنا. فوصلت اليها متأخرة تقريباً، وكان أول شخص وقع نظري عليه فيها السيد محمد الصدر وهو جالس بجنب السر پيرسي في احد المقاعد المحجوزة للشخصيات الكبيرة. وقد نظر نظرة عبوسة اليّ حينما ألقيت تحيتي. ولم يكن هناك أحد يعيره أقل التفات.

20 تموز (ب)

حقا ان هذه الايام مفجعة بالحوادث، وعليّ ان أدونها بسرعة قبل ان يطغى انطباع احداها على الاخرى.. فقد أقامت الطائفة الاسرائيلية يوم الاثنين حفلة استقبال فخمة لفيصل في دار[*] الحاخام الاكبر الرسمية. وكنت أنا والمستر غاربيت وعقيلته نمثل «المقيمية»، وجاء بصحبة الامير كذلك المستر كورنواليس. وقد أقيمت الحفلة في السابعة والنصف مساءً في ساحة الدار الكبيرة ـ انها ساحة مربعة الشكل تحيط بها الدار ذات الطابقين. وكانت تملؤها صفوف المقاعد التي كان يشغلها الوجهاء، والحاخامون اليهود بعمائمهم أو شالاتهم الملفوفة، والمسيحيون البارزون، وجميع الوزراء العرب، وجميع المسلمين البارزين تقريباً ومن بينهم بعض العلماء بملابسهم البيض وجببهم السود. وكانت الساحة مسقفة بسرادق، والطارمات مزدانة بالاعلام والالوان العربية، وممتلئة بأطفال المدارس اليهودية. كما كان النساء يتفرجن من

---

(1) هي الكلية العسكرية الملكية في لندن.

(*) يقول العارفون ان الدار كانت في ضمن كنيسة مير الياس في الشورجة، وان الحاخام الاكبر المشار اليه كان الحاخام موشي شماش.

الشبابيك العليا. وقد أجلسوني الى يمين الكرسي المخصص لفيصل وحينما حضر فيصل صفق الناس والمحتفلون تصفيقاً مدوياً، ثم جلسنا كلنا نستمع الى ثلاثة عشر خطاباً ونشيداً يتخللها تقديم شراب الليمون المثلج والقهوة والشاي و «الكيك» مع سائر المرطبات! فاستغرق ذلك كله ساعتين في تلك الحرارة المحرقة... وكانت هيئة الحاخام شيئاً مدهشاً، كأنه من شخصيات الرسام «جنتايل بيلليني»[1]. كما كانت الخطب مهيأة من قبل كلها... لكنها كانت شيئاً يثير الاهتمام، لأن المرء يستطيع ان يستدل منها على المجهود العقلي المؤدي اليها، وعلى قلق اليهود من ان يؤول تأسيس حكومة عربية في البلاد الى الفوضى، وعلى اطمئنانهم التدريجي المتأتي عن موقف فيصل المتساهل. ثم جيء ب (لفائف الشريعة اليهودية) في اسطوانات الذهب، فقبلها الحاخام الاكبر أولاً وقبلها فيصل من بعده، وقدموا له بعد ذلك نسخة مصغرة مذهبة طبق الاصل من الواح الشريعة، ونسخة مجلدة تجليداً جميلاً من التلمود. فحدثته هامسة بأملي في ان يقوم بالقاء خطاب بهذه المناسبة. فأجابني بانه لم يكن يقصد ان يتكلم كثيراً، لكنه يرى انه يجب ان يفعل ذلك، ثم أضاف يقول «انتِ تعرفين اني لا أتكلم كما يتكلمون هم، وأنما أفضي بما يتكوّن في فكري فقط». وقبل ان تنتهي الحفلة نهض فألقى خطابا[*] شيقاً حقاً، فقد كان خطابا مستقيماً فصيحاً... وبذلك أحدث انطباعاً حسناً جداً.

وقد ابتهج اليهود بتأكيده على كون اليهود والعرب من عنصر واحد، كما ابتهج جميع اصدقائنا... بالدرجة نفسها لانه أشار الى المؤآزرة البريطانية.

---

(1) من عائلة فينيسية معروفة اشتهرت بالرسم هو Gentile Bellini (1429 ـ 1507). كان الرسام الرسمي لدولة البندقية. اشتهر برسم الاشخاص والموضوعات الدينية.

(*) نجده في كتاب «فيصل بن الحسين» الذي نشرته مديرية الدعاية العامة 1954 م.

24 تموز

بعث فيصل يطلبني فجرى حديث طويل بيننا. سألته عن زوجته، وهي ابنة عمه، وقلت له اني أرى انها هي أيضاً يجب ان تشجع على ان تجعل لها منزلة خاصة وبلاطاً. وكان خجلاً بالنسبة لها ـ انهم يخجلون دوماً حينما يأتي ذكر نسائهم، ويعتقدون بأنهم أجهل من ان يبرزن للناس، لكونه وافق على ان نبدأ ببدايةٍ ما في هذا الاتجاه.

27 تموز

انا مسرورة غاية السرور من السير الذي تسير فيه الامور حالياً، واشعر كأني في حلم.. فقد أخذ جميع الاشخاص ممن لهم وزن يتواردون على فيصل، اعتماداً على تكفلنا به، وهناك شعور عام بأن اختيارنا كان في محله حينما أوصينا به.

فاذا ما صار بوسعنا ان نخلق من الفوضى نوعاً من النظام والسكينة، فما أثمن ذلك لقد خفت وطأة الحرارة، وهبطت درجتها الى حوالي 115 درجة مئوية وذلك شيء محتمل. أما أنا فعلى خير ما يرام.

31 تموز

سأقص عليكم حكاية ما نفعله في يومنا هذا. ان ما يطغى على كل شيء آخر الاستعراض الذي حصل في الرمادي. فقد توجهت مع فخري جميل زاده الى هناك في الساعة الرابعة صباحاً، لكن فيصلاً كان قد سبقنا بمدة وجيزة. فلحقنا به في خان النقطة[1]، الواقع في منتصف الطريق الى الفرات، وهناك ترخصت منه في أن أسبقه لكي أتمكن من تصويره عندما يصل الى الفلوجة. وكانت قد نصبت في خارج تلك البلدة

(1) لا يزال هذا الخان قائماً، وهو يقع بين بغداد والفلوجة، واشتهر باسم خان ضاري فيما بعد.

خيمتان كبيرتان في العراء واحتشد جمع غفير من خيالة العشائر في مسافة أميال عدة، كما وقفت على جانبي الطريق عند مروره... ثم مررنا بالفلوجة، وكانت ترفل بمعالم الزينة وتغص بالناس. وقد اصطف رجال القبائل من الفلوجة الى المعير كذلك بمسافة ستة أميال تقريباً ـ واحاطت خيالتهم بسيارة فيصل وسارت وراءها (كنت وراء سيارته مباشرةً) في وسط غيوم كثيفة من الغبار الثائر...

وفي حافة بادية الشام المنحدرة احتشد رجال عنزة المقاتلون، خيالتهم وهجانتهم، تتقدمهم راية القبيلة الكبرى. فوقفنا لتحيتها عندما مررنا بها. ثم جاء علي السليمان رئيس قبائل الدليم، وأحد رجالات العراق المشهورين، لاستقبالنا من الرمادي. وكان بريطاني النزعة بشدة وتعقل...

وتوجهت سياراتنا بعد ذلك الى ضفة الفرات، حيث كان علي السليمان قد نصب خيمة هائلة يبلغ طولها مئتي قدم تقريباً، وقد نصبت في صدرها منصة وسقفت بقماش الخيم كما زينت أطرافها بأغصان خضراء غضة. واصطفت في خارجها هجانة الدليم وخيالتهم تتقدمهم الراية التي كان يحملها عبدٌ منتصب فوق جمل ضخمٍ أبيض. اما في داخل الخيمة فقد كان رجال القبيلة يجلسون بخمسة او ستة صفوف من المنصة الى نهاية الطرف المقابل. وجلس فيصل فوق الديوان العالي وعن يمينه فهد الهذال، بينما قمت أنا والميجر يتس بجلب الناس للجلوس عن شماله ـ الناس الذين كنا ننوي انه يجب ان يتحدث اليهم. وكان فيصل على غاية ما يكون من الانشراح، ولا غرو فهو رجل عظيم من رجال القبائل يحل بين قبائل معروفة، وسني عظيم بين السنة، على ما وجدت نفسي أفكر به[1]... وكان يشعر كأنه في بلاده الاصلية مع اناسٍ

---

(1) انها دائماً مشغولة الفكر بالتمييز الطائفي!!

يألفهم ويعرفهم، ولم اره في منظر بهي مثل هذا من قبل. فقد كان يلبس ملابسه البيضاء المعتادة من فوقها عباءة سوداء ناعمة، ويضع فوق رأسه كوفية بيضاء فضفاضة، وعقالاً مزيناً بنسيجٍ فضي. وأخذ بعد ذلك يتحدث وهو منحنٍ الى أمام على الطاولة الصغيرة الموضوعة بين يديه، ويرفع يده فيضرب بها الطاولة بين حين وحين ليؤكد على أقواله. وكان الناس في نهاية الخيمة بعيدين عنه بحيث لم يستطيعوا سماع ما يقول، فدعاهم الى الدنو منه وجلسوا على الارض في اسفل المنصة بصفوف متعاقبة، وقد بلغ مجموعهم أربعمائة او خمسمائة رجل. وكان يتكلم بلسان البادية العظيم، وبصوتٍ رنان فخم ـ ليس هناك لغة تدانيها. وكانت لهجته وهو يتكلم كأنه شيخ من شيوخ العشائر يتحدث الى أتباعه. فقال (لقد مضت عليّ أربع سنوات لم اجد نفسي خلالها في مثل هذا المكان أو بين صحبةٍ مثل هذه) ـ ومن هذا تجدون كيف انه كان ملتذاً بالحديث. وبيّن لهم بعد ذلك كيف سينهض العراق بجهودهم وهو على رأسهم، ثم قال «ايها العرب، هل انتم على وئام بعضكم مع بعض» فردوا عليه بصوتٍ عال يقولون «بلى، بلى، نحن على وئام» ومضى يقول «ومن هذا التاريخ ـ في اي يوم نحن؟ وأي ساعة؟» فاجابه بعضهم بذلك، ثم استطرد يقول «اعتباراً من هذا اليوم الخامس والعشرين من تموز (لقد ذكر التاريخ الهجري) وفي الساعة الرابعة من الصباح (كانت الساعة 11 زوالية) سيكون كل من يرفع يده من أفراد العشائر ضد آخر منهم مسؤولاً أمامي ـ أنا الذي سأحكم بينكم وأدعو شيوخكم الى الاجتماع. فان لي حقاً عليكم بصفتي سيدكم. فقاطعه رجل ذو لحية تطرق اليها الشيب بقوله «وحقوقنا نحن!»، فرد عليه فيصل يقول «ولكن كرعايا حقوقكم التي يتحتم عليّ ان احافظ عليها». وهكذا استمر حديثه، وكان يقاطع بين حين وحين بصرخاتهم«بلى بلى، موافقون، بلى والله». وكان هذا الاجتماع يضارع اجتماعات القبائل العظيمة في ايام الجاهلية قبل عهد

النبي (ص)، يوم كان الشعراء ينشدون قصائدهم الخالدة، وقد بقيت حتى يومنا هذا، فيقاطعهم الجمع المحتشد بعد كل بيت بقوله «حق والله حق».

وحينما انتهى من خطابه وقف كلٌ من فهد وعلي السليمان وقالا «اننا نقسم بالطاعة لك، لإن الحكومة البريطانية قد رضيت بك». فأصاب فيصلاً شيء من الانذهال، ثم نظر الي بسرعة وابتسم، ورد يقول: «ليس من شك في علاقتي بالبريطانيين، لكننا يجب أن نحسم أمورنا فيما بيننا». ونظر اليّ ثانيةً غير أني شبكت كفّي سويةً وأريتهما له دلالة على اتحاد الحكومتين العربية والبريطانية. وكانت تلك لحظة خطيرة، يقف فيها هذان الرجلان العظيمان حقاً اللذان لعبا دورهما في زمنهما هذا، وبينما فيصل اعظم رجل على قيد الحياة يمثل قومه وعنصره - ونحن صلة الوصل بين الفريقين. ثم جاء علي السليمان بشيوخ قبائله واحداً بعد آخر فبلغ عددهم أربعين او خمسين. وكان كلٌ منهم يضع يده في يد فيصل ويقسم يمين الطاعة. . .

وبايع سكان البلدان في حفلة خاصة بعد الظهر. فقد كانت البلدان الواقعة بين الفلوجة والقائم على الحدود الشمالية بعثت بجميع رؤساء بلدياتها وقضاتها ووجوهها. وجرت تلك المراسيم في حديقة أحد القصور، وقد نصبت فيها منصة عالية إزاء جدار البيت الذي علق عليه السجاد. وعلى هذه المنصة جلس فيصل وبقية الحاشية بينما كان الوجوه والشيبة يجلسون في صفوف تحت الاشجار، وكان كلٌ ينهض ويتقدم فيصعد المنصة ويضع يده في يده. . وقد جعل جمال الموقع، وتباين الالوان والالبسة، والخطورة المتجلية في وجوه كبار المدن والقرى، المعممين بالعمامات البيضاء او الملتفعين بالكوفية العربية الحمراء، والوقار العظيم البادي على وجه فيصل وهو يتقبل فروض الطاعة - كل هذه الامور قد جعلت المنظر يماثل في جاذبيته منظر الحفلة الصباحية. . .

ونحن الآن في انتظار ورود مضابط الموصل والحلة قبل المناداة بملوكية فيصل. وقد يتم تتويجه في الاسبوع المقبل، أليس ذلك شيئاً عظيماً. انه خلاصة التعب خمسة اسابيع!

31 تموز (ب)

.. وعند العبّارة وجدنا خيمة دليمية كبيرة، وكان فيها محروث شيخ عنزة ابن فهد بك (الهذال). وقد عقد فيصل مجلساً في هذا المكان، وبعدها تناولنا وجبة صغيرة من الطعام ونحن جالسون حول مواعين صفت على الارض، كان فيها رز ودجاج ولبن. وعبر فيصل، وفي معيته أنا وواحد أو أثنان من الآخرين، بزورق صغير بينما عبرت السيارات بالعبّارة. وكان فهد بك ينتظره في الجانب الآخر، فكانت لحظة التقائهما لحظة مشهودة لأن فهد بك كان يعارض بعنف تشكيل حكومة عربية في البلاد. ويعارض فيصلاً لأنه يمثل الشيء البغيض غير البريطاني. وكان من حسن الحظ ان يتلقى هو قبل يوم أو يومين تهديداً من ابن سعود يقول فيه ان عشيرة عنزة التابعة له تدخل في تابعية ابن سعود نفسه (وهم ليسوا كذلك)، ويحذره من العواقب اذا ما صار يخدم «أي مجنون تعس من العرب» يمكن ان ينصب في العراق. ان فهداً قد يخدمنا نحن لانا كنا أصدقاء ابن سعود(*) ، ولا يخدم غيرنا. وقد خف فهد الى تقديم هذا الكتاب الى فيصل فوجد فيه مستمعاً متعاطفاً!

... وحينما انتهى ذلك مشينا جميعاً على شكل موكب خلال البلدة. وبعد هذا ذهبنا الى دار الميجر يتس حيث أجرى فيصل مقابلات خاصة مع الشيوخ، ودخلت انا في احاديث لطيفة مع اصدقاء لي من قريب أو بعيد، وكان كثير منهم ممن لم ألتق به منذ مدة طويلة. وقد

(*) ولأنه كان يتقاضى منحة سنوية تقدر بآلاف الباونات كذلك.

جلسنا حتى غابت الشمس في ساحة الدار، ثم صعدنا الى السطح وكان مفروشاً بالسجاد ومجهزاً بالارائك والكراسي. وبقينا نتحدث كلنا الى ان جيء بالعشاء، وكان فيصل متشوقاً لمعرفة أشياء كثيرة عن الابنية القديمة فحدثناه، انا وفهد، عن «الاخيضر» الواقع في ضمن مراعي فهد في البادية. وكان المواطن الأول في البلدة نفسه منشغلاً في اعداد العشاء لنا. وهناك كثير مما يجب ان يقال عن حفلة العشاء العربية. فاللحوم جميعها توضع بين يدي الضيوف، وهؤلاء يأكلون ما يريدون منها وعند ما ينتهون من ذلك يعودون الى قهوتهم وسكائرهم. ولما كان فيصل متعوداً على مثل هذا، فهو غير صبور في حفلات العشاء الاوربية - انه يريد ان يترك المائدة في اللحظة التي ينتهي فيها من الاكل. وبعد أحاديث قليلة أخرى ذهبت الى النوم فوق سطح بيت المتصرف. وقد كانت مزينة بالاعلام الحجازية فرحت افكر بمقدار السرور الذي أشعر به وانا نائمة بهدوء واطمئنان في ظل العلم الشريفي، كما أنام في ظل العلم البريطاني.

وعدنا بالسيارة الى بغداد في اليوم التالي، لوقوع بعض الحوادث والوقائع. فقد بذلت جماعة المتطرفين جهوداً يائسة لاحلال صيغة المبايعة المنطوية على الرفض التام للبريطانيين في محل الصيغة الرسمية التي وضعت. غير ان فيصلاً استدعى محمداً الصدر، وكان من وراء كل هذا، وانذره بقوله انا لما كان يوشك ان يكون هو الملك في البلاد فأنه لا يعتزم السكوت على أي نوعٍ من السفاسف، وان أي شخص يعكر على الناس صفو تفكيرهم الحر لابد من ان يلقى العقوبة المناسبة. وقد توج هذا بخطاب حكيم القاه صباح امس في حفلة مبايعة(*) اقامتها له الطوائف المسيحية الكاثوليكية، فقال «... اسمحوا لي أن أقول ان

(*) هي الحفلة التي اقيمت في كنيسة الكلدان الكبرى في يوم 30 تموز 1921.

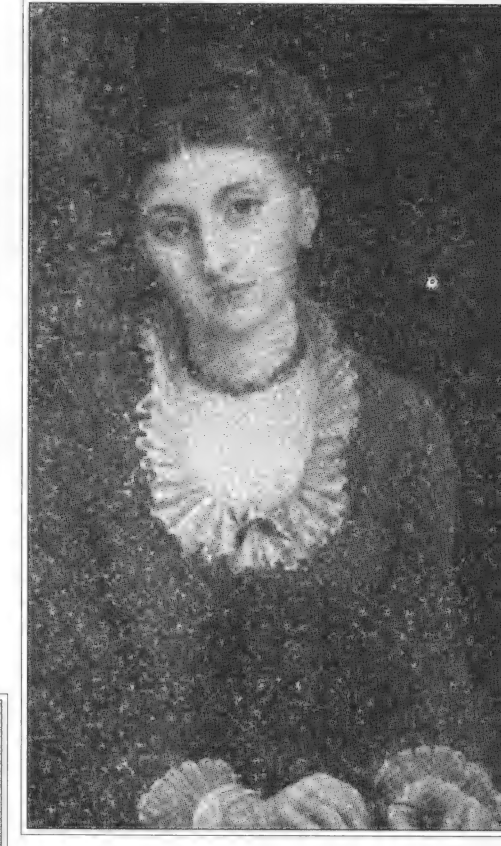
العراق بقي (800) سنة في حكم الاجنبي ينتقل من استبداد الى استبداد حتى وصل الى هذه الدرجة. اما انا فلا أطلب منكم ان تصبروا على هذا العهد الطويل، بل اعطوني عوض كل مئة سنة، سنة واحدة. وبعد انقضاء أربع سنوات تعالوا نتناقش الحساب، فأعطيكم فذلكة عن الاعمال التي قمت بها.. . ثم راح يقول بعد ذلك أنه ليس هناك أمة في العالم تقف وحدها ـ انها تكوّن جزءاً من مجموعة الشعوب. وفوق ذلك كله كان العرب يحتاجون الى العون والمساعدة ـ «.. بل يجب ان نطلب من أمة من الامم. لا بل من أقرب الامم الينا. فالامة التي تتفق مصالحنا مع مصالحها وهي أقرب الينا سواء أكان من الوجهة الاقتصادية ام من الوجهة الجغرافية هي الدولة البريطانية فنمد اليها يد المصافحة والتعاون، ونحن كأمة مستقلة حرة. نطلب منها المساعدة طلب أخ صغير من اخ كبير، طلب حر من حر وليس عبد من سيده»(*) .

وذهبت لتناول الشاي عنده (عند فيصل) مساءً. ثم حضر المستر كورنواليس فجرى حديث طويل ممتع بيننا، لعّنا فيه بحرية جميع الذين لم نكن نريدهم وناقشنا ما يجب ان نفعله معهم. وفي طريق عودتي الى البيت التقيت بالسر أيلمر، وكان يحاول زيارتي، ولذلك أرجعته معي. أنه توّاق جداً لتمشية الامور بوجهٍ عام، ويود فيصلاً فيعمل كل ما في وسعه للمساعدة في تشكيل الجيش العراقي.

(*) اثبتنا هنا النص الاصلي المنقول عن الخطاب المنشور في كتاب «فيصل بن الحسين» الذي نشرته مديرية الدعاية العامة ببغداد سنة 1945 (مطبعة الحكومة).



المس بيل في سن الثامنة مع والدها، بريشة الرسام إدوار بوينتر عام 1876



والدة المس بيل، ماريا عام 1867
«رسام مجهول».

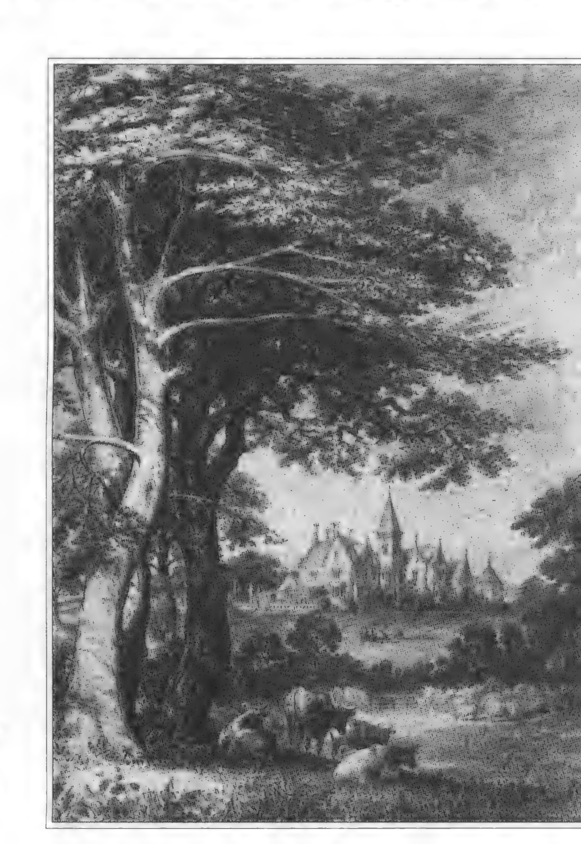


زوجة والد المس بيل، فلورنس، صورة
أخذت عند زواجها من هاغ بيل.

فلورانس بيل تقرأ في المكتبة العامة عام 1905.

عائلة المس بيل مع قريبهم والتر جونسون عام 1883 المس بيل في وسط الصف الخلفي.

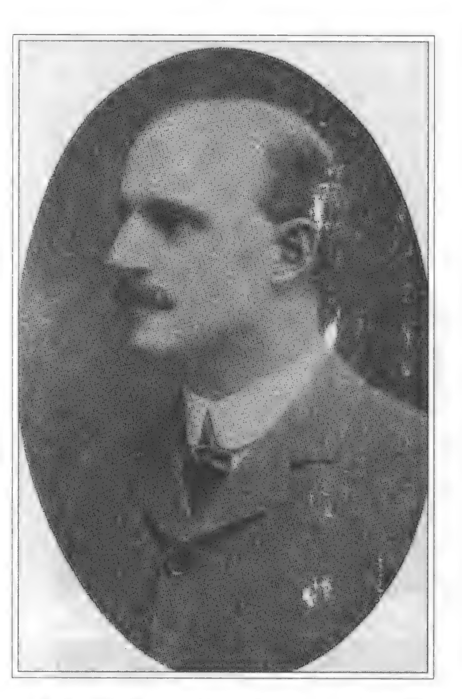
روانتون غرانج، بريشة فيليب ويب، ونرى قسم من الحديقة التي اعتنت بها المس بيل.



مبنى واشنطن عام 1858 بريشة رسام وقع بأحرف اسمه الاولى أ.ب. هيغام



صورة أخذت للمس بيل عام 1921 .



صورة غنتي ويلي بطل القصر الملكي.

جالية في شارع بالميرا عام 1900



كنيسة في بنبر كيليس عام 1907.

منظر لآثار في الأخادير عام 1911.



المس بيل خارج خيمتها في بابل

عام 1909.

د. بادسغ مع مساعده العربي

عام 1909.



نهر الفرات بالقرب من آثار بابل.



علماء آثار ألمان يعملون في بابل عام 1909



الآثار الألمانية في بابل عام 1909

الفصل السابع
1921
(آب ـ نهاية كانون الأول)

6 آب

لقد مر علينا اسبوع عظيم، لأن الاستفتاء العام قد انتهى تقريباً في جميع أنحاء البلاد. وقد أضاف الموقعون على مضابط الاستفتاء في الرمادي والبصرة والعمارة جملاً زائدة مفادها انهم يقسمون يمين الولاء لفيصل «بشرط ان يقبل نظارة البريطانيين عليه»(*) ...

وكان يوم الثلاثاء يوماً متعباً بالنسبة لي. فقد نهضت في الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين، وسافرت مع كورنواليس الى طاق كسرى في الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين ـ أخذنا فيصلاً معنا ـ وعدت الى المكتب في العاشرة والنصف، وبقيت فيه حتى الثالثة والنصف، عدا فترة الغداء، ثم ذهبت الى البيت فاغتسلت وأبدلت ملابسي. وفي الرابعة والنصف زرت النقيب، وبقيت عنده حتى السادسة، وحضرت بعد هذا

(*) لا شك ان هذا قد وقع بتدبير من الانكليز انفسهم، وبايعازهم للموالين لهم بذلك.

اجتماع «لجنة المكتبة» من السادسة الى السابعة، كما زرت زوجة أخ ساسون افندي[1] من السابعة الى السابعة والنصف. وقد تناول حميد خان العشاء عندي من الثامنة حتى العاشرة. فكان هذا شيئاً كثيراً عليّ، وشعرت بالتعب طوال اليوم التالي، على انه كان شيئاً مهماً لي.

وكانت السفرة الى طاق كسرى سفرة هائلة في نجاحها. فقد دعوت اليها فيصلاً واثنين من مرافقيه، والمستر غاربيت وعقيلته، وفخري جميل، والمستر كورنواليس، وأخذت معي زيا (الطباخ)، وكان قد أحضر لنا فطوراً ممتازاً من البيض والالسنة والساردين والبطيخ. وكان من المهم جداً ان افرّج فيصلاً على هذا المكان البديع، فبرهن على كونه سائحاً ملهماً. وبعد ان أريناه معالم القصر، ومحل جلوس كسرى فيه، أخذته الى الشبابيك العالية المطلة على الجهة الجنوبية حيث كان في استطاعتنا أن نرى دجلة منها، ثم رويت له قصة فتح العرب للمدائن على ما يرويها الطبري، ومنها خوض النهر وعبوره وبقية القصة الممتعة. وكانت تلك في الحقيقة قصة قومه هو، وبوسعكم ان تتصوروا كيف كنت أقصها عليه. ولا أدري أينا كان أكثر تأثراً بها من الآخر. .

وعدني فيصل بتسمية احدى كتائب الجيش العراقي بأسمي ـ «كتيبة الخاتون». وسوف اطلب منكم قريباً تطريز شاراتها وألوانها. اما نوري فيقترح ان يسمي جحفلاً من الجحافل باسمي!

أليس ذلك مدهشاً يا والدي؟ أفكر أحياناً كأني في حلم. . .

6 آب (ب)

. . وفي يوم الاثنين أقام الپروتستانت والارمن حفلة استقبال لفيصل، فكانت من أجمل مناسبات بغداد وألطفها. وقد اقيمت في

(1) هي زوجة شاؤول حسقيل.

الساحة الكائنة بين يدي كنيسة الارمن التي علق على جدرانها السجاد، وغُطيت بالظلال، ويوجد فيها عدة نخلات تحمل عذوقاً مثقلة بالتمر. وكانت السعفات الكبيرة تبدو مع الثمار المتدلية الجميلة وكأنها تيجان أعمدة تحمل الظلال من فوقها. وقد كان فيصل، وهو يقدر الجمال ويتحسس به، مسروراً منشرح الصدر. فدعاني الى منصته لأجلس بجنبه، بينما كان المطران الارمني يجلس في جنبه الآخر.

... ولم يتسن لي ان أخلد الى الراحة بعد الظهر نظراً للموعد الذي كنت مرتبطة به مع النقيب. ولم أحب ذلك الرجل الهرم أكثر مما احببته في اليوم، برغم انه استغرق ساعة ونصفاً من الزمن ليقول ما كان يريد ان يقوله لي. وكانت تسيطر عليه روحية عالية، كما كان مسروراً جداً للدور الذي لعبه في تنصيب فيصل. فقد ابتدرني يقول «خاتون، انك ابنتي وسأقول لك جميع ما كان قد خطر في ذهني. اني منذ ان جاء السر پيرسي كوكس لم أعمل ضد مشورته قط، ولا ضد رغبة الحكومة البريطانية. وحينما ألفيت فيصلاً يليق لأن يكون ملكاً، وعرفت ان الدولة المعظمة تفضله على غيره، قررت أني يجب ان أغض النظر عن جميع التقولات واقوم بنفسي في مجلس الوزراء فانادي به ملكاً على البلاد. وقد خطر في فكري: هل استشير السر پيرسي كوكس؟ فردتني أفكاري، وقلت في نفسي ـ اذا كان سيخالف رأيي فاني لا يسعني أن أبدله. أنا رجل متقدم في السن، مسؤول تجاه الله سبحانه وتعالى فقط. ولذلك لم استشر احداً.» انه من الامتياز للمرء ان يتعامل مع اناسٍ مؤدبين وليس هناك «جنتلمن» أعظم من النقيب.

وقد وقع حادث غريب يلفت النظر في منتصف هذا الاسبوع يختص بإحدى الصحف المحلية. فقد أقتبس محرر العدد الصادر يوم الاربعاء مقالاً من جريدة مصرية، وآخر من جريدة «أيكو دي پاري» حول السياسة الفرنسية في سورية، ووعد القراء بأن يكتب مقالاً افتتاحياً حول

الموضوع في اليوم التالي؛ ولكن اليوم التالي حينما حل لم يصدر فيه المقال المذكور، ولما كنت اعتقد بأن المحرر قد تذكر تحذيراتي فقد صرفت الامر عن فكري بالكلية. ولم يفعل ذلك القنصل الفرنسي ـ أنه حية رقطاء. فقد جاء يتذمر عند السر پيرسي بالنسبة للمقال الذي لم يصدر. وعند ذاك طلب اليّ السر پيرسي ان أتأكد من وجوب عدم نشره، فبعثت أخبر المحرر بالامر. لكنه جاء الى المكتب في السابعة والنصف من صباح اليوم الثاني وقال لي ان رسالتي اليه قد وصلت متأخرة، لكن الجريدة لم تكن قد وزعت بعد، ثم سأل عما اذا كان من الممكن ان يقرأ المقال عليّ. ولقد كان عنوانه «سياستان»، وكان يعالج الموضوع بالاشارة الى تاريخ العلاقات الفرنسية البريطانية مع تركية والعرب، وتتبع ذلك من الناحية التاريخية بالتفصيل. وكان ذلك شيئاً ممتازاً، لانه كان يضرب المسمار على رأسه في كل حالة، ولكنه كلما كان الضرب يزداد اتقاناً واستحقاقاً كان يزداد انفعال القنصل الفرنسي. وقال المحرر انه مستعد لعدم نشر العدد كله اذا كنت لا أريد المقال. فقلت له اني محجمة عن القيام بذلك، لكني أريد استشارة المندوب السامي. وقدمت خلاصة موجزة عن المقال الى السر پيرسي فقرر اننا يحسن بنا ان نصادر العدد كله. ولذلك ابتعت عدد الجريدة كله وأحرقت نسخه. وهكذا اتبعنا الآن احسن الاسلحة التي يمكن ان تستعمل ضد القنصل الفرنسي اذا ما تذمر من جديد. لكني سوف أحصل على دمه. فالصحف السورية، التي يمولها الفرنسيون، ملأى بأعنف الاساءة لنا ولفيصل وقد أعطيت محرري الجرائد هنا مطلق الحرية للاقتباس منها والتعليق عليها.

وقد رويت للملك فيصل جميع ما حصل، وقدمت له المقال المصادر، غير انه تصرف في اليوم الثاني، وهو المعتمد الموثوق به، بطريقةٍ تعود علينا بالفائدة وتعود عليه بالضرر. فقد صادف أن أقيمت حفلة استقبال في المدرسة الايرانية(*) ، حيث ذهبت كالمعتاد وكان من

الضروري أن اذهب الى هناك لأن السيد محمد الصدر هو المنظم للحفلة، وكنت أخشى ان تقال فيها أشياء غير مناسبة قد يحول وجودي دون التفوه بها. وقد جاء محمد الصدر قبيل وصول الامير بقليل، فنهض الجميع عند دخوله ـ لكنني بقيت جالسة باتزان وحييته بالتحية التي يجب ان أحيي بها أي أنسان بعد ان يكون قد جلس في موقعه. وأجلس الى يسار عرش الامير، بينما كنت أنا أجلس الى اليمين. غير اني نهضت بخفة ونشاط حينما دخل فيصل. وكانت جميع الخطب والاشعار على ما يرام، الاّ في الاخير حينما نهض شاب بليد وقرأ قصيدةً يدور فحواها حول عرش بيروت وجبل لبنان وما يرغب فيه جميع العرب. فهمس فيصل في أذني يقول «هل تفهمين؟» فقلت «أفهم طبعاً» ثم مضى يقول «اعتقد اني يجب ان اعلق بكلمة على هذا» فأيدته في ما قال. وقد قال قبيل ان ينصرف «ان اجتماعنا هذا يعتبر اجتماعاً خصوصياً، وليست لما يقال فيه أية اهمية سياسية، لكنني تأسفت لسماع قصيدة رشيد» فتضاءل رشيد في مكانه. ومضى يقول «ولو كنت أعرف انه ينوي القاءها لمنعته. أرجوكم أن تحصروا أفكاركم جميعاً في قضية تأسيس دولة عربية في العراق، وان لا تفكروا بأي شيء آخر» فكان لكلماته وقع الكهرباء، ان جميع المدينة تتحدث عنها الآن ـ أليس هو زميلاً طيباً؟.

تناولت العشاء في الليلة الماضية عند السر أيلمر لالتقي بفيصل، فهو منفعل جداً من ادعاء ابن سعود بالسيادة على عشائرنا البدوية ـ وفي الدرجة الأولى فهد بك شيخ مشايخ عنزة. وراح يقول «اشهد الله اننا اذا لم نوقف ابن سعود عند حده خلال ثلاثة أشهر ستكون هناك حرب «مدائن» اخرى مثل الحرب التي وصفتها لي».

(*) المقصود هي حفلة مدرسة «شرافت ايرانيان «ببغداد لتكريم فيصل التي اقيمت يوم الخميس 4 آب 1921.

في هذا المساء جاء نوري پاشا لمواجهتي. وعليّ ان أذكر فقرة عن محادثتي معه ـ تذكروا انكم يجب ان لا تفشوا اي شيء منها، فلست أريد أن احاكي المسز روزينا فوربس فيما تفعل. لقد قال نوري: ان الناس يريدون ان يروك في الحفلات التي تقام لفيصل، فأينما تكوني انت يتيقنوا ان كل شيء يسير على ما يرام. انهم يعتقدون بأنك تقوّمين السر پيرسي». فقلت «ان هذا غير صحيح ـ لقد كانت هذه سياسة السر پيرسي منذ البداية».

فرد يقول «بلى، لكنها كانت سياستك أنتِ أيضاً حتى قبل مجيء السر پيرسي. فالناس يعلمون بأنك كنت على الدوام تنادين بتأسيس دولة عربية، فتنبعث الثقة فيهم حينما يرونك موجودة بين ظهرانيهم».

.. لقد نصب فيصل باستفتاء جماعي لانه مرشحنا نحن، ولنا في الوقت الحاضر تأثير فوق العادة. ان الناس تثق بنا، وهو على استعداد لقبول هذا الوضع لانه يمكّنه من التخلص من المتطرفين الذين كان يخشى تأييدهم على الدوام لانه كان قد ألفاه شيئاً واهياً في سورية. لقد كانت خبرته هناك ذات فائدة له. وهو مقتدر ذو روحية بناءة، وقد أخذ يشق طريقه بنفسه، وهذا ما نريده نحن ـ اننا نتمنى له على الدوام ان يأخذ مسؤولية الحكم في البلاد على عاتقه. وهو في الوقت نفسه يلعب لعبتنا نحن، ويعرف انها لعبته هو ايضاً: فيوبخ المتطرفين بلطف، ويعيرنا يداً قوية في قمع الصحافة العربية، ولا يحمل ضغينة بالنسبة للانهيار السوري ـ ويصفه بكونه سوء طالع ـ ولما كان لا يخشى الانتقاد فأنه يذيع بيانات عامة عن آرائه التحررية المستنيرة. انه غير هياب لانه يعلم باننا نقف من ورائه، وهو يثق بنا كما تفعل البلاد. كما ان علاقاتنا الشخصية معه علاقات سارة بأكثر مما يمكن ان تعبر عنها الكلمات. فاننا من أجل الوصول الى نفس الهدف، نتشاور معاً حول أفضل طريق يوصلنا اليه.

... لقد تم الاستفتاء وانتخب فيصل بالاجماع، الا كركوك فانها لم تصوت له. ان سكان المدن والبلدان في كركوك هم تركمان[1]، وسكان القرى أكراد. وكلا الفريقين لا يريدان الحكم العربي. ولذلك طلبت محلتان من مدينة كركوك عاهلاً تركياً. وليس الاكراد ضد البريطانيين، انما يريدون دولة كردية مستقلة تخضع لحمايتنا. اما ماذا يعنون بذلك فلا هم على علمٍ به ولا أي شخصٍ آخر. كما انهم يرفضون الارتباط بأية طريقة كانت بمنطقة السليمانية، وقد سبق ان صوتت على الانفصال عن الدولة العراقية قبل مجيء فيصل. ولا أذكر أكثر من هذا عن القومية الكردية، التي يمكن ان تسمع كثيراً من الهراء عنها في الاشهر القليلة القادمة، ما لم ينجح السر پيرسي في اقناع كركوك بالانصياع للعقل والمنطق. اما أربيل وجميع المناطق الكردية المحيطة بالموصل فقد جاءت الى الطريق، بعد ان أدركت ان مصلحتها السياسية والاقتصادية ترتبط بالموصل. لقد ساوموا على بعض الامتيازات وسيحصلون عليها، مثل تعيين موظفين أكراد لهم وما اشبه. ويطالب بعضهم بأن يكون التعليم كله باللغة الكردية في المدارس، وهو طلب معقول لو لم تكن الكردية من اللغات التي يصعب ان تسمى لغةً مكتوبة، ولو وجد المعلمون الاكراد وكان بالامكان تدريبهم باللغة العربية لعدم وجود كتب كردية.

لقد جعلني المناخ لدرجة ما وتأثيراته لدرجة اخرى، اصطدم بالصحافة المحلية وأبادر الى تعنيفها. اذ يحرر جريدة «دجلة» حمارٌ شاب[2] يتعرض بكل أحد مهما كانت منزلته. ويبادر الرأي العام في

---

(1) بالرغم من وجود العرب في كركوك تعمدت الآنسة بيل ان تنكر وجودهم.

(2) يبدو ان الآنسة بيل اعتادت على العبارات البذيئة، وكان ضحيتها هذه المرة المحامي داود السعدي الذي كان صاحب جريدة دجلة. وكان معروفاً بوطنيته.

المقاهي الى قراءة وريقته بتلهف وشوق آملين ان يجدوه معارضاً لنا. وهو يدعى بأنه من الوطنيين العرب الاقحاح الراقين في عقليتهم، ويبرهن على ذلك بنشر جميع اخبار الانتصارات التركية في الأناضول التي تقع قبل ستة اسابيع من دون ان يحلم بالاشارة الى التاريخ. واخيراً فقد كان الطقس، ومبادرة هذا الصحافي الى نشر هروب اليونانيين بالبواخر من أزميت في نفس الوقت الذي يروي فيه رويتر في جريدة عربية اخرى ان الاتراك كانوا يقومون بإخلاء أنقرة، كان كل ذلك شيئاً لم استطع احتماله. ان الرأي العام هنا يكره انتصارات اليونانيين ويصفق لكل من يتحدث عن انتصارات الاتراك. وأنا اشعر بنفس الشعور من حيث المبدأ، ولا أريد قط ان أرى اليونانيين في آسية الصغرى، اذ لا يمكن ان تتم أية تسوية بهذه الطريقة. لكن عملي الآن هو ان أشكل دولة عربية في العراق، والعدو الوحيد المنظور لها هو الكماليون المتحالفون مع البولشفيك. فهم يحتلون(*) في هذه اللحظة قطعة من بلادنا الجبلية الكائنة في شمال أربيل بقوة لا تتجاوز الستين رجلاً، وقد شكلوا حكومة تركية فيها. ولا تخرج هذه الحركة عن كونها مسرحية هزلية وساخرة بحتة. لكننا ليس لدينا جيوش الآن نسوقها الى تلك الجبال. وانما نستطيع فقط ان نعمل من الجو، وهو شيء لا يفي بالمرام. ولذلك تحتم علينا ان نترك الاحوال وشأنها هناك، فكانت النتيجة ان أخذ كل وغد لئيم على طول الحدود يتنبه ويتحفز للعمل. لقد بعث جعفر العسكري يقول انه بينما تقوم «دجلة» بنشر برقيات الانباء عن الانتصارات التركية فانه يجد نفسه عاجزاً عن الحصول على مجندين للجيش العراقي. فقد تشوشت أفكار الناس وأخذوا يتحدثون عن امكان عودة الأتراك الى البلاد!

(*) انها تشير الى ما فعله الضابط التركي اوزدمير في منطقة راوندوز يومذاك وقد انتدبته الحركة الكمالية في تركية لاثارة الاكراد.

وكان عليّ ان أفعل شيئاً. ان محرر «دجلة» هو صديق حميم لحمار شاب آخر، هو ابن(*) عبد المجيد الشاوي. وعبد المجيد الطيب يعبد ابنه لكنه يأسف لما يقوم به من أعمال عنيدة سخيفة. وقد استدعيت عبد المجيد وبينت له ان هذا كان شيئاً أكثر من الهزل، ثم أمليت عليه فقرة شرحت فيها الوضع الحقيقي للأتراك واليونانيين. غير أنها لم تنشر في جريدة دجلة الصادرة في اليوم التالي، وانما نشر بدلاً عنها توضيح يذكر فيه ان جميع الأخبار التي تنشر حول الاشتباكات في الاناضول تنقل حرفياً من جرائد انكليزية وهندية ومصرية وغيرها. وقد قرأت هذا بشعورٍ تعجز الكلمات عن وصفه، وما انتهيت من ذلك حتى دخل محرر «دجلة» السيء الحظ نفسه بالصدفة. فحمدت الله على معرفتي بمقدار غير يسير من العربية. اذ قلت له فيما قلت انه رجل قذر، وأخبرته بأنه إذا لم ينشر الفقرة التي بعثت بها اليه في عدد اليوم الثاني فأنه سيجد نفسه قابعاً في السجن. وقد فعل ذلك، لكنه نشر ايضاً افتتاحية عنوانها «الحر ممتحن بأولاد الزنا»، وربما يكون المقصود بها أنا، مع أنها لم تفصح عن ذلك بطبيعة الحال. على ان ذلك جعلني اتأثر جداً. ان المهم في ذلك هو ان هذا الشاب سيجد صعوبة في التوفيق بين ما حملته على نشره وأية أنباء مبتذلة بالية يمكن ان يحصل عليها من مصدر آخر.

لله درهم، انهم(**) يتكلمون لغواً وهراء! فمن المواضيع التي يغرم في التحدث بها حتى أفضلهم هو الحاجة الملحة للديمقراطية في العراق ـ أنك تجد ذلك في كل جريدة. وانا أتركهم على رسلهم، مدركةً تمام الأدراك أن فيصلاً ينوي ان يكون ملكاً حقيقياً، وليس بالاسم فقط. غير ان رجلاً شاباً من الموصل عازماً على اصدار جريدة فيها طلب مني قبل

(*) تقصد المرحوم سعدون الشاوي.

(**) تقصد العراقيين بطبيعة الحال.

أيام ان أضع له تعليمات تسير بموجبها الصحافة. ففعلت ذلك وانا راغبة فيه، ثم ذكرت عرضاً أنه سيكون من السهل المبالغة في قيمة الديمقراطية في هذه البلاد. فأني لا اعتقد بأن شيوخ الشيبي[*] والغزالات، وسائر القبائل العراقية التي قد تخطر اسماؤها ببال صديقي الشاب هذا، فقد اتفقوا على القواعد الديمقراطية اتفاقاً كاملاً.

21 آب

. . . سمعت قبل أيام قصة سارة عن رئيسي السر پيرسي، مروية على لسان أحد رجال البصرة الأماثل. فقد قال «والله، ان السر پيرسي له أربعون أذناً ولسان واحد فقط». وهنا يجب ان اقصّ عليكم قصة بديعة أخرى عن السر پيرسي كوكس وعقيلته. فأنكم تعلمون انه مغرم بالتاريخ الطبيعي جداً، ومن أجل هذا يقوم بجمع مجموعة تحتوي على جميع طيور العراق ـ وتصل اليه هذه الطيور قسم منها حي وقسم آخر ميت. وكان آخر طير وصله طيراً كبيراً حياً، وهو نسر ضخم لم ينمُ ريشه نماءً تاماً بعد، ومع ذلك كان أضخم طائر وقعت عليه عيناي في حياتي. فترك يعيش في وكر يقع في الجهة المظللة من الدار ويأكل الخفافيش في الغالب. وتصاد له هذه الخفافيش وقت الغروب عندما تعبر النهر مضطرةً وتمر فوق سياج حديقة السر پيرسي. لكن النسر يشتهي اكلها في الصباح، وعلى هذا كثيراً ما تعاني الليدي كوكس المشاق في حفظ الخفافيش له في علبة من التنك تضعها في صندوق الثلج، فاذا كنتم قد سمعتم من قبل عن أي نسر يعيش على خفافيش مثلجة ارجو أخباري!

ولما كنت بصدد سرد القصص يجب عليّ أن أقص لكم قصة عن النقيب أيضاً، وهي تتعلق بما كنت أحدثكم عنه في الاسبوع الماضي حول الديمقراطية. فقد كان النقيب هو الذي صرّف الكلمة وجعلها تدور

(*) لا ادري اذا كانت هناك قبيلة عراقية بهذا الاسم، لعل المقصود هو آل شبل.

على الأفواه ـ أنه ارستقراطي بالغريزة وأوتوقواطي، ان وجد من تنطبق عليه هذه الصفة ـ وذلك بتصريحه في مجلس الوزراء بأن فيصلاً يجب ان يكون ملكاً دستورياً في دولة ديمقراطية.. . وقبل بضعة أيام جاء لزيارته أحد شيوخ شمر من حائل. وقد سأله النقيب في خلال حديثه معه «هل أنت ديمقراطي؟» فرد عليه الشمري وهو يشعر بشيء من التحدي «والله، كلا أني لست ديمقراطياً، فماذا تقصد؟» فأجابه النقيب وهو ملتذ بحديثه «اني أنا شيخ الديمقراطية». وعند ذاك بادر الشيخ قائلاً «معاذ الله، اذا كنت أنت شيخ المقراطية فانا يجب ان اكون أحدهم كذلك، فأني في خدمتكم بالكلية، ولكن ما معناها؟» فكان جواب النقيب «ان الديمقراطية هي المساواة، وليس فيها رجل كبير أو صغير، بل يكون الجميع فيها متساوين في القدرة». وعند ذاك عرف الشمري المحتار موقفه منها وبادر يقول، بعد ان وجد سلطته العشائرية قد جردت عنه بهذا التعريف، «يشهد الله عليّ، اذا كان الأمر كذلك فلست مقراطياً».

ولنعد الآن الى تاريخ العراق:

كان يوم الاثنين الماضي أول يوم من أيام عيد الفطر، وهو عيد التضحية ومن أيام السنة المشهودة في التقويم الاسلامي. ويستغرق هذا العيد أربعة ايام[1] متعبة. وفي السابعة من صباح الاثنين هذا قمت أنا والمستر كورنواليس بجولة لزيارة عدد من الاشخاص.. .

وفي ذلك اليوم بعد الظهر زار فيصل النقيب، وكلفه بتأليف الوزارة الأولى ـ فكانت تلك حركة حكيمة جداً جداً. ولا شك في ان النقيب مقدم على مسلك سياسي يبشر بالخير وهو في السابعة والسبعين من عمره، أليس كذلك؟؟

(1) ان المقصود بلا شك هو العيد الاضحى وليس عيد الفطر، ويستغرق اربعة ايام كما لا يخفىٰ.

مللت الجلوس في المكتب ذلك المساء فخرجت راكبةً الى خارج بغداد برغم ارتفاع درجة الحرارة، وعند عودتي الى البيت عن طريق ضفة النهر بقصد التبرد مررت بدار(*) فيصل الجديدة في شمال المدينة، وهي الدار التي استؤجرت له بعد ان كانت في دور الترميم. وقد وجدت سيادته ازاء الباب، فتركت حصاني بعهدة واحد من عبيده وصعدت الى السطح حيث وجدته جالساً مع مرافقيه. فكان المنظر رائعاً، حيث كانت الشمس تدنو من المغيب، وتتلألأ الامواج الناعمة فوق وجه النهر من تحتنا، ويحيط بنا نطاق من النخيل يمتد من ورائه البر على مد البصر، ويقوم فيه تل عقرقرف فيناطح حمرة السماء المتلاشية. وقد جلسنا كلنا نأكل ونتحدث. ان فيصلاً لا يستعمل العبارات الرسمية في كلامه، وكان يقول لي «انتِ عراقية، أنتِ بدوية»...

أبرقت ألينا وزارة المستعمرات برقية مفادها ان فيصلاً يجب ان يعلن في خطاب تتويجه ان السلطة النهائية في البلاد هي في يد المندوب السامي... غير ان فيصلاً كان يصر منذ البداية على أنه ملك مستقل يرتبط بنا بمعاهدة، والاّ فأنه لا يستطيع ان يقبض على زمام المتطرفين في البلاد...

أني أتصور انه يصعب على وزارة المستعمرات ان تدرك ان البنيان الذي نقوم بتشييده انما هو يبنى بأحجار حية، واننا نشجع الأحياء على النمو في الوقت الذي نشعر فيه بدقات نبضها في أيدينا. وبوسعنا ان نوجهها توجيهاً نقطع به اشواطاً بعيدة، لكنا لا يسعنا ان نمنعها من ان تنمو. وهذا في الحقيقة ما طلبنا اليهم ان يفعلوه...

(*) وهي الدار التي كانت تشتهر باسم «قصر شعشوع»، وتقع في شمال وزارة الصحة سابقاً فتطل على النهر. وقد سكنها بعد ذلك مدة من الزمن المرحوم الحاج جعفر ابي التمن.

21 آب (ب)

كان يوم الاثنين الماضي أول يوم من أيام عيد الفطر، ولذلك قمت أنا والمستر كورنواليس منذ السابعة صباحاً بجولة من الزيارات. فذهبنا أولاً لزيارة النقيب ووجدناه جذلان مبتهجاً، وهو محاط بشيوخ قادمين من جهات الموصل. وقد قضينا ربعاً مرحاً جداً من الساعة معه. وزرنا فيصلاً بعد ذلك، ثم عبد المجيد الشاوي فلم يكن في بيته، ثم يوسف السويدي ولم أكن قد زرته من قبل مطلقاً. ومن اللطيف أن يحدث المرء ضجةً حينما يدخل الى غرفة من الغرف، وقد فعلنا ذلك نحن. فلم أتعجب حينما رأيتهم يفرحون برؤيتنا لأن سائر من في الغرفة كانوا من أحط الطبقات، ولم أكن قد رأيت منهم قبل هذا سوى ثلاثة - وكان اثنان من هؤلاء ينتمون الى عكيل، وكنت اعرفهما لأن عملي يتطلب ذلك. لقد كان ذلك المجلس أوضح دليل على المنزلة التي يقف فيها يوسف السويدي الآن. أنه طبل مكسور، ولم يكن من قبل مطلقاً سوى طبل فارغ، ذلك الشيخ المسكين.

كانت عندنا يوم الثلاثاء حفلة شاى فخمة على شرف رئيس بلدية الكاظمية. وقد أقيمت كالآتي: كان السيد جعفر (عطيفة) بجانبنا كما يقف الرجال، غير وجل ولا هياب. ولذلك أخذ الأنذال المحيطون بالعلماء المجتهدين يعاملونه معاملة جافة، ومع ان فيصلاً قد زار الكاظمية مرتين لم يسمح له مطلقاً بالتقرب من دار السيد جعفر. وقد جاءني السيد يقول ان شرفه قد أهين، فقلت لا تبتئس بل أذهب الى سيدي فيصل وأدعه لتناول الشاي عندك، وسوف أرجو المندوب السامي والقائد العام ان يحضرا أيضاً، فوافق فيصل. وقد أخذني السر أيلمر الى هناك، وجاء السير پيرسي كوكس بالليدي كوكس معه، كما جاء فيصل بمرافقته. وقد أثبت السيد جعفر موجوديته كذلك. فلم يكن من حظي أن أرى مثل هذا المقدار من «الكيك» والفواكه يوضع على مائدة واحدة من

قبل، وقد أهدى فيصلاً بعد تناول الشاي ساعة ذهب وخاتم ماس، ومعطفاً من الفرو، وقطعاً من الشال والسجاد الايراني.

واقمت في يوم الاربعاء حفلة عشاء جاء لمساعدتي فيها المستر طومسن، أعز زملائي. ولم يمكن بين ضيوفي العرب في تلك الليلة من لم يكن قادراً على التكلم بثلاث لغات بطلاقة، وكان اثنان منهم يتكلمان خمس لغات لكننا كنا نتحدث بالعربية فيما بيننا لأنهم يجيدون التكلم بها. وقد تكلموا جيداً بالفعل! فلم تكن هناك لحظة لم يجر خلالها حديث ممتاز. وكانوا لطيفين، صميميين تجاهنا ـ ينبغي أن أقول اني نمت مسرورة في تلك الليلة.

وقضيت صبيحةً ممتعة جداً في اليوم الثاني داخل المكتب. فقد جاء وجود فيصل الى بغداد بأناس كنت أسمع عنهم دوماً، ولم أرهم من قبل. وكان احدهم عبد الله بك بن فالح باشا السعدون رئيس أحد فرعي الأسرة السعدونية في منطقة الناصرية. لقد كان ملتحقاً بالاتراك حينما كنت أعمل في البصرة. والحق اني لم أرَ مثل هذا الطراز من النشأة والتربية العالية من قبل. انه يبلغ ستة أقدام في طوله، وجسمه نحيف جداً، لكن ذلك يخف تأثيره بالملابس العربية التي كان يرتديها، ولم يكن جميلاً حقاً، لكنه كان له وجه صنع بأتقان ودقة مدهشة. ولا أظن أنه يستحق كثيراً من التقدير ـ انه يكاد يكون خارجاً عن الطوق. لكنه مخلوق جميل ينظر اليه. وحتى أبدع منه كان أحد شيوخ شمر الشماليين، عجيل الياور. لقد جاء عجيل لمقابلتنا في 1917، ثم أنحرف في اتجاهه بعد ذلك نحو الأتراك. وجاء مرةً ثانية حينما استولينا على الموصل، فانحرف من جديد من دون ان نعرف سبب ذلك. انه يبلغ ستة أقدام وأربع بوصات في طوله، وهو مخلوق قوي مهيب الشكل، ليس هناك ولا أونس[1] واحد من اللحم

(1) يساوي الأونس Ounce واحداِ وثلاثين غراماً.

الزائد في جسمه، وله يد يعجبك ان تجعل منها نموذجاً (موديلاً) للأيدي. وتتدلى على صدره من تحت كفيته الحمراء اربع ظفائر سميكة من الشعر الاسود. وله لحية سوداء مشذبة الى حد القصر، مع عباءة مقصبة وقميص قطن أبيض مزرر الى الرقبة والمرفقين ـ هذه هي صورته. وقد جاء عدة مرات لزيارتي، فتحدثنا في الأخيرة منها لمدة ساعة، وحينما اصبحنا وثيقي الصلة في الاخير قلت له اننا كنا نأسف دوماً لالتحاقه بالاتراك في المرة الثانية، وسألته عن سبب اقدامه على ذلك. وكان وهو يتكلم يجلس بارتخاء في كرسيه، وقد ارتخى شكله الجسيم وتدلى جفناه تدلياً قليلاً. لكنه انتصب في جلسته بعد ذلك وادار عينيه اليّ، ثم قال «هل أقول لك؟ لقد كان ليچمن هو السبب. فحينما جئت الى الموصل باستدعاء منه حاولت أن أتكلم فطلب اليّ ان أسكت. وقال لي أنني مثل المرأة وانه سوف لا يعترف بمنزلتي في العشيرة. خاتون، انا شيخ من شيوخ العرب، فعدت الى قبيلتي ـ اي شيء آخر يمكنني ان أفعل؟» اني اصدق هذه القصة، لأنها تشبه تماماً ما يفعله الكولونيل ليچمن.

جاء عندي معظم شيوخ دجلة الجنوبية وقالوا هل نذهب للسلام على الامير؟ فاجبت قائلة «لا تذهبوا فقط بل يجب ان تذهبوا، عجلوا بذلك في الحال، وخذوا بهذه الرسالة الى رستم بك حيدر، سكرتير فيصل، فأني أذكر فيها له انكم رجال طيبون، انكم قدمتم خدمات طيبة.» فذهبوا. ان هذه الحال سوف لا تدوم طويلاً، ولا أريدها ان تبقى كذلك. سأكون مسرورة حينما يذهبون رأساً الى فيصل والسر پيرسي، وأعفى انا من مهمة المواجهة ـ ان هذا هو الشيء الذي نستهدفه.

وهناك اشاعة تتداولها الألسن في الوقت نفسه. لقد بعثت الينا وزارة المستعمرات ببرقية ملائمة لروتين الحكومة تماماً، وهي تنص على ان فيصلاً يجب ان يعلن في خطاب التتويج الذي سيلقيه بأن السلطة النهائية في البلاد هي في يد المندوب السامي. لكن فيصلاً يرفض هذا

وهو محق تماماً في رفضه. فهو يقول اننا يجب ان نعترف منذ البداية بأنه ملك مستقل يرتبط بنا بمعاهدة، والا فهو غير قادر على ان يسيطر على المتطرفين من أهالي البلاد. فتردد السر پيرسي قليلاً في مبدأ الامر، لكن رأيي كان انه لما كانت النتيجة واحدة في كلتا الطريقتين فليس هناك داعٍ للادعاء بسلطة نحن غير قادرين على فرضها. وقد كتب فيصل كتاباً مدهشاً بعث به السير پيرسي برقياً الى الجهات المسؤولة في الوطن، كما بعث السر پيرسي برقية أحسن مرفقة بكتاب فيصل. وكانت حكومة صاحب الجلالة قد قالت ان فيصلاً اذا لم يقبل برأيهم فيجب تأجيل التتويج. وكان قد عين يوم الثلاثاء له، أي في اليوم الذي يلي يوم غد، وقد اجتمع العالم كله هنا بانتظاره. فابرق السر پيرسي يقول بحزم انه يرى ان يوم التتويج لا يمكن تأجيله، وسيكون كذلك.

28 آب

كان الاسبوع الفائت اسبوعاً عصيباً، لكنا توجنا ملكنا وانا متفقة مع السر پيرسي باننا قطعنا نصف المرحلة، اما النصف الثاني فيتضمن دعوة المجلس التأسيسي، وسن القانون الأساسي.. . وقد تم التتويج في السادسة من صباح يوم الثلاثاء 23 آب، وكانت حفلته قد رتبت ترتيباً يثير الاعجاب. فقد نصبت في ساحة السراي الواسعة منصة علوها قدمان وست بوصات، ومن ورائها البناية التي يشغلها فيصل، وتضم بين جدرانها غرف استقبال الحكومة الوسيعة. وجلس بين يديها مجموعات متجاورة من الانكليز، والموظفين العرب، ووجوه البلد، والوزراء ووفود الألوية، البالغ عددهم ألفاً وخمسمئة شخص.

وفي تمام الساعة السادسة لمحنا فيصلاً ببزته العسكرية، والسر پيرسي ببزته الدبلوماسية الرسمية البيضاء تزينها جميع قياطينه ونجومه، وهم ينزلون درجات السراي من مخدع فيصل، ويقطعون الممر الطويل

المفروش بالسجاد مارين بحرس الشرف (جنود الدورسيت، وكان منظرهم رائعاً) حتى وصلوا الى المنطقة.. فوقفنا عندما كانوا يتجهون الى المنصة، ثم جلسنا حينما جلس كلٌ منهم في محله فوقها. وكان منظر فيصل مهيباً جداً، لكنه كان كثير التهيب ـ لا غرو فقد كانت اللحظة مؤثرة. وقد ألقى نظرة على الصف الأمامي من صفوف الجالسين فلمحني وأشرت له اشارة خفيفة بالتحية. ونهض بعد ذلك حسين(*) (افنان) فقرأ بيان السر پيرسي، معلنا فيه ان 96% من سكان العراق قد انتخبوا فيصلاً ملكاً على البلاد، ثم هتف «يعيش الملك»! وعند ذاك وقفنا للتحية. وقد نشر العلم الوطني فوق السارية بجنبه، وصدحت الموسيقى العسكرية بنشيد «يحفظ الله الملك»(**) ـ لانهم لا سلاماً ملكياً خاصاً لهم بعد. وأعقب ذلك اطلاق احدى وعشرين اطلاقة من المدفع للتحية... وكان من المدهش ان يرى المرء العراق بأجمعه من الشمال الى الجنوب متجمعاً في هذه الحفلة. وهي أول مرة يقع فيها مثل هذا في التاريخ...

وكان السر پيرسي منحرف المزاج، لكنه بدأ يستعيد صحته يوم التتويج وهو الآن بصحةٍ تامة ثانية، ولذلك بادرت الى اجراء الترتيبات اللازمة بكل هدوء ليتمكن أعضاء الوفود من تقديم احتراماتهم له بعد ان حلت دون وصول الناس اليه مدة أسبوع كامل. وقد اتخذت الترتيبات اللازمة ليتم ذلك خلال يومي الجمعة والسبت قبل الظهر. ومن الصعب ان أبين لكم شيئاً عن عدد الناس الذين كانوا يحضرون الى مكتبي دائماً. وكان شيئاً مشوقاً للغاية ان أراهم جميعاً ـ لقد كان بينهم أناس لم أرهم قط، كما كان عدد كبير منهم ممن لم ير بغداد من قبل. وقد حضرت

(*) سكرتير مجلس الوزراء.

(**) هو السلام الملكي البريطاني.

وفود البصرة والعمارة يوم الجمعة، وحضرت وفود الحلة والموصل يوم السبت، وكانت هذه أكبر الوفود القادمة الى بغداد، كما كان وفد الموصل من أكثر الوفود اثارة للدهشة. ولذلك قسمت وفود الموصل الى ثلاثة أقسام - يتألف القسم الأول منها من وجوه المدينة نفسها وزملائهم، ثم المطارنة والقسس المسيحيين الذين يكثر وجودهم في الموصل وحاخام اليهود الأكبر...

اما القسم الثالث فكان أشدهم تأثيراً، اذ كان يتألف من رؤساء الأكراد القريبين من الحدود، وقد فضلوا الانضمام الى الدولة العراقية لأجل ان يروا بأعينهم امكان نشوء كردستان مستقلة تتفق مع ميولهم واتجاهاتهم...

وكان الجميع يعودون اليّ بدورهم بعد ان يكونوا قد واجهوا السر پيرسي مدة ربع ساعة. وكان الأكراد آخر من حضر وأكثرهم مكوثاً عندي. وقد أخبرني رئيس البلدية.. أنهم لم تسنح لهم فرصة لبحث مستقبل كردستان معه، فما هو رأيي في الموضوع؟ فأجبته بأن رأيي هو ان المناطق التي قدموا منها تعتمد على الموصل دوماً من الناحية الاقتصادية، مهما كان عدد الدويلات الكردية التي يمكن ان تتكون منها. فاتفقوا معي في رأيي هذا، لكنهم طالبوا بوجوب تعيين موظفين أكراد في مناطقهم. فقلت اني لا أرى صعوبة في تنفيذ ذلك. كما طالبوا بوجوب تعليم الاطفال في مدارس كردية، الاّ اني أشرت عليهم بأن ذلك قد تعتريه بعض الصعوبات اذ لا يوجد ولا كتاب مدرسي واحد وغير مدرسي ايضاً - مكتوب باللغة الكردية. فآلمهم ذلك، وبعد ان فكروا ملياً بالامر اجابوا بأنه من الممكن اذن ان يتم التعليم بالعربية، لكنهم سألوني عن رأيي في الحكم الذاتي المحلي.. فقلت هل بحثتم الموضوع مع سيدنا فيصل؟ فأجابوا بالنفي. وعند ذاك قلت لهم «من الأفضل ان تفعلوا ذلك فوراً، هل تريدون ان اطلب لكم موعداً لمقابلته؟» فأجابوا

بالايجاب، ولذلك تلفنت الى رستم حيدر(*) واستحصلت لهم موعداً لمقابلته بعد ظهر يوم أمس - وأتوق الآن لسماع شيء عن نتيجة المقابلة. انه شيء ممتع، اليس كذلك؟... دعاهم فيصل لتناول الشاي معه.

قضينا ساعة سعيدة نبحث فيها: (1) قضية حدودنا الجنوبية والغربية في البادية و(2) شكل العَلَم الوطني مع علم فيصل الشخصي. فقر رأينا ان يكون علم فيصل الشخصي علم الحجاز نفسه بصورة مؤقتة بعد ان يوضع في المثلث الاحمر تاج ذهبي اللون، ويجدر بي ان اذكر لكم ان اللون الاحمر هو لون اسرته الحاكمة، ولذلك سيحمل المثلث الاحمر التاج المختص به. ورجائي اليك ايها الوالد ان تخبرني عما اذا كان العلم الحجازي علماً صحيحاً من الوجهة الاصولية، ويمكنك ان تبرق لي برقية خاصة بذلك. انه علم جميل جداً، ومن الممكن ان نميز العلم العراقي عنه بوضع نجم ذهبي على اللون الأسود منه او على المثلث الاحمر. ان المجلس التأسيسي سيبت في ذلك حالما يجتمع. وعلى هذا فأني ارجو ان تخبرني برأيك في الوقت المطلوب، كما ارجو اخباري عما اذا كان لديكم اقتراح أفضل حول علم فيصل.

28 آب (ب)

ذكرت لكم من قبل المشكلة الصعبة التي خلقتها لنا حكومة صاحب الجلالة في آخر لحظة، واشرت الى مذكرتي فيصل والسر پيرسي في هذا الشأن. على ان حكومة صاحب الجلالة قد تنازلت في الحال، ويمكن أن أقول أنها قد نزلت تحبو على بطنها من عليائها. لقد كانت غلطة منهم، وكانوا أبعد ما يكونون عن الرغبة في التدخل، فليبارك الله لنا كلنا. وعند ذاك سرنا فرحين الى الأمام.

(*) رئيس الديوان الملكي يومذاك.

. . . وقد دخلنا المكان ببطاقات من باب السراي الكبرى، وبعد أن بدأت الحفلة منعت الشرطة الدخول على كل أحد، وبذلك حرم عدد غير يسير من الوجهاء، ممن وصل متأخراً وهو يمشي على رجليه، من مشاهدتها. لقد كان هذا هو الترتيب الذي اتخذه العرب أنفسهم، وهو ترتيب مناسب.

. . . وأعقب ذلك أداء التحية بأحدى وعشرين اطلاقة من المدفع. وقد روى الميجر ديچبرن، وهو يعمل في منطقة الناصرية الموحشة، ان احد رؤساء السعدون الذين يشبهون الصقور في شكلهم، علق قائلاً حينما أخذت المدافع تنطلق «هذا هو الحچي». اعتقد بأن هذا هو القول الفصل في كل مكان[1] وعند ذاك خطب فيصل الأول في شعبه.

. . وحينما عدت الى المكتب اخذ الزوار يصلون اليّ، وراح كل منهم يعلق بما عنده. وكان أحدهم علي السليمان، وقد شرع يقول ان السر پيرسي كوكس كان يبدو والله مثل القمر بين الباقين، وكان وجهه كالسماء[*] . وقد سمعت من اناس آخرين ان مصدر الاثارة الكبرى عند الشيوخ القادمين من أماكن بعيدة هو أن يروا السر پيرسي نفسه. فهو بطوله المديد، ومنقاره النسري، مؤثر للغاية. انه يبدو مطبوعاً على حب الخير بقدر ما هو قوي.

. . . وكان عدد من الشخصيات قد حضر الحفلات بعد التتويج. وأذكر منهم قاضي الموصل، وقد يكون هذا الشيخ محبوباً أكثر من أي رجل آخر في العراق كله. وهو أبيض البشرة يرتدي ملابس بيضاء، ويبدو عاقلاً مهذباً الى آخر حدٍ ممكن. وعبد اللطيف باشا المنديل بقسمات

---

(1) تعتقد الآنسة بيل، هنا، ان المدافع هي الوسيلة المثلى لقهر الشعوب، ولكن الشعوب برهنت على انها اقوى حتى من الصواريخ.

(*) الا يعد هذا تزلفاً ونفاقاً.

الجزيرة العربية الحادة الدقيقة البادية عليه، الذي قد يكون أقوى الناس شخصية في البلاد حالياً بعد ان ازيح السيد طالب عن الميدان. ويعد من اكبر التجار كذلك. ومار شمعون الصغير حاكم النساطرة ورئيس اساقفتهم ـ انه في العاشرة من عمره. ويورث هذا المنصب في الأسرة من العم الى ابن الاخ لانهم عزاب ـ ها قد جاء بحلته الكهنوتية التامة والصليب الذهبي الكبير مع السلسلة، ومن المقدر ان يكون رئيساً للأساقفة في جميع أيام عمره. وسعيد بك الرئيس الديني لعبدة الشيطان، وكنت قد رأيته حينما نزلت عند أبيه في 1909 ـ انه يتذكر انه كان يأتي ليجلس في خيمتين طوال الوقت الذي بقيت فيه هناك. والشيخ نوري البريفكاني ذا الشعر الابيض، والعمة مع الالبسة البيضاء، الذي كان يمسك بيده زمام السكان في قسم كبير من مناطق الحدود في هذا العالم وعالم الآخرة، لأنه «ديكتاتور» روحي ودنيوي في الوقت نفسه. وقادر أغا الشوشي، وله عالم خاص لا يتعامل مع غيره، لكنه يفعل هذا بصورة متكاملة تماماً ـ انه رجل جسيم بدين بضخامة، يرتدي ما مساحته عدة «ايكرات» من سروال مخطط يتجمع حول خصره بخيط متين، وأجمل الصدريات الملونة، وأوسع الكولاهات الكردية في رأسه مع شال ملفوف من حوله بأكمله ـ انه جدير بأن يرى.

قضيت في أحد أيام الاسبوع حوالي ساعتين من الوقت مع فيصل بدعوةٍ منه. وقد جلبت له الصور(*) وخارطة لسورية مأخوذة من جريدة التايمس، تبيّن الطريقة التي قطع فيها الفرنسيون أوصال سورية الى دويلات منفصلة. فأحب الصور، وشتم في تعليقه على الخارطة، وهو يقول «والله هذا غير جائز». ثم رحنا نتحدث بهرطقة مثيرة حول سورية. وحضر في تلك الاثناء جعفر ونوري ورستم، وقلت لهم: اني اعرف

(*) صور عن سفرات ونزهات في الهواء الطلق.

سورية احسن مما يعرفها كلهم بأستثناء رستم واحبها ـ أعرفها قرية بقرية، وجبلاً بجبل، ونهراً بنهر، واعتقد ان هناك أملاً واحداً فقط لسورية وهو اننا يجب ان نبقى محافظين على الهدوء هنا، عاكفين على أنجاز عملنا نحن فقط. وحينما نكون قد صنعنا من العراق دولة عربية نموذجية فسوف لا يكون هناك أي عربي في سورية وفلسطين غير راغب في أن يكون جزءاً منها، وقبل ان أموت سأرى فيصلاً يحكم من الحدود الايرانية الى البحر الابيض المتوسط. لكننا اذا تحركنا هنا بالنسبة لهذه المسألة، أو رفعنا صوتنا، فسيكون في ذلك خراب لسورية والعراق على السواء وبسبب هذا لدرجة ما ان مولود باشا، وهو من يسميه جعفر العسكري «حمار صنف أول»[1]، كان يتجول في الموصل ويقول ان أواصر فيصل مهما كانت ملزمة فانه (أي مولود) ينوي ان يعيد احتلال سورية. لقد كان هو الذي قاد الهجوم ضدنا في جهات الفرات الاعلى خلال السنة الماضية، مخالفاً بذلك أوامر فيصل المتكررة. وسيكون من المضحك بعد ان استولى على الدير من الشمال، وأخرج الادارة الفرنسية منها في 1921 لكننا بطبيعة الحال سوف لا نسمح له بذلك.

وتقول المس بيل في رسالة اخرى الى (الليدي بيل زوجة ابيها) وجدت في نفس المظروف:

---

(1) ان خير رد على هذا الشتم والتهجم المستهجن ما يذكره لورنس الشهير عن مولود باشا في «رسائل لورنس السرية». وفي كتابه المعروف «أعمدة الحكمة السبعة» في عدة مناسبات. راجع طبعة جوناثان كيب الأولى الكبيرة من أعمدة الحكمة، الص 92، 119، 164، 381، 518. ومن جملة ما يذكره عنه: ضابط عربي متحمس من تكريت. انزل الاتراك رتبته مرتين في جيشهم بسبب وطنيته الطاغية وحماسته العربية، ثم قضى سنتين منفياً في نجد حيث عمل سكرتيراً لابن رشيد. وقاد خيالة الاتراك ضدنا في الشعيبة فاخذناه أسيراً فيها. وما ان سمع بثورة الشريف على الاتراك حتى خف للتطوع في الخدمة والقتال معه، فكان أول ضابط نظامي انضم الى فيصل خلال الثورة العربية الكبرى (1916).

انا متلهفة للحصول على أجوبتكم الأولى على رسائلي بشأن فيصل. واشعر بكل تأكيد انها ستثيركم ـ فلا يسع المرء الاّ ان يفعل ذلك، حتى اذا كانت التفصيلات التي بينتها لكم غير متقنة، أي مكتوبة بسرعة في صبيحة يوم الاحد. انا مسرورة لأني عشت لأسهم في هذا الامر، وأدوّن حوادثه بقدر ما استطيع. ورسائلي لكم هي السجل الشخصي الوحيد لها، لكنني اكتب التقارير الرسمية أيضاً، وهي لا تخلو من اهمية.

لا أدري كيف سأستطيع في أي يومٍ كان انتزاع(*) نفسي من هذه البلاد ـ هل تعرفون انتم؟ ان الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أني أشعر بأني ابنة او أخت غير صالحة. ان هذا شيء محيّر يا عزيزتي. على ان أمامنا شتاءً صعباً من الاعمال ـ المجلس التأسيسي، والدستور ـ ليس لدي وقت كثير للتفكير بأي شيء آخر.

4 أيلول

ذهبت في صباح الثلاثاء الباكر لاستقبل الملك في عودته من الناصرية. لقد كانت فرصة طيبة ان أرى الناس وأتحدث اليهم. اذ خرج لاستقبال الوزراء، مع مستشار واحد أو مستشارين، وثلة صغيرة من رعاع فيصل الطفيليين. وكان هناك شيء غير يسير من التقولات حول اقامة مظاهرة في المحطة، تلقى فيها الخطب وتقدم العرائض للمطالبة بدعوة المجلس التأسيسي العاجلة، وتحرير الوزراء والموظفين الاداريين العرب من سيطرة المستشارين البريطانيين. فلم يتبلور شيء منها، مع أن هذا كان شيئاً لا يخرج عن مجال التقولات على ما يحتمل فأن هذين الامرين يشغلان افكار الرأي العام في الوقت الحاضر. أظن أننا سوف

(*) لم تستطع انتزاع نفسها عن هذا البلد على ما يبدو، فقد بقيت في العراق حتى توفيت في بغداد ودفنت فيها، وكان ذلك في صباح الاثنين المصادف 12 تموز 1926.

يترتب علينا ان نذهب في اتجاه التنازل الى أبعد مما تكون حكومة صاحب الجلالة مستعدة للتفكير به حالياً. وأشك فيما اذا كان العراقيون سيقبلون بسيطرتنا التامة على العلاقات الخارجية، وسوف يشجعهم في موقفهم هذا تلهف الامريكان، ولم يعترفوا بالانتداب مطلقاً، الى عقد معاهدة خاصة بهم مع الدولة العراقية يستطيعون بواسطتها الحصول على مزيد من الترتيبات المفيدة لهم. ولا شك في ان النفط هو السبب ـ أنه شيء بغيض.

ان كلمة «انتداب» تحدث هنا نفس التأثير الذي تحدثه كلمة «حماية» في مصر. فلقد أثار تصريح فيشر[1] في عصبة الامم، بأن الانتداب هو الذي يمثل علاقتنا بالعصبة بينما تمثل المعاهدة علاقتنا بالدولة العراقية، عاصفة صغيرة من السخط والاحتجاج. وحتى فيصل فوجئ بمثل هذا التصريح ـ ان ما يفهمه هو ان الانتداب سيتم التخلي عنه، وها هو يظهر من جديد بشكلٍ آخر. اما التخلي فأني أتوقع انه لابد من ان يتم، كما تم التخلي عن الحماية، وسوف لا أحزن عليه. فيما يجب ان نتذكره هو ان العرب كلما ازداد عجزهم عن التخلي عن ارشادنا وسيطرتنا ازداد شرفهم الحساس مساً وتخدشاً بوجود كلمة «سيطرة» في مجال التسمية السياسية، أو كلمة «ارشاد» اذا كانت تعني أي شيء أكثر من المشورة التي تقدم فتقبل بحرية.

زرت النقيب يوم الاربعاء. ان ولاءه غير المنقطع للسر پيرسي هو شيء مؤثر وجميل. وقد لعب هو أيضاً دوراً محموداً غير متحيز خلال علاقاته بفيصل. وهو أعرج بحيث لا يستطيع الذهاب لمقابلة الملك كما يجب ان يفعل أي رئيس للوزراء، وكانت النتيجة انه ترك في خارج

(1) لعله هربرت البرت لورنس فيشر H.A.L. Fisher الذي كان وزير المعارف في وزارة لويد جورج خلال 1916 ـ 1923.

نطاق المشاورات وابداء الرأي في وقتٍ اعتقد فيه بأن مشورته تعد ذات قيمة. وفيصل مقتنع، وهو يعيش في جوٍ يسوده التزلف والرياء، بأن الملك يجب ان لا يذهب فيزور رئيس وزرائه. وقد بذلت جهدي في ابطال مفعول هذه الفكرة بمصادقةٍ من السر پيرسي، وآمل ان تكون بياناتي قد أثمرت.

4 أيلول (ب)

لقد انقضى الاسبوع كله بالتحريكات حول تشكيل الوزارة الجديدة. فألقى جعفر بعبئه عليّ، وترتب عليّ بعد هذا ان أحظى بثقة فيصل نفسه أيضاً. فقد بعث يستدعيني يوم الاربعاء، ولم ألبث دقيقة هناك حتى أعلن اسم الميجر يتس. فاتفقنا على ادخاله وجرى بيننا حديث ثلاثي بالغ النجاح. ان منطقة الدليم تعد من أحسن مناطقنا الادارية، وقد توسعت زراعتها توسعاً جسيماً وارتفعت وارداتها من الضرائب الى ثلاثة اضعاف في السنوات الاربع الاخيرة. لكن الميجر يتس لا يقرع طبوله بنفسه، فأفدته بتوجيه أسئلة له، مثل «خبرنا، عزيزي الميجر يتس، كيف تقارن وارداتك الحالية بواردات سنة 1918؟» ففرح فيصل، وتشجع حينما قدمت الحسابات اليه، ثم التفتا الى مناقشة شؤون عشائر البادية وكانا على اتفاق تام بشأنها. فالمشكلة هي أن شمراً، وقد كان يضايقها ابن سعود، قد هربت بأعدادٍ كبيرة من جوار حائل والتجأت الى قبائل عنزة التابعة لنا. وهم يفكرون الآن في ان يغزو قبائل ابن سعود بدورهم من مأواهم الآمن هذا. غير ان فهد بك (الهذال) يقول بحق انه سيكون مسؤولاً في الدرجة الثانية لأن عشائره ستسهم في الغزوات المقابلة التي سيشنها ابن سعود بالتأكيد على شمر. وكان فيصل أعقل من الجميع في هذا الشأن فأعد الخطط لكبح جماح شمر، برغم كونه يرغب رغبةً ملؤها الحماسة (وكذلك نحن كلنا) في ان يرى ابن سعود حابط المسعى في الاستيلاء على حائل.

وبعد ان خرج الميجر يتس حدثني فيصل بجد عن الوزارة. أن المشكلة المحيرة هي وزارة الداخلية، وكانت قد شغرت منذ ان أخرج السيد طالب من البلاد. وتعد التعيينات الأولى هذه بالغة الأهمية بالنسبة لفيصل لأن الناس ستحكم عليه بواسطتها. فأذا عينّ وزراء صوريين، لكونهم أناساً مأموني الجانب موالين لنا فقط، فسيقول جميع المتحمسين الذين يريدون ان يعملوا ان الوزارة ما هي الا مهزلة، وما فيصل سوى العوبة بايدي الانكليز ولما كانت هذه الوزارة من جهة اخرى ستشرف على دعوة المجلس التأسيسي ووضع القانون الاساسي للبلاد فيجب ان تكون قوية العزم منذ اللحظة الأولى.

وابرز من يليق للداخلية ناجي السويدي، غير انه مع كونه بارعاً صادق النية غير ثابت في مبدأه، وقد أيقنت بأن السر پيرسي كان محقاً حينما قال في مبدأ الامر انه لا يريده. على ان الصعوبة في أيجاد بديلٍ له من غير الوزراء الصوريين قد جعلتني أفكر بفكرة أخرى. فعلينا ان لا نغمض جفناً اذا ما عُين ناجي في الداخلية، واعتقد اننا بالرقابة المستديمة يمكننا ان نحمله على السير سيراً مستقيماً. وقد بيّنت هذا لفيصل، لكني أضفت قائلةً إني خادمة من خدام السر پيرسي ولا يسعني ان أحمل رأياً يختلف عن رأيه. على أني اذا وجدت المستر كورنواليس يحمل الرأي نفسه فسأواجه السير پيرسي في صباح اليوم التالي وأحاول تبديل رأيه في موضوع ناجي. وقد ذهبت الى كورنواليس فألفيت انه يوافق على ما ارتأيه، لكن السر پيرسي لم يكن بالامكان زحزحته عن رأيه. وأخيراً وقع اختيارهم على توفيق الخالدي، أحد «المبعوثين» السابقين، وهو رجل بارع حسن الثقافة والتعلُّم. غير ان المشكلة هي انه يشتهر بميله للاتراك، وسوف لا يحظى بثقة فيصل واعتماده قط.

وتحتاج الحالة هنا الى الكثير من الرقابة والانتباه. لقد قرأت في

الجرائد العربية قبل أيام ان واحداً من أسوأ الانذال قد عُين ناظراً لخزينة فيصل الخاصة[1]. وكنت أعرف الرجل منذ عام 1916، ولم اعرف عنه شيئاً قط سوى انه يثير الاضطراب والقلاقل، وكان في بعض الاحيان أسوأ من ذلك بكثير. وقد اتصلت تلفونيا بالمستر كورنواليس حول الموضوع ـ انه لم يعرف شيئاً بوجه خاص ـ لقد قيل له فقط ان أخلاق طه لطفي[*][2] هذا تشبه أخلاق المستر تيراپين تمام الشبه. ولذلك أحضرت ملفة كبيرة، ونحاول الآن كلنا ان نخرج المستر تيراپيني من جديد.

وبالنسبة للاشخاص من أمثال طه لطفي اني يجب ان أكون شيطاناً فظيعاً في الذاكرة والتسجيل، لأني بقيت أجلس في وسط الحشرات مدة طويلة من الزمن، وأصبح جميع الذباب والبق والبعوض ـ وحتى الذباب الصغير ـ معروفاً لديّ.

ولنعد الى الناس الميالين للاتراك. فهناك دعاية قوية تبث الآن في كل مكان، ويقوم السيد أحمد السنوسي بارسال كميات من الرسائل يحرض فيها القبائل والاشخاص على الثورة ضد فيصل باسم الاسلام.

وتدحرج داخلاً عليّ في هذه اللحظة جعفر (العسكري) ليقول لي أن تعيين توفيق (الخالدي) سيكون شيئاً مهلكاً لأن جميع المنضمين الى الحزب التركي سيجلسون منتصبي الآذان، وهو متأكد من أنه سوف لا يستطيع جمع مجندين للجيش العراقي في هذه الظروف والاحوال. وكان

---

(1) لعلها تشير الى صفوت باشا العوا الذي كان حتى سنة 1923 ناظراً للخزينة الملكية الخاصة.

(*) لعلها تقصد السيد طه البدري، وكان يتولى أمر الهتافات في حفلات «المواليد» وغيرها التي كانت تقام تمهيداً لثورة العشرين.

(2) انها لا تقصد السيد طه البدري، كما توهم المرحوم المترجم، بل تقصد طه افندي لطفي بالذات الذي كان محاسباً للخزينة الملكية الخاصة.

قد أخبر فيصلاً بأنه سيستقيل. فهاجمته عن هذا وقلت له بأنه يترتب عليه ان يخدم في السراء والضراء مثلنا جميعاً. وحينذاك طلب اليّ ان أذهب معه لمقابلة فيصل، وكان قد ساوره اليأس واخذ يتحدث في موضوع الذهاب الى انكلترة وعرض الامر على المسؤولين فيها. وعند هذا الحد قفزت الى سيارة جعفر وذهبت لمقابلة فيصل، حيث كان من سروري ان أجد المستر كورنواليس موجوداً أيضاً. وجاء الكولونيل جويس (المشاور العسكري) كذلك، فقلنا لفيصل متحدين بأن لا يذهب الى لندن في الوقت الحاضر لأن البلاد بأجمعها ستقول انه قد اختلف مع السر پيرسي بشأن الوزارة، ويكون ذلك شؤماً على كليهما. وأظن اننا قد اقنعناه بالعدول عن رأيه، لكننا لم نذهب بعيداً بالنسبة لحديث الوزارة.

تصلنا أخبار من الشمال مفادها ان الحكومة الفرنسية في سورية كانت قد بعثت بعشرين ألف پاون الى السنوسي لتعاونه في دعايته ضد فيصل وضدنا نحن - جميل، أليس كذلك؟ انهم أناس لا يمكن احتمالهم. ان الفقرة من الرسالة سرية، وكذلك حديث الازمة الوزارية. انكم بمثابة يومياتي، أكتب لكم كل شيء كما يقع ويحصل.

. . . كانت الليلة الماضية اول ليلة من ليالي محرم الحرام. وقد غطت على فوانيس الليدي كوكس في حدائقها أضواء المشاعل الملتهبة التي كانت تحملها مواكب العزاء في الخارج، وهي تستعرض في الشوارع بعويلها ولطم الصدور فيها تأبيناً للامام الحسين..

11 أيلول

ها قد تشكلت أول وزارة (*) في عهد فيصل، ونحن ممتنون مما

(*) تشكلت هذه الوزارة على الوجه الآتي: عبد الرحمن النقيب للرئاسة، الحاج رمزي بك للداخلية، ساسون حسقيل للمالية، ناجي السويدي للعدلية، جعفر العسكري للدفاع، السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني للمعارف، السيد =

حصل بوجه عام. ان ستة وزراء من تسعة هم وزراء مقتدرون بصورة بارزة ولائقون تماماً للمنصب...

انتقل فيصل الى داره [*] الجديدة المطلة على النهر في شمال بغداد، وهي دار صغيرة لكنها جميلة جداً في الحقيقة. وفي يوم الاربعاء تلفن لي أحد مرافقي الملك ودعاني للعشاء ـ ذهبت الى هناك بالزورق البخاري. هل كتبت لكم من قبل عن النهر في أمسية من أماسي الصيف الحارة؟ يخيّم الضباب عند الغروب بكتل بيضاء فوق الماء، ويتلاشى الشفق فتتلألأ أضوية المدينة في الماء من الضفتين، بينما ينساب النهر انسياباً سمحاً في العتمة وهو يمتليء بانعكاسات غامضة فيحاكي بذلك طريق الظفر الممتد بين طيات الضباب. ويمر بين فينة واخرى زورق منحدرٌ، يحمل في مقدمته ضوءه المرتعش. وقد تعقبه مجموعة من «القفف» في كل منها فانوس صغير، وهي موسوقة الى الحافة بالرقي من سامراء. وما يمر زورق بخاري حتى ترتفع أصوات نوتيتها فتقول «على مهلك، على مهلك، لا تثر الامواج لئلاً نغطس ـ انظر الى ثقل حمولتنا». فنبطئ السير، ونتمهل مخافة ان يزعجهم الموج وطشّار الماء. وبذلك يكون الموج المتأتى عن مرورنا خفيفاً بحيث لا يطفئ حتى شموع النذور المشتعلة فوق الكربات[1]، التي تنزلها في الماء أيادٍ ملهوفة من شمال المدينة ـ واذا قدر لهذه الكربات ان تصل بلدة أخرى تطل

= محمد علي فاضل للأوقاف، عزت باشا الكركوكي للأشغال، عبد اللطيف المنديل للتجارة، الدكتور حنا خياط للصحة. وقد اختير سماحة الشيخ عبد الكريم الجزائري لوزارة المعارف في بداية الامر فاعتذر، وعين في مكانه السيد الشهرستاني.

(*) وهي القصر المطل على دجلة في شمال وزارة الصحة السابقة، التي كانت تسمى «قصر شعشوع» كما ذكرنا في شرح سابق.

(1) جمع كربة، وهي أصول سعف النخيل.

على النهر، وظلت الشموع مشتعلة فوقها، فسرعان ما يبرأ المريض الذي نذرت له بأذن الله، أو يولد الطفل المنتظر بسلام فيدخل عالم الظلام المستعر، والاضوية المتألقة، والانعكاسات المحيرة.

ها أني وصلت بكم الآن الى حيث يقف النخيل محتشداً بامتداد ضفتي النهر، وقد هدأ ماؤه هدوءاً يجعلك ترى فيه نجوم «العقرب»[1] واحدا فواحداً، وسنمر مترفقين بتلك القفف ـ تلك هي درجات السلم المؤدية الى دار فيصل.

ومع هذا فاعتقد بأنكم ما زلتم غير قادرين على تكوين فكرة تامة عن مقدار الجمال الساحر هنا.. وركبت مع نوري أيضاً في صباح الجمعة، فذهبنا لتناول الفطور عند الحاج ناجي.

وفي طريق عودتنا راكبين بين بساتين ضاحية الكرادة، حيث يعرفني الناس جميعهم ويحيونني حينما أمر بهم، قال لي نوري «ان من أسباب مركزكِ المرموق هذا بين الناس هو كونك امرأة. فعندنا خاتون واحد فقط، وما أشبه وضعك هذا بوضع سيدي فيصل حينما كان في لندن يرتدي الملابس العربية دوماً، ولم يكن يوجد شخص آخر مثله. ولذلك سيظل الناس هنا يتحدثون الى مئة سنة أخرى عن مرور الخاتون راكبة جوادها».

ربما يكون قد فاتكم ان تلاحظوا اننا الآن في منتصف محرم الحرام، وفيه يستمر الشيعة من أوله الى منتصفه على تأبين الحسين، سبط النبي، وكان قد دعاه العراقيون من مكة ليكون خليفة للمسلمين، لكنه لم يحظ بتأييدهم حينما وصل، وقاتله جيش خصمه معاوية(*) في

---

(1) العقرب كوكبة في البرج الثامن. وفيها نجم عملاق احمر هو قلب العقرب يرافقه نجم اخضر.

(*) كان الجيش الذي قاتل الحسين جيش يزيد كما لا يخفى.

المكان الذي تقع فيه كربلاء اليوم. وهناك قضى نحبهم على مشهدٍ منه أتباعه من العطش والجروح، واستشهد هو مقتولاً في اليوم الخامس عشر(*) . ولم ينج غير ولد صغير من اولاده، فتحدر فيصل(**) من نسله (وكذلك النقيب).

وأذكر بالمناسبة ان فيصلاً حينما قدم الى العراق كنت اتذكر على الدوام قصة جدهِ هذا. فالشبه تام بين ظروف الاثنين، في دعوته الى العراق، ورحلته من مكة، ووصوله وحيداً الاّ من أتباعه الرسميين المرافقين له. واذا كانت الحوادث قد برهنت على ان المصير كان شيئاً مختلفاً فلأني كنت أقول على الدوام «**ابعد الله النحس**».

ها قد أخذ الشيعة الآن يقيمون مراسيم العزاء بشدة. وتكون على شكل مواكب تخرج في كل ليلة حاملة المشاعل، «الدمامات»، ومتكونة من أناس يلطمون على صدورهم. دعاني شاب من الشبان الموظفين في دائرتنا لأتعشى يوم الجمعة عنده وأشاهد المواكب... وسرعان ما اقترب صوت الدمامات الموحش، وامتلأ الجو بأضواء المشاعل، فدخلت المواكب الى الساحة الكبرى. وقد دخلت المشاعل والرجال يقودون في ضوئها خيلاً ذات عدة فخمة، أو يحملون أعلاماً كبيرة، أو صوانٍ ملأى بشموعٍ متقدة فوق رؤوسهم. وأعقب ذلك دخول جماعة كبيرة من أناس متشحين بالسواد، وانتشروا في الساحة وكوّنوا خطين متقابلين. وكان هؤلاء يهزون بأيديهم سلاسل خاصة، ويضربون بها على أظهرهم ضرباً متتالياً ـ تكون ملابسهم السوداء مفتوحة من الوراء الى المحزم لكي يقع ضرب السلاسل على ظهورهم العارية. وهم يهزونها هزاً بارعاً جداً، يتحركون فيه حركة خاصة عندما ترفع الى أعلى بحيث لا تصيب الجلد

(*) قتل الحسين في العاشر من محرم الحرام (يوم عاشوراء).

(**) تنتمي أسرة فيصل الى السادة الحسنيين لا الحسينيين.

الاّ اصابة خفيفة، لكن التأثير كان شيئاً مدهشاً ـ منظر الهياكل السود في ضوء المشاعل المشتعلة، وهي تتأرجح من جهة الى أخرى على نسق واحد، مع هزة السلاسل وصوت الدمام. ودخل بعد ذلك لاطمو الصدور وقد تعروا الى المحزم، فوقفوا جماعات جماعات يلطمون صدورهم بتناسق على نغمة تغاير الدمام. وكان كل موكب يهرع الى داخل الساحة يهز رجاله السلاسل ويلطمون الصدور ثم يخرجون الى الشارع، ويعقب ذلك موكب آخر وآخر بصورة غير متناهية. . .

11 أيلول (ب)

. . غادرت بغداد خلال الاسبوع الماضي في وسط الصراع المشتد من أجل تأليف الوزارة. لقد تم تشكيل وزارة فيصل الأولى، ونحن بوجه عام راضون تمام الرضا. وقد اضيف مجدداً وزير ممتاز، وهو طبيب مسيحي(*) نشط مدرب تدريباً حسنا في اختصاصه، فأصبح وزيراً للصحة وهي وزارة جديدة. وأذكر بصورة سرية ان هذا من تعييني أنا. لقد قدمته الى السر پيرسي، واقترحت عليه احداث وزارة للصحة ـ ان الجميع مسرورون بذلك. لكنهم لا يعرفون بأني أنا فعلتها.

. . ان العراق بلاد صغيرة قد لا يعتبر رئيس وزرائه شيئاً مهماً في العالم، ومع ذلك فقد كنا نصنع التاريخ. وفي أثناء تشكيل الوزارة هذا الاسبوع تغلغلت في عقول أتباع فيصل المخلصين الى أعمق مما كنت قد فعلته من قبل. ليس هناك عدد كبير منهم، ومن الوطنيين الذين يؤكد تفانيهم الشخصي لفيصل قناعتهم بأنه هو وحده يملك المزايا التي تليق بملكٍ عربي يستطيع توحيد العرب ويتبوأ مكانه بين ملوك العالم الآخرين، يعتبر جعفر ونوري ابرز الامثلة في رأيي. وما يخشيان وقوعه

(*) انه الدكتور حنا خياط.

هو ان يعود الاتراك الى هذه البلاد بالدس والخديعة لا بقوة السلاح. فأنهما يعتقدان بأن العجلة ربما يتبدل دورانها في تركية فيأتي الاتحاديون الى سدة الحكم من جديد، فيكون في هذا حافز قوي للاتحاديين هنا. ولو كان هؤلاء يشغلون مناصب عالية في الدولة فأنهم في هذه الحالة قد يسببون ضرراً لا حدود له للقضية العربية، ولذلك فأن مجموعتي الصغيرة من الاصدقاء بالرغم مما يملكونه من قدرة يعارضون في تعيين هؤلاء في المناصب ذات المسؤولية الكبيرة. وهذا هو السبب في معارضتهم لتوفيق الخالدي(*) . وقد اعترضت على نوري، حينما كان يشرح رأيه في توفيق، بقولي ان الخطر لا ينطوي في الميل الى الاتراك فقط وانما ينطوي في جنون المتطرفين من أصحابه هو أيضاً. فرد عليّ يقول «ليس هذا على مثل هذه الدرجة من الخطورة، لانهم طالما كانوا يشعرون بشعورٍ عربي فلا يهمنا أمرهم. ان سيدي ـ فيصل يعرف كيف يعاملهم، انهم سوف يختفون».

وكانت عندنا في يوم الاربعاء حفلة عشاء مرحة، حضرها فيصل وأنا ونوري ورستم وأحد المرافقين. وقد قص علينا فيها فيصل خبراته في لندن. فحينما وصل اليها بعد أن أخرجه الفرنسيون من سورية ذهب الى وزارة الخارجية وقابل السر جون تيلي، الذي وصفه وصفاُ محقاً بانه شخص مسالم. وقد أخبره السر جون بأنه سيقابل الملك جورج الخامس، لكنه يجب ان لا يكلمه بشيء عن سورية، ولا يأتي على ذكر الفرنسيين، وان لا يلمح فضلاً عن ذلك بشيء الى ان اتفاقياتنا مع العرب كانت منافية للاتفاقيات التي كنا قد عقدناها مع الفرنسيين. لكنهم ويا للأسف قد أهملوا تزويد الملك بنفس التعليمات فراح يتطرق في

(*) كان الشائع في بغداد يوم تم اغتيال توفيق الخالدي فيما بعد، من دون ان يكتشف امر القاتل، ان مدبري الاغتيال هو جعفر العسكري وجماعته بمعرفة الملك فيصل.

الحال الى جميع المواضيع المحرّمة، وأنهى الحديث بتطمين فيصل وتوصيته بأن لا يقلق لاننا نقف وراءه بمتانة.

ركبت في صبيحة يوم الجمعة مع نوري، فأخبرني بكثير من التقولات الدائرة حول اسرة الشريف فالابناء الثلاثة علي وعبد الله وفيصل هم اشقاء من أم واحدة، وعبد الله هو الابن المفضل والمقرّب بينما يُبعّد فيصل على الدوام ويُكلف للقيام بأعمال تقع في أماكن بعيدة. وحينما توفيت أمهم تزوج الشريف بأمرأةٍ شركسية، فتشاجرت مع علي حول ادارة البيت وأخذ علي يكره ابنها زيداً، بينما راح فيصل يحبه. وصار علي وعبد الله معاً يحسدان فيصلاً في الوقت الحاضر.

17 أيلول

يسرني اهتمامكم برسائلي، بارك الله فيكم. ليس صحيحاً قط أني وجهت مصائر العراق كما اريد، لكن الصحيح هو ان امنيتي قد تحققت بتأسيس الحكومة العراقية. والمرء اذا ما وضع فيه هذا المقدار من الثقة يصبح موقفه دقيقاً. وانا ابذل عناية فائقة في الابتعاد عن التطفل عليهم (أي على العراقيين)، واجعل التدخل جميعه بطلبٍ من عندهم. على انهم حينما يريدون المجيء اليّ لطلب المشورة يجدونني في محلي على الدوام، لكنهم حينما يكونون مشغولين في أمورٍ أخرى انصرف الى شؤوني الخاصة. . .

كان يوم الثلاثاء الاخير يوم 15 محرم، أعني يوم عاشوراء(*) . وهو يوم الختام لمآتم الحسين، واليوم الذي قتل فيه. . . انهم يمثلون هنا

(*) يوم عاشوراء العاشر من محرم بلا شك.

(**) جيوش يزيد.

كيفية قتل الحسين كلها، بهجوم جيوش معاوية(**)، وقتل جماعته القليلة واحداً بعد آخر، وحرق خيامهم. وقطع رؤوس القتلى لارسالها الى معاوية(*) ...

17 أيلول (ب)

... ليس صحيحاً قط ان يقال اني قررت مصائر العراق، لكن الصحيح هو اني صرت أتمتع بحرية التصرف بوجود حكومة عربية في البلاد. فأن كوني أصبحت موضع ثقتهم الى هذه الدرجة يجعلني في موضع دقيق. ولا تعد مهمتهم شيئاً سهلاً، ولذلك فهم تواقون الى التصالح مع متطرفيهم هم انفسهم، وليس هؤلاء، على ما اعتقد انا شخصياً وأصارحهم به، أكثر من عُمُد مسندة كُسيت بقماش المناضد ووضعت رؤوس اللفت (الشلغم) في قمتها. وقد يكتشفون ذلك بمرور الزمن، حتى وقد يتعلمون شيئاً من استهزائي بهم. والحقيقة هي (وهم يعرفون ذلك باشمئزاز) ان هذه البلاد ليس فيها الآ القليل من الوطنية الحقة[1]، وستبقى كذلك حتى يتيقن الناس ان الحكومة العراقية، ونحن من ورائها، سوف لا تنتهي بكارثة. وهناك في الوقت نفسه عدد غير يسير من الحمقى يعتقدون بأنهم اما ان يشتركوا كلهم في ادارة البلاد أو أن يقلبوا كل شيء فيها. انهم غير قادرين على الاضطلاع بكلا الشيئين. ولا يهمني سواءٌ أعلموا بذلك أم لم يعلموا لأنهم غير مهمين، لكني أريد بتلهف ان يعلم الآخرون بأنهم غير مهمين.

كان يوم الثلاثاء الماضي اليوم الخامس عشر من محرم، يوم عاشوراء(!)، اي اليوم الذي يصل فيه الحداد على الحسين ذروته، وهو

(*) الى يزيد.

(1) هراء، ومكابرة مقيتة، وقد تناست، ومعها اسيادها، الوطنية الحقة التي كانت تغذي ثورة العشرين الخالدة.

يوم الذكرى السنوية لاستشهاده(*) . وذهبت لأرى المراسيم التي تجري في الكاظمية ـ ليس بوسعك في الحقيقة ان تراها لانها تجري في داخل الجامع، لكن رئيس البلدية (السيد جعفر عطيفة) أعدّ لنا غرفةً خالية تواجه الجامع. وحالما وصلنا الى هناك مر فيصل داخلاً الى الجامع حيث أعدت له شبه مقصورة في الساحة، وصار يشاهد تمثيلية محرم منها. انهم يمثلون تاريخ وفاة الحسين برمتها، مثل هجوم اتباع معاوية (!)، والعصبة الصغيرة المجاهدة التي قتل أفرادها واحداً بعد آخر بين يديه، واشعال النار في الخيم، وقطع رؤوس المستشهدين بقصد ارسالها الى معاوية (!). وقبل ان تبدأ التمثيلية كانت المواكب تمر من تحت شبابيكنا موكباً بعد موكب فتدخل ثم تخرج. وكان هؤلاء فدائيي الحسين، وهم على نوعين: نوع اللاطمين على الصدور العارية وتعتبر آلامهم خفيفة نسبياً، ونوع الرجال الذين يطبرون بالقامات. وحينما كان يسمح لأهل القامات في ايام الترك بأن يفعلوا كما يشاؤون قتل عدد منهم انفسهم. اما الآن فقد نظمت الشرطة كل شيء، ومع ان العملية تبدو فظيعة في منظرها فأنها غير مخطرة. اذ تجري كالآتي: بعد ان يحلق المتطوع شعر رأسه بعناية بحيث يترك مساحة طويلة ضيقة من الرأس عارية، يعمد أحد مفتشي الشرطة الى تشريطه عدة مرات في جلدة الرأس بالقامة. وينزف الضاربون بالقامة نزيفاً فظيعاً، فينزل الدم على أوجههم، وقد يربت الضارب بيده على رأسه النازف ثم يمسحها بصدريته البيضاء فيحدث مظهراً مذهلاً من التخضب بالدم. وبعضهم تتشبع ملابسه تشبعاً تاماً بالدم من الخلف، لكني لا يسعني الاّ ان اعتقد بأن جميع هذا الدم

(*) من الغريب ان تدعي المس بيل بانها تعرف كل شيء عن العرب والمسلمين، وتقضي السنين الطويلة في العراق فتبقى جاهلةً بأن عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر محرم، وان هذه الواقعة المهمة في تاريخ الاسلام قد وقعت في عهد يزيد لا في عهد والده معاوية.

لابد من ان يكون دم الغير، أي دم الخراف مثلاً. وقد اندفعوا كلهم الى خارج الجامع وهم يلوحون بقاماتهم وسكاكينهم، لكن هذه سرعان ما اخذها منهم بحذق وبراعة بعد احتجاج البعض، مفتش الشرطة الذي كان قد شرط رؤوسهم في بداية الامر، من أجل ان يحول دون مضيهم، في نوبة الحماسة، في إيذاء أنفسهم. ان هذا كله شيء وحشي فوق العادة، يكرهه السنيون لاعتقادهم بأنه خزي للاسلام[1].

وبعد ان أنتهت هذه الجماعة من أعمالها الغريبة لم يحدث شيء خلال مدة طويلة - لم تكن المراسيم قد نظمت جيداً، فقد تطاولت الفترات أكثر مما يجب. وبرغم الاهتمام العظيم البادي على وجوه الجموع المحتشدة، اضطجعت على الارض وأخذني النوم العميق لمدة نصف ساعة. ثم أعلن رئيس البلدية في حوالي الظهر ان الغداء جاهز في بيته. فذهبنا في شارع جانبي صغير كان المشاهدون والممثلون المزوقون مضطجعين في أطرافه. فتحدثت الى الممثلين متسائلةً عن الجيش الذي ينتمون اليه وتلقيت ردوداً متلهفة - تذكروا ان الأوربيين لم يكن يسمح لهم قبل الحرب بالدنو لمشاهدة الكاظمين ولو من بعيد في يوم عاشوراء. ومشينا بعد ذلك نقطع الشوارع عبر بابين من ابواب الجامع الكبيرة، ثم دخلنا «دربونة» ضيقة في بيته. وكان الناس يخلدون الى الاستراحة حيثما وُجد الظل، كما كان باعة الخبز والباقلاء منشغلين بعرض بضاعتهم على الناس. فقلت لهم «عوافي» ورد الجميع «عافيتين! هل تسمعون ماذا تقول؟ انها تقول عوافي». وبينما كان رئيس البلدية يقف مرتبكاً في باب

---

(1) بعيداً عن كراهية السنة - كما تزعم الآنسة بيل - وبرضا الشيعة، بعد التحامهم في وحدة وطنية راسخة، في ظل التحولات الاجتماعية العميقة، والتنمية الاقتصادية الشاملة.. ترك شعبنا العظيم هذا التقليد الذي أشارت اليه الآنسة بيل، وكان البديل هو الاعتزاز بذكرى ثورة الحسين عليه السلام والتشبث بأمجاده الثورية، والمحافظة على هيبة هذه المناسبة، بمعزل عن الممارسات الشاذة.

بيته وكأنه يفتش عن شيء، مع مفتاح كبير في يده، انتابني شعور حي بالغرابة والدالّة في الوقت نفسه ـ السيد باخضرار لباسه وعمامته، والشارع الحار الضيق، والناس الذين كان من الممكن ان يغتاظوا لوجودنا ولم يفعلوا شيئاً بطريقةٍ ما.

أنا شخصياً سنية(*) ، غير انه ليس من الخير ان اتظاهر بعدم الشعور بأني أقرب بنفس المقدار من جماعة قديمة مثل سيد جعفر (عطيفة) أو أي رجل من رجال العشائر.

وحينما عدنا الى شباكنا بعد الغداء كانت التمثيلية تقارب الانتهاء في ساحة الجامع، فهرع الممثلون في الحال الى الخارج، وهم يقودون خيولاً تكسوها الاقمشة المقصبة ببذخ، وكجاوات[1] النساء (الملأى بالاولاد والبنات الصغار وكانوا مسرورين للغاية لاسهامهم في المسرحية) والاعلام السوداء في الغالب، ويحملون الجثث الدامية القريبة جداً من الحقيقة فوق النعوش. ثم خرج فيصل، وتحركنا بالسيارة من بعده.

ان تطورات مهمة تحصل الآن في كردستان. فمنذ اللحظة التي وصل فيها فيصل الى البلاد أخذ يتسلم رسائل متتالية من وجهاء الاكراد وزعمائهم القاطنين في شمال حدودنا، تنص على أنهم يريدون ان يخلعوا النير التركي ويشكلوا كردستان مستقلة يرأسها فيصل كملك تحت الحماية البريطانية. ويعمل فيصل على تزويدنا بالمعلومات المختصة دوماً، لكنه حتى اذا لم يخبرنا فليس في ذلك ضير لأن الرسل الذين يحملون الرسائل يأتون على الدوام ويخبرونني بما تحويه رسائلهم، قبل تسليمها في بعض الاحيان. ويريد فيصل بطبيعة الحال ان يعرف ما هي

(*) لا اظن ان هناك شاغراً لها بين السنّة!

(1) جمع كجاوة، والكلمة فارسية، بمعنى هودج.

سياسة حكومة صاحب الجلالة في هذا الشأن ـ انه أمرٌ لا تعلم عنه شيئاً حكومة صاحب الجلالة نفسها..

25 أيلول

كان الاسبوع الفائت اسبوعاً حاراً ـ ارتفعت الحرارة من جديد الى 108 د. ف ـ لكنها انفضت فجأةً يوم أمس الى 92 د. ف، وقد بقيت اليوم لأول مرة منذ خمسة أشهر في غرفتي من دون مروحة غير ان الابواب والشبابيك كانت مفتوحة. وكان الجو رائعاً في صباح هذا اليوم بحيث ركبت جوادي في الساعة السادسة وعبرت الفضاء الكائن خارج البلد الى الفحامة الكائنة على مسيرة ساعتين منه، وهناك تناولت فطوري مع صديقي فائق بك. وقد جلسنا في حديقته الملأى بالوجبة الثانية من الاوراد، ريثما أكلت البيض المسلوق والخبز العراقي والزبد. وكان فائق بك يتحدث اليّ في غضون ذلك وقد بانت علامات الانزعاج في وجهه، حينما كان يقص عليّ مشاكله مع الفلاحين في هذه الايام ـ فقد ذهب جميع الفلاحين الى أشغالٍ في المدينة ذات أجور مرتفعة، أو استأجر قسم منهم أراضي خاصة به تُسقى مع المزارع الذي يوافقون على الاشتغال عنده بعشرة اضعاف الاجور السابقة، ومع هذا يكون ذلك المزارع محظوظاً اذا ما اشتغلوا عنده ساعة واحدة بعد الفجر يومياً، أو اذا لم ينقطعوا عن العمل أكثر من أربع ساعات في منتصف النهار، أو اذا لم ينصرفوا عن عملهم ساعة قبل الغروب. مسكين فائق بك! ان هذا مظهر من مظاهر التقدم بطبيعة الحال، فقد أصبحت البلاد غنية وبات السكان يتوقعون وارداً أكبر لهم، لكن هذا شيء مقلق جداً للمجتمع القديم الذي تداهمه خطوات التقدم الحثيث فتؤثر عليه. ولا يؤدي هذا التقدم في الاخير الى شيء أحسن مما يتصوره فائق بك..

25 أيلول (ب)

تعشيت مع الملك في احدى ليالي هذا الاسبوع. وجلسنا بعد العشاء في الشرفة المطلة على النهر فأفرغ فيصل ما في قلبه عندي. وقد فعل ذلك بتأثير حثّي له على أن يأتي بزوجته واطفاله الى هنا. قال انه يشعر بكثيرٍ من عدم الاطمئنان من المستقبل، فقد كانت البلاد ميالة الى الاتراك في الغالب، ولا يُعرف ما اذا كانت الحكومة البريطانية سوف تصر في المعاهدة المقبلة على بعض الشروط التي لا يمكن ان يقبل بها. وأجبت بالنسبة للنقطة الاخيرة انه من الضروري جداً ان نصل الى اتفاقٍ ما معه، والا فعلينا ان نعترف بالفشل الذريع. ولا ارى موجباً للقلق من أي نوعٍ كان. اما بالنسبة للأولى فقد بينت له اننا يمكننا ان نشكر شخصيته الجذابة، فلماذا لا يكثر من استخدامها؟ فقال بتلهف واهتمام بلى، أنه يريد مزيداً من الاتصالات ـ فهل يوعز بإقامة حفلات عشاء صغيرة؟ ومن سيدعى لها؟ قلت اني أنظم قوائم خاصة بحفلات العشاء، للانكليز والعرب. فانفجر يقول بحماسته اللطيفة المعدية: انتِ والله سيدة البيت ـ ادعِ من ترين أنه أحسن. ثم مضى يقول انه باستثناء المستر كورنواليس، والكولونيل جويس وأنا، لا يعرف الضباط البريطانيين، وهو غير مطمئن من أنهم سيقدمون الخدمة الودية التي كان يحصل عليها منا في سورية. فقلت انهم سيفعلون ذلك بطبيعة الحال ـ فليس عليه سوى ان يصادقهم ويعاملهم كما كان يعاملني انا ويعامل المستر كورنواليس. ثم افترقنا ونحن مثقلون بالمشاريع والخطط.

وفي صباح اليوم التالي نظمت عدداً من القوائم واتخذت الترتيبات اللازمة لاقامة شيء غير يسير من حفلات العشاء. يبدو أني سأدير شؤون البلاط حتى يستطيع الوقوف على قدميه.

كثيرا ما أفكر كم تكون غريبة هذه الامور كلها، سواءٌ ما يختص منها بفائق بك او الملك فيصل. فأنهما أناس تختلف نشأتهما

ومزاملاتهما وتقاليدهما اختلافاً كليا، ومع هذا فحينما يكون المرء معهما لا يلاحظ الفرق، ولا يلاحظانه هما أيضاً. خذ فيصلاً، لقد نشأ في مكة في قصر يمتليء بالخصيان، وتعلم في استانبول، ثم أصبح قائداً عاماً، وملكاً، ومنفياً، وصار بعد ذلك ملكاً من جديد. أو خذ فائقاً، انه يداري نخيله وكرومه، ويدور في بغداد مفتشاً عن أحسن سوق لتموره - وكلاهما يخفان للترحيب بي بأذرع مفتوحة، ثم يجلسان ليقولا لي بأساليبهما المختلفة كيف يتصرفان في الحياة، كما لو كنت أختاً لهما. أني أشعر كأني أخت لهما، وهذا أغرب ما في الامر..

2 تشرين الأول

... نحن نبعث في كل بريد جوي عدداً كبيراً من الرسائل الرسمية الى الوطن، ولهذا يعتبر اليوم الرابع عشر واليوم الثلاثون من كل شهر من أيام الاشتغال المتواصل لانهاء ما يجب ارساله. يضاف الى ذلك ان هذين اليومين من كل شهر هما من الايام التي يترتب عليَّ فيهما انهاء تقاريري نصف الشهرية لكي يكون بوسع السر پيرسي ان يطلع عليها في اليومين الأول والخامس عشر من كل شهر، قبل ان ترسل الى الطبع. ولا يقل عملي هذا الاّ قليلاً عن كتابة تاريخ العراق بفترات نصف شهرية. أنا اعتقد شخصياً بانها سجل لا يقدر بثمن، لكني لا علم لي برأي أولي الامر في الوطن بها. وقد تم في أول تشرين الأول التقرير الثاني والعشرون منها، ويتألف كل واحد من هذه التقارير من الاجزاء التالية: (1) محاضر جلسات مجلس الوزراء (2) الرأي العام - وفيه جميع الحوادث المهمة، وأنواع الدعاية، وحملات الصحف (3) ملخص عن شؤون الالوية، اي التاريخ الجاري فيها، وقلاقل القبائل، وشؤون الري (4) الحدود.

انه حقاً عمل عظيم. وتبعث صور من هذه التقارير الى جميع

الموظفين الانكليز الكبار في الالوية، والى الهند وعدن ويافا واستانبول والقدس ولندن، والى طهران أيضاً. واذا كان الذين يخصهم الامر هناك لا يعرفون عنا ما يجب ان يعرفوه، فليس الذنب في ذلك ذنبي أنا.

2 تشرين الأول (ب)

. . . أقام الملك في الليلة الماضية حفلة العشاء الأولى ـ لقد حضرها السر پيرسي كوكس مع الليدي كوكس، والمستر والمسز ساندرسن، ورئيس أركان الجيش، وجعفر وساسون أفندي، ويوسف السويدي. وكانوا قد نظموا الحفلة جيداً، كما كان فيصل مضيفاً لطيفاً. أنا أقوم الآن بتعليم المرافقين على كيفية تبديل موقع الضيوف، حتى يتسنى لكلٍ منهم التحدث الى الملك.

وحدث في اليوم الثاني شيئان متعبان. فقد جاءني البريد أولاً بالمقال الرديء المنشور في جريدة «النيويورك هيرالد». ان كتّاب مثل هذا الهراء الوقح يجب ان يحكموا بستة أشهر من حبس العمل الشاق. وكان الثاني أني تسلمت كتاباً من المستر نولدر في الموصل يقول فيه انه لا يستطيع إيجاد مكان مناسب لي حينما يذهب فيصل الى هناك. ولا اعتقد بأني قد استأت بمثل هذا المقدار من الاستياء منذ مدة طويلة. فقد كنت أريد ان ارى الموصليين يستقبلون الملك استقبالاً رائعاً، كما كنت أريد ان اكتب عن ذلك. لكن المهم هو أننا متخوفون قليلاً من هذه الزيارة. فالموصل قريبة جداً للحدود، ويستطيع وكيل من وكلاء مصطفى كمال يحمل مسدساً أو قنبلة أن يحدث شيئاً من الضرر. وكلما ازداد عددنا نحن من حول فيصل كان ذلك أحسن، واذا كان بوسعي ان أقول شيئاً في هذا الشأن أقول بأني لا أقل فائدة عن الآخرين لأن كثيراً من اللغط سيحصل اذا ما أصابني شيء. وكان يمكن ان تستضيفني نصف الاسر الموصلية عندها لو كنت أفاتحها في الموضوع، لكني استنتجت من بين

سطور كتاب المستر نولدر انه لا يريدني ان اذهب الى هناك، وهذا ما يجعلني أتألم جداً. أنه (المستر نولدر) غير محبوب كثيراً ـ ففيصل لا يوده مطلقاً ـ وقد دعمته ودافعت عنه، معتقدة بأنه من أحسن ضباطنا ـ كما هو في الحقيقة.

وتستمر الرسالة في يوم 13 تشرين الأول، فتقول المس بيل:

كثيراً ما أفكر فيما اذا كنت مصيبة في بقائي هنا. ان المرء ميّال الى المبالغة في أهميته هو، وليس من شك ان «المملكة العربية» (تقصد العراقية طبعاً) سوف تأخذ بالتأرجح مهما ازددت اعتقاداً بأنها سوف لا تفعل ذلك! ولكني حينما أصل الى هذا الحد من التعليل أحمل وراءً الى صعيد الخيلاء أو الجنون، أو أي شيء آخر يمكن ان نسميه به، بالتفكير بأن أشياء مثل هذه لا تعتمد في الدرجة الأولى على المنطق الصرف، أو أنك على الاقل لا تستطيع ان تحذف من المعادلة الشعور الشخصي او العاطفة التي نمت من حولي بطريقةٍ من الطرائق. لقد كان شاكر بك[1] يتحدث قبل أيام في «المدرسة العسكرية» حول موضوع الوطنية في الجيش. فقال «خاتون، نحن نقول هذه الاشياء لك لاننا نعتبرك واحدة من عندنا». وحينما أقول لفيصل أنا ذاهبة الى الوطن في الصيف القادم يرد عليّ بحدة قائلاً «لا تقولي انك ذاهبة الى الوطن ـ ان وطنك هو هنا. ويمكنكِ ان تقولي انك ذاهبة لزيارة والدك».

جاءنا رجل حقوقي لطيف ليحل محل السر ايدغار بونهام كارتر، يُسمّى ديڤيدسن[*][2]. وستأتي زوجته في الشهر القادم، أتأمل ان تكون لطيفة مثله وستكون صديقةً لي. فقد تركت هنا وحيدةً من دون صديقة من

---

(1) هو الرئيس الأول شاكر بك محمود، وكان مرافقاً للملك فيصل.

(*) اصبح السر نيجل ديڤيدسن فيما بعد.

(2) وهو الذي سيتولى منصب السكرتير القضائي للمندوب السامي.

النساء يمكن ان أكون وثيقة الصلة بها، وهو عائق كبير بالنسبة لي. وحينما أشعر بالوحدة أجد نفسي راكبةً الى عند الحاج ناجي لأقضي ساعةً معه، انه بديل غريب لصديقة من النساء، لكنه أحسن من يمكن ان أجده.

17 تشرين الأول

. . . قلت للسر پيرسي أن نصبي ملكة غير متوجة على كردستان يعد تغييراً لي!! لا اريد ان اقف في طريقه اذا كان هو يستلطف هذا العمل ـ قد يكون من الاحسن ان نقترع على ذلك!. . .

تحللت يوم أمس (الاحد) من قيود العمل وذهبت مع فخري افندي (جميل) بالسيارة الى بساتينه فيما وراء بعقوبة. وقد بدأنا حوالي الساعة الثامنة في صباحٍ حار. . ثم انتهينا بمنظر جميل جداً لا اعتقد بأني رأيت مثله من قبلُ. فالتمور متأخرة في نضجها هذه السنة، وهي ما تزال متدلية من النخيل كأنها أكاليل عظيمة من الذهب، ومن تحتها شجيرات الرمان المثقلة بثمرها الشبيه بكرات وردية كبيرة، وأشجار البرتقال المحملة بالبرتقال الاخضر الفاقع أو الاصفر الناضج ـ كانت البساتين كأنها جنة في البهجة والجمال. لقد تمشيت فيها وأنا مأخوذة بسحرها. وكانت هناك أيضاً قطعة كبيرة من الكروم كانت اعنابها قد بقيت متدلية فيها ـ هناك عناقيد كبيرة من العنب الابيض تضللها ظلة صغيرة من سيقان السوس. وقد طبخ غداؤنا في الهواء الطلق ـ انه رز فاخر مع دجاج ولحم وعصير رمان، وقد قدم لنا بعد ان جلسنا في عريش مسقف بالاغصان المظفورة. . .

17 تشرين الأول (ب)

عاد اليوم سيدي فيصل من الموصل، ويظهر عليه انه في حالة حسنة جداً، كما يبدو انه كان مسروراً للغاية بنجاح زيارته ـ نشكر الله على عودته سالماً!

وتمضي المس بيل في رسالتها فتكملها بتاريخ 24 منه:

... كانت حفلة السباق حارة مملة، غير انها لما كانت أول مناسبة يظهر فيها فيصل فقد حملت فخري جميل على المجيء اليها، بطلبي اليه أن يأتي ويأخذني معه. وترتب عليّ بعد هذا أن أدبر دعوته هو وعدد آخر من الوجهاء الى مقصورة الملك. فربما يمكن بمرور الزمن لاحد أن يدخل في رؤوس المرافقين أن عدداً كبيرامن العداوات المتأصلة تنشأ من أهمال بعض الاعتبارات الاجتماعية الصغيرة.

تناولت الشاي مع فيصل في يومٍ من الايام بعد الظهر، للمداولة في وضع وسام عراقي (لاننا يجب ان تكوّن لنا أوسمة خاصة بنا)، ثم تشعبت المداولة الى حديث طويل عن كردستان. لقد كان يعتقد بأنه ليس من المناسب لنا أو له هو ان تحرق أصابعنا مغامرة كردية، وان أول ما يجب ان يطلب من الاكراد هو ان يأتوا بشخصٍ يستطيعون ترشيحه لمنصب الملكية او الرئاسة ـ أي يجب ان يأتوا بفيصل كردي في الحقيقة. انا لا اعتقد بأنهم يتوفر لديهم مثل هذا الشخص، كما أني مقتنعة بأن تصريحاتنا بمناسبة الهدنة عن كردستان، وأرمينية، تذهب الى أبعد بكثير مما يمكن لقدرتنا ان تضعه في موضع التنفيذ، واننا يجب ان نكون حذرين في التوضيح تماماً بأننا ليس لدينا ولا بنس واحد نصرفه في سبيل ان نروّج قضية الاستقلال الكردي، لاننا لو ساعدناهم لترتب علينا ان نتخلى عنهم في ساعة الحاجة، وسيكون ذلك أسوأ ما يمكن أن يحصل.

انّ شعوراً يساورني باننا سائرون الى الامام. فقد أحدثت زيارة فيصل الى الموصل انطباعاً غير يسير في بغداد. اذ عظمه الموصليون واحتفوا به، فعاد مسروراً منهم، ومن المستر نولدر، فتكوّن لدى الفريقين شعور بالثقة الشخصية. وقد بدأ يشعر بقيمة الناس الذين نثق بهم نحن ونثني عليهم. ويعد المستر نولدر حالة من الحالات في هذا الشأن،

والحالة الاخرى هي علي السليمان شيخ الدليم. لقد كان الاخير في بغداد، وكان فيصل لطيفاً معه فخرج عليّ، وهو من أعظم شخصيات العراق، مسحوراً. وهذا ما يريد المرء منا ان يراه بالضبط، أي حصول ثقة متبادلة بين الملك ورعاياه. انه سيضطلع غداً بجولة تستغرق اسبوعاً واحداً في منطقة الحلة.

وهم منشغلون في الوقت نفسه في اعداد المعاهدة بين الحكومتين البريطانية والعراقية. قال السر پيرسي كوكس أنه لا يتوقع حصول أية صعوبة في عقدها، وحينما يتم التصديق عليها ستكون عائقاً جسيماً قد أُزيل من طريقنا. فقد كان فيصل يعيش في خوفٍ وقلق بسببها، لانه يخشى ان تطلب اليه الحكومة البريطانية الموافقة على شروط لا يستطيع حمل الوطنيين على قبولها، كما فعل الفرنسيون في سورية. وما لم يختف ذلك الكابوس من الوجود فانه لا يشعر بأي نوع من الامن والاطمئنان. ولا اعتقد بوجود سبب لقلقه هذا. اذ يعلم السر پيرسي تمام العلم أية عناصر متباينة يجب التوفيق بينها، وحينما يستقر رأي السر پيرسي على أي قرار فعلى المستر تشرشل ان يجر الحبل، كما تبين لنا من قبل.

31 تشرين الأول (ب)

أشعر متبلدة الذهن بحيث لا يمكنني تدبيج الرسائل بصورة اصولية، ولذلك سأعطيكم خلاصة عما فعلته. فقد أقمت حفلة عشاء للميجر يونغ يوم الجمعة، واخذته يوم السبت لتناول الشاي في حديقة السيد جعفر عطيفة في الكاظمية، وجعلت بعض التجار الشيعة هناك يقابلونه. وقضيت يوم الاحد في الخارج. اذ يضطلع الدليم بإكمال مجموعة جديدة كبيرة من الجداول، تأخذ ماءها من الفرات فوق الرمادي فتسقي الاراضي الممتدة الى بغداد تقريباً. انها مهمة ومفيدة جداً وكان تنفيذها يُعزى في الدرجة الأولى الى نشاط الشيخ علي السليمان، مدعوماً بالميجر يتس الذي اتخذ

الترتيبات اللازمة لأخرج فأراها. وعلى هذا وضعت يدي على المستر طومسن، ويعد أحسن المرافقين. وقد قابلنا الميجر يتس في الفلوجة، ثم توجهنا لرؤية الجدول بسيارته. كان هناك حوالي (1500) من أبناء العشائر منصرفين الى العمل. وهم في العادة يدبرون أنفسهم بأنفسهم من دون ان يتقاضوا أية أجور، لكنهم بانتهاء العمل سيطالب كلٌ منهم بقطعته من الاراضي المَروِّية. وقد مررنا في أراضٍ كانت تبدو من الاراضي البكر التي ستخضع للمحراث في بحر اسبوعين. على أنها لم تكن بكراً في الحقيقة، لانك اذا ما امعنت النظر تجد آثار الجداول القديمة منتشرة فيها. اضف الى ذلك أنك أينما تصادف تلاً من التلول المرتفعة عن سوية السهل المحيط بها تجد فيه آجراً قديماً. وهكذا كان المزارعون العاملون في أيام العباسيين هم الذين وفروا لاخلافهم العمل والتكاليف بتهيئة مواد البناء لهم لينشئوا بها صدور الجداول الجديدة.

عاد فيصل من جولته في الحلة يوم الاثنين، والظاهر انه قد ظفر بنجاح باهر فيها. اعتقد ان الالوية أخذت تنتبه الى حقيقة انهم قد أصبح لهم ملك عربي حقاً، وأنه شيء يفتخر به. وقد خرجت القبائل بألف خيال للاستقبال. ويقولون ان توجهه لزيارة الضريح في كربلاء قد فاق كل شيء شهده الناس من هذا القبيل. انا لم اسمع روايته الخاصة عن الموضوع حتى الآن لأني كنت مشغولة ومتعبة معاً وكان هو منشغلاً بالترتيبات التمهيدية المطلوبة للمعاهدة. وأظن كذلك انه مستغرق للغاية في اتصالاته بحداد باشا الذي وصل بطريق الجو، وآمل ان يرحل بطريق الجو او غيره بأقرب ما يمكن لانه رجل مشغول من الدرجة الأولى.

كانت هناك حفلة عشاء أخرى الليلة الماضية في «المدرسة العسكرية» مما كان لابد لي من أن آنس بها لو لم أكن متعبة جداً. لكنني أتمنى ان يظهر نساؤنا شيئا من اللياقة فيما يلبسنه. لقد جاءت السيدة ـ بلباسٍ أخضر ذهبي صارخ، فُصل واطئاً بصورة فظيعة، من دون ان تكون

له اردان مطلقاً، وكان هذا في حفلةٍ تضم بين مدعويها عدداً من السادة والشيوخ المحترمين والوجهاء الذين ينطوي مفهومهم للباس المرأة على انه يجب ان يحجب جسمها كله. ولم يكن بوسعي ان أفعل شيئاً سوى أن أصب اللعنات على انفراد مع السر پيرسي، الذي يحبذ لعناتي قلبياً. ولست بحاجة الى القول بأن الليدي كوكس تعتبر مثالاً للتعقل، وقد ايدتني حينما أصدرت رجاءً باسمها يطلب فيه من النساء اللواتي حضرن حفلة عشاء البلدية في تموز يجب ان يكن محتشمات. وآمل ان يقوم السر پيرسي، وهو نفسه يذهب لأول مرة الى مثل هذه المناسبات، باصدار امر خاص في هذا الشأن، لكن كان عليّ أن أرجوه بأن لا يفعل هذا بمناسبة وصول تقريري المرفوع اليه ـ لا أريد ان اقف ضد العالم النسوي برمته، بعد ان أصبحت في موقف سيء تجاهه من قبل.

4 كانون الأول

لا يريد فيصل شخصياً ان يجتمع المجلس التأسيسي قبل ان يحسم أمر المعاهدة بالشروط التي يرتضيها، وتحدد مسؤوليات الحكومتين العربية والبريطانية. فمشكلة المسؤولية هي التي تزعج كل أحد هنا، ويتوقف عليها وضع المستشارين وأشياء كثيرة أخرى في الحقيقة. وقوام المشكلة بوجه عام هو ما اذا كان بوسعنا ان نضطلع بمسؤولية الدفاع عن البلاد اذا ما هوجمت من الخارج... وعلينا ان نقنع عصبة الامم باننا نتمكن من الايفاء بالالتزامات الدولية التي يلقيها الانتداب على عاتقنا، وحتى اذا تخلينا عن الانتداب وسميناه «معاهدة» فان هذه المعاهدة يجب ان توضع فيها بعض التحفظات التي يتحتم على العرب قبولها..

ان كلمة «انتداب» تحدث هنا نفس التأثير الذي تحدثه كلمة «وصاية» في مصر...

لكنكم يجب ان لا تحسبوا قط لي ضلعاً في البت في هذه

القضايا. أني أعرف شيئاً عنها لأن السر پيرسي يلخصها لي بوجه عام وما أنا الا متفرجة بالنسبة لها، ومع ان فيصلاً يبدي مظهراً ودياً مقبولاً فأنه لا يستشيرني، وهو محق في ذلك تماماً. أنا لم أره منذ خمسة اسابيع تقريباً، واتحاشى بكل عناية أن ابدأ أية مشورة في امورٍ يكون من الاحسن جداً ترك معالجتها الدقيقة الى السر پيرسي. وغاية ما يمكنني عمله، وما أحاول ان أصنعه، هو ان أعطي أوضح الانطباعات التي أحصل عليها عما يقوله الناس وتختلج به أفكارهم...

قضيت صبيحة مفيدة في المكتب وأنا أرسم حدود العراق الجنوبية من جهة البادية، بمعونة رجل من حائل ومساعدة فهد بك شيخ مشايخ عنزة. ان اعتقاد الاخير بما أعرفه عن شؤون البادية ليثير فيّ الخجل. فعندما طلب اليه كورنواليس تحديد حدود ديرته العشائرية كان كل ما قاله «سل الخاتون، فهي التي تعرف». ولكي احقق حسن الظن هذا، بمعرفتي لكل شيء، تعلمت من فهد بكل عناية جميع ما يعرف عن الآبار التي تدعي بها شمّر. ولو أخذنا الموضوع بوجه عام اعتقد بأني قد توفقت في رسم الحدود بصورة معقولة وتنطوي أهمية هذا الامر في أن ابن سعود قد استولى على حائل، وان السر پيرسي يريد عقد مؤتمر بأقرب فرصة ممكنة بينه وبين فيصل ليقرر بصورة جازمة واضحة أي القبائل والبلاد تعود للعراق، وأيها تعود لابن سعود...

17 كانون الأول (ب)

إلى الكولونيل بلفور:

ان ما يمكن ان استنتجه هو ان المسؤولين في الوطن يتمادون في الجدل والمناقشة حول أزمير وتراقية، اللذين لا يستحقان شيئاً عند مقارنتهما بالمسؤوليات التي اضطلعنا بها هنا. وحينما يقول فيصل انه لا يفهم سياستنا لا يسعني الاّ ان اتفق معه. وبينما تكون الخصومة التركية

قد ملأت الشرق الاوسط بأسوأ أنواع الدعاية ضدنا فاجأنا الفرنسيون في الخفاء واخذوا يستفيدون من اتفاقيتهم. ولا اعتقد بأننا نستطيع التخلص من الوضع المعقد بكرامة، لكنني مستعدة لترك الكرامة جانباً اذا استطعنا التملص بأية وسيلة كانت. ومن حسن الحظ أن تكون شؤون ابن سعود في يد السر پيرسي، لا في يد حكومة صاحب الجلالة. وليس من شك عندي ان الاستيلاء على حائل ستكون له عواقب بعيدة المدى. فقد تقدم ابن سعود بهذه الواسطة ليظهر على مسرح الحوادث في سورية وفلسطين، ناهيك عن شرقي الاردن وجميع المنطقة الممتدة الى الحجاز. ويعني شرقي الاردن دخول المستر فيلبي في الموضوع، وهو يتمتع بالسلطة حالياً هناك، بقدر ما يتمتع بها أي صاحب سلطة. فقد يناصر قضية اميره (الشريف عبد الله أخو فيصل) ـ مع اني أسمع من تي أي لورنس انه شخص بغيض حقاً ـ او قد يبقى متمسكاً بولائه القديم لابن سعود. ان فيصلاً ينظر الى الامر بمنظار اسود، لكنني اعتقد بوجهٍ عام بأنه لما كان نفوذنا وحده هو الذي يمكن ان يمنع ابن سعود من ابتلاع الحجاز وحتى شرقي الاردن فانه من المصلحة بوجه عام أن يتحتم على الممثل الانكليزي هناك أن يكون على وئام معه. لقد تقيد ابن سعود حتى الآن بجميع اتفاقياته معنا تقيداً تاماً، مع ان المرارة الخفية بينه وبين أسرة الشريف يحير بها الوصف.

عزيزي فرانك، كم أتمنى ان تكون أنت وفيلبي هنا! أني احتاج الى شخصٍ أو شخصين وثيقي الصلة بي. فالمستر كورنواليس نصير عظيم لي، لكنه مشغول بحيث لا أراه كثيراً. على ان حلفائي الرئيسين هم الكابتن كلايتون، والميجر موري، والمستر طومسن، أضف الى ذلك اني كثيرة الود للمستر ديڤيدسن. لقد وصلت زوجته الى هنا منذ وقت قريب، وسيأتي كلاهما لتناول الغداء معي غداً. اني ميالة الى تقييم المستر ديڤيدسن تقييماً عالياً، لانه في الاساس رجل متحرر في نظرته

للامور ويتحسس بمغزى علاقاتنا بالعرب وأي فرد آخر هنا.

لقد أشرت عليّ مرةً ان لا أنغمس كثيراً في شؤون هذه البلاد ـ ليس بوسعي أن أفعل أي شيء آخر بطبيعة الحال. فقد أعطوني من الود والثقة أكثر بكثير مما حصلت عليه أنا بنفسي، ولو قدر لهم ان يتخلوا عني غداً لتحتم عليّ ان ابقى مدينة لهم. ومع أنهم قد تجاوزوا الحد في تقدير خدماتي فأنهم لا يستطيعون ان يفعلوا ذلك بالنسبة لرغبتي في خدمتهم. لقد سكبت في هذا الامر قلبي وروحي، فكوفئت على ذلك مكافأةً تامة.

31 كانون الأول (ب)

الى السر ڤالانتاين تشيرول

ان كتابك المنشور في عدد 22 تشرين الثاني 1921 من جريدة التايمس حول الاندفاع المصري يحفزني على الكتابة اليك. لقد أصبحت مصر منذ ذلك الوقت بلاداً معادية مسيطراً عليها بقوة السلاح ـ هناك ثغرة يزداد انقطاع الامل فيها عن ذي قبل بيننا نحن وبين هذا القسم من العنصر العربي. ونحن هنا، كما في مصر على وجه الاحتمال، نمسك بجميع الاوراق الرابحة ـ لكننا هل سنلعبها بتعقل؟ قد صرح السر پيرسي اليوم يقول «أخشى أن تكون الجهات المسؤولة في الوطن غير قادرة على تصور نوعية الجو الذي نعيش فيه» وقد ذهبوا في مصر بعيداً في عدم ادراك الجو السائد فيها بحيث أكاد أرتجف لما سيفعلونه معنا في وقته. وكذلك يفعل فيصل. فقد وضعت لائحة المعاهدة الآن، وهو راضٍ عنها تماماً بالشكل الذي فيه هنا. ومع هذا فأني أخشى ان يتلاعبوا بالجمل والتعابير في الوطن، فيحذفوا شيئاً من هنا ويضيفوا شيئاً آخر هناك حتى يكون رونقها قد قضي عليه ـ قد يكون هذا الشيء القليل من الكلام المنمق الطنان هو الذي سيساعد فيصلاً على الفوز، كالاصرار الصبياني

(اذا شئت) على الاتفاق ما بين شعبين حرين احدهما يقدم العون والمساعدة والثاني يتقبلها دون مساس بكرامته، ذلك فقط، الجو، أي التعبير الجسيم الفخم، بالكيفية التي تود ان تفكر بها.

نحن محاطون من خارج العراق بأشد انواع الخصومة، محاطون بإيران التي تضطلع بدعاية حقد وكراهية من أعنف ما يكون، وبالفرنسيين ـ اترك الامر لك في الحكم على نوعية الجار الذي يتكون من الفرنسيين. ومع كل هذا لم يتململ العراق كله بالنسبة لما يتوقعه من «الايفاء بالوعود». فاذا ما جرحنا كبرياءهم الحساس، واذا مسسنا وعيهم الذاتي القلق ـ الذي يزداد قلقاً لانهم يعرفون في دخيلة انفسهم بأنهم يعملون فقط ليكونوا رجالاً حقيقيين ـ فأي عهد سنفي به يا ترى؟ نحن بالتأكيد على درجةٍ كافية من النضج، والمنزلة الكبيرة، بحيث لا نعبأ بالكلمات اذا كان جوهر الشيء في قبضة أيدينا. ولا يسعنا ان نحصل على ذلك الاّ بالمحافظة على قوة التوازن الدقيقة، المنطوية في ثقتهم. فقد سبق للصهيونية ان أخذت تسبب انحرافات غثة.

ليس هناك وحدة متماسكة في سياستنا العربية، فنحن لم ننظر قط الى القضية العربية باعتبارها كلاً لا يتجزأ. فعندنا في العراق عرب قوميون، وفي فلسطين صهاينة، وقد أبطلنا في سورية جميع القواعد والمبادئ التي قلنا اننا سوف نسترشد بها، وذلك بسماحنا للفرنسيين باكتساح البلاد. ولو كانت الدولة العربية المتمدنة كلها ماشية باطراد في طريق القومية المشمولة ببركتنا لما أظهر الأمير عبد العزيز ابن سعود أية مشكلة. غير انه ليس من السهل الدفاع عن فلسطين ضد أمير عربي من أجل الصهيونية، ولا عن سورية من أجل فرنسة. ومن المحتمل ان يتوصل الفرنسيون معه (أي مع ابن سعود) الى اتفاق خاص بهم. ومن الصعب الاعتقاد بأن هذه كلها تصدر من صميم القلب، بالنسبة لأي شيء نحن صانعوه مع العرب، فهناك عدد كبير من الثقوب، درعنا يتمكن على أي نصل معادٍ من ان ينفذ منها.

ان العبء المنطوي في ما أشكو منه هو انك لا يمكن ان تجزئ سياستك العربية الى أجزاء مستقلة لا ترابط بينها، وهو ما نحاول القيام به على ما يظهر. ان صحافتنا المحلية تشجب الصهيونية بعنف ـ وان يهودنا ينظرون اليها شزراً. ومع هذا فلدينا الآن طلب من المستر تشرشل يريد فيه ان نسمح لوفدٍ صهيوني بزيارة العراق للتبشير بمبادئه! أظن ان السر پيرسي سوف يتملص منه بطريقةٍ ما لأن ذلك سيحدث لنا الكثير من المشاكل. اننا نعمل بطريقة مشوشة مرتبكة، أو اننا نحاول ذلك، لكنها عملية تفقد فيها شعورك بالاتجاه، واينما تحل في النهاية يعتبر شيئاً من طريق الصدفة.



الفصل الثامن

1922

كانون الثاني ـ نهاية تموز

2 كانون الثاني

... كان عيد الميلاد عندي شيئاً فظيعاً فوق العادة، كما سأقص عليكم الآن. فقد كنا انا والكابتن كلايتون وحسين افنان عازمين على الذهاب الى بعقوبة في يوم 23 كانون الأول، ومع ان اليوم كان ينذر بخطر قررنا تلفونياً ان نتوجه الى هناك. ثم ساء وضع الجو بعد الظهر بحيث عدلنا عن خطتنا بالمرة، ولذلك حلت أيام العيد ولم تكن لي أية خطة للتمتع بها، كما أصبح الجو بارداً كثير الرطوبة لدرجةٍ لم أرَ مثلها من قبل، وما زال الجو على رداءته حتى الآن.

جاء المستر تود والميجر ويلكسن لتناول الغذاء معي يوم السبت، فقضينا يوماً مبهجاً. وجاء نوري في يوم عيد الميلاد، وذهبت من بعد ذلك لتناول الشاي مع الملك ـ انه يعيش على بعد مرحلة خارج البلد على ضفة النهر، وان الطريق هناك في حالة سيئة لا توصف، على أني نجحت في الذهاب الى هناك فجرى بيننا حديث ممتع كالعادة. . . وفي يوم الاربعاء انتهت أيام العطلة المشؤومة ـ لكن البرد الذي أصابني لم ينته أمره. فذهبت الى المكتب واشتد عليّ بحيث اضطرني الى المكوث

في البيت يوم الخميس. وذهبت الى المكتب صباح الجمعة فعدت منه للغداء وانا أشعر بمرضٍ شديد. . .

ومن المؤسف أن يبقى المرء وحيداً عشية يوم رأس السنة. فقد أقيمت حفلة تنكرية راقصة فخمة لم أذهب اليها، ولم تكن عندي ملابس للتنكر. ولذلك لم امتع كثيراً بهذا اليوم لأني كنت بحالة مزرية، فحينما ذهب الناس الى الحفلة عدت انا الى البيت. على أني لا يحق لي ان اتشكى من البقاء وحيدة في رأس السنة، لأن زواري وصلوا الى البيت في السابعة والنصف صباحاً بينما كنت ما أزال في الفراش. وكان أول الواصلين الحاج ناجي وشيخ من شيوخ الدليم، ولذلك دعوتهما لتناول الفطور معي. . . وقد تمنيت ان يكون بوسعكم ان تشاهدوا حفلة الفطور هذه ولو للحظة واحدة ـ كنت متدثرة بالفرو، بينما كانا هما متلفعين بعباءتيهما البنيتي اللون. . .

وداهمني بعد ذلك سيلٌ غير منقطع من الزوار، فكنت أقدم لهم القهوة والشوكولاتة، وبقيت على هذا الوضع حتى الواحدة والربع حينما انصرف آخرهم لحسن الحظ، ثم ذهبت لتناول الغداء مع جويس وعقيلته وانا أشعر كأني ميتة. وبعد ان عدت بدأ الزحام من جديد، واستمر الى الساعة السابعة حين اغلقت الباب لأرفه عن نفسي لحظة قبل العشاء. وقد تعشيت عند السر أيلمر (القائد العام)، وكان أيضاً قد دعا الملك وابن النقيب الاكبر وحداد پاشا والمستر تود، وبعض ضباط مقر القيادة العامة، والسر جون ديڤيدسن، وهو جنرال متقاعد وعضو من أعضاء البرلمان. وقد عزم على أن يأتي الى بيتي لنتحدث بحديث ودي.

وكانت حفلة العشاء ناجحة جداً، اذ اصطحبني فيصل اليها فسررت سروراً بالغاً. وكان جو الحفلة في بيت الجنرال مبهجاً ـ كان كل فرد يشعر بارتياح، وكان صاحب الدعوة مضيفاً لطيفاً.

30 تشرين الثاني

.. كانت عطلة عيد الميلاد شيئاً فظيعاً لاني وقعت فريسةً لاستبراد شديد. لقد تناول نوري السعيد الغداء عندي في يوم الميلاد، ثم كافحت خلال الطرق الموحلة وذهبت لتناول الشاي مع الملك بعد الظهر.

.. وهكذا مرت أيام العطلة اللعينة. وكان أول الزائرين في يوم رأس السنة الحاج ناجي وأحد شيوخ الدليم، وقد جاءا في السابعة والنصف صباحاً فدعوتهما لتناول الفطور. ولم تكن تخلو هذه الدعوة من هواجس بالنسبة للكيفية التي يعالة بها شيخ الدليم البيضة المفقوسة(*) بالماء المغلي. على أني أقحمت ملعقةً في يده، ومع أنه لم يكن قد استعمل آلةً من هذا النوع فيما مضى فقد أبلى بلاءً حسنا بمهارة، وحافظ على وقار غير منقطع في سلوكه. يجب ان أقول بأنهم يتحلون بتربية طبيعية حسنة لا تخونهم مطلقاً. . .

30 كانون الثاني

. . . ركبت اليوم مخترقةً «مزرعة الالبان»(**) عدت عن طريق البساتين المحاذية لدجلة. وكان الناس والحيوانات يتمتعون بالخضار الوفير ـ وقفت عند الرعاة وحدثتهم قائلة «لم أرَ والله مثل هذا الجو البديع من قبل» فردوا عليّ يقولون «هذا من فضل الله، وفضل وجودك خاتون».

كم احب عباراتهم المحبوبة هذه: هل تعلمون ايها الوالد كيف نفذ حب الشرق الى قلبي، حتى أصبحت لا أعرف كيف أفرّق بينه وبيني؟ ان شعوري بذلك لا يفارقني قط، وانا أشعر دوماً بسحره وجاذبيته اللذين

(*) Poached egg.

(**) «ديري فارم»، وتشغل محلة الوزيرية الحالية قسماً منها.

لا يقلان في نظري كلما ازددت تعرفاً به. وانا اعتبر مواطنة من مواطني بغداد أكثر من كثير من المواطنين المولودين فيها، وأراهن على انه ليس هناك بغدادي واحد يهتم أكثر أو بنصف، من اهتمامي بجمال النهر او بساتين النخيل، أو يتعلق بحقوق المواطنة اكثر من تعلقي بتلك الحقوق التي اكتسبتها. . .

كانت نتيجة انتخابات المجلس البلدي في البصرة ان انتخب لها مجلس بلدي ممتاز،لكن الذي يفرحني أكثر من كل شيء آخر هو ان رئيس البلدية السابق في كركوك، ويعد حليفاً عظيماً لي، قد أحرز أكثرية ساحقة برغم تذرع الحزب التركي هناك بكل وسيلة لمقاومته، ومن تلك الوسائل الضرب على وتيرة القضية الاسلامية. . .

30 كانون الثاني (ب)

أذكر بالمناسبة ان وظيفتي هنا هي «سكرتيرة شرقية» للمندوب السامي. وقال لي المستر كورنواليس أنه يسره ان يعينني على رأس دائرة الاستخبارات في وزارة الداخلية، وان لابد لي في الحقيقة من أن أكوّنها تكويناً جديداً. لكني أجبت بأني لا يمكنني مطلقاً ان أترك السر پيرسي، واعتقد بأني ستكون فائدتي أكثر اذا اشتغلت ضابطة ارتباط بين الداخلية ودائرة المندوب السامي.

. . . أصيب الملك بنوبة من الزائدة الدودية. . لقد قضيت كثيراً من الوقت وأنا أمسك بيده ـ مجازياً، لأنه كان خلال الاسبوع محصوراً في بيته فبعث يستدعيني مرتين لأتحدث اليه. فوجدته في المرة الأولى مستلقياً على الاريكة ـ كاد موظفوه ان يصعقوا لمقابلتي بهذه الحالة غير الرسمية. وقد قال لي «لكني قلت له بأنك من أهل البيت، واذا أردت أن أراك فما علي الا أن أبعث عليك. وكان في المرة الثانية يجلس في شرفته، وقعد لحظة أعلن عن مجيء نوري السعيد، وكان قد عين مديراً

للأمن العام. ولذلك ساعدتهما في حديثٍ سري للغاية حول كيفية القبض على الوكلاء الأتراك واحباط مساعي الناس الذين يستقبلونهم في بيوتهم، وهو ما كنت أفعله أنا من قبل احياناً. فأني أعرف الكثير عما يجري في البلد وكثيراً ما أنذر (دائرة التحقيقات الجنائية) (سي أي دي) بالرواح والمجيء هذا. ولكن أليس من الغريب أن أكون جزءاً من الاستخبارات العراقية السرية، وأن أقبل كواحدة منهم عند الملك ورئيس شرطته! أن نوري السعيد يقوم بواجبه على أحسن ما يرام، وجميع دعاة السوء يرتجفون هلعاً في مكانهم منه.

31 كانون الثاني

. . . يصل الشاه(*) الى هنا غداً في طريقه الى اوربة وهناك على ما اعتقد احتمالات كثيرة في عدم عودته الى إيران. انه يملك ثروة طائلة مودعة في سويسرا، وسوف تبرهن جاذبية الحياة الباذخة في اوربة، من دون وجود البلاشفة أو الدكتاتوريين العسكريين، على كونها شيئاً لا يمكن مقاومة اغرائه بالنسبة له. ويعتقد السر پيرسي بأن هذه الأسرة المالكة سوف لا تضمحل، وفي هذه الحالة ستكون إيران في حالة اسوأ من قبل لأن أخاه ووريثه هو عبارة عن خيال أسوأ منه.

كان ويلسن في بغداد خلال الأيام القليلة الاخيرة وزارني زيارة طويلة هذا المساء، فكان لطيفاً جداً. انا لا أثق به الى آخر حد، غير انه لما كانت مصالح شركة النفط الانكليزية الايرانية(**) مرتبطة بحكومة مستقرة في هذه البلاد فلا اعتقد بأنه يستطيع ان يفعل أي شيء لارباك التوازن. انا تواقة الى ان أرى حصول تطورات تؤدي الى دفع عائدات جيدة لنا. الله يعلم اننا بحاجة ماسة الى المال ـ مثل أي فرد آخر في

(*) اي احمد شاه آخر شاهات الأسرة القاجارية التي كانت تحكم في ايران.

(**) اشتغل ويلسن بعد اخراجه من العمل في العراق موظفاً في هذه الشركة.

هذه الأيام ـ ويجب ان نعتمد بالضرورة على رأس مالٍ اجنبي لاستغلال ثرواتنا المعدنية.

لاحظت ان اللورد اللنبي قد استدعي الى الوطن «للمداولة»، وهذه هي الصيغة الاعتيادية للإخراج من الوظيفة ـ أظن ان هذا هو ما يعنيه الاستدعاء. ومع أني أوده فاننا نحتاج الى ديبلوماسي أحسن منه في مصر.

ان رويتر يأتينا أيضاً بانباء غير مشجعة تفيد بأن الحكومة الفرنسية غير مستعدة للدخول في مفاوضات تستهدف اجراء تسوية في الشرق الأوسط. اعتقد بأنهم يعرفون جيداً، كما نعرف نحن، بأن الكماليين يتخذون الاستعدادات اللازمة لشن هجوم على العراق في الخريف، وهم ينوون المماطلة ليروا ماذا يحدث. ليس عندي أي اعتبار للفرنسيين. ان تصريحاتهم المتكررة بأن فيصلاً يحوك الدسائس ضدهم من هنا لا أساس لها من الصحة مطلقاً. فقد كان موقفه، برغم الاثارة القوية التي يصادفها، موقفاً صحيحاً جداً وسواءٌ أكانوا يكرهونه هو أو يكرهوننا نحن أكثر فان ذلك معرض للتساؤل، غير انه من الواضح انهم مستعدون للذهاب الى أبعد ما يمكن لتدمير الدولة العراقية والقضاء عليها.

2 شباط

. . . فتحت رزمة وصلتني الى المكتب قبل ايام فكانت فيها عصابة نسوية كبيرة مرصعة. وقد ضحكت عالياً تقريباً ـ لقد كانت شيئاً غير منتظر وجوده بين ملفات الدائرة. انه لطف منكم ان تبعثوا بها اليّ ـ نسيت كم هي بديعة وجميلة، واخشى حينما ارتديها ان يحسبني الناس «ملكة العراق» المتوجة.

نواجه الآن وقتاً صعباً للغاية، بسبب التهديد التركي في الدرجة الأولى. لكن السر پيرسي يحتفظ بجبهة هادئة لدرجة تستدعي الدهشة،

وتعد برقياته الموجهة الى المسؤولين في الوطن نماذج للوضوح والتعقل. فهو كديبلوماسي ورجل دولة لا اعتقد بأني صادفت صنواً له، غير انه لا يضاحي اللورد كرومر كاداري. لقد كانت مصر محظوظة في حصولها على رجل يجمع من السياسة في نفسه جانبيها[1]...

16 شباط

أريد أن اقول لكم انتم الذين تفهمون كل شيء بأني أشعر شعوراً صادقاً بمقدار ما حبتني به الحياة. فقد عدت الآن الى الشعور المتطرف بسعادة الوجود في هذا الكون - اني سعيدة بأن أشعر بأني قد حظيت بحب أمة بأسرها وثقتها، وهذا شيء مدهش يدعو الى الانهماك في العمل الى حد التطرف. على انكم يجب ان تغفروا لي اذا كان يبدو ان هذا الانهماك يشغلني اكثر مما يجب - انه في الحقيقة لا يفصلني عنكم لأن من أشد دواعي السرور عندي ان أحدثكم عن وضعي هذا بأجمعه، وانا متأكدة بأنكم تشاركونني في شعوري هذا. ولا أحسب قط ان وجودي هنا ستكون له أهمية كبرى لعلاقاتنا النهائية مع العرب والبلاد الآسيوية، لكني اعتبره مؤقتاً من العوامل المساعدة في هذا الشأن. وليس بوسعي ان أتصور لماذا يأتي جميع الناس الى هنا لأُروح عنهم واشجعهم. فلو لم أكن انا هنا لاتجهوا الى شخصٍ آخر بطبيعة الحال، لكنهم يأتون الي الآن لانهم تعودوا على ان يفعلوا هذا. على أني أجد راحة في التفريج عنهم. واني لأتذكر ما قلتموه لي في احدى المناسبات، وهو ان المرء كلما تقدم في السن ازدادت معيشته في حياة الآخرين..

(1) لا ندري كيف نغبط مصر على سعادتها بحكم اللورد كرومر الذي شنق ابناءها في قضية دنشواي المعروفة.

16 شباط(*)

ذهبت في اليوم الذي اعقب يوم كتابتي اليكم لأرى جدول اليوسفية مع المستر طومسن، فقضينا هناك يوماً مبهجاً. فقد ذهبنا بالسيارة الى المحمودية، الكائنة في منتصف الطريق الى الحلة، وهناك وجدنا الخيل في انتظارنا. وركبنا بعد ذلك مع شيخ من هناك، وبضعة اشخاص آخرين، الى الجدول المذكور. فكان ركوبنا ركوباً ساحراً، لأن هذا الربيع المدهش قد كَسا كل شيء بالخضرة الزاهية.. . ويعد جدول اليوسفية من أقدم الجداول في العالم، لأنه نهر ملكا البابلي وكان الامبراطور جوليان قد أقلع به الى موقع طاق كسرى، وقد اعاد العباسيون حفره. ولذلك توجد تلال عظيمة بابلية قديمة على طول ضفتيه. ويبعد المكان الذي عبرنا منه الجسر بمسافة أربعة أميال من تل أبي حية، موقع مدينة سيبا، وذهبنا في طريق عودتنا الى تل مدهش يدعى «تل الدير». فكان مغطى «تغطية تامة بكسر الفخار، وقد التقطت آجرة» كتبت عليها كتابة بالحروف البابلية القديمة ـ ان هذا يدعو الى الاهتمام لأني بالنسبة لما اعرفه لا اعلم عن اكتشاف شيء في هذه المنطقة يعود الى ما قبل عهد نبوخذ نصر.. .

وقد طلبني فيصل في ذلك اليوم، ولما لم أكن موجودة يومذاك. تلفنت بعد يوم أو يومين أسألهم عما اذا كنت استطيع ان أتناول الشاي عندهم. فتم ذلك وجرى بيننا حديث ممتع. انه رجل لطيف المعشر جداً، وهو شخص عجيب احياناً بكل تأكيد. وقد فطنت لنفسي في أثناء المناقشة فقلت له انه يكاد يكون من المستحيل عليّ ان أصدق أنه لا يوجد أي اختلاف قط بين وجهتي نظرنا، مع انه ولد في مكة وتعلم في استنابول بينما ولدت أنا في انكلترة وتعلمت في اوكسفورد.

(*) وجدنا ان هذه رسالة اخرى الى أبيها معنونة بالتاريخ نفسه.

لقد أخذت البلاد تقف على رجليها. فأن المتزنين من الناس، والشيوخ الكبار، ووجوه البلاد الذين يعتمدون على تأييدنا لفيصل - أخذوا كلهم يلتفون حوله ويجتمعون في صعيد واحد. وسوف لا يتحملون بعد هذا هذر المتطرفين والمتصيدين في الماء العكر..

16 شباط (ب)

بعث فيصل يستدعيني فجرى بيننا حديث هائل. ان ذكاءه ينحرف بعيداً عن التعصب لرأيه، غير انه يعيش بكيفية لا مناص منها في جوٍ تتجاوز حرارته الحد المعتاد بالتزلف والتملق - ان جماعة صغيرة من المتملقين حوله تحاول اقناعه بأنه ليس عليه سوى ان يظهر للناس بكونه ملكاً اسلامياً مستقلاً لتلتف البلاد من حوله كلها، أكرادها وعربها. وانا يسرني ان يكون ذلك صحيحاً، لكنني أعلم ان الامر ليس كذلك. فالبلاد ستلتف من حوله، ولكن ليس بتبدل مفاجيء في القلب من قبيل المعجزة. ان ما تحتاجه البلاد هو عدة سنوات من الاستقرار والحكومة النزيهة، لا بصفة معجزة بل بصفة مكافأة على العمل المطرد. ومن عوائقنا الكبرى اننا يترتب علينا أن نعمل بسرعة. فنحن ننفض أيدينا من الأشياء بأسرع مما يجب، وبذلك نجبره (أي نجبر فيصلاً) على الاضطلاع بالمسؤولية بأسرع مما يقتضي، ونرفض في الوقت نفسه الاعتراف بأن المسؤولية هي مسؤوليته هو في الحقيقة. انه محق تماماً حينما يقول بأننا اذا ما أمناه من الهجوم لمدة عشرين سنة فانه سيكون مقتنعاً بترك المزيد من القيادة في أيدينا. لكننا لا نستطيع. نحن ان نتلاعب بالكلمات، بينما يكون الشيء الوحيد الذي له اهمية اولية او نهائية هو ان الكماليين يحتشدون في الحدود الشمالية، وانهم اذا ما هاجمونا فاننا سننسحب «بموجب خطة مرسومة». ان تراجعنا عن الموصل وأربيل وكركوك (لاننا لم نستطع سوق ولا رجل واحد لأبداء المقاومة في شمال سامراء وديالى) يعني

بالكلام الواضح، المجرد عن الصيغ المصطنعة، الجلاء عن البلاد.

... أقام النقيب حفلة غداء في حديقته التي كانت تبدو جميلة بالبرتقال المتدلي من الأشجار كالجواهر. وقد كان الملك هناك، السر پيرسي كوكس مع الليدي كوكس، والمستر والمسز نيجل ديڤيدسن، والقائد العام، وفخري جميل، والجنرال بلفن، والمستر ويلد بلونديل العالم الآثاري. وكان الغداء شيئاً جسيماً يحتوي على خمسة عشر لوناً من الطعام. ان المجهود الذي بذل لإيجاد لغة مشتركة يعد شيئاً منهكاً، وانا انتهي عادة باللجوء الى التحدث بالعربية. ويتكلم الملك مع القائد العام بما يمكن ان نسميه أسوأ فرنسية في العالم، اذا لم تكن قد سمعت فرنسية الليدي كوكس، بينما لا تعرف هي ولا القائد العام ولا كلمة واحدة من العربية التي كانت اللغة الوحيدة لمضيفينا، ابني النقيب الكبيرين. ومع هذا اعتقد بأن كل فرد من الحاضرين كان مسروراً تقريباً.

16 شباط

... أخذت الملك ليرى تفتح ازاهير المشمش في الكرادة. لم أخبر الحاج ناجي بذلك مقدماً ولهذا لم يكن هناك مع الأسف، على ان الملك وجميع من كان معه اعجبوا كثيراً بالطريقة اللطيفة التي كان يعتني بها بالبساتين، وبشتلات الاشجار المثمرة. وكان هناك أحد أولاد الحاج ناجي فوعده بأن يرسل له أي شيء يطلب منها. كان الملك يحتاج الى شتلات الأشجار المثمرة ليغرسها في قطعة الأرض الكبيرة التي اشتراها من مزرعة الالبان، وكان عازماً على جعلها بارك.. عامة(*) ...

(*) لم يحصل ذلك، وانما حصل بعد وفاته في عهد الملك غازي اذ وزعت قطع من هذه الارض على عدد من رجال الدولة والسياسة مجاناً فبنيت دور سكن فيها، وتكونت من ذلك محلة الوزيرية المعروفة اليوم، بعد ان بيعت سائر القطع ايضاً.

جلست مع المستر كوك[1] طويلاً نتحدث قرب النار، فاتفقنا على انه ليس هناك في العالم ألذ للمرء من ان يكون في وسط الطبقة المثقفة من البلاد الآسيوية ـ يراقب ويشجع الجهود المبذولة للتغلب على التعصب في الشؤون الدنيوية. يعلم الله انهم يملكون حكمة على درجةٍ كافية من الصواب، ولا تعوزهم الا الشجاعة الأدبية ليخلعوا بها عن رقابهم نير السيطرة الطويلة الأمد التي تفرضها عليهم الفروض الثيوقراطية[*] في الشؤون البشرية بحيث اصبحت حبلاً خانقاً لهم. وعلى كلٍ فقد استغرق ذلك عندنا نحن الأوربيين قروناً قبل ان نخرج منها بسلام. . .

أعود الآن فأحدثكم عن شؤوني الثانوية، فأذكر لكم أني أعيش الآن غالباً على الكمأة اللذيذة. يمكن الحصول عليها عادة من البادية في مثل هذا الوقت من السنة، لكني لم أر توفرها بكثرة مثل ما أراها الآن في هذا الربيع الجميل فوق العادة.

26 شباط:

لا تتمتع شركة النفط الانكليزية الايرانية بسمعة حسنة في هذه الجهات، نظراً للاسعار الفاحشة التي يتقاضونها لقاء النفط المزود لبغداد[2]. لقد أجرى ويلسن مقابلة مع الملك حول الموضوع ـ كانت أول مقابلة له معه. وذهبت لتصوير الملك في اليوم التالي لكن انطباعه لم

---

(1) هو الكابتن ر. س. كوك R. S. Cooke المدير البريطاني للأوقاف في بغداد. وبقي في هذه المديرية الى ما بعد تشكيل الحكم الوطني الذي اصبح فيه مستشاراً لوزارة الأوقاف الى سنة 1930 ثم نقل الى مديرية الآثار القديمة. وحين عزم على مغادرة العراق كبست عنده بعض الآثار العراقية الثمينة في الكمرك.

(*) انها تعرض بالنفوذ الديني المسيطر على الناس على ما يبدو.

(2) أخذ الوضع الاقتصادي في سنة 1922 يتفاقم سوءاً يوماً بعد يوم، وضجت الصحافة العراقية يومئذ بالشكوى من غلاء أسعار النفط المستورد من عبادان، وكتبت جريدة دجلة في عدد 27 شباط 1922 قائلة: ان رئيس شركة النفط =

يكن حسناً عن ويلسن على ما يظهر. فقد بادرني يقول «انظري أختي، أنه لص حقيقي». وكان هذا بسبب ان الملك عرض عليه ان يشتري النفط منهم في المحمرة، وينقله منها على حساب الحكومة العراقية (كان ويلسن يتذرع بحجة ان سعر النفط العالي سببه تكاليف النقل). فقال ويلسن ان ذلك لا يمكن تدبيره ـ أظن انهم كان لديهم اتفاق خاص مع شركة «مسبرز» لنقل النفط. وينصب عليهم في الوقت نفسه الغيظ والغضب، لأن أسعار المنتجات الزراعية قد هبطت الى سوية ما قبل الحرب بينما بقي البترول يباع بثلاثين ضعف الأسعار التي كان يباع بها قبل الحرب، ولذلك لا يستطيع المزارعون تشغيل مضخاتهم. ان شركة النفط الانكليزية الأيرانية تحصل على أرباح فاحشة على ما أظن، لكنني لا أعتقد بأنه سيكون من مصلحتهم ان يطالبوا بامتيازات أخرى في العراق، ويتمسكوا بموقف صلب بالنسبة للأسعار. فقد سبق ان انتشر الكثير من التذمر في البلاد والمطالبة بوجوب استثمار ثروة البلاد المعدنية في مصلحة البلاد نفسها.

اصبح ويلسن ودوداً للغاية تجاهي، وأخذ ينشر تقديرات رنانة للحكومة العراقية في الصحف، لكنه يقدر طول عمرها في المجالس الخاصة على ما أسمع بثمانية عشر شهراً. انه مخطئ في حسابه على ما أرى، فما لم نواجه هجوماً كمالياً يشن علينا لا أرى موجباً لوجود أي عائق نخافه. ان المتطرفين يتكلمون كثيراً لكنهم لا يحققون أي تقدم فعلي في موقفهم.

= الانكليزية الفارسية قد اعترف بأن علبة النفط تكلف الشركة في عبادان ثلاثة ارباع الروبية. ثم تساءلت: اذن.. لماذا تباع العلبة هنا بثلاث روبيات وثلاثة ارباع الروبية؟. واستطردت قائلة: لم يبق لحضرة الرئيس الآ ان يعترف بأن الشركة غرضها الاحتكار وابتزاز أموال الامة. عندئذ نضطر الى اتخاذ التدابير اللازمة لصيانة حقوقنا وحفظ ثرواتنا في بلادنا.

أهدى الحاج ناجي الى الملك ثلاثمائة غرسة، آمل انها ستخلق علاقات ودية بينه وبين البلاط. فهو بالنسبة لطريقته الخاصة من اعقل الناس الذين عرفتهم، ويعتبر «جنتلمن» عظيماً، فضلاً عن كونه سخياً جديراً بالاحترام. وتأتي حاجة الملك الى الاشجار من كونه قد اشترى قطعة من «مزرعة الديري» وينوي جعلها حديقة عامة. لا أدري من أين جاء بالمال لشرائها، لانه لا يملك ولا بنساً واحداً من ماله الخاص على ما اعلم. غير انه حتى لو كان قد استقرضه فأني مسرورة لذلك، لانه يعد أولاً دلالة على تأصيل جذوره في البلاد، وثانياً لانه يهيء له شيئاً يفعله في الخارج ويمهد له سبل الاحتكاك بالناس من مختلف الطبقات.

ذهبت في صباح الجمعة مع السر بيرسي الى حفلة تأبين الكابتن فيتزغيبون[1]، وكان قد قتل قبل شهر في هجوم الايرانيين على حلبجة.. وفي وقت لاحق من اليوم نفسه أخذني المستر كوك لافتتاح «سوق عكاظ». السوق الشهيرة التي كانت تعقد في «أيام الجاهلية» قبل الاسلام، حيث كان جميع شعراء الجزيرة العربية يجتمعون ويتنافسون في نظم الشعر، وما زال بعضه محفوظاً حتى اليوم. ويعتزم الجيل الجديد في بغداد احياء هذه السوق، وجعلها مناسبة سنوية يدمجون فيها معرضاً للفنون والصناعات. لقد افتتح الملك هذه المناسبة الاجتماعية وجلس ساعتين جلسته الوقورة المعجبة التي يجلسها في المناسبات العامة عادة، بينما كانت تلقى القصائد والخطب الداخلة في المباراة. يا ألهي، لقد كانت طويلة. وكان الموضوع الخطابي المعين للخطباء المتبارين منحصراً في «لماذا أحب بلادي» ـ انه موضوع ازعاج ممل. فقد اغتنم اصدقاؤنا الشباب الفرصة بحماسة فلم تكن خطبهم مزعجة فقط بل كانت مطولة

(1) هو النقيب هـ. سي. د. فيتزغيبون H. C. D. Eitzgibbon وكان من كتيبة الهوسار الثالثة عشرة لقيادة الليفي. وقد قتل بالقرب من خورمال.

بحيث أوعز الملك بوجوب تقصير الأواخر منها. وقد سررت لوجودي هناك، لأني كنت أعرف الجميع، وكنت التذ في ان ارى كيف أخذت الخطب الوطنية المتطرفة من اصحابها. اذ يسرني أن أراهم يزعجون أنفسهم بلغوهمَ وحينما أطلق سراحنا في الاخير للتفرج على المعرض قادني نوري باشا بين الجماهير. ولم يكن المعرض شيئاً مهماً. فقد كانت هناك خيمة ملأى بالصور التي رسمها فنانون محليون، وكانت المواضيع المنتخبة مجازية في الغالب تمثل روحية العراق بمختلف انواع التشويش، وهي تنهض من بين الرماد حيث كان من الخير لها ان تبقى لو كانت هي كما رسمت في الرسوم. ويمكنني ان أحكم من هذا بأننا سنحتاج الى وقتٍ طويل قبل ان نستطيع انجاب أناس مثل ميخائيل انجيلو[1]!

يجب ان أخبركم بأن النقيب قد وقف موقفاً متصلباً في أمر المعاهدة، وأصر على ان يكون غير مسؤول عنها ما لم يغض النظر عن الانتداب على الأخص. وأكثر من هذا أن السر پيرسي قد أشار على المسؤولين بأن يلبى طلبه.

12 آذار

قضيت يوم الثلاثاء بعد الظهر مع الملك فجرى بيننا حديث طويل، حول تأليف الاحزاب السياسية بمناسبة اقتراب أجل الانتخابات. وقد كان تواقاً الى ان يجد الناس من مختلف الآراء والنزعات مجالاً يتفقون فيه على العمل ويبدأون بتأسيس حزب واحد له سياسة واحدة في الانتخابات. لقد وجدت نفسي منغمسة بصورة غير منتظرة في هذا الامر خلال الايام القلائل الاخيرة. فقد قدم المتطرفون عريضة الى وزارة

(1) هو Michel Angelo (1475 ـ 1564): مصور ونحات ومهندس وشاعر أيطالي من عباقرة عصر النهضة.

الداخلية يوم الخميس يطلبون فيها ان يرخص لهم بتأليف حزب سياسي(*) . . .

ويتضح من هذا أن المتطرفين أخذوا يتخوفون من موقف المعتدلين الجازم، وأرى انهم محقون في ذلك من جميع الوجوه.

كان السر پيرسي عند الملك قبل مدة وجيزة، ليقدم له المشورة اللازمة حول قضية الاحزاب، وهي ان الحزبين اذا لم يتوصلا الى اتفاقٍ ما بينهما يتحتم على المعتدلين ان يمضوا في الأمر بحسب الخطة التي يختطونها. . ان المشاركة بهذا القدر الحاسم في جميع هذه الأمور هي على جانب كبير من الأهمية، لأن المرء يشعر وهو يتدخل الى هذا الحد من التدخل بأن الخطوة المغلوطة التي يتخذها قد تؤدي الى ما لا يستهان به من الضرر. . .

وتستمر الرسالة نفسها بتاريخ 14 آذار فتقول المس بيل فيها:

لم يتقرر شيء بشأن الاحزاب بعد، ولم اسمع شيئاً عنها هذا اليوم. لكن الريح أخذت تأتي من جهات أخرى في هذه الأثناء. فقد تبودلت منذ مدة لا يستهان بها رسائل خاصة بين السر بيرسي وابن سعود، لأن قيام ابن سعود بالاستيلاء على حائل في تشرين الثاني قد جعل حدوده تتاخم حدود العراق على طولها. ويهتم السر پيرسي حالياً بعقد معاهدة بينه وبين فيصل ـ على أساس ان جهات البادية التي يقصدها رعاتنا مع قطعانهم في الربيع انتجاعاً للكلأ يجب ان تدخل في ضمن حدود العراق. اما ابن سعود فيريد ان يدعي بعائدية جميع البادية اليه، وأخذ يفرض الأتاوى أخيراً على رعاتنا.

واخيراً تأزمت الاحوال في اليوم الحادي عشر حينما هاجم رجال

(*) الحزب الوطني.

ابن سعود بقوة عظيمة فوجاً من الهجانة نظمه الملك مؤخراً لحماية حدودنا فقضوا عليه. وأطلق الآخرون في هذا اليوم النار على طيارة من طيارات الاستطلاع فصدرت الاوامر بقصف مخيماتهم. وقد يبادر ابن سعود بطبيعة الحال الى استهجان ما صنعه اتباعه، وهو خير ما يمكن ان يحصل، والا فسنكون في حالة حرب معه من الوجهة العملية. وهكذا، لا تخلو الحياة من حوادث في هذه البلاد.

شكراً على قصاصة جريدة التايمس التي بعثتموها في البريد، فقد نشرت اليوم في احدى الصحف المحلية وكانت موضوعاً لكثير من الابتهاج في البلاط. اذ كان لها وقع حسن، وآمل ان يؤدي ذلك الى استعادة ثقة المتطرفين بي، فهم يعتبرونني قاسية للغاية. واذا كان عملي في ردعهم عن احداث شقة كبيرة، بين وضع البلاد وبين أطماعهم المتطرفة جداً، يعد قساوةً فليشهد الثقلان بأني قاسية.

12 آذار (ب)

.. من الواضح جداً ان المتطرفين قد أرعبهم موقف المعتدلين الحازم(*) . ان المرء ليشعر بالوضع الباعث على الاسى حينما كان من غير الممكن ضبط الأمور والسيطرة عليها في 1920، ثم الحيلولة دون فورانها. لقد تركت وقائع تلك السنة شعوراً بالمرارة الشخصية وعدم الثقة يصعب التغلب عليه. وكانت من جهة اخرى بمثابة انذار للمناطق المختلفة من البلاد ـ ليس من المحتمل ان يسير شيوخ العشائر الآن في أي اتجاه قد يؤدي الى وقوع اضطرابات فيها...

وتستمر المس بيل في كتابة رسالتها هذه يوم 16 منه فتقول:

(*) حدث نشاط كبير في تأليف الاحزاب السياسية بدنو أجل الانتخابات العامة في البلاد، والمس بيل تعلق على هذا الموضوع برسالتها هذه.

لقد سر الملك بما حدث في قضية «الاخوان»[1].ففي اليوم الذي اطلقوا النار فيه على طائراتنا قمنا بقصف مخيمهم. وقد فروا الى مسافة اربعين ميلاً نحو الجنوب خلال الليل فتعقبتهم طائراتنا في صباح اليوم الثاني وقصفتهم من جديد. وكانوا قد شنوا هجوماً فجائياً قتلوا فيه رعاتنا المسالمين وسلبوهم قطعانهم. ولا أعرف وقتاً شعرت فيه بالاعتزاز بقدرتنا في الرد على العدو مثل هذا الوقت. ان الاخوان، حينما يلتجئون بفظاعة مفعمة بالتعصب للعقيدة، ليثيرون فيّ أشد أنواع الكره لهم.

20 آذار

أكتب اليكم وانا أعاني من قلق روحي عظيم، بعد ان توصلت بصورةٍ جازمة الى النتيجة بأني لا استطيع الخروج بأجازة من العراق في الصيف القادم. نحن الآن في وسط أزمة وزارية عنيفة حصلت، مع شديد الاسف، بعملٍ متسرع ناتج عن خطأ في الحكم اقترفه الملك. فقد انزعج من تراخي الوزارة بشأن غزوة الاخوان، ومن دون ان يقول شيئاً او يأخذ مشورة أحد دعا خمسة من الوزراء وقال لهم أنه فقد ثقته بهم وطلب اليهم ان يستقيلوا. وقد فعلوا هذا بعد يومين من التردد، حاول خلالهما المستر كورنواليس والسر بيرسي إيجاد الطرق المناسبة لخروجه من المأزق، فرفض الاخذ بها كلها. ويعد اثنان من الوزراء الخمسة مهمين: واستقال ساسون افندي أيضاً. وكانت غزوة الاخوان شيئاً فظيعاً. فقد خسرت قبائلنا فيها مئتين وتسعة قتلى مع جميع حيواناتهم وخيامهم، غير أنه لم يكن هناك ما كان يمكن للوزارة ان تفعله حتى تكون على علم بمقدار تورط ابن سعود نفسه في الامر. وفي يوم أمس تسلم السر بيرسي برقية رائعة من ابن سعود ـ تستغرق البرقيات وقتاً غير قليل في

---

(1) تقصد الوهابيين.

الوصول لانها ترسل الى البحرين بواسطة الجمال ثم تبرق من هناك - يقول فيها انه لم يكن يعلم أي شيء مطلقاً عن الاشتباكات التي حصلت، ويعبر فيها عن أسفه العميق، ثم يضيف الى ذلك قوله انه بعث يأمر رجاله بالعودة. أنا لا أقول انه لا يلام، لكنني مقتنعة بأن السر پيرسي يستطيع إيصال أي شيء الى نتيجة مرضية، لأن ابن سعود يثق به. ومن الصعب في الوقت نفسه ان يرى المرء كيف يستطيع فيصل تقويم نفسه. فهو اذا تنازل عن موقفه سوف يبدو سخيفاً، واذا ما أصرّ عليه سيكون سخيفاً جداً. ان السر پيرسي، سيد الخداع القديم ذلك، قد يجد طريقاً للخروج من المأزق.

كنا مشغولين خلال الاسبوع الماضي في توديع السر أيلمر(*) . ان ذهابه يعتبر في الحقيقة خسارةً لنا، لانه كان قد أوجد علاقات حسنة جداً مع الملك، ورئاسة الاركان العراقية. . .

17 أيار(**)

استغرقت سفرتنا الجوية ست ساعات نزلنا خلالها في الرمادي، وبقينا ربع ساعة فيها للتزود بالوقود. ولم تكن الطائرة مريحة كما كانت «فيكرز - ڤيمي» لكنها كانت اسرع منها. . . وكانت الريح شمالية تعصف بجنحها الأيسر. على أني نجحت بواسطة اشارات النوتي، المستر برنتون، في تعقب أثر السير في البادية بحيث كنت أعرف في كل وقت الموقع الذي كنا فيه. وقد حلقنا عالياً جداً في الجو فوصلنا إلى ارتفاع (6000 - 7000) قدم، وطرنا بسرعة (100 - 110) أميال في الساعة.

(*) أي السر أيلمر هولدين القائد العام للقوات البريطانية في العراق، وقد وقعت الثورة العراقية على عهده فانتقدت موقفه المس بيل نفسها في وقته.

(**) كتبت هذه الرسالة بعد سفرها الى فلسطين لملاقاة والدها فيها، وعودتها بعد ذلك.

فأمطرت قليلاً قبيل وصولنا الى الرمادي، وعند هبوطنا هناك وجدنا الجو فيه شيء من البرودة. . .

تناولت الشاي مع الملك. وأريته رسالتكم فسُرّ سروراً كثيراً، ثم قصصت عليه جميع ما عرفته عن عبد الله وفلسطين وسورية. وكان يتحدث بلطف ورقة عن شعوره بأنه طالما كان يحوز على ثقتنا به فليس هناك شيء آخر يعبأ به. . .

استطيع ان أقول الآن، اذا لم أكن مخطئة، ان الرأي العام يتبلور في صالحنا، وأظن ان حكومة صاحب الجلالة لو كان بوسعها ان تعلن عن منوياتها بصراحة ووضوح فأن الاغلبية من الناس ستعلن عن رغبتها في بقائنا بأية شروطٍ كانت.

18 أيار

. . ثم ذهبت الى البيت، وبعد تناول الشاي ذهبت اتمشى الى بيت ديڤيدسن. أخبرني المستر ديڤيدسن بأن انذار المسؤولين في الوطن قد وصل: ان على الحكومة العراقية ان تقبل بالترتيب الذي نضطلع به بانتداب عصبة الامم، على ان نضمّنه في معاهدة مع العراق، واذا لم يحصل ذلك فاننا سنجلو عن البلاد في عيد الميلاد.

وجاء الميجر موري والكابتن كلايتون في صباح اليوم التالي ليشرحا لي المشكلة برمتها. اذ عرضت المعاهدة على الوزراء فوقفوا محرنين تجاه ما تنطوي عليه من مسؤولية ـ كان جعفر باشا خائفاً من إعطاء قرار في هذا الشأن بحيث خف مسرعاً الى الموصل، غير ان الملك اقتنع بأنه لم يكن هناك بديل في المشكلة سوى ان يقبل بما جاء في الانذار ويكون مستعداً لأخذ المسؤولية على عاتقه هو. وقد اتفقنا على انه يجب ان يحصل على دعم من وزارته بحيث يستطيعون سويةً ان يقدموا معاهدةً مصادقاً عليها الى المجلس التأسيسي. وجاء بعد الظهر

ناجي السويدي، وهو أشدهم تعقلاً بالنسبة للمسألة برمتها، يشجب التحريكات الجارية ضد الانتداب ـ وهو على كل حال انتداب من الدرجة الثانية فقط ـ ويشعر بأنه متأكد من ان البلاد ستقبل به.

ذهبت يوم الاثنين لتناول الشاي مع الملك. وقد قلت له أني عدت(*) مقتنعة باننا كنا القطر العربي الوحيد الذي يسير في الطريق الصحيح، واذا ما اخفقنا هنا فسيكون في ذلك نهاية الاماني العربية. وكان على جانبٍ كبير من اللطافة والود. أنا مسرورة لانه هو موجود في العراق وليس عبد الله! فقد تحصل صعوبات عند التعامل مع مخلوق في مثل حساسيته وتوتره، لكن سجاياه الحميدة ومزاياه المفعمة بالحيوية والنشاط، وما عنده من سعة أفق رائعة، من شأنها كلها ان تعوّض عن أي شيء آخر.

وتنهي المس بيل هذه الرسالة في 25 أيار فتقول:

.. وكان قد ظهر في الصحف كتاب من الشيخ مهدي الخالصي، أعنف علماء الشيعة وأشدهم شموساً، يعلن فيه باسم المسلمين في العراق بأنه يرفض كل شيء عدا الاستقلال التام. وجاء ناجي السويدي ليراني ويبين أهمية الشروع في تنظيم حملة دعاية مؤيدة للبريطانيين. فهو متأكد من ان مسألة الانتداب لو عرضت عرضاً منصفاً لأيد تسعون بالمئة من أبناء الشعب المعاهدة، ولغضوا النظر عن الانتداب المنطوي في تضاعيفها.

2 حزيران

... أتصل بي وزير الداخلية (**) تلفونياً ليقول لي ان جماعةً من

(*) تشير الى عودتها من السفرة باجازة الى فلسطين وسورية.

(**) الحاج رمزي بك.

المتطرفين يقومون بتنظيم مظاهرة (*) كبرى ضد الانتداب بعد الظهر. وقد أمر الملك بمنعها، فهل أعلم أين هو المستر كورنواليس؟ وفي هذه الاثناء دخل المستر كورنواليس فتركت له معالجة الامر مع الوزير. وخرجت في الخامسة مع المستر كوك لنقوم بجولة نزور فيها عدداً من وجوه البلد، فتمكنا من زيارة ما يزيد على العشرة منهم. وقد سمعنا خلال الجولة كثيراً من الحديث عن المظاهرة، وكلاماً صريحاً مفاده ان الوضع أصبح شيئاً غير محتمل.

وكان يوم الثلاثاء أحد أيام العيد، يوماً مزعجاً. فقد كانت الريح الجنوبية (الشرقي) محرقة جداً وكان الجو حتى الليل حاراً بدرجةٍ لا تطاق. ومع ان الحالة قد تحسنت نوعاً ما بعد ذلك اليوم فقد حل الصيف بصورة لا مغالطة فيها. وكان يوم أمس من أيام سباق الخيل، فذهبت الى السباق متأخرة بعد الظهر وجلست في مقصورة الملك فجرى بيننا حديث شيق جداً. والظاهر انه كان راضياً عن نفسه، فبادرت الى تطمينه بأن الاحوال جميعها تدعوه الى الاطمئنان والامتنان. وقد كانت

(*) لقد اقيمت المظاهرة بالفعل. وكانت تعبر عن رفض الشعب العراقي للانتداب، لأن الأوساط الوطنية يومذاك كانت تعلم بأن وزارة النقيب الثانية كانت تفاوض الانكليز في هذا الشأن. وقد حصل في هذه الأثناء ان تناقلت البرقيات مناقشات النواب الانكليز للمستر تشرشل حول الانتداب، وصرح خلال اجابته لهم بأن فيصلاً وحكومته لم يخبرا المندوب السامي برفض الشعب العراقي للانتداب.
فعقد اجتماع شعبي خطير في جامع الوزير خلال اليوم الأول من أيام عيد الفطر، والقيت فيه خطب حماسية. وعقد اجتماع آخر بعد ظهر اليوم نفسه في جامع الحيدرخانة حضرته عشرات الألوف من الناس وتجمهر قسم منهم في شارع الرشيد. والقيت في الاجتماع خطب شديدة اللهجة تندد بالانتداب والانكليز ثم تقرر انتخاب ستة اشخاص من الوطنيين لينوبوا عن الشعب في مراجعة المقامات وابلاغها بسخط الشعب على تصريحات المستر تشرشل والانتداب، مع الابراق الى المراجع الانكليزية في لندن بذلك.

جرائد المتطرفين شديدة في لهجتها، فوصفت ما وقع يوم الاحد بكونه مظاهرة شعبية كبرى.

أقام المندوب السامي حفلة بستانية بمناسبة يوم ميلاد الملك. وكنت قد أحضرت قائمةً باسماء المدعوين العرب بنفسي ـ أي جميع الموظفين والاشراف بصرف النظر عن آرائهم ومعتقداتهم السياسية. فجاءوا كلهم وتنادمنا مع معظم الرجال الذين كانوا يقودون الثورة قبل سنتين. وقد أوصاني السر پيرسي بأن أكون في خدمة الملك، فقمت بذلك والله خير قيام! وأول ما عملته أني درت معه على جميع حلقات الموظفين والاشراف من العرب فقام بتلك الجولة وهو يحدث الجميع كلاً بما يناسبه ـ انه يجيد تمثيل دوره. وجعلناه بعد ذلك يستقر في زاوية من زوايا الخميلة، وجئت اليه بجميع زوجات المستشارين الذين وجدتهم وسمحت لكل واحدةٍ منهن ببضع دقائق لمقابلته. وكذلك فعلت الشيء نفسه مع القنصل الفرنسي الجديد وزوجته، ونجل النقيب الاكبر، وجميع الآخرين ممن وجدت ضرورةً في تحدثه اليهم...

لقد ربط فيصل عربته بالنجوم.. وهو في قرارة نفسه يثق بنا ويعتقد بأن البعض منا يجازف بكل شيء من أجله، وهذا أقوى ممسك نمسكه فيه...

عزيزي الوالد، أليست «المعادلة» البشرية شيئاً عجيباً جداً؟ أشعر كأني أنا، بل كلنا، نعزف أشد النغمات سحراً على أوتار قلوبنا التي تشدها حالات اليأس المسيطرة علينا. فهل سينجحون في تأسيس حكومة معقولة؟ وهل سيكون في مقدروهم ان ينقذوا أنفسهم من الفوضى والارتباك؟ ان الشيء الوحيد الذي ينادون به هو قولهم «ساعدونا». بينما يجلس احدنا هنا، وهو في نظرهم مجموعة من المعرفة البشرية، ويشعر في دخيلة نفسه بأنه بعيد جد البعد عما يفكرون به! مساكين ابناء آدم،

هم ونحن! انا غير متأكدة من ان الصلة العاطفية التي تربطنا معاً لا تعد من أحسن أنواع التعقل (وربما كان هذا لكوني امرأة)، لكني أتمنى ان يكون عندي شيئ أكثر من الحكمة الحقيقية لأقدمها لهم. على ان السر پيرسي لديه شيء كثير منها[1]...

صدرت الصحف المحلية في هذا اليوم وهي ممتلئة بالمنة وعرفان الجميل للورد أيسلي (الذي جاء الى هنا ممثلاً لجريدة المورنينغ پوست) للموقف المشكور الذي وقفته جريدته من قضية فلسطين، وهي تأمل ان يلتفت الآن الى قضية العراق. وسوف يجتمع زعماء الشعب باللورد أيسلي ويشرحون له الوضع وسيعير ذلك من دون شك اهتماماً غير يسير.

أخذت اللورد في الساعة الخامسة لتناول الشاي عند الملك. وقبل هذا أخبرته بجميع ما كتب في الصحف، فاجاب بأنه سوف يجتمع بالمتطرفين غداً في الكاظمية. وقد بينت له الوضع بأجمعه، ولا شك عندي انه سيقف موقفاً طيباً جداً. فقد كان موقفه عندما تحدث الى الملك شيئاً يثير الاعجاب ـ ولي مطلق الحرية بأن أعترف بأني ترجمت الحديث بينهما بكل نزاهة، وقد تناول حديثنا قضية الانتداب كلها بمحبةٍ تامة. واتى اللورد أيسلي على تطور الاسباب التي دعت الى ان نلتجئ الى الانتداب ـ بكونه واسطة للحصول على موافقة الدول على المعاهدة، ولاقناع الامة البريطانية بأنا قبلنا الاضطلاع بإحدى المسؤوليات المهمة ونحن مجبرون على تحقيقها، وما أشبه. وقد تساءل الملك عما اذا كان لدى اللورد أي اعتراض على ان نقوم بتقديم احتجاج مشترك، نحن والعرب، الى عصبة الامم ضد استمرار عهد الانتداب بعد ان تكون المعاهدة قد اصبحت شيئاً واقعاً. فأجاب اللورد قائلاً بالعكس، وان

(1) لقد عرف الشعب العراقي ان رأس هذه الحكمة مخافة الاستعمار، والخضوع للانتداب والمعاهدات.

جريدة «المورنينغ پوست» سوف تبذل قصارى جهدها لمساعدتنا، لكنهم يجب ان يصدقوا المعاهدة اولاً، والاّ فان جميع خصومنا سيعلنون بأن العرب لا يريدوننا. فوافق الملك على ذلك بحماسة.

وقال اللورد أيسلي في الاخير، وهو ديبلوماسي من أرقى الطبقات، انه يود الآن ان يتحدث بشيء خطير حقاً. فأنصت له الجميع، لكنه قال «متى ستكون عندكم فرقة للعب الپولو؟» فسُرّ الجميع لهذه النكتة...

وعند ذلك انصرفنا، وأنا أراهن على ان تلك المقابلة قد طبعت في مخيلتنا انطباعاً ساراً جداً. فقد كان الحديث من أشد الاحاديث التي سمعتها في البلاط نفعاً، وانا ممتنة امتناناً لا مزيد عليه من اللورد أيسلي للبراعة التي أبداها في تسيير دفة ذلك الحديث. وقد أفضيت اليه بأني كنت ترجمانة صالحة جداً. فأجابني يقول ان مفتي القدس كان قد صرح له بأنه لم يسمع أحداً من الاجانب يتكلم العربية بأحسن مما أتكلمها أنا. فسررت لذلك...

2 حزيران (ب):

كتبت هذه الرسالة الى أبيها مجزأة في عدة أيام تبدأ بهذا التاريخ، وتستغرق ثماني عشرة صفحة، وفي الآتي خلاصات منها غير منشورة سابقاً:

وصل المستر ليديو والميجر پاول (الامريكيان) من دمشق على ظهور الجمال. اذ رفض الفرنسيون ان يسمحوا لهما بالسفر عن طريق تدمر والدير، على أساس انهم لا يستطيعون ضمان سلامتهما بين عشائر البادية، غير ان القنصل البريطاني دبر لهما الاتصال بقافلة تصل الى هيت مباشرة عبر البادية ـ وهو طريقي في 1911 ـ وقد استنتجا من ذلك ان الانكليز على علمٍ بشؤون القبائل العربية أكثر من الفرنسيين. اذ

حصلت هذه القناعة عندهم في أثناء اقامتهم في دمشق، حيث كان الفرنسيون ما يزالون يراقبون الشوارع بدوريات يومية يضطلع بها الجنود خوفاً من نشوب ثورة في المدينة.

انقضى مجلس الملك في اليوم الأول من أيام عيد الفطر، الاحد 28 أيار، بنجاح. لكن شائعات عن حصول مظاهر ضد الانتداب قد وصلت الى السلطات البريطانية، وكانت هذه السلطات قد أخبرت ايضاً بأن الملك قد أمر بقمعها... وقد سمعت خلال جولتين في الزيارات كثيراً من التقولات حول المظاهر التي يحاول البعض ان يقوم بها، مع حديث الناس الصريح عن عدم تحملهم لمثل هذه الاشياء. وكان قسم منهم يضع اللوم على الملك في تشجيعه لها، كما كان بعضهم الآخر يقول ان نوري السعيد كان يتزعمها ـ وبكلمة موجزة كانت المدينة ملأى بالتقولات... وسمعت في اليوم الثاني من القيل والقال، لا بل أسوأ منه. لقد وجدت ان السر پيرسي كان على اتصال بالمستر كورنواليس والملك لكنه لم يكن متأكداً من الدور الذي كان يلعبه الملك(*) في هذا الشأن. وظلت تتوارد على الدائرة في اليوم التالي تقولات من اشد الانواع اثارةً. دعاني الكابتن كلايتون والميجر موري لتناول العشاء معهما ـ ولما كان نوري السعيد هو ضيفهما قبلت الدعوة بحماسة فقص علينا نوري قصة ما حدث في يومي الاحد والاثنين برمتها. وكان كل فرد قد سلك سلوكاً مدهشاً من الملك فما دون. لكنكم تعترفون بأنا في وضعٍ قوي بحيث ان كل ما يجب علينا ان نفعله حينما نريد ان نقف على ما يجري هو ان نذهب فنسأل ممثلي الدراما عما فعلوه!

(*) كان المعروف يومذاك ان الملك فيصلاً كان يتصل سراً بالمعارضين، ويوعز لهم بتشديد المعارضة وتصعيدها ليكون في مركز اقوى تجاه الانكليز في الحصول على حقوق البلاد ورفض الانتداب. وتؤيد هذا قرائن الحال وشهادات الساسة المطلعين.

وتستمر الرسالة في يوم 4 حزيران

... وجرى حديث طويل بيني وبين كورنواليس. قلت له أني لم أكن مرتاحة من موقف الملك الغامض لاسيما رفضه لشجب بيانات جرائد المتطرفين والدعم الذي كان يمنحه لأشد المتطرفين خسةً. فوافقني وقال انه كان قد تشاجر معه في هذا الشأن وانه يشعر بخيبة امله فيه. ان احدى النقاط التي تسبب لنا أشد الازعاج هي تصديق الملك لجميع التقولات التي تصل اليه عن الميجر يتس المشاور في الناصرية حالياً وأحسن حكامنا السياسيين. لقد ارتكب الملك سلسلةً من الاخطاء الفاضحة في هذه المنطقة فلدى الميجر يتس من المعلومات والنفوذ على القبائل أكثر من أي شخص آخر أعرفه ويذهب الأوغاد[1] الذين كان يقصيهم بحق الى الملك فيقولون له ان الميجر يتس يشتغل ضد الحكومة العربية. والشيء الذي يدعو الى اليأس هو ان الملك يعيرهم آذاناً صاغية.

ركبت في صباح هذا اليوم مع نوري پاشا عند الفجر، وفي طريقنا الى الكرادة أفضيت له بجميع ما كنت اعتقد به حول الحالة الراهنة. لقد طمنني نوري كثيراً، اذ قال لي وهو متطرف من أعمق الالوان (!) في صبغة أنهم جميعهم عازمون على السير معنا. وكان يركب فرساً عربية فاتنة، ومزهواً جداً بنفسه. انه انسان حقيقي ومن الناس الذين أحبهم اكثر من الباقين.

ذهبت في الرابعة والنصف لتناول الشاي مع الملك وانا عازمة على ان افضي اليه بنحوٍ حاسم بجميع ما كان يدور في خلدي. اتمنى ان اكون قادرةً على رسم صورة لذلك اللقاء ـ كانت الغرفة الكبيرة الفارغة مظللة، تئز فيها المروحة الكهربائية وتطنطن. وكان الملك يرتدي ألبسة

---

(1) ما تزال الآنسة بيل تتضجر حقداً على أبناء الشعب الغيورين، فتصمهم بما يحلو لها من ألفاظ مستهجنة.

بيضاء مع كفية كتان بديعة تغطي رأسه، وكان الجو العاطفي لكل ذلك مع نفاذ بصيرته الحادة، شيئاً نشعر به تمام الشعور لأني كنت العب ورقتي الاخيرة معه، وقد قلت له كذلك. لقد بدأت بتوجيه سؤال له عما اذا كان يعتقد باخلاصي الشخصي وحبي الشديد له. فقال انه لا يمكن ان يشك فيه لانه على علمٍ بما كنت قد فعلته من أجله خلال السنة الماضية. ثم قلت وفي هذه الحالة استطيع اذن أن أتكلم بحرية تامة وأقول بأني مستاءة للغاية اذ كنت قد أنشأت صورة جميلة فاتنة من الثلج منحتها ولائي، ثم رأيتها تذوب أمام ناظريِ. وقبل ان ينحجب على خطٍ يدل على النبل فيها، أفضل أن أرحل عن البلاد. وبرغم حبي للامة العربية وشعوري بالمسؤولية تجاه مستقبلها، لا أظن أنني أستطيع ان احتمل رؤية الحلم الذي كنت أستهدي به يوماً بيوم وهو يتبخر. لقد وجدت من كنت اعتقد بأنه لا يتأثر الاّ بأسمى المباديء فريسة لكل شائعةٍ من شائعات السوء. وأصبح يعطي أذناً صاغية الى أناس كانوا خلال الحرب قد وشوا عند الاتراك بالعرب الذين كانوا في خدمة البريطانيين، وحينما تترك البلاد غداً ويعود الاتراك اليها سيوشون عندهم بالناس الذين كانوا يخدمون فيصلاً. واستشهدت بقضية الناصرية فقلت له أنه كان على خطأٍ من الأول الى الآخر في جميع ما فعل هناك. اما بالنسبة للميجر يتس فقد كان خلال الأيام التي كنت التزم فيها قضية العرب ضد أي تي ويلسن أحد ثلاثة فقط كانوا يقفون بجانبي، وهم الميجر يتس نفسه والميجر كوري والكابتن كلايتون. ولولا هؤلاء لما كنت قادرة على الصمود في موقفي ذاك. اني أرى مقدماً أن شكوكه المؤذية سوف تجبر الميجر يتس على الاستقالة، وفي اليوم نفسه لابد من ان استقيل أنا أيضاً لاني لا أريد ان انتظر الى ان يعمد الاشرار الذين يضع فيهم ثقته الى تسويد صفحتي في نظره.

وفي موضوع الكلام هذا حصلت بيننا مناقشة عنيفة ـ قبّل يدي

خلالها في فترات متقطعة وهو أمر مربك محيّر جداً. وقال انه من واجبه هو ان يطمن الوطنيين المتطرفين من جديد، بينما كنا نحن نرفض الاعتراف بهم بصورة متمادية. فاجبت بأن ذلك كان بعيداً عن الواقع وانما نحن رفضنا الاعتراف بأولئك الذين كانوا يعملون لمصالحهم الخاصة فقط، وكل من يعمل بصدق من أجل الحكومة الوطنية لم نقبل به فقط بل رحبنا به أيضاً. فاننا اذا لم نستطع العمل معهم نكون غير صالحين للعمل نحن لكننا تمكنا من ذلك وعملنا معهم بالفعل. فأن أحد زعماء ثورة 1920 جعفراً ابا التمن هو وزير في الوقت الحاضر وقد كنا نحن بوجه عام وانا بوجه خاص، على صلات وثيقة معه. ومما لا يمكن تصديقه تماماً ان لا نستطيع ايجاد قاعدة للعمل مع هؤلاء اذا كان الملك فقط يعيرنا دعمه وتأييده. وقد استحصلت منه في الاخير أذناً بنشر تكذيب رسمي لتقارير الصحف (ما يزال ينتظر امراره)، وحينما حاولت ان أقبل يده عند الخروج احتضنني بحرارة! وقد حصل هذا بعد ان كنا قد ناقشنا باتفاق تام مشكلة مكة ـ نجد الخطيرة بدرجة مرعبة. وكان ابن سعود خصم والد فيصل اللدود، الشريف حسين، قد منع بطلبٍ منا رعاياها من الحج في السنوات الثلاث الاخيرة. وهو يعلن الآن انه لا يستطيع منعهم سنة أخرى. ومن المحتمل جداً، بتدفق آلاف الحجاج النجديين وحماقة الحسين التامة ان يحصل ثوران عنيف. ان فيصلاً يصرح باننا اذا لم نتخذ أي تدبير في هذا الشأن فسيترتب عليه ان يترك كل شيء ويعود الى الحجاز ليموت مدافعاً عن اسرته. واقربائه من النساء. الحج من وجهة نظرنا نحن اذا قدر له ان ينتهي بمعركةٍ علنية، سيبرر كل ما كان الهنود المسلمون قد قالوه حول وجود سيطرة تركية على الحجاز، وعلى بلاد عربية أخرى بالمناسبة، لقد ابتدعت انا والملك وسائل شتى سوف أعرضها على السر پيرسي غداً.

ما زلت متأثرة من هذه المقابلة. ان فيصلاً أحب الناس لكل

أنسان، غير أنه يفتقر بصورة مدهشة الى قوة الشخصية. فانك تجده حينما ينشد اسمى المثل واعلاها يتعثر في لحظة بأتفه العوائق وأصغرها ـ لقد ربط عجلته بالنجوم ولكن بحبل طويل يمكن ان يشتبك بكل دغلٍ من الادغال على وجه الارض. انك لا تستطيع ان تفعل أي شيء معه الاّ بقدر هائل من التعاطف الشخصي ـ ليس من الصعب ان تمنحه له لكن على المرء ان يتذكر بأنه يغير الاتجاه مع كل نفس. لقد تركته الليلة وهو مقتنع بأن رغبتي الوحيدة هي أن أخدمه. لكنه سيكون ممتلئاً بالشكوك غداً. على انه في قرارة نفسه ومع كثير من الانحرافات عن الطريق، يثق بنا ويعتقد بأن واحداً أو اثنين منا ـ المستر كورنوالس وانا والكابتن كلايتون مثلاً ـ يخاطر بكل شيء من أجله وهذا اقوى ممسك بيدنا معه.

6 حزيران

ان الدراما آخذة بالتطور. جاء علي السليمان الى المكتب في صباح الاثنين وقال للسر پيرسي كوكس ولي بأنه هو والملك قد رتبا بأنه اذا ما ورد جواب ايجابي من لندن حول التعديلات المختلفة، المقترح ادخالها في شروط المعاهدة فأن الملك سيمضي قدماً في طريقه ويعامل المتطرفين معاملةً مخلصة. واذا لم يكن الجواب إيجابياً كله فانه سيطلب الى علي السليمان ان يدعو حوله اناساً يفكرون مثل تفكيره ويجبرون المتطرفين على قبول شروطنا. وقبل ان انتهي صبيحة اليوم ترامى الى سمعنا ان المندوبين الخمسة من هذا النوع قد أبرقوا بما قيمته (1500) روبية من البرقية الى كل رأس متوج، وبرلمان وجريدة كبرى في أورپة وامريكا (والى عصبة الامم) يعلنون فيها بأنهم سوف لا يقبلون بالانتداب بأي شكلٍ كان. وقد حجزت هذه البرقيات كلها من قبل الرقيب لأجل ان يسأل الملك عما اذا كان يريد إيقافها أم لا.

تناولت الغداء مع المستر كورنواليس وسمعت ان الملك سبق أن

تراجع عن أحد الاشياء التي كنت قد حثثته على انجازها وكنت اعتقد بأنني ربما أكون قد وّفقت في اقناعه. وكان الأمر يتعلق بتأييده لوغدٍ لا قيمة له تماماً كان يظهر بمظهر الرجل الوطني.

وفي مساء اليوم نفسه أقمت حفلة عشاء حضر أليها فيمن حضر من الضيوف رستم حيدر وصفوت پاشا (المعين ناظراً للخزينة الخاصة مؤخراً). وقد بقيا الى ما بعد الثانية عشرة وكانا خلال الساعة الأخيرة كلها يلحون على ضرورة ايقاف الحجاج النجديين وهو شيء لا نعتقد بأن الله او الانسان بوسعه ان يفعله. يقول الحسين في الوقت الحاضر ان حجاج نجد اذا جاءوا الى الحجاز فانه سينسحب الى جدة! اعتقد بأن ذلك سيجعل الانفجار لا مناص منه.

ترامى الى سمعنا اليوم ان الملك ما زال يناقش مع المندوبين قضية البرقيات ـ النائمة في صندوق مقفل في المكتب!!

ذهبت مع المسز ديڤيدسون والمستر كوك لتناول الشاي عند عبد الحسين چلبي. ان المفروض!! فيه ان يكون من المتطرفين لكنه يحافظ على أشد صلات الود بنا.. متطرف!! تباً لهذا الاسم! ان الأمر كله هراء وسفاسف. انا لا أفوت فرصة من دون ان أعلن عن اتصالي به.

أفٍ من الملك، الملك! آه لو يستطيع فقط ان يكون على جانبٍ أكبر من الحزم والمتانة! انه يضيع فرصة العمر ـ ولكن ماذا بوسع المرء ان يفعله؟

8 حزيران (ب)

اني أشعر بمزيد من الفرح. لقد وافق الملك على الامتناع نهائياً عن ابراق البرقيات المذكورة وحينما استأجر الحمير (!!) الخمسة سيارة يذهبون بها الى أيران ليعجلوا بابراقها منها قال لهم انهم سيسببون كثيراً من الضرر فامتنعوا..

22 حزيران

ذهبت في اليوم التالي لتناول الشاي مع الملك فجرى بيننا حديث ممتع للغاية..

واذا قدر الله فحشرنا يوم الدينونة فيمكنكم ان تتأكدوا من أننا سوف نصنف في النهاية على أساس أعلى ما كنا قد وصلنا اليه في هذا العالم الفاني... وستكون مكانة فيصل في ذلك اليوم عالية جداً حيث ستحمله الأمواج مخترقة ذلك الشاطئ السماوي حتى توصله الى أعلى ما يمكن وحينما يجزر المد ثانية يكون هو قد وصل الى المكان الذي وصل اليه مخلفاً أثره على ذلك الساحل الذهبي.

أخذت المسز ويلكس لتناول الشاي عند بعض السيدات العربيات - انا آخذ على الدوام بعض سيداتنا الانكليزيات الظريفات الى مثل حفلات الشاي هذه.

واقمت في المساء حفلة خاصة في حديقتين بدأت في التاسعة وانتهت في الحادية عشرة والنصف. وقد قدمت فيه القهوة والمرطبات وجرت فيها أحاديث شتى في نور فوانيسي. وكنت قد دعوت اليها حوالي عشرة من العرب وخمسة من الانكليز فكانت حفلة موفقة تماماً سوف أعيدها بين فينة وأخرى...

سيعقد بعد ظهر اليوم اجتماع مهم من اجتماعات مجلس الوزراء - ستعرض المعاهدة فيه على الوزراء. وقد كنت اتصل بالوزراء خلال الفترات التي تخللت رسالتي هذه اليكم ولا يمكنني ان أفعل أكثر من هذا. فاذا قدر وكانت النتيجة على غير ما نتوقع تماماً فسيترتب على السر بيرسي حائك المصائر العظيم، ان يقوّم اعوجاجها...

22 حزيران (ب)

.. ذهبت لتناول الشاي مع الملك، فجرى بيننا أهم حديث معه على الإطلاق. بدأنا الحديث عن ياسين الهاشمي فقلت للملك عنه أني مجذوبة اليه مع أني لم أكن أفهمه. فقال جلالته ان هذا كان شعوره بالضبط أيضاً - ثم عدنا بعد ذلك الى قصة «مؤتمر باريس» برمتها، وقناعة فيصل التدريجية باننا كنا سنسلمه بالتدريج الى رحمة الفرنسيين (ان معلوماتي الأكيدة هي انه ما قيل له هذا بصورة جازمة قط الى حد تموز 1919) ثم الآمال المنتعشة من جديد التي استثارها الوفد الامريكي - المستر كراين وزميله - المتحطمة مرةً ثانية بأبطال تقريرهما بالمرة. وأخيراً عزمه على السير مع فرنسة الى أطول ما كان يمكنه أن يفعل من أجل تأسيس حكومة عربية على كل حال، يكون من الصعب تقويضها حتى حينما يبعد هو عنها، واضطراره بعد ذلك بتأثير المتحمسين من جماعته الى الاصطدام بتصلب الفرنسيين. وكانت أسرته هو خلال الوقت كله تحسده حسداً مراً - بينما كان هو يتمسك بأذيالنا المتوارية عنه.

وقد جلست استمع اليه باهتمام يقطع الانفاس - كان الحديث عبارة عن هبة للتاريخ وقد سجلته كله في النهاية - لكن ما لا استطيع استنساجه هو نفسيته. ولو كان بوسعك ان تنظر اليه يتكلم لمدة خمس دقائق لامكنك فهم ذلك - وجهه الضيق المتلهف، الذي تنعكس فيه كل دورة من دورات فكره، وتحرك تقاسيم وجهه المدهش وعيون الرجل المثالي اللماعة، التي يزداد عمقها بالحزن وخيبة الأمل الخالية من أي لوم أو تأنيب. لقد شعرت وهو يروي تلك القصة المفجعة بأنه ليس هناك مقدار من الصبر والتحمل، ربما ندعى لممارستهما تجاهه، يعد شيئاً أكثر مما يستحقه. . .

ثم قال انه سوف لا ينسى قط ما كنت قد قلته له من قبل حول

الصورة المصنوعة من الثلج(*) ، وان حكومة صاحب الجلالة اذا قدمت له معاهدة يستطيع ان يضع اسمه تحتها بشرف فانه سيمضي قدماً الى اتباع الأسس التي اقترحها عليه. غير انه شكى من أن وزراءه لا يقدمون له أي عون أو مساعدة. فقلت له ان عدداً منهم كانوا يضعون قيادهم في يد ناجي السويدي ليكونوا جبهة معتدلة قوية. ومنذ ذلك الوقت صار الملك يقابل ناجي كثيراً.

.. وصل جواب الحكومة البريطانية حول المعاهدة، وانقضى يوم كامل في فك رموزها. وبوسعكم ان تتصوروا مقدار القلق الذي كان ساورنا خلال مدة انتظارنا! طيب، انه جواب حسن، معقول وسخي، ومصحوب ببرقية تعاطف شخصية الى صاحب الجلالة (فيصل) من تشرشل. والآن يمكننا ان نمضي في طريقنا، على ما آمل.

ستعرض المعاهدة على الوزراء هذا اليوم بعد الظهر. انا غير متأكدة من عدم اقدامهم على القيام بشيء سخيف ـ يضعون مثلاً فقرة اضافية تنطوي على عدم قبولهم بالانتداب، الأمر الذي سيخذل الملك ويجعل الوضع كله بالغ الصعوبة. لقد بذل السر پيرسي قصارى جهده في اقناع النقيب بأن لا يحيد عن السبيل السوي للبلاد. وكانت هناك ثلاث جرائد تنشر مضابط ضد الانتداب من فلان وفلان وفلان، ولكن من دون ان تنشر ولا كلمة واحدة عن المطالبة الصريحة بالانتداب التي كانت ترد من الناس الكبار جميعهم. وكانت تنشر أيضاً تهجمات لا تصدق على الميجر يتس لتشجيعه الناس على القيام بحركة ضد الحكومة العراقية. ان هذه ستقابل ببيان رسمي حول ثقة الحكومة بالميجر يتس. وقد عطلت وزارة الداخلية احدى الجرائد ـ أحسب أنهم كلهم يتقاضون أموالاً من ذلك الغول الهرم الشرير الشيخ مهدي الخالصي (!)، احد المعممين

(*) راجع رسالة 4 حزيران 1922.

الذين أريد أن أضعهم في قارورة وأسدها سداً محكماً عليهم.

وفي غضون هذا رفض ابن سعود قبول المعاهدة النجدية العراقية. على انه طلب في برقيةٍ اخرى ان يجتمع بالسر بيرسي في مكانٍ ما ليشير عليه بالخط الذي يجب ان يسير فيه بالنسبة لما يختص بالحجاز والعراق وشرقي الأردن. ويساورني شك في ان موقف ابن سعود الذي يكاد يكون صعباً قد تكون له علاقة بأعمال المستر فيلبي[*] الطائشة. فحينما وصل ذلك «الجنتلمن» الشاب الى الجوف أبرق يطلب ترخيصه في المجيء الى العراق ليدرس امكانية فتح طريق ثانٍ لسكة الحديد، وتوجه الى هذه الجهات من دون ان ينتظر الجواب. وبينما كان يتجول عبر البادية كان الهواء من فوقه يدمدم من دون علمٍ منه بأوامر من المندوبين الساميين ووزراء الدولة المختصين بوجوب عودته الى عمان في الحال! ومع هذا فقد ظهر في كربلاء. فلم يسمح له بالمجيء الى هنا، ثم «لفلف» بطريق الجو الى عمان حيث سيتلقى التعنيف الذي يستحقه تماماً على ما أعتقد. لأن ابن سعود كما تعلمون حساس جداً بالنسبة للسيطرة على الجوف، التي يحاول المستر فيلبي استحصالها لعبد الله، ولأن آخر شيء نريده نحن هو تورط العراق في ذلك النزاع الذي لا يعنينا بشيء. يضاف الى هذا ان سكة الحديد اذا قدر لها ان تنشأ فمن المؤكد من الناحية العملية ان لا تسلك هذا الانحراف الطويل الى الجوف.

وحصلت عندنا كارثة أخرى في السليمانية ـ خسرنا فيها ضابطين، باسلين بخيانة أحد الأغوات الأكراد، وكان قد حاول قتل أحد الموظفين الاكراد فالتفت الى الانكليزيين اللذين جاءا لاصلاح البين فيما بينهما. ان أحدهما، الكابتن ماركانت ضابط الشبانة[1]، كنت اعرفه جيداً، لقد

(*) كان يعمل يومذاك مشاوراً للأمير عبد الله في شرقي الاردن.

(1) أما القتيل الآخر فهو الكابتن بوند.

كان مخلوقا محبوباً للغاية، ورجلاً مستقيماً شجاعاً، منغمساً في عمله. وقد كنت أركب حصانه الأدهم على طول الحدود الأيرانية في العام الماضي. فأي ثمنٍ غالٍ نحن نتكبد في سبيل استرداد تلك البلاد الخارجة على القانون؟.

وكانت آخر صفحتين من هذه الرسالة معنونة بعنوان «أخبار آخر ساعة، الثامنة مساءً» وها نحن ندرج ترجمتها كاملة بحذافيرها:

جاء حسين افنان، سكرتير مجلس الوزراء، الى هنا قبل لحظات ليخبرني بالمناقشة. لقد انتهت بلا شيء. اذ قرئت المعاهدة وطالب عبد المحسن السعدون (العدلية) بقبولها، فقال توفيق بك (الخالدي) وزير الداخلية انه يعترف بأن القضية مستعجلة لكن 95% من البلاد ستكون ضد المعاهدة بما فيها الانتداب (ملاحظة: ليس هناك تلميح(*) بالانتداب في المعاهدة). وقد سأل النقيب جعفر باشا عما اذا كان جيشه مستعداً لقمع الاضطرابات التي يمكن ان تحصل، فأجاب بأنه ليس هناك عربي يحارب عربياً. (ملاحظة: كان شبابنا العرب قد حاربوا(**) ببسالة ضد الثوار في 1920!) ثم تكلم جعفر أبو التمن (التجارة) معكر صفو السلم. وكان قد جلس صامتاً في أول الأمر كأنه رجل جاء يجمع الادلة ليقدمها بتقرير خاص الى رؤسائه علماء الدين الشيعة، وكان كل من في المجلس يراقبه وينظر اليه من اطراف عينيه بفزع، ما عدا عبد المحسن وساسون. لقد قال ان هذا أمر لا يمكن لمجلس الوزراء ان يحسمه - يجب ان يحال الى المجلس التأسيسي. كما ان السادة وعلماء المسلمين هم ضد المعاهدة تماماً. فاعترضه ساسون بقوله ان الانتخابات ستستغرق

(*) لكن بنود الانتداب كلها قد ضمنت فيها.

(**) كان قسم كبير ممن بقي يحارب من أصل غير عربي، كما أن قسماً كبيراً من الشبانة قد انقلب على الانكليز، وان قسماً آخر قد فر من الخدمة.

عدداً من الأشهر، واقترح ان يكون لدى مجلس الوزراء شيء يقدمه الى المجلس التأسيسي. كما اقترح ان يكون تصديق المعاهدة خاضعاً لتصديقها بعد ذلك من قبل المجلس. وطالت المناقشة في هذه النقطة فامتدت الى ساعتين، وتقرر تأجيلها الى يوم السبت!.

ويعتقد حسين أفنان بأن النقيب غير قادر على استحصال قرار من مجلس الوزراء، انه يعاني من شلل عقلي..

والآن لابد لناجي السويدي وجماعته من ان يتحركوا. انا متأكدة بقدر ما يمكن ان يكون المرء متأكداً من كل شيء في عالم السياسة (وحتى السياسة المصطبغة بالصبغة الدينية) من أنهم سيفوزون، لكني أشعر كأني أشبه بملك الموت الذي يعد الحسنات والسيئات وهو يراقب كفاح الروح من أجل الخلاص.

6 تموز

مرت علينا أيام كان مد الملك يجزر من وقت لأخر الى أدنى حدوده. تركتكم في رسالتي السابقة عند اللحظة التي لا يستطيع فيها الوزراء ان يفعلوا شيئاً حول المعاهدة سوى تأجيل النظر فيها لمدة يومين. وقد أعقب ذلك حصول ضجة ومناورات فاجتمع جميع الشيوخ والسادة المعارضين للانتداب من منطقة الفرات، وفي صبيحة يوم السبت زارت جماعات من سكان المدن ـ من الشيعة ـ النقيب زرافات زرافات وأنذرته بالكوارث التي سيؤدي اليها التوقيع على المعاهدة. وبعث الملك يستدعي جعفراً ابا التمن وقال له ان وزارته سوف يتم الغاؤها استناداً الى تقرير «لجنة غيديز»، وعليه ان ينقطع عن اجتماعات مجلس الوزراء. ومن الأحسن له ان يقوم بسفرة الى الخارج من اجل صحته. ولذلك بعث جعفر أبو التمن خبراً الى الوزراء يقول فيه أنه مريض، وعند ذاك وافق كلهم مثل الطيور على توقيع المعاهدة!

وقد تمت المصادقة على هذا القرار في جلسة خاصة عقدت في اليوم التالي، الأحد. وفي صباح الاثنين ذهبت الجماعة المناوئة للانتداب كلها الى الكاظمين لاستشارة كاهنهم، الشيخ مهدي الخالصي، فقال لهم انه لما كان الملك قد أخل بتعهده حينما انتخب لتسنم العرش، في ان يحافظ على استقلال العراق، فأن بيعتهم له أصبحت لاغية. ثم التفت الى الحكومة العراقية وقال انها قبل ان تتشكل كان الانكليز هم الذين يحكمون البلاد، وما زالوا يحكمونها مع زمرةٍ من المبذرين أضيفت اليهم.

يجب ان أذكر لكم ان جلسة مجلس الوزراء التي عقدت يوم الأحد حضر فيها جعفر أبو التمن ثانيةً، وقدم احتجاجاً رزيناً فيها ضد المعاهدة. ان الملك يقسم بأن هذا قد حصل من دون علمه، وانا لا اصدقه في ذلك. وقد قدم استقالته بعد ذلك على سبيل التباهي - ان هذا عمل حكومي سيء لانه كان يجب ان يكتسح بفعل «تقرير غيديز» - وحضر جلسة يوم الثلاثاء كذلك. لقد بعث الملك الى النقيب يخبره بصورة خصوصية بأن يؤخر قبول استقالة جعفر ابي التمن، وهو يقول انه فعل هذا لأنه كان لابد من ان يضبط أحوال البلد ويمنع حصول غليان فيها. وهذا اما ان يكون غير صحيح أو انه منافٍ لطبيعة الأشياء بوضوح، لأن كل فرد يعلم ان جعفراً يجب أن يبعد(*) عن الوزارة وليس هناك من يهتم بأمره بقدر ذرة (!).

لقد أشيع في يوم الثلاثاء ان مظاهرة كبرى ستخرج. فتدخل الملك من جديد وبعث يقول للمتطرفين بأن المحرضين على المظاهرات سوف يلقى القبض عليهم في الحال. وأبرق السر بيرسي كوكس في الوقت نفسه الى بوشهر يسأل عما اذا كان سجن هنجام في حالة ترميم جيدة - كان

(*) لماذا؟

هذا هو المنفى الذي بعثنا بثوار 1920 اليه. ولما كانت جميع الكلمات المهمة في البرقية قد تركت من دون رموز تقصداً، فقد انتشرت أنباء البرقية في أنحاء البلد بسرعة! ففرح السر پيرسي بذلك ـ ولم يقع أي شيء.

وبعد جلسة يوم الثلاثاء قبل النقيب استقالة جعفر أبي التمن من دون انتظار اشارة اخرى من الملك، وقد بذل محاولة اخرى لإيقافها. لكن المحاولة جاءت متأخرة. وبقي ان يبعد الى خارج البلاد. وسأصدق بخروجه منها حينما أسمع انه قد وصل الى بومبي.

لعلكم فكرتم، كما فعلنا نحن، بأن كل شيء قد انتهى بعد القرار المتخذ في جلسة يوم السبت، ولم يبقَ سوى الضجة والصراخ. لقد كنا جميعاً نشاهد لعبة البولو، لكنني ركبت مع الميجر موري سيارة في طريق الاعظمية ببغداد وما عتمنا حتى التقينا بسيارة تقل شخصاً كانت تشع من وجهه أشعة البشر والفرح. لقد كان صبيح بك (نشأت) وزير الأشغال. فحيانا وأوقفنا، ثم قال لنا وهو يصعد أنفاسه بأن مجلس الوزراء قد صادق على قرار المعاهدة. ومضينا في طريقنا فالتقينا بسيارة أخرى شاغلها يشع منه المجد كالشمس، ومن يكون ذلك غير توفيق بك (الخالدي) وزير الداخلية! وتمادينا في السير، انا والميجر موري، ونحن نهتز من الضحك لأننا كنا نعترف بأنه ليس هناك بلاد أخرى في العالم يوقفنا فيها الوزراء في الطريق لينقلوا لنا آخر ما تقرره الحكومة من قرارات! .

على اننا كنا نضبط الحساب من دون ـ ملكنا. فقد أجل مصادقته على قرار الوزراء بانتظار اجراء بعض التعديلات اللفظية في الصيغة العربية. وبعث اربع مرات متتالية، على ما أنا متأكدة منه، برسائل سرية الى وزرائه يناشدهم فيها اضافة فقرات تشجب الانتداب عند قبولهم

المعاهدة، مع أنه كان قد أخبر مرةً بعد أخرى بأن السر پيرسي سيرفض ارسال قرار مصاغ بمثل هذه الشروط الى حكومة صاحب الجلالة في الوطن. وفي يوم الأحد - أي في اليوم الذي صودق فيه على القرار نهائياً في مجلس الوزراء - بعث يستدعيني لمواجهته. فذهبت في حوالي الخامسة، وهناك وجدت جميع الشيوخ المعارضين للانتداب معي. وبعث يخبرني بأن انتظر، لكنه سرعان ما خرج وهو يبدو كثير الانفعال، فقال لي انه قد انتزع منهم قسماً بأن يتركوا تمشية الأمور اليه ويطيعوا أوامره. وعلى كلٍ فانا لا أدري أية أوامر قد أصدر لهم في الحقيقة؟ ان كل ما استطيع قوله هو أن أربعة من أولئك الذين كانوا عنده قد توجهوا الى النجف بعد اسبوع واشغلوا انفسهم فيها بجمع التواقيع على عرائض تشجب الانتداب.

وكان الشيوخ المؤيدون للانتداب قد اجتمعوا في غضون ذلك ببغداد. فقابلهم الملك مقابلةً حسنة للغاية - مع أنه كان يكرههم في قلبه - لكن رجال الحاشية في البلاط جعلوهم يفهمون بوضوح أنهم خونة. وقد جعلوا دمي يفور حينما سمعتهم يروون كيف أن أثنين أو ثلاثة من الشيوخ المناوئين للانكليز كانوا يقرأون بصوت عال الجرائد المحلية البغيضة، بينما كانوا يجلسون في غرفة الانتظار في البلاط، ويستهزئون مع عدد قليل من التشريفاتية الصغار باحتمال أن يكون النفوذ البريطاني في العراق ممثلاً في القريب العاجل بالمندوب السامي وحده وسبع طيارات.

وهكذا مر اسبوع واحد. ففي يوم الاثنين الماضي، المصادف للثالث من تموز، أقر مجلس الوزراء للمرة التي لا تحصى الصيغة النهائية للمعاهدة، وأصدر قراراً آخر بأنهم سوف لا يوافقون على أية تعديلات أخرى. ولعلكم لا تصدقون اذا قلت لكم ان الملك قد أثار فيما بعد اعتراضاً آخر ينطوي على اجراء تعديل في النص الانكليزي هذه

المرة. فلم أرَ المندوب السامي على درجة من الانزعاج والقلق مثل ما رأيته في ذلك اليوم وأخيراً وافق المندوب السامي على صيغة يبعث بها الى المسؤولين في الوطن بشرط ان لا يسمح بأجراء أية تعديلات أخرى وها نحن ننتظر الجواب.

وكانت الدلائل على سلوك الملك المزدوج تتوارد، كما تلاحظون، منذ عشرة أيام. وكانت الجرائد المتطرفة يوم أمس على أسوأ ما يمكن احتماله. فقد كانت تحتوي على انباء تختص بعرائض النجف، وجددت هجماتها على علي السليمان شيخ الدليم، ثم أعلنت ان زعماء الشعب قد استهجنوا برقية وزير الداخلية الى الميجر يتس، التي يقول فيها ان الملك وحكومته يضعان ثقتهما به. ولم تستطع وزارة الداخلية ان تفعل شيئاً ضد أسوأ الجرائد وأنحسها لأنها كان مدعومة بقوة البلاط. وقد صادف ان رأيت نوري السعيد في المساء فقلت له اني اعتبر ان موقف الملك لا يمكن الدفاع عنه مطلقاً بحيث لا استطيع بعد ان تبقى لي أية علاقة به. فأخبره نوري في الحال، وتسلمت في بكرة هذا الصباح رسالة تدعوني الى تناول الشاي مع الملك. لكني استرحمت اعفائي من هذه الدعوة. غير ان المستر كورنواليس كلمني بالتلفون بعد ساعتين وقال ان الملك في حالة انفعال شديد، وهو محتار في معرفة السبب الذي يمنعني عن تلبية الدعوة وأشار عليّ بأن أذهب وأتصارح معه، فذهبت.

وقد حياني الملك بحماسة بادرت الى اخمادها في الحال بقولي له اني قد اتيت الى هنا ضد رغبتي. اعقب ذلك ربع ساعة من الحديث القارص جداً، فبقينا في نهايته يواجه احدنا الآخر من دون كلام، مع التأكد بأني لم أصدق ولا كلمة واحدة من الحديث الذي فاه به. ثم أبديت ملاحظة قلت فيها بأني اذا ما تركته ونحن في تلك الحالة فسوف لا أعود اليه قط، واعتقد بأنه من الخير لنا ان نوجد تسوية مؤقتة بيننا. فوافق، وبينت له بالتفصيل الدلائل المتوفرة عندي ضده وضد بلاطه. فلم

يحاول الدفاع عن البلاط، لكنه اعترف بأنه كان وما زال يعمل باستمرار ضد مبدأ الانتداب. وقد بينت له أنه بقبوله المعاهدة قد قبل بالانتداب ضمنياً، وان كل ما يستطيع عمله هو ان يطلب الينا مساعدته في التخلص من الانتداب، وهو أمر نحن على استعداد للاضطلاع به. ولفتّ نظره أيضاً الى انه بينما كان أتباعه يمتنعون عن قول شيء حول قبول المعاهدة في الوقت الذي كانوا منشغلين فيه كليةً في رفض الانتداب، جعل اتباعنا نحن قبول المعاهدة البند الأول من بنود برنامجهم - فأي منهما هي سياسته؟ وقد اصبت الهدف بهذا، ومضيت أقول له بأنه يجب ان يعمد الى تنظيف البلاط وان يوافق على نقل الموظفين العرب والبريطانيين معاً من منطقة الحلة(*)، لأن الفريقين كانا يسيّران الادارة على أسس حزبية بحتة.

واخيراً، أي بعد ساعتين من النقاش، عانقني بحماسة شديدة وافترقنا بحالة تكاد تكون غير مرضية من الاتصال العاطفي الوثيق، والاختلاف السياسي الواضح! وعليّ الآن أن اتصل بنوري السعيد واجعله يزيل جميع اتهاماتي.

نحن بوسعنا ان نجعل الملك يسير سيراً مستقيماً خلال مدة الانتخابات فيأتي بمجلس وطني يصادق على المعاهدة، ومن دون أن يرفض الانتداب يقدم استرحاماً يطلب فيه أن تقوم حكومة صاحب الجلالة البريطانية بدعم الحكومة العراقية في طلب ابطاله. ونحن مستعدون تمام الاستعداد للاضطلاع بهذه المهمة، لأن الانتداب هو لغو وهراء. لكننا سنلاقي معارضة عنيدة من الفرنسيين، والله يعلم ماذا سيحل بالانتداب على فلسطين. واذا لم نستطع القيام بذلك فستنفتح

(*) كان متصرف الحلة في تلك الايام علي جودت الأيوبي، وهو يقول في مذكراته أنه اختلف مع المفتش الاداري الانكليزي فنقل بالفعل بعد مدة وجيزة الى كربلاء.

أبواب جهنم في العراق، وسيضيع فيصل عرشه الثاني، فأين تظنون سيحصل على عرشٍ ثالث له؟.

أشعر في هذه اللحظة بأني منهكة روحياً.

. . . ويمكنني ان أذكر في النهاية ان غيوماً تتجمع الآن في الشمال. فأن الاتراك يحشدون الجيوش في وان[1]، وقد بعثوا بضباط جدد الى راوندوز ووعدوا بأرسال مدد اليها. وتبث دعاية نشطة بين القبائل الكردية، ولذلك تعتبر دائرة أركاننا العامة ان الحالة على درجةٍ غير يسيرة من الخطورة. ونحن في الوقت نفسه لم نلق القبض بعد في السليمانية على قتلة الكابتن بوند والكابتن ماركانت، ويكون موقعهم على اتصال وثيق بالاتراك في راوندوز.

والدي الأعز، آمل ان لا يضركم حسن ظني بكم والأفضل اليكم بكل ما أفكر به وأقوم بعمله. واجد من الصعب عليّ أن أتمسك بالصبر وعدم التحيز ـ أتمنى ان يتولى المنصب الذي أشغله شخصٌ آخر أعقل مني، غير اني لا أعتقد ان أي انسان آخر يمكن ان يجازف بحياته من أجل مصائر العراق أكثر مما فعلت.

16 تموز

. . أعلن كلٌ من الملك والنقيب للملأ انهما سوف لا يقبلان بالانتداب مطلقاً انشاء الله. وقد أجابت حكومة صاحب الجلالة بأنها لا تستطيع عقد أية معاهدة الاّ بموجب ما تخولها عصبة الأمم به ـ أي بواسطة الانتداب.

أظنني قد قلت لكم من قبل، وعلى كلٍ سأقول ذلك الآن أيضاً،

(1) يطلق اسم «وان» على بحيرة ومدينة في تركيا. وتقع مدينة وان على الشاطيء الشرقي لبحيرة وان. وتقع البحيرة في شرق تركيا الشرقية.

انه ليس هناك بلاد في العالم يمكنها أن تسيّر شؤون الانتداب... لأن العرب لا يسلّمون بأي تنقيص يصيب حقهم في السيادة، مثل وضعهم تحت نظارة عصبة الامم. على انهم على استعداد لممارسة حقوقهم هذه بحيث يلتزمون من أجلها بمعاهدة يقبلون بمقتضاها المشورة لقاء المساعدة التي تقدم اليهم.

أُقيمت بعد ظهر اليوم حفلة افتتاح «النادي الانكليزي العربي»، وقد حضر السر پيرسي فكان لطيفاً جداً مع الجميع. وهو نادٍ للرجال لكنني دُعيت الى الحفلة ولم أكن عضوة فيه. وكان هناك شيوخنا الفراتيون البواسل، وهم حوالي اثنى عشر شيخاً، وقد قدموا كلهم الى هنا ليساعدوا في عملية تصديق المعاهدة بقدر ما يمكن. ونحن بانتظار نجاح النادي ـ ان الغاية منه هي ان يكون مكاناً يجتمع فيه الجميع سويةً...

أمامنا الأن قضايا كثيرة ـ وأولها قضية تأليف الأحزاب السياسية. فقد سبق للمتطرفين ان نزلوا الى الميدان، وانا الآن ادفع الآخرين دفعاً واسحبهم اليه. تجدون بطيه صورة جذابة لهيئة أركان الجيش العراقي العامة في اثناء التدريب، ويظهر فيها جعفر پاشا في اقصى اليسار.

16 تموز (ب)

الى أي حدٍ وصلت في رسالتي السابقة؟ لم أبتعد كثيراً عن المشهد العنيف مع الملك، ألم يكن كذلك؟ لقد كان لذلك شيء من التأثير الحسن. أنه ما يزال متعباً بشأن المعاهدة كما كان من قبل، لكنه على كل حال قد أصبح متعباً على المكشوف. فهو يبعث الآن الى السر پيرسي رأساً بجميع القرارات المستحيلة التي يريد ان يقرها مجلس الوزراء، حتى يكون الوزراء على علمٍ تام قبل ان تصلهم مخابرة الملك بأن تلك القرارات كان قد رفضها المَندوب السامي. وعند ذاك يرفضها مجلس الوزراء أيضاً، ويفكر الملك بشيء آخر!

وافق السر بيرسي في الأسبوع الماضي على أن يبعث ايجابياً بآخر تعديل للمعاهدة. غير ان وزير الدولة المختص في لندن امتنع عن قبولها وحسناً ما فعل، وقد تجرع مجلس الوزراء هذا الرفض يوم أمس فسألنا الملك عما يعتزم ان يفعله. وعدئذٍ أعدّ جلالته مقابلة صحفية مهمة لتنشر في الصحف المحلية شرح فيها أهمية المعاهدة وفي ضمنها الانتداب، وقد طُمن عاقد المقابلة بأنه لا يمكن بحالٍ من الأحوال ان يطلب الى عربي نبيل تلقّي الاوامر من رجل اجنبي فعلق السير بيرسي بالمناسبة يقول ان مهندس الري البريطاني الذي تستخدمه الحكومة العراقية يمكنه بالتأكيد ان يصدر الى عرب نبلاء أوامر يتحتم عليهم تنفيذها. ثم قال كذلك ان هذه المقابلة اذا نشرت في الصحف فانه سيقطع المفاوضات. وقد بلّغ مجلس الوزراء بهذا على ما ينبغي، فقرر عدم الموافقة على نشرها حسب الأصول.

اقترح السر پيرسي ان يوضح مجلس الوزراء (وكان يناقش أمر المعاهدة) انه يعترف بأن المعاهدة هي وسيلة الارتباط الوحيدة بين البريطانيين والحكومة العراقية. واذا أرادوا ان يمضوا في قولهم انهم يؤملون في أقرب وقت ممكن، ان نساعدهم في اقناع عصبة الأمم بالتخلي عن نظام الانتداب فبوسعهم ان يفعلوا ذلك. غير ان النقيب لا تروق له هذه الفكرة لأنها تعترف بوجود الانتداب في الوقت الحاضر ـ حديث النعامة ـ ويحاول الملك على الدوام قلب القرار بحيث يكون منطوياً على رفض الانتداب لكن المندوب السامي، ذلك الطير الكاسر، لا يمكن ان يصاد. وهكذا تسير اللعبة في طريقها.

واذا كان الأمر لعباً هنا، فأنه آخذ بالخطورة في منطقة الفرات. حيث أخذ الموظفون العرب يسيّرون الادارة فيها على أسس حزبية خالصة ـ ضد الانتداب ـ ان كبار الشيوخ يؤيدون الانتداب كلهم تقريباً (!)، وهم يصلون الآن الى حدٍ من السخط بتأثير المضايقات وأعمال

الظلم والخشونة التي يلقونها على أيدي موظفي الادارة العرب، بحيث أوشك صبرهم على النفاد. فقد سبق ان وقعت حادثتا قتل اقترف كلتيهما شيوخ مناوئون للانتداب لأسباب سياسية لا غير.

انا مقتنعة بانه ليست هناك بلاد في العالم تستطيع تمشية الانتداب. فقد سوّد الفرنسيون في المقدمة، ونحن في الدرجة الثانية، أسم الانتداب وصفاته في سورية وفلسطين.

على أني أعرف معرفة وثيقة بِمَ يفكر فيصل - وكذلك غيره:

(1) انه يريد رفض الانتداب هنا ليعتبره خطوة أولى نحو رفضه في سورية.

(2) ويريد أن يظهر للعالم الأسلامي ان دولةً عربية مسلمة قد جاءت الى الوجود.

(3) ثم يعتزم اعادة الخلافة الى أيدي العرب. وهذا منهج يلائمنا تمام الملائمة - دولة عربية صديقة، أو مجموعة دول، تقع بصورة ملائمة في حدود آسية الغربية، مكوّنةً حلقة وصل بين طرقنا البحرية وداخلية القارة، وممسكة بسائر العالم الأسلامي - اذا كان بوسعهم ان يدبروا ذلك فهو من شأنهم - بسلطة الخلافة. فهل يمكن تصور شيء أحسن من هذا؟ غير انه يجعل الفرنسيين في مأزق والصهاينة كذلك.

... تغديت مع الملك، ومعلمه القديم صفوت باشا، فوجدته حليفاً مخلصاً. انه حفظه الله سيقدم مساعدة كبيرة لنا. لقد جاءني في اليوم التالي ورجاني بأن أكثر من زيارة البلاد بقدر ما يمكن، لأنه من الواضح أني الشخص الوحيد الذي يحب الملك حباً حقيقياً هنا، أو الذي يحبه الملك في الحقيقة. على أن قوله هذا يقلل من انصاف المستر كورنواليس الذي ضحى بسيرته كلها في سبيله كما اشرت. لكن صفوت يقول أني اختلف عنه، وان الملك يمسك بيدي كثيراً مع انه يعانق كورنواليس أكثر - نحن نقارن ذلك بعضنا مع بعض.

وقد تبدو هذه كلها شيئاً صبيانياً، لكنه ليس كذلك تماماً. فانك لا تستطيع ان تصنع شيئاً مع فيصل ما لم يشعر بالتأكد من أنه قد امتلك محبتك المتصفة بالاخلاص. لقد حصل على محبتنا، من الخير لنا وله وللجميع ان يعترف بذلك.

اما بالنسبة لآراء الملك الكردية فقد رفضت، موقتاً على الأقل. لقد طار الميجر بورديون[1] الى السليمانية وتداول في الأمر كله مع الحاكم السياسي الميجر غولد سميث. ويعتقد الحاكم السياسي بأنه لا يمكن عمل شيء من بغداد، لكن شيئاً ما يجب ان يصنع في الحال. ولذلك فأنهم بصدد الدخول في اتصال عاجل مع قاطع طريق مغامر لكنه فعال على الحدود، وهو السيد طه[2]، ليروا اذا كان مستعداً لتسلم منصب الحاكم في السليمانية وراوندوز بأشرافنا. انها قفزة مخيفة في الظلام. وليس من غير المحتمل على ما أظن ان يرفض السيد طه هذا العرض، وفي تلك الحالة سأتدخل من جديد وأعرض فكرة الملك فيصل ـ لأننا مهما كانت معرفتنا كثيرة بالأمور لا نستطيع قط أن نعرف مقدار ما يمكن أن يفعلوه لاقناع بعضهم بعضاً بعد ان تمنحهم الحرية في العمل. فالملك يقول «انا لا اختلف كثيراً عن الأغا الكردي». طيب، نحن نختلف كثيراً عن الأغوات الأكراد، أنا أعترف بالحقيقة ـ ان في ذلك شيئاً من الصدق.

قصفنا راوندوز يوم الاثنين الماضي بعشرين طائرة، وأعدنا العملية بعشر طيارات يوم الثلاثاء، ونأمل بهذا ان تنثني القبائل الكردية البليدة على الحدود على الأدلاء بدلوها مع الثلاثمائة تركي او ما يقرب من ذلك الذين يكوّنون حامية راوندوز. ويكاد لا يصدق المرء أن كل ذلك

(1) لعله الميجر بورديللون سكرتير المندوب السامي.

(2) هو السيد طه بن الشيخ محمد صديق.. من اكراد تركيا.

قد تم من دون ان نتكبد أية خسارة. فليس هناك في تلك البلاد الجبلية بقعة انزال ممكنة، واذا ما حدث أي خلل في احدى الطيارات فان ذلك يعني الموت المحتم. وكان في القيادة الكرنل ماكنيس رفيقي في طيرانات فيصل. فروى لي كل شيء عن الحركات ـ انه انجاز رائع في التنظيم والبسالة معاً.

لقد وقعت مناسبة الاسبوع في الليلة الماضية. فقد أقمت حفلة مسائية زائدة على شرف شيوخ الفرات وعلي السليمان شيخ الدليم. وكانت حفلة توفيقية تقريباً لأنهم كلهم ميالون أقوياء للانكليز. لقد دعوتهم للتعرف على السيد محمود نجل النقيب الأكبر. وفخري جميل، وعبد المجيد الشاوي. لكن السيد محمود كان يشكو من وجع في رأسه، وفخري جميل كسرت عجلة سيارته، أما عبد المجيد فقد حضر! وجاء حسين أفنان أيضاً، والمستر كورنواليس، والمستر والمسز ديفيدسن، والكابتن كلايتون ـ كان مجموعهم كلهم واحداً وعشرين. وقد كان عندي تسعة من أكبر شيوخ العشائر في البلاد، ومعظمهم ممن لم ير بغداد من قبل مطلقاً. هاهم قد جلسوا هناك يدخنون ويتناولون المثلجات، كما لو كانوا قد فعلوا ذلك خلال مدة حياتهم كلها. وتحدثوا كذلك، فقد شعرت بكثير من الاعتزاز والفرح حينما وجدتهم مجتمعين سويةً. ولم يكن بعضهم يعرف البعض الآخر حتى بالنظر، مع أنهم يقاتلون في جبهة واحدة. ومن النادر ان تستطيع تكوين رأي ما عن كيفية قيامهم بالمحافظة على البقاء بعضهم مع بعض. ولم تكن البلاد آمنة، كما لم تكن هناك طرق، وكان الاتراك يشمون رائحة المؤامرة كلما اجتمع اثنان من الناس معاً.

شنت جرائد المتطرفين هجوماً عنيفاً على علي السليمان، وحينما علمت بأنه كان يشعر بتأثر ومرارة من جراء هذا كتبت استدعيه لمواجهتي. فحضر الى المكتب، هاشاً باشاً من وراء طبقات الغبار، ووضع على أرض الغرفة أربعة من طيور القطا كان قد اصطادها في

طريقه من دون اعتبار لقوانين الصيد. انه باقٍ في بغداد الى حين ـ حسناً، حتى تكون المعاهدة قد وُقعت.

17 تموز

كانت وقائع يوم أمس مدهشة كالمعتاد. فقد نهضت في الخامسة صباحاً وأنا أشعر بنشاط، فركبت الى الكرادة لأفطر عند الحاج ناجي على سمك «مسقوف» لذيذ. وعندما كنت جالسة في بيته الصيفي وقعت حادثة غريبة. فقد دخل شاب يلبس لباس الدراويش وأعلن انه جاء ضيفاً، فرد عليه الحاج ناجي بأنه مشغول وطلب اليه الانصراف. غير ان الرجل زمجر قليلاً ونظر اليّ بحنق ثم قال ان له حقاً بقدر غيره ان يكون ضيفاً هناك، وخرج أخيراً وجلس بجنب أحدى الدور الصيفية المبنية بالحصران. لكن الحاج ناجي نادى خدمه وأحد أولاده وطلب اليهم طرده، فأخفقوا في ذلك. وأخذ هو في الحال يقرأ القرآن بصوتٍ عال. فكان ذلك شيئاً لم استطع تحمله، فخرجت اليه وناشدته بالله ان ينقلع. فقال «أني أقرأ القرآن»، غير أني اجبته «أني أعرف ذلك ـ انصرف والا دعوت لك الشرطة». فقال «حسبي الله»، وأجبته «إن الله بعيداً جداً، لكن الشرطة قريبون»، وبذلك أخذت آلته الحديدية ووخزته برفق. فاعترف بخيبته ثم قال «سأذهب لانك هنا» وحمل نفسه وقرآنه ثم انصرف. . . ولو لم أبادر الى طرد هذا الرجل لكان الحاج ناجي في موقف يعجز فيه عن عمل شيء. لأن الرجل الذي يجلس على عتبة الدار ويرتل القرآن يجب ان يحترم، نظرياً ـ ولا يطرد. ألم يكن ذلك غريباً؟ سوف أخبر الشرطة بمراقبة أي درويش يتجول في الكرادة. .

علمت الآن ـ الساعة العاشرة مساءً ـ بالتلفون ان الوزراء صادقوا على المعاهدة في جلسة بعد ظهر اليوم. .

. . . لبّيت، أنا والمستر كوك والميجر ويلسن، دعوة صبيح بك

(نشأت) وزير الأشغال والمواصلات للسباحة في شاطئ داره الكائنة في الاعظمية، وهي دار تبعث على الانشراح، فيها ساحتان ممتلئتان بالدفلى المزدهرة. وهنا كان بوسعي أن اخلع ملابسي كأمرأة في غرفة منام صبيح بك واعتلى جداره بواسطة السلّم ثم أنزل الى الشاطيء الرملي المنحدر الى الماء العميق رأساً - كان الماء عميقاً بحيث يمكن الغطس فيه بالقرب من الساحل. وهناك تحت جرف الاعظمية الذي يحاكي جدران القلاع في علوه يستطيع المرء ان يسبح متكاسلاً في الماء العذب الدافيء، وبوسعه بعد ذلك اذا كان من أمثالي ان يعود الى الساحل ويرتقي متسلقاً الجرف الى النقطة التي قفز منها، لكنه يحاول السباحة بجرأة ضد التيار اذا كان مثل المستر كوك. وبعد انتهائنا من السباحة شربنا عدة اقداح من عصير العنب ثم عدنا الى البيت بالسيارة...

أمر الملك في هذا اليوم بدعوتي الى الشاي، فجرى بيننا حديث ممتع جداً. وقد طلبت منه قبل كل شيء معاونتي في تمشية «قانون التنقيب» الذي كنت قد أعددته بعناية فائقة بعد استشارة السلطات القانونية. وقد تعهد بتشريعه في مجلس الوزراء - أن له آراء صائبة جداً حول الآثار بعد ان تدرب على يد تي ئي لورنس - وقد وافق على اقتراحي بوجوب تعييني مديرة مؤقتة لدائرة الآثار في حكومته، اذا وافق السر بيرسي على ذلك، علاوةً على واجباتي الاخرى. وعند ذاك سيتسنى لي تمشية كل شيء بموافقته رأساً، وسيكون ذلك شيئاً ممتازاً.

17 تموز (ب)

جاء المستر وود، مراسل احدى جرائد شيكاغو، ليتغدى معي يوم أمس. وكان قد أتى من سورية، فاستنتجنا بأنه يرى ان وضع الفرنسيين في سورية ميئوس منه. وقال لنا انهم كانوا يزودون الكماليين بالسلاح بصورة منتظمة، ثم زودنا بمعلومات مفصلة يمكننا ان نتأكد منها من

مصادر كثيرة. ويقصدون بهذه الأسلحة ان تستعمل ضد العراق. ولقد شرحنا له بأن ما نفعله هنا هو من قبيل تأسيس دولة عربية مستقلة. وأضفت قائلةً ان الولايات المتحدة كانت من العوامل التي حالت دون تخليص أنفسنا من الانتداب، لأنهم سيتهموننا، اذا ما فعلنا ذلك، بالتملص من جميع السيطرة حتى نحجز العراق لانفسنا فقط.

وبينما كنت ذاهبةً الى النوم قبل ان نشرع بحفلتنا الخاصة بالسباحة، تسلمت رسالةً تقول ان جلالته يريد ان يراني في الخامسة والنصف. ولذلك اتخذت الترتيبات اللازمة للعدول عن السباحة والالتحاق بالآخرين في سفرة لاحقة. وقد سألت جلالته بعد تناول الشاي عن الإساءة التي تعرض لها منذ ان مثلت بين يديه آخر مرة فحدثني عن المقابلة الصحفية التي أراد نشرها في الصحف فمنعت. وقال انه استاء استياءً ممتلئاً بالمرارة، فانه كان يعتقد بانه قد فعل شيئاً مفيداً حقاً فابطله صاحب الفخامة (المندوب السامي). ولم أكن قد قرأت المقال فناشدته ان يحدثني عما كان يحويه، والحقيقة انه كان حسناً جداً ونافعاً على ما ظهر لي(*) ـ عرض مناسب لعلاقة المعاهدة بالانتداب. وقد وعد بأن يبعثه لي في اليوم التالي لأتولى التوسط عند المندوب السامي بنشره.

وبعد ان كنت ميالة الى نشر المقال على هذه الشاكلة، اغتنمت الفرصة لأُحدثه بالتفصيل عن جميع ما كان يحدث في منطقة الفرات، ورجوته ان يقصي جميع موظفي الأدارة هناك في الحال. ثم مضيت أقول له كيف كان المتطرفون يضايقون وزارة الداخلية من أجل ترخيصهم بتشكيل حزب سيكون من المؤكد ان يفعل كل شيء ممكن لرفض

(*) راجع الرسالة الاخيرة (16 تموز 1922)، ويلاحظ منها أن المس بيل كانت على علم بالمقالة وانها راحت تعرض بالملك من جرائها وتثقله باللوم والتجريح.

المعاهدة. فبدت على وجه الملك سيماؤه الصارمة للغاية، وتطاول بقامته حتى وصلت الى طولها التام، ثم سألني عما اذا كنت أعتقد بأنه يجب ان يسمح بتشكيل الحزب المتطرف. فقلت «اذا كنت مستعداً لتكون على جانبٍ غير يسير من الاستبداد».

ثم ركبت زورقي البخاري وذهبت صاعدة النهر في آخر ومضة من مغيب مدهش الى حيث كان المستر كورنواليس والكابتن كلايتون والكولونيل ماكينس، والمستر والمسز ديفيدسن، يبدأون بتناول العشاء على حافة بساتين التين. وقد تمددنا هناك الى ما بعد العاشرة، ونحن نتحدث في جميع الأشياء، بينما كانت النجوم تطل على العالم واحدة بعد أخرى. لا تحسبوا ولو للحظة واحدة بأننا كنا نفكر بأنها كانت اجزاء من قبة زرقاء غير متناهية الحدود. لقد كانت بالنسبة لنا وسائل زينة لسماوات العراق.

الساعة العاشرة مساءً ـ سمعت الآن ان الوزراء قد أبرموا المعاهدة في جلسة اليوم بعد الظهر.

20 تموز

كانت عندي يوم أمس حفلة عشاء خاصة للعلماء، مع المستر كوك ومجيد الشاوي ليمثلا عالم غير العلماء. لقد كانوا كلهم لطيفين، وكلهم عدا مجيد بك كانوا يرتدون ألبسة بيضاء وعمائم بيضاء. أنا فخورة بصداقة الملوك والوزراء، غير أنه حينما يأتي العلماء ويتناولون العشاء عندي فأنا لا أحل ولا أربط.

أمر الملك اليوم بأن أتناول الشاي عنده، وكان في أحسن حالاته، هادئاً ورجل دولة. كما كان قد تلقى كتاباً لطيفاً من الأمير عبد العزيز ابن سعود، جواباً على كتاب مماثل منه ـ لقد كانت المبادأة من عنده، وهذا شرف ونبل منه. وسوف يقوم بنشر الكتابين معاً، الأمر الذي سيزيل كثيراً من سوء التفاهم. انا اشعر بالفرح يغمرني حينما يقوم بأعمال مثل هذه ـ

فالحكمة تثبت جدارتها بأطفالها، أي بي انا! أنه أشد الناس فتنةً وسحراً، ليس من شك في ذلك.

30 تموز

تبدو الشؤون الكردية أكثر تبشيراً بالخير تقريباً. لقد رفضوا ما عند الملك من مشاريع في هذا الشأن، في الوقت الحاضر على كل حال. وقد خسروا بالمرة ايضاً، أنهم طائشون من أمثال عبد الكريم فتاح (*) بك الذي كانت تطارده الشبانة والطيارات منذ ان قتل الضابطين البريطانيين. وقد عرضنا من جهةٍ أخرى معروضات سرية على أحد قطاع الطرق عبر الحدود، وهو السيد طه. انه غير مهم جداً بحد ذاته، لكنه تابع رجل مهم هو سيمكو، وكان هذا يحارب الأيرانيين مدة أربع سنوات ويتخذ وضع الرئيس للحركة الوطنية الكردية. فاذا قبل السيد طه بما عرض(**) عليه فسيقوم سيمكو بدعمه واحباط الجهود التركية المبذولة لاقلاقه واقلاقنا نحن.

(*) انه عبد الكريم بن فتاح بك الهماوندي الذي هاجم چمچمال وقتل الضابطين فيهما، وكان قد حارب في جانب الشيخ حفيد زادة في موقعة طاسلوجة التي مني فيها الانكليز باندحار فظيع.

(**) عرضت على السيد طه حكمدارية السليمانية وراوندوز. أما سيمكو المشار اليه فهو اسماعيل أغا سيمكو صهر قارس أغا الزيباري، من اكراد منطقة اورمية الواقعة في داخل الحدود الايرانية. وكان شاباً شجاعاً يبلغ من العمر أربعين عاماً، وزعيماً يطمح بترأس الحركة الوطنية الكردية في ايران والعراق. وقد عرف بنشاطه في مقاومة الآثوريين وقتله بنيامين، مار شمعون التاسع عشر، في نهاية الحرب العالمية الأولى. وقد اشتد نفوذه في تلك الجهات وامتد رواق سيطرته هناك على مدى الأيام حتى صارت الحكومة الايرانية تخشاه وتحاذر منه. فعملت على التخلص منه بالغدر والحيلة واستدعته الى طهران في 1926 بحجة التفاوض معه وتعيينه رئيساً للاكراد في المنطقة الشمالية الغربية من بلادها. وقد نصب له كمين في الطريق بالقرب من بلدة (أوشنو) وقتل.

ان سيمكو هو «الجنتلمن» الذي كان حاكم أورمية الأيراني قد بعث بقنبلةٍ اليه ملفوفة برزمة ورقية. لقد وصف الحادث لنا هو في رسالةٍ يقول فيها «ولم يكن عندي من الوقت سوى فترة قصيرة استطعت خلالها أن أرميها على أخي فانفجرت».

ما تزال المعاهدة في «الحالة الراهنة». لقد بعث السر بيرسي برقية مدهشة الى الوطن يشير فيها على المستر تشرشل بأن يفرج عنها، والاّ فليصنع هو واحدةً بدلاً عنها. اما اذا رفض المستر تشرشل ان يقبل بها فستكون الحالة سيئة عندنا.

لقد كان الملك متعباً جداً هذا الاسبوع. ان الدعاية المناوئة للانتداب التي تبث في منطقة الحلة، بمصادقة صاحب الجلالة الصريحة، قد أوصلت الفرات الأوسط تقريباً الى حالة مخطرة بالنسبة لنا. ومع هذا فحينما عمد المستر كورنواليس ووزارة الداخلية الى اتخاذ التدابير اللازمة لاعتقال القاتل الذي أطلق النار على شيخٍ ميال للبريطانيين فقتله، لأسباب سياسية خالصة، اتهمه الملك بحضور المندوب السامي بالانحياز التام الى أعدائه! وقد علق السير پيرسي يقول ان فيصلاً لما كان ملكاً دستورياً فأنّهُ يعجب لماذا يتدخل في تفصيلات الشؤون الادارية مثل توقيف القتلة وما أشبه. فجرد قوله هذا الملك من سطوته الملكية، وأجاب غاضباً بأنه سيترك «الديوان» وذهب الى بيته. لكنه لم يفعل. بل جلس في «الديوان» وتمادى في مقابلة الاشرار والمسيئين، وهو مسلك أدى بطبيعة انعكاسية الى امتلاء مكتبي بالشيوخ المؤيدين للانتداب، أي علي السليمان وما اشبه، وهم يقسمون على قولهم بأن الملك يعمل للقضاء عليهم. وقد كان يتدخل ايضاً في تعيينات الشرطة الى حدٍ كاد يؤدي الى استقالة ضباطها الكبار، البريطانيين والعرب - انضم هؤلاء أيضاً الى الجماعة التي كانت تتردد على مكتبي.

والظاهر أن نوري باشا كان وراء الأعمال الاخيرة هذه، ولذلك دعوته الى الغداء وطلبت منه توضيحاً لذلك. اما بالنسبة لهذه النقطة بالذات فقد نجح في توضيح وجهة نظره، وقد مضيت في قولي له ان الملك يجعل الوضع برمته صعباً علينا وأنا متأكدة من انه ما لم يقرر ان يلعب اللعبة من دون ازدواج فليس هناك موظف بريطاني واحد سيرغب في الاشتغال تحت اشرافه. وقد عرض عليّ نوري ان يغادر العراق غداً اذا كنت اعتقد بأن ابتعاده فيه أية فائدة. وكان على علم بأن العراق لا يستطيع ان يصبح أمة بين الأمم الاّ بمساعدتنا نحن. واذا كان هو شخصاً لا قيمة له فان ابنه وابن ابنه سيشاهد ما يكون قد أنجز من عمل[1]. وبذلك الأمل سيبقى راضياً بما يحصل.

ليس بين الناس جميعهم هنا، ، من الملك فما دون، شخصٌ احبه محبةً حقيقية مثل نوري ولا أدري كيف اكتسب نفاذ البصيرة الانسانية المدهش هذا وهو ابن «وكيل عدلي»[*] بغدادي؟ فبامكانه أن يفهم موضوع الحديث بنصف كلمة فقط.. وقد أدرك وجهة نظرنا، وشعورنا بالنسبة لمقاييس الصدق والشرف، فوضعهما نصب عينيه واتخذهما هدفاً له، مما قد يستحيل القيام به في الشرق مع كونه المثل الأعلى في النهاية. ومع ان أحدنا يعلم بأنه يقصر كثيراً في ادراك مستوانا ومقاييسنا، فانه ليشعر بالخجل حينما يجد مقدار تقصيرنا نحن بالنسبة لما يكون عليه مستوانا ـ ان ثقة نوري المطلقة باستقامتنا وتعلقنا هي شيء يجعل وجهي خجلاً على الدوام. . .

دعوت لتناول العشاء في الليلة الماضية مفتش الشرطة العام،

---

(1) العمل الذي سينجز هو أن الابناء والاحفاد سيضرسون، بعد أن أكل آباؤهم الحصرم!!

(*) Attorney

اسماعيل حقي الصفار، مع المستر كوك ووزير العدلية الممتاز عبد المحسن السعدون للتعرف عليه، غير أنه كتلة أعصاب وهو يشعر بأن الجميع يحاولون تسويد صفحته في نظر الملك، فهدأناه وقلنا له اننا نقف بجانبه، ونعمل على ان لا يمسه أحدٌ بأذى. وقد تعشيت مع المستر كورنواليس في مساء اليوم التالي فتحدثنا في الموضوع سويةً. وكان عندي في وقتٍ مبكر هذا الصباح، الاحد، عبد المحسن السعدون وناجي السويدي، فبينت الطريق الذي اعتقد بأنهما يجب ان يسيرا فيه. ان ناجي سمكة زلقة سرعان ما تفلت من اليد، لكنه رجل بارع. ربما يكون بوسعنا ان نجعله يحافظ على الاستقامة بعون الله. وجاء في اثرهما فخري جميل فتحدثنا لمدة ساعة في الاسس نفسها، ثم جاء الكابتن كلايتون وحسين افنان للغداء، واجرينا الكثير من مقارنة الملاحظات فيما بيننا. وما حل الوقت الذي أنصرفا فيه حتى شعرت بكثير من الوهن والتعب، فكيف بذلك مع حرارة الجو والسياسة؟ ان هذه المحادثات، التي يتحتم على المرء ان يسخِّر فيها كل جزيئة من الطاقة التي يملكها، تعد شيئاً منهكاً، في حرارة الجو هذه على كل حال.

... لقد سبح الملك كذلك، فكان فرحاً جداً بنفسه. انه لا يجيد السباحة. وتقع غرفة ارتداء ملابسي تحت شجرات التين حيث استطيع أكل التين الناضج بينما أقوم بتنشيف شعري. ثم قدم لنا الملك عشاءً فخماً ـ ثماني أو عشر سمكات كبيرة «سقفت» فوق نار من سعف النخيل، أكل لذيذ، وعدد كبير من الأطعمة السورية الممتازة ـ ان المرء ليكره الطعام في هذا المناخ لكن الوجبة التي أتناولها في سفرة الاحد هي الوجبة الوحيدة التي ألتذ بها خلال الاسبوع كله. فقد تمددنا فوق السجاد والوسائد، مثل اليونانيين القدامى، وأكلنا على ضوء القمر الفتي، ثم بقينا مدة طويلة تحت شجيرات الأثل. ولا أعرف ما كان الآخرون يتحدثون به، لكن الملك روى لي تاريخ أسرته، وبحثنا فيمن

يجب ان يتزوج بناته، وفي كيفية تعليم ابنه. ولم يبد ذلك غريباً قط، في تلك الخلفية المكوّنة من الهلال المشرق والنهر الهادئ، لكنني حينما أعمد الى التفكير به أجد من الغريب أن أقوم أنا بتسوية الشؤون العائلية لسليل النبي وملك العراق. آمل ان يستمر على اخلاصه بمثل الأخلاص الذي أشعر به في الوقت الحاضر، لأن ذلك يجعل من الأسهل التعامل معه. ويصح هذا مع المستر كورنواليس كذلك ـ اننا نحن كلانا نوجهه ونرشده في النهاية، ونوجه معه مصائر العالم العربي، اذا لم أكن مخطئة.

سيكون الحدث المهم التالي في تاريخ العرب الهياج الذي سيثيره تصديق عصبة الأمم للانتداب(*) على فلسطين، وأنا أتعاطف معهم بالكلية. «قسماً بالله وبرأسك» يقول الملك، ولا يفعل رأسي شيئاً سوى أن يذل نفسه، لقد قطعت الامل بعصبة الامم ـ انها لا شيء سوى خداع واحتيال. فقد أبطلت نفسها مرةً والى الأبد بالتصديق على انتدابي سورية وفلسطين بخلاف كل مبدأ انتدابي وضعته عصبة الأمم نفسها ـ ولكن مهلاً! لا أريد ان أتمادى في الكتابة عن الموضوع لأني لا أريد أن أحلّق في جو من العاطفة قبل أن أذهب الى النوم. انه مؤذٍ للاعصاب. على أني يمكن أن اذكر اني تسلمت، تحت ختم التكتم، مذكرة بارعة تبين بوضوح ان المهاجرين الصهاينة يعملون لمنظمة شيوعية بحتة ـ وهو شيء يمقته كل فلسطيني وكل مسلم. بينما نحن نتظاهر بأننا نؤسس

(*) تقصدت الدول الاستعمارية، الخاضعة للنفوذ الصهيوني، وفي مقدمتها انكلترا وفرنسا، ان تضمن مطاليب الصهيونية العالمية في ابتزاز فلسطين من اصحابها الشرعيين في صك الأنتداب نفسه، وتلزم عصبة الامم بتنفيذ ما ورد في الصك. وكانت وثيقة الصك الصادرة بأسم عصبة الأمم قد وضعها الصهاينة أنفسهم فجاءت نسخة طبق الاصل تقريباً من «مشروع» الجمعية الصهيونية العالمية الذي عرض على مؤتمر الصلح في شباط 1919. فقد عهد الى بنيامين كوهين بأن يشترك مع سكرتير اللورد كرزن وزير خارجية بريطانية يومذاك. في تنظيم مسودة الصك والموافقة على نصوصه.

حكومة تتمشى مع رغبات الشعب، نحن كذابون، نحن مخادعون. ؟
مهلاً مهلاً، سأذهب الى النوم.

لكني أقسم بشرفي أن العرب يتحلون بالصدق في دخيلة أنفسهم، ولسنا نحن كذلك.



الفصل التاسع
1922
(آب ـ نهاية كانون الأول)

15 آب

... دعانا الملك يوم الاحد، السادس من الشهر، الى نزهة بستانية. وقد تمشيت معه خلال بساتين النخيل الزاهية، وفي العراء خارج البساتين. انه الموسم السادس الذي أرى فيه نضج التمور، وهذه هي المرة السادسة التي أرى فيها النخيل كأنه زنابق جسيمة تكللها عذوق التمر الصفراء المتدلية منها على هيئة اوراد ذهبية ضخمة من تحت السعف المستريش... وقد أخذنا الملك معه في زورقه البخاري عند العودة، وحينما مررنا ببساتين النخيل وضعنا الخطة، هو وأنا، لكتابة تاريخ النهضة العربية من أوله الى آخره، معتمدين بذلك على يومياته(*) المدونة ومعرفتي أنا. ستكون تلك قصة مدهشة.

(*) قيل عند وفاة فيصل الأول ان يومياته قد اختفت بعد الوفاة، مع اشياء ثمينة اخرى تعود له، وقد اتهم بها من كان يرافقه في آخر لحظات حياته.

15 آب (ب)

.. استمر الطقس على كونه فظيعاً الى درجةٍ لا تصدق ـ لا تصل درجة الحرارة الى أعلى من (110) درجات لكن الجو ثقيل شديد الوطأة الى حد لا يمكن تصوره. وكثيراً ما أتساءل لماذا لا أنام وأموت(*) بدلاً من النهوض في صباح اليوم التالي، بينما أشعر في نهاية اليوم كأني ميتة بالفعل. ولا يقتصر ذلك عليّ وحدي، فالجميع سواء في هذا الشأن. فالمستر كورنواليس تنتابه الحمى كل يومين، وذهبت المسز دراور الى المستشفى، كما وقعت الليدي كوكس فريسةً لحمى اخرى.

كان يوم الجمعة المصادف للرابع من الشهر، اول يوم من أيام عيد الفطر، ولذلك انطلقت ذاهبةً من بيت الى آخر. وعليّ أن أقول بأني ألتذ بزيارات العيد. حيث أني لا أقدر منزلتي الخاصة في العالم الاسلامي في غير هذا اليوم، لأني لا أعتقد بأن هناك امرأةً اخرى تدور دورة العيد مثلي.

وفي نزهة الأحد التالي تمشيت مع الملك على ضفاف النهر فأفضى اليّ بجميع آماله ومخاوفه. وفي يوم الاثنين الذي تلى ذلك انفجرت قنبلة خاصة، ان هذا شيء سري للغاية. فقد قال لي السر پيرسي ان المستر تشرشل قد رفض مقترحاته المستعجلة بوجوب التوصل الى توافق بين الطرفين في قضية الانتداب، واقترح بدلاً عنها أن يذهب هو والملك الى انكلترة في الحال. فمات قلبي في داخلي، اذ كان من الواضح ان لا خير يمكن ان يرجى من كل هذا. فمن المؤكد ان تتمسك حكومة صاحب الجلالة بالانتداب، واذا لم يفعلوا ذلك سيتقوض انتدابنا الجائر في فلسطين، وانتداب الفرنسيين المنطوي على مزيد من الجور في سورية.

أبرق المندوب السامي الى المسؤولين في الوطن يقول بأنه لا

(*) وهذا ما حصل لها بالضبط في بغداد. فقد ماتت وهي نائمة خلال الساعات الأولى من صباح يوم الاثنين المصادف 12 تموز 1926.

يرى أية فائدة في ذهاب فيصل الى انكلترة، ويوصي باننا يجب أن ننشر المعاهدة. ونقول باننا نوافق كلنا عليها، وان نقطة الاختلاف الوحيد هي الانتداب. وبالنسبة للنقطة هذه فان الناخبين في العراق هم الذين يجب ان يقرروا ما يريدون. فاذا اقترعوا ضدها فاننا سوف نقوم باخلاء البلاد في اليوم التالي. والملك مسرور للحل المقترح هذا، وهو يقول انه سيكون من السهل عليه ان يوضح بأنه قد حصل على أحسن الشروط التي استطاع الحصول عليها، وعلى الشعب ان يقبل بها أو يفوض أمره الى الفوضى. ولكن هل ستقبل حكومتنا بهذا الاقتراح؟ هذا ما نريد ان نعرفه، وسوف لا يكون بوسعنا ان نتسلم برقية عاجلة، حيث سنكون كلنا قد خرجنا لصيد القطا في الخارج.

وبالمناسبة أذكر باننا ليس لدينا في وقت كتابة هذه السطور أية حكومة. فقد دعا مجلس الوزراء الملك في الاسبوع الماضي ليمنحه رأياً بالثقة ـ هذا ما تقتضيه أصولنا السياسية العربية هنا. ولما كان الملك لا يثق بمجلس الوزراء فقد أعد له ردا غير ملزم بشيء، وعلى هذا الاساس استقال اعضاء مجلس الوزراء كلهم عدا النقيب ووزير الأوقاف(*) . لكننا اصبحنا متعودين على سماع تزعزع المجالس الوزارية بحيث بتنا لا نعير التفاتاً كثيراً لها. وهناك شيء اكيد واحد، وهو ان النقيب سوف لا يتخلى عن منصبه كرئيس للوزراء قط ما لم يحمل من فوقه حملاً ورجله في المقدمة. ولما كان يترتب عليه ان يضع توقيعه في أسفل المعاهدة فربما يكون في هذا خير على خير.

لقد ظهر ابنه، السيد محمود، على مسرح الحوادث بفعل الدفع والنخس، باعتباره رئيساً للحزب المعتدل(**) . ان قوة الدفع الحقيقي فيه

(*) كان وزير الاوقاف يومذاك السيد محمد علي فاضل.

(**) كان يسمى «الحزب الحر العراقي».

هو الشيخ علي السليمان. وقد شكل المتطرفون(*) حزباً لهم أيضاً، لكنه لم يحقق تقدماً كبيراً على ما سمعت. اذ جاء علي بجميع شيوخ العشائر الكبار وجعلهم يوقعون في حزب السيد محمود. فملأوا مكتبي حتى ضاقت بهم غرفته على رحبها يوم أمس ليبينوا أنهم مستعدون لتعبئة البلاد عن بكرة أبيها في صالح العلاقات الانتدابية مع بريطانية العظمى. انه لشيء مدهش للغاية، ان نرى هذا التوثب الطوعي من جانب الألوية في صالحنا. غير انه هناك حزب معارض يمكن ان يسبب اساءة جازمة، ربما ثورة، ما لم نستطع اقناع الملك بضبطهم.

نحن نلعب لعبةً صعبة. فنطمن الملك واصدقاءنا الوطنيين بنوايانا الحسنة، فيأتي بعد ذلك الانتداب على فلسطين وهو أسوأ ما كنا نستطيع توقعه في أغرب أحلامنا. فكيف يمكننا ان نشعر بالتأكد من ان حكومتنا الكذابة النذلة سوف لا تستعمل معنا نفس الحيلة فتعرض على عصبة الأمم، في الوقت الذي تعقد معاهدتنا مع الملك، انتداباً لا يأتلف بالكلية مع شروطها؟ هذا هو الموضوع الذي نخذل فيه بصورة مرعبة. لقد سلكنا في فلسطين طريقاً يمكن ان يؤدي بنا الى لا شيء سوى الثورة، وسوف تلعن عصبة الأمم الى الأبد لأبرامها انتدابي سورية وفلسطين. فهل يكون بوسعنا في يوم من الأيام أن نجعل أصحاب الفخامة والجلالة في أورة يفهمون ان القومية الشرقية، كما يمثلها فيصل ومفتي القدس، ليست شيئاً يعبث به؟

16 آب

يعود الشيوخ الآن ليفتحوا مقرات وفروعاً في الألوية. وسأطيّر علي

(*) اجازت وزارة الداخلية خلال شهر آب 1922 تأسيس حزبين متطرفين هما: الحزب الوطني برئاسة جعفر ابي التمن، وحزب النهضة برئاسة أمين الچرچفچي.

السليمان غداً الى الرمادي. ان رجال الطيران السماويين سيأخذونه الى هناك بطيارة خاصة لأني قلت لهم ان هذا من شأنه ان يزيد في أهمية الرجل، وانه يتفق تمام الاتفاق مع مسؤوليتنا في هذه البلاد.

وفي غضون ذلك ـ والفضل يعود الى صيد القطا ـ نحن نبحر قريباً جداً مع الريح. اذ يقوم المتطرفون بفعل كل ما يعرفونه ليدفعوا بالفرات الأوسط الى الثورة. وما نزال بانتظار الجواب من المسؤولين في الوطن الذي سيساعد الملك اذا كان ايجابياً على أن يسفر عن نفسه ويمسك الأمر بأحكام. انه يقسم بأنه سيوقع المعاهدة ارتجالياً اذا ما أقر المستر تشرشل المشروع الذي اقترحه السر پيرسي.

والى مشغلات البال هذه يمكن ان يضاف خطر الكماليين المتعاظم على حدودنا الشمالية. لقد وافتنا الأنباء اليوم بأن سيمكو قد قضى عليه الاتراك(*) قضاءً مبرماً. وتسلمنا في الوقت نفسه برقيات مسعورة من السليمانية تطلب ارسال طيارات الى الحدود وشبانة مع جميع القوة التي يمكن ان نسوقها الى الميدان. لقد ألححت على السر پيرسي، مرة اخرى، بأن يسمح للملك بتجربة ما عنده من مواهب لأنه من الواضح أننا لم يعد في جعبتنا مزيد من السهام، فاذا فعل، اعتقد بأن هناك فرصة لانقاذ المنطقة. لكنها اذا ما أفلتت من أيدينا ستحلق الأسهم التركية عالياً، فتذهب معها منطقة كركوك المجاورة أيضاً. وفي هذه الأثناء سيقتل جميع ضباطنا الموجودين في السليمانية ـ كاد ان يصل بنا الحال الى الاعتقاد بأن هذا هو الذي يوجدون هناك من اجله.

لقد كانت رسائل المس بيل منذ ان دشن «البريد الجوي» تبرد في فترات نصف شهرية وتكتب بالتقسيط. ان هذه الرسالة تنتهي في 18 أب:

(*) الايرانيون وليس الاتراك.

ان مجلس الوزراء «القصير العريض»(*) لم يتألف من جديد بعد، ولا تسير خيول الملك ولا رجاله في الطريق المناسب لتشكيلها. فالملك على ما يتضح مسرور بخروج الوزراء من الوزارة ولا يدرك أن تنحي الحكومة التي قبلت المعاهدة سوف يضر بقبول البلاد لها. كنت عنده يوم أمس للبحث في قانون التنقيب الأثري أولاً (انه عازم على تعييني مديرة لدائرة الآثار القديمة بصورة مؤقتة لعدم وجود شخص آخر) لكننا دخلنا في مناقشة طويلة حول الوضع برمته فلم يكن معقولاً بالمرة.

هناك برقية ضخمة بالشفرة من المسؤولين في الوطن. انها تحتوي بلا شك على الجواب الذي نعتقد بأنه سيقرر مصيرنا. آه يا عزيزي دعني أفكر بشيء آخر. لا يمكنني أن ارى أية امكانية للابتعاد عن هذا الخريف ما لم ينفجر الوضع كله - احتمال ممكن! لكن العراق وكل شيء آخر يمكن ان يذهب الى سقر قبل ان أبقى هنا صيفاً آخر. أراني مبتعدةً عن الصدق اذا لم أقل ان اختفائي عن المشهد في المرحلة الحاضرة سوف يملأ صدور شيوخي العشائريين بالرعب والفزع.

والدي الأعز أحبك كثيراً جداً برغم انك ستجد صعوبة في تصديق ذلك نظراً لرفضي المستمر العودة الى ما تحت سقفك. يجب أن أعود حالياً لاشتري لي جمةً من الشعر المستعار لأن الجمة التي حبتني اياها الطبيعة تكاد تختفي من رأسي بتأثير الحرارة.

وفي رسالة قصيرة كتبتها الى زوجة ابيها في اليوم نفسه تقول المس بيل:

في اللحظة التي يأتي فيها الأتراك لمحاربتنا ويبذلون قصارى جهدهم للقضاء على المملكة العراقية أصدر أعنف(**) مجتهدي الشيعة

(*) Idumpty Dumpty

(**) تقصد العلامة الشيخ مهدي الخالصي وجماعته.

المعادين للبريطانيين فتوى يناشدون فيها المسلمين بالتبرع للهلال الأحمر ـ أي صندوق الحرب التركي. كان صدر نوري باشا يغلي يوم أمس بالسخط والنقمة وعلى الأخص لأنه هو وامثاله، على ما يقول، لا يستطيعون الاعتراض علناً على ذلك باسم الأسلام.

ويعتبر نوري السعيد مخلوقاً ممتازاً جداً حتى بالنسبة لهذا العنصر المدهش. فليس هناك شيء لا تستطيع مناقشته معه باعتباره واحداً منا نحن تماماً. وليس ذلك لأن وجهة النظر هي واحدة ولكن لأن المرء يجد عنده تفهماً تاماً للفروق التي يجب ان تسوّى مع ان كل أحد باستثناء الكولونيل جويس والكابتن كلايتن وانا يعتبر نوري السعيد عفريت سوء.

سوف لا يبرد البريد الجوي في هذا اليوم لأن الوهابيين غزوا قرية تقع على بعد اثنى عشر ميلاً من جنوب عمان وغرب سكة الحديد. لقد قتلوا خمسةً وثلاثين شخصاً، وليست هذه سوى غزوة عشائرية صدت، لكنها حصاد ذلك الحقل الجميل الذي غرسه المستر فيلبي(*) بـ «أسنان الثعبان» حينما ذهب الى الجوف. لقد احتج ابن سعود على مماشاته بـ «أمرائه»، أي أمراء الجوف.

27 آب

تركنا السياسة جانباً في مساء الأحد المصادف 20 آب وقضينا ساعة أو ساعتين مرحتين. وقدجاء الملك معنا للسباحة والترويح عن النفس، فكانت حفلة بديعة كالمعتاد أقمتها أنا على أحسن ما يرام. **حيث «سقفنا» عدداً من السمكات الكبيرة على نار السعف ـ و «المسقوف» هو الذ مأكول في العالم** ـ جلبت السجاد والوسائد، وعلقت الفوانيس البغدادية القديمة على شجيرات الاثل النابتة حيث كنا نجلس جلسة

(*) راجع رسالة 22 حزيران 1922 (ب).

هادئة، في هدوء المغيب الوردي. فقال الملك «يالها من راحة». وبقينا متكئين على الوسائد مدة ساعتين بعد ان تناولنا العشاء، بينما كان هو ونوري وكورنواليس يروون قصص حملتهم في سورية ـ لم أقض مساءً ساحراً مثل ذاك الآ في النادر. وعدنا في اليوم الثاني الى شؤون الشغب والفتن.

كان يوم الأربعاء يوم تتويج الملك، 23 آب وقد ركبت مع جلالته يوم الثلاثاء قبل الفطور للتفرج على مزرعة القطن العائدة له.. . يعد موكب الملك عظيماً عندما يخرج راكباً ـ اذ يركب المرافقون وراءنا وأربعة من رمّاحة الحرس الملكي في المؤخرة.. .

27 آب (ب)

قضينا عشرة أيام مقلقة خطرة. وكتب السر بيرسي الى ابن سعود ينذره بأن الحدود الدولية لا يمكن ان تحدد بتعديلات عصابات اللصوص. اننا نشعر كلنا ان الظلامة كلها في جانبه، لكنه يجب ان يعرضها على الملأ بغير هذه الطريقة.

تحدث نوري الى الملك وقال له انه قد خسر ثقة الانكليز به، وانه يسير قدماً الى الدمار. وكان جلالته يسير في الوقت نفسه في طريقه المحفوف بالتهور والطيش. اذ طلب الى النقيب ان يقدم استقالته واخبره علاوةً على ذلك بأنه ينوي تكليفه بتشكيل الوزارة الجديدة اذا ما أوضح لجلالته ما ستكون سياسته بالنسبة لنقاط مثل[1] عجز الميزانية البالغ مئة لك (1) (من الروبيات) و (2) عدم كفاية الجيش العراقي من حيث العدو (3) الانتخابات القادمة. فرد عليه النقيب بجواب عام مناسب جداً

---

(1) الك او اللخ Lakh كلمة هندية تنظر الى اللفظة السنسكريتية لكسا Lksa بمعنى رقم كبير، أو على وجه التحديد مائة الف.

وأضاف يقول وبالنسبة للتفصيلات يجب ان يسمح له باستشارة زملائه حينما يكون قد تم أنتقاؤه لهم. فقال الملك، وكان يتشوق الى ان يجد النقيب في خارج الحكم، ان ذلك غير ممكن. بل يجب عليه ان يكون له منهج معين. وكان (الملك) يلعب دور الولد الصغير الشرير من دون ان يردعه أي تعليل. وكان المتطرفون في غضون ذلك يجلسون بحالة ترقب كلهم ـ كثير من الترقب. فقد أصبحت الوزارة، وقد طالبوا بأقالتها، خارج الحكم، ولا يستطيع الحزب المعتدل، المشكل مؤخراً برئاسة نجل النقيب الأكبر، ان يعيش بعد سقوط والده ـ وليذهب الى الشيطان الانتداب والمعاهدة والانكليز! على مثل هذا كان يسري حديث المقاهي بين الناس، وكان ينقل بعناية الى جلالته، وكان كلما ازداد سماعاً له تزداد قناعته بعدم امكان السير بعكسه.

وهكذا أتينا الى الثالث والعشرين من آب العيد السنوي لتسنم الملك العرش. وقبل ان يبدأ حفل الاستقبال الملكي قدم الملك الرايات الى كتيبتين جديدتين ثم وقف على المنصة في ساحة البلاط(*) بينما كان الجيش كله يستعرض بين يديه فكان جيشاً جديراً بالاكبار بعد تدريب استغرق ساعةً واحدة. لقد ذهبت الى «المقيمية» عبر النهر بالزورق بألبسة مزينة بالقياطين والأوسمة، ثم أخذنا نسير في موكب يتألف من سيارتين الى حفلة الاستقبال كلنا، المندوب السامي وموظفوه. وحينما وصلنا الى البلاط كانت الساحة محتشدة بالناس وكان عدد من الأشخاص المرتدين ألبسة بيضاء يقفون في الشرفة وكأنهم يخطبون فيهم على ما يظهر. فاضطرت الشرطة الى فتح الطريق لسيارة المندوب السامي بين الجموع.

(*) كان البلاط يومذاك في بناية القشلة الحالية وقد جرفه الشط مؤخراً. اناب الملك رئيس ديوانه الاستاذ فهمي المدرس لمقابلة الجموع المتظاهرة فخطب في حضوره احد اعضاء الحزب الوطني (الشيخ مهدي البصير) خطبة عبر فيها عن آراء الحزب وطلب اليه نقل محتواها الى جلالة الملك.

وبينما كان يرتقي السلم هتف صوت من بين الجموع لم يصل الى سمعه ولم أتبينه أنا فأعقبت ذلك عاصفة من التصفيق. وقد دخلنا غرفة الاستقبال ونحن مرتبكون جداً. وكان الانفعال يكاد يظهر على وجه الملك لكن الحديث سرعان ما سلك مجاريه الاعتيادية - استعراض الصباح وما اشبه - ثم خرجنا بعد ربع ساعة فكانت الساحة خالية من الناس.

وحالما عدنا الى المكتب طلب اليّ السر پيرسي ان أتولى الأمر في الحال لأهتدي الى ما كان يحدث. وفي خلال ساعة واحدة حصلت على المعلومات التي اردناها. لقد كانت مظاهرة أضطلع بها الحزبان المتطرفان(*) وكانت الجملة التي أثارت الاستحسان والتصفيق «فليسقط الانتداب».

(*) الحزب الوطني وحزب النهضة. وملخص ما حدث ان الحزبين المذكورين وحدا جهوديهما في العمل وقررا رفع مذكرة الى السدة الملكية يحتجان فيها لدى الملك على وضع البلاد المضطرب ويطلبان:

(1) منع التدخل البريطاني في شؤون الادارة.

(2) تأليف وزارة من الوطنيين.

(3) عدم عقد أية معاهدة قبل انتخاب المجلس التأسيسي الذي يجب ان ينتخب بحرية تامة. ثم اقيمت مظاهرة صاخبة وصلت الى البلاط وقدمت مطاليب الشعب الى الملك. وقد اناب جلالته كبير امنائه فهمي المدرس لمواجهة ممثلي الحزبين والقى الشيخ مهدي البصير (الدكتور البصير حالياً) كلمة شديدة اللهجة على الجمهور المحتشد تعبر عن آراء الحزب المرفوعة الى الملك. وحضر في هذه الاثناء المندوب السامي (كوكس) وحاشيته للتبريكات، وبينما كان يصعد وحاشيته لمقابلة الملك هتف احد الحاضرين «فليسقط الانتداب» فأزعج ذلك السر پيرسي كوكس، وكتب في اليوم الثاني كتاباً الى الملك يعتبر فيه المظاهرة موجهة ضد الانكليز، ويطلب اقالة فهمي بك المدرس. فتم ذلك.

وفي يوم 25 آب اصيب الملك بمرض استدعى اجراء عملية صعبة له فأصبحت البلاد بغير وزارة ولا رئيس دولة، لأن معظم الوزراء كانوا قد قدموا استقالتهم. فتولى المندوب السامي السلطة بنفسه وبادر في الحال الى اتخاذ التدابير التالية، =

وقد كتب السر پيرسي في اليوم الثاني الى سكرتير الملك الخاص[1] يصف ذلك المشهد ويطلب ايضاحاً واعتذاراً. وفي غضون ذلك وقع الملك مريضاً بالتهاب الزائدة الدودية وارتفعت درجة حرارته في المساء. وفي السادسة من صباح اليوم التالي كان خمسة أطباء أثنان من الانكليز وثلاثة من العرب يناقشون ما اذا كان من الضروري اجراء عملية عاجلة له أم لا، فقرروا في الثامنة ان ذلك شيء ضروري وتم اجراؤها بنجاح في الحادية عشرة. وقبل ان يبدأ الاطباء بأجراء العملية قضى السر پيرسي والمستر كورنواليس ساعة معه (هذا خبر سري للغاية) وبينا له ان الوضع السياسي قد وصل الى درجةٍ من الخطورة تجعل اتخاذ التدابير القمعية شيئاً أساسياً واسترحما منه بجميع الحجج التي استطاعا الاتيان بها ان يسمح باتخاذ هذه التدابير فرفض. لقد قال إنه لا يشترك قط في اتخاذ تدابير هو متأكد من أنها ستزج البلاد في ثورة لا يمكن قمعها. وحتى تكون حكومة صاحب الجلالة البريطانية قد وافقت على اقرار طرق نشر المعاهدة التي اقترحها عليها هو والسر پيرسي يقول ان ذلك لا يمكن ان يتم الاّ بعد اسبوعين لأنه من الأمور التي يجب ان تعرض على مجلس الوزراء ـ نسيت ان أخبركم بأن هذا هو الجواب الذي تلقيناه من لندن ـ وسوف لا يجتمع مجلس الوزراء حتى الاسبوع

= بعد ان طلب الى الملك وهو فوق منضدة العملية الموافقة عليها مقدماً فلم يوافق: (1) سد الحزبين (2) تعطيل جرائد المفيد والرافدان والناشئة (3) نفي أصحاب الصحف المعطلة الى هنجام مع بعض الزعماء الوطنيين مثل جعفر ابي التمن وحمدي الپاچة چي ومهدي البصير وأربعة آخرين (4) الزام السيد محمد الصدر والشيخ محمد الخالصي (نجل العلامة مهدي الخالصي) بالخروج من العراق خلال اربع وعشرين ساعة، ثم أذاع بياناً على الناس بهذا المعنى مؤرخاً في 26 آب 1922. وبعد أن أبل الملك من مرضه طلب اليه ان يصادق على التدابير التي أتخذها المندوب السامي خلال مدة مرضه ففعل ذلك مكرهاً.

(1) رستم حيدر.

الأول من أيلول. وليس من الممكن ان نصمد اسبوعين اذا سمحنا للمتطرفين بالتمادي في اثارة الاضطراب.

لكن ذلك كان عبثاً فعاد السر پيرسي حزيناً للغاية لأنه أخفق في الحصول على تعاون الملك ـ لكنه عزم على المضي في تدابيره من دون الملك. ولم أعرف بالضبط ماذا كان يريد ان يفعل الى ان وصلت الى المكتب في اليوم الثاني حينما قال لي هو ان الشرطة كانوا منشغلين بتوقيف سبعة من المحركين الرئيسيين في بغداد وان اثنين من جرائد المتطرفين قد عطلت وان الحزبين المتطرفين قد سدا بصورة فجائية(*) .

وقضينا فترة من الصباح بشيء من القلق. لقد القت الشرطة القبض على ثلاثة فقط، وكانوا من حسن الحظ أشد السبعة خطراً. اما الباقون فقد هربوا متخفين بزي النساء. وبينما كنت أغادر مكتبي في الساعة الواحدة كانت هناك شائعة بأن أصدقاء جعفر أبي التمن كانوا يستعدون للقيام بمظاهرة ـ لأنه، وهو أشد الجميع خطراً، قد تم توقيفه. وقد كان جندنا وسياراتنا المصفحة ينتظرون في خارج ابواب البلد، غير ان الحاجة لهم قد انتفت. اذ كان ما كنا نتنبأ به على الدوام للملك قد وقع. فقد انهار المتطرفون. ثم نشر في المساء بيان مدهش بالعربية والانكليزية، ان السر پيرسي في أحسن حالاته، ليس من الممكن ان يغلب. وكان تأثير ذلك آنياً ـ لقد عرفنا مقدماً أنه سيحصل لأن المستر كورنواليس كان قد دعا حوالي ثلاثين شخصاً من الوجهاء الى الاجتماع بعد الظهر وقرأه عليهم. لقد كانوا مسرورين بالتدابير المتخذة، وكان أكثرهم سروراً نوري وجعفر. هذا الوطنيان المتطرفان (!).

لقد أنقذ السر بيرسي الموقف، وقدم للملك ثغرةً يستطيع من

(*) راجع الحاشية الاخيرة. أما الجريدتان فكانتا جريدة (الرافد) لصاحبها سامي خوندة وجريدة «المفيد» لصاحبها ابراهيم حلمي العمر.

خلالها ان يمشي حينما يكون قادراً على المشي بعد المرض. وعند ذاك - يمكن تطويل مدة نقاهته عند الضرورة - سنكون قد تسلمنا جواباً صريحاً من لندن. أضف الى ذلك ان المعتدلين أخذوا يرفعون رؤوسهم عالياً. وأخذ حزب السيد محمود الكيلاني يتوسع بصورة ملحوظة، وحالما تكون الألوية على علم بما كان قد حصل في بغداد سيترتب على المتطرفين ان ينشئوا سفينةً لهم اذا كانوا يريدون الهرب من طوفان السياسة وطغيانها.

تقدم ناجي السويدي المقتدر المراوغ بـ «مشروع ممتاز» لجمع التواقيع من انحاء البلاد كلها حول طلب الدعم البريطاني للدولة العراقية، وعدم الالتفات الى الانتداب الذي يمكن ان يترك أمره بكل سرور الى بريطانية العظمى وعصبة الأمم.

وهكذا سلكت العناية الالهية مرة واحدة فقط سلوك «الجنتلمن»! فلما لم يكن الملك قادراً على ان يجمع شجاعته ويتحمل المسؤولية صراحة، جاء مرضه في الوقت المناسب فكان شيئاً مفيداً بأكثر مما تعنيه الكلمات. لكن العناية الألهية ليس لها الاّ قليل من الفضل نسبياً في هذا الشأن. فلم يقترف السر پيرسي أية غلطة قط، لا في اصدار القرار ولا في وضع صيغته. واذا ما قدر للدولة العربية في المستقبل ان تتحد في بلاد واحدة فهو الذي سيتوجب عليهم شكره من دون الجميع - ان تفكيري في كيفية قراءتكم في الجرائد عن مرض الملك يجعلني أنفجر بالضحك.

31 آب

لم ألبث كثيراً في مكتبي صباح الاثنين، واذا بياسين پاشا يعلن عن قدومه. كنت قد سمعت من الميجر يتس حول كفاحه في الناصرية، حيث كان يعمل متصرفاً خلال الأسابيع الستة الأخيرة، وعن تقديره

التدريجي للمشكلة العشائرية وعدم اتفاق تسويتها الصحيحة مع آراء الملك وساسة بغداد. وقد صرت ممتنة جداً لمجيئه رأساً الى زيارتي، فقلت له «هل تعلمت درساً ما؟» فرد يقول «لقد تعلمت بقدر ما يستطيع ان يتعلمه في أربعين يوماً» فقفز قلبي في صدري، لأن قليلاً من العرب لا يعتقدون بأنهم يعرفون جميع ما تجب معرفته، من دون ان تعلمهم الخبرة. ومضى ياسين يقول انه متلهف جداً لمعرفة مصير بلاده. وكان قد قرأ صورة المعاهدة التي تم توزيعها في بغداد على الدوائر، وفي رأيه أنه ليس هناك اي عراقي كان يتوقع الحصول على شروط تتصف بمثل هذا المقدار من التحدد ـ لماذا لا يقبل بها الملك؟ ثم أضاف يقول «انها غلطتكم، لماذا لم توقفوه عند حده؟؟ لماذا سمحتم له بأن ينقاد لأناس يقودونه الى الدمار؟».

واذْ تحداني على هذه الشاكلة قلت له ان المستر كورنواليس، والكابتن كلايتون، وأنا، قد كلمناه بالحسنى، واحتكمنا معه الى العقل ثم تشاجرنا معه، فلم يؤد ذلك كله الى نتيجة، ثم تساءلت عما يمكن عمله حينما يتم الاتفاق في مسائل ذات أهمية حيوية بينه وبين السر پيرسي والمستر كورنواليس حول المسلك الذي كان عليه ان يسلكه، ولكنهما ما كادا يخرجان من عنده حتى كان يفعل شيئاً يختلف تمام الاختلاف عما تم الاتفاق عليه. فقال ياسين «بلى، اني أعلم ذلك، ان شخصاً ما يأتي اليه، انه رجل من السوق(*)، وبكلمة واحدة يغير مقصده». وأضاف يقول باهتمام «انه هو الملك ـ لكن العراق يأتي اولاً».

أظن ان ياسين سيكون رجل القدر. انه يملك من الذكاء والحيوية أكثر مما يملكه أي عربي عرفته ـ قد لا يكون عنده من قوة الشخصية أكثر مما عند علي السليمان (!)، لكنه عنده معرفة أوسع بمختلف

(*) لعله كان يعرض بالحاج جعفر أبي التمن.

الشؤون. ان الملك على علمٍ بمقدرته، ويخشاها، غير انه يعتقد في غمرة خيلائه الشديد أنه يستطيعُ ان يخضع ياسين له ويستخدمه في مآربه. والمعتقد ان ياسين سوف يتسلق الى حظوة الملك بالخضوع الظاهري له، وحينما يكون قد تأكد من متانة مركزه سوف يمسك برقبة الملك ويجبره على الخضوع لسياسته هو. وسوف يتلوى الملك ويتمعج مثل الافعى، ومن المحتمل ان يتوقف مستقبل العراق على فوز ياسين. فاذا حصل ذلك سيعيد تاريخ العراق نفسه. سيكون ياسين «محافظ القصر» الذي يحكم، والملك شبحاً صورياً. ومن المؤسف ان أكون مضطرة للاقتناع بأن هذا هو كل ما يليق به. ولا يمكن لمثله السامية الجميلة، وهو الرجل المغرور الضعيف الجبان، ان تصل الى حد النضج مطلقاً.

وقد تعشيت مع الملك والمستر كورنواليس في ذلك المساء. ربما تتصورون ان ما كان يجب ان يقوله احدنا الى الآخر شيء غير مهم بعد تناول العشاء في شرفة مطلة على دجلة، لكني أقسم بحياتي اننا كنا على ما أحسب نساعد في تسوية مشاكل عالمية - ليست أقل من مشكلة العلاقات بين الشرق والغرب، التي يتوقف عليها ازدهار العالم الى حدٍ كبير.

وفي غضون ذلك تماثل الملك الى الشفاء بسرعة - بأسرع مما يجب. ان جميع التقارير الواردة من الألوية تقول ان عمل السر پيرسي قد أيده الناس في كل مكان (!). فاتخذت تدابير حازمة في الديوانية والشامية لتوطيد الأمن والقانون. وبعد غزوات جوية قاصفة أبدى جميع رؤساء العشائر المتطرفين خضوعهم. على ان أعظم ظفر حققه السر پيرسي كان ما اتخذه من تدابير ضد العالمين الخطرين في الكاظمية: السيد محمد الصدر والشيخ محمد ابن الشيخ مهدي الخالصي. فقد بعث يقول لهما انه حريص جداً بصورة دائمة في المحافظة على شرف رجال الدين ولأجل تخليصه من الواجب المؤلم في نفيهما بالقوة فانه يشير

عليهما بالرحيل الى إيران (انهما من رعايا ايران)[1]. فغادرا البلاد في ليلة التاسع والعشرين من الشهر.

مرت علينا لحظات مضحكة للغاية حول التوقيفات التي تمت. فقد كان المحركون على درجةٍ من الاعتماد على دعم الملك لهم بحيث أبدوا موقفاً باسلاً. ففي صبيحة السادس والعشرين من الشهر حضر جعفر ابو التمن وحمدي الباچه چي، وكانا على رأس المرشحين للاعتقال، الى دائرة التحقيقات الجنائية ليحتجا على التعقيبات الجارية، فاستقبلا بحماسة وسلما الى الشرطة. وقد أدخلت الفقرة في بيان المندوب السامي، التي تشير الى ان أربعة آخرين كانوا مطلوبين، الرعب في صدور حوالي اربعين من فعلة السوء الذين اختفوا كلهم مثل الأرانب. انهم يخرجون بالتدريج ما بين استهزاء مواطنيهم واستهجانهم[2].

8 أيلول

لم نلبث طويلاً بعد النجاح اللامع الذي حققته ضربة السر پيرسي الموفقة، في منحنا الاستقرار الداخلي، حتى اتخذ الخطر الخارجي حجماً جديداً ومرعباً على وجه الاحتمال. فقد أجبرنا الهجوم العشائري - المدبر بواسطة الكماليين - على التخلي عن رانية في منطقة السليمانية. ولا تعد هذه خسارة كبيرة بحد ذاتها. لأنها منطقة مضطربة في أحسن

---

(1) هذا غير صحيح، فالصدر من أصل عربي معروف في العراق ولبنان. أما الخالصي، فيذكر الشيخ مهدي حفيد الشيخ مهدي الخالصي (حسب رواية محمد مظفر الادهمي، في كتابه: المجلس التأسيسي العراقي، ص 333) ان عائلتهم عربية، تعود في الاصل الى مدينة الخالص الحالية الواقعة في محافظة ديالى، ويقول ان لقب الخراساني الذي يتلقب به جده أحياناً هو نسبة الى نهر خريسان في ديالى.

(2) هراء لا جدوى فيه، لأن اعداء الانتداب البريطاني كانوا موئل اعجاب الشعب كله.

حالاتها ولا يمكن ان يستحصل منها شيء حتى ولا المصاريف التي تصرف عليها، لكن التقهقر في وجه عشائر ثائرة يعد شيئاً مخطراً على الدوام. وأعقب ذلك انسحاب موظفينا كلهم من السليمانية. وبذلك تبددت حصيلة سنوات أربع من العمل المخلص الممتاز بنتيجة دعاية كمالية حمقاء تعمل بين جبلين متوحشين على الحدود. ولماذا؟ لأننا منذ ان أعلنت الهدنة قد اسأنا تدبير المسألة التركية بصورة تبعث على اليأس. فكل فرد منا مطلع على الحالة في تركية كان يعلم بأن معاهدة سيفر كانت لغواً فظيعاً لا يطاق، ولم يكن بوسع أحدنا ان يجد من يستمع له. وأخيراً فتحت المدافع التركية. وقد زودها الفرنسيون بمقدار كافٍ من العتاد، طريقاً لها في مكانٍ كانت المعرفة والعقل عاجزين عن ايجاد كوة صغيرة فيه. ويبدو الفرنسيون لي أمة تتألف برمتها من انذال ومجانين بنسب غير معينة.

اما الوضع في حدودنا الشرقية فهو حتى الآن مستقر بصورة غير منتظرة. فقد أصرّ الميجر نوئيل، الحاكم السياسي في حلبچة الكائنة في أقصى جنوب منطقة السليمانية، على البقاء في منصبه. وهو يظن أنه يستطيع ابقاء القبيلة المحلية هناك على السير باستقامة، كما يستطيع على كل حال ان يركب حصانه متى شاء ويطوّح في مختلف الجهات. فهو شخص خارق غير اعتيادي ـ وليس في خارج نطاق الأمكان ان يكون قادراً على تشكيل جمهورية في السليمانية برئاسته!.

ولنعد الى الملك، ذهبت لزيارته قبل اسبوع فوجدته ضعيفاً جداً، ومسروراً برؤيتي بصورة مؤثرة للغاية. ولم يكن قد قيل له عما حدث، ولم يسأل عما تم منذ اجراء العملية له. بقيت عنده حتى الساعة السادسة، حين يزوره اطباؤه زيارتهم الرسمية. وكان ظهورهم هناك أشبه بظهورهم في أوبرا هزلية. فدخل أولاً طبيبه الانكليزي وجراحه الانكليزي الدكتور ساندرسن والكابتن براهام ـ كلاهما من ملح الأرض. ويعزى

بقاؤه حياً اليهما. ودخل بعد ذلك طبيبان من أطباء الجيش العراقي غير كفوءين تماماً، ومن ورائهما غمامة من شهود ظل حضورهم شيئاً غير مفسر. لقد كانوا كلهم هناك عند اجراء العملية - يبدو ان كل طبيب في بغداد كان قد دعي للحضور.

ومنذ ذلك الوقت صرت أزوره بعد ظهر كل يوم. وقد أخبره المستر كورنواليس في صبيحة اليوم الثالث بما فعله المندوب السامي.. فتحدث اليّ عنه بروحية القبول التام بما حصل. وطلب الي السر پيرسي في اليوم الخامس أن أخبره بجميع ما يختص بوضع الأتراك في الأناضول، في ضوء آخر البرقيات السرية التي تلقيناها من المستر تشرشل. فتشوش جد التشوش. انه يعتبر الكماليين أشد اعدائه، ويشك فيما اذا كنا قادرين على الحيلولة دون تقدمهم الى الموصل.

10 ايلول

تغدى معي المستر ادموندز(*) يوم أمس. انه الحاكم السياسي الذي

(*) كان المستر ادموندز J. Edmounds من أبرز الشخصيات الانكليزية التي عملت في العراق واكثرها ثقافةً، وقد ظل يعمل في هذه البلاد مدة طويلة من الزمن. وكان بعد ان تخرج في جامعة اوكسفورد قد التحق بالخدمة القنصلية المشرقية، وكانت قسماً قائما بنفسه من الخدمة الخارجية الموحدة الآن، في 1910. ثم تعين للعمل في بوشهر في الخليج العربي سنة 1912 وفي 1915 أعيدت خدماته ليعمل في بداية الامر حاكماً سياسياً ملحقاً بقوات الحملة البريطانية فيما بين النهرين وايران، ومن بعد ذلك موظفاً كبيراً في دوائر الدولة العراقية، على عهد الانتداب البريطاني. وبعد انتهاء امر الانتداب في 1932 ظل يعمل مستشاراً في مختلف الوزارات لمدة ثلاث عشرة سنة أخرى، أي الى 1945. وكان في السنين العشر الاخيرة من خدمته مستشاراً في وزارة الداخلية. وقد عرف خلال مدة بقائه في البلاد بميله الخاص للشؤون الكردية، حتى انه اقدم على وضع قواعد خاصة للغة الكردية المدونة، وقاموس خاص بالكردية والانكليزية. ومن اهم ما كتبه بالانكليزية كتابه الموسوم «أكراد وأتراك وعرب».

كان يعمل في رانية مؤخراً، وهو شخص لطيف مقتدر. انه يعتقد بأن الحل المناسب هو ان نعيد الشيخ محموداً الى مكانه، كما هو مقترح. واذا ما طالب بأشرافنا عليه يجب ان نسمح له بأن يحتفظ بحاكم سياسي واحد في معيته ليكون ضابط ارتباط مع بغداد من دون ان يحاول التدخل بالأدارة مطلقاً. فاذا حافظنا على علاقاتنا الطيبة معه، ودعمنا بقدر ما يمكن استقلال تلك البقعة من السليمانية الخاضعة له فأنها ستكوّن حشوة كردية بين العراق والأتراك. وبوسعك ان تعجب لماذا يكون للشيخ محمود أية سيطرة على البلاد، وهو الشرير المعروف، غير انك يجب ان تعلم في الدرجة الأولى ان الأغا الكردي له سيطرة مدهشة على قبائله ـ وان الشيخ محموداً في الدرجة الثانية يعتبر «رجلاً قديساً» من الناحية الدينية.

14 أيلول

.. تذاكر قبل أيام قلائل مع الملك السر پيرسي والمستر كورنواليس فقبل بجميع ما كان السر پيرسي قد فعله وصادق عليه. ثم وعد بأن يكلف النقيب بتشكيل وزارة جديدة. لكنه اغتاظ حينما قيل له بأنه يجب ان لا يتدخل في تفصيلات الشؤون الادارية، لاسيما بالنسبة للتعيينات ورفض رفضاً باتاً ان يوافق على ان يكون تعيين «رئيس الديوان» و «رئيس تشريفاته» من قبل الحكومة بقرار من مجلس الوزراء.

وصل الشيخ محمود الى بغداد. ويقول الميجر نوئيل انه متشوش ومرتبك، وغير تواق قط الى الاضطلاع باعباء الادارة في السليمانية، وانما هو ميال بوجه عام الى ان يعود الى الحياة الاعتيادية الهادئة التي كان يحياها في منفاه بالكويت(*).

(*) ادت معركة «دربندي بازيان» التي نشبت بين قوات الشيخ محمود الثائرة والقوات البريطانية التي سيقت ضده الى اندحار قواته ووقوعه أسيراً بأيدي الانكليز مع =

24 أيلول

.. وكان الشيء المثير التالي عندنا وصول الامير زيد، اخي صاحب الجلالة الأصغر. لقد كان يحاول حمل والده الملك حسين على ان يسمح له بالمجيء الى هنا خلال الأشهر الستة الأخيرة، لكن الرجل العجوز غير المحتمل لم يكن يسمح له بمغادرة مكة. ولم يكن تمنعه هذا بسبب أنه كان يحتاجه لغرضٍ خاص ـ كان يحتفظ به فقط من دون عمل.

وكان هناك شيء مثير آخر، لكنه غير مفرح، سببه ياسين پاشا، وكان قد تقرر ان تعهد اليه وزارة الداخلية بشرط ان يكون مستعداً لتأييد المعاهدة. وكانت المس بيل تلتقي به دائماً، فتحدث اليها والى عدد من زملائها بقوة في صالح دعم البريطانيين للعراق. واذا كان من الممكن تصفية الجو بالنسبة له، وتوضيح بعض الاشياء الغامضة بشأنه، كان يبدو أنه أحسن من يمكن ترشيحه لهذا المنصب. على أنه وجد بعد ذلك انه حينما كان في الناصرية قبل ما يقرب من ستة أسابيع كتب الى شخص يدعى رشيداً ابا التمن (لا يمت الى أسرة أبي التمن المعروفة بغير صلة الاسم) رسالة خاصة جاء في حاشيتها «بلغ تحياتي الى جعفر جلبي»، أي البريطانيين. فسلم رشيد أبو التمن هذه الرسالة الى مفتش الأمن العام

= عدد من أتباعه البارزين، بعد ان جرحوا في المعركة، وذلك في يوم 18/ 6/ 1919. وقد أخذ مع زوج اخته محمد غريب الى بغداد وحوكما فيها أمام مجلس عرفي عسكري وبعد ان استبدل الحاكم الملكي العام حكم الاعدام الصادر بحقه بالسجن لمدة عشر سنوات نفاه مع صهره محمد غريب الى الهند. وبقي هناك الى أواخر سنة 1921 حين أعفته الحكومة البريطانية مما بقي من مدة محكوميته وقررت اعادته الى السليمانية وهي مرغمة. لكنها قررت قبل اعادته الى العراق ان تأتي به الى الكويت، فوصل اليها من بومبي على ظهر الباخرة «بنكوره» في 28/ 1/ 1922. وكان ذلك في عهد احمد الجابر الصباح شيخ الكويت. وبقي في الكويت أشهراً مرتدياً اللباس العربي وخاضعاً لمراقبة الميجر مور «الوكيل السياسي» البريطاني حتى أعيد الى بلده في العراق.

العراقي[1]. وعلى هذا الاساس استبعد ياسين، اذا لم يكن بوسعه ان يقدم ايضاحاً مرضياً. وكان ايضاحه حينما حظي بمواجهة الملك «ان ذلك لم يكن الاّ من قبيل المجاملة فقط ـ انه لم يقصد ان يتلقى أوامر من جعفر ابي التمن أو أي شخص آخر.» على ما تروي المس بيل نفسها. وقد قبل الملك هذا الايضاح منه، وتحدث الى المس بيل بشأنه فيما بعد[*]. **ثم تقول المس بيل:**

انك يجب ان تحصل على الاتجاه الصحيح حينما تريد الحكم على الشرق. فليس هناك ولا ستة رجال في هذه القارة يتغاضون عن هذه الرسالة (أي رسالة ياسين الى رشيد أبي التمن) كما يتغاضى عنها الملك ـ «انها من قبيل المجاملة فقط. لقد اعترضت عليه لأني كان لابد لي من ان اعترض، وقلت ان الأيضاح المقدم لا يمكن ان نتصوره نحن. فأننا لا نهتم حينما يقول لنا أحد الناس «أنتم ظلمة وأنذال»، بل بالعكس ربما نجيبه بقولنا «والله نحن كذلك». ولكنه حين يقول «انتم المنقذون الوحيدون لبلادي»، وهو ما كان ياسين قد خرج عن طريقه ليقوله لنا، ثم يكتب الى شخصٍ آخر قائلاً «وسنطرد الظالمين بعون الله» ـ فأن ذلك لا يمكن ان نتغاضى عنه .**وكان جواب الملك كالآتي: «اني أعلم أن هذه هي الكيفية التي تفكرين بها أنتِ، لكنها ليست الكيفية التي نفكر بها نحن. تذكري اننا كنا عبيداً لمدة ستمائة سنة، وعلى العبد ان يحمي نفسه بالمكر. انه مجبر على ان يضع قدماً في المعسكرين معاً، وحتى أنا أفعل هذا. فلم نكن نحن نتمتع بقرون عدة من الحرية التي نتدرب في ظلها على ان نكون احراراً»**. ولا شك ان هذا قولٌ فيه مناشدة «لطلب الرأفة»

---

(1) اسماعيل حقي الصفار. وقد نقل السر پيرسي كوكس والآنسة بيل هذه الرسالة الى الملك فيصل.

(*) تولت المس برغوين ناشرة الرسالة تلخيص هذا المقطع عن محتواه في الرسالة الاصلية، والظاهر انها لم تشأ نشر محتواها الاصلي كله لاسباب نجهلها.

لكنه شيء حقيقي، واعترف بأن الملك قد عرضه بطريقة بديعة وبسيطة(*) . وعند ذاك وجهت نفسي توجيهاً حسنا بحيث أجبت مؤكدةً على ان جلالته سيكون قادراً في يومٍ من الأيام على الاستفادة من ياسين. انا متأكدة من ذلك: فياسين رجلٌ، لكنه رجل ولد في آسية وليس في اوربة. اعتقد بأنه سيرتقي الى القمة في النهاية.»

24 أيلول (ب)

.. وكان الحادث الآخر الذي تحسسنا به وصول الأمير زيد أخي صاحب الجلالة الأصغر ـ فقد وصل يوم الأحد الأخير المصادف لليوم السابع عشر. وقد استقبل استقبالاً حافلاً في المحطة، ذهبنا اليه كلنا ـ الأشراف والمستشارون والجيش العربي وكل أحد تتصورونه..

ان التأثير السيء الذي أحدثه فرض الانتداب قد خفت وطأته عندهم (عند العراقيين) منذ ان وافق المستر تشرشل على التصريح بأن الانتداب سيصبح كميةً مهملة في اللحظة التي يدخل العراق فيها الى عصبة الأمم. ولا يخفى ان احدى فقرات المعاهدة فيها تعهد منا بأدخال العراق فيها باسرع ما يمكن...

28 أيلول

بزغ نجم جديد في عالم الشخصيات عندنا، وهو السر جون سالموند مارشال الجو الذي سيتولى قيادة القوات البريطانية في غرة تشرين الأول.. انه شخص متيقظ، قوي الشكيمة، سريع الفهم والادراك بصورة مدهشة، ويود من الصميم ان يفهم العراق ومعاملتنا

(*) وهنا تذكر المس برغوين في تعليق لها ان ياسين لم يستوزر في النهاية لانه كان قد قال أيضاً «ان المعاهدة لا يمكن ان توقع بشكلها الحالي والاّ فالحكومة البريطانية ستبقى قادرة على خنق الحكومة العراقية».

لسكانه. لقد تناول العشاء عندي مساء أمس ليتعرف على المستر كورنواليس ـ كنا نحن الثلاثة لوحدنا لأني أردت ان يتصل في الحال بالحكومة العراقية التي يعمل فيها كورنواليس. فقضينا اسعد ليلة، لأن السر جون من الناس الذين يلذ التحدث اليهم في كل موضوع.

28 أيلول (ب)

يستعد الأتراك، أخزاهم اللّه، لشن هجوم آخر على عقرة هذه المرة، وتقع عقرة في شمال أربيل. وهم ليست لديهم أية قوة لكنهم يحركون قبضات أيديهم على القبائل، ولما كنا حتى الآن قد أخفينا قبضات أيدينا في جيوبنا بعناية فأن القبائل تعتقد بأن الأتراك هم الناس الوحيدون الذين يملكون القوة. وهذا هو السبب في خسراننا السليمانية. لقد قمنا بعمل، لكننا قمنا به بعد ثمان وأربعين ساعة على الأقل. وفي اللحظة التي نعنى بها في الدرجة الأولى بالدعاية التركية لم ندخل في الوزارة أي أحد من العناصر الوطنية. لقد بدلنا مواقع الوزراء السابقين فقط. ويدير الملك وجهه نحو الغرب حالياً، وقد كنت مستعدة لتقديم الكثير لقاء تشكيل وزارة على ذوقه ـ لكن ياسين خذلنا وخذله، وناجي السويدي الذي كان يريده بعد أن أخفق في الأتيان بياسين يعتبر شخصاً بغيضاً عند النقيب. كان الله في عوننا!

8 تشرين الأول

. . . كان اليوم الثلاثون من الشهر الفائت أول يوم من أيام «السباق» الخريفي هنا. وقد بدأنا اليوم، أنا والمستر جويس وعقيلته، بأخذ الأمير زيد في رحلة الى طاق كسرى. . . انه شديد الاهتمام بالاستقصاء والتعلم في كل شيء ـ وهو سريع ومقدر للامور كالملك. لقد أخذت معي طعام الفطور فأكلناه في ظل الجدران العظيمة، بينما كنت أحدث زيداً بجميع الوقائع الحربية التي وقعت هناك، في سنة 1914.

وذهبنا بعد الظهر الى السباق لأن جلالة الملك كان عازماً على الذهاب الى هناك. وقد جلست في مقصورة السر پيرسي، وهناك أجلسني هو الى جانب الملك. وبعد ان تحدثنا قليلاً جاءنا السر جون سالموند من مقصورته، وعلى هذا أخذته الى مقصورة الملك، وهناك تحدثنا نحن الثلاثة ساعةً من الزمن كنت أنا المترجمة خلالها. وقد دخل الملك الى صلب الأشياء رأساً، فسأل معاون مارشال الجو عما يستطيع تقديمه لحمايتنا من الهجوم، ومقدار ما يستطيع عمله اذا ساءت الحال وطلبنا المزيد من المعونة وغير ذلك. فأجاب مارشال الجو بكثير من الاستقامة، وكان جوابه باعثاً على الشعور بالثقة...

تغدى معي البارحة الميجر نوئيل[*] ، ثم عاد الى السليمانية في الليلة الماضية. وقد وصف لي موقفه الذي يجازف فيه بحياته كل ساعة بكونه موقفاً يكسبه خبرة ذات أهمية. ولا غرو، فهو ما يسمى في ايتون[1] مجنوناً ـ لانه مجازف ساحر له اطلاع واسع بشؤون الأكراد وشجاعة لا عيب فيها...

ان الشيء الرئيس عندنا هو ان نجعل المتطرفين والمعتدلين يعملون معاً. فهم الآن يترقب أحدهم الآخر ليكسر رأسه ـ اني استعمل اصطلاح العرب في هذا التعبير.. وكنت منذ مدة ألوم المعتدلين لجمودهم المخجل...

سمعت ان الملك سر سروراً لا مزيد عليه بتصديق المعاهدة[**] . وقد ذهبت الى البلاط يوم أمس وسجلت اسمي وتبريكاتي باحترام،

(*) حاكم السليمانية السياسي.

(1) اشارة اما الى مدينة ايتون او الى كلية ايتون (في تلك المدينة) لانكلترا.

(**) صادق مجلس الوزراء على المعاهدة، واشترط أن لا تكون نافذة المفعول الآ بعد ان يصادق عليها المجلس التأسيسي، فلم يرق ذلك للانكليز.

لكني لم أره بعد. كنت اليوم منشغلة بترجمة بيانه(*) الرائع الذي سينشر بالعربية والانكليزية غداً مع المعاهدة. وأتمنى ان يتيسر لي مزيد من الوقت لأخراج الترجمة بصورة صحيحة، فقد كان هذا يتطلب عملاً أبرع مما كان يمكن ان يبذل خلال خمسة وعشرين دقيقة من الوقت...

8 تشرين الأول (ب)

ذهبنا يوم الثلاثاء في معية الملك وأخيه زيد الى بعقوبة تلبية لدعوة فخري جميل، فقضينا يوماً كاملاً في بساتينه القريبة، وكانت جميلة أكثر مما بوسع الكلمات ان تعبر عنها، كروم لا يصدق اتساعها وبساتين نخيل ورمان وبرتقال أشجارها حاملة كلها، ينساب من تحتها مجرى الخريف الضعيف في ديالى الممتد بين ضفافه العالية. كان هذا البستان يبدو في نظري، انا التي لم أخرج منذ عودتي من فلسطين في سفرة تستغرق النهار كله، كأنه من جنان الفردوس.

... وكانت الاستثارة الأخرى قدوم الميجرنوئيل مجدداً من السليمانية، ليعلن ان الحالة هناك قد خرجت من ايدينا. فقد كان الشيخ محمود يريد ان يصبح ملكاً في كردستان متحدة سواءٌ أكانت ترضى به ملكاً أم لم ترض. وكان من الصدفة ان نعلم نحن ان القسم الاعظم من رعاياه المقبلين لم يكونوا يريدونه مطلقا.

تغدى معي الميجر نوئيل يوم أمس وعاد الى السليمانية في الليلة الماضية. وقد وصف لي وضعاً مخطراً يغامر فيه بحياته في كل ليلة بكونه وضعاً يلفت النظر للغاية». لقد كان يتمشى في طول غرفتي وعرضها ويصف مشاهد لا تصدق ـ اندفاع السكان كلهم بحماسة وطنية لاستقبال قاطع طريق مغمور يدعى الشيخ محموداً [كذا]. وفي النهاية بعثوا

(*) راجع حاشية الرسالة 24/ 10/ 1922.

بالميجر نوئيل يحمل عريضةً الى صاحب الفخامة (المندوب السامي) يسترحمون فيها ان نعد لهم كل حماية ممكنة وندفع جميع النفقات. بينما يقومون هم باستخدام القوات الامبراطورية كما يشاؤون، ويبددون الأموال. وقد عاد اليهم حاملاً نسخة من لائحة المعاهدة مع العراق ـ ليقول لهم ان هذا هو نوع من الاشياء التي يمكن ان نمنحها لكم فخذوه أو اتركوه. أخشى ان يخيب هذا أملهم.

والميجر نوئيل شخص من النوع الذي يكون عنده خدام محليون من أشد الناس اخلاصاً له وتفانياً من أجله. ويأتي هؤلاء اليه بجميع تقولات الأسواق وأحاديثها، وعن طريقهم يبث ما يريد ان يصدق به الناس. فقد علم مثلاً ان السليمانية كانت تهنيء نفسها على وجود رجل انكليزي فيها، لأن الأمور اذا تأزمت وفكرنا نحن بقصف البلدة يمكنهم أن يعتبروه رهينة للفدية. ولذلك بث بين الناس بأنه كان قد ساوم حكومة صاحب الجلالة البريطانية على انه اذا حصل شيء غير مؤات في الوضع هناك فليتركوه ولا يهتموا بأمره، غير انه اذا توفي وقضى نحبه فيجب ان يدفع مبلغ عشرة آلاف باون الى أقاربه وأهله. وهكذا تخلوا عن فكرة اتخاذه درعاً واقياً ضد القصف الجوي.

12 تشرين الأول

خرجت لأحصل على شيء ما من البلد قبيل وقت الشاي، فماذا رأيت؟ رأيت المندوب السامي يتجه بسيارته الى بيت النقيب، وهو في كامل بزته الرسمية. لذلك قفزت الى الاستنتاج بأن ساعة الصفر كانت الساعة الخامسة. هكذا كان يجب ان تكون، لكن السر پيرسي وجد النقيب معصوب الرأس (كان يشكو من ألم في أذنه)، وليس هناك قلم ولا حبر ولا أي شيء آخر، فظلا يتحدثان لمدة نصف ساعة عن المطر والطقس الجميل كأن لم تكن هناك معاهدة قد سمع بها أحد. وأخيراً

قال السر بيرسي «ماذا تقول بشأن المعاهدة؟» فنظر اليه النقيب وهو مشدوه تماماً. ثم التفت السر بيرسي الى حسين افنان، مستفهما بقوله «هل أتيت بها؟» فأخرج حسين أفنان نسخة منها بالانكليزية واخرى بالعربية. فصرخ النقيب يقول «ما هذا؟ انا لا استطيع التوقيع على هذه - لا أعرف محتواها.» غير ان السر بيرسي أخبره بأن هذه هي النسخة الانكليزية، ونصها هو النص المعول عليه من المعاهدة الذي حضروا بقصد التوقيع عليها. وان النسخة العربية هي ترجمة مضبوطة لها. ورد النقيب يقول «فأذن يجب ان يكون حسين هو المسؤول عنه - اني لا أفهمه». فأجابه السر بيرسي بهدوء ان سكرتيره لا يمكن أن يكون مسؤولاً، وعند ذاك راح حسين يترجم بعض الجمل من الانكليزية ويقرؤها عليه. وحينئذٍ فوّض النقيب أمره الى الله ووقع[*] على النسختين معاً. انه ما يزال مريضاً. اذا مات هذا العجوز المسكين ستكون في موته راحة لنا من بعض الوجوه، لكنه فألٌ سيء على كل حال!!

24 تشرين الأول

... عينتني الوزارة بطلبٍ من الملك مديرة فخرية لدائرة الآثار القديمة - يبدو أنه لم تكن هناك طريقة أخرى لتمشية هذه الدائرة حتى يعين مدير لائق لها. وقد ربطت الدائرة بوزارة الأشغال والمواصلات، فكان ذلك موضع رضاي التام لأني سأكون تابعةً بصورة مباشرة لصديقي صبيح بك (نشأت)، كما ستتيسر لي مساعدة المهندس المعماري الميجر جي. أيم. ويلسن[1] وتتذكرون انه من تلاميذ لوتينس[2]. ولذلك ذهبت الى الوزارة صباح الثلاثاء لنعقد أول اجتماع مع الوزير حول «قانون

(*) أهكذا يتم التوقيع على معاهدات تتحكم بمصائر البلاد وسكانها؟!

(1) كان هذا الميجر مديراً للدائرة الرئيسية في ادارة الاشغال العمومية يومذاك.

(2) لعله لورنس.

التنقيب» الذي وضعت لائحته[1]...

الآن وقد تم التوقيع على المعاهدة شمّر الملك عن ساعده للدفاع عن كل سطرٍ فيها ضد أقل ما يبدو من النقد. ان بلاغه[*] الذي نشر

(1) كانت عمليات التنقيب عن الآثار تجري وفق القانون العثماني، وقد اوقف العمل بهذا القانون بعد الاحتلال البريطاني للعراق.

(*) **ندرج فيما يأتي بلاغ الملك المؤرخ 13/ 10/ 192 (21 صفر 1341):**

انشر اليوم على شعبي المحبوب نص المعاهدة المعقودة بيني وبين صاحب الجلالة ملك بريطانية العظمى. ولقد اعترض سير المفاوضات التي دارت بين مندوبينا نحواً من عشرة أشهر مصاعب جمة تمكنا في النهاية بفضل حسن النوايا والثقة المتبادلة من التغلب عليها، والوصول الى هذا الحل المرضي. واني لا أشك بأن شعبي سيقدر أهمية هذه المعاهدة والخطوة الواسعة التي خطوناها في سبيل تحقيق امانينا القومية، وسيزداد تمسكاً بصداقة حليفتنا الكبرى بريطانية العظمى. اذ ان دوام صداقتها مسألة حيوية لصيانة استقلال هذه المملكة، وتأمين رقيها الاقتصادي والعمراني. فالمعاهدة كما هو واضح من نصوصها بنيت على اسس المنافع والمصالح المتبادلة. وكما اننا أخذنا على انفسنا ان نحترم عهود بريطانية ومصالحها الدولية فانها تعهدت بمعاونتنا وأعترفت باستقلالنا السياسي وباحترام سيادتنا، وجميع الاتفاقيات التي ستتفرع عن المعاهدة ستبنى على أساس هذه المبادئ، ولم يبق علينا الآ ان نباشر بالانتخابات لجمع المجلس التأسيسي ووضع القانون الاساسي. وبذلك نخطو خطوة ثانية ونتقدم الى جمعية الامم طالبين، بمساعدة حليفتنا، قبولنا في عضويتها اسوةً بسائر الدول. فأستفز شعبي الى مؤازرة حكومته بتأييد النظام داخل المملكة ومساعدتها على انفاذ القوانين، وادعوه الى اختيار النواب الصالحين لتمثيل ارادة الامة تمثيلاً حقيقياً، قارنين ذلك بالثقة والولاء للامة والحكومة البريطانية المعترفة وحدها بكياننا السياسي، والتي اخلصت لنا ووعدت بمساعدتنا على دخول جمعية الامم وتحقيق أمانينا القومية. والأن وقد عقدت المعاهدة فالادارة الداخلية أصبحت منوطة بي وبحكومتي وبشعبي. فنحن جميعاً والحمد لله كتلة واحدة يشدها شعورنا القومي عن مستقبل البلاد وسعادتها. والقوات البريطانية التي كانت مشتركة معنا في المسؤولية هي اليوم قوة حليف مخلص مؤازر لنا ضمن شروط المعاهدة، ضد كل من يريد العبث باستقلالنا. ونحن نستمد من الله اتباع =

للملأ وبرقيته الى الملك جورج ليعكسا بدقة حالته الفكرية في هذا الشأن. لقد صدرت الأرادة بأجراء الانتخابات، وسيبدأ تسجيل الناخبين هذا الاسبوع ويستمر ستة أسابيع - وبالنسبة لطريقة الانتخاب المعقدة نوعاً ما سوف لا يجتمع المجلس التأسيسي الاّ في حوالي شهر كانون الثاني.. . ان الملك عازم على ان يكون هذا المجلس مجلساً يصادق على المعاهدة واظنه سيكون كذلك.

24 تشرين الأول (ب)

من هو الذي يجب ان يطوّح في الآفاق غير المخابر الحربي؟ ليت السر بيرسفال فيلبس يفصح عن نفسه، لأني لا اعرف الى اية مجموعة من الصحف ينتمي، لأشرح له قصة الجلاء التام عن العراق. لقد قدّم فكرته، وفحواها اننا قد شكلنا حكومة عربية يجب ان تنسحب الى البصرة. لكنه ذهب وهو يقول أن قلة الاصرار على الانسحاب الى البصرة هي أحسن. انه يرى ان ذلك غير ممكن.

انا مهتمة جد الاهتمام بالانتخابات العامة (البريطانية). أنكم تفهمون بسهولة اننا لا نريد المستر أسكويث. فأني من «الأحرار» الذي يربأون بأنفسهم عن الرغبة في فوز المحافظين، الذي قد يعني بسهولة حصول كارثة اقتصادية. وهكذا أصل بطريقة التسقيط الى الرغبة في عودة لويد جورج الى الحكم، ولكن بغير طريقة الائتلاف. فأني اعتقد بأنه، على الرغم من اختلافي الشديد مع سياسته تجاه الأتراك، هو الذي أنقذ استانبول وطهران من اكتساح الكماليين لهما، ذلك الاكتساح الذي كان سيصبح كارثة لا يمكن وصفها. ولم تكن فرنسا لتتفادى وقوعها. وليس

= سياسة اخلاص ووئام تجاه مجاورينا، متوخين توطيد المحبة والسلام بين كافة الاقطار، والله ولي التوفيق.

من شك في ان ايماءات لويد جورج كانت ايماءات مسرحية، وان الجنرال هارينغتون[1] كان من دون ريب يقوم بسحب «الكستانة» من النار. غير انه لو لم يعط لويد جورج ظهره الى الحائط ويقف موقفاً حازماً لما وجدت «الكستانة» في النار حتى يتحتم انقاذها. وبالمناسبة، أنا لا أصدق قصة دومنل حول التطمين الذي قدّم لفرنسا بشأن قيامنا بإعادة الموصل الى الأتراك، لأن جميع الدلائل عندنا تشير الى عكس ذلك. فقد طهرنا خلال الشهر الأخير الحدود الكردية تقريباً بهجمات جوية عنيفة، ونحن كلنا، من الملك فما دون، نعلم كما يعلم المسؤولون في لندن أيضاً بأن الدولة العراقية لا يمكن ان تبقى في الوجود من دون اللواء الشمالي. فبغداد تعتمد اعتماداً كلياً على الموصل، ولا قيمة للمعاهدة من دونها. أضف الى ذلك ان السماح للاتراك بالمجيء الى هذه الجهات سيعني حصول مذابح جماعية لأفراد الطائفة المسيحية الكبيرة، وانقراض نهائي للآثوريين المراد استيطانهم، وتؤول هذه الاشياء الى ان نوصم بالخزي والعار الى الأبد في آسية. لقد قدم لنا عصمت باشا تطميناً شخصياً بأن الكماليين لا ينوون المطالبة بأراضٍ عراقية، وعلينا ان نلزمهم به.

جئت مع نوري باشا والكابتن كلايتون، خلال جلسة غداء في بيتي، باقتراح بارع فحواه ان العراق يجب ان يسمح له بارسال ممثلين الى مؤتمر الصلح. لقد سر الملك به كثيراً، فأرسل الطلب رسمياً الى لندن.

25 تشرين الأول

. . . لقد بدأ تسجيل الناخبين الأوليين يوم أمس. وعندما دخلت

(1) هو السر چارلس هارينغتون Ch. Harington (1872 ـ 1940) أحد اعمدة الاستعمار البريطاني. قاد قوات الحلفاء في مواجهة الجيوش التركية خلال 1921 ـ 1923.

الدار في السادسة مساءً وجدت رسالة مستعجلة يطلب فيها الملك حضوري لتناول العشاء. وكان جعفر ونوري وزيد هم المدعوون الآخرون. فكان اجتماعاً مرحاً وصف الملك خلاله امجاد «تشاتسودرث»، ولعبنا دوراً من «البريج» كنت أنا أعلم زيداً خلاله. ان ميلي يزداد شيئاً فشيئاً له - لم أقابل قط شخصاً في مثل شمائله الحلوة، وأذكر بالمناسبة أني لبست في هذه الدعوة فستاناً جديداً، ذهبياً وأبيض في لونه.

... مر عليّ في اليوم التالي يوم كثير المشغولية الى حد الأزعاج. فقد خرجت راكبةً كالمعتاد في السادسة صباحاً (ومررت باستعراض للجيش العراقي فتقبلت تحية الوحدات التي كانت تتدرب هناك صدفةً)، وعندما عدت الى المكتب في الثامنة والربع وجدت السر پيرسي يقرقض في تسويد برقية، كان يريد أبراقها الى المسؤولين في الوطن، يشير فيها الى التأثير السيء الذي سيتأتى عن اعادة تسليم الموصل الى الترك. ولذلك بادرت الى كتابتها عنه حينما كان يتناول الفطور. ولا يخامرني شك في أنه سيعمد الى تصحيحها من حيث التفصيلات. لكني يمكن أن أقول ان خطوطها العامة كانت شيئاً بارعاً. وبعد ان أنجزت ذلك وجب عليّ ان اكتب تقرير الوزارة الذي نبعثه بالبريد الجوي كل اسبوعين.. تطرقت فيه الى نجاحنا ضد الأتراك على الحدود الكردية، والى المقابلة التي قوبلت بها المعاهدة وخطط الملك. وقد استغرق كل ذلك من وقتي النهار كله الى الرابعة بعد الظهر عدا فترة الغداء، وعند ذاك اضطررت الى الذهاب ماشيةً الى البيت حالاً وتفرغت لكتابة بعض الرسائل حتى أبعثها بالبريد المشار اليه. انا لا أقول بأني مشغولة مثلكم، لكني مع ذلك أسهم في شؤون العالم، أليس كذلك؟.

25 تشرين الأول (ب)

.. بدأ هنا تسجيل الناخبين الأوليين يوم أمس، وصدرت أوامر من الداخلية، بعد مصادقة الملك، الى جميع المشاورين في الألوية بأنهم يجب ان يؤكدوا على المتصرفين أهمية ترشيح مرشحين من ذوي التفكير الصائب[*] . ان صاحب الجلالة مشمئز من جمود المعتدلين وخمولهم، وهو يعد العدة لتشكيل حزب جديد يحتضن المعتدلين، والوطنيين، والمعتدلين الوطنيين. وله وطيد الأمل بأن هؤلاء سيسفرون عن أنفسهم ونواياهم ويؤيدون المعاهدة من دون تحفظات.

1 تشرين الثاني

اكتب لكم هذه الرسالة قبل أوانها وسوف أنهيها على الشاكلة نفسها لأني عازمة على السفر الى الموصل بعد ذلك. فقد وعدت الميجر جي. أيم. ويلسن شخصياً منذ مدة بأن آخذه الى الحضر[1]. وقد طلب الكابتن كلايتون والمجر موري (عاد مؤخراً من الرخصة، وقد عين في الموصل تعييناً اسفت له انا والميجر كلايتون) ان يأتيا معنا، وسوف نشخص الى هناك يوم الجمعة مساء. فنبيت ليلة ضيوفاً على الجيش العراقي في الشرقاط، ثم نتوجه بالسيارة الى الحضر حيث نبيت ليلتنا تكلؤنا العناية الإلهية (**سوف نأخذ معنا أفرشة السفر، وهناك عشائر شمّر التابعة للشيخ عجيل الياور قريبة منها ونأمل ان يزودونا بالقوزي والقهوة)، ونعود بالسيارة الى القيّارة لنبيت ليلة فيها اذا وصلنا متأخرين. .**

وذهبت بعد الغداء مع صبيح بك لحضور جلسة مجلس الوزراء،

(*) لا شك ان المقصود من هذا هو التأكد من انتخاب أناس ميالين للانكليز.

(1) انقاض مدينة قديمة تقع في محافظة الموصل. دعاها اليونان (هترا) وهي على بعد اربعة كيلو مترات من وادي الثرثار بين دجلة والفرات. من آثارها القصر وهياكل متعددة، وهي محاطة بسورين كبيرين.

التي أحضرها أول مرة، لأشرح لهم «قانون التنقيب» الذي وضعت لائحته وأدافع عنه. فكان ترحيب النقيب والوزراء ترحيباً ودياً.

وقد انصرفنا الى القانون الذي وضعت لائحته فقرأناه، فقرة فقرة لمدة ساعتين. وتمكنت من امراره بصورة مبدأية، لكن بعض التعديلات الشفهية وجب ادخالها في النص العربي. وحينما أنهيت واجبي أنحنيت مودعةً وذهبت لأحضر اجتماع لجنة «مكتبة السلام»[1] حيث كان من واجبي المحبب أن أهدي كتباً يقدر ثمنها بأربعين باوناً تبرع بها السر فردريك ماكميلان[2] جواباً على طلبي منه. أليس ذلك سخاء منه؟... أتوقع بوثوق ان تصبح مكتبة السلام بسرعة أحسن مؤسسة من نوعها في الشرق...

1 تشرين الثاني (ب)

كنت منذ مدة أظهر بمظهر مديرة للآثار القديمة. وصل المستر وولي[3]

يوم الاحد، وقد عرفته أول مرة حينما كان ينقب في فارجميش[4]. أنه رجل صغير متعب لكنه منقب من الصنف الأول وآثاري

(1) كانت هذه المكتبة تقع في محلة رأس القرية ببغداد.

(2) هو Frederick Macmillan (1851 ـ 1936) من رجال المال البريطانيين، وكان رئيساً لمجالس ادارة عدة شركات تجارية.

(3) انه عالم الآثار الانكليزي ليونارد وولي L. Woolley (المولود عام 1880) وقد جاء للتنقيب في أور. والمعروف عنه انه في سنة 1914 التحق بمكتب المخابرات العسكرية الانكليزية في القاهرة.

(4) الصواب: كركميش، وهو موقع في شمالي سوريا. وقد قامت بعثة بريطانية بالتنقيب في هذا الموقع سنة 1910، وكان وولي أحد رجال البعثة، وهناك رأته المس بيل، والواقع ان هذه البعثة كانت تتظاهر بالتنقيب، لأن مهمتها الاساسية كانت مراقبة تحركات الالمان في تمديدات سكة حديد برلين ـ بغداد الى الفرات.

يهفو له فؤادي ـ أي أنه يؤيدني تماماً في الطريقة التي أدير بها الدائرة. وقد جاء الآن رئيساً لبعثة مشتركة نظمتها المتحفة البريطانية وجامعة بنسلفانية، وسينقبون في أور.

وكنت مشغولة أيضاً بأشياء أخرى. فبعد ان تعشينا في البلاط يوم السبت، أنا والمستر كورنواليس، مع الملك دخلنا في حديثٍ طويل معه، وكنت انا أمثل المعارضة فيه. فالملك يشعر بحسد مرير تجاه النقيب والحزب المعتدل الذي شكل باشرافه من قبل، ويريد بأية وسيلة ان يخرج النقيب من الوزارة ويضعف الثقة بالحزب. ويتذرع لذلك بالحقيقة التي لا شك فيها بأن المعتدلين كانوا كسولين جداً، غير مبالين بشيء، ويصرح بنقمته على تقاعسهم في تأييد المعاهدة وشرح مزاياها لأهل البلاد. انه يريد ان ينشط حزب آخر في الميدان، يتألف من المتطرفين الذين يعتقد بأنه مسيطر عليهم (الحقيقة هي انهم هم المسيطرون عليه). وهو حينما يتحدث اليّ يزوق المشروع بألوان زاهية، ويقول انه ينوي ان يسحب الى منظمته الجديدة هذه جميع المعتدلين الفعالين، اذا كنت فقط أمد يد المساعدة في اقناعهم. غير أني أعرف تمام المعرفة ان «حزب الملك» اذا ما شرعت بتأسيسه جماعة من العراقيين الشبان الذين ترتاب منهم البلاد ريبة شديدة محقة، فليس هناك رجل واحد من طراز علي السليمان يقدم على الانتساب اليه، وسوف لا اطلب اليهم ان يفعلوا ذلك. وهكذا ففي اللحظة التي نريد فيها دعماً موحداً للمعاهدة سوف نجد الناس منقسمين(*) الى «حزب الملك» و«حزب النقيب». ولأجل ان يحط الوطنيون من شأن المعتدلين أصبحوا الآن مستعدين مؤقتاً ان يكونوا أعلى صوتاً منهم في ميلهم الى الانكليز والمعاهدة. ان الخطة الصائبة الوحيدة هي ان نجعل

(*) كانت المس بيل هي المسؤولة بطبيعة الحال عن هذا الانقسام.

اليسار المعتدل ينضم الى اليمين الفعال ويعمل لقضية مشتركة معهم، لكن هذا لا يأتلف وسجل صاحب الجلالة لأنه يعتبر اليمين من رجال النقيب وليس من رجاله. ولذلك كنت غير متحمسة الى آخر حد بالنسبة للمشروع، وقد أنبني المستر كورنواليس فيما بعد لتثبيط حماسة الملك في تنظيم دعاية قوية مؤيدة للمعاهدة، غير اني ما زلت أعتقد بأني محقة وسوف لا التزم بشيء أو الزم غيري به حتى أتوغل في فكر صاحب الجلالة اكثر مما أفعله في الوقت الحاضر. فما كان منه الاّ ان أخبر المستر كورنواليس في الأخير بأنه يحسن به ان يتخلى عن هذه الفكرة مؤقتاً. اما الحقيقة فهي انه غير قادر على ان يعمل كثيراً، اذا كان بوسعي أن أقول مثل هذا، حينما أقف في وجهه لأن لي سيطرة قوية جداً على المعتدلين بحيث انهم لا يسلكون أي طريق آخر من دون أخذ المشورة مني. ولننتظر لنرى اذا كان بوسعي ان احفزهم على اظهار نشاط اكثر.

جرى لي حديث آخر مع توفيق بك (الخالدي) الذي يعد من أشد الناس اقتداراً بينهم ـ ان الملك يكرهه وهو يعلم ذلك ـ وأظن أني حملته على الاعتراف بالحاجة الى العمل الجاد. ومن حسن الحظ ان نجد ان السيد محموداً رئيس الحزب ينسحب الى الخلفية ـ انه رجل ميئوس منه.

تعشينا، انا والمستر كورنواليس والكابتن كلايتون، مع المستر ديڤيدسن يوم الأحد فتناقشنا بكل هذه الامور. لقد وافق كورنواليس على ان الملك اذا لم يكن في استطاعته تأليف حزب ائتلافي فمن الاحسن له ان يتخلى عن فكرته.

ويعد وزير الداخلية، محسن بك السعدون، من الذين أحبهم أكثر من غيرهم هنا. فهو لم ينتسب الى الحزب المعتدل لأنه مؤيد قوي

للملك، لكنه حصيف غير هياب ولا يتردد مطلقاً في ان يقول للملك انه لا يتفق معه في الرأي إن اقتضى الامر، وكثيراً ما يفعل هذا. انه متأثر من اخفاق المعتدلين في انجاز أي شيء خلال الشهرين الأخيرين، ويكاد يستحسن فكرة تأليف حزب معارض للسير بالامور سيراً أحسن. غير أني أشك فيما اذا كان سيأخذ مقعداً في «السفينة» التي سيقوم بانشائها الملك، اذا ما ترك لوحده.

أصدر الملك كتاباً حسناً جداً حول «المسألة التركية»، معنوناً الى المندوب السامي. ونشكر الله لاننا قد حصلنا على ترخيص يسمح لنا بانتداب وفد الى مؤتمر الصلح ـ اليس ذلك بديعاً؟ اتوقع ان يذهب جعفر (العسكري) الى هناك.

ما تزال الأوبرا الهزلية التي يقوم بتمثيلها الشيخ محمود مستمرة على العمل في السليمانية، غير ان العلائم تدل على أنها قد تنسحب قريباً. لقد عين مؤخراً وزارة تتألف من تسع وزراء مع قائد عام، ومفتش عام، لكردستان. وقد لاحظت ان وزارة العدل لم تملأ بعد! لقد استنفدوا الأربعة ألكاك ونصف (من الروبيات) التي تركناها في الخزينة، وليس هناك أحد يحلم في الاقدام على أي شيء أخرق مثل جباية الضرائب!.

وفي غضون ذلك فر سيمكو هارباً الينا. مع تابعه السيد طه، بعد ان كان منغمساً في قتال مرير مع ايران باسم القومية الكردية، فتغلب عليه الايرانيون وظهر في أربيل. ولما كان سيمكو يسبب تعقيداً دولياً لنا فقد قيل له بأن لا يأتي الى أربيل في الوقت الحاضر، ويبقى متحفظاً على بعد أميال قليلة منها. غير ان الاكراد يصيخون بآذانهم الآن ليستمعوا الى أخبار وصولهما، ويستعدون لشحذ مُداهم لاستعمالها ضد الاتراك في حدودنا ـ لقد تجاوزوا على حريات كردستان المستقلة! ولا أظن ان

سيمكو سينظر الى ادعاءات الشيخ محمود بعطف وتأييد، واذا ما تركنا الامور تأخذ مجراها فان مديةً حادة أو مديتين قد تجد طريقها اليه. أنا انظر الى هذا الاحتمال باتزان ورباطة جأش.

ان وفداً كردياً قادم لمناقشة القضية الكردية مع صاحب الفخامة وصاحب الجلالة. لقد فاته القطار كما يحصل بطبيعة الحال، لكنه قد يصل غداً.

2 تشرين الثاني

لقد وصل الوفد الكردي، وهو يتألف من أربعة عشر شخصاً مع أتباعهم، وكانوا كلهم مدججين بالسلاح. وقد نزلوا في أحد الفنادق الصغيرة بعد ان أخرجوا منه بسرعة النزلاء الآخرين، ثم فر صاحبه فأختفى في السرداب. ومع هذا يقول الميجر نوئيل انهم يحملون آراء معقولة، سوف يوضحونها للسر پيرسي في مساء هذا اليوم.

الموصل ـ 10 تشرين الثاني

... سرنا بالسيارة مخترقين بادية متعادية جذابة كنت قد اخترقتها راكبة صهوة جوادي الى الحضر في سنة 1911. ولما اقتربنا منها شاهدنا العلم العربي يخفق فوق القصر المنيف المتهدم والساحة الفسيحة التي كان الامير العربي، التابع لملوك البارثيين، يجمع فيها أغنامه في أيام الضيق...

لقد ظهر اسم الحضر على مسرح الحوادث العالمية مرتين، كانت الأولى منهما عندما حاصرها تراجان في مناسبتين فاستولى عليها في المناسبة الأولى وأخفق في أخذها في الثانية بعد ان ثارت عليه. وبعد ذلك حاصرها في سنة 196 سيبتيميوس سيفيروس بدوره مرتين ايضاً فوقفت في وجهه في المناسبتين. وقد اختفت منذ ذلك الوقت من سجل

المؤرخين حتى زار لايارد[1] خرائبها العجيبة في القرن الماضي.

فتمددت وقت الغروب فوق السور العالي في ظل العلم العربي، وشاهدت النور يشع ويتلاشى في سكون البادية. وكانت تحتي ابل وخيول «بيرق عجيل» تملأ الساحة، كما كان الدخان الازرق خارج السور يتصاعد من بين خيام منازل شمر. وكان هذا منظراً يجتمع فيه الماضي بالحاضر اجتماعاً محيراً يكون مشابهاً للمنظر الذي كان يمكن ان يشاهد في كل مساء طوال أيام القرون العشرين التي مرت عليه... ثم تركنا الحضر في اليوم التالي في حوالي الساعة التاسعة، فاخترقت بنا السيارة البادية الممتدة الى طريق الموصل، وقد اتصلنا به في القيارة، ثم تابعنا السير خلال غيوم الغبار الى الموصل...

ذهبت في اليوم التالي، 6 تشرين الثاني، مع الكابتن فلاكسمن الى السراي فزرنا المتصرف... وكان منشغلاً في الدرجة الأولى بالانباء التي وردته من زاخو، في اقصى الحدود الشمالية، حيث كان القائمقام قبل يومٍ واحد قد ارسل برقيات تحذيرية تفيد بأن هجوماً تركياً وآخر قبائلياً علَى وشك ان يقعا، واذا لم يعجل بارسال المزيد من الجنود فأنه يرجو قبول استقالته. فلم نشعر بأهتمام كثير في كل هذا لاننا كنا نعلم ان مفتش الشبانة العام الجديد، الكولونيل دوين، قد وصل زاخو مساء امس. ولو كان الوضع خطيراً جداً هناك لعجّل بارسال البرقية اللازمة. ومع هذا قررت، أنا والميجر موري والميجر ويلسن والكابتن سليتر، ان نمتطي سياراتنا المصفحة ونتنكب بنادقنا فنخرج في اليوم التالي لنجدة القائمقام. ومن يلذ له ان يفعل ذلك غيري؟.

---

(1) هو السر اوستن لايارد O. Layard (1817 ـ 1894): اثري ومنقب انكليزي. ترك بلاده وهو في الثانية والعشرين من عمره، وقام بجولة في اقطار الشرق. وقد وصل الى الموصل سنة 1845.

وعلى هذا تحركنا في صباح اليوم السابع من تشرين الثاني في الساعة الثامنة. . . وبعد ساعة أو ساعتين التقينا بالكولونيل دوين ومرافقه. وقد جاءنا بالخبر السيء لسوء الحظ ـ كانت المعركة قد انتهت. . .

وكان القائمقام رجلاً «خباصاً»[1] لا يصلح لوظيفة على الحدود على ما يظهر. وقد وعد الميجر موري بارسال المدافع الى معسكر الشبانة الكائن فوق البلدة ـ وصلت الآن الى هناك وآمل ان يلعلع قصفها في وادي زاخو قريباً. والححت على السر پيرسي باننا يجب ان لا نسمح للاتراك بأن يستفيدوا من الموقف الذي يقترعون فيه على الكسب. . . لقد سمعوا أصوات المدافع، وبات الشبانة على أهبة الاستعداد، ومن ورائهم طيارات تكفي لحجب نور الشمس.

وكانت الشمس تدنو الى المغيب عندما وصلنا معسكر الشبانة الكائن في منخفض يقع في أعلى السفوح، ويرفرف فوقه العلم البريطاني. . . فاحتللت كوخ مضيفنا الكابتن مدى، وهو ضابط شاب بشوش بسيط يعتمد على نفسه. . . وقد وقف في خدمتنا أربعة من الأولاد الآثوريين بملابسهم الوطنية الكاملة. . .

وقبل ان نغادر المعسكر في اليوم التالي فتشت كثيراً الاكواخ فوجدتها نظيفة تماماً، كما وجدت النساء قد لبسن أحسن ملابسهن استعداداً للزيارة، لكن ريشهن لم يكن جميلاً مثل ريش الرجال. وقد غادرت المعسكر وأنا متأثرة. اننا حقاً شعب عجيب، فنحن ننقذ من الدمار بقايا الامم المضطهدة ونجهزهم بمثابرة وسخاء بالمساكن الصحية، ونعلم اطفالهم، ونحترم عقائدهم، لكننا نتذمر دوماً من الازعاج الذي يسببونه لنا ـ انهم يلعنوننا مرات غير قليلة للازعاج الذي

---

(1) كلمة عامية بمعنى: الذي يجعجع بلا طائل.

نسببه لهم نحن بتعليماتنا الغريبة ـ واذا بهم بعد ذلك يلتفون حول علمنا وضباطنا حينما يتركون وشأنهم ويسيرون وفقاً لتعليماتنا. . . ومع هذا كله لا نعجب. وهذا ما يحدث في جميع البقاع التي يظللها العلم البريطاني ـ لا تسألونا عن السبب لاننا لا علم لنا به. . .

وفي الخامس عشر من الشهر أخذت القطار من قرغان[1] فوصلت الى بغداد في السادس عشر من دون حادث يذكر سوى ان القطار قد تأخر ست ساعات من موعد وصوله. وقد وصلت لأجد حصول أزمة سياسية كنت قد عرفت عنها شيئا بكتاب أرسل اليّ. اذ استقال النقيب[*]، وقد وقع ذلك ببساطة تامة ومن دون أن يشعر أحد بأنه قد أوذي ـ فقد ماتت الوزارة من الخواء والجوع. ولهذا فهم منشغلون بتشكيل وزارة أخرى بكل ما لديهم من قوة، وأنا اعتقد بأنهم اذا ما أسعفهم الحظ سيكون بوسعهم انتقاء جماعة اقوى بكثير من الجماعة السابقة.

سيتوجه السر پيرسي في هذه الليلة الى الخليج العربي ليحضر مؤتمراً كان قد تأخر عقده طويلاً، وآمل ان ينتهي بعقد معاهدة مرضية بين نجد والعراق، لكنه من المؤسف أن يتغيب السر پيرسي في مثل هذا الوقت المفعم بالحوادث. على اننا تسلمنا برقيات مطمئنة جداً من المسؤولين في الوطن حول الموقف الذي سيتخذونه هناك تجاه الاتراك، دفاعاً عن حدود العراق. . .

---

(1) جلولاء.

(*) قدمت الوزارة النقيبية الثالثة استقالتها في 17/ 11/ 1922 على أثر اشتداد حركة مقاطعة الانتخابات، وقد دعى اليها العلماء بفتاويهم. وكان هذا قد آل من قبل الى استقالة وزير الداخلية عبد المحسن السعدون في 8/ 11/ 1922، بعد ان طلب الى مجلس الوزراء الموافقة على اتخاذ تدابير مشددة وتمشية الانتخابات بالقوة، فلم يؤيده المجلس في طلبه.

23 تشرين الثاني

تشكلت وزارة جديدة برئاسة محسن السعدون[*]، وقد اشترك فيها ياسين باشا فعهدت اليه وزارة الاشغال العامة. ان جلالته، والوزارة برمتها، عازمون على الوقوف بقوة ضد الاتراك ومع المعاهدة، فالحاجة تدعو الى ذلك، لأن المجتهدين الشيعة قد أصدروا فتاوي يحرمون فيها على الناس الاشتراك في الانتخابات. ولمقابلة ذلك أمر الملك الشيخ علي السليمان بأن يدعو جميع رؤساء العشائر في العراق الى مؤتمر يعقد في بغداد. انها حركة ممتازة، وسأكون بانتظار نتائجها على أحر من الجمر.

جرى لي يوم امس حديث ممتع مع الملك. انه ممتلىء عزماً على الكفاح، ويشعر بأن لديه وزراء سيكافحون معه. لقد اضطررت اليوم الى الحضور في السوق المقامة في دار «المقيمية» لمساعدة راعي الابرشية، الذي لا أهتم به ولا أحتاج الى خدماته. وكان سوقاً غير مؤنسة كما هي العادة دوماً ـ وباهظة التكاليف ـ لكنني بعد ان أديت واجبي لمدة ساعة

(*) وهي الوزارة السعدونية الأولى، وقد تألفت في 18/ 11/ 1922 على الوجه الآتي:

عبد المحسن بك السعدون رئيساً ووكيلاً لوزارة العدلية، ناجي السويدي للداخلية، ياسين الهاشمي للاشغال، ساسون حسقيل للمالية، نوري السعيد للدفاع، عبد اللطيف المنديل للاوقاف، عبد الحسين الجلبي للمعارف. وبعد ان تشكلت بمدة نقل ناجي السويدي الى العدلية، وعهد بوكالة وزارة الداخلية الى رئيس الوزراء.

وكان موقف الوزارة حرجاً بالنسبة لمقاطعة الانتخابات التي كان يدعو اليها العلماء، وفي مقدمتهم العلامة الشيخ مهدي الخالصي. فقررت ان تأخذ الأمر بالحزم والشدة. ولذلك اخرجت من البلاد، برغم الوعود التي كالتها في منهاجها بمنح الحرية في الصحافة وعقد الاجتماعات وتأليف الاحزاب، الشيخ مهدي الخالصي وولديه علي وحسن (بتاريخ 28/ 6/ 1923) والشيخ علي نقي وسلمان الصفواني ومحسن ابو طبيخ (بطلب من الملك). فاحتج العلماء على ذلك وغادر البلاد تسعة من أكابر علماء النجف، مع (25) من طلابهم واتباعهم.

ونصف لاحظت الكولونيل ماكنيس وهو ينسل الى الخارج فهربت معه. ان «المقيمية» في الحقيقة لا تحتمل حينما يكون السر پيرسي بعيداً عنها. فالليدي كوكس لها مقدرة خاصة في ان تجمع من حولها جميع الناس الذين يعدون في المرتبة الثانية. ان هؤلاء يجعلونني انكمش، وسوف لا اذهب هناك مرة أخرى.

7 كانون الأول

ما زال السر پيرسي متأخراً في الخليج العربي، على ان بقاءه هناك لا يخلو من فائدة لانه حمل المعنيين بالامر على تصديق المعاهدة(*)

(*) بعد ان تكررت المشاكل على الحدود العراقية، الجنوبية الغربية، اقترح السر پيرسي كوكس احالة قضية الحدود هذه على مؤتمر يعقد في المحمرة فعقد. وقد حضره صبيح نشأت عن العراق، والمستر بورديون عن الحكومة البريطانية، وأحمد ثنيان آل سعود عن الحكومة النجدية. وعقدت المعاهدة في 5/ 5/ 1922 فوقع عليها المفوضون الثلاثة. لكن ابن سعود رفض التصديق عليها مدعياً بوجوب تعيين خط الفرات حدوداً له، فتأخر حسم القضية. على ان السر پيرسي قرر ان يأخدها على عاتقه فطلب من ابن سعود عقد مؤتمر آخر في العقيد (العجيد). وتوجه الى هناك مستصحباً معه صبيح نشأت وفهد الهذال والميجر مور والميجر ديكسن (الكويت). ولأجل ان نلقي ضوءاً كافياً على ما جرى عند التوقيع على المعاهدة في العقير نورد النبذة الآتية نقلاً عن ما صرح به الميجر ديكسون في كتاب (حياة السر پيرسي كوكس لمؤلفه المستر فيليب غريڤز، الص 322):

بدأ أبن سعود باصرار على ان يكون الفرات هو خط الحدود الفاصل بين البلدين. فلم يلتفت كوكس لذلك ولم يناقش قول ابن سعود، ولكن العاهل السعودي ادعى بعد ذلك ان الحدود يجب ان تكون في الآبار الجنوبية التي تستخدمها القبائل العراقية والكويتية، بينما المفروض ان تعتبر الآبار المشتركة منطقة محايدة. ولكن كوكس اقترح اقتراحاً يوفق به بين الطرفين. غير ان ابن سعود لم يتزحزح عن موقفه الأول.. ثم يستطرد ديكسون ويقول:

واخيراً. ففي جلسةٍ نهائية لم يحضر فيها سوى السر پيرسي وابن سعود والميجر مور وأنا، وبعد مداولات طويلة تم إقناع ابن سعود. فكانت النتيجة ان رسم خط الحدود الحالي.

النجدية العراقية التي رفض ابن سعود التوقيع عليها من قبل. وقد توقعت ان ينصاع ابن سعود للامر حالما يفاتحه به السر پيرسي. فأي تأثير مدهش عند رئيسي؟...

16 كانون الأول

عاد السير بيرسي في الحادي عشر من الشهر حاملاً المعاهدات بيده بعد تصديقها كلها. وقد اعتزم ابن سعود على المجيء الى العراق في الربيع لزيارة الملك باشراف السر پيرسي. فقد أخبرني صبيح بك وزير الاشغال السابق، وقد رافق السر پيرسي ممثلاً عن الملك، ان السر پيرسي سلك مسلكاً رائعاً في المؤتمر، وان ابن سعود مقتنع بأن مستقبله ومستقبل بلاده متوقفان على حسن نيتنا تجاهه، وانه سوف لا يبتعد عنا مطلقاً. والحقيقة ان المعاهدة تتفق تمام الاتفاق مع الخطوط التي رسمها السر پيرسي. لقد سررت بعودته، لأن الفرق عظيم عندما يكون موجوداً...

18 كانون أول

سألني الميجر يونغ عما اذا كنت اوافق على تعييني سكرتيرة شرقية مع سائر موظفي السر پيرسي حتى تشرين الأول 1923، فأجبت بالايجاب. وسوف أبقى في هذا المنصب حتى يترك السر پيرسي البلاد على كل حال وقد نوه لي الميجر يونغ بأن خلف السر پيرسي قد يرغب في بقائي مدة أخرى لكي يتحاشى اجراء تبديلات شاملة في الحال. فقلت انه اذا لم تحدث أمور أخرى فربما استطيع ان أفعل ذلك، لكن هذا يتوقف على من سيكون الخلف الى حدٍ كبير، ثم تركنا الامر على ما كان عليه ـ وتلاحظون من هذا ان القضية قد تطورت كما كنت أريد ان تكون، لانهم هم الذين طلبوا اليّ أن أبقى ولم أكن انا المتمسكة بالبقاء. وقد اوضحت للميجر يونغ اني لست متمسكة بالبقاء اذا لم يرغبوا هم فيّ...

جاء جعفر باشا الى مكتبي في صبيحة هذا اليوم لنتحدث في بعض الشؤون. أتمنى ان يكون في هذه البلاد عدد أكبر من أمثاله، في شخصيتِهِ واعتداله. . . واخلاص جعفر للملك وولاؤه له هما شيء جميل حقاً. فأنا أعرف الرجل من كل نواحيه، وهو لطيف في «فروسيته» الودية تجاه النساء، وفي تعلقه بأطفاله، وولائه المتوقد لفيصل، فإنّه يعتبره الرجل الوحيد الذي يستطيع تزعم القضية العربية وإيصالها الى حد النجاح.

وقد نشأت عندنا مشكلة أخرى في الحدود الجنوبية. فانتم تعلمون ان ابن سعود قد استولى على حائل، فاختل توازن السياسة العربية. وصارت تمتد حدوده الآن بامتداد الحدود العراقية، على أنها لم تزل حدوداً غير معينة. وكان السر پيرسي قد دعاه الى الاجتماع به وبفيصل بأقرب فرصة ممكنة، وكنت أنا منذ مدة أؤشر على الخارطة ما يجب ان تكون عليه حدودنا في البادية على ما يتراءى لي. وليس هناك شيء أحب الى نفسي من حضور مؤتمر الملوك ذاك، لكني لا اعتقد قط ان السر پيرسي سيأخذني معه. . .

ان الاستيلاء على حائل سوف تكون له نتائج بعيدة المدى. فانه سوف يزج بابن سعود في مسرح السياسة المختصة بشرقي الاردن وربما في الميدان الفرنسي ـ السوري أيضاً، ويصعب الآن التكهن بالنتائج. على اني كنت سأزداد شعوراً بالقلق لو لم أكن متأكدة من ان السر پيرسي قادر تماماً على هدايته وارشاده. ومن العجيب حقاً ان يتمكن شخص واحد من ممارسة ما يمارسه هو من نفوذ. . . لا أعتقد ان هناك اوربياً واحداً في التاريخ قد طبع طابعه بمثل هذه الشدة في الفكر الشرقي. . .

31 كانون الأول

كانت وجهتنا شط الشامية الذي يتفرع من الفرات فيجري بموازاة المشخاب. . .

وقد دفعنا قواربنا ضد الماء، وكنا نقف على الشاطئ بين حين وحين حيث يمكن الخروج للصيد.

وشط الشامية أجمل بكثير من المشخاب. اذ تكسو ضفافه شجيرات الغرب والصفصاف، ويحيط زبدها الاحمر والاصفر والذهبي بالنخيل الاخضر. وتجثم هناك قرى الخصاص المتقاربة ما بين الشجيرات، وتلتمع أشرعة السفن البيضاء في النهر، ويغمر كل هذه نور الشمس الباهر المتلألئ من خلال النسيم العذب. وقد غصنا في الصفصاف والدغل الاصغر ونحن نتواثب هنا وهناك، ونطفر السواقي التي لا تحصى، فنشعر بسحر ذلك المكان البهيج...

ثم نهضنا من جديد في الساعة الرابعة من الصباح الباكر لنتناول كوباً من الشاي بسرعة، وقفزنا الى قواربنا فقذفنا الى داخل الهور. لقد كان المنظر رائعاً في الليل الهادئ، وكان الصوت الوحيد الذي يصل الى سمعنا صوت الوز الذي جئنا لقتله. لكننا لم نقتله ـ كان كثيراً في عدده بالنسبة لنا. وكان الفجر قد أخذ بالطلوع حينما وصلنا الى الهور، وأخذت أسراب الوز تستيقظ محدثةً الكثير من الجلبة واللغط، وتعلو في الجو فتكوّن خطوطاً وأشكالاً جميلة عبرَ السماء الباهتة من فوق رؤوسنا. وقد قفزنا من قواربنا في ذلك الفجر البارد الى الجزيرة الواسعة المقفرة في وسط الهور. وهناك تفرقنا، وبعد ان عثرنا على ما يمكن ان نختبئ وراءه بقينا في مخابئنا نشاهد الوز وهو يطير. ولم يكن في الحقيقة في مدى اطلاقنا عليه قط، لكن ذلك لم يؤثر على جمال المنظر على كل حال، ولم يصبني أنا الملل من التطلع الى طائر القرلي (الصليلقع)(*)

(*) جاء في معجم الحيوان للفريق أمين المعلوف: ان هذا هو طائر من فصيلة القرلي، أو القاونديات، أسود المنقار والرجلين، أبيض الصدر، مرقط الصدر، مرقط الظهر والذنب، وهو كثير في العراق والشام ومصر. ويعرف في مصر بصياد السمك وابي الرقص، وفي الشام بصياد السمك، وعند فصحاء العراقيين بالقرلي وعند عوامهم بالصليلقع.

وهو يصطاد فطوره بطريقته المؤنسة. . .

هذا وكان يوم عيد الميلاد أحسن يوم مر علينا من حيث الجو البديع والتريض المفيد والروحية المرحة. فقد تنزهنا بالزورق البخاري في النهر ونحن نصطاد الطيور على طول الطريق حتى وصلنا الى صدر جدول منعطف يدعى «أبا تين»، وينزل على ضفافه شيخ الخزاعل الأكبر. . وكان ما في نيتنا ان نفعله هو ان نصطاد البط في الهور، لا ان نتحدث عن الوز، فخرجنا بالمشاحيف الصغيرة. . وكان الهور جميلاً وهو ممتلئ بالقصب المزدهر البديع ويعج بالطيور المائية. وقد وصلنا الى الجهة المقابلة بعد المغيب، بينما كان البط والوز يحلق في الجو بالآلاف، لكنه كان في أعاليه كله. ومع هذا فقد كانت عودتنا شيئاً ساحراً في ضوء القمر والنجوم، مخترقين الهور الذي أخلد الى الهدوء والسكينة. وكان القصب عند مرورنا يلامس قواربنا بترفق فيرتفع صوت الوز النعسان هنا، او تنذعر هناك غرة من الغرائر فتضج هاربة فوق الماء محدثة صوتاً غريباً بطيرانها. بينما كان كل منا مستلقياً في القارب يستمع لأصوات الطبيعة ويتعجب بخلقة هذا الكون. . . وفي ظهر الخميس المصادف لليوم الثامن والعشرين وصلنا عائدين الى بغداد، وقد أحرقتنا الشمس ولفحتنا الريح بشكلٍ معيب، لكننا كنا سماناً مرحين موفوري الصحة. . .

الفصل العاشر
1923

5 كانون الثاني

كانت عندنا حفلة(*) عشاء شيقة. لقد جئت بالمستر أدموندز أيضاً، وكان قدم من كركوك، فأجرينا مناقشة مفيدة حول الوضع في كردستان. فقد أصبح الأكراد على طول الحدود الشرقية مقتنعين بأن الأتراك سوف لا تحصل منهم أية فائدة لهم ـ قال الاتراك في الحقيقة أنهم لا يفكرون باستقلال الأكراد. ولذلك بادرت الفئة الميالـة للبريطانيين الى الضغط على الشيخ محمـود ليجرّ الحبل. (تسلمت برقية منه في عيد الميلاد موقعة بتوقيع ملك كرستان، محمود) ـ انه شيء مقزز. وكان فيصل قد قال له ان الحكومة العراقية ستدعم فكرة تأسيس حكومة كردية تتمتع بالحكم الذاتي في ضمن الحدود العراقية، طالما كان هذا الترتيب لا ينطوي على انفصال الألوية الكردية سياسياً او اقتصادياً. وهكذا اتخذ المشكال(**) الكردي في الجهات طرازاً أكثر إيجابيةً بصورةٍ مؤقتة. وهذا ترتيب مناسب، لأن «مؤتمر لوزان» اذا ما أخفق، كما يبدو من المحتمل

(*) اقيمت على شرف السر هنري دوبس، وقد وصل الى بغداد ليخلف السر بيرسي كوكس في منصبه كمندوب سام في العراق.

(**) Kaleidoscope

ان يحصل، فأننا سنلاقي على وجه التأكيد تقريباً هجوماً يشن علينا من الشمال، حيث يقوم الأتراك بتحشيد الجند والذخائر العسكرية، وسيكلفنا ذلك وقتاً كله اذا أردنا نحن ان نفعل مثلهم.

اقام السر پيرسي في اليوم الثاني والعشرين حفلة عشاء رسمية للملك والوزارة ـ انها المرة الأولى التي يدعو فيها الوزارة. وكنت قد لمحت اليه من قبل بأنهم سيرحبون بذلك. وكانت القوة الجوية، والمستر كورنواليس، وانا، الضيوف الوحيدين من غير أعضاء الوزارة. أظن ان الوزراء قد استمتعوا بالحفلة ـ أنا متأكدة من ان الذي كان يجلس بجانبي قد فعل. لقد كان شيعياً عجوزاً لم يكن على ما أعلم قد تعشى مطلقاً في بيتٍ أوربي من قبل. فسلك مسلكاً ينطوي على أكثر ما يكون من اللياقة والذوق، وأحب حلوى العنجاص.

16 كانون الثاني

ان أهم ما عندي من انباء هو ان السر پيرسي ذاهب مع البريد الجوي هذا الى الوطن، لمساعدة الوزارة في التوصل الى نتيجةٍ ما حول السياسة التي يجب انتهاجها في العراق.. . ومن الاهمية بمكان ان يذهب هو بنفسه الى هناك، ويعرض الأشياء جميعها على السلطات المختصة لأنهم حتى اذا لم يكونوا راغبين في الاسهام بتحمل العبء فعليهم ان يعلموا بانه من الصعب الغريب ان يتركوا هذا العبء يسقط فيرتطم. انا اعتقد بأنه حتى الجلاء عن الموصل سوف يعني اننا يجب ان نواجه مشكلة ستين أو سبعين ألف مسيحي لاجئ. .

يكاد يكون من المستحيل على المرء أن يصدق بأنه منذ عدة سنوات خلت كان الجنس البشري يحكم العقل والنظر في النتائج قبل الاقدام على عمل شيء. أنا نفسي لا يساورني التعقل حين تتذبذب القيم السياسية بين الصعود والهبوط كما تتذبذب أسعار العملة بينهما!.. . وأحس في قرارة

نفسي بأننا نحن الذين اشتركنا في الحرب سوف لا نكون قادرين على العودة الى رشدنا قط. فقد كانت الصدمة أعظم من ان نتحملها، وأصبحنا فاقدي التوازن حتى أني أشعر بأن سيطرتي على عواطفي قد قلت كثيراً عن السابق. وانا غير متأكدة في الحقيقة مما قد أفعله بعد هذا، ولا يسعني سوى أن آمل ان لا تتهيأ لي الفرص التي قد اقترف فيها أعمالاً طائشة، لكنها اذا ما تهيأت فقد أرتكب مثل هذه الأعمال، او أني على الأقل لا استطيع التأكد من أني سوف أتحاشى وقوع ذلك..

جاءني بعد ذلك السر هنري دوبس فتحدثنا حديثاً طويلاً لم تكن الظروف تسمح به من قبل، لقد تحدثنا عن العراق والتاريخ منذ أول أيام الاحتلال.

توجهت في يوم الثلاثاء المصادف 9 منه الى الديوانية مع الميجر جي. ايم. ويلسن والميجر جفريس، وكان غرضنا ان نرى تل نفّر، ففعلنا ذلك في اليوم التالي.. ونفر اشد المواقع الاثرية لفتاً للانظار رأيته هنا على الاطلاق. فالتل كبير متسع، يعلو هرم معبده علواً شاهقاً فوق السهل. ويستطيع المرء ان يرى بوضوح طوبوغرافية البلد من جدول النيل القديم، مجرى الدغارة السابق، الذي يخترقه من الوسط، ومن السهل تصور المعبد المنيف مع مكتبته ومدرسته الدينية في أحد الجانبين والمدينة التجارية في الجانب الآخر.. كما يستطيع ان يرى في المقطع أجيال المدينة تتعاقب أحدها بعد الآخر، وتمتد في حقبة طويلة من الزمن تبلغ ثلاثة أو أربعة آلاف سنة. ومن العجيب أو المفزع ان نوضع نحن وجهاً لوجه أمام الاجيال الحافلة بالجهد البشري منذ القدم، ونرى من بعد ذلك أي فوضى قد جعلنا منها، كما ذكرت من قبل..

عدت الى داري وأنا أشعر بأني قد سافرت في قطارات الكابوس مدة عشرة آلاف ساعة على الاقل.

وكانت مشغوليتي خلال اليومين الآخرين كثيرة. فقد كنت أتفحص شتى الامور، واكتب تقارير لابرادها بالبريد واستحضر أشياء يريد السر پيرسي ان يأخذها معه...

16 كانون الثاني (ب)

... زارني عدد من الوزراء الرسميين. فقد جاء ياسين پاشا أولاً وزيري بصفتي مديرة فخرية للآثار القديمة. أنه أشد الخيل الدهم سواداً، وهو مجرد من المبادئ الخلقية تماماً[1]، معادٍ للاجانب بمرارة، ومع هذا فهو مأخوذ باحترام غريب لنا، وبتلهف لمسايرتنا. لقد ألفاني منشغلةً بوضع الخزامى في «مزهريات» الخزف فركض ليأتي لي بالمزهريات بصورة تدل على اشد الميل الى المساعدة. وقد قوطعنا بدخول صالح بك[*]، وكان قد جاء يستشيرني حول قبوله لمنصب «امين العاصمة» في بغداد. وكان هذا شيئاً ممتعاً لأن الفكرة اللبقة المنطوية على جعله أميناً للعاصمة كانت من بنات افكاري أنا، وبعد ان تأكدت من كون المستر كورنواليس يؤيدها عرضتها بلباقة على الملك ووزير الداخلية بحيث تجدهما الآن مقتنعين بانها فكرتهما. فتظاهرت بالتعجب والفرح لخبره، وبينت له ان من واجبه ان يخدم بلاده بهذه الطريقة. ثم جاء لتناول الغداء رئيس الوزراء، وناجي السويدي، وعبد اللطيف المنديل. وقد أعلن رئيس الوزراء (السعدون) عند وصوله أنه يخشى ان يكون مصاباً بالبرد، فأجبته بأن «براندي الكراز»[**] دواء ممتاز له ـ كان قد بقي عندي لحسن الحظ شيء منه بعد احدى حفلات العشاء. وهكذا اشترك

---

(1) ان المس بيل لم تعد تثير الاشمئزاز عندما تطلق جزافاً كهذه الالفاظ البذيئة، فهي نفسها قد اعترفت في الرسالة السابقة بأنها «لا تستطيع ان تسيطر على عواطفها»!!

(*) لعلها تقصد السيد صالح بك الملي.

(**) Cherry Brandy

كلهم اشتراكاً سخياً فيه وشرب منه حتى الاثنان اللذان لم يكونا مصابين بالبرد. وفي أثر ذلك تغدينا غداءً شهياً للغاية وأفضوا اليّ بأنهم يعتزمون اجراء بعض التغيير في المقاعد الوزارية ليجعلوا ناجي بك (السويدي) وزيراً للعدلية ويعهدوا بوزارة الداخلية الى رئيس الوزراء. وطلبوا اليّ ان أمهد الطريق عند المندوب السامي لهذا الترتيب وقد وافق عليه في الحال لأن عبد المحسن بك سيكون وزيراً أحسن للداخلية من ناجي بكثير نظراً لكونه أقل تعرضاً للتأثيرات السياسية فوافق السر پيرسي وتمت التعيينات الآن. وجاء بعد هذا السر هنري دوبس ثم الميجر جفريس من الديوانية واخيراً تعشيت معه ومع المستر كورنواليس فشعرت بعد هذا بأني قد استنفدت جميع ما كان هنا لُيقال عن الماضي والحاضر والمستقبل لهذه البلاد.

30 كانون الثاني

... ها قد مرت علي سنوات سبع وأنا اشتغل في تأسيس دولة عربية. وما يعزيني بعض العزاء أنا شخصياً اننا اذا اخفقنا في عملنا فالاجيال الاخرى قد يصيبها النجاح.

كنت مشغولة بشؤون الآثار القديمة. فقد كان عندي أولاً تقرير كبير عن اور يجب ان اكتبه لوزيري وللصحف المحلية وكان يترتب علي ان اعالج مشكلة بعثة جامعة اكسفورد الى كيش - فقد وعدت بارسال منقب ومختص باللغات القديمة وعلى هذا الأساس وافقت على ان أتقدم بطلب الى وزيري أطلب فيه الموافقة على منح الامتياز واذا بي أجابه بأرسال شخصٍ واحد فقط..

انا مقتنعة بأنه ليس هناك أي شخص مهما كان مقتدراً يستطيع الاضطلاع لوحده بعملٍ جسيم مثل اجراء التنقيب في كيش. ولذلك أوقفت أمر الامتياز وأبرقت الى «اللجنة المشتركة» طالبةً رأيها في الامر

وهي تعد أعلى مرجع آثاري في الوطن ـ واذكر بالمناسبة اني أحد أعضائها. .

30 كانون الثاني (ب)

. . هل سنغزى في عقر دارنا أم لا؟ واذا ما غزينا هل سنترك الى ما عندنا من موارد فقط؟ وافتنا في اليوم 21 من الشهر أنباء عن وصول أربعة أفواج تركية وملحقاتها الى جزيرة ابن عمر الكائنة على مقربة من حدودنا. وكان منتظراً منذ أشهر ان تزداد قواتنا فأعددت جميع الخطط للدفاع اذا كان هذا يسمى دفاعاً. وقد ذهبت في يوم الثلاثاء الى استعراض جرى للجيش البريطاني الذاهب الى الموصل ـ كان منظراً مشجعاً من حيث النوعية فياليت الكمية تضاعف الى أربعة أضعاف. على أننا سقنا جميع ما عندنا من قوة ويتولى الجيش العراقي الاشراف على خطوط المواصلات ثم يقوم بتنظيم درك غير نظامي ما بين الفرات ودجلة باشراف ضباط عرب لمؤازرة خيالة الجيش العراقي وقد توجهت من قبل الى تلك الجهات. واذا لم يبعث الاتراك بفيلق آخر او فيلقين فأن وضعنا يبقى على أحسن ما يكون واذا فعلوا ـ سنكون في حالةٍ سيئة. وهم برغم تبجحات عصمت باشا لا يظهرون تحمساً للمباشرة بالهجوم. ان فكرتهم هي ان يجبروا العشائر المحلية على التقدم أولاً، غير ان العشائر بدورها تحجم عن الخضوع للضغط. وهكذا، اذا كان الاتراك يبلغون فاننا نعمد الى البلف[1] أيضاً ونضاهيهم فيه واذا اخذوا الامر بصورة جدية فنحن نتمسك بأيدٍ خاسرة.

ذهب زيد الى الموصل في الثامن والعشرين. ويلحق به كلايتون في هذه الليلة ولا أشك في أنهما سيعملان على ما يرام سوية. فعند زيد كثير

---

(1) كلمة عامية دخيلة من الانكليزية Bluff بمعنى الخدعة والمداورة.

من العزم وعند كلايتون ذخيرة كاملة من التعقل وقوة التمييز. لقد استدعاني جلالته اليوم لتناول الشاي، فكان تواقاً الى معرفة ما اذا كنا في الأخير مستعدين للدفاع عن البلاد او أننا نقصر ترك ذلك اليه. وقال لي انه يقبل بالاستفتاء اذا كانت الضرورة تدعو الى ذلك بشرط ان يشمل الاستفتاء ايضاً المناطق التي تسكنها اغلبية عربية وتتبع الاتراك مثل نصيبين وماردين، وان تسحب القوات المسلحة من الجانبين بينما تتولى الاشراف على الاستفتاء دولة محايدة. لكنه سيطلب الينا أيضاً ان نتخلى عن الانتداب لتقوية مركزه. واذا كان الجيش البريطاني معرضاً للخطر في الموصل، واذا انسحبنا تركنا العراقيين يدافعون عن أنفسهم فأنه سيتوجه بنفسه الى الحدود ويلاقي حتفه في وقفةٍ أخيرة هناك. وأقسم بحياتي بأنني سوف لا أطلب شيئاً سوى أن أذهب معه.

لقد غشى مكتبي جوٌ محموم قلق ـ أناس يدخلون باضطراب ليقدموا معلومات عن رسائل تم تسلمها هنا من الاتراك أو وكلائهم وعن مخابرات تجري بين المجتهدين والكماليين والبلاشفة، وعن فتاوى يؤمل صدورها قريباً وأشياء مشابهة تختص بدائرة التحقيقات الجنائية. ويقضي علي السليمان وقد استدعاه الملك كثيراً من الوقت عندي يبحث عن تطمين بأن لا يتم عمل شيء من دون مصادقتنا عليه. ولتزداد مشاكلنا ومصاعبنا اطلقت النار على الميجر جفريز في الديوانية من قبل جماعة سلابة كان من سوء حظه ان يعترضهم حينما كانوا خارجين الى الغزو. انه يرقد في المستشفى الآن وقد بتر اصبعان من قدمه في وقتٍ لا يسعنا فيه ان نستغني عن رجلٍ ذي أهلية مثله. وقد تبعه عدد كبير من شيوخ منطقته الى بغداد ليسألوا عن صحته وهم كذلك يقضون وقتاً غير يسير في مكتبي وبيتي.

1 شباط

سمعت أن زيداً أستقبل استقبالا حافلا في الموصل. ومن الممكن

ان يسير الخطر التركي مسافة طويلة من أجل ان يصنع أمة منا. هناك تقولات تنبئ بوصول وفود من الموصل لتخبر الملك بأنهم لا يريدون الانفصال عن العراق. فعقد مجلس الوزراء جلسةً غير اعتيادية، وأرسل برقية الى عصبة الأمم يذكر فيها ان الحكومة العراقية ستقاتل من أجل الموصل عند الحاجة.

13 شباط

ما تزال الحالة القلقة قائمة. ويعمل زيد في الوقت نفسه عملاً ممتازاً في الموصل فأخذت البرقيات تترى من البلديات والمؤسسات الأخرى وهي ترفض ادعاءات الاتراك بحماسة.

أنا أود السر هنري[1]، نحن نسير معاً بصورة حسنة. انه ميال الى جعل العرب (أي العراقيين) يركضون قبل ان يتمكنوا من المشي، وهذه روحية صحيحة على ما اعتقد مع انها لم تتغلغل في جميع زوايا دائرتنا. فنحن نتدخل أكثر مما يجب في تفصيلات طفيفة لا تغني ولا تسمن من جوع، ومع هذا تدفع بالعرب الى الطريق الخاطئ. ويتبع السر هنري طريقة صائبة تنطوي على المداولة في الامور قبل ان يدون شيئاً منها على الورق، بشكل مذكرة مختصرة شبه رسمية. فكثيراً ما يتم التوصل بالكلام الى توافقٍ مرضٍ، وتقارب في وجهات النظر.

15 شباط

ذهبت لاشرب الشاي مع الملك. ان جلالته متضايق للغاية من والده العجوز، الذي كان على علاقة بالكماليين على ما اعتقد، وقد ابتلع الآن الطعم الذي يمسك به عصمت باشا. فهو مغتاظ من وجود زيد في الموصل ولا ينفك يبعث البرقيات حول وجوب عودته الى الحجاز،

---

(1) هنري دوبس.

وعدم «شن حرب على الأتراك». ان زيداً لا يشن حرباً مطلقاً، وانما هو يؤلف بين القلوب ويشجع على الاتحاد. فلا شك ان الاتراك على علم تام بوجود تصلب عام في رأي الناس، وهو شيء مفيد. اما بالنسبة لاعادة زيد الى مكة فأن ذلك يعد جريمة لا تغتفر. لانه سيبقى هناك شبه سجين تحت اشارة والده واستدعائه، ولا يسمح له قط بالخروج من الدار من دون رخصة، والرخصة نادراً ما تعطى له. هذه هي طريقة حسين في تربية أولاده.

كان فيصل في حالة من حالات عناده ـ أملي ان لا يذوب. لقد بعث يستدعي زيداً، ليقدم تقريراً عن مدى التقدم في الموصل ظاهرياً، وهو يقول انه سيخيره ـ اما ان يعود الى مكة أو يبقى هنا فيقطع علاقته بأبيه. أظن ان زيداً يفضل الموت على العودة، لكنهم فزعون من حسين، وليس بوسع المرء قط ان يعلم الى أي مدًى ستبقى عادة اطاعته تسيرهم في الحياة.

1 آذار

وجدت الملك حينما تناولت الشاي عنده قبل قليل، متحيراً بكيفية تأثيث غرفة كبيرة في القصر الصغير الذي تم بناؤه مؤخراً ـ انها غرفة القبول. لكن شكلها شكل غريب، فقد كان المقصود بها ان تكون غرفة للطعام ـ طولها (170) خطوة وعرضها (70)، مع موقد كبير في أحد الضلعين الكبيرين. وقد اقترحت تجزئتها عند التأثيث، وقلت له انه يجب ان يرتب فيها محلاً للجلوس في الوسط في مقابل الموقد يتألف من ثلاث ارائك أنيقة كبيرة، على ان تكون الوسطى منها اكثرها فخامةً. ومن المستحسن في هذه البلاد التي يكثر فيها الغبار ان يكون الأثاث بسيطاً في طرازه والاّ فيصعب تنظيفه، ونحن نفكر أننا اذا حصلنا على بعض اللوحات اللطيفة فيمكننا ان نرسم مثلها هنا. فهل بوسعكم ان تبعثوا لنا

بمجموعة من اللوحات المصورة «الكاتالوكات»، من أحسن المحلات الموجودة في لندن، بالبريد الجوي القادم؟ سيكون بوسعنا ان نستخرج منها نموذجاً للكراسي والطاولات أيضاً، ونصنع منها ما نمشي به الحال في الوقت الحاضر...

توجهت الى أور مع الميجر ويلسن. لانهم هناك يوشكون ان ينهوا عملهم لهذا الموسم، وعلينا نحن ان نذهب شخصياً لاقتسام ما عثر عليه من الآثار واستخراج حصة المنقبين وحصة العراق منها...

لقد استغرق اقتسامها يوماً كاملاً، لكن هذا كان شيئاً ملذاً للغاية، وكان المستر وولي ملائكياً في سلوكه. وقد اضطررنا الى ان نطالب بتخصيص أحسن الاشياء لنا، لكننا بذلنا جهدنا في تعويضه عن ذلك، ولا أظن انه كان كثير الاستياء في النتيجة. اما نحن فقد سررنا كثيراً. وكان أحسن ما أخذناه تمثالاً سومرياً مخيفاً لاحد ملوك لقش يبلغ طوله ثلاثة أقدام، لكنه لا رأس له. وقد خطت على كتفه كتابة طويلة تمكنوا من قراءة اسم الملك فيها، لكنه سوف يرسل الى لندن لفك رموزه بصورة تامة ثم يعاد الينا...

1 آذار (ب)

اعتقد باننا لو تركنا زيداً وشأنه، فانه والأكراد الشماليين سيتوصلون الى اجراء ترتيب مريح. نحن قد لا نفهم ذلك بوضوح، لكنهم سيعتقدون بأنه واضح تمام الوضوح، وانه شيء مرضٍ. ان الخطأ الذي نرتكبه هو اننا نصر على الطلب اليهم (الى العراقيين) بأن يتخذوا الترتيبات المقتضية بالطريقة التي نريدها نحن، وهذا شيء لا يناسبهم مطلقاً. ومتى أصبحت ضواحي الموصل واربيل باليد، سأكلف زيداً بمعالجة الوضع في السليمانية. فالشيخ محمود يعد العدة لهجوم يشنه على كركوك، غير انه من حسن الحظ أن يكون عدد غير يسير من أقاربه ومتعلقيه من القبائل ضده. وكان قد أنذر بانذار تنتهي مدته هذا اليوم.

أخشى أنه اذا لم يسلم الحكومة الى الوجهاء والاشراف المحليين ويخرج من بلدة السليمانية، كما قيل له ان يفعل، فاننا سنضطر الى قصفها. ولا شك ان الحرب الجوية قاسية مرعبة، غير انه حينما تكون قوتنا قد أنقصت الى مجرد هيكل، فماذا نصنع؟

11 آذار

أغضبني جداً المقال(*) الذي نشرته «الديلي اكسبريس». انه شكل آخر من اشكال التهجم، وهو شيء وضيع. ولا شك اني عاجزة عن عمل شيء تجاه هذا، فاذا قلت انه كله غير حقيقي سيتوسع الامر. اما انه يسبب لي كثيراً من الضرر فهو أمر لا شك فيه. ولو كنت في مكان السر هنري لما أبقيت الشخص الذي يقول عنه الناس انه يدير كل شيء في الدائرة، مع أنه يعلم بأني منزعجة من المقال أكثر من أي شخص آخر.

كنت في هذا الاسبوع منشغلةً خلال الوقت ومعظمه بالآثار القديمة والآثاريين. فقد جاء عضوان آخران من جماعة التنقيب في أور، المستر نيوتن والمستر لورنس(**)، وكنت قد اتخذت التدابير اللازمة لذهابهم الى الحضر. وجاء المستر وولي يوم الخميس فقمنا بأعمال كثيرة. لقد استحصلت رخصة من الدفاع لأقيم معرضاً صغيراً للاشياء التي جئت بها، أنا والميجر ويلسن من أور. وأتيت على وجه السرعة بعبد القادر الباچه چي، وكان من موظفي المتحف في استانبول، وبمساعدته ومساعدة المسز دراور[1] رتبنا جميع اللقى فوق المناضد، ووضعنا لكل

(*) يبدو ان المقال المشار اليه يبالغ في مدحها.

(**) الاخ الاصغر للمستر لورنس المعروف بعلاقته بالعرب من قبل.

(1) هي المستشرقة الانكليزية أ. س. ستيفنس E. S. Stevens المعروفة بليدي دراور Lady Drawer، وكانت يومئذ زوجة المستر أي. م. دراور مستشار وزارة العدلية. وقد اشتهرت هذه المرأة بمؤلفاتها عن الصابئة العراقيين.

منها بأناقة بطاقة كتبت المعلومات المطلوبة عليها بالانكليزية والعربية. وكنت قد رتبت عرضاً خاصاً للملك والوزراء والوجهاء، بعد ان وجهت لهم دعوة خاصة.

12 آذار

كنت قبل مدة وجيزة اتناول الشاي مع الملك في حديقته. يبدو ان الأمور قد اصبحت ملأى بالأمل. فالاتراك على ما يظهر ينشدون السلم الآن، وقد انتهينا من طرد الشيخ محمود من السليمانية.والشيء الآخر هو كيف سنعين من يحل محل هذا الشرير؟ لدى الملك ووزرائه مشاريع من بنات أفكارهم، وبدافع ما يقال من أنهم لا يمكن ان يسببوا أسوأ من الفوضى التي كنا قد سببناها نحن فقد أقنعت السلطات المختصة بأن يسمح لهم بتجربة ما عندهم. انها لعبة كنت اشتغل فيها خلال السنة الماضية كلها، ولذلك انا مبتهجة.

هذا كل ما فعلته، عدا أنني حضرت حفلة عشاء أقامها «المحفل الماسوني» في بغداد، فخرجت منها مقتنعةً الآن أكثر من أي وقت آخر بأن الماسونية معظمها لغو وهراء. ان محبة التمويه والتمسك بالشعارات السخيفة هي بلا شك شيء متأصل في الجنس البشري، لكني لما كنت غير قادرة على ان أحمل نفسي على التفكير بوجود أية أسرار في العالم، فأن هذه الاشياء لا يمكن ان تحدث فيّ أي انطباع. ولا ريب ان جميع الأشياء التي يعبأ بها الناس اما ان تكون غير سرية، أو تكون مجهولة.

16 آذار

تتولى التنقيب في ڤيش الكائنة على بعد أميال قليلة من شرقي الحلة جامعة اوكسفورد. لقد انتدبوا لذلك رجلاً يسمى ماكيّ غير ان بعثة مكونة من رجلٍ واحد لا يمكن بحالٍ من الأحوال ان تتولى تنقيب مثل هذا

الموقع المهم بنجاح(*) . ولذلك قدمت احتجاجاً الى «لجنة التنقيب الآثاري المشتركة» في لندن. واصررتُ في الوقت نفسه على ان يشغل معه محلياً أحد المراقبين الانكليز. لكن ذلك من قبيل التضليل لأني أشعر بأن الأمر جميعه قد بني على أسس غير مريحة.

اصبح حديث المجالس في البلد يدور اليوم حول وصول والي بشت كوه للزيارة وهو الحاكم شبه المستقل في الجبال الايرانية الكائنة في شرقي العمارة. لقد جاء مستصحباً معه أسرته المتكونة من عشر زوجات وبنات منهن مع تسعة أبناء وحاشية تتكون من أربعين أمرأة ومئة واثنين وسبعين رجلاً. وكان من الممكن ان تكون هذه الجماعة أكبر في عددها لو لم يتم اقناعه بأن يعود مئتان وخمسون شخصاً منها الي بلدهم من شهربان (المقدادية) حيث استقل الحاكم القطار الى بغداد. وقد أجهدت موارد البلد الى أقصى حدها لأيجاد وسائل نقل كافية لهم ولا أدري كيف سيتم ايصاله هو وحاشيته الى كربلاء في مثل هذا الوقت الممطر.

29 آذار

أكتب لكم من فراش المرض الذي أعد نفسي للنهوض منه بسرعة. وليس المرض سوى برد أصابني مع مبادىء التهاب الحنجرة الذي أخمد صوتي لمدة يومين. لقد أصبت به حين تناولت العشاء مع الملك في يوم 23. وفي تلك الليلة اندفع «جسر مود»(**) منجرفاً من محله مع التيار وفي يوم السبت انكسرت السداد في محل يقع على بعد سبعة عشر كيلو متراً شمالي المدينة في هذا الجانب وعندنا الآن ثلاثمائة ميل مربع من

(*) لقد ثبت ان التنقيب الذي تولاه المستر ماكي كان ناجحاً للغاية، ومثيراً للاعجاب. وهو يضاهي ما قام به المستر وولي في أور.

(**) وهو جسر الاحرار اليوم، وكان يتألف من زوارق كبيرة خاصة والواح خشب.

الأرض مغمورة بالمياه وتمتد بعيداً من سدة البلد الشرقية. وقد خضعت ببلادة الى حب الاستطلاع يوم الأحد فركبت لأرى المياه الفائضة. فوجدت بعض ضباط الجيش العراقي يحتاجون الى رسولٍ يبعثونه بمهمة وقد خببت فرسي بنفسي فجئت لهم بما يريدونه ثم صادفت الملك فوقفت وتكلمت معه وهكذا بقيت في الخارج اكثر مما يجب. وأقمت بعد ذلك حفلة عشاء ـ حضر اليها الكولونيل بورتن، القائد الثاني بعد نائب مارشال الجو وكومودور الجو تشارلتون وهو شخص لطيف، والمستر ديفيدسن والمستر كورنواليس والدكتور سندرسن مع زوجته الصغيرة العزيزة جداً ـ وهكذا لم يبق عندي صوت أنطق به في اليوم الثاني.

زارني السر هنري يوم الاثنين بعد ان كان قد طار الى أربيل، كما كان يزورني بصورة منتظمة المستر ديفيدسن ليرى اذا كنت احتاج الى شيء، وكذلك المستر كورنواليس، انهما عزيزان عليّ. ثم جاء عدد من العراقيين يستفسرون عن صحتي في هذا اليوم. وأرسل الملك رئيس تشريفاته ثم حضر وزيري ياسين پاشا أيضاً. وهكذا ترون ان الملك والوزارة في لندن لا يعبأون بي حينما أصاب بالبرد.

يقوم صديق قديم في دمشق عزيز عليّ، الشيخ محمد البسام، بفتح طريق مباشر للسيارات عبر البادية ـ دمشق الى بغداد ذهاباً وايابا في يومين. لقد أبدى روحاً رياضية عالية، أليس كذلك؟ لقد جاءني في الاسبوع الماضي بجماعة كبيرة.

نحن مغمورون بحفلات التوديع للسر پيرسي ـ وحتى هو منغمر الآن بالتفاتنا الزائد له. نشكر الله على ان رمضان سيبدأ في الأسبوع القادم وبحلوله ستنقطع حفلات اللهو عند العراقيين.

10 نيسان

شكراً وألف شكر على ما تجشمتموه من التعب بشأن أثاث الملك فقد فرح بالصور. وسوف نتحدث اليه غداً انا والميجر ويلسون ثم نقرر ما يأمر به. . .

وصل السير پيرسي سالماً يوم 31 من الشهر الفائت. . . انه يعتقد بأن البرلمان سيوافق على الخطة التي وضعتها اللجنة الوزارية، وسوف يمكننا تمشية الأمور على هذا الأساس برغم ان الأحوال الاقتصادية ستكون صعبة جداً في السنوات القليلة الأولى. وقد تقرر أيضاً أن أعود في أيلول. أنا أكره الابتعاد عن هذه البلاد في الوقت الذي ما يزال فيه هذا الأمر موضوعاً في «البودقة». . .

نزلت سوية المياه الطاغية في النهر لكن الصحراء الكائنة في شرق بغداد سوف لا تجف الاّ بعد مرور عدة أشهر. فما تزال بحراً خضماً من المياه الموحلة، وهم يحفرون الآن مجرى كبيراً لتصريفه الى نهر ديالى جنوبي بغداد.

12 نيسان

جرى لي في صباح هذا اليوم حديث ممتع جداً مع رجل دين من كردستان ـ الشيخ حسن. لقد جاء للمداولة بشأن القضية الكردية. ومع ان الأمر قد يبدو مضحكاً عند السماع، فأني اعتقد بأننا اذا ما تركنا، هو والملك وانا، نعالج المشكلة لوحدنا، مع السر هنري والمستر كورنواليس لإبداء المشورة، نستطيع تسويتها بصورة مرضية.

وكان الملك في الوقت نفسه (هذا سري جداً) يحاول الاتصال بالعلماء الشيعة، بصورة مغلوطة وبخلاف مشورة أحسن اصدقائه، بما فيهم رئيس وزرائه. لقد لعبوا اللعبة بأعمق ما يستطيع هو ان يلعبها، وفي صباح هذا اليوم الصقت في جامع الكاظمين فتوى تحرم الدفاع عن

العراق ضد الاتراك. وجيء لي بنسخةٍ منها في ساعة مبكرة من الصباح. فالمشكلة الآن ماذا يجب على الحكومة العراقية ان تفعله. ان المستر كورنواليس يرى انهم يجب ان يرحلوا المجتهدين الموقعين على الفتوى الى ايران ـ انهم كلهم من رعايا ايران (!) غير ان هذا قرار خطير. ليت الملك قد ترك الأمور لشأنها ولم يتدخل. وبدنو أجل رمضان، والانفعال الديني الذي يسببه قد تكون الأيام القليلة القادمة خطيرة.

كانت هناك في الليلة الماضية حفلة عشاء فخمة اقامها الملك على شرف السر پيرسي. وكان من المفروض ان تكون الليلة أول ليلة من ليالي رمضان، ولذلك منع المشروب بجميع أنواعه ـ لكن القمر الفتي صادف ان كان محتجباً وراء غيمة من الغيوم، ولذلك كان بوسعنا ان نتناول الشمبانيا لنجعل المناسبة على درجةٍ أقل من التجهم. وكان من الصدفة ان تكون عندي مبادئ حمى بمقدار يكفي ليجعلني غير متأكدة تماماً من اني كنت أقف على رأسي أم لا، وبينما كنت أرتجف بقشعريرة كان الجو لطيف البرودة. فقد كنا نتناول العشاء في مقصورة الملك الجديدة، وكانت الأبواب كلها مفتحة على الحديقة. فلم أقض أمسية متطاولة مملة مثل تلك الأمسية، غير أني أصبحت على أحسن ما يرام في اليوم التالي.

وأقام عددٌ منا في الليلة الماضية حفلة راقصة لليدي كوكس ـ أظن انها كانت فظيعة فأني لا أحب الرقصات التي يرقصونها ولا أرقصها. اما الموسيقى التي يرقصون عليها فقد كانت موجعة على ما اعتقد.

لقد طردنا الأتراك من حدودنا الشرقية، والأمل ان نجعل العرب يتخذون ترتيباتهم اللازمة هناك مع الأكراد. واذا ما حصل ذلك فأني في الحقيقة سأعزو بعض الفضل لنفسي ولو مرة واحدة.

ترامى الى سمعنا ان قرار مجلس الوزراء سيجعل مفعول المعاهدة يسري لمدة أربع سنوات، ومما ينافي الطبيعة ان نجرب اقامة شيء

يتوقف على كوننا موجودين هناك بالقوة، فضلاً عن أننا ليس لدينا شيء نبني عليه ما نريده مع الرؤساء الأكراد المتوحشين. ان المادة المتيسرة بأيدينا، على ما يقول جعفر العسكري، «مادة ملعونة» فهم كلهم رجال دين نصف مثقفين ونصف جياع ـ متوحشين على كل حال ويكره كل فرد منهم الآخر كما يكره الشيطان. فكيف سيكون بوسعنا ان ننشئ دولة كردية؟

24 نيسان

ذهبت الى الحلة لأبقى فيها ليلة واحدة في اليوم الرابع عشر، مع الميجر ويلسن والدكتور هرزفيلد[1]. وقد بتنا عند المستر لونغريغ[2] تلك الليلة، وركبنا السيارة في اليوم التالي فذهبنا شرقاً لنتفقد الحفريات في ڤيش. وهنا وجدنا المستر ماكي قد اشتغل كثيراً في أحد التلول ـ التل الذي حصلت له الرخصة من أجله ـ لكن المؤكد هو ان هذا التل لم يكن أقدم قسم من أقسام ڤيش ؛ لأن ذلك القسم يقع الآن مطموراً تحت تل آخر على بعد ميل واحد. والتل الثاني هذا مغطى بآجر قديم جداً مسطح ـ مقعر وبخزف قديم جداً كذلك. وانا عازمة على أن استحصل له الرخصة المطلوبة ليقوم ببعض الأعمال التمهيدية فيه.

---

(1) هو العالم الآثاري الالماني ارنست هرزفلد E. Harzfeld (1879 ـ 1948) اشتهر بتنقيباته في الموصل وسامراء.

(2) هو المستر ستيفن هيمسلي لونغريك S. H. Longrigg مؤلف كتاب (اربعة قرون من تاريخ العراق). والمعروف عنه انه اشترك مع الجيش الانكليزي في الحرب العالمية الثانية برتبة امير لواء. وقد كان مفتشاً ادارياً في الحكومة العراقية سابقاً. أما في سنة 1919 فقد كان حاكم كركوك السياسي برتبة رائد، وفي 1920 كان مستشاراً لمنطقة الكوت. والجدير بالذكر انه هو الذي اقنع سلطات الاحتلال بتقديم المكافآت والهدايا للشيوخ والرؤساء الذين أيدوا السلطة البريطانية خلال ثورة العشرين.

وقد أقام الحاج ناجي في يوم الأحد الماضي حفلة غداء في بستانه للسر پيرسي. ومع اننا في شهر رمضان فقد حضر الوليمة عددٌ من الوزراء ـ لم يصم أحد منهم الاّ ما ندر. فكانت حفلة لطيفة جداً. وقد تأثرت قلبياً من الحزن الذي ظهر على الحاج ناجي عندما ودع السر پيرسي، لكنه لحسن الحظ قد تصادق مع السر هنري (دوبس).

داهمنا الموسم الحار بموجة ملحوظة من حرارته في اليومين الأخيرين، وما تزال الولائم تترى على السر پيرسي. فأقيمت يوم أمس حفلة شاي كبيرة في أحد البساتين ـ أقامتها الجالية التجارية الهندية.. وستقام اليوم وليمة عشاء يحضرها مئتا مدعو، من قبل أهالي بغداد وأنا منهم. وسأكون أنا واحدة من أربعة سيشربون على نخب السرÅپيرسي وصحته، اما الثلاثة الآخرون فهم السر هنري، ونائب مارشال الجو، والكولونيل سليتر. انه سوف لا يستطيع بطبيعة الحال ان يتحدث عن مزاياه.

ان وقتنا هذا على ما تعلمون يقطع أنياط القلب، لأن توديع السر پيرسي يثير الأسى والألم في النفوس.. وقد جرى عندنا في هذا الأسبوع الانتخاب السنوي للجنة المكتبة أنا في رأس القائمة، اما في السنة السابقة فقد كنت الثالثة فيها. انهم لا ينتخبون قط أي أوربي آخر فيها. هذه هي الأشياء التي تجعل من الصعب عليّ ان أغادر البلاد.

9 مايس

... لقد رحل السر پيرسي في الاسبوع الماضي، وجرى له توديع مؤثر... فأية مكانة حصل عليها هنا! أعتقد بأنه ليس هناك انكليزي آخر نفخ الثقة في نفوس أهل الشرق مثله. وكان هو غير مسرور بالمرة لمغادرته البلاد ـ ان خدمة أربعين سنة لا تعتبر شيئاً يمكن ان ينفض بسهولة.

11 أيلول

كنت أشتغل مع جي. أيم. ويلسن في اعداد قانون للآثار بإشراف المستر دراور الكريم. لقد حاول وزيري ياسين باشا ان يعجل في سن قانون وضعه هو حينما كنت في الخارج[*] ـ انها حيلة وضيعة. ومن حسن الحظ ان هذا القانون كان يحتوي على سخافات كثيرة بحيث كان من السهل تبيان عدم امكان السير بموجبه[1].

كان نوري باشا يتغدى عندي. انه أحسن أصدقائي هنا، مع أنه لا يعد بحالٍ من الأحوال نموذجاً للفضيلة أو النزاهة السياسية. وهو نفسه على علمٍ بذلك ـ أحسب أنه لا يتمالك نفسه أن يعرف أنه يشرب ويتصرف بحماقة في كثير من الأحيان. لكنني أوده لأن المرء لا يجد صعوبة في جعله يفهم وجهة نظره، ويحترمها حتى اذا كان يعمل بخلافها.

(*) هذه رسالة المس بيل الأولى بعد ان عادت من عطلة ثلاثة اشهر قضتها في انكلترا.

(1) ان قانون الآثار الذي صاغته الآنسة بيل كان هدفاً لدراسة ياسين الهاشمي، وقد طالب بادخال بعض التعديلات عليه، فمثلاً لم توضع في القانون المذكور الأحتياطات اللازمة لمراقبة الآثار عند التنقيب. ولما سأل الآنسة بيل عن ذلك، أجابته ان الاعتماد في ذلك يتوقف على شرف المنقبين. ولما لم يكن ياسين واثقاً من شرف هؤلاء، عرض على مجلس الوزراء اقتراحاً أوضح فيه بأن كل الجماعات التي اشتغلت بالتنقيب عمدت الى تهريب الآثار والمتاجرة بها، وطالب بمنح الوزير المختص صلاحية اجراء المراقبة على اعمالهم.. كما عرض بعض التعديلات الاخرى والمقترحات.. ولكن مجلس الوزراء لم ينظر فيها نتيجة لتدخل الآنسة بيل وادعائها بأنها متناقضة، وسعى الهاشمي مرة أخرى في تقديم مقترحاته في تموز 1923 (خلال غياب الآنسة بيل) عندما أيقن ان المجلس سيسنده، وبالفعل نجح هذه المرة عندما وافق المجلس على مقترحاته بجلسته المنعقدة في 5 تموز 1923 وقد صيغت مقترحات الهاشمي في قانون مؤلف من ستة ابواب ومواد مختلفة.

17 ايلول

... كان الترحيب الذي قابلني به كبار رجال القبائل شيئاً مؤثراً. فقد جاء عدد منهم حتى من الديوانية البعيدة لزيارتي، وليس هناك مجال للشك على ما أرى بأنهم قد فرحوا بعودتي. وأني ليساورني الخجل عندما أراهم يضعون ثقتهم العظمى بالفرد منا، في الوقت الذي لا يتمكن احدنا من عمل شيء مهم لهم في الحقيقة. فهم يثقون بنا اكثر مما يثقون بأبناء جلدتهم، ويظنون ان قوات بريطانيا العظمى المحتشدة من ورائنا هي تحت تصرفنا بالكلية، لاسيما في كل ما يختص بشؤون العراق...

18 أيلول

آمل ان يعيدوا جعفراً الى وزارة الدفاع(*) انه موالٍ جداً لنا وللملك معاً، ولديه قدرة على رؤية الأشياء وفقاً لعلاقاتها الصحيحة أو أهميتها النسبية أكثر من معظمهم. غير انه من رجال الملك بالكلية ولا يعترض على أمرٍ يصدر منه مهما كان سخيفاً، ولهذا السبب لا يمكن ان يعتمد(**) عليه في مجلس الوزراء. انهم كلهم تقريباً من هذا القبيل، عدا واحداً أو اثنين (أحدهما ساسون) يؤيدان رئيس الوزراء ضد صاحب الجلالة، مع ان رئيس الوزراء هو الذي يلتزم على الدوام الطريق الصحيح والموقف الجريء.

ينبغي ان أقول لكم، بمنتهى الكتمان، ان جلالته بذل قصارى جهده في اخبار الناس بأن قضية المجتهدين سببها نحن وحكومته، ولم

(*) لعلها تشير الى أن وزارة الدفاع كان قد اشغلها نوري السعيد وكالة في الوزارة السعدونية الأولى هذه، وقد ثبت بتاريخ 25/ 10/ 1923.

(**) لا يمكن للانكليز أن يعتمدوا عليه.

تؤخذ موافقته عليها. انه يفكر على الدوام بأنه سيحصل على رصيد «اذا ما تصيد بكلاب السلق وركض مع الثعلب»(*) . فقد حافظ على اتصال وثيق بالعلماء الذين أخرجوا الى أيران. وأخبر السر هنري بما كان يفعل، لكنه لم يخبر وزراءه الى ان ظهر في الحدود واحد أو اثنان من صغار تلك الفئة وطلبا السماح بالعودة الى البلاد. فكان رئيس الوزراء ضد الطلب، لكن جلالته حمل الوزراء على تمشيته.

كان الترحيب الذي لقيته من أبناء العشائر شيئاً مؤثراً جداً.. فهم يثقون بنا ثقةً لم يضعوا مثلها بأبناء قومهم قط، ويعتقدون بأن قوات بريطانية العظمى تتركز تحت تصرفنا برمتها في كل ما يتصل بالعراق. على ان الملك مطلع على الوضع اكثر منهم، انه على علمٍ بالشيء القليل الذي نفعله نحن كحكومة. وهم الآن يناقشون فقرات «الاتفاقية العسكرية» التي تعتبر جزءاً من المعاهدة. لقد قرأت الوثيقة، انها تحتوي حصراً على وصايا ونصائح للعراق مصاغة بكلمات خشنة بالنسبة لما يجب ان يتجنب فعله. وليس هناك ولا كلمة واحدة عما سوف نفعله «نحن» باستثناء ما فيها من اننا سوف ننقص قواتنا بسرعة كلما سنحت الفرصة! وليس هذا شيئاً سهلاً يعرض على المجلس التأسيسي. ان الانتقادات التي تتراقص في فكري سوف تخطر ببال أعضاء هذا المجلس من دون شك. أنا أعلم بأننا لا نستطيع تغيير جوهر الاتفاقية لكن صياغة الكلمات يجب ان تتصف بمزيد من الاعتدال، ولا يبدو ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تدرك هذا بالمرة. وانما تصر بوجهٍ مشابه على ان نشتري (أي الحكومة العراقية) سكك الحديد القديمة من مدخولاتنا الجارية، وهو أمرٌ يصعب جداً تنفيذه. اذ كانت هذه السكك قد انشئت لاغراض عسكرية، ومن

(*) مثل انكليزي يضرب لمن يلعب على الحبلين.

المعقول جداً ان تعتبر جزءاً من نفقات الحرب(*) .

25 أيلول

. . . وصلت أثاث الملك المرسلة من محلات «وورنيغ» و «غيلو» فكانت اقل ضخامةً مما كنت انتظر، لاسيما وان بعض العراقيين عندنا ثقال في وزنهم. . .

وفي مساء السبت أقيمت حفلة عشاء فخمة في البلاط على شرف

(*) نصت احدى الاتفاقيات الملحقة بالمعاهدة على وجوب تسلم العراق للسكك الحديد. وكانت قد انشئت لاغراض عسكرية خلال الحرب من مواد قديمة مستعملة، ثم انتقلت ملكيتها وادارتها الى حكومة العراق فتولت اعمالها مدة ثلاث سنوات بخسارة جسيمة. وحينما سلمت الى حكومة العراق في 1923 ظلت تدار بأيدي اجنبية في الغالب، وتستهدف ادارتها مصلحة الانكليز قبل غيرهم. وقد قدرت قيمتها بأربعمائة وثماني وخمسين لك روبية، وبعد مداولات كثيرة تم الاتفاق على ان تكون قيمتها النهائية مئتين وخمسة وسبعين لكاً من الروبيات، أي (000ر734ر1 باون استرليني)، وذلك في الوقت الحاضر الذي لم تكن ميزانية الدولة العراقية كلها تتجاوز ثلاثة ملايين باون.

ومع ان ملكية هذه السكك قد اصبحت للعراق فقد أتخذت التدابير في المعاهدة لابقائها انكليزية، تعمل لمصلحة الانكليز في الدرجة الأولى، فقد اشترطت ان يبقى مديرها العام انكليزياً، وان تبقى اصوات العراق أقلية في مجلس ادارتها، وجعل تسديد قيمة السكك بالنسيئة حتى ولو كان من الممكن ان تدفع صفقة واحدة. كما جعل لمجلس الادارة هذا، بأكثريته البريطانية، الحق وحده في الاستدانة من أجل شؤون التحسين والترميم وتمديد الخطوط، وتسديد الديون. وقد تحتم على الحكومة العراقية ان تستخدم الموظفين البريطانيين للسكك بعقود لا تقل عن ثلاث سنوات، ولا تنتهي الاّ بموافقة الحكومة البريطانية. وعلى هذا بقي المبلغ الذي اشتريت به السكك ديناً على مجلس ادارتها سنين طويلة بأمل ان يسدد من وفر الميزانية العائدة له. لكن مجالس الادارة المتعاقبة، والمديرين العامين المتتالين، واخصهم الجنرال سميث، تقصدوا عدم ابقاء أي وفر في ميزانية كل سنة، وظلت فوائد المبالغ تضاف الى الدين الى ان حسمت المشكلة نهائياً خلال الاربعينات.

تبوء السر هنري (دوبس) منصب المندوب السامي في العراق. وقد جلست بجنب الأمير زيد الذي بعث لي في صباح اليوم الثاني باثنين من «خنازير غينية» على سبيل الهدية ـ وعندما وضعتهما في القفص الموجود في حديقتي شعرت كأني عدت الى أبعد أيام طفولتي... وقضينا في الليلة الماضية ليلة مؤنسة، لأن السيد هاشم نجل النقيب دعاني مع المستر طومسن والمستر كورنواليس لتناول العشاء في بستانه بالترجمانية ـ بعيداً بالقرب من ديالى ـ وكان الهلال في أتمه فاستلطفنا الذهاب الى هنا بالزورق البخاري، وقد استقبلتنا برودة البستان الهادئة عند وصولنا اليها. ثم تناولنا العشاء فوق السطح تخيم فوقنا أشجار اليوكاليبتوس المعروفة، بينما كان الهدوء العذب لا تعكره علينا سوى نبرات الحديث الهادئ...

نحن نعاني الآن مقداراً غير قليل من المشاق في تعاملنا مع وزارة الأوقاف بالنسبة لشؤون مكتبتنا(*) . فقد أصبحت حالتها المالية مزرية، ولا يمكنني أنا ان استمر على الكفاح من أجل استحصال المال لها، ولذلك فكرنا في الإرتماء في أحضان الأوقاف، ونحن نتداول الآن مع الوزير في الموضوع بعد ان حبذ الاقترح. وبحثنا الأمور بصورة مطولة في احدى جلسات لجنة المكتبة يوم أمس، ثم ذهبت لزيارة ميتا عبود السيدة المسيحية المثرية. وهناك حضر مسيحي مسن ذائع الصيت من أعضاء لجنة الانتخابات المركزية، فجلسنا نتحدث حتى أزف وقت انصرافي.

انكم بلا شك تعلمون أني أحب العيش هنا، وأود من الصميم أن أكون في وسط عالم العرب هذا على ان تكون علاقتي به مثل ما هي عليه الآن، لكني اعترف حتى في الوقت الحاضر أني قد تمر بي لحظات أعجب فيها بمقدار انغماسنا في هذا العالم ـ عندما أجيل الطرف مثلاً

(*) مكتبة السلام.

في مائدة غداء الشيخ علي(*) فأجد حولي جميع هؤلاء المعمرين!

1 تشرين الأول

جرى لي حديث حول مشكلة الآثوريين مع نوري. لقد قام عرب الموصل بهرج ومرج فظيع بمناسبة عودة بعض الآثوريين، بعد ان جعلوا طريقهم عبر استانبول وسورية. وكلهم يأتون في الأصل من كتلة الجبال الخاضعة في الوقت الحاضر للأدارة العراقية، مع أنها خارج حدود معاهدة سيفر. وهي القطعة التي نريد استردادها من تركية، أولاً لأنها تكون حصناً منيعاً، وثانياً ان شرفنا لا يسمح لنا بترك الآثوريين يعودون الى ربقة الحكم التركي. . ويصرح الآثوريون بأنهم سيهاجرون بمجموعهم بدلاً من أن يقتلهم الاتراك. وهناك في الوقت نفسه شيء غير يسير من المرارة بين العرب والآثوريين بسبب شبانة الآثوريين في الدرجة الأولى، على ما اعتقد. لقد كان من غلطات السر پيرسي كوكس القديمة ان ينشئ قوة في داخل البلاد يديرها ضباط من عندنا فقط. وقد عمل الضباط الانكليز على جعل الشقة في وضع اسوأ بتذكير الشبانة دوماً بانهم جنود بريطانيون طيبون وليسوا عرباً صغاراً قذرين[1]، وهي نقطة ألفت نظر السر هنري اليها باستمرار. ولذلك فليس أمام الآثوريين من بديل سوى ان يكونوا على وئام مع العرب، واذا لم يتدخل ضباطنا في الأمر فأنهم سيفعلون ذلك في النهاية.

ويزداد عملي في المكتب لذةً وأهميةً. لقد أصبحت جميع المشاكل العشائرية في يدي الآن. والنتيجة هي ان جميع الشؤون المتعلقة بأبن سعود والغزوات التي تشن في الجنوب، او التي تتعلق بالنزاعات

(*) لعلها تقصد الشيخ علي الشيخ عيسى (من أسرة الكليدار في الكاظمية) أحد القضاة ممن عرف بكونه كان على أتصال بالمس بيل.

(1) رغم مزاعم الآنسة بيل بخدمة القضية العربية، وحب العراق، فانها كانت دائماً تنسى نفسها وتفقد السيطرة على عواطفها، فتسب العرب بالفاظ نابية.

العشائرية عبر الحدود الفرنسية، ترفع من قبلي الى صاحب الفخامة مشفوعةً باقتراحات عما يجب ان يتم بشأنها، مثل تحرير رسائل الى الجنرال ويغان[1] وما أشبه. وهذا شيء ممتع لأني اعرف عن القبائل اكثر مما يعرفه أي شخص آخر في دائرتنا. وآمل ان يجد كيناهان كورنواليس تحسناً ملحوظاً في الطريقة التي نعالج بها الوثائق المختصة بهذه المواضيع، حين تأتي الينا من وزارة الداخلية.

أقوم أنا و جي. أيم. ويلسن برسم شعار لصاحب الجلالة! لقد طلبت من المتحفة البريطانية مراجع عن تواريخ شعارات النبالة الشرقية. وهناك في الحقيقة كثير من المتعة التي يمكن ان يحصل عليها المرء من دولة فتية.

13 تشرين الأول

وافق السر هنري على مقالي الذي كتبته الى «المائدة المستديرة[2]»، ولذلك سأبعث به الى السر پيرسي في البريد القادم. أظن انه قد يكون جافاً، لكنه على كل حال يشرح وجهة نظرنا تماماً، ويعتبر قصةً مشجعة. حضرت مساء الجمعة دعوة العشاء العائلية الأنيقة جداً في بيت رئيس الوزراء[*] . وقد حضر الحفلة ايضاً وزير العدلية[**] وزوجته. وكانت النساء جميعهن تركيات من استانبول، لا يستطعن التكلم بالعربية الاّ بالكاد ـ ان زوجة محسن (السعدون) لا تتكلمها مطلقاً، لكن زوجة أخيه وبناتها الجميلات قد تعلمن قليلاً منها. وكانت زوجة نوري ترتدي فستاناً

(1) هو مكسيم ويغان M. Weygand (1867 ـ 1965) وكان في أيام الآنسة بيل - وهي تكتب رسالتها ـ مندوب فرنسا السامي في لبنان وسوريا.

(2) اشارة الى Round table المجلة المعروفة في لندن.

(*) كان رئيس الوزارة عبد المحسن بك السعدون.

(**) كان وزير العدلية ناجي بك السويدي.

جميلاً من «الكريب دي شين» الأزرق، فكان مقبولاً جداً وجذاباً...

وترتب علي في ذلك اليوم ان اشتغل ثماني ساعات كاملة في تسويد رسالة رسمية كلفني بكتابتها له السر هنري، وهي تكاد تكون تقريراً شاملاً، حول القضية العراقية برمتها يكتب من أجل مفاوضات الحدود. وقد سررت جداً بتكليف صاحب الفخامة هذا، وكنت ملتذة بكتابتها الى أقصى حد. أضف الى هذا انها أدخلت على نفسه السرور وسوف تعرض على الملك ورئيس الوزراء...

كنت في الأيام الأخيرة اقضي معظم أوقات الدوام في وزارة الاشغال لأننا عازمون على تأسيس متحف عراقي، لكنها بداية على كل حال...

30 تشرين الأول

يبدو ان السر هنري يقضي وقتاً ممتعاً في الموصل. لقد وقف وقفة رجل وقال لهم أن المعاهدات ليست في نظرنا وريقات عادية، وعليهم ان لا يخشوا شيئاً من نتائج المفاوضات حول الحدود 00 وقد وجد الملك أيضاً ان البعض من وطنييه المفضلين كانوا يقومون بمخابرة الأتراك، كما كنا نقول له دوماً، فوبخهم. انهم يكتشفون بالتدريج ان المناوئين للبريطانيين هم بدون استثناء ميالون للاتراك، وقد فتح هذا أعينهم فتحاً غير يسير.

31 تشرين الأول

لقد أثار جلالته في هذا اليوم أزمة وزارية، كعادته من وقتٍ لآخر.ان الوزارة بصورة عامة من أحسن الوزارات التي يمكن ان يحصل عليها، وان ظلامته ضدها هي ظلامة غير معقولة في الدرجة الأولى. انه سيتعشى معي هذه الليلة ـ أخشى ان يتكدر لأن كورنواليس، وهو أحد الضيوف أيضاً، يجري حديثاً معه في الوقت الحاضر.

1 تشرين الثاني

كانت حفلة العشاء في الليلة الماضية حفلة ناجحة جداً. فقد تبددت الأزمة الوزارية، اذ سحب الكل جميع ما كانوا قد قالوه بألطف الطرق وأظرفها، وكان الملك مبتهجاً. لقد قضى في الحقيقة يوماً ممتعاً ـ أزمة من الحجم الأول، ومن ثم عشاء معي! ولعبنا «لعبة القطار» (شمن دي فير) بعد ذلك ـ يؤسفني أن أقول ان جلالته لم يربح، لكنه لم يخسر كثيراً.

7 تشرين الثاني

كنت مشغولة جداً من الناحية الاجتماعية على ما يبدو. فقد افتتحنا مدرسة الآثار الأمريكية رسمياً في صباح الجمعة. لكنها في الحقيقة ليست مدرسة بكل معنى الكلمة بعد، لأنه ليس هناك مال ولا مدير ولا أي شيء آخر لها. وانما تعرفت على رجل لطيف يدعى الدكتور هيويت، وهو مدير المدرسة الأمريكية في المكسيك، وقد جاء يزورني مع زوجته في المساء... ولما كان الجو يوم الأحد بديعاً ركبت حصاني في الساعة العاشرة وقصدت الفحامة، على بعد عشرة أميال من شمال بغداد، لأرى فائق أفندي أحد اصدقائي القدماء. فحياني بذراعين مفتوحتين، وأصرّ على تقديم الغداء، فكان غداءً يتألف من «اليخني» واللبن والبرغل وهو نوع من الحنطة المجروشة. والى أن أعدّ الغداء تمشينا بين النخيل في البستان، وقص عليّ رحلته الأخيرة الى سورية لتفقد ولده[1] بالجامعة الامريكية ببيروت، وقد سافر الآن للدراسة في انكلترة. كتبت الى الاستاذ دنيس روص[2] عنه...

14 تشرين الثاني

ان أخبار حل البرلمان البريطاني لتملأنا كآبةً وجزعاً. . أخشى ان

---

(1) وهو السيد باهر فائق.

(2) هو ادوارد دينيسن روس E. D. Ross (1871 ـ 1940) مستشرق انكليزي، اختص بالدراسات الفارسية وتولى تدريسها في جامعة لندن خلال 1896 ـ 1937.

تهزنا تلك الأخبار هنا أيضاً، لاسيما انها تصادفها حصول أزمة وزارية عندنا. فقد قرر الملك في الاخير ان يجعل الوزارة تستقيل. نحن نعتقد كلنا بأنه مخطئ، غير انه يجب الاعتراف بوجود اخطاء في كلا الجانبين. اذ يشك الوزراء في أنه يريد التدخل في أعمالهم - وهو ما يفعله حقاً - فيضعون أنفسهم بكل بلادة في موضع مغلوط برفضهم تزويده بالمعلومات التي هو محق في طلبها تماماً. ولذلك سوف أكون مسرورة حينما يكون لنا دستور، وعند ذلك سوف لا يتمكن الملك من ان يزعزع الوزارات حينما يكون قد ملّ منها. ان جلالته يعتقد بانه يستطيع ان يمد يد المساعدة لهم ولا يفعل ذلك. اما انا فبوسعي دوماً أن اقنع ساسون بما أريد، كما تعرفون. والحقيقة انا لا أفعل هذا، لأني غضبى.

ركبت يوم الاثنين لأتفرج على الجيش العراقي يلعب الكرة والصولجان (بولو). لقد كان الملك هناك فجلست في سيارته وحاولت اقناعه بعدم اسقاط الوزارة - فكان ذلك عبثاً.

21 تشرين الأول

تشكلت وزارة(*) جديدة برئاسة جعفر باشا. وقد بقي نوري في وزارة الدفاع، لكني اتمنى ان ينتخب عبد المحسن بك رئيساً للمجلس التأسيسي. تدخلت لأثنيهم عن استيزار شيعي(**) خبيث كنت على علمٍ بأعماله وحركاته منذ 1918 فلم أجدها حسنة.

(*) صدرت الارادة الملكية بتشكيل الوزارة العسكرية الأولى هذه في 22/ 11/ 1923 على النحو الآتي: جعفر العسكري للرئاسة، نوري السعيد للدفاع، علي جودت للداخلية، صبيح نشأت للأشغال، عبد المحسن شلاش للمالية، أحمد الفخري للعدلية، محمد حسن أبو المحاسن للمعارف، صالح باش أعيان للأوقاف.

(**) لعلها تقصد العلامة الشيخ عبد الكريم الجزائري، أو سماحة السيد محمد علي بحر العلوم وكان من اقطاب جمعية (النهضة الاسلامية) السرية في النجف التي كانت سبباً في نشوب ثورة النجف في 1918.

يظهر ان وجودي وجود مرح(*) متطاول. ويعتبر عملي شيئاً مؤنساً أيضاً - ليتكم تطلعون على الكتب الخطيرة التي أكتبها الى المندوب السامي الفرنسي في سورية وسائر الشخصيات الكبيرة! ويلاحظ ان الفرنسيين في وضع سيء في سورية، حيث يتصاعد الشعور المعادي لهم. واننا نسلك مسلكاً سيئاً في فلسطين - وعبد الله في شرقي الأردن هو في حالةٍ أسوأ. أظن انه سيطرد في يومٍ من الأيام، وهو يستحق ذلك. لقد سحب جميع رواتب موظفيه المدنيينَ في أول سبعة أشهر من السنة، لأنه يبذل المال في منح مساعدات يقدمها للشيوخ، وهذا يثير دافعي الضريبة الذين يستثنى الشيوخ من بينهم.

29 تشرين الثاني

ان أهم ما عندي من أخبار وصول الليدي دوبس. فقد ذهبنا بأجمعنا يوم الجمعة لاستقبالها في المحطة فوجدنا أن صبيح بك قد أعد من تلقاء نفسه استقبالاً أنيقاً لها، اذ فرش السجاد على الارض وأحضر حرساً من الشرطة، كما حضر مرافق الملك وجميع الموظفين. مسكينة الليدي دوبس. لقد اندهشت من ذلك. وكانت صحبتها بنت عمها الصغيرة المس ميلر وهي بنت متيقظة ذات عيون لماعة جداً. لقد أخذت تدرس العربية بكل ما عندها من جهد. وبعد ان انتهى الاستقبال قفلت مسرعة الى البيت - وصلت في الثامنة بعد الظهر فوجدت في الحديقة رؤساء البادية وكانوا على موعد معي - كنت قد اتخذت الترتيبات لتصويرهم. وهم عودة أبو تايه(**) ، ونوري الشعلان ند فهد بك في الشام، وعلي

(*) ان ما يلاحظ في حياة المس بيل خلال هذه الفترة بصورة بارزة هو أنها، بالاضافة الى أعمالها في المكتب عبارة عن حفلات وغداء وعشاء وشاي وعشاء وصيد متتالية، يضاف اليها التفرج على لعب البولو وسباق الخيل مع السفرات والمزاورات الاجتماعية. ولابد ان هذه كانت تأخذ ساعات طويلة من وقتها كل يوم.

(**) عودة ابو تايه هو شيخ الحويطات في شرقي الاردن المشهور، وقد اشترك في الثورة العربية مع الامير فيصل ولورنس.

السليمان شيخ الدليم.

كنا كلنا فرحين يوم السبت لأن الوزارة(*) قد استقر أمرها في الأخير استقراراً مرضياً... وأخذت الأمور تسير سيراً حسناً لا يصدق...

29 تشرين الثاني (ب)

عاد الكابتن كلايتون يوم السبت، ووصل لايونيل سميث أيضاً(**) . . تكاد الأمور تسير سيراً حسناً لا يصدق. لقد قابل الملك قبل أيام وفداً شيعياً كبيراً يتألف كله من وجهاء الشيعة في بغداد والكاظمية وأبدوا له ان الطائفة الشيعية قد ادركت الخطأ فيما تتبعه من اساليب، وهي مستعدة الآن لدعم المعاهدة واتصال العراق ببريطانية في السراء والضراء(!!)

وحدث شيء آخر يلفت النظر. فقد وضعت القوة الجوية الملكية يدها في البريد على رزمة رسائل مهمة مبردة من المجتهدين في ايران الى وكلائهم هنا، تقول أن جلالته كان قد وعد بأسقاط وزارة عبد المحسن السعدون وتشكيل وزارة شيعية يرأسها رئيس شيعي، وبأعادة المجتهدين الى البلاد، ورفض المعاهدة. فلم يثقوا بوعده لكنهم أرفقوا طي الرسائل فتوى موقعة ومختومة تنص على ابطال تحريم الانتخابات على أساس أن جلالته قد نفذ التعهدات المذكورة. وكان المطلوب اطلاعه عليها، وعدم نشرها وتوزيعها حتى يكون قد قام بدوره، ونحن لا نستطيع ان نتصور كيف وثق مرسلوها من أيداعها في البريد. فقررنا ان يأخذها السر هنري الى جلالته ويعلق عليها بقوله ان جلالته مع أنه كان قد قال لصاحب الفخامة انه كان يلعب على المجتهدين ويشغلهم، فأنه قد ذهب بعيداً في هذا الاتجاه الى حد الخطر وسلم لهم سلاحاً يستعمل ضده. فتقبل

(*) راجع الهامش في أسفل رسالة21/ 11/ 1923.

(**) عين مستشاراً لوزارة المعارف.

جلالته هذا بانشراح وهو يقول أنهم قد بالغوا في معروضاته عليهم، لكنهم يمكن ان يتركوا الآن «لينطبخوا في مرقهم» من دون ان يخشى شيئاً منهم. وسيتوقف عن التفاوض معهم.

... كنت أتناول الشاي مع الملك قبل أيام، وكان هو يجلس في حديقته بالقرب من النافورة بلباسه العربي الكامل، الأبيض والذهبي الخاص بأمراء مكة. وكان يجلس الى جانبه على حافة النافورة الحجرية ثلاثة من أكبر شيوخ البادية: نوري الشعلان، المتجهم العبوس، بكفيته الحمراء التي تغطي ذقنه وفمه، وعجيل الياور بطوله البالغ ستة أقدام وأربع بوصات وجسمه الضخم وبيديه الطويلتين الدقيقتين وهو يمسك بمسبحة كهرب ويتلألأ وجهه بابتسامته الحلوة البطيئة، وعلي السليمان الشيخ الفلاح القوي الذي تسمع كلمته على طول الفرات من الفلوجة الى الحدود[*] . وكان يتمايل في كل مكان من حولهم، فوق حافة النافورة، وفي ألواح الحديقة وتقسيماتها، الآذريون (الماريغولد) الذهبي والبرتقالي - موجات فوق موجات منه، «الداوودي»[1] الابيض والاصفر من فوقها، وكلها يضاهي ملابس الملك البيضاء الذهبية. وقد تحدثنا كثيراً أيضاً، عن البادية في كفاحها من أجل الدنيا. وكان نوري يحاول اقناع الملك باعادة احتلال الجوق له، وهي التي يسيطر عليها ابلن سعود في الوقت الحاضر اما الملك ولم يكن هنا ما يجعله يود نوري لانه لا

(*) نوري الشعلان هو شيخ مشايخ عنزة، وأحد المشتركين في الثورة العربية ضد الاتراك بقيادة فيصل، وعجيل الياور شيخ مشايخ شمر جربا في العراق كما هو معروف، اما علي السليمان فهو شيخ مشايخ الدليم الموالي للانكليز على طول الخط. والمس بيل مخطئة حين تذكر إنه كان مسموع الكلمة من الفلوجة الى الحدود في الشمال لأن الدليم الشماليين لم يكونوا على وئام معه، وقد ثاروا على الانكليز في منطقة دير الزور بخلاف رغبته هو.

(1) الآذريون والداوودي من أزهار الخريف المعروفة في العراق.

يتبع الا اليد التي تدفع اليه المال، فقد كان يهزأ به برقة. فقد سأله «الى من تتبع يا نوري؟ اذا أردت الحصول على جواز سفر، هل تذهب الى الفرنسيين أو الى سيدي عبد الله أو الى غيرهم؟ أو هل تعتبر جملك هو جواز سفرك، أم سيفك أم رمحك؟» فلم يستطع نوري النظر اليه واربدّ وجهه شيئاً فشيئاً ثم أحكم لثامه بكوفيته الحمراء. وتبسم عجيل بمزيدٍ من الحلاوة، وضحكت أنا لأن كلينا كان يعرف سوابق نوري.

11 كانون الأول

لقد كسبت صديقاً جديداً، انه الجنرال بورنيت ستيوارت مدير الحركات في وزارة الحرب، وقد جاء ليلقي نظرة على ما عندنا من شؤون تختص به. وكنت أجلس بجنبه حينما تناولنا العشاء في دار مارشال الجو يوم الخميس، فحدثته عن اشياء يجب ان يطلع عليها ـ باعتباره احد الجنرالات ـ طوال الوقت من أول الوليمة الى آخرها...

ان سكة الحديد الجديدة تعبر الفرات من فوق السدة وتمتد بين بساتين النخيل الجميلة المحدقة بكربلاء. وقد وصلنا الى هناك حوالي الظهر في جوٍ بديع واستقبالٍ حماسي. وها اني ارسل لكم مع هذا صورة الملك بعد ان قص الأشرطة، وهو ينتظر القطارات لتدخل المحطة وبجانبه السر هنري، ثم الكولونيل تنش مدير السكك ومرافقو الملك وبعده أنا. وتلاحظون ان العلم العراقي مرفوع فوق الماكنة. ثم انتقلنا الى سرادق صنع من قماش الخيم، وزين بكيفية مبهجة بالسجاد المفروش على الأرض، حيث قابل الملك جميع الوجهاء والشيوخ ـ لقد اضطلع بذلك برشاقة فاتنة. وعلى هذا جلسنا في صفوف، وجلست انا بين صاحب الفخامة والمتصرف عن يمين الملك مع جميع الشيوخ بعباءاتهم البنية، ومع المعممين ببياضهم وسوادهم. وعند ذاك نهض شيعي نحيف

أسود المحيا فألقى خطاباً عن الآمال المعقودة على الملك وأسرته في اتحاد العرب...

وأعقبه كشاف صغير، فألقى قصيدة في تمجيد الملك ثم هتف في النهاية هتافاً مزدوجاً بقوله: يعيش الملك يعيش المندوب السامي. وبعد قصيدة أخرى ألقاها أحد طلاب المدرسة نهض جلالة الملك فرد شاكراً بلطف ورقة، وانهى كلامه بعبارةٍ عظيمة الشأن عبّر بها عن اطمئنانه بالنجاح وهي قوله «لاننا نمشي يداً بيد مع أقوى دولة في العالم».

11 كانون الأول (ب)

كانت نجاحاتنا الاخيرة منطوية في بعض العمليات التي جرت ضد العشائر المقيمة على التمرد وعدم الطاعة بالقرب من السماوة. لقد قصفوا فجاءوا كلهم طائعين. ذهب يوم أمس كورنواليس مع وزير الداخلية بطريق الجو الى هناك وعقدا مجلساً كبيراً عرضا فيه جميع ما يطلب اليهما ان يفعلاه وقالا لهم انهم قد تم العفو عنهم.

استيقظت يوم الاثنين عند انبلاج الفجر وغادرنا بغداد بالقطار مع الملك وصاحب الفخامة ومع جماعة متميزة من الناس، لنرى صاحب الجلالة يفتتح التمديد الجديد لخط السكة الى كربلاء. لقد سافرت الى نصف الطريق في معية الجنرال بورنيت ستيوارت الذي روى لي أشياء ممتعة عن الاحوال في أوربة، ولدى الفرنسيين ـ انه يعتقد بأنهم يقودون أوربة الى الدمار ولا يعرف كيف يجب ايقافهم عند حدهم.

13 كانون الأول

قال المستر كورنواليس وقد عاد من السماوة، أن جانباً حسناً واحداً من الاعداد المسرحي حصل وقت الاجتماع. ففي الوقت الذي اصطف فيه جميع الشيوخ الاشرار وعددهم تسعون في حضور الوزير

خطفت فوق السراي خمس عشرة طائرة بجلبةٍ هائلة! فظن الشيوخ ان ساعتهم قد دنت.

كتبت الى سكوت، وغارفين وغودفري داوسن، أخبرهم بأن مقالاً لي سينشر في العدد القادم من مجلة «راوند تيبل» غفلا من التوقيع بطبيعة الحال. لقد طلبت اليهم ان يلفتوا النظر اليه، وقلت انه مع كونه كُتب بلهجة مشرقة متفائلة فأني لو كنت أكتبه في الوقت الحاضر لأخرجته بمزيدٍ من التفاؤل. فقد جاء الشيعة كلهم الى الطريق، وأحرز الجيش العراقي سمعةً حسنة عند رجالنا العسكريين، وأصبحت الشرطة من الدرجة الأولى بينما تكون الوزارة مثل سابقتها صلاحاً وثباتاً، ويقع الكماليون في حمأةٍ من الخيبة أعمق وأعمق بحيث قال الجنرال بورنيت بأننا ليس لدينا ما نخشاه من تركية، أي اننا يمكننا ان نؤمل بأن تسوى مشكلتنا العويصة في الموصل بالطريقة الصحيحة، وحتى يمكننا ان ندخل منطقة الآثوريين في ضمن الحدود العراقية بشرف مستديم لنا. لقد بينت ان الطريقة المشرفة الوحيدة، وحتى العملية، لأراحة بريطانية العظمى من مسؤولياتها هنا هي أن تسوى مشكلة الحدود العراقية مع تركية وسورية، وتدخل العراق في عصبة الامم حينما ينتهي أمد الانتداب تلقائياً. وسيكون العراق تواقاً لعقد تحالف معنا. فلديه مستشاروه الرئيسيون البريطانيون وقد تعاقد على ابقائهم خمسة عشر عاماً وهو يدفع أجورهم من ميزانيته، وسيكون مسروراً بتخصيص قاعدة جوية لنا اذا أردنا (كذا). ان ما يحتاجه العراق هو المستشارون، وان يكون قادراً على أن يقول للعالم بوجه عام انه يتمتع بصداقتنا ودعمنا له كحليف..

22 كانون الأول

أقامت الليدي دوبس، بأشارةٍ مني، حفلة شاي يوم الخميس للسيدات العراقيات. لقد دعوت زوجات جميع الوزراء اللواتي أمكن

دعوتهن، فكانت حفلة ناجحة جداً. وحينما أنصرف الضيوف شكرتني الليدي دوبس على دعوتهن وقالت أنها ترغب في ان تسترشد بي، ثم أضافت تقول ان السر هنري يقول على الدوام أنه لا يعرف ماذا يمكن ان يفعل من دوني - لأني كنت على درجةٍ كبيرة من المهارة! فتعجبت تعجباً حقيقياً، اذ مع أني اسير معه سيراً حسناً جداً في العمل، لم تكن عندي أية فكرة عن أنه يكن لي مثل هذه العواطف.

31 كانون الأول

. . . ليس هناك حملة (*) جرت في العراق تفوق هذه الحملة في المتعة والابتهاج على ما اعتقد. لقد وجدت السر پيرسي مستاءً بظرافة لاضطراره الى البقاء في بغداد بسبب بعض الواجبات الاجتماعية. ولم يحدث شيء يلفت النظر بصورة خاصة الاّ الآتي: فقد استقر رأيه في الاخير على قصف الشيخ محمود في السلمانية، لأنه كان منهمكاً بحبك الدسائس مع الاتراك، وقد مزج ذلك بمعروضات يقدمها بين حين وحين لاجتذاب أكراد أيران الى جانب الحكومة البريطانية. وعلى هذا انطلق مارشال الجو بنفسه في يوم عيد الميلاد، واضطلع بالمهمة بكل تكتم. اذ حلّق فوق السليمانية على ارتفاع مئة وخمسين قدماً من الارض فقط، وعين دار الشيخ محمود من بين البيوت ثم أسقط عليها عدداً لا يحصى من القنابل، وعاد الى بغداد مهنئاً نفسه على انهاء حياة هذا الشرير. لكن برقيةً وصلت في اليوم التالي من الشيخ محمود يقول فيها بأنه يتمتع بأحسن صحة، ولا يمكن ان يفهم لماذا عمدنا الى قصف السليمانية..

(*) تشير المس بيل بهذا الى سفرة صيد خرجت فيها بمناسبة عطلة عيد الميلاد الى منطقة بابل واستغرقت ستة أيام. وقد اشترك في السفرة كذلك الامير زيد والمستر كورنواليس والمستر ديفيدسن.



الفصل الحادي عشر

1924

3 كانون الثاني

قضيت يوم رأس السنة من العاشرة صباحاً الى الخامسة بعد الظهر في استقبال الزائرين. وقد كان هذا شيئاً متعباً، لكنني شعرت بأني كوفئت على ذلك التعب حينما قال أحد الضيوف «ان عادات الخاتون مثل عاداتنا ـ انها تجلس في بيتها يرم العيد لتتقبل التبريكات»...

3 كانون الثاني (ب)

قضيت يوم رأس السنة في استقبال الزوار من العاشرة صباحاً الى الخامسة بعد الظهر. ثم حضرت حفلة شاي أقيمت في «المقيمية»، وتناولت الشاي في اليوم التالي عند الملك. وكان هناك كذلك أعظم شيوخ العراق عجيل الياور. لقد عاد لتوه مع صبيح بك (نشأت) من «مؤتمر الكويت(*)»، الذي لم يحقق شيئاً كما توقعنا. فلم يبعث الملك حسين، ذلك العجوز، بأي ممثل عنه مطلقاً، وبعث عبد الله برجلٍ مجنون لم يكن بوسع أحد ان يفهمه أي شيء. اما الوفد العراقي فقد برز

(*) كان مؤتمر الكويت هذا محاولة للتصافي جرت باشراف الانكليز ما بين العراق ونجد والحجاز وشرقي الاردن، وكان يقصد به ان يخلص الى عقد اتفاقية تكفل السلم وعدم الاعتداء بين هذه الاقطار. وقد تم الاجتماع في 4/ 12/ 1923.

من بين الجميع وعرض قضيته بتعقل كثير، ثم اقترح احالة المنازعات كلها الى المندوب السامي والمقيم الانكليزي في الخليج ـ أي الى الحكومة البريطانية بتعبير أوجز (!). ولم يشأ وفد ابن سعود ان يأخذ مسؤولية القبول على عاتقه، فعاد للتشاور معه.

انا ممتنة لأن صبيحاً قد عاد الى البلاد اذ نحتاجه حاجةً ماسة في الوزارة، فالآن يمكنني تمرير قانوني الذي وضعته للآثار القديمة. انه يقول ان ابن سعود متضايق جداً في وضعه ـ لا مال عنده، وسنتان من الجدب في نجد، ولا يستطيع ان يجمع شمل عشائره. لقد اصدر الى وفده أوامر مشددة بأن لا يفعلوا شيئاً يغضب البريطانيين. ويعتقد صبيح بأننا نتمكن من جعله يقبل بأية شروط نراها معقولة.

9 كانون الثاني

.. لا اتفق تمام الاتفاق مع ما قيل حول احتمال انطماس المدنية. نحن شديدو الحساسية وكثيرو التحلل، ولدينا وسائط كثيرة جداً نعرض بواسطتها آراءنا للملأ. وقد نشرنا المدنية بطريقةٍ لم يتمكن منها الرومان من قبل ـ فأدى ذلك على ما اعتقد الى غرس كثير من البذور. ومع هذا كانت رسالتكم ملذة جداً. أنا غير آسفة قط لتسلم العمال الحكم، فهم سيتعلمون ان حكم امبراطورية واسعة الارجاء لا يعد شيئاً هيناً، وأمل ان يدركوا انهم يجهلون طبيعة التعاون في العمل كما يجهلون ان الحكومة بقدر ما يتعلق الأمر بالاشخاص، عبارة عن توافق وتراضٍ متبادل دائماً. فليس هناك أحد يمكنه ان يفعل كل شيء وفقاً لطريقته في التفكير تماماً عدا الديكتاتور أو الطاغية، ويستثنى هذا بصورة طبيعية من هذا الاعتبار.

9 كانون الثاني (ب)

أفكر في القيام برحلة صغيرة للمتعة أكون فيها وحيدة في الصحراء. أريد ان أشعر بأني متوحشة مستقلة من جديد بدلاً من أن أكون سكرتيرة في دائرة للمندوب السامي. والحقيقة أني أعجب كيف أتحمل ان أكون متمدنة بهذا الشكل ومحترمة، بعد الحياة التي كنت اعيشها..

13 كانون الثاني

ذهبت مع جي. أيم. ويلسن في رحلة أثرية قصيرة، للهرب من المدينة، الى كيش. وهناك رحب بنا البروفسور لانغدون والمستر ماكي[1].. ومن كيش خرجت وحيدةً الى قرية الخضر، وفيها قصدت بيت المدير[2] فجهزني بحصان وحرس لأركب الى «وركا» وهي «أرخ» العاصمة البابلية العظيمة في الجنوب.. وقد وجدت هناك ان سكان احدى القرى المجاورة كانوا يحفرون في التل الاثري ويستخرجون بعض اللقى، فاشتريت منهم لمتحف بغداد اختاماً واسطوانات ومقداراً من لقى «التيراكوتا» ببضع آنات فقط.. وعلى بعد ساعة من هناك استقبلني الشيخ نصر مع عدد من الخيول فركبت الى «سنكارة».

... ثم شددت الرحال الى أور، فلاقيت وأنا أفحص «تل العبيد» أشد ما صادفت من أحداثي الاثرية اثارةً..

وفي اليوم الثاني، وكنت ما أزال في أور، جاء المتصرف

---

(1) المعروف عن هربرت لانقدون H. Langdon (1876 ـ 1937) انه آثاري بريطاني، اشرف على التنقيبات في كل من جمدة نصر وكيش مدة عشر سنوات متتالية 1923 ـ 1933، أما ارنست ماكاي E. Mackay (1880 ـ 1943) فهو عالم الآثار الامريكي الذي نقب في كيش وجمدة نصر على رأس البعثة الامريكية الانكليزية.

(2) كان عبد الاله أفندي مدير ناحية الخضر يومذاك.

والمفتش (الكابتن كيتل ويَل) من الناصرية لزيارتي. وكان يفترض في المتصرف، وهو شخص يدعى جميلاً المدفعي، ان يكون مسؤولاً عن قتل الضباط البريطانيين في تلعفر(*) ، بالقرب من الموصل، سنة 1920. لكن الدلائل ضده كانت مجرد تقولات، وقبل مغادرة السر پيرسي بغداد اقنعته بأن يسمح لجميل بالعودة الى بلاده. وقد عاد في تموز، حينما كنت في انكلترا، ولما لم يكن في جيبه ولا بنس واحد يقوّم به أوده التحق بالحزب المعادي للبريطانيين. وحينما عدت الى بغداد لم يأت الى زيارتي مطلقاً (انه بطبيعة الحال لا يعرف وسوف لن يعرف الدور الذي لعبته أنا في تقرير مصيره)، ولم يزر كذلك السر هنري دوبس. غير ان كيناهان كورنواليس، ذلك الوسيط العظيم رآه وكانت فكرته حسنة عنه، فعُين متصرفاً قبل شهر في المنتفك، حيث يعمل الآن. وبعد ان تذاكرت معه حول الحفر غير المشروع في سنكارة جرى لي حديث صريح وصميمي للغاية معه، فأرسل بعد الانتهاء منه احتراماته للسر هنري ووعد بأن يأتي لزيارتي كلما قدم الى بغداد. أعتقد بوجه عام ان هذه كانت خبرة تضاهي خبرة «تل العبيد» في اثارتها.

22 كانون الثاني

كنت في يوم الاحد قد أودعت في المتحف جميع ما اشتريته من لقى أثرية(**) . جاء ليتغدى معي الميجر أدموندز، المفتش الاداري في

(*) تشير بهذا الى ثورة تلعفر (1920) والحملة التي ترأسها جميل المدفعي فسار بها من دير الزور حتى وصل الى تلعفر، بعد ان كان أهلها قد ثاروا مع ضباط الشبانة العرب وقتلوا الانكليز الموجودين فيها. وقد قتل في هذه الثورة الكابتن پرلو معاون الحاكم السياسي، والكابتن ستيوارت ضابط الشبانة، ومساعداه السارجنت لاولر والسارجنت ووكر، وقتل كذلك عشرون من القوة الواصلة بالسيارتين المرسلتين من الموصل للنجدة، وكان عشرة من هؤلاء انكليز وعشرة هنود.

(**) وهي اللقى التي جلبتها بعد أن عادت من رحلتها الى كيش وأور والوركاء.

كركوك، وهو رجل لطيف، وجاء لي بقطع من الفخار القيم جداً الذي جمعه من التلول الاثرية في جهات كركوك. وجاء لايونيل سميث للعشاء وليفضي بهمومه ـ ان وزيره(*) لا يحتمل بالمرة ـ وليرتاح منها بحديثي عما حصل للبشرية قبل ستة آلاف سنة. فحينما ترى هذه الاشياء العريقة في القدم لا تبدو مشاكلك مثيرة للاهتمام، غير اني لا اعتقد بأنك تدركها ادراكاً تاماً ما لم تكن ذلك الشخص التعس للغاية الذي هو أنا(**).

30 كانون الثاني

... ذهبت لتناول الشاي عند الملك فاستأثرت بالتفاته المتقلب لمدة ساعة كاملة، رويت له خلالها جميع ما كنت قد رأيته اثناء جولتي التفتيشية.

كنت في هذا الاسبوع أحلل الراتب الذي أتقاضاه، على وجه التأكيد. اذ حضرت لتناول الشاي عندي في يوم الثلاثاء عشرون سيدة، وكنت قد دعوت ثماني وأربعين سيدة، غير ان الباقيات أعاقهن عن الحضور الطين الفظيع، ولا استطيع ان أقول أني كنت آسفة. وكان هذا من اجتماعات «نادي السيدات العراقيات». وبعد الشاي تحدثت لهن عن تاريخ العراق القديم والتنقيبات الحديثة، فأصغى بعضهن ولم يصغ البعض الآخر ـ ليست لديهن عادة الاصغاء والانتباه.

6 شباط

بينما كنت ادخل على وزير الداخلية للتحدث اليه في يوم من الايام

(*) كان وزير المعارف يومذاك الحاج محمد حسن ابو المحاسن.

(**) تعلق المس بيرغوين، ناشرة هذه الرسالة، على قول المس بيل هذا بقولها ان هذه الجملة تعتبر شيئاً رمزياً ما لم يضع المرء في فكره ان المس بيل حينما بقيت غير متزوجة قد فقدت الشيء الوحيد الذي كانت تحتاجه في الحياة.

صادفت في غرفة الانتظار رجلاً سرعان ما وقفت عنده صارخةً: بابكر أغا». أليس هو الرجل الذي تعلو رأسه اكبر عمامة كردية؟ أليس هو الذي يغطي عينه اليسرى بأغلى الكفيات البيض؟ وهكذا عرفته، انه أشهر رجل من رجال الحدود وقف الى جانبنا في السراء والضراء، وفي قضايا الشيخ محمود. ولما كانت سيمائي غير ملحوظة بصفة خاصة لم يعرف من أنا. لقد فوجئ نوعاً ما بحرارة التحية التي استطعت ان ارطن بها بالفارسية، ومع هذا فقد تلقاها بمجاملة رائعة. وحينما خرجت من عند الوزير كان قد أخذ مزيداً من المعلومات عني فأعطاني أحسن مما كنت قد أعطيته من قبل. انه لم يكن قد جاء الى هنا من قبل بطبيعة الحال ـ لم يكن أفراد أسرة بابكر أغا يأتون الى بغداد في أيام الترك، أو اذا كان قسم منهم قد جاء فلم يبق من هؤلاء أحد على قيد الحياة ليقص قصتها الآن. وكان من ديدنه ان يرفض رفضاً باتاً التعجب أو الاندهاش من شيء ـ بغداد مثلاً؟ انها على كل حال موحلة، وقد وقع نظره على أمكنة أجمل منها في جبال الاكراد. السينما؟ ـ لا شك ان هذا النوع من الاشياء يأنس به عامة الناس، ومع هذا فقد ترامى الى سمعي أنه كاد يقع من مقصورته في أحد الايام من الضحك بسبب مشهد يمثل نشلاً مستمراً وقد أخذ يقول «انهم لصوص كلهم» وهو يتفجر بالفرح. ما من شك أنه لم يعد يشعر بالاستغراب فيما بعد لقد جاء معه برجل يُدعى الحاج شيخ عارف من سر كلو، وهو سيد على درجةٍ من النقاوة والطهارة بحيث يندر ان يتجزأ فيأكل أو يشرب شيئاً في هذه البلاد المجهولة أحوالها عنده خوفاً من ان يكون فيه شيء من النجاسة. وقد كاد يموت من الجوع تقريباً، لكنه ذهب الى سباق الخيل حيث ادركه وقت الصلاة بعد الظهر، وعمد الى القيام بواجب العبادة فوق قمة المدرج ـ هذا هو النوع الذي أحبه من الناس.

13 شباط

.. كان في حفلة العشاء التي اقمتها قبل أيام الوزراء العراقيون، والوزراء السابقون، ونيجل ديفيدسون. لقد صرح ساسون افندي الى نيجل بأن الملك يتدخل في شؤونهم بأكثر مما يجب بكثير، وذكر له بعض الأمثلة المثيرة. فظهرت في الحديث مشكلة احتمال عودة المجتهدين من إيران فجأةً على نحوٍ غير منتظر، وانفجروا غاضبين وهم يبدون ملاحظات تلفت النظر بحيث كتبت تقريراً عنها الى السر هنري مع الملك على أنه يستطيعون العودة، ولكن بعد ان يكون المجلس التأسيسي قد اجتمع، وليس من دون أن يقدموا ضماناً مكتوباً بعدم تدخلهم في السياسة او ما أشبه. انا لا اعتقد بأن هذه الشروط ستنفذ. واستدعاني صاحب الفخامة فشرح لي وجهة نظره. لكني بقيت غير مقتنعة، ولما لم أكن أنا المستر فيلبي انحنيت موافقةً على القرار، فتراهنا بخمس روبيات على احتمال وصول المجتهدين الى هنا في ضمن ستة أسابيع. آمل ان أكون مخطئة.

كيف يمنع الملك من التدخل في شؤون الأدارة؟ هذه هي المشكلة. لقد حصل اليوم أمر مروع، نشأ عن أمرٍ أصدره جلالته فأبطل به قراراً من قرارات المحاكم. انه يعد حالة صريحة من حالات تجاوز السلطة التنفيذية على السلطة القضائية، فأتخذ السر هنري موقفاً حازماً منه وأصرّ على أن يعمد الملك الى سحب ما أمر به. انا لم أسمع حتى الآن بتفصيلات المحادثة التي جرت بين جلالته والمستر كورنواليس في صباح هذا اليوم، لكني رأيت الملك بعد الظهر في لعبة البولو العراقية. ولابد لي من أن أقول أني وجدته دائم الابتسام. فقد كان وهو يرتدي أجمل ملابسه العربية يلعب دور «ملك العرب» بأبدع طريقة، وهو محاط بشيوخ(*) القبائل النجدية الذين

(*) انهم قسم من أمراء آل رشيد في حائل بنجد، وقد التجأوا الى العراق بعد أن تحرير ابن سعود ديار آبائه وأجداده وقضى على أسرتهم المتشيخة الى الابد.

فروا هاربين من ابن سعود وقصدوا فيصلاً، فكان ذلك موضع ابتهاجه.

قضيت يوم السبت بعد الظهر، أنا ولايونيل سميث، نتمشى في الأراضي الممتدة في جنوب الكاظمية، حيث كانت تقوم مدينة المنصور المدورة، أي بغداد في أول عهدها. وبمساعدة كتاب(*) هرزفيلد العظيم، وقد قرأته بامعان، عينا الموقع. وليس هنا ما يجب ان يرى في الارض، غير انه وجد فيها فخار عباسي بكميات غير قليلة. ولم يكن في أحد الاماكن غير الفخار، ولابد من انه كان هناك معمل خاص به لأنني عثرت على الأسافين الفخارية ثلاثية الأرجل المستعملة للحجز بين الفخار في أثناء الشوي. وفي يوم الأحد ركبت متجولةً في الموقع لمدة ثلاث ساعات فحصلت على فكرة أحسن عن وضعية الارض.

20 شباط

أنا قلقة جداً لما يقوم به الاتراك في حدودنا الشمالية. انهم يحشدون الجيوش من جديد، ويقول قادتهم بأنهم يعتزمون ان يكونوا في الموصل خلال شهر آذار. لقد أخذت معلومات مفصلة من عجيل الياور، فهو يقيم مع قطعان ابله في البادية غربي الموصل. ان الشيء المزعج في الحقيقة هو ان الفرنسيين في وضع متقلقل جداً من جناحنا الغربي. ومع انهم قلقو البال فهم لا يعرفون بالتمام مقدار ما هم فيه من تزعزع. غير أني أعرف ذلك لأني التقيبت قبل قليل بالميجر ديجبرن(**)، وقد عاد مباشرة الى هنا بعد ان حضر مؤتمراً عقد مع الفرنسيين في دير الزور. وما لا يعرفه عن قبائل منطقته، عاداتهم وتقاليدهم، لا يستحق المعرفة كثيراً، كما لا تحتاج عربيته الى تحسين. أرجو ان تنتبهوا اليّ حين أقول أن هذه الأشياء على درجة من الاهمية وضرورية لدراسة النفسانية

(*) لعلها تشير الى كتاب: Archeologisceh in Euphrat and Tigriogebiet

(**) الحاكم السياسي في الرمادي يومذاك.

القومية. فلا يتكلم الفرنسيون العربية، ومن مبادئهم العامة في الحكم ان لا يكون لموظفيهم الكبار أي اتصال مباشر مطلقاً بالشيوخ الكبار وأنما عليهم ان يتعاملوا معهم عن طريق مرؤوسيهم. ومع جميع ما في هذا من حماقة أو بلاهة لا يمكن ادراكهما فأني احسب ذلك لا خير كثيراً فيه لأن كبيرهم وصغيرهم، جهال بالعربية كلهم. فان الشيخ الكبير المحادد للنهر، مشرفاٍ الدندل(*) ، يضع الفرنسيين في جيبه بسبب ما يدفعه للمترجم الذي يستخدمونه من الفريقين - كان مشرف الدندل مؤخراً يراسل الموظفين العراقيين طالباً السماح له بأن ينزل في داخل الحدود العراقية، حتى انه عبر الحدود وراح يعمل على الاستقرار هناك. على ان أقرب قائمقام له أرجعه الى خارج الحدود. وقد أخذ الميجر ديجبرن النسخ الأصلية لهذه المكاتيب (مكاتيب مشرف) معه واراها للكولونيل أندريه - كنت انا التي أوصيته بأن يفعل هذا. غير ان النتيجة جاوزت جميع التوقعات. فقد اعترف الكولونيل أندريه بأنه كان يشك بنا وبالحكومة العراقية على الدوام، ويعتقد باننا كنا نريد تمديد حدود العراق الى حد الرقة، في شمال دير الزور، واجتذاب شيوخه الى العراق. فأيقن في الأخير بأنا كنا أناساً نزيهين. لقد بين الميجر ديجبرن انه فهم هناك ان ظلامة مشرف من الفرنسيين هي أنهم كانوا يقولون له يوماً بأنهم يعتبرونه شيخ مشايخ القبيلة الاعلى، ويقولون الشيء نفسه لخصمه ابن حفل في نفس الوقت. واعترف الكولونيل أندريه، بخجل تقريباً، بأن الأمر هو كذلك ثم أضاف يقول بمزيد من النباهة ان هذه طريقة الفرنسيين الديبلوماسية في التعامل مع الشيوخ. فخذ بيدنا يا ألهي وأعنا على النظر الى هذه الحماقة الجهنمية بكل صبر. ان الميزة الوحيدة

(*) رئيس العكيدات في تلك الجهات، وقد اشترك في الحملة التي قادها جميل المدفعي من دير الزور وتوجهت لاحتلال تلعفر في 1920.

الموجودة عندنا تجاه العشائر هي الاستقامة الخلقية، لكنهم يملكون جميع الميزات الأخرى.

نحن نعلم، وحتى الفرنسيين يعلمون، بأن مشرفاً على اتصال بالأتراك. وأنا أعلم ذلك لأني كنت منذ 1907 أعرف جميع هؤلاء الناس شخصياً، واعرف كذلك جارهم من جهة الشمال الشرقي، مصطفى باشا الجبوري، وهو من مؤيدي الاتراك الاشداء. انه ينزل في موقع يكوّن زاوية منفرجة طويلة مع خط تقدم الأتراك من نصيبين. ويقطن في شماليه على طول سكة حديدبغداد الأكراد المليون الذين كانوا يكوّنون «نقطة الارتكاز» للأتراك في شمال العراق قبل الحرب، وقد حاربوا من أجلهم خلالها. والجار التالي لهم چچان رأس العين، انهم لاجئون جركس من القفقاس، وهم يؤيدون الأتراك باخلاص وتفانٍ. وفي غربي الفرات حاچم المهيد رئيس الفدعان من قبائل عنزة ـ ان كل الناس يعرفون انه على اتصال وثيق بالاتراك. وهكذا تصور ان مشرفاً الدندل اذا ما أشعل عود الثقاب في حدودنا فان النار ستسري الى نصيبين في الشمال وحلب في الغرب. وعند ذاك يقضى على الفرنسيين ـ فالاتراك لا يحتاجون هنا الى سوق الجيوش، وانما يمكن أن يقوم مقامهم المقاتلون غير النظاميين حينما تكون العشائر كلها متحفزة للقيام، وسيكونون آمنين بالتمام من اية حكومة عسكرية. وهكذا يذهب الفرنسيون ـ فمن يهتم؟ لقد كانوا يستحقون هذا. لكن الأتراك يملأون الفراغ على طول حدودنا ـ هذه هي المشكلة، وهي أسوأ بكثير من كونها مشكلة. لقد رفض السر هنري ان يسمع شيئاً عنها في مبدأ الأمر، ثم دعمت رسالة عجيل الياور بمذكرة خاصة حول المنطقة الفرنسية، فكانت ملأى بالمعلومات المحلية بحيث لم يستطع تجاهلها.

سأذكر لكم مزيداً عن الفرنسيين. لقد ذهب الميجر ديجبرن الى هنا ليرتب تشكيل «محكمة تحكيم» تسوى بواسطتها منازعات العشائر في

جهتي الحدود (يمكنني ان أضيف بهمس بأن هذا أيضاً كان بتحريضٍ وتوجيه مني). وكانت أهم قضية معروضة قضية تمس شرف فهد بك (الهذال) ـ حشم، هذه الكلمة الكبيرة عند العشائر. وعندما عرضت كان قائمقام عانة يشرح الوضع بكل جهدٍ واهتمام، ويتولى الترجمة الميجر ديجبرن. ومن أجل ان يضرب الميجر مثلاً على ذلك أضاف يقول ان تسوية مثل هذه القضايا يصحبها بصورةٍ عامة تقديم بنت باكر الى الفريق المعتدى عليه. غير ان متصرف الدير، وهو رجل عربي من دمشق لم يكن على اتصال بالعشائر مطلقاً حتى الآن، ابتدره يسأل «ماذا؟ ماذا؟»، «تقدم لتقتل» فرد عليه ديجبرن يقول باعتدال «كلا، بل لتتزوج»!!

27 شباط

كانت الحركة التي اشغلت الناس مؤخراً حركة الانتخابات التي تعلن نتائجها يومياً. وقد ظهرت نتائج انتخابات بغداد يوم الاثنين، فكانت جيدة جداً بوجهٍ عام، وتعتبر نتائج الجهات الأخرى التي ظهرت حتى الآن جيدة أيضاً...

ذهبت بصحبة وزيري(*) لتفقد الميتم. انه مكان مؤثر جداً فيه خمسة وثمانون صبياً، بين السادسة والرابعة عشرة من العمر، التقطوا من الشوارع. وقد ألبسوا هناك ملابس كشافة ونظفوا، وهم يتعلمون الدروس حالياً. اما قوائم التبرعات لهذا الميتم فمدهشة حقاً.

فلا يتبرع الناس بالمال فقط ـ انهم يقدمون ما يتمكنون عليه ككيس كبير من الرز، أو صحن من الكيك، او ما أشبه. انها المرة الأولى التي يخطر فيها ببال أي شخص ببغداد ان يساعد مؤسسة عامة من هذا النوع، من دون ان يتوقع من ذلك الكيان المعتم، المسمى حكومة، ان تفعله هي عنه.

(*) صبيح نشأت وزير الاشغال.

انزعج بعض الناس من حفلة العشاء التي أقمتها يوم الأحد لرحالة فرنسي ظريف جداً يدعى فيبييه من ليون. انه يقول انه سوف يقوم بترجمة كتابي Amurath الى الفرنسية.

27 شباط (ب)

لعلكم قرأتم في الجرائد ان فيصلاً بعث بوفدٍ خاص الى عمان ليحيي الملك حسيناً ـ كان الاعضاء البارزون فيه نوري وصفوت باشا (العوا). لقد قضى نوري ساعة معي يوم الأثنين، وهو يقص عليّ قصته، فأولاً، انهم حينما مروا بسياراتهم المغطاة في طرق الشام قد لاحظوا ان الناس في الاسواق وقع نظرهم على البزات العسكرية التي كان يلبسها بعضهم فنهضوا وصاروا يصرخون بصوتٍ واحد «مرحباً، مرحباً، أنقذونا». وقد وضع في الفندق شرطي في باب كل غرفة من غرفهم، وقيل لهم انهم لا يستطيعون الخروج الى الخارج، ما لم يرافقهم ضابط فرنسي. وهذا صحيح كله، سمعناه بصورة مستقلة من القنصل البريطاني. قد شعر صفوت، وهو من اهالي دمشق. بالخجل حينما مر بشوارع بلده مع شرطي فرنسي بجانبه، لكن نوري، كما يفعل في العادة، ذهب ليزور اصدقاءه بصحبة ضابط استخبارات فرنسي. وما بدءا بالمسير حتى أخذ الفرنسي يقول «ان الوضع سيىء جداً هنا، ولا نعرف ماذا نفعل مع هؤلاء الناس، وان الحالة الاقتصادية مرعبة، فما الذي يمكننا ان نفعله يا ترى؟» فأجاب نوري يقول «لماذا لا تجربون طريقة أخرى في الأدارة، مثل الطريقة المتبعة في العراق مثلاً؟» فرد الفرنسي يقول «ماذا؟ هل تعتقد بأن ادارتنا سيئة؟» لكن نوري اجابه بلطف «الآن قلت لي ان الوضع سيىء جداً».

وكان الناس الذين زارهم نوري كلهم من الذين كانوا معادين لفيصل في 1920. وقد صرحوا جميعاً بحضور الضابط الفرنسي قائلين

«نحن نأكل لحمنا الآن، واذا استمر الحال على هذا المنوال سنكون في عداد الأموات في حلول السنة القادمة. وقال نوري لمرافقه في طريق عودتهما «لا يسعني الاّ أن اعتقد بأنكم قد أخطأتم في اخراج فيصل» فأجابه يقول: «لقد كنا على خطأ بطبيعة الحال، ولكن ما العمل؟»».

ثم ذهب الوفد الى عمان، حيث سمعوا الجميع يتذمرون من عبد الله ويسترحمون تنحيته. ورجعوا عن طريق فلسطين، وهناك قال لهم المعادون للصهيونية من الناس «نريد حكومة عربية، ولكن بالله عليكم لا تأتوا لنا بعبد الله». واخيراً توجهوا من حيفا الى بيروت بالسيارة حيث وجدوا ضباط الشرطة في انتظارهم ليأخذوهم الى الفندق. فقال لهم نوري «أريد ان أقدم احتراماتي للجنرال ويغان»، وقد تلفنوا للمسؤولين بالأمر فدعاه ويغان لتناول الشاي. وحالما دخل نوري انفجر ويغان يقول «انتم رجال في العراق، هنا في سورية لا يفعلون شيئاً سوى ان يعارضونا بعقم». فرد عليه نوري يقول «لا تحسب ان أهل العراق يسهل حكمهم، فالسوريون أغنام بالنسبة لهم. ان جهاز الحكم هو المغلوط». ومضى ويغان يقول «ما العمل؟ ليست هناك تجارة، ولا أي شيء آخر. نحن ننفق الملايين من دون مردود». ثم قال نوري «من المؤلم ان تكونوا قد أخرجتم فيصلاً من سورية» فأجابه ويغان بقوله: «هل تعتقد بذلك؟ ان هذا لا أعرفه، لقد كانت غلطةً اساسية لكني غير مسؤول عنها، انها ارتكبت قبل مجيئي. ما هو رأيك بعلي؟» أن علياً هو أخو فيصل الأكبر، وليس له سوى قابلية الأرنب غير أنه لم يكن من اختصاص نوري ان ينور ويغان بذلك. ان كل شيء غير حسن، والفرنسيون غير صالحين غير أنهم يفكرون جدياً في تنصيب علي أميراً في سورية.

وهناك شيء واحد أود أن اضيفه، وهو انك يمكنك ان تخالف قوانين الله عز وجل وتفلت من العقوبة ـ في هذا العالم على كل حال،

وليس هناك عالم آخر على أغلب الاحتمال[1]، لكنك لا تستطيع مخالفة قوانين الاقتصاد من دون ان تعاني من نتائجها في الحال، وهذا ما يفعله الفرنسيون بالذات. ان سورية عبارة عن ممر تعبر منه تجارة آسية الغربية، غير انهم والاتراك قد اغلقوا جميع الابواب فيها. اشروا على كلماتي هذه. ان القضية العربية تسير سيراً سريعاً وسوف تشهدون في بحر ساعة أو ساعيتن حصول تطورات مهمة. فشكراً لله وشكراً لي أنا (لم أكن قليلة الأهمية) لأننا هنا سلكنا سواء السبيل.

28 شباط

.. لقد قارب الدليل الذي اكتبه عن العراق على الانتهاء. والشيء الذي سوف لا أرغب فيه هو كتابة المقدمة عن العملة المتألفة من الروبية والآنة وما أشبه ذلك. على أني لم أصل الى ذلك الحد بعد.

أنقل لكم فيما يأتي ما كتبه السر هنري الى وزارة المستعمرات عني في تقريره السنوي عن الموظفين.

من الصعب ان يكتب عن خدمات المس بيل للحكومتين البريطانية والعراقية معاً، من دون أن تبدو الكتابة مبالغاً فيها. فان اطلاعها المدهش على هذه البلاد وسكانها وعطفها عليهم، يساعدانها على التسرب الى عقولهم، كما أن ايمانها غير المنطفئ يحول دون خمود عزيمتها بسبب ما تجده هنا أحياناً. وان تعرفها الطويل على شؤون القبائل والشيوخ يجعل مشورتها في الأزمات، وكثيراً ما يتكرر وقوعها في شؤون القبائل، شيئاً لا يثمن بثمن، كما ان حيويتها واتساع ثقافتها يجعلان من بيتها قبلةً لأحسن ما يمكن الحصول عليه في المجتمعين

(1) هذه جرأة على العقائد السماوية، وقد اعتادت الآنسة بيل ان تجدّف دون أن تقيم اعتباراً لأي وازع.

الأوربي والعربي في بغداد. انها في الحقيقة همزة وصل بين العنصرين العربي والبريطاني، ولولا وجودها لحصل اختلاف في المصالح العامة والشخصية.

6 آذار

. . . ركبت يوم الجمعة بعد الغداء مع الميجر جي. أيم. ويلسن ما يسمى بالقطار السريع قاصدين أور لاقتسام اللقى الاثرية. فوصلنا في الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة من صباح السبت الباكر، ولما كان زيا [خادمها] قد أهمل ايقاظي في الوقت المناسب لم يكد يتيسر لي سوى نصف ساعة أنهض فيها وأحزم فراشي وأمتعتي. وعلى هذا قفزت ناهضةً وارتديت ملابسي من غير أن أغتسل أو أرتب شعري، ثم مشيت مع ويلسن وعبد القادر[1] أمين المتحف الى أور في الفجر الهادئ، وتقدر المسافة بميل واحد فوصلنا قبل طلوع الشمس ولم نجد أحداً في استقبالنا، ثم ذهبنا الى الزقورة[2] Zigurrat لنرى السلم الذي اميط عنه التراب. انه شيء عجيب غير منتظر تصوره، فهو سلم ثلاثي مشيّد مقابل الزقورة مع قطع من البناء بين مسالكه. وتعد من بناء العصر البابلي الأخير - على عهد نابونيدس بعد نبوخذ نصر - والظاهر انها قد بنيت فوق سلم تعود لعهد السلالة الثالثة من سلالات أور مما لا نعرف شيئاً عنها بعد. فصعدنا فيها الى القمة وشاهدنا الشمس تبزغ، وترسل أشعتها لتغمر البادية المعطاة بخضرة العشب وبالقطعان والخيام. وعند ذاك أخذ العمال يتقاطرون على المكان ويحيوننا مطلقين علينا «باشا» (لقد ارتفعت رتبتي)، وجاء في أثرهم المستر وولي. وبعد ان وقفنا نتفحص السلم

---

(1) هو عبد القادر الخوجة.

(2) برج ذو طبقات كان يشيد الى جانب الهياكل، وهي من مميزات الهندسة المعمارية لدى العراقيين القدماء.

متعجبين عدت الى البيت لأغتسل وأرتب شعري. وما تم اعداد الفطور في الثامنة والربع حتى بدأت اشعر كأني نهضت منذ ان خلق العالم، أو منذ أيام نابونيدس على الأقل. على أن هذا لم يكن الشيء الذي كان علينا ان نفكر به. فبدأنا بالقسمة قبل الساعة التاسعة (بدأت القسمة بأخذ القراب الذهب بعد كسب الاقتراع بالروبية)[1] وواصلنا العمل حتى الثانية عشرة والنصف حين أدركني التعب. فأنه عمل متعب صعب كما تعلمون. كان المتعب حقاً ما وقع بعد الغداء، حين اضطررت الى ان أقول لهم أني لابد من أن أحصل على منظر حلب البقر، اذ لا يسعني ان أفعل غير ذلك. انه منظر فريد يشير الى الحياة في هذه البلاد منذ عهد سحيق في القدم. ونظراً لكوني مديرة للآثار فانا موظفة عراقية مجبرة على تنفيذ الشروط التي منحنا امتياز التنقيب بموجبها. وقد أيدني ويلسن في موقفي هذا، لكنه آلم المستر وولي برغم انه بات ينتظر نتيجة القرار الأخير، لأني كتبت الى السر أيف كينيون أشرح له الأمر..

وقد أخذت من الآثار البرونزية شيئاً قليلاً لاننا لا نستطيع المحافظة عليها كما يجب هنا، وأفسحت لهم مجال الاختيار بشأن سنارات الأبواب الحجرية...

وعندئذٍ بلغت الساعة الثالثة بعد الظهر فآوى ويلسن الى الفراش محموماً، وواصلت العمل انا والمستر وولي وحدنا بشجاعة. وقد انتهينا من القسمة بعد الخامسة، وذهبت لتناول الشاي وأنا أشعر بانحلال لم

---

(1) هكذا ضاعت آثارنا، وأخذت طريقها الى المتحف البريطاني، فمن خلال لعبة (طرّة كتبة) بواسطة الروبية (وهي لعبة كانت شائعة في بغداد) كانت نفائسنا الاثرية مفجوعة برغبة المنقب الانكليزي ليونارد وولي، والمديرة الانكليزية الآنسة بيل، وبينهما الحاكم الانكليزي ويلسن. أما السرقة فلا مكان لها طبعاً في هذه القسمة النزيهة!!

استطع ان أفعل شيئاً حياله سوى أن انتظر حلول الساعة السابعة، وعند ذاك انصرفت لاستقل قطار الرجوع...

وقضيت الأحد كله في القطار أكتب بعض فصول «دليل بغداد» فأنهيتها. لقد كتبت إحدى عشر صفحة، وفي الساعتين الأخيرتين انهمكت في قراءة إحدى القصص. فوصلنا في السادسة والربع، ولم نتأخر سوى ساعة ونصف.

وترتب عليّ في يوم الاثنين ان اكتب التقرير نصف الشهري الى وزير المستعمرات، فاستغرق ذلك الوقت ما بين الثامنة والربع والخامسة بعد الظهر.

وقد أقمت في المساء حفلة عشاء أتعرف فيها على امرأة تدعى المسز هاريسن، وهي سائحة أمريكية وكاتبة ذكية بصورة خارقة.

وفيما يأتي نورد ما كتبته المسز مارغريت هاريسن هذه، ملخصاً عن مقال طويل نشرته في جريدة «نيويورك تايمس» حول مس بيل:

حينما حللت في بغداد اول مرة في سنة 1923 حصل لي الامتياز بأن أرى غيرترود بيل في عدة مناسبات، وأتحدث اليها بأحاديث طويلة عديدة. وكان تعرفي عليها أول مرة في مكتبها بقسم الأدارة في بناية دار الاعتماد بالقرب من «المقيمية» البريطانية ـ على ضفة دجلة المقابلة لمدينة بغداد الحالية...

وبعد انتظار عدة دقائق أدخلت الى غرفة ذات سقف عالٍ وشبابيك فرنسية طويلة تطل على النهر. وكانت أسوأ غرفة رأيتها من حيث الترتيب والتنسيق، اذ كانت الكراسي والمناضد والأرائك مشحونة كلها بالوثائق والمستندات والخرائط، والأوراق المكتوبة بالانكليزية والفرنسية والعربية. وكانت وراء منضدة تكدست عليها الأوراق والملفات عالياً حتى فاضت، وعلى السجاد تجلس امرأة نحيفة البنية بفستان «سبورت» صنع من حرير

محبوكٍ ذي لونٍ أصفر غامق. وقد لاحظت حين نهضت ان قوامها ما زال لدناً رشيقاً. اما وجهها البيضوي الرقيق، بفمه وذقنه الصارمين وعينيها الفولاذيتي الزرقة وشعرها الأشيب الناعم، فكان وجه «سيدة معظمة». ولم أجد في هيئتها أو قيافتها ما يستدل منه على كونها رحالة أثرت فيها عناصر الجو وعوامله وصلبت عودها. وانما وجدت «ملابس باريسية، وشمائل ميغيرية».

وكانت هذه هي المرأة التي جعلت الشيوخ ترتعد فرائصهم ويرتجفون هلعاً عند ذكر الانكليز! وكانت ابتسامتها آسرة الى آخر حد، وكذلك كانت حركاتها التي أزاحت بها الأوراق عن الأريكة على الأرض لتفسح لي المكان فأجلس. . .».

6 آذار (ب)

. . أثبتت زيارتي القصيرة الى أور لقسمة اللقى الأثرية انها عمل شاق، محفوف بالعذاب لدرجةٍ ما أيضاً. وبصفتي مديرة للآثار القديمة اضطررت للمطالبة بمنظر الحلب الشهير الى المتحف العراقي. فساعدني بذلك جي أيم. ويلسن، لكنه كسر قلب المستر وولي مع أنه كان يتوقع مثل هذا الطلب. انه يقدر قيمته بعشرة آلاف باون استرليني على الاقل، وسوف لا أخبر الحكومة العراقية بذلك، لئلاّ يقرروا بيعه فيسودون وجهي ووجههم (!). وتقدر قيمة الجعل الاسود بألف باون، لكني حصلت عليه بتوفيق من الله عن طريق الاقتراع بالنقود .(طرة كتبة). . .

لقد سارت الانتخابات سيراً حسناً جداً فأصبحت عندنا اكثرية تضمن الفوز بالتصديق على المعاهدة، ولكن مع هذا اتنبأ بحصول متاعب. فهنا غيوم تتجمع، وتصدعات ومناورات للشهرة. وعلى المرء ان يحذر ويحترس اني أجد ان هذه عملية شاقة، وحينما تركت المكتب في هذا اليوم بعد الظهر شعرتُ بأرهاقٍ مميت.

12 آذار

. . . كان يوم السبت يوم ذكرى عيد النهضة [*] ، أي اليوم الذي دخل فيه العرب الحرب سنة 1916. فكانت المراسيم التي أقيمت لأحيائه كالآتي: (1) اسعراض الجيش العراقي (2) وضع الحجر الأساس لبناية جامعة آل البيت المركزية (3) افتتاح كلية العلوم الدينية من الجامعة المذكورة، وقد وضع فيصل الحجر الأساس لبنايتها قبل سنتين.

جاءني المستر كوك مسرعاً مساء الخميس، وطلب اليّ ان أكتب مقالاً افتتاحياً في الجرائد بهذه المناسبة. ولذلك نهضت في الخامسة والنصف من صباح الجمعة واجريت اللازم، كان من المهم ان يُكتب شيء مناسب. وقد كانت المراسيم شيئاً مدهشاً، شعرت لأول مرة خلالها باننا قد استيقظنا حقاً وأصبحنا امة بين الامم. وقد أقيم الاستعراض في التاسعة صباحاً في ساحة البولو للعرب. وذهبت الى هناك بالسيارة مع المستر كورنواليس، فرأينا الكشافة قد خرجوا للاصطفاف على جانبي الطرق. وكانت المدينة قد خرجت كلها، ووقف الملك للتحية وعلى وجهه تتراقص امارات البشر والفرح، وكان السر هنري، والسر جون سالموند، وجميع موظفيهما، والوجهاء وفهد بك شيخنا البدوي العظيم، واقفين على أقرب ما يمكن من الملك وأخيه زيد. اما الجنود والضباط الذين استعرضوا فقد كانوا مدهشين حقاً ـ على قدر ما يمكن من النشاط والزهو، فقد شهد جميع جنودنا بأنهم قد صنعوا المعجزات خلال السنة الاخيرة.

وعند الانتهاء من كل هذا قصدنا جامعة[**] آل البيت. وتقع في

(*) اي اليوم المعروف بيوم 9 شعبان أيضاً، وكانت بعض البلاد العربية تحتفل به كل سنة.

(**) في البناية التي تشغلها اليوم في الاعظمية مديرية تربية بغداد / الرصافة، بعد ان أشغلها المجلس النيابي ودار المعلمين الابتدائية مدة من الزمن، تعود ملكيتها للأوقاف.

مكانٍ جميل ينمو فيه الشعير في ظل النخيل وأشجار النبق ـ شجر كثيف دائم الخضرة ـ يخترقه الطريق من الوسط الى القبة العظيمة المرسومة في مخيلتكم. . .

وجاء الملك في ممر مفروش بالسجاد تحت النخيل بين صنفين من الناس المصفقين، وسرعان ما صعدوا المنصة فمرقت بعدهم ولم أتوفق في أخذ صورة فقط بل سمعت ما قيل أيضاً. وكان كل شيء لا ينمحي من الذاكرة، وبعد ان وضع الملك حجر الأساس قرأ السيد محمود نجل النقيب الدعاء باسم «الملك فيصل بن جلالة الملك حسين بن علي أمير المؤمنين وخليفة المسلمين». يجب ان أقول أن قلبي قد أنخلع ـ الخلافة تعود الى العرب!

وبعد ذلك تم افتتاح كلية العلوم الدينية، فقامت الشرطة بدورها خير قيام. لأن المكان كان مكتظاً بالسيارات والعربات، وقد انصرفنا كلنا من دون أن نلاقي أية صعوبة. اذ كان سائق المستر كورنواليس يترصدنا فعثر عليّ وأركبني، فعدنا جذلين فرحين. . .

12 آذار

حصل خلل في خطوط التلغراف المارة بالخليج فلم نتسلم برقيات رويتر لمدة أربعة أيام. وفي صباح الجمعة تسلمنا برقية من السر هربرت صموئيل (من فلسطين) تنص على ان الأمير عبد الله كتب يخبره بأن الملك حسيناً قد نودي به خليفةً للمسلمين. وفي يوم الجمعة بعد الظهر ذهب السر هنري الى الفحامة، حيث لم يكن من الممكن الاتصال به تلفونياً. ثم تلفنوا اليّ من البلاط يوم السبت يقولون ان الملك قد تسلم برقيات من أخوته ومن اثنين من زعماء فلسطين يعلنون فيها ان أباه قد نودي به، وهو يرجو السر هنري أن يخبره بحقيقة ما حدث. وحينما كنت أهم بمغادرةالمكتب الى الغداء وصلت برقيات رويتر تنص على ان

الاتراك قد تخلصوا من الخلافة، ولذلك نقلت الخبر الى البلاط تلفونياً في الحال. وركبت بعد الظهر الى حيث كان العراقيون يلعبون «البولو»، فصادفت في طريقي السيد محيي الدين ثاني أنجال النقيب ولذلك وقفت وأخبرته بأن الأتراك قد ألغوا الخلافة وخلعوا الخليفة. على ان السيد محيي الدين لم يكن سريع الفهم، أضف الى ذلك انه لم يشأ ان يلزم نفسه بكلام. وعلى هذا قال «ان قصة الخلافة يا صاحبة الفخامة طويلة جداً، ويجب عليّ في يوم من الأيام أن أكون سعيداً في أن اقصها لكم» فأجبت «بلى، ولكن لا توجد خلافة الآن، لقد ألغاها(*) الاتراك. ان هذا لم يحصل منذ عهد النبي، أليس كذلك؟» وبهذا عاد السيد محيي الدين الى الحياة، فأشرت عليه بأن يخب فرسه ويسرع فينقل الخبر الى النقيب.

وصلت الى البيت في الخامسة والنصف فوجدت رسالة من الملك يطلب فيها ان اوافيه في الحال. ولذلك قفزت من بدلتي الخاصة بركوب الخيل الى السيارة وذهبت. وكان الملك هادئاً جداً، متحسساً بعمق، لكنه كان يسلك مسلكاً معقولاً. فقال انه من واجب كل مسلم صالح ان ينتخب خليفة جديداً له. انه يقصد ان يفرض أباه أو أي شخص آخر على أهل العراق، لكنه ينوي ان يدعو العلماء والوجهاء ويستمزج رأيهم في الموضوع غير أنه أولاً يجب ان يحصل على تطمين المندوب السامي بأنه حر فيما يفعل. فقلت سأبعث بكتاب الى صاحب الفخامة في صباح اليوم التالي. لقد كان اليوم التالي يوم أحد وكانت السماء تمطر مطراً مدراراً، فغطست في الوحل ووصلت الى المكتب في الساعة التاسعة. لكن نيجل كان في الكنيسة، كما كان المستر تشايننغ بيرس مريضاً، وليم يكن قد

(*) ألغى المجلس الوطني التركي الكبير الخلافة بموجب قانون خاص صدر في 3 آذار 1924.

وصل أي كاتب من كتاب الشفرة. لم يكن أحد هناك غيري وكومة من البرقيات. فكتبت الى السر هنري، وبعثت استدعي الكتاب. لقد وصلوا في العاشرة الاّ ربعاً، فمضينا نتفحص البرقيات. كانت هناك عدة برقيات من لندن لكننا وجدنا انها لا علاقة لها بخبر الخلافة. وكان عندي بعد ذلك حفلة غداء، وقد وصل جعفر ونوري أولاً، فكانا على درجةٍ فظيعة من الشوق لمعرفة تفصيلات الخبر. وكان نوري يفكر في دعوة عبد المجيد أفندي[1] (الخليفة المخلوع) الى هنا وارساله الى الموصل لترغيب أفراد الجيش التركي في الفرار اليه. لكن جعفراً، وهو المسلم الصالح، قال انه لا يعتقد الاّ بوجود خليفة واحد هو الملك حسين القريشي، بموجب تعاليم القرآن[*] .

كنت يوم الاثنين على اتصال دائم بالبلاط، فقد كانت هناك برقيات مهمة من كركوك تنص على احتمال حصول غارات جوية. ان الداخلية لم تكن قادرة على الاتصال بمقر القوة الجوية مباشرة، وكان عليها أن تفعل ذلك عن طريقنا نحن. ولذلك قمت بالاتصال فمتعت نفسي للغاية.

يجب ان أذكر لكم أني تعشيت يوم الثلاثاء في «المقيمية» للتعرف على الكولونيل سوندرز، الملحق العسكري في طهران. وقد روى لنا قصصاً ممتعة للغاية. فبعد ان اعترفنا بالحكومة السوفياتية جاء شوميانسكي، الوزير الروسي في طهران، مع جميع موظفيه لزيارة السر بيرسي لورين. وقد ود السر بيرسي الزيارة له في اليوم الثاني وأخذ

---

(1) هو عبد المجيد الثاني، آخر الخلفاء العثمانيين. خلف السلطان محمد السادس سنة 1922. وبعد اعلان الجمهورية في تركيا سنة 1923 غادر استانبول الى باريس، وهناك توفي سنة 1944.

(*) ان قاعدة «الخلافة في قريش» التي تشير المس بيل اليها هنا غير منصوص عليها في القرآن الكريم كما لا يخفى.

الكولونيل سوندرز معه. فوجدا شوميانسكي يجلس في غرفة قرمزية اللون بأكملها حتى السقف، وورقة النشاف والدواة. وكان يرتدي بزةً سوداء لكنه كان يحمل شريطاً قرمزياً على ذراعه اشارة الى كونه كان يحزن على لنين. فأية صورة تلك! انه من المحكومين السابقين. ثم قال الكولونيل سوندرز ان المجتهدين (المهاجرين من العراق) قد سئموا أيران بقدر ما كانت ايران سائمة منهم. وحينما عدنا بالسيارة معاً تحدثنا عما فعله الأتراك، فقلنا انهم كانوا في الحقيقة على حق تام فيما فعلوه ـ ثم مضيت أقول انه مهما كان نوع الخطوات المتخذة في الاصلاح الآن فأن الخلافة كانت شيئاً ميتاً. فأيد قولي وأضاف يقول ان ايران أيضاً كانت تنتشر فيها نفس الروحية ـ لقد سئموا أيدي رجال الدين الميتة، وهم يعتزمون التخلص من سلطة العلماء والمجتهدين...

18 آذار

قرئ في يوم الجمعة اسم الملك حسين، باعتباره خليفة للمسلمين، لأول مرة في صلاة الجمعة. ان الغريب في الامر هو ان الشيعة يشتركون في ذلك حالياً أيضاً. فهم يقولون انه لما كان سليلاً صحيحاً للنبي فلا مانع لديهم من الاعتراف به. واذا ما فعلوا ذلك ستضيق شقة الانقسام الشيعي ـ السني هنا(*) .

... يصل الآن الى بغداد جميع النواب(**) ـ حضرت الى مكتبي حشود منهم في صباح هذا اليوم، وكل منهم فرح بنفسه، بارك الله فيهم.

يحاضر في مساء هذا اليوم المستر وولي برعاية مديرة الآثار القديمة الفخرية، التي لم تفكر بما ستقوله. وعند انبلاج الصبح غداً

(*) وهذا ما كان يقض مضاجع الانكليز بطبيعة الحال ويفسد عليهم خططهم.

(**)أي أعضاء المجلس التأسيسي.

سأذهب مع جي أيم. ويلسن الى كيش لاقتسام اللقى الآثرية.

وفي حاشية لها تقول:

عدت لتوي من محاضرة المستر وولي ـ لقد نجحت نجاحاً باهراً، لأنه اضطلع بها بصورة رائعة. وجلست وراء الملك فترجمت له كل كلمة قالها المحاضر تقريباً كما ألقيت. فكيف بي وكان عليّ أن أقدم المستر وولي للملك مع ترجمة جميع المحاضرة له، كان ذلك شيئاً مجهداً.

26 آذار

أكتب هذا اليكم في منتصف الليل، فانا غير قادرة على النوم. أقيمت في يوم الاثنين حفلة عشاء في البلاط، وقد جلست الى جنب جلالته فوجدته منشرحاً منبسط الأسارير. فقد كان يضطلع بأعمال شاقة ممتازة مع النواب، وفي ذات اليوم بالذات أقسموا على الولاء له وللعراق بلادهم. سيفتح المجلس غداً في الساعة العاشرة صباحاً، وقد حصلت عندنا مناورات ومداورات حول قضية الرئاسة. واذا لم ينتخبوا عبد المحسن بك السعدون سيكون الوضع سيئاً، لكن جعفراً يغير رأيه كل ربع ساعة فيؤثر على الملك. لقد قلت للجميع انهم يجب ان ينتخبوا محسناً، اما الباقون فأمرهم الى الله..

27 آذار

لقد انتهى كل شيء في الساعة الحادية عشرة. ذهبت مع لايونيل سميث الى المجلس ـ كانت المدينة مزينة، والجو مشحوناً بالانفعال، وكان الكشافة يصطفون في الشوارع. اما بناية المجلس، فهي بناية مستشفى النساء(*) القديمة. وقد القى الملك، وهو يرتدي لباسه العربي،

(*) كانت تقع في جانب الكرخ على ضفة النهر مقابل السراي الحالية، وقد هدمت في عهد الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس وزراء العراق السابق وبقي مكانها خالياً.

خطاباً رائعاً لكنه كان بادئ العصبية. وانتخبوا بعد ذلك عبد المحسن بك السعدون ـ كان الجو متوتراً. وكانت الحادثة المضحكة ان بعض الشيوخ الذين كانوا امامنا قد مسكوا اوراقهم بحيث تتجه الكتابة فيها الينا، حينما ساروا في الصف الى الصندوق الذي اودعوها فيه، حتى نستطيع قراءة اسم عبد المحسن بك مكتوباً فيها. وتخاصموا من بعد ذلك فانفضت الجلسة.

1 نيسان

ها اني احدثكم الآن عن المجلس. جاء الملك يزهو زهواً باهراً بملابسه العربية الكاملة، وتبعه الوزراء فجلسوا في جانبيه بينما جلس هو على منصة. فدوت قاعة المجلس بالتصفيق الحاد. ثم قرأ خطاب(*) العرش، فكان القاؤه آيةٍ في الخطابة وعلى أشد ما يكون من التأثير. أظن اني لم أره قط بمثل هذا الانفعال، فقد كان صوته يتهدج عند القراءة. وتكوّن موكبه ثانيةً من بعد ذلك وغادر القاعة.

ثم انتخبوا رئيسهم ـ كانت لحظة انفعال صامتة. وقد كتب الجميع من يختارونه للرئاسة على قطع خاصة من الورق ورموها في الصندوق.

توسعت في هذه السنة حفلة الغداء والألعاب السنوية، التي يقيمها

(*) اجتمع المجلس التأسيسي في يوم 27/ 3/ 924 على عهد الوزارة العسكرية الأولى، فعطلت احتفاءً بهذا اليوم الاعمال، وأقيمت المهرجانات، وخفضت محكوميات المساجين، واطلق سراح قسم منهم. وقد القى الملك خطاب عرش مطولاً أعلن فيه «أن الامة قد انتخبتكم ايها النواب للنظر في امور جوهرية هي الاسس المتينة التي يشاد عليها بنيان نظامها واستقلالها: اولا ـ البت في المعاهدة العراقية البريطانية لتثبيت سياستها الخارجية، ثانيا ـ سن الدستور العراقي لتأمين حقوق الافراد والجماعات وتثبيت سياستها الداخلية، ثالثاً ـ سن قانون الانتخابات للمجلس النيابي الذي يجتمع لينوب عن الامة، ويراقب سياسة الحكومة واعمالها».

الجيش العراقي في حدائق مود خلال الربيع، بحضور المندوبين (النواب) كلهم فيها. فكانت سلوى عظيمة حقاً حضر فيها جلالة الملك وزيد، وصاحب الفخامة ومارشالية الجو، وعالم الرجال بأجمعه، وانا بصفتي الرسمية. وكان يسود الحفلة جو من السعادة وحسن النية. وقد جلست عند الغداء بين وزيرين، وفي مقابلنا رئيس المجلس. وهم يعدون طعامهم اعداداً جيداً ـ انه طعام عربي بسيط، متكون من خروف مشوٍ (قوزي) بكامله مع الرز، ومن حلويات وفاكهة. وكانت الألعاب مسلية للغاية، ولم تستغرق أكثر من ساعة واحدة. ووزع جلالة الملك الجوائز فانصرفنا كلنا في الثالثة بعد الظهر.

سأعطيكم هنا ملخصاً بحوادث الأيام القلائل التالية: ستقام غداً حفلة بستانية في المقيمية لأعضاء المجلس التأسيسي، وسنحضر يوم الجمعة حفلة غداء في الكاظمية توديعاً لويلسن بمناسبة سفره بالأجازة، وحفلة عشاء رسمية في البلاط للسر جون. وسأشاهد يوم السبت الملك يدشن جدولاً(*) جديداً في النجف. سيبدأ رمضان يوم الاحد، فلله الحمد.

كنت مع كورنواليس في الساعة السادسة والنصف نتأهب في المحطة لنستقل القطار الملكي الى كربلاء. وقد وصلنا في العاشرة والنصف ووجدنا في محطتها جمهوراً من المستقبلين، حيث أستقبل الملك استقبالاً حماسياً.

(*) لقد تبرع رئيس التجار في عربستان الحاج محمد علي في 11 ـ 11 ـ 1922 بثلاثة الكاك روبية لحفر الجدول المذكور، وطلب صرف واردات المشروع على الاعمال الخيرية في النجف وكربلاء. فوافقت الجهات المختصة على ذلك وبوشر بحفر الجدول يوم 6 نيسان بعد ان افتتح الملك العمل فيه، غير ان المشروع لم ينجز بالنظر لاغلاط فنية حصلت فيه. فاعيد المبلغ للمتبرع المحسن وخسرت الحكومة (67000) روبية. غير ان المتبرع اعاد تسليم المبلغ لصرفه على انشاء مضخات وانابيب تدفع الماء من الكوفة الى النجف، فتم ذلك بعد اربع سنين.

وبعد الانتهاء من ذلك ركبنا السيارات، وكنت انا وكيناهان والكولونيل تينش سويةً ـ كنا نحن الانكليز الوحيدين هنا. فسارت بنا السيارات خلال الغبار والريح الحارة، وكأننا في فصل الصيف، مدة ساعة وربع في طريق النجف. ثم حططنا في قفر جاف رفع فيه الملك اول حفنة من الرمل بالمسحاة ليبدأ حفر أول جدول يقصد به تزويد النجف بالماء.

1 نيسان (ب)

شعرت يوم الجمعة بعد الظهر باجهاد شديد بحيث لم استطع حمل نفسي، لكني ركبت الى البلاط لأسجل اسمي وأقدم تبريكاتي المفعمة بالاحترام لجلالته. وقد وجدت في الحديقة هناك جميع النواب يتناولون الشاي، فرجوني أن أجلس أنا أيضاً لكني اعتذرت ـ كتبت اسمي وركبت مبتعدة يهزني الفرح. وفي يوم السبت صحبت بيرنارد الى المجلس، لقد صوتوا على فقرات المنهج وانتخبوا نائبي الرئيس، فكان احدهم داود الحيدري وهو صديق عظيم من أصدقائي، وكان الثاني ـ ياسين! لقد عملت الحكومة بطريقة مشوشة ففاز ياسين بصوتٍ من أصوات المنشقين.

ذهبت في صباح الاحد الى متحفي، وهناك قرأ الاستاذ لانغدن (من كيش) جميع الكتابات الآشورية المنقوشة على الالواح والآجر وقطع الطين الكبيرة، بينما كنت أسجل ما يقرأ على بطاقات التعريف.

كان يوم الاثنين يوماً فظيعاً اشتغلت فيه شغلاً متواصلاً من الثامنة والنصف الى السادسة، باستثناء نصف ساعة للغداء. وحينما عدت الى البيت جاء كورنواليس ليحدثني بشأن غزوة من غزوات «الاخوان» رفض السر هنري تصديق خبرها، مع ان القبائل اللاجئة تتقاطر على الحدود العراقية. فسوينا مشكلة خط الحدود التي كان يترتب عليّ ان أحملها في اليوم الثاني الى السر هنري. على ان تقارير أخرى قد وصلت بحيث كان

من الصعب عليّ ان أقنعه بان شيئا ما قد حصل. وما لبثنا حتى دخل فهد بك بن هذال ليضع قوات عنزة كلها تحت تصرفنا من أجل ان نغزو نحن الاخوان...

2 نيسان

خابرني كورنواليس في صبيحة هذا اليوم يقول ان فهد بك قد حصل على أنباء من أحسن جواسيسه تشير الى ان «الأخوان» يوشكون ان يغزوهم، ثم بعث بجاسوسه الينا. وسرعان ما دخل غرفتي فهد بك فدونت ما قصه عليّ، ورفعته الى السر هنري مع تعليقاتي عليه. وعقد بعد ذلك مؤتمر مستعجل حضره مارشالا الجو (السر جون سالموند وخلفه نائب مارشال الجو هيغز)، وفهد بك، والمستر كورنواليس، وصاحب الفخامة. فحصل فهد على جميع ما كان يريد. اذ ترتب على قبيلته ان تدنو الى ما يقرب من الفرات، حيث سترسل اثنتا عشرة سيارة مصفحة لحمايتها.

وينبغي ان أذكر لكم ان الملك قد وجد السر في أدارة المجالس النيابية، انه شيء بسيط. فما عليك الآ ان تستدعي بعض الأشخاص البارزين فيها وتقول لهم ان المواضيع الفلانية ستعرض بعد غد، وأنت ترغب في أن تبادر مجموعتهم كلها الى التوقيع مقدماً على عريضة يطلبون فيها امرار تلك المواضيع في المجلس. وحينما يعرض الرئيس تلك المواضيع على التصويت يعلن بأنها كانت قد قدمت من قبل بشكل عريضة، ثم يعلن موافقة الأكثرية عليها. وهكذا تمر في المجلس. ومن أجل هذا جاءني الحاج ناجي في هذا اليوم (انه يشغل الآن منصباً رسمياً)(*) واخبرني بأن جميع الشيوخ قد اجتمعوا في الصباح الباكر

(*) لقد عين رئيساً لبلدية الكرادة، علاوة على كونه عضواً في المجلس التأسيسي.

ووقعوا على عريضة في صالح المعاهدة، وفي وقتٍ لاحق من النهار أخبرني الملك بأن اثنين وستين عضواً قد وقعوا عليها. ان هذه الطريقة تناسب الأحوال هنا تماماً، لكنها لا تكون مفهومة في لندن..

9 نيسان

... وعلى هذا ركبنا السيارات راجعين الى كربلاء، وبينما ذهب الملك ليزور الحضرتين قصدنا السوق فاشتريت أحذية مرتفعة(*) المقدمة، صفراء وحمراء وزرقاء.

10 نيسان

.. دعني أقص عليكم شيئاً أفرحني. فقد بعثت الى المستر سكوت، محرر «المانشستر غارديان» بمقالي عن جامعة آل البيت فأبرق يطلب موافاته بالتصاميم والصور، وسأبعث بها هذا الاسبوع. آمل ان يكون قد عزم على نشر مقالٍ ودي في جريدته.

استيقظت فجر هذا اليوم في الساعة الثالثة ـ الساعة تشير الآن الى الرابعة، وقد انتهيت من سماع اطلاقة المدفع التي تشير الى ابتداء الصوم في هذا اليوم. والمؤذن يرتل أذانه الآن في مسجده الصغير المجاور لداري.

15 نيسان

يندر ان يوجد بين الرجال الذين يديرون دفة الأمور هنا، أي الرجال بين الاربعين والخمسين من العمر، مسلم صادق الإيمان وحتى مسلم يمارس واجباته الدينية، غير جعفر (العسكري). اما الخلافة فهي ميتة الآن، وكلما ازداد تعيين الخلفاء لها يزداد موتها.

(*) لعلها تقصد الاحذية الشعبية القديمة المسماة «يمني».

حصل نزاع في المجلس التأسيسي على بعض الامور الطفيفة. وفي صباح اليوم التالي جاء الى مكتبي رئيس الوزراء ونوري باشا بحالة هياج واندفاع. وكانا عازمين على حل المجلس، واجراء انتخابات عامة أخرى، وتصديق المعاهدة بطريقة الاستفتاء، وأشياء أخرى لا أعرفها. ولذلك قلت: مهلاً، مهلاً، وأتيت لهما في الحال بنيجل ديفيدسن، وهو أبرع الناس في شؤون التهدئة، واقترحت عليهما في الأخير ان يذهبا الى المستر كورنواليس. فخفا اليه فرحين جداً. وحصلت عندي كذلك مواجهتان مهيجتان أخريان، مع أناس كانوا وقعوا على اقتراح ياسين(*) . وكان أحد هؤلاء مجيد بك الشاوي، وقد جردني من سلاحي بالمرة حينما قال أنه ظل آسفاً على الدور الذي لعبه في هذا الشأن منذ ان وقع. وكان الآخر رؤوفاً الجادرجي، وهو دودة حقيقية. لقد هززته هزاً قوياً وتركته في عداد الأموات ـ وما حل المساء حتى صرت أشعر بأني قد وصلت الى آخر ما يمكنني أن اتحمله من العمل خلال يومٍ واحد. .

21 نيسان

ركبت السيارة الى الكاظمية، بعد ان خرجت من المكتب، لأزور احدى النساء المهمات، وهي أم أغا خان(**) التي تدير جميع أشغاله المتسعة، الدينية والدنيوية حينما يكون في اوربة. وقد جاءت الى هنا بقصد الزيارة وسوف تواصل سفرها الى المشهد في ايران، ومن هناك ستعود الى الهند عن طريق سيستان ـ انها رحلة طويلة بلا شك لكنها

(*) استغل ياسين پاشا فرصة ارتباك الحال في المجلس فقدم اقتراحاً يحتج فيه على الحكومة.

(**) انها الحاجة شمس الملوك والدة أغا خان الثالث (السلطان محمد شاه)، وقد ولدت في النجف الاشرف سنة 1842 وتوفيت في شباط 1938 ببغداد، ثم دفنت مع زوجها علي شاه في المقبرة الخاصة بالاسرة في النجف. وكان لها من العمر (96) سنة، وهي عمة المرحومين حميد خان ومصطفى خان.

تستسهلها على ما يظهر.

وفي ضمن هذا الخليط من حوادث الاسبوع ذهبنا بأجمعنا الى «السركس»، انه سركس بلجيكي. لا أظن اني ذهبت الى أي سركس قبل هذا منذ كنت في السادسة من عمري، لكنني سوف لا أفوّت كل فرصة تسنح لزيارة كل سركس اتمكن من زيارته. لقد كان شيئاً ملذاً، فيه كثير من اللهو والبراعة والاستغراب. وكان رجاله خليطاً من جميع أجناس الأرض، من يابانيين وهنود وسودانيين وبلجيكيين يرطنون بانكليزية متكسرة وعربية أكثر تكسراً. لكن ألطف ما رأيت فيه ركوب الفيلة في الأرجوحة. فقد صدم الفيل الأرجوحة الى أسفل فقفز «البهلوان» عالياً في الهواء بحيث تمكن ان يحط على رأس الفيل، وينحدر من فوق ظهره وذنبه. ودعا بعد ذلك المتفرجين الى الاشتراك في الألعاب، فتقدم عدد من الحمالين العرب الى الحلبة. وقد امتقع لون البعض منهم حينما جوبهوا بهذا الحيوان الضخم، لكن الفيل أنس بهم. اذ رجهم عالياً فوقعوا متناثرين في جميع الجهات، فمنهم من وقع على اللوح ومنهم من وقع على الارض حتى توفق في الاخير واحد منهم في ان يقع، بالصدفة الحسنة لا بالبراعة، فوق رأس الفيل. فانفجرنا نحن ضاحكين صاخبين ـ كلنا عدا النواب الاكراد وكانوا يجلسون معاً فانهم لم يحركوا ولا عضلة واحدة في جسمهم على طول الأمسية. أحسب انهم كانوا يتصورون ان الضحك على الفيل والاولاد الحمالين هو شيء خارج عن نطاق وقارهم الكردي..

ركبت بعد الغداء الى المستشفى لأزور الشيخين [*] . فانعصر

(*) الشيخان هما الشيخ عداي الجريان والشيخ سلمان البراك (البو سلطان)، من نواب الحلة. وقد أطلقت عليهما عدة اطلاقات نارية بقصد اغتيالهما حينما كانا في طريقهما الى البيت، وكان ذلك في اليوم الثاني لليوم الذي أقام فيه المحامون في بغداد (15 نيسان 1924، 15 رمضان) حفلة سياسية في «سينما رويال القيت =

قلبي، لأن عداياً الذي أوده واحترمه كان يبين كثير الامتقاع والتعب. اما سليمان، وكان قد أصيب بكسرين مركبين في الذراعين ورصاصة في الفخذ، فقد أعلن بصراحة ان كل هذا لا اهمية له. ولم اجلس عندهما اكثر من خمس دقائق حتى بعثوا ورائي صبياً جاء يركض مسترحمين ان أعجل بالعودة الى العمل.

عزيزي الوالد، أذكر لكم جميع هذه الأشياء عن شيوخي وعن الناس، واتجرأ بالقول انكم تعتقدون بانها سخيفة جداً. أنا أعلم بأني أشذ عن القياس، لكن قلبي منغمس في هذه الأمور ـ اني أعيش وأموت من أجلها، ولا يهمني شيء غيرها...

21 نيسان

دعاني المندوب السامي، بعد ان عاد من الموصل. اذ كان المستر كورنواليس قد وافاه بخبر مؤداه ان انقساماً قد حصل في حزب الشيوخ، وان الأغلبية كانت تحاول مساومة الملك، وقد أعلنت بأنها لا تصوت للمعاهدة اذا لم يتعهد بأن يضمن لهم بعض الامتيازات العشائرية في القانون الأساسي. وقد ذهب ما قاله لهم الملك عبثاً، من أنهم اذا لم

= فيها خطب سياسية (كان ياسين باشا من جملة الخطباء) تندد بالمعاهدة بمناسبة قرب عرضها على المجلس التأسيسي للتصديق. فكان للحادث وقع شديد في الاندية السياسية وفي نفوس المندوبين (النوّاب) الذين أخذوا يتملصون من مسؤولية التصديق على المعاهدة. واهتمت الحكومة اهتماماً شديداً، فألقي القبض على المحامين المسؤولين عن اقامة الاجتماع وعطلت جريدتا الشعب والاستقلال ثم أوقف صاحباهما. وبعد التحقيق المتطاول اطلق سراح الموقوفين لعدم ثبوت التهمة ضدهم. وقد شاعت على اثر وقوع الحادث شائعات كثيرة ترددت فيها بعض الاسماء. ولا ريب ان هذا العمل كان من جملة الاشياء الى عبر فيها الشعب ومنظماته عن استيائه من المعاهدة، ومن المنقادين للانكليز من رجال السياسة.

يصدقوا المعاهدة سوف لا يكون هناك لا قانون أساسي ولا حكومة عراقية. وهكذا جلسنا نناقش الأمور ونكتب مسودة برقية الى المسؤولين في الوطن. ان جعفراً والملك يصرّان على استحصال تطمينين من حكومة صاحب الجلالة البريطانية: أحدهما، ان تتعهد بالدفاع عن الموصل اذا ما حاول الأتراك الاستيلاء عليها، وثانيهما ان الانتداب يجب ان يلغى بانتهاء سنين المعاهدة الأربع سواءٌ أقبل العراق حينذاك في عضوية عصبة الأمم أم لم يقبل. وقد كتب السر هنري برقية قوية جداً يؤكد فيها على هاتين النقطتين ويحث حكومة صاحب الجلالة على التصريح بوضوح، والاعلان بأن العراق اذا لم يصدق المعاهدة فاننا سنرحل عن البلاد. فاذا كان هذا هو ما تريد ان تفعله حكومة صاحب الجلالة حقيقة بها، والا فاننا اذا اردنا ان نبقى هنا مهما كلف الامر، وهو شيء يصعب ادراكه، عندئذٍ يجب ان نكون على استعداد لأن نقدم للحكومة العراقية شروطاً أسهل من الشروط المدرجة في الاتفاقيات المتممة للمعاهدة.

وبعد ان تركت المكتب يوم الخميس ركبت السيارة فذهبت الى الكاظمية لتبديل المنظر عدة ساعات، وبينما كنت في الخارج وقعت حوادث خطيرة في بغداد. فقد كان عدد من المحامين الأوغاد (!!)، ممن لا عمل لهم في العادة، يكرمون أعضاء المجلس في حفلةٍ خاصة. وألقى اثنان من هؤلاء الحمير الشبان (!!) خطابين عنيفين ضد البريطانيين بصورة عامة، وضد المعاهدة على الأخص، فأشارا الى ان المعاهدة كانت تحتوي على أشياء لم تكن فيها مطلقاً ـ مثل عدم امكان توقيف أي انكليزي حينما ينتهك القانون. وبعد ان شكر ياسين (الهاشمي) المحامين على ضيافتهم، ثم أضاف يقول انه من الخير ان يتذكروا ان انكلترة كانت الصديق الوحيد للعراق. على أن هذا لا يسجل لياسين أي فضل، لأنه هو الذي حرك حزب الشيوخ اولاً ثم جاء هنا يلطف الموقف، لأجل ان يضع قدماً في كل من المعسكرين.

وفي صباح اليوم الثاني كان المندوب السامي يتسقط أخبار هذا الاجتماع، فترتب عليّ أن أحصل عليها من الشرطة. وخابر كورنواليس بعد ذلك ليقول ان الشيوخ الموالين ـ وقد نقص عددهم الى ستة الآن ـ كانوا عنده، وقد صرحوا يقولون أنه مهما يفعل الشيوخ الأشرار (غير الموالين) فأنهم مستعدون في الحال لتوقيع بيان يقبلون فيه بالمعاهدة ـ وأضاف يقول بضجر انه يترتب علينا الآن ان نبدأ بكل شيء من جديد، وان حزب الشيوخ يجب ان يتكون حول هذه النواة المتألفة من الشيوخ الستة.

انجزت يوم الأحد بعض الأعمال الباقية في المتحف، ثم زرت جعفراً العسكري في مكتبه لأمسك بيده وأطمئنه باننا، وان كان المسير شيئاً شاقاً، لابد من ان نصل الى آخر الشوط في النهاية. انه ونوري يسيران سيراً مدهشاً. وبينما كنت استريح بعد الظهر اخبرني كورنواليس تلفونيا بأن عداي الصلب(*) وسلمان البراك (احسن الشيوخ الستة) اطلق عليهما الرصاص في باب دارهما أحد المحامين الانذال ورجل آخر لم يتم تعريفه(**). فجرحا بجراح بليغة لكنها غير مخطرة، وذهب كورنواليس ليجتمع بالملك والوزارة في البلاط. ومن حسنات سياستنا في العراق انهم حينما يختلفون يطلق أحدهم النار على الآخر وليس علينا. ولا أقصد بهذا أني أفضل ان تطلق النار على عداي ولا عليّ أنا.

لقد تقرر توقيف حوالي واحد وعشرين محامياً ـ جميع الذين لهم علاقة بالجماعة ـ وتعطيل الجريدتين المتطرفتين(***). والحقيقة ان

(*) الصحيح هو عداي الجريان رئيس البو سلطان ونائب الحلة يومذاك.

(**) كان المعروف يومذاك ان شخصاً غير معروف هو الذي تولى هذا العمل، وكان ينتمي الى «حرس الاستقلال» في ايام الثورة ولم يكن من المحامين.

(***) عطلت الحكومة جريدتي الاستقلال والشعب، وأوقفت صاحبيهما عبد الغفور البدري ومحمد عبد الحسين.

المتطرفين قد زجوا بأنفسهم في أيدي الحكومة، وقد سنحت لها الفرصة لتضطلع بإجراء تنظيفات شاملة. وأخيراً أخذوا يدركون الحقيقة التي بقيت أشرحها لهم منذ سنة 1920. وهي ان الموالين لنا هم الذين يكونون موالين لهم بالفطرة، والذين يكونون خونة بالنسبة لنا سيخونونهم هم أيضاً.

وفوق كل هذا فقد مرت عودة المجتهدين الى العراق من دون ان يلاحظها أحد تقريباً، لكنهم قد أتوا ـ كلهم عدا أسوأهم(*) جميعاً ممن لم يشأ الملك ان يسمح لهم بالعودة. يبدو انهم في وضع مسالم جداً، لأنهم قد تعهدوا خطياً بذلك. لقد ذهبوا رأساً الى كربلاء.

جاءني اليوم لايونيل سميث فمشينا الى حدّ العلوية ثم عدنا على ضفاف دجلة، ونحن نتحدث عن أشياء تختص بخارج العراق. انه من أحب الناس في العالم، ومن أبرز من عرفت من أصحاب العقول النيرة.

29 نيسان

... تعشيت وحدي هذا المساء في وقت مبكر، فكان هذا من حسن الحظ لأن الملك بعث اليّ في الثامنة رسالة تلفونية تفيد بأنه يريد حضوري عنده. فامتطيت السيارة الى البلاط ـ السيارة التي بعث بها هو. وكان منظر القصر الصغير في الحديقة منظراً غريباً في رمضان. فقد لمحت في احدى الغرف المضيئة هياكل طويلة متشحة بالملابس الوطنية تؤدي الصلاة...

(*) كان المعروف يومذاك ان العلامة الشيخ مهدي الخالصي قد آثر عدم العودة من تلقاء نفسه، وبقي في الخارج حتى توفي في يوم 10 نيسان 1925. وبقي كذلك نجله الشيخ محمد الخالصي، ولم يعد الى العراق الاّ قبيل انهيار العهد الملكي في وزارة الدكتور محمد فاضل الجمالي.

وفي الصالون الطويل وجدت الملك بملابسه العربية الكاملة، بألوانها البيضاء والذهبية والسوداء. وربما كانت هناك في مكان آخر من القصر شؤون أكثر أهمية.. . وبهذا كانت تلك الليلة من الليالي التي لا تنسى برجال القبائل الذين كانوا يصلون، والملك بالبسته البيضاء، وبغزارة الأزهار حول المبنى، و «الحرمس» وهو ينخسك لدرجة تشتت الفكر في الوقت الذي تحاول فيه ان تفكر تفكيراً صائباً.

اما بالنسبة لما جاء في كتابكم المؤرخ في 15 نيسان، انا لست ذلك الشخص الذي يستطيع العراق ان يحتفظ به أو يخرجه. وانما أنا من موظفي المندوب السامي طالما وجد هنا مندوب سام، وخادمة من خدام الحكومة البريطانية. ان جميع ما تذكرونه عن اجور العمال والحالة الاقتصادية يثير الاهتمام جداً، ومصيب للغاية ـ لكنه صعب على الفهم العام.

29 نيسان

. . . ما تزال المصاعب، الكبيرة والصغيرة، تحف بنا من جميع الجهات. لقد بعث الملك يطلب مساعدتي. اذا كانت المشكلة ان المندوب السامي قد افضى ببعض التوضيحات الى مجموعة نواب من أصحاب النوايا السيئة، غير أنها اما ان تكون قد أسيء فهمها أو أسيء تفسيرها، فلم يعرف الملك أين موقفه منها. وكان أغلب الاحتمال انها قد أسيء فهمها. فالسر هنري لا يجيد التكلم بالعربية، ولا يسمح لترجمانه بأن يتكلم عنه. ويظل يتعثر في الكلام بطريقة مغضبة جداً، ولا تكون في الاخير قد كوّنت من كلامه أية فكرة عن الشيء الذي يقصده. ولا يستطيع كورنواليس ولا أنا ان نفعل هذا، ولذلك لا أحب ان العراقيين يستطيعون فهم ما يريد أيضاً.

وتكمل المس بيل هذه الرسالة في يوم 30 فتقول:

جاءني كورنواليس قبل مدة وجيزة ليقول لي ان الوزراء جميعهم قد

صرحوا بأنهم سوف لا يكونون مسؤولين عن الأدارة اذا رفضت المعاهدة، وان الجو باجمعه آخذ بالتحسن.

4 أيار

أنا ذاهبة مع كورنواليس، وأيلتيد كلايتون، والدكتور ساندرسن، ولايونيل سميث على ما آمل، الى قره غان. سوف ننصب خيامنا بجانب الجدول هناك، ونقرأ الشعر ونلعب «البريج». وسوف تكون هذه آخر مرة أخرج فيها من بغداد قبل الخريف. على ان السبب الحقيقي لهذه الخطة هو ان كورنواليس مجهد جداً بحيث أخشى ان ينهار اذا ما تعطل قبول المعاهدة الى أطول من هذه المدة.

20 أيار

لم نتقدم أية خطوة الى الامام، عدا قيام اللجنة المعنية بالنظر في المعاهدة بتقديم تقريرها الى المجلس هذا اليوم. انها توصي باجراء تغييرات لا تحصى، وتفترض بثقة ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية ستقبل بها ـ مع أَنَّ حكومة صاحب الجلالة قد صرحت مراراً بانها سوف لا تفعل ـ لكنها لا تشير على المجلس بالفعل ان يرفض المعاهدة من دون تعديل. وقد تأجل اجتماع المجلس عشرة أيام للنظر في التقرير، غير أني انتظر ان يصحو المجلس صحواً محفوفاً بالخشونة لأننا سمعنا اليوم ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية عازمة على اصدار انذار يحدد الوقت الذي يجب ان يتم فيه كل شيء بالحادي عشر من حزيران. ويتنبأ السر هنري بأنهم سينتهون لا بالقبول ولا بالرفض، وانما سيديرون أظهرهم لها كما يفعل كلب (السبانيل)(!!) حينما يحرك رجليه بعجز وضعف في الهواء. ان هذا التشبيه يؤسفنا.

ولم أعد، في الوقت نفسه، أقلق وانزعج. فصرت أقول لجميع من يأتي لزيارتي اني أفكر في مقدار الراحة التي سأحصل عليها بالعودة الى

الوطن والعيش فيه بوجود سيارة تحت تصرفي بدلاً من أن أحصل على فورد «فان» بصعوبة ليعود بي من المكتب الى هنا. غير ان تجلدي لا يحتمل الصمود تجاه الناس راسخي الايمان من مثل الحاج ناجي، الذي لا يفكر الا بتصديق المعاهدة. يجب ان أركب واذهب لأراه الآن.

21 أيار

ذهبت فوجدت عزيزي الحاج ناجي في حالة انفعال مكبوت. انه متأكد من أنهم سيقصدونه(*) هو في المرة التالية، ويقول ان كل شخص آخر يعتقد بهذا. فبعد داره وانتظام حركاته يجعلان مهاجمته شيئاً سهلاً. وقد هدأته بأحسن ما يمكن لي ان أفعل، وعدت شديدة الانزعاج فرجوت كورنواليس ان يدبر قيام الشرطة بمحافظة الحاج ناجي، والاّ فاني عازمة على الذهاب الى هناك والسكنى عنده مدة من الزمن على ان أسمح له بأن يأتي الى بغداد من دوني. فقد اتفقنا على انه من المحتمل جداً ان لا يحاولوا اطلاق النار عليه اذا كنت أنا هناك.

.. سنتفرج قريباً على مشهد غريب(**) نجد فيه المعاهدة يقوم بامرارها ياسين الهاشمي نفسه من المجلس ـ ان للرجل بقعاً سوداء في سيرته، ومع هذا فانا آحبه، ففي شخصيته سحر خاص، وهو ينفخ في المرء شعوراً بالقوة. ذهبت لأراه قبل اسبوعين بمناسبة العيد، فرحب بي ترحيباً لم أقابل بمثله في أية دار أخرى وأصر على ان يأخذني لرؤية زوجته وبناته الثلاث الصغار. ان حياته العائلية جميلة لطيفة ومن النادر ان يوجد رجل آخر في بغداد يمكن ان يقال مثل هذا بشأنه.

(*) يقصد الحاج ناجي بهذا انه هو الذي سيطلق الرصاص عليه هذه المرة، بعد ان اطلق من قبل على عداي الجريان وسلمان البراك.

(**) كان ياسين الهاشمي العضو الوحيد الذي احتج على تعطيل المجلس في آخر جلسة، وقد رفعت المس بيل تقريرها بذلك الى المندوب السامي.

29 أيار

شخصي

قرأ لي السر هنري البرقيات المتبادلة بينه وبين حكومة صاحب الجلالة، حول ما يجب ان نفعله اذا ما رفضت المعاهدة. وكل ما استطيع قوله لكم ـ بأشد ما يكون من التكتم ـ ان تعديلاته لمقترحات حكومة صاحب الجلالة هي تعديلات حكيمة للغاية، مبشرة بالخير. واعتقد بأننا اذا ما تم اقرارها سننجو من العاصفة بطريقة نحصل بها على مصادقة 99% من أهل البلاد على المعاهدة (!).

4 حزيران

تقول المس برغوين (ص 343، ج2) ناشرة الرسائل ان المس بيل تصف في رسالة طويلة مؤرخة في هذا التاريخ حوادث الأيام التالية، حين اكتسح المتظاهرون من ابناء الشعب ضد المعاهدة اعضاء المجلس واوصلوا جلسة المجلس التالية الى نتيجة مذلة مشينة. وكانت الشرطة عاجزة عن العمل تقريباً، مما اضطر المسؤولين الى الاستعاظة بالخيالة. واستمرت هذه المناورات، ولو بشيء أقل من العنف بسبب التنظيمات الاحسن التي اتبعتها الشرطة، بحيث لم يصبح للاجتماعات المتعاقبة في المجلس الا قيمة قليلة، حتى استقر في ذهني المستر كورنواليس والمس بيل انه ليس هناك جهد بشري يمكن امرار المعاهدة بواسطته من المجلس الحالي.

ولا شك ان المس برغوين قد لخصت هذا من مضامين الرسالة التي لم تشأ ان تنشر منها سوى النصوص التالية:

... نحن متفقون في الرأي، انا والمستر كورنواليس، بأنا كنا قد ارتكبنا غلطة فاحشة. فليست هناك أية جدوى، على ما نرى اليوم، في ان نطلب الى شعب يجهل بالمرة شؤون السياسة وقواعدها ان يتخذ عن

طريق ممثليهم قراراً حيوياً يتعلق بمستقبله هو. فان عناصر الجهل، والاطماع الشخصية والعداء الاعمى، لابد من ان تلعب دورها في الحال فتحتجب القضية الاصلية احتجاباً تاماً لا يعود ابطال الدراما فيه يجدون طريقهم في العمل.

جاء عجيل، شيخ القبيلة العظيم الهادئ، ليراني في صباح هذا اليوم فقال لي «خاتون، جئت أقول لكِ انه ليست هناك قوة على وجه الارض تستطيع امرار المعاهدة من هذا المجلس. فليست لديك أية فكرة عما يجري في هذا البلد. ان بائعاً متجولاً في السوق يقف على بابي ليل نهار، حتى انه لم يتقدم كثيراً في عمره الغض ـ انه ولد اشعث صغير ممزق الثياب. وفي كل مرة أخرج من البيت او أدخل اليه يمسك بيدي فيقبلها، ويقبل عباءتي، وملابسي، ثم يأخذ بالبكاء والعويل ويقول: ايها الشيخ، يا والدي، أرفض هذه المعاهدة. لا تبيعونا للانكليز.. . انه لا يعرف ما تحتوي عليه المعاهدة. لقد دفع لهُ شيء من المال ليقف على بابي ويقول ما يقول..» وأضفت انا الى ذلك قائلة انه بلا شك قد أعاد درسه هذا حتى أصبح هو نفسه يعتقد بكونه عقيدة وطنية يجب ان يموت من أجلها. ثم أنهى عجيل كلامه يقول: وفي مقابل الولد الواحد الذي يقف على بابي هناك اربعة أولاد يقفون على باب كل عضو آخر من أعضاء المجلس.

وبنتيجة كل هذا فاني ما أزال واثقة. أنا ضجرة الى حد البكاء لأنهم جعلونا نبدو حمقى مجانين على هذا المنوال. لقد غالينا في تقديرهم وعلينا ان نعترف بغلطتنا، لكن ما لم نغال في تقديره هو اعتماد البلاد الاساسي علينا واستقامة قصدنا وهدفنا.

وفي اليوم التالي (5 حزيران) ارسلت المس بيل مذكرتين صغيرتين الى ابيها متممتين للرسالة هذه، تقول فيهما:

أعلن ناجي السويدي في الليلة الماضية انه سيلقي خطاباً آخر هذا اليوم يحث فيه على رفض أية معاهدة غير معدلة، واذا تم ذلك سيقترح التصويت على سحب الثقة من الوزارة والطلب الى المجلس بأن ينتخب وزارة أخرى من بين أعضائه. ولست بحاجة الى ان أذكر لكم ان هذا المجلس ليس من حقه أو صلاحيته اقالة الوزارة أو تشكيلها. لقد كان الأمر معلقاً منذ أيام. وكان من المفروض ان يعقد الشيوخ المعارضون اجتماعاً يوم أمس يقررون فيه مقدار القوة العشائرية التي ستدعو الحاجة لها، وعدد ما يستطيع كل شيخ منهم ان يقدمه من الرجال. هذا ما نحن أزاءه، وقد تركت السر هنري ينظر في الخطوات التي ستتخذ.

لم تكن البرقية الواردة من حكومة صاحب الجلالة في صبيحة هذا اليوم لتساعد كثيراً في حل المشكل، وهي تأمر المندوب السامي بأن يترك المجلس سائراً في طريقه الى رفض المعاهدة.

11 حزيران

لم يحدث شيء يعتد به يوم السبت. وفي يوم الاحد جاء علي السليمان يطلب الارشاد والتوجيه، فقلت له اني ما زلت اعتقد بأنهم يجب ان يبذلوا جهدهم في تصديق المعاهدة، واذا لم يستطيعوا ذلك عليهم ان يعملوا بفكرة يتقدم بها الاعضاء الاكراد بتحاشي الرفض وبالتصويت على تأجيل الامر الى ما بعد تسوية قضية الموصل. وكان هذا يعني بطبيعة الحال حل المجلس واضطلاع المندوب السامي بالمزيد من السيطرة التامة، لكني لم أقل هذا لعلي السليمان.

وجاء بعد الظهر عجيل الياور ليراني. وراح يقول: خاتون، ان ما أرغب فيه على الدوام هو ان انجح في عملي، ولما لم تكن هناك فرصة لأمرار المعاهدة فسأصوت على التأجيل. فقلت له ان هذا هو الفرق بينهم وبيننا نحن ـ لقد ذهبوا هم مع الدهماء بينما نظرنا نحن الى

المشكلة نفسها وقررنا ما كنا نعتقد به بأنه أصلح، ثم دعمنا قرارنا. وقد وافق عجيل على هذا التمييز. لكنه أضاف يقول ان المجلس قد أضاع تماماً الآن شعوره بأن الحكومة البريطانية حتى لو قبلت بجميع التعديلات المدخلة على المعاهدة فانه سيتمادى في عدم امرارها.

كان يوم أمس(*) يوماً محموماً. فقد اجتمع المجلس في التاسعة صباحاً وفي الحادية عشرة لم يكونوا قد بدأوا بالجلسة الرسمية. وانما بدأت في الحادية عشرة والنصف، فاقترح أحد الأعضاء في الحال تقريباً التمتع باستراحة نصف ساعة. وبهذا وصلنا الى منتصف النهار من دون ان يتم أي عمل. وفي الواحدة والربع أجلوا الاجتماع الى اليوم التالي! فتلفنت بعجلة الى (المستر كورنواليس)، فراح يستعيذ بالله. ثم ذهبت لأروي الخبر الى صاحب الفخامة، فوجدته غاضباً جد الغضب، وبينما كنا نتحدث ورد نداء تلفوني من البلاط يسألون فيه عما اذا كان من الممكن ان يمنحهم يوماً آخر. فرفض الطلب، وقال انه سيزور الملك ويطلب اليه حل المجلس في منتصف الليل اذا تعذر عليه الاجتماع بعد الظهر، وعلى كل سيأتي في الساعة الرابعة ليخبر الملك عما يفكر به.

وبعد ذلك قص علينا الكابتن هولت[1] وكان قد انتدبه ليعمل مراقباً في المجلس، ما كان قد حدث. لقد غمر الرئيس بسيل من المقترحات من كل نوع، وكان ياسين وآخرون قد تكلموا بشدة ضد اقتراح الأكراد. وما اقترح التصويت في المجلس على هذا الاقتراح حتى نهض جعفر العسكري وكان قد تلفن الى البلاط يخبرهم بأن الأمور لم تكن تسير على ما يرام، فطلب الى الرئيس تأجيل الاجتماع بسبب شؤون خطيرة

(*) اي آخر يوم من الوقت المحدد لامرار المعاهدة.

(1) اصبح هذا الكابتن بعد وفاة الآنسة بيل بمدة طويلة يشغل منصب السكرتير الشرقي في السفارة البريطانية ببغداد.

من شؤون الدولة. وقد تأجل الاجتماع بطبيعة الحال وانفض الأعضاء كما ينفض الطيور ـ انه الشيء الوحيد الذي يود المجلس ان يفعله.

وبهذا ازداد السر هنري غضباً فوق غضبه ـ انها قضية مماطلة. كان الملك يجرب القيام عن طريقها بلعبة ملتوية جديدة ـ وراح يسب هذا وذاك ـ حتى اقترحت ان نذهب لتناول الغداء. وبتأثير قدح من البيرة المثلجة هدأت حدة السر هنري المسكين.

وذهبت بعد الغداء الى كورنواليس فأخبرته بما حصل، وتوجه مسرعاً الى البلاط. وعند ذاك سمعنا من الملك انه كان قد استدعى المجلس وطلب اليه ان يجمعه في الساعة الرابعة بعد الظهر. وبهذا ذهبت الى البيت وانا متعبة، فنمت في حوالي الثالثة والنصف واستيقظت في السادسة وانا أفكر بارتباك فيما اذا كان الوقت ليلاً أم صباحاً وأسائل نفسي لم نمت بملابسي على الأريكة. على اني سرعان ما انتبهت الى نفسي وركضت الى التلفون فطلبت سكرتير المجلس وسألته عما اذا كان المجلس منعقداً أم لا. فكان الجواب: كلا، لم يحصل النصاب! وقد علمت فيما بعد أنه كان هناك نصاب بالفعل لكن ياسين الهاشمي كان يحرض الاعضاء على البقاء في الاروقة والردهات وعدم الدخول الى القاعة لعقد الاجتماع.

ثم جاء كورنواليس وأخبرني بما تم عمله. فقد ذهب الى الملك، وهناك التحق به السر هنري في الساعة الرابعة. وعند ذاك أخبر صاحب الفخامة الملك بأن على الوزارة أن تشرِّع قانوناً في الساعة السابعة صباحاً تخول فيه الملك حل المجلس، وعليه ان يفعل ذلك، ونحن مستعدون بعد هذا المضي في دعم الملك والوزارة. فكان جلالته ممتناً جداً ووافق على كل شيء. على ان كورنواليس لم يكن يعتقد بوجود أمل كبير، لاسيما وانّهم لم يحصلوا على النصاب المطلوب بعد الظهر.

وقد تعشيت، ثم تلفنت الى سكرتير المجلس فقال ان عبد المحسن بك كان قد دعا المجلس الى الانعقاد في الساعة العاشرة، وكان جعفر العسكري يبذل قصارى جهده في التغلب على أعضاء المجلس. فاتفقنا على ان يخابرني بعد العاشرة اذا ما حصل شيء، فلم أتلق أي نداء. وجاءني كورنواليس بعد العاشرة والنصف بقليل، فقلت اني سأتصل بسكرتير المجلس من جديد اذا كان يريد، لكني لم أكن اعتقد في الحقيقة بأن الأمر يستدعي ذلك لأنه كان من الواضح انهم لم يحصلوا على نصاب أيضاً، وان المجلس قد أرهق نفسه وهو يهزأ بالكون. وقد ناقشنا شؤون المستقبل برهة من الزمن، ثم ذهب وجلست انا أفكر ـ انتبه، انتبه! لقد انتهى كل شيء، فأية مهمة حمقاء كانت هذه ـ لقد دق جرس التلفون، واذا بكورنواليس يقول: أتعلمين ماذا حدث؟ انهم قد صدقوا(*) المعاهدة يمكنكم أن تدركوا بسهولة بأني كان من الصعب عليَّ

(*) كانت وزارة النقيب الثالثة قد صادقت على المعاهدة في 10/ 10/ 1922، واشترطت ان لا تكون نافذة المفعول قبل ان يصدقها المجلس التأسيسي. وانصرفت الحكومة بعد ذلك الى حل مشاكلها الاخرى ولتشريع قانون الانتخاب ليعقد المجلس بموجبه. وقد اجتمع المجلس في يوم 27/ 3/ 1924 فتحتم عرض المعاهدة عليه. وفي خلال المدة التي سبقت اجتماع المجلس حدثت مشاكل كثيرة ومتاعب جابهتها الوزارات المتتالية، لاسيما مشكلة مقاطعة الأنتخابات، فتغلبت عليها بالقوة والاساليب المعهودة. وتكونت خلال ذلك حركة وطنية عنيفة في جميع البلاد، وفي بغداد على الاخص، تزعمتها العناصر التي اضرمت نيران ثورة العشرين ومن انظم اليها بعد ذلك، ولاسيما ياسين الهاشمي وجماعة المعارضين في المجلس. وقد عرف بعدئذ ان الملك فيصلاً كان يغذي المعارضة في المجلس وخارجه لتساعده في التصلب تجاه الانكليز. وكان لابد لهذه الحركة من ان تصطدم بالمعاهدة التي كان يراد تضمين بنود الانتداب فيها بحيث تكفل مصالح الدولة الحليفة على أحسن وجه وتوفر عليها النفقات الباهظة التي يتوجب عليها صرفها لو حكمت البلاد مباشراً. وقد وقع الاصطدام بالفعل.
فقد اخذت المعارضة تضغط في خارج المجلس بصحافتها وانديتها ومظاهراتها على اعضاء المجلس وتطلب اليهم الامتناع عن تصديق المعاهدة قبل تعديلها =

ان أصدق الخبر، لكن جرس التلفون رن من جديد ـ واذا بالكابتن هولت هذه المرة ينقل لي نفس الخبر بأشارة من السنر هنري.

وبهذا ركست في نوم مرتبك، وحصلت في اليوم الثاني على القصة كلها من نوري السعيد. فالظاهر ان المجلس حينما دعي للأجتماع بعد

= في صالح العراق. اما في داخل المجلس فقد كان ياسين پاشا رئيس لجنة المعاهدة وصحبه يتابعون عملهم حتى قدم في 20 مايس تقرير اللجنة المطول، الذي يشجب المعاهدة ويطالب بتعديل الكثير من موادها، بخلاف التطمينات التي أعطاها للملك. فاشتد بهذا ساعد المعارضة في الخارج، ووصلت اوجها في المظاهرات الصاخبة التي حاصرت المجلس في يومي 29 و 30 مايس حيث كان مقرراً ان يبت المجلس بامر المعاهدة نهائياً.

اما الجانب الانكليزي فقد وقف المندوب السامي السر هنري دوبس منه موقفاً صلباً فيه غاية العناد، ورفض اجراء أي تعديل أو اعطاء أي تصريح. وقد استند في ذلك ـ كما يستدل من كتابه المؤرخ في 26 مايس الى الملك ـ على ان المستر رمزي ماكدونالد رئيس الوزارة البريطانية كان قد أخبر عصبة الامم ان المعاهدة مع العراق سيتم تصديقها قبل اجتماع مجلس العصبة في يوم 11 حزيران، وانه اذا لم يتم ذلك ستضطر الحكومة البريطانية الى تبديل سياستها تجاه العراق وتتخذ طرقاً أخرى تضمن بها تنفيذ التزاماتها تجاه العصبة. وعلى هذا الاساس الح على ان يتم كل شيء قبل ذلك التاريخ.

وبرغم جهود الحكومة والانكليز لم يحصل أي تقدم نحو التصديق في المجلس خلال الجلسات الاربع التي تلت يوم 29 مايس، نظراً لقوة المعارضة وتخوف أعضاء المجلس. وفي صباح 10 حزيران حدث لغط في المجلس ومعارضة شديدة بحيث قطع جعفر العسكري رئيس الوزراء الأمل في الحصول على أي قرار، فتأجل الاجتماع الى اليوم الثاني بموافقة الملك التلفونية. غير ان المندوب السامي تمادى في عناده، وهدد الملك بوجوب حل المجلس تمهيداً لاتخاذ تدابير أخرى في غير صالح العراق. وبعد جهود مضنية بذلها رئيس الوزارة خلال اليوم كله تمكن من جمع 68 عضواً في الساعة العاشرة والنصف من مساء اليوم نفسه. وعند ذلك خذل اقتراح المعارضة بتعديل المعاهدة ووافق المجلس على اقتراح الحكومة بتصديقها. فانتهت المشكلة وأبرق الى الجهات المختصة بالامر. (راجع الص 309 ـ 319 من كتاب آيرلاند الموسوم.. «العراق ـ دراسة في تطوره السياسي» الترجمة العربية).

الظهر وقف أحد الشيوخ الأشرار في خارج باب المجلس وحاول اقناع الأعضاء بعدم الدخول، ووقف ياسين في داخله فحال بصورة فعالة دون حصول النصاب للاجتماع. وعند ذاك أجل الاجتماع الى العاشرة مساء. وفي غضون ذلك مشطت المدينة بحثاً عن أعضاء المجلس. فقد أخذ مدير الشرطة (شقيق جعفر) وأحد مرافقي الملك يدوران على أعضاء المجلس بالسيارة ويشحنانهم اليه ـ الحسن والسيء وغير المبالي. فكان بين الحاضرين جميع المتطرفين البارزين. ولم يجلس الوزراء في المقاعد المخصصة لهم بل انتشروا بين جماعات الأعضاء المؤيدين للمعاهدة ليمدوهم بالتشجيع المطلوب. وقد بذل عبد المحسن السعدون جميع ما عنده من جهد ليحول دون التصديق على المعاهدة (ان ما كان يريده هو العودة الى الانتداب). وكان الاتفاق قد تم على ان يعرض على المجلس اقتراح الحكومة أولاً، لكنه حينما أزف الوقت عرض اقتراح ياسين باجراء التعديلات المقترحة في المعاهدة قبل تصديقها. فقفز نوري واقفاً، وبيَّن للمجلس ان هذا الاقتراح بمثابة رفض للمعاهدة، وتوقف قلبه بينما كان يجري الاقتراع. غير ان اقتراح ياسين قد خذل بأربعة واربعين صوتاً ضد أربعة وعشرين(*) ، أو بأرقام مثل هذه. وكان قد تم الاتفاق كذلك على ان يعمد الاعضاء الجالسون في جهتي القاعة الى الوقوف سوية حينما يبدأ الاقتراع، وان يظلوا واقفين حتى تسجل اسماؤهم كلهم. لكن

(*) ندرج فيما يأتي اسماء النواب الذين صوتوا ضد المعاهدة: ياسين الهاشمي، ناجي السويدي، رؤوف الجادرچي، محمد زكي المحامي، الشيخ احمد الداود، عمر الحاج علوان، عبد الرزاق شريف الحلي، الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، الشيخ حبيب الخيزران، الحاج رايح العطية، عبد الرزاق الرويشدي، صالح شكارة، الحاج حسن شبوط، آصف افندي قاسم أغا، عبد الغني النقيب، الشيخ سالم الخيون، الدكتور داود الچلبي، الشيخ قاطع البطي، الشيخ صكبان العلي، الشيخ منشد الحبيب، محمد حسين الموسى، عبد اللطيف المعروف، زامل المناع.

الرئيس عبد المحسن أساء التصرف مرة ثانية، فقد صار ينادي الأعضاء بأسمائهم واحداً بعد آخر ليدلي بصوته. «وكان يتحتم على العضو أن يقف» على ما يقول نوري «وهو يعلم ان الجميع يراقبونه وان شرفة المستمعين كانت ملأى بالحقوقيين، والناس من ورائه كانوا يشتمون والديه.» والحقيقة ان الأعضاء الذين صوتوا ضد ياسين كانوا يصوتون لنا، غير ان المحنة كانت فظيعة جداً، وحينما تم التصويت الثاني حصلنا على أغلبية أحد عشر صوتاً فقط. وقال ثمانية انهم لا رأي عندهم يبدونه، وكان أحدهم الحاج ناجي(*) . أنا متأكدة من أن عزيزي العجوز المسكين يشعر الآن مثل القديس بطرس.

والآن أعتقد بأن ياسين وجماعته سيبتعدون عن الميدان مدة من الزمن. وقد صرح جميع الاعضاء المساكين - الذين صوتوا مع المعاهدة(**) بأنهم لا يجرأون على الذهاب الى بيوتهم انهم سيقتلون. ولذلك ترتب ان يصحب كلا منهم رجل أو رجلان من الشرطة. وأركب

(*) كان المستنكفون عن التصويت: الحاج ناجي، السيد محمد النقيب، محمد الصيهود أمير ربيعة، عبد الله الياسين، عبد الله بك مخلص، محمد شريف، حسين ملا أغا، الحاج أغا داود.

(**) وفيما يأتي نذكر اسماء المصوتين مع المعاهدة من النواب: جعفر العسكري، نوري السعيد، الشيخ امين باش أعيان، صبيح نشأت، يوسف غنيمة، الحاج عبد الرحمن النعمة، عمران الحاج سعدون، ياسين چلبي العامر، عبود بك الملاك، الدكتور يحيى سميكة، الشيخ كباشي السعد، الدكتور سليمان غزالة، حبيب الطالباني، الشيخ شواي الفهد، سعد الشيخ قادر، عزت بك عثمان باشا جاف، ميرزا فرج، فتاح بك محمد بك، توفيق بك أحمد بك، الشيخ علي السليمان، عبد الرحمن الحيدري، عبد المحسن شلاش، مظهر الحاج صكب، عجيل الياور، علي جودت بك، عبد المجيد بك الشاوي، داود بك الحيدري، امجد العمري، أحمد الفخري، محمد شمرين أغا، صالح باش اعيان، محمد العريبي، شبيب المزبان، سلمان الحميد، فالح الصيهود، فتح الله سرسم، اسحق افرايم.

نوري في سيارته الخاصة الشيخ مظهر الحاج صقب، وقال له وهو يسحب قنبلة يدوية وجدها في جيبه صدفة أنظر ان هذه يمكن ان تقتل مئتين من الناس في الحال، فكان لهذه الملاحظة تأثير مهدئ على مظهر..

وبعد ان ناموا كلهم بحماية الشرطة، استيقظوا في صبيحة هذا اليوم ليجدوا أنفسهم ابطالاً! قال نوري انه لم يزره مثل هذا العدد الكبير من الناس قبل هذا، ليقولوا له انه أسد.

17 حزيران

تقول المس بيرغوين، ناشرة الرسالة هذه، في مقدمتها:

وبعد ان ابرمت المعاهدة في النهاية في منتصف ليلة آخر يوم ينتهي فيه أمد المفاوضات، انتهت المساومة المتعبة من أجل الحصول على أحسن الشروط، وشرع قانون الدستور بالاجماع من دون تبدل يذكر، منيطاً تاج المملكة الدستورية الجديدة بفيصل وورثته من بعده. ويعد الاجماع شيئاً رائعاً في مجلس يحتوي على الوطنيين المتطرفين والممثلين الاكراد، والشيعة العنوديين..

وقد كتبت المس بيل في رسالتها هذه تقول:

.. ألم تكن المعاهدة نعمة من النعم؟ ما زلت غير قادرة على نسيان الشعور المدهش بالارتياح، لكن كل يوم يجعلها تبدو حقيقة أكثر، وهناك فرق عظيم بين ذهاب المستر كورنواليس للتمتع بعطلته ومن حوله هالة رائعة تحف به وبين ذهابه صفر اليدين. لقد عمل عملاً شاقا، وكان على درجة من التعقل والبراعة بحيث ان التفكير في ذهابه متعباً مخلفاً وراءه فشلاً ذريعاً كان شيئاً أكثر مما يمكن أن احتمله..

الجو حار جداً هنا يا عزيزي، وسوف يكون هناك مزيد من

الحرارة. لكنني وجدت طريقة للتخلص جسمياً منها، بالقيام بتمارين رياضية مدة ربع ساعة حالما استيقظ من النوم في الصباح. لذلك يكون منهجي صباحاً كالآتي: النهوض في الخامسة والنصف، تمارين ربع ساعة، عشرين دقيقة في الحديقة لجمع الروز والياسمين للنهار، ارتداء الملابس خمسة وعشرين دقيقة، الفطور وحسابات البيت اليومية وترتيب شؤون البيت خمس عشر دقيقة ـ ثم الحضور الى المكتب في الساعة السابعة.

18 حزيران

كانت هناك فقرة سخيفة عديمة المعنى في الآخر (آخر المعاهدة)، الحقت بطلب من نواب الموصل، فحواها ان المعاهدة تصبح باطلة عديمة المفعول اذا لم نحمِ حقوق العراق في الموصل. لقد كان من الممكن ان تعمد حكومة صاحب الجلالة البريطانية الى غض النظر عنها، ولذلك طلب السر هنري، ببرقية ارسلت الى الوطن في اليوم الحادي عشر، اخباره في امكان قبولها. فلم نحصل على جواب ـ لم نحصل على جواب من أي نوعٍ كان حتى اليوم السابع عشر. وقد نجم عن التأخير وضع غير مناسب للغاية، اذ بدأت الجرائد المحلية تظهر شكوكها فيما اذا كانت حكومة صاحب الجلالة ستبرم المعاهدة أم لا. وأخذ الذين صوتوا لقبولها يتقاطرون على مكتبي بتلهف وشوق، ولم يكن بوسعي سوى أن أجيبهم بالجواب الذي يكاد لا يصدق وهو أن الحكومة البريطانية كلها تتمتع بعطلة «وايت زند»، ولم يتسن لها النظر في المعاهدة بعد. وحينما وردت البرقية في الاخير كانت مجرد تلميح بأن حكومة صاحب الجلالة قد قبلت المعاهدة ـ لم تكن فيها ولا كلمة شكر أو تهنئة للسر هنري، وكان قد اضطر لاتخاذ قرارات خطيرة، وباتخاذ القرارات المناسبة أوصل سياسة حكومته الى نهاية سارة. لقد تأثر كثيراً.

أتوقع ان يضطر جعفر العسكري الى ادخال ياسين في وزارته ـ اذا وافق على ذلك هو. انه قوة قائمة بذاتها، ومع انه مصدر قوة لانه يحظى بتأييد المتطرفين في الدرجة الأولى فان دخوله في الوزارة أسلم من بقائه في خارجها. وكان قد اعتزم على تجديد معارضته للمعاهدة، وظل يسعى لمدة اسبوع كامل في هذا الاتجاه. لكنه وجد بعد ذلك انه لا يستطيع ان يحظى بحزبه، وبدلاً من ان يخسر حسن نيتهم، برغم قناعته بأن الطريق الذي كان يسير فيه يكاد يكون مشؤوماً، فقد ترك المعاهدة جانباً. يجب ان تتذكروا انه ليس هناك أحد منهم يعتقد بأننا سنترك العراق، ولذلك لم يكن من المخطر أن يعمد البعض الى رفض المعاهدة.

25 حزيران

نحن الآن امة سعيدة حقاً ليس لها تاريخ. فالمجلس منشغل بابرام القانون الاساسي. . . وهناك كتلة متراصة في المجلس ـ مؤيدو المعاهدة ـ عازمة على عدم اضعاف سلطان العرض بعد ان تعلم أفرادها الحكمة من الأوهام والهياجات التي صحبت تكوين الهيئة النيابية الوحيدة التي عرفوها.

لم أشتغل كثيراً في هذا الاسبوع. وقد أكثرت من السباحة، لاننا في كل يوم أحد نذهب نحن بجماعتنا المعتادة الى ما يقرب من الاعظمية بالزورق البخاري حيث نسبح ونتعشى على شاطئ النهر. فعندي هناك «چرداغ» من القصب صغير أخلع فيه ملابسي، وآخر في مسبحنا الذي يقابل قصر الملك حيث نذهب عندما نزمع العودة للعشاء. وقد انضم الينا الملك وزيد يوم أمس ـ سوف ابلغهما بالامر في كل مرة نذهب الى هناك لكي يعبرا النهر ويسبحا معنا.

2 تموز

. . . سيكون بامكان المجلس التأسيسي أن يصادق على القانون الاساسي في الوقت المضروب له، ويجب ان يكون هذا قبل ان يغادر

السر هنري بالاجازة في يوم 14 منه. هل أخبرتكم من قبل عن سفره؟ انه سيتغيب شهرين تاركاً نيجل ديڤيدسن وكيلاً عنه، وهو ترتيب حسن على ما أرى. فهو بحاجة الي شيء من الراحة، وسيكون من المفيد كذلك ان يواجه المسؤولين في لندن فيعرض عليهم آراءه. أنا ممن يوافق اللورد كرومر تمام الموافقة حينما كان يقول أن الموظف الكبير يجب ان يأخذ اجازته كل سنة اذا امكن، لأن مصلحة أصحاب الجلالة في ذلك تساوي مصلحته هو فيها. وبالنظر لما يمكن أن أراه سيخيم علينا الهدوء التام في الشهرين التاليين.

كان ألطف ما حدث خلال هذا الاسبوع التمارين التي أجرتها القوة الجوية الملكية في قصف الاهداف. حتى انها كانت أكثر اثارةً للدهشة من تمارين العام الماضي التي جرت عند استعراض القوة الجوية يومذاك لانها كانت أكثر قرباً للواقع. فقد عينوا قرية خيالية تقع على بعد ربع ميل من المكان الذي كنا نجلس فيه على سدة ديالى، فسقطت أول قنبلتين من على (3000) قدم في وسطها تماماً وأشعلت فيها النار. فكان شيئاً فظيعاً مدهشاً واسقطوا القنابل حولها من جميع الجهات بعد ذلك كأنهم يريدون ادراك الشاردين، ثم قذفوا بقنابل الحريق واضرمت لهيباً كان يبين سطوعه حتى في وضح النهار المشرق. وتحترق هذه القنابل بواسطة بعض المعادن، ولا يمكن ان تطفئها المياه. واخيراً ذهبت السيارات المصفحة للقبض على المشردين مستعينة بالرشاشات.

لقد تحسست بذلك للغاية، فالحرب من الجو فظيعة جداً ولا رحمة فيها بدرجةٍ عجيبة...

2 تموز (ب)

ركبت يوم أمس ذاهبةً لأرى الحاج ناجي. انه خجل من نفسه بصورةٍ مؤثرة لأن الخوف والتشويش دفعاه الى الامتناع عن التصويت

للمعاهدة. لقد وصف لي والخوف يخشاه كيف سحبته الشرطة من فراشه وزج في السيارة، وهو لا يعلم اذا كان سيؤخذ الى المشنقة أو الى مكان آخر ـ ذلك الهرم المسكين. فلطفته ووعدته بأن أتعشى فوق سطح داره على ضوء القمر المقبل.

9 تموز

. . . هل تعلمون بأني أكن اعجاباً عظيماً للسر هنري، لأنه على أحسن ما يكون في عمله. فانا معجبة للغاية بالرسائل الرسمية التي يكتبها الى الوطن ـ انها جريئة ومنورة جداً. ولذلك فهو اداري عظيم الشأن. انه سيتمتع بالاجازة في الاسبوع القادم، ويتغيب عنا شهرين.

9 تموز (ب)

جرى لي حديث طويل مع الملك يوم السبت الماضي، حول فلسطين وشرقي الاردن غالباً. فعبد الله ميئوس منه؟ والورطة في فلسطين تتحول من سيئ الى أسوأ. وقد تعب المسلمون من المعارضة الجوفاء فبعثوا يستمزجون رأي فيصل فيما اذا كان بوسعه ان يأتي كوسيط لهم عند الحاجة. انه مستعد لذلك بطبيعة الحال. وقد تجد حكومة صاحب الجلالة ان هذه الفكرة شيء مناسب أيضاً. ستكون فكرة فيصل ان ينصب زيداً أميراً في فلسطين ويدخل في تسوية مع الصهاينة. لقد أشرت على جلالته بالتريث في الوقت الحاضر، وانتظار التطورات الحاصلة.

تمشي وزارة جعفر العسكري مترنحةً نحو قبرها، وكان آخر عمل اضطلع به السر هنري الاعداد لميلاد وزارة جديدة. ان ياسين باشا هو الرئيس المرشح. فهو من الناحية العقلية أقدر رجل هنا، لكنني أنظر الى تسنمه الرئاسة بأكثر ما يكون من عدم الثقة، ولا الجأ في ذلك الا الى التفكير بأن السر هنري، وله قدرة على التمييز أحسن من قدرتي، يعتقد بأن هذا هو الحل الاحسن.

16 تموز

. . . ان أول ما أقوم به في المكتب هو أني أتصفح الجرائد المحلية الثلاث وأترجم ما يجب ان تلفت اليه انظار السلطات منها. وتطبع الترجمة على الآلة فتعمم على المندوب السامي والمستشارين في دوائر الدولة العربية، ثم تجمع في النهاية ويصنع منها ملحق للتقرير نصف الشهري الذي يرسل الى وزير المستعمرات. وفي الوقت الذي يتم فيه ذلك تبدأ الاوراق بالتوارد. تقارير الاستخبارات من جميع بلاد الشرق الادنى والهند، وتقارير محلية، وعرائض وما اشبه. أما العرائض فأنا أبت فيها عادة، واؤشر على التقارير المحلية مقترحةً اذا دعت الضرورة ارسال مذكرات بشأنها الى وزارتي الداخلية والمالية (الى الداخلية غالباً، لانها الوزارة التي أعنىء بها أكثر) أو تحارير رسمية. وأكتب في بعض الاحيان المسودات بنفسي في الحال، أو اقترح أحياناً الخطوط العامة وانتظر التصديق عليها أو تصحيحها. وفي خلال كل ذلك يأتي الناس لمواجهتي، من شيوخ وموظفين عرب او مجرد اناس يريدون ان يقدموا شيئاً من المعلومات او يطلبوا المشورة، واذا كان هناك شيء مهم فيما يقولونه أخبر المندوب السامي به في فترات العمل اليومي. أنا مشعولة في الوقت الحاضر بكتابة التقرير السنوي الى عصبة الامم. وتتوفر لي في العادة ساعة أو ساعتان من الهدوء قبل الغداء..

23 تموز

اذا ذهب الملك الى الخارج(*) سنبقى آسفين، وسيكون هذا خيرا على خير. فهو يقابل الطالحين من الناس دوماً، ونظراً لأن المستر

(*) لم يكن الملك فيصل في حالة صحية جيدة، وقد نصحه الاطباء بالسفر الى الخارج والبقاء هناك اسابيع قليلة.

كورنواليس غير موجود هنا ليتولى مراقبته فليس هناك من يقوم بهذا العمل على ما اعتقد، ولذلك فان ذهابه سيكون مصدر راحة لي. وحتى يتم ذلك سأمر عليه بنفسي بين آنٍ وآخر. فأن كونه مريضاً سيتيح الفرصة لزيارته زيارات ودية. . .

كلا لا يمكنني أن آتي الى الوطن في أيلول، فان نيجل ديڤيدسن وأنا ندير العراق على ما يقال.

30 تموز

ان مشكلة السليمانية في وضعٍ مرضٍ للغاية. أظن ان الشيخ محموداً قد قضي عليه فذهب الى الخارج في النهاية. فقد دخلت الخيالة العراقية من دون مقاومة، لكن الشيخ محموداً كان معه حوالي مئتين من الشبانة وهرب الى الجبال. وأخذ القناصة من رجاله يرمون البلدة في كل ليلة. فاصبح الخيالة في ضيق لانهم لا ينامون في الليل ويتولون الاستطلاع في النهار. لكنهم سلكوا مسلكاً رائعاً، وهو أحسن ما نسمعه من أخبار. أتوقع ان يجد الشيخ محمود طريقه الى تركية، ومن المحتمل ان يصل اليها، فمن الصعب ان يقبض على أحد في تلك الجبال الوعرة. ويعد هذا من وجهة نظرنا أحسن ما يمكن ان يفعله بوجهٍ عام، الاّ اذا مات. فأنت لا تعرف مطلقاً ماذا تفعل مع رجلٍ من هذا النوع حينما يكون في قبضة يدك، وتكون عرضة للمضايقة بالعرائض التي تطالب بأطلاق سراحه. فحتى الذين يكرهونه ويخشون صولته يوقعون العرائض مع الباقين لئلا يّؤذيهم حينما يطلق سراحه في يومٍ من الايام، بسبب عدم اشتراكهم في تقديم العريضة.

5 آب

كان هذا الاسبوع مليئاً بالحوادث. فقد أنهى المجلس اشغاله يوم السبت فحل بعد ان شرع قانون الانتخاب الجديد. واعلن عن تشكيل

الوزارة الجديدة بعد الظهر، وقد تولى ياسين(*) رئاستها ووكالة وزارة الدفاع فيها. وهذه نقطة الضعف فيها. انهم لم يتفقوا على وزير لهذه الوزارة، فقد اراد الملك نوري لكن الباقين لم يقبلوا به. فاجرى الملك في الاخير تسوية خاصة بوجود استحداث منصب جديد باسم «نائب القائد العام» (ان الملك نفسه هو القائد العام) وتعيين نوري فيه. والغرض من هذا إبعاد ياسين عن الاتصال المباشر بالجيش بوضع نوري بين الفريقين، لتمر شؤون الجيش كلها عن طريقه حينما ترفع الى ياسين. وهذا حسن كله من الناحية النظرية، لكني استطيع أن اتصورهم يركضون من وراء ظهر نوري للاتصال بالوزير شخصياً.

جاء ياسين وساسون (المالية) لمواجهتي يوم الاثنين. فقال ياسين وهو يصافحني «نحن نفتقر الى مساعدتك، مساعدتك انتِ على الاخص». فقلت ان أية وزارة يعينها الملك، ويصادق على تعيينها المندوب السامي، لها الحق في ان اساعدها. وقد كرر عليّ ملاحظته الأولى ببالغ الجدية حينما خرجا. لقد كتبت أخبره بأنه سيحظى بمؤازرتي التامة طبعاً، لكني لم أزد على ذلك جملة «ومراقبتي الشديدة أيضاً».

ظهرت يوم أمس ظهوراً مدوياً جريدة «الاستقلال» التي عطلها جعفر العسكري وقت الاضطرابات التي وقعت اثناء مناقشة المعاهدة، وهي تنال من وزارة جعفر وتتهمها بكونها ظالمة. والحقيقة ان رئيس التحرير وكاتب المقال الافتتاحي(**) هما في جيب ياسين، ومن المؤكد

(*) تشكلت الوزارة الهاشمية الأولى في 4 آب 1924، وكانت تتألف من: ياسين الهاشمي للرئاسة والدفاع بالوكالة، عبد المحسن السعدون للداخلية، رشيد عالي الكيلاني للعدلية، ساسون حسقيل للمالية، مزاحم الباچه چي للاشغال، محمد رضا الشبيبي للمعارف، ابراهيم الحيدري للأوقاف.

(**) كان السيد قاسم العلوي يتولى تحرير جريدة الاستقلال وكتابة مقالاتها الافتتاحية في الغالب، أما صاحب الجريدة فكان عبد الغفور البدري.

جداً ان جميع ما يظهر في جريدة الاستقلال يصادق عليه هو على الاقل، اذا لم يظهر بايحاءٍ منه.

6 آب

أحمد الله على أني انهيت كتابة تقريري السنوي الى عصبة الامم - يجب ان أقول تقرير المندوب السامي، لكنني أكتبه أنا. فأنا أكتب كل القسم المختص بالمندوب السامي، وتقرير وزارة الداخلية التي أعرف عنها بقدر ما يعرفه الجميع. كثيراً ما اتعجب بمقدار ما أعرف!

انتم تعلمون بأني اصبحت شخصاً منزوياً بعد جميع هذه الاشهر التي صرت أعيش فيها لوحدي تماماً. لكني اتغدى مع نيجل في المقيمية على الدوام - كلانا نود هذا لأنه يتيح لنا الفرصة لمناقشة أنباء اليوم.

13 آب

أتينا هنا على نهاية محرم من دون وقوع حادث يذكر، وكان يوم أمس آخر يوم منه(*) .انا مسرورة لانتهائه، فقد كان الهواء في كل ليلة من الليالي العشر الاخيرة يصبح مزعجاً لانه يمتليء بنواح مواكب العزاء الحسيني، وبصراخهم واصوات السلاسل الكئيبة التي يضربون بها على أظهرهم. انه شيء موحش حتى حينما تسمع من بعيد، وتجعل المرء يشعر بالانزعاج. وهناك مسجد صغير للشيعة على بعد مئات قليلة من الياردات من خلف داري، وفي الليالي الأولى من الشهر، حينما يكون القمر هلالاً، كان سطوع المشاعل فيه يدخل مرتعشاً من شبابيكي. ان هؤلاء الناس يجهدون أنفسهم الى حد الجنون بحيث يكون من العجيب ان لا يحصل أي انفجار لأحدى سورات العصب المتناهي، لكن هذا لا يقع هنا..

(*) لعلها تقصد نهاية العشر الأولى من محرم الحرام.

20 آب

تعشيت عند الحاج ناجي فوق سطح داره، فكانت أمسية لطيفة باردة، لاننا جلسنا هناك والقمر يسطع في اتمه بحيث لم نشأ ان نأتي بضوء آخر، في وقت كانت قمم اشجار التوت فيه تتماوج من حولنا. وسرعان ما لاحظت ان القمر اصبح له شكل غريب، واذا به قد انخسف خسوفاً كلياً. أتوقع أنكم قد شاهدتم ذلك ايضاً. وعندما كنا نعود بالسيارة كان الظل الذي التف حول القمر قد ازداد كثافةً وعمقاً حتى ترك العالم في ظلام مخيف. وكان الناس في بيوتهم يضربون على الصفيح ويطلقون الرصاص من مسدساتهم ليخيفوا الحوت الذي كان يبتلع القمر[1]. فنجحوا في ذلك أخيراً ولكن بعد أن كبدهم قلقاً عظيماً، فقد دام الخسوف مدة طويلة.

لم ننقطع عن السباحة في مشرعتنا المفضلة مقابل قصر الملك. ويشاركنا أحياناً جمع من الرجال اللامعين مثل الملك وزيد وجعفر ونوري.. . كلهم من أصدقاء الملك ورجاله. ويأتي بعضهم للسباحة، لكن الجميع يأتون للنزهة فوق الشاطئ. هل تعلمون ان القيام بواجبات المجاملة يعد شيئاً صعباً على المرء حين يكون بملابس السباحة المبللة؟

ذهبت الى المتحف في صباح الاحد، اذ كنت قد وعدت عدداً من معلمي الموصل بأراءتهم أياه. لقد تحسسوا كثيراً وأثنوا على الخدمات التي أؤديها للعراق. لكن ما يفرحني اكثر من ذلك هو اني تسلمت كتاباً من السر أيف كينيون يقول فيه انه يعتقد بأن دائرة الآثار العراقية تعد

---

(1) كانت الآنسة بيل في سنة 1917 تعتقد ان الشيطان هو الذي كان يبتلع الحوت. . وهذا وهم يدل على جهل بالفولكلور العراقي.. ويبدو انها بعد ان توغلت في حياتنا الشعبية خلال ثمانية أعوام ادركت ان الحوت هو الذي يبتلع القمر.

طرازاً يحتذى به في قسمة اللقى بين المنقبين والحكومة المحلية، وانه طالما كانت هذه الشؤون منحصرة فيّ سيكون راضياً تمام الرضا بها. فارتحت لهذا التصريح لأني كنت أخشى ان لا يصفحوا عني قط لاخذي منظر «حلب البقر»، وكان أحسن ما عثروا عليه حتى الآن. اذا لم يكن بوسعي ان أفعل غير ما فعلت، وكم أنا فرحة باعترافهم بذلك. لقد كانوا متعقلين للغاية.

20 آب (ب)

تغديت يوم الاثنين غداءً عائلياً مع الملك وزيد. وجاء السندباد (طبيب الملك الخاص، ساندرسن) لزيارته فطلب اليه أن يبقى كذلك، وكان هذا شيئاً بديعاً لأني أحبه. ان له قلباً من ذهب، وهو الى جانب ذلك رفيق حسن. وكان جلالته تواقاً للتحدث حول أخطاء عبد الله. لقد شوّش عبد الله الامور في شرقي الاردن الى حدٍ جعل حكومة صاحب الجلالة البريطانية تنوي استئناف السيطرة المالية والعسكرية على الامارة. ويلاحظ ان الملك يصبح هزلياً جداً حينما يتحدث عن مساوئه (مساوئ عبد الله).

اطلعني نيجل اليوم على مقالٍ منشور في الـ «ويست مينيستر غازيت» الصادرة في الثامن والعشرين من تموز، وفيها معلومات مستقاة من «مصادر عليا» اعتقد انها للمستر فلبي لا غير. انها تعيد الى الاذهان قصة طالب النقيب برمتها، وتتهمنا بأننا أكرهنا العراق على قبول فيصل بالخداع، وبأنا أرهبنا المجلس التأسيسي، ومنعنا النواب المعارضين للمعاهدة من حضور الاجتماع باحاطة مبنى المجلس بنطاق من الجيش والشرطة، وأخيراً بأنا أمررنا المعاهدة بالقوة في الجلسة الاخيرة..

ان الملك مبتهج جداً لأن الملك حسينا قد سمح في الاخير لابنه الوحيد غازي بالمجيء، وكان محتفظاً به في مكة حتى الآن. والولد

حالياً ـ وهو يبلغ الثانية عشرة من عمره ـ في عمان، وسيوفد جلالته عبد المحسن بك ليأتي به الى هنا.

3 أيلول

كنت في حالة صحية منحطة حسينا كتبت لكم آخر مرة لكنني أدهشت الدكتور ساندرسن بالسرعة التي تماثلت فيها الى الشفاء. لقد ساعد على ذلك كثيراً التبدل الحاصل في الجو. آمل ان تكون فترة الحرارة الشديدة قد انتهت، لكن الصيف كان شيئاً مرهقاً. ذهبت الى المكتب في الايام الثلاثة الاخيرة هذه وداومت اليوم دواماً كاملاً في الصباح، ومن السابعة الى الواحدة والنصف، من دون أن اشعر بتعب.

كان هناك قليل مما يستحق الذكر، سوى الدسائس الفظيعة التي لا أود أن أكتب عنها. فقد كان الكولونيل سليتر(*) يعاكس متقصداً السياسة التي يتبعها نيجل (**) في تسيير الامور. ويتميز الملك غضباً في الوقت الحاضر. لقد كان يلعب دوره بشكل جيد جداً، لكنه يجد نفسه في كل دورةٍ يدورها أزاء وزارة تعاكسه(***) بتحريض من الكولونيل سليتر. تأسفت جداً لوضع نيجل، لأن هذا الدس قد جعل الامور صعبة جداً عليه، لكنه كان يعالجها بهدوء عظيم وتمييز صائب. لقد كان لطيفاً للغاية معي، وأظنه كان يود أن أبقى معه ليضع ثقته عندي. فأنه لم يستطع التحدث الى أي شخص آخر من بين موظفيه.

(*) مستشار وزارة المالية و كان من معارضي تأسيس حكم وطني في العراق بأي شكل، ولذلك كان يؤيد ويلسن في سياسته قبل ان يقصى عن العراق.

(**) وكيل المندوب السامي يومذاك.

(***) كانت الوزارة في هذا العهد الوزارة الهاشمية الأولى، وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل الملك فيصلاً يومذاك يمتنع عن تكليف ياسين الهاشمي بتأليف وزارة أخرى، وبقى على امتناعه حتى توفي.

أما الامور الاخرى ذات الاهمية فهي:

(1) ان كلية باليول(*) قد عرضت فكرة قبول زيد لمدة سنة اذا اتبع المنهج الذي يضعه له الاستاذ. آمل ان يتسنى له الذهاب الى هناك، غير اني أخشى ان يصر الملك حسين على منعه من ذلك ـ الله اعلم بالسبب ـ وان لا يتجرأ زيد على مخالفته. والناس كما تعلمون يجب ان يخالفوا أبويهم أحياناً، بعض الآباء في الأقل.

(2) تقول وزارة المستعمرات اننا يجب ان نبعث بالتقارير الى عصبة الأمم وهي مكتوبة بشكل تقويمي سنوي، بدلاً من ان تكون بشكل يغطي السنة المالية.. يبدو انهم يريدوننا ايضاً ان نقلد تقارير فلسطين بقدر الامكان، ناقصاً ذكر الصهيونية. وحينما القيت نظرة على الاستقصاء العام المدرج في التقرير الأخير (الفلسطيني) وجدت فقرات كان يكتفى فيها ان نذكر مثلاً: ان زراعة التبغ في تزايد. فماذا نفعل اذن بفقراتنا المنطوية على ذكر المجتهدين، والمجالس التأسيسية، وتصادم العقائد والعنصريات مع تمثلها وذوبانها بالتدريج ـ ما الذي تستطيع فلسطين ان تبينه بالنسبة لأشياء من هذا القبيل؟ وجدت نفسي وانا أكتب عن القضية الكردية أني أوردت في منتصفها قولي انه من المؤسف بالنظر للحركات التي يتحركها الشيخ محمود ان تأخذ زراعة التبغ بالتناقص. وأذكر بالمناسبة ان أول ما تهتم به عصبة الأمم على ما يظهر هو الأمراض الزهرية ـ علينا ان نبذل عناية خاصة جداً في الكتابة عن ذلك..

10 أيلول

يسرني أن أقول اني أصبحت بصحة جيدة من جديد، وان الجو قد أصبح على درجة أكبر من البرودة، لأن الحرارة نادراً ما تتجاوز (105)

(*) من كليات جامعة اكسفورد.

فهرنهايت. لقد انقلب العالم العربي، في الوقت نفسه، انقلاباً تاماً آخر، وأتوقع ان يكون الوهابيون في مكة قبل مضي وقت طويل ويصبح الملك حسين لاجئاً. على أني ادعو الله فقط ان يكون لاجئاً عندنا هنا. أصبح سكان الحجاز ساخطين عليه بحيث صاروا يرحبون بكل من يريحهم منه.

17 أيلول

ان الملك قلق جداً. انه هو وزيد يقولان لنا ان الحسين يستحق كل ما يصيبه (!)، وانه شخص يصعب التعامل معه بالمرة، وانه يجب ان ينتهي أمره(*) . لكن فيصلاً يقول انه باعتباره مسلماً ينبغي عليه أن يعارض بكل وسيلة ممكنة إيقاف الزحف على المدينتين المقدستين من قبل ابن سعود. وتعمد في الوقت نفسه حكومة صاحب الجلالة البريطانية من دون تعقل الى التريث حتى يتسنى لها ان تقف على اتجاه الرأي لدى مسلمي الهند. كان موسم الحج، المنتهي مؤخراً، محفوفاً بالفضيحة والعار. فقد كان الشريف حسين يبتز المال من الحجاج يمنة ويسرة وليس بوسعه ان يسيطر على البدو بحيث أغلق الطريق الى مكة، وسلب الذين حاولوا الوصول اليها. والبدو يكرهون الحسين لأنه لا يعطيهم ما يعدهم به مطلقاً لقاء الاحتفاظ بالطريق مفتوحاً على الدوام.

24 أيلول

... نحن في وضع غير مريح، لا نعرف فيه اذا كنا في حالة حرب أم لا. فهناك حوالي ثلاثة آلاف جندي تركي نظامي في داخل حدودنا الادارية، منشغلين في قتل الآثوريين التابعين لنا وقد أخذ هؤلاء يهربون ليصبحوا لاجئين مرة أخرى. ويوجد في تلك الجبال حوالي سبعة آلاف منهم، لكن المرء بوسعه أن يتصور ان عدداً غير يسير منهم قد

(*) ادعاء يشك في صحته.

قتل. غير ان حكومة صاحب الجلالة متمسكة بالصمت بينما تستمر المفاوضات بهدوء في جنيف بشأن مشكلة الحدود.

... واخيراً سيتوجه زيد الى اوكسفورد، وسيصل الى لندن في الثامن من تشرين الأول. فأرجو يا والدي الاعز ان تذهب لزيارته عندما تكون هناك..

30 أيلول

... وفي مساء اليوم الذي وصل فيه اللورد طومسن (الخميس) اقيمت حفلة عشاء رسمية في «المقيمية» فحياني في الحال باعتباري أخت مولي، وجاء بعد انتهاء العشاء فتحدث اليَّ. وهو لطيف جداً من الناحية الاجتماعية على وجه التأكيد. ودعاني الملك على الشاي في اليوم التالي لأترجم له، لكن عدداً من الوزراء كانوا هناك، ولذلك لم يكن الحديث الاّ شيئاً سطحياً. وفي يوم السبت طار اللورد طومسن الى الموصل، ثم طار على طول الحدود الشمالية يوم الاحد، ومر بأربيل وكركوك فبات ليلته في الاخيرة. وفي الاثنين طار الى السليمانية، وبقي فيها ساعتين ثم قفل راجعاً الى بغداد حيث حضر الغداء في المقيمية. ألم يكن هذا مدهشاً؟ وقد اقيمت في المساء مأدبة خاصة في القصر الملكي ـ فكانت شيئاً مؤنساً بقدر ما يمكن ان تكون حفلة مثل هذه. وتحدث الملك الى اللورد بعد ذلك في الحديقة، وكان المترجم بينهما ساسون أفندي ـ قال لي المستر هنري ان اللورد طومسن كان في وضع ودي للغاية.. . هذا ويذكر انه استقبل استقبالاً فخماً في السليمانية، وجاء للسلام عليه رؤساء الاكراد جميعهم وفي معيتهم مئات من اتباعهم مدججون بانطقة العتاد ومزودون بالخناجر والمسدسات. وكان الموكب طويلاً بحيث أنهم قبل ان ينتهوا من تقديم وفود البلدة التقى الرأس بالذنب ـ لقد نشأت مشكلة صعبة في قضية الأقدمية! وقال اللورد طومسن انه شعر هناك كأنه

امبراطور صغير من أباطرة الرومان.

اشترى الملك مقاطعة بالقرب من خانقين(*) ، فدعاني للذهاب اليها بالسيارة اليوم لأنه يريد انتخاب موقع لبناء قصر يلتجئ اليه وقت الصيد غير اني رتبت مع السر هنري ان نذهب في قطار الليل فنصل هناك في الساعة السادسة صباحاً، ونقضي اليوم مع جلالته، ثم نعود في قطار الليلة التالية ونداوم في المكتب صباح الخميس.. والملك ينزل في الخيمة حالياً.

30 أيلول (ب)

. . . ما زالت حربنا ناشبة في الشمال، لكن الاتراك يحصرون اهتمامهم في قتل الآثوريين. وبعد تشتت جماعي مفاجئ في بداية الأمر أخذ الآثوريون يصمدون. ومع هذا فقد احترقت جميع القرى الكائنة في اقصى الشمال، وأصبح عندنا ستة آلاف لاجئ في العمادية. أليس من الفظاعة بمكان أن نبدأ من جديد بكل مراحل الاسعاف واعادة التوطين. . .

7 تشرين الأول

قضيت يوماً مؤنساً مع الملك في مزرعته (في خانقين). وصلت الى هناك في السادسة والربع صباحاً، بقد قضاء ليلة مريحة في القطار الليلي، فوجدته ذاهباً الى الصيد. وقد التحقت به فطاردنا الدراج بفرح وحبور حتى التاسعة، حين أخذت حرارة الجو بالارتفاع. كنت محرورة جداً بين الثانية عشرة والثالثة، فعدت الى خيمتي وخلعت جميع ما أمكنني خلعه من الملابس، وفتحت جانبي الخيمة، ثم تمددت فوق فراشي وأخذت أقرأ. وبعد تناول الشاي ركبنا السيارة أولاً، ثم امتطينا

(*) علياوة.

الخيول ورحنا نرتاد القسم الجنوبي الشرقي من المقاطعة. كان الروس قد دمروا جميع القرى هناك في 1917، فبقى المكان منذ ذلك الوقت يباباً بلقعاً. لكنه بقعة مدهشة من البلاد، فيها كثير من المياه، وجلالته يمتلئ فكره بالمشاريع الخاصة بزراعة القطن والتبغ. ان المقاطعة تقع على ما يقرب من عشرين ميلاً من خانقين، و تبدو الجبال الايرانية بمنظرها الجميل من فوق «التل» حيث كانت تنصب خيامنا وحيث سيشيد القصر. وقد تعشينا معاً تحت النجوم، فقص علي الملك كيف كان يشعر بالوحدة وكيف كان يتمنى المجيء الى مثل هذا المكان فراراً من جو البلاط والمكتب الممل، وهو كل ما كانت بغداد تقدمه له. وكان سيبقى لوحده تماماً لو لم أصل الى هناك، فقد كان يريد أحداً يتحدث اليه حول مشاريعه وخططه، ويقول له ما ألطف الوقت الذي سنقضيه في اللهو والمرح هنا حينما نأتي كلنا لنتصيد معه، ونهتم اهتماماً حقيقياً بما كان يفعله. كنت مسرورة لكوني أتيت، اضف الى هذا أني قد استمتعت كثيراً بهذا المجيء. فاني أنا أيضاً كنت أشعر مثل السجين الهارب من سجنه. فبعد ذلك الصيف الطويل في بغداد كان من الملذ أن اخرج الى الريف وأشاهد سكان الريف والطيور والجبال، وأفكر بأشياء لا تمت بصلة الى السياسة. وقد غادرت المكان في حوالي العاشرة فأوقف القطار ليلتقطني.

ان حادث يوم الاحد الاكبر هو وصول الامير غازي، الأبن الوحيد للملك. انه صغير الحجم بالنسبة لعمره، وله ذلك الوجه الطويل الحساس الذي عند والده، والشمائل اللطيفة، والوقار الخجول الجذاب جداً. لقد خرج البلد كله لاستقباله، وكان الخارجون أكثر من الذين خرجوا لاستقبال فيصل حين قدم الى البلاد.

دعيت في اليوم التالي الى البلاط لاساعد في اختيار ملابس غازي. كان هناك خياط انكليزي من بومبي لديه كثير من النماذج، فانتقينا منها بدلاته وقمصانه الصغيرة، وكان الخياط في سلوكه كأنه خياط في

«ثكري». وجاء غازي لتؤخذ قياساته، وهو نصف خجل نصف فرحان.

ان الملك مرتاح جداً لاستقالة الحسين (والده)، ويأمل ان يكون علي مقبولاً لدى العالم الاسلامي من بعده. أدعو الله أن لا يلجأ الحسين الى هنا لأنه سيكون محور كل نوع من الأعمال السيئة، ضد فيصل وضد البريطانيين.

8 تشرين الأول

اعتقد بأن الأمير الصغير سيكون محوراً للكثير من الأهتمام. ان كل شيء في البلاط مغلوط، لأن أناساً غير لائقين يعملون فيه، ولذلك أريد ان تتكون حاشية غازي من أناس لديهم لياقة وأهلية. وليس بوسعي الآن ان أفعل شيئاً سوى ان أمضي الوقت حتى يعود كورنواليس، لكن السندباد (سندرسن) قد عاد مع زوجته اليوم وسيساعدني في هذه المهمة. فهو بصفته طبيب الملك الخاص يستطيع ان يدلي بأشياء كثيرة بالنسبة لتنشئة غازي وتربيته. فقد أهمل كثيراً من قبل في بيت يمتلئ بالعبيد والنساء الجاهلات. وهو لا يستطيع ان يقرأ أو يكتب العربية الاّ بالكاد، لكنه ذكي وسن الثانية عشرة لا تعتبر سناً متقدمة على كل حال. أتوقع ان يأتي النساء الآن، بعدما حصل في مكة. فهناك ابنتان ـ ربما تكون احداهما في الثامنة عشرة. وعلى كل فأن وجود غازي سيجعل من وضع فيصل شيئاً مختلفاً للغاية. لقد كان جميلاً جداً أن أراهما قبل ايام، وانا جالسة في حديقة جلالته، يذهبان يداً بيد الى الصلاة حينما حل وقتها عند الغروب.

15 تشرين الأول

أراني اتعمق في تاريخ بابل خلال اللحظات الفائضة من وقتي - أقرأ على الأخص «التاريخ القديم» من منشورات كمبرج، فهو سفر خالد للمتعلمين. أظن أني سأكتب الخلاصة التاريخية لدليل العراق الذي أعده، طالما أنا بصددها الأن. فمن المدهش ان نعرف عن تاريخ هذه

البلاد القيم الآن أكثر مما كنا نعرفه قبل عشر سنوات، وقد تميط تنقيبات هذه السنة اللثام عن مزيد من الاشياء. لقد انهيت القسم المختص بالموصل من «دليل العراق»، لكنه قبل ان يتخذ شكله النهائي سيتحتم عليَّ الذهاب الى الموصل للتأكد من بعض النقاط، ولأرى ما اذا كان من الممكن ان أضيف اليه مزيداً من المواد بنفسي.

تحصل عندنا حالياً مساجلات مخيفة حول مكة. وقد أصيب الملك بنوبات هيستيرية عنيفة يوم الاثنين، وفي يوم الثلاثاء تنازل(*) عن العرش رسمياً لأبنه الأمير غازي ـ قدم التنازل الى السر هنري فقط، فسأله صاحب الفخامة اين ينوي ان يذهب، لكن جلالته لم يحر جواباً. ان أسرته على ما يبدو تبحر الآن في البحر الاحمر على دون هدى. وقد أشار السر هنري على جلالته بعد ذلك بأن ينتظر ويرى رأيه فيما بعد، ولذلك سحب تنازله بعد أربعة أيام! اتذكر ان ورقة تنازله ظلت نائمة في درج مكتب المستر كورنواليس لمدة شهر في سنة 1925.

هناك تنافس عنيف بيننا وبين فلسطين على أيّنا سوف لا يقيم الملك حسين عنده. انه بلا شك سيكون شيئاً مضجراً في فلسطين لكنه لا يستطيع ان يسبب كثيراً من الضرر حين لا يكون له ابن من أبنائه في العرش. و أنا أسلي نفسي بالتفكير بأن الملك حسينا قد يستطيع بأية وسيلة بأن يتمادى في اضافة حصته من الازعاج الى العبء العام في هذا الكون، ذلك على كل حال سوف لا يبدر منه بصفته ملك الحجاز وخليفة المسلمين.

(*) لم نجد لهذا الحادث ذكراً في مرجع آخر، ولعله يشير الى اختلاف فيصل مع الانكليز وغضبه للدور الذي لعبوه مع والده في اقصائه عن الحجاز ونفيه الى قبرص، أو انه أراد ان يأتي به الى العراق فرفض الانكليز ذلك كما يمكن ان يستنتج من بعض تنويهات المس بيل في عدد من رسائلها.

أما بالنسبة للحرب عندنا فأنكم تعرفون عنها بقدر ما أعرف أنا، وربما أكثر. علمنا الآن ان الاتراك قد أحالوا تفسير كلمة «الوضع الراهن» الى عصبة الأمم، وهو أحسن. ولا أظنهم يريدون القتال، لانهم في وضع حرج مع الأكراد الموجودين عندهم. فقد تمرد القسم الأحسن من الكتيبة وفروا في اللحظة التي سيقوا فيها الى بلاد الآثوريين، وضباطهم موجودون في الموصل الآن. والملحوظ ان الحركة الكردية هناك تقطع أشواطاً في مسيرها، ومع اني اعتقد بأنها لغو وهراء وان فكرة وجود كردستان مستقلة فكرة خيالية تماماً، فانها تستطيع ان تشغل الأتراك الى حد كبير. ونحن ميالون الى الاعتقاد بأن مهاجمة الآثوريين قد تعزى الى الرغبة من جانب الحكومة التركية في تحويل افكار الاكراد الى اتجاهات اخرى. واذا كان الامر كذلك فان تلك الخطة لم تصادف نجاحاً على ما يظهر.

22 تشرين الأول

... تعد مشكلة مكة ازعاجاً مخيفاً، أننا سوف نرتبط بعجلة الملك حسين بسببها فعليه ان يقيم في البصرة(*)، ويخلد الى السكينة دون ان يتدخل في السياسة. ويمكنك ان تطلب الى البرغوث أيضاً على نفس المنوال ان يجلس بلا حراك! ان جميع الناس يعتقدون ـ بما فيهم الملك بنصف عقله ـ باننا نحن الذين حرضنا (**) الوهابيين على مهاجمة الحجاز لنعاقب الحسين على رفضه المعاهدة، ويحصل كثير من الدس

(*) لعلها تشير الى احد الاحتمالات المطروحة عند النظر في مصير الشريف حسين.

(**) هذا ما يعتقد به الجميع، وما تدل عليه قرائن الحال وتقارير الاستخبارات الفرنسية والبريطانية. ولم تكن تخلو هذه اللعبة من عبث الصهاينة وتأثيراتهم على مقررات مؤتمر الصلح في باريس ورجال السياسة البريطانيين يومذاك.. فقد نقم الانكليز، ومنهم لورنس، على الملك حسين لامتناعه عن تأييد الوطن القومي في فلسطين، ورفضه التنازل عن أي شيء لليهود فيها.

حالياً لتحريض علماء الشيعة على اتهام الوهابيين واتهامنا نحن مع شجب ما حصل. لكنهم قابلوا هذا الاقتراح ببرود، فانهم كلما ازداد اعتقادهم بأن كلمة واحدة منا ستأتي بجموع الوهابيين الى هذه الجهات قلت رغبتهم في المجازفة في هذا الاتجاه.

29 تشرين الأول

.. يجب ان أذكر لكم ان الملك علياً قد رمى آخر سهم في كنانته وأبرق الى المستر فيلبي يستدعيه لتنظيم شروط الصلح مع ابن سعود. وسرعان ما توجه فيلبي، فأعقبه سيل من برقيات عنيفة أبرقتها وزارة الخارجية البريطانية لتقول انه ليست له أية صفة رسمية. انه يصل الى جدة هذا اليوم، ليجد علياً متقهقراً اليها مع قوة صغيرة لا تكفي الآن للتغلب على سكان البلد الذين يرغبون من الصميم في التخلص منه، والمبادرة الى تدبير الصلح مع ابن سعود بأنفسهم. ولا ادري ما ستكون نتيجة هذا التلبد الطريف!

5 تشرين الثاني

... تناولنا الشاي، أنا وأيلزا وماري والملك والأمير غازي وصبيح بك، عند الحاج ناجي في عصر هذا اليوم وتمشينا في بستانه ـ فكانت ضيافة شيقة.

3 كانون الأول

... بينما كنت جالسة في الحديقة بعد الغداء تدحرج داخلاً عليَّ احد الامريكان، انه مستشار او مستشار سابق لحكومة الولايات المتحدة في هندسة الري، وكان مؤخراً ضيف الحكومتين الأوسترالية والهندية. وقد ابتدرني يقول، وهو يصافحني في ممر الحديقة «أني أحيي مواطنة العراق الأولى». ثم أخذ يتكلم من دون انقطاع كما يفعل الامريكان في

العادة، لكني لم أفهم منه الا كلمة واحدة او كلمتين. وأخيراً أخبرني بأنه علم من جي أيم ويلسن (وقد بعثه لمواجهتي) بأني سأواجه الملك، وطلب مني اذا كان من الممكن له ان يرافقني الى هناك ليقدم احتراماته. وكنت عازمة على حضور اجتماع «لجنة المكتبة» فأخذته معي الى هناك، ومن ثم ذهبنا للمثول بين يدي صاحب الجلالة فاستقبله بلطف وقدم له الشاي، ثم غادر المكان.

... انا متحيرة ولا اعرف من يكون هو. فقد كان جميع كلامه بأفعل التفضيل: انه يكن أشد الأعجاب بأمتي العظيمة ويضع ثقته بها، وقد كان مقتنعاً بأن مستقبل العراق مضمون باعتباره بلداً من البلدان الرئيسة في زراعة القطن، ولم يكد يصدق انه يتشرف حقاً بقضاء ساعة معي والخ...

10 كانون الأول

... يشترك السر هنري اليوم في مؤتمر الوزارة وجميع من يعنيهم أمر شركة البترول التركية[1] (اصبحت شركة نفط العراق فيما بعد)، أتمنى له النجاح. والى ان حل وقت الغداء لم يكونوا قد توصلوا الى اتفاق حول النقطة الأولى من النقاط الأحدى والعشرين المختلف عليها! لقد كتب الى حكومة صاحب الجلالة البريطانية برقية رائعة حول الوضع الاقتصادي في البلاد، فاذا لم تفتح هذه البرقية أعينهم هناك لا أدري اي شيء سيفعل ذلك.

---

(1) تألفت لجنة جديدة للمفاوضات النفطية في بغداد، تتألف من هنري دوبس (المعتمد السامي البريطاني) وياسين الهاشمي ومزاحم الپاچه چي ورشيد عالي الكيلاني، والكولونيل تانيش والمستر سوان والمستر كيلنغ (ممثل شركة النفط التركية). وعقدت هذه اللجنة اول اجتماعاتها في 10 كانون الأول 1924.. وقد دار النقاش بين الاعضاء حول المادتين 5 و6 من مسودة الامتياز.

وأقول فيما بيننا ان السياسة ليست في وضع حسن جداً هنا. فهناك دسائس فظيعة تحاك حول النفط، ويبدو ان الجميع مشترك فيها يعمد كلهم الى الكذب بكل ما في طوقه. والملك علاوة على هذا في حالة انفعال شديد بالنسبة للوهابيين اذ يتحتم على القبائل الخارجة لرعي الاغنام في هذا الوقت من السنة أن تأخذ قطعانهم الى البادية، وهم لا يعرفون ما اذا سيكونون آمنين على انفسهم ام لا. على ان أسوأ ما يحصل هو ما يعمد اليه جلالته الى الاضطلاع به على ما نعتقد (ولو انه يقسم على انه لا يقوم به) - أي تحريض عشائرنا على مهاجمة الوهابيين. ان ذلك سرعان ما سيؤدي الى الاقتصاص بالمثل، وبذلك تصبح البادية ساحة للحرب بدلاً من ان تكون مرعى خلال الشتاء كله. لقد لعب ابن سعود اوراقه ببراعة فائقة، غير أني لا اعتقد بأن المسلمين سيتحملون في المدى الطويل وجود الوهابيين في مكة. أما كيفية اخراجهم منها فهي مشكلة أخرى. ما زال المستر فيلبي مقيماً في جدة، حيث يلتحق به السيد طالب على ما اظن(*) ..

(*) كان الملك حسين قد اضطر الى التنازل عن العرش لابنه الامير علي، بعد ان هاجمت قوات ابن سعود الحجاز ودخلت الى مكة. وقد انسحب الملك علي الى جدة وراح يحاول الدخول مع ابن سعود في تسوية سلمية فرأى ان يستعين من اجل ذلك ببعض الشخصيات العربية والاجنبية. ولذلك ابرق الى المستر فيلبي بالمجيء الى جدة، وكان هذا حينما اشتدت الخلافات بين الملك حسين وابن سعود قد راجع ناجي الاصيل وكيل الحكومة الحجازية يومذاك في لندن وعرض خدماته في التوسط بين الفريقين. وأبرق الملك علي كذلك الى السيد طالب باشا النقيب، وكان يقيم في برلين بعد ان اطلق سراحه من النفي، والى الاستاذ أمين الريحاني. غير ان جهود الثلاثة لم تجد نفعاً لأن ابن سعود كان عازماً على تحرير جدة وسائر انحاء الحجاز أيضاً، واخراج اسرة الشريف الحاكمة منها الى الابد على ما كتب المستر فيلبي. وهذا ما حصل.

14 كانون الأول

. . . كان يتناول الشاي عندي قبل مدة وجيزة الأمير غازي الصغير[*]، مع مدرسه ومربيته. وكانت لعبات القطار والجنود، وكنت أوصيت عليها له من محلات هارود، وقد وصلت فقدمتها له بنجاح عظيم لاسيما بالنسبة للقطار. انه يهوى جميع أنواع المكائن، والحقيقة انه كان أبرع في شؤون الماكنة من كلنا ـ فقد عرف اين يكون جهاز التوقيف (البريك) وكيف تسير الماكنة الى الخلف او الامام. وقد جلسنا كلنا على الارض وأخذنا نراقب كيف يسير القطار على السكة، ونعقب ذلك بصيحات الفرح. تصوروا ان طفلاً صغيراً من مكة يدخل في بيته ألطف أنواع اللعبات الحديثة!. . .

17 كانون الأول

وصلت يوم أمس الملكة والاسرة بأجمعها، عدا الملك حسين. لم أرَ أية واحدة منهن بعد، لكني خابرت تلفونيا في صباح هذا اليوم انصياعاً للواجب فسألت عنهن. أظن ان الملك برم جداً بقدومهن، وبالنظر لأنه موجود في الخارج وسيبقى هناك اسبوعاً آخر فان ساعة النحس لما تأت بعد.

تأسفنا لاستبدال ويغان بالجنرال سراي (في سورية ولبنان). لقد كان لعبة سياسية قذرة تلك التي لعبوها مع ويغان، وقد سمعنا انه متألم جداً منها. وسوف لا يكون هناك أي شخص لطيف نتعامل معه مثله.

23 كانون الأول

وقع لي يوم أمس حادث طريف جداً ـ ذهبت لزيارة الملكة،

(*) ولد الامير غازي في مكة المكرمة في يوم 21/ 3/ 1912 (ربيع الآخر 1330).

ويسرني جداً ان أقول انها أمرأة لطيفة. كان وجهها هو الوجه الهاشمي الرقيق الحساس (انها ابنة عم الملك كما تعلمون)، وكان لها نفس الشمائل الجذابة الموجودة عند الملك. وكانت تلبس رداءً طويلاً بني اللون خاطته لها الراهبات، وقلادة طويلة جداً من اللؤلؤ مع قرط بديع من الزبرجد. وقد صادفت عندها ابنتيها الكبيرتين، وكانتا تشبهانها تمام الشبه.، ومع انهما كانتا على شيء من الخجل الاّ أنهما كانتا متحمستين للاختلاط بالناس على ما يظهر.

31 كانون الأول

قضينا وقتاً كريها لم نذهب فيه الى أي مكان ـ كان هذا أحسن ما بوسعنا أن نفعله. فقد أمطرت الدنيا يوم الاحد فكان مطرها شديداً ينزل كأفواه القرب، وكان الجو بارداً الى درجة قاسية. ونزل الوفر فأثلجت الدنيا بشدة خلال الليل ـ كان هذا أول وفر ينزل هنا منذ سنة 1911. وكان الملك والمستر كورنواليس خلال النهار كله يكافحون الوحل والثلج بين كركوك ومحطة القطار. وقد حصل انجماد في كل ليلة منذ تلك الليلة حتى الليلة الماضية، والدنيا تمطر الآن بشدة تمنعنا من القيام بأي عمل في عطلة الغد..

استدعاني الملك يوم الاثنين ليبحث معي الترتيبات التي يجب ان تتخذ بالنسبة لمنزل الملكة واقامتها. وقد سررت لانه استشارني، فأن مآزق فظيعة ستجابهنا. وكان قد عمل باقتراحي حول تعيين زوجة رئيس مرافقيه(*)، جودت بيك، رئيسة للتشريفات على ما يمكن ان يقال ـ أو رئيسة الوصيفات على ما يقال بالعربية. وتنتمي المدام جودت بك الى أسرة شركسية بارزة، مستقرة في بغداد منذ مدة طويلة، ومحترمة الى حدٍ

(*) عقيلة جودت العزاوي.

كبير. وتقرر أن تقوم المس فيدلي، مربية الامير غازي، بتدريس البنات الانكليزية وتعليمهن التنس وآداب السلوك الأوربية.

وهكذا، أصبحت منشئة بلاط من جديد! يعتقد المستر كورنواليس وبيرنارد[1] بأني قد نجحت في هذا الشأن، وهو ما يسرني أن أذكره.

(1) هو برنارد بورديللون B. Bourdillon سكرتير المعتمد السامي البريطاني في بغداد.



الفصل الثاني عشر
1925
12 تموز 1926

تستهل الليدي بيل، زوجة أب المس بيل وناشرة رسائلها الأولى، ما تثبته من رسائل سنة 1925 بشهادتين عنها وردتا الى وزارة المستعمرات من رجلين اشتغلت معهما في دائرة المندوب السامي ببغداد. وهما:

شهادة المستر بيرنارد بورديللون:

اذا وصفنا المس بيل بكونها دائرة معارف كاملة متقنة بالنسبة لجميع ما له علاقة بهذه البلاد فيكون ذلك وصفاً صادقاً ـ لكنه غير وافٍ بالمرام. فأن معرفتها المفصلة الواسعة، عما وقع في الماضي وعن الشخصيات الموجودة حالياً، تكفي وحدها لتجعلها زميلةً لا تثمن بثمن. لكن ذكاءها الحاد، فوق ذلك كله، وعطفها الشديد على كفاح الدولة العراقية الفتية يؤهلانها للاضطلاع بدورٍ لا يستطيع الاضطلاع به غيرها في ضمان التقارب لا بل الصميمية في العلاقات بين دار الاعتماد هذه وحكومة العراق. وليس بوسعي أن أوفيها حقها في الاعراب عن عرفاني بجميلها للمساعدة التي تقدمها لي.

شهادة السر هنري دوبس:

لا تحتاج قابليات المس بيل الخارقة وميولها الى المزيد من شهادتي بحقها. لكنني أقدرها اليوم أكثر مما كنت أقدرها في العام الماضي، وما زلت ممتناً جداً منها لكل ما كانت قد فعلته خلال الوقت العصيب الذي مر علينا.

1 كانون الثاني

. . . أقلب في فكري مشروع كتابة كتاب عن العراق لسلسلة «بين» للعالم الحديث. ففي لحظة من لحظات الضعف وعدت هربرت فيشر قبل تسعة اشهر ان أكتب المجلد الاول عن الدولة العربية، لكنني كتبت لهم قبل شهر أخبرهم بعدولي عن الكتابة. . غير ان ذلك لم يثنهم قط عن عزمهم فأجابوا يسألون عما اذا كنت راغبةً في كتابة كتاب عن العراق فقط. ولذلك فانا متورطة تقريباً لانهم سبق ان أعلنوا عني في هذا الشأن. . وأشعر بأحجام عن التفريط بهم بالمرة ـ مع أني أشعر بأحجام أكثر عن كتابة الكتاب. ان لايونيل سميث يستحثني على كتابته، لكني أشعر كأني ليس عندي ما يكفي من الوقت والنشاط أو المعلومات المطلوبة. سأؤجل اعطاء القرار الى اسبوع آخر.

7 كانون الثاني

أتوقع أن يكون زيد عندكم. ان سيرته في انكلترة قد تعد مشكلةً من المشاكل. فالملك يريد منه ان يهيىء نفسه ليكون جندياً أو سياسياً، لكنه يرفض بصراحة ان يكون جندياً ويقول بحق ان قتالاً يتجاوز الحد قد وقع في بلاده ـ هل هناك بلد لم يقع فيه مثل هذا؟ كما انه يكره السياسية، فهي بالنسبة لتفكيره لا شيء سوى تعبير آخر للدس والانانية. انه يريد أن يستقر بهدوء في مكانٍ ما، ويتعلم الزراعة.

15 كانون الثاني

كانت البرودة التي وصلت في حفل استقبال الملكة الى حد التثلج، المضافة الى البرودة المجمدة في مكتبي، شيئاً أكثر مما يمكن ان يحتمل. لقد بقيت في الداخل أربعة أيام متتالية فضجرت الى حد البكاء، لكنني الآن على ما يرام تقريباً. ذهبت يوم امس الى البلاط فأجريت الترتيبات اللازمة لحفلة الملكة الاخرى، التي ستقام غداً. أنا أشعر في الحقيقة كما لو أني أستطيع ان أتركهم يقفون وحدهم ويسيرون كما يريدون ويشتهون. وتأتي قضية الملابس بعد هذه. كتبت الى سيلڤيا لتشتري بعض الاشياء لهم ليدبروا أمرهم بها.

7 كانون الثاني

انشغلت مع الملكة وقصرها مدة أسبوع انتهى بأقامتها أول حفلة هذا اليوم. وقد ذهبت اليها صباح السبت لأحدثها بهذا الشأن، وأخذت بعد ظهر السبت أسمه[1] لتراها..

15 كانون الثاني

تصل «لجنة الحدود» غداً. فالى جانب الاعضاء الاصليين الثلاثة فيها، والمستشار التركي المساعد، سيأتي معهم ثلاثة «خبراء» أتراك. ان هذا سبب كثيراً من الاستياء، لانهم ينتظر منهم ان يكونوا خبراء في الدس والتخويف علاوةً على واجباتهم الاخرى..

عندنا الآن أزمة وزارية، وأظنها زوبعة في فنجان. آمل أن لا تتدحرج الوزارة فتسقط من وكرها في يوم وصول لجنة الحدود!

حينما تصفحت تقرير السر هربرت صموئيل الى عصبة الامم عن

---

(1) اسم الليدي دوبس الأول .Exme

فلسطين، سرني أن أجد بين العطل الفلسطينية العامة عطلة اليوم الذي خرج فيه نوح من السفينة! ونحن نفكر في أن نضيف الى عطلاتنا العامة عطلة اليوم الذي خرج فيه النبي يونس من بطن الحوت.

21 كانون الثاني

أخشى ان تكون رسالتي هذه مختصرة جداً لأن عندي أشياء كثيرة أقصها عليكم لكن وقتي لا يساعد على ذلك. ان اللجنة هي التي تشغلنا وتتعبنا، فقد وصل اعضاؤها(*) يوم الجمعة. . .

استدعاني السر هنري يوم السبت وكلفني بمواجهة الملك في الحال. فوجدت جلالته في الغرفة المقببة الانيقة التي يتخذها مكتباً له بملابسه العربية الكاملة وهو يجلس بالقرب من نار ملتهبة. وقد حدثته بما يقتضي وانصت اليّ بانتباه. . .

وعندما كنت عائدة بالسيارة وجدت جسر كوتا (**) مقطوعاً فوقفت بين الجمهور لأرى الزورق البخاري الكبير يمر مقلاً السر هنري واللجنة. . .

(*) وصلت «لجنة الحدود»، التابعة الى عصبة الامم، الى بغداد في يوم 15/ 11/ 1925 في عهد الوزارة الهاشمية. وكانت تتألف من رئيسها المسيو دي ڤيرسن السويدي الجنسية، والكونت تيلاكي المجري، والكولونيل باولس البلجيكي، ومعهم ثلاثة من المعاونين وسكرتيران. وقد جاء مع اللجنة جواد باشا، وكان يقود القوات التركية بالقرب من الحدود العراقية، وثلاثة أخرون. وكان منهم ناظم بن النفطچي (من كركوك) وفتاح بك (من السليمانية) فكان وجودهما مع الاتراك وهما من العراقيين موضع حملات الجرائد، وسخط الناس في الموصل، بحيث اضطرت الحكومة الى ان تحميهما بصورة خاصة. اما الحكومة العراقية فقد انتدبت صبيح بك نشأت لمرافقة اللجنة.

(**) هو الجسر الشمالي المسمى اليوم «جسر الشهداء»، والظاهر انه سمي باسم نهر كوثا التاريخي أحد فروع الفرات الذي كان يصب في دجلة. وربما سمي بالتسمية الهندية، حيث ان كوتاه معناها بالفارسية (المختلطة بالاوردية) القصير. وكان جسراً مشيداً من الزوارق والالواح بطبيعة الحال.

تعشيت في المقيمية في حفلة رسمية كان كل شيء فيها انكليزياً. ان السر هنري وعقيلته يثيران الاعجاب، اذ تجدهما منشرحين دوماً على ما يبدو، ويخرج كل ما يرتبانه جميلاً جذاباً. لقد أقاما في عصر يوم السبت حفلة استقبال كبيرة يتعرف فيها البغداديون على أعضاء اللجنة. .

21 كانون الثاني (ب)

ان «لجنة الحدود» تقودنا الى التهلكة. لقد وصلت يوم الجمعة، وفي اللحظة التي وقع نظري فيها على أسماء الاتراك «الخبراء» عرفت من بينها اثنين(*) من طريدي العدالة عندنا، كانا قد هربا للتخلص من القبض عليهما بالجرم المشهود في التحريض على الثورة. انها حيلة شديدة البشاعة من جانب الاتراك.

اخبرني السر هنري يوم السبت بانطباعاته عن اللجنة - وهي أنها قد لقنت جيدا في انقرة، وأنها ميالة الى الاخذ بوجهة النظر التركية. وأوفدني الى الملك رأساً لأشير عليه بالنقاط التي يجب ان يتضمنها حديثه الى أعضاء اللجنة. فأنصت الملك بانتباه، ثم أخذني الى القاعة الكبيرة لترتيب تفصيلات حفلة الاستقبال. وقد رجوت جلالته ان يسمح للامير غازي بالحضور على سبيل التأثير العاطفي، ففعل.

دعوت رودولو (سكرتير لجنة الحدود) الى الغداء عندي يوم الاحد، وقد ظلّ يتكلم ساعتين - لقد أماط اللثام عن أشياء مهمة اضطررت الى أن أكتب تلخيصاً بها وأرفعه الى السر هنري، وقد أرسله بدوره الى المسؤولين في الوطن مع رسالته المعتادة. وذهبت بعد ذلك الى الصيد في البساتين الواقعة في شمال البلد فتذاكرنا معاً. وقد جاء هو

(*) انهما ناظم بك النفطچي الكركوكي، وفتاح بك من السليمانية المشار اليهما في الفقرة الاخيرة من الحاشية الثانية في ص 570.

وأيلتيد الى حفلة العشاء للتعرف على أعضاء اللجنة الثلاثة. ان العضو المهم بينهم هو الكونت تيلاكي الهنغاري ـ انه مصدر خطر أيضاً. فتحاشينا نحن الثلاثة التعرض في حديثنا الى قضايا العراق ومشاكله ـ تكلمنا عن الآثار القديمة، والشؤون الجغرافية، وكل شيء آخر ـ وكان يسهم في الحديث بشوق واهتمام. وبعد الانتهاء من العشاء بدأ أيم دي ڤيرسن (الرئيس)، والكولونيل پاولسن (بلجيكي) يوجهان أسئلة الينا، فكانت أسئلة نزيهة كان من سرورنا ان نجيب عليها. غير ان تيلاكي ما ان اخذ الحديث يتناول العراق وشؤونه حتى فقد اهتمامه به. فلم يوجه أي سؤال، ولم يبد أية ملاحظة مطلقاً، بل كان كأنه لم يكن يريد ان يعرف شيئاً.

لقد أخذ البغداديون أهبتهم وأعدوا كل شيء، وقد شهد الوزراء، والموظفون من جميع الطبقات، والوجهاء جميعهم بعدم امكان تقسيم العراق. ثم تخلى الرجال على اختلاف أحزابهم عن جميع اختلافاتهم ـ انهم يشعرون بأن ظهورهم مسندة الى الحائط وان ذلك فيه مصلحتهم. اما الصحافة المحلية فسلوكها ممتاز. وأقوم بتزويد اللجنة يومياً بأشياء مترجمة كثيرة.

أخذتهم يوم أمس، أنا والمستر كوك (الآثار) الى مشاهدة الابنية الاثرية القديمة في البلد، ودعوت بعد ذلك الكونت پورتالس الى تناول الشاي ـ انه السكرتير الآخر للجنة، وهو سويسري الجنسية. لاحظت أنه رجل لطيف، مستقيم تماماً ونزيه، وراغب في التعلُّم. أظن ان بغداد تجعلهم يترددون. فلم تكن عندهم من قبل أية فكرة عن أنهم سيجدون حكومة عربية تسير سيراً تاماً في طريقها، ويقول كلهم أنهم قد تأثروا بما رأوه. على أن الموصل هي النقطة الحرجة. فأذا وقفت وتكلمت كما تكلمت بغداد لابد من ان يكون وضعنا على أحسن ما يرام. وعلى كلٍ فقد أدركت اللجنة ان الامر هو كفاح من أجل الحياة يبديه العراق،

وليس جهداً من جانب الحكومة البريطانية تبذله للمحافظة على ممتلكاتها. على اننا كلنا نشك في الكونت تيلاكي، وكذلك يفعل العراقيون. نحن على علمٍ بأن هنغارية تنتظر الحصول على استثمارات واسعة النطاق في تركية، وأنه (تيلاكي) قد قدر في فكره ان لا يغضب الأتراك مهما حدث. انه رجل مقتدر، وداهية ماكر، مؤهل لهذه اللعبة. اما التركي العجوز، المشاور المساعد جواد پاشا، فهو غير مؤذٍ.

ستقام حفلة عشاء فخمة في البلاط هذه الليلة - للرجال فقط، لكنني أذهب مع موظفي السر هنري اليها. لقد قضيت ساعات مع مرافق صاحب الجلالة نقرر كيفية جلوس الضيوف، علاوة على أني قد استدعاني رئيس الوزراء لاستمع الى جميع ما قاله للجنة، فضلاً عن محاولة انجاز عملي أنا.

وفي حاشية مضافة في اليوم التالي تقول المس بيل:

كنا ثمانية وخمسين شخصاً في حفلة العشاء، وقد حضر العراقيون جميعهم حاسري الرؤوس من دون طربوش، وهي أول مرة أجد فيها كثيراً منهم حاسري الرؤوس. لقد كان ذلك احتجاجاً على لباس الرأس التركي (الطربوش، الفينة).

28 كانون الثاني

. . . ما زالت عندنا موجة غريبة من البرد. فقد كان الانجماد يحصل كل ليلة منذ ليلة عيد الميلاد، وهبطت درجة الحرارة في الليالي الثلاث الاخيرة الى 18 (ف). اما في النهار فالدرجة فوق درجة الانجماد بقليل، مع ريح شمالية قاسية تقطع الجلد كما تفعل السكين. وتموت الاغنام في الوقت الحاضر كما يموت الذباب، وقد ماتت أشجار التين الهندي (البانين) والليمون الحلو بأجمعها، وكذلك أشجار البرتقال الصغيرة. ويعاني الناس من جراء ذلك مصاعب جمة، لأن أسعار المأكولات قد

ارتفعت الى ضعفين أو ثلاثة أضعاف، وليس لهم كساء أو سكن يتقون بهما شر البرد على ما يرام. ومات كثيرون في البادية والقرى. وقد ترامى الينا ان طبقات الثلج في الاصقاع الشمالية قد تكاثفت. ويقول الناس هنا ان البلاد لم تشهد مثل هذا البرد المتطاول منذ أربعين أو خمسين سنة. وعلى كل فاني آمل أن لا يتكرر وقوع هذه الحالة في أيام وجودي هنا لانها شيء غير مريح للغاية، حتى اذا كانت خفيفة الوطأة على من يملكون الفرو والنار مثلي. فأنا أرتدي السترة ذات الفرو دوماً، الاّ حين أجلس أمام النار في غرفة جلوسي. ومن النادر ان يتشوق الناس في هذه البلاد الى شيء من نور الشمس والدفء كما يفعلون الآن.

نعيش اليوم في وقت يخيم عليه الانفعال، ونشعر كلنا بأن مصائرنا قد وضعت في البودقة. واذا ما جاء الخير من «لجنة الحدود» ففضل ذلك يعود في الدرجة الأولى الى معالجة السر هنري للوضع ببراعة خارقة، وللمجاملات التي يعاملهم بها هو واسمه. .

ولقد لعب البغداديون دورهم ببراعة. فقد أقيمت يوم الخميس حفلة كشافة عظيمة ذهبت اليها، وجلسنا هناك في وسط ريح شمالية لا تحتمل. واشترك في اداء الحفلة ألف وخمسمائة كشاف عراقي، وكان معلمو الكشافة جميعهم من العراقيين. اما مكانها فكان في السراي، المقر العسكري التركي القديم (القشلة). وكانت الشرفات كلها مكتظة بالناس، وكذلك الساحة الكبيرة ـ بلغ عدد المتفرجين خمسة آلاف شخص. والى جانب ما قامت به الكشافة من اعمال كشفية اعتيادية وضرب للخيام ـ وقد ابدعوا فيها ـ فقد اغتنموا الفرصة لبث شيء من الدعاية الوطنية اذ رسموا العلم العراقي بواسطة صغار الكشافة، وكانوا يرتدون الالوان الوطنية، كما رسموا في أرض الساحة بالطباشير خارطة كبيرة للعراق واصطف خط من الاولاد على حدودها ـ كانت تمتد، من دون حاجة للقول، الى ما وراء الحدود الحالية ببعيد ـ كما وقف بعض

الاولاد يحملون العلم العراقي ويشيرون به الى المدن الثلاث: البصرة وبغداد والموصل.

ورفعوا العلم العراقي أخيراً على سارية طويلة، فكان ذلك شيئاً مؤثراً. فقد هرول بعض الأولاد الى الامام حاملين قماش العلم وربطوه بالسارية، ثم ركض الجميع وهم يحملون اعلاماً كشافية فشكلوا دائرة حوله، بينما تجمع آخرون بشكل نصف دائرة كبيرة ومن ورائهم جمهور المتفرجين المحتشد. وما رفع قائد الكشافة العلم حتى دوّى صوت الأولاد عالياً في الفضاء مختلطاً بصوت الجمهور، وبعد ان خمد ذلك الصوت صرخ قائد الكشافة هاتفاً بأعلى صوته «يعيش الملك فيصل الأول» ثلاث مرات، فكان صوتهم عالياً حتى في العراء حينما رددوا ذلك الهتاف...

28 كانون الثاني (ب)

.. أقام رئيس الوزراء حفلة عشاء رسمية للجنة ـ حضرها حوالي خمسين شخصاً. وقد كنت هناك في ضمن موظفي المندوب السامي، من دون ان تكون هناك امرأة أخرى، ولذلك ارتديت زيي الخاص، ولم أرتد ألبسة رسمية. لقد أجلسوني بين تيلاكي والمستر كورنواليس، فقص عليّ تيلاكي قصة الطريقة التي توصلوا بها الى اصدار القرار المختص بهنغارية برمتها في باريس، وهي شبيهة بما كنت قد سمعته من غرنفيل. وربما تكون أشد ما حصل في مؤتمر الصلح ظلماً وجهالةً. وقال لي كورنواليس في أثناء العشاء ان جواد باشا جاء معه بأفظع كتاب كتبه كاتب أمريكي (پاول)، وكان عنوانه «الكفاح من أجل السلطة في آسية المسلمة»(*) . وفصل العراق في هذا الكتاب عبارة عن مجموعة أكاذيب

(*) The Struggle for Power in Muslem Asia

وتحريفات. ولذلك التفت الى تيلاكي وأعطيته ملخصاً للكتاب، ولأجل أن أفند ما جاء به پاول قصصت عليه بالاضافة الى ذلك القصة الخفية لكيفية ترشيح فيصل الى العرش هنا من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية ـ انها قصة ربما يكون السر پيروسي كوكس وأنا الشخصين الوحيدين المطلعين على تفصيلاتها. فقال تيلاكي في النهاية «من هم مؤيدوه هنا؟» قلت «الرجال الذين حاربوا معه في الحجاز وشيعة العراق». فكانت تلك صدمة قاسية، لأن اللجنة تحاول ان تذكر في التقرير ان فيصلاً السني قد فرضناه نحن بالاكراه على الشيعة. ثم تركنا السياسة جانباً وأخذنا نتحدث عن منشأ المدنية في العالم. انه موضوع يعد هو حجةً فيه، فاستمتعت للغاية بما قال. غير أني واثقة من أنه سيبذل قصارى جهده ليجعل اللجنة تقدم توصيات يفرح بها الاتراك.

4 شباط

... تمشيت اليوم بعد الظهر الى خارج المدينة، ثم مررت بعزيزتي مديرة التشريفات (*) للمذاكرة معها حول حفلة العزاء التي تزمع الملكة اقامتها.. وحالما ينتهي الراهبات الفرنسيات من خياطة رداء أبيض لها ان الابيض هو لون الحزن عند الحجازيين ـ يترتب علينا ان نوزع بطاقات الدعوة.

4 شباط (ب)

ما زلنا مشغولين بصورة استثنائية مع اللجنة منذ ان وطئت أقدامهم أرض الموصل أخذت تترى أمامهم المظاهرات السلمية المعربة لجميع من يعنيهم الأمر بأن الموصل عربية عراقية. انهم منزعجون نوعاً ما من هذه الاحداث، وما زال الشك والريبة يسيطران عليهم في كل وقت. لقد

(*) عقيلة السيد جودت العزاوي.

رفضوا ان يستفيدوا من المترجمين الذين زودناهم نحن والحكومة العراقية بهم، وبعثوا يستدعون استاذاً هولندياً لهذه الغاية - انه شاب كريه ميال قلبياً الى الترك. وقد حظي بمقابلة الملك، وهو يتكلم بعربية سهلة الفهم جداً، فقال صاحب الجلالة ان هذا الهولندي لا يفهم من العربية الاّ كلمة واحدة من كل عشر كلمات. على أن اللمسة المتوجة لهذه الصدمة هي أنه يجهل الكردية.

11 شباط

.. تسير *الامور العامة في البلاد بأحسن من ذي قبل.* لقد طار السر هنري الى الموصل يوم السبت، وهبط في عاصفة ثلجية كاد أن يقتل بسببها. وبعد ان عاش على هذه الشاكلة تولى أمر لجنة الحدود بحذق وبراعة فجعلهم يعترفون بأن الموصل عربية من دون شك ولا شبهة. وقد خرجوا حاليا الى جهات الحدود، حيث نشأت في كل قرية لجنة للدفاع الوطني. ولذلك لا أحسب أن شيئاً كثيراً من أراضي العراق سيعاد الى تركية. والثناء كله للسر هنري أولاً وأخراً.

25 شباط

.. ذهبت الى القصر هذا اليوم وتفقدت الاطفال قبل كل شيء - كان غازي في مأزق حرج لأنه كان يتلقى الدرس الأول في غسل الصور وتحميضها بالصندوق الخاص الذي قدمته له من قبل. انه في الحقيقة فتى لطيف. فقد أسرع يجلب الكرسي لي، ثم قال بالانكليزية «رجاءً أجلسي». وكانت البنتان تتلقيان درساً في الموسيقى. وذهبنا بعد هذا لنرى غازياً يتلقى درساً في الكتابة في الدار الصغيرة الخاصة به. انه يقوم بتنظيم الحديقة، فيحضر الارض ويزرعها بنفسه وهو مسرور جداً بذلك. وعلى هذا حصل عندي انطباع سار جداً عنه بوجه عام...

25 شباط (ب)

مع أني كنت في خدمة الحكومة تسع سنوات ما زلت أنزعج من البطء الذي تسير فيه الاجهزة الرسمية. فنحن مقيمون على الوضع الذي كنا فيه قبل اسبوع أو اسبوعين، بالنسبة لمشاكلنا الاقتصادية.

ان لجنة الحدود ماضية في تحقيقاتها بنتائج مرضية بوجه عام. وقد سقط تيلاكي مريضاً فجيء به الى بغداد بالطيارة حيث آوى الى فراشه في «المقيمية».

ذهبت يوم أمس الى القصر لأخذ الملك في مشيةٍ نتمشاها من أجل تحسين صحته، وقد وجدت البنات يتلقين درساً في الموسيقى، كما وجدت عند غازي درساً في الكتابة. وكان قد انتهى قبل مدة وجيزة من تحميض «فيلم» في علبة التحميض التي قدمتها له، فكان هاشاً باشاً جداً من دون ان يتأثر بكون رسوم أخواته كانت تبدو متحركة في الصور. وهو يغتنم الفرصة ليتحدث اليّ بالانكليزية، وها أني أبعث لكم بطيه رسالته الأولى بهذه اللغة.

4 آذار

.. وأخيراً عينت حكومة صاحب الجلالة «اللجنة المالية» لتدقيق الاحوال المالية في العراق ـ انها تتألف من هيلتون يونغ والمستر ڤيرنون (المشاور المالي لوزارة المستعمرات). وسيكون وصولهما في يوم 15 آذار. ونرى ان ذلك شيء ممتاز، فالظاهر اننا اخذنا نعمل، وقد تقوت معنوياتنا بذلك.

4 آذار (ب)

... ذهبت الى أور لاقتسام ما أخرجته تنقيبات الموسم من لقى، فصادفت هناك جي أيم ويلسن وزوجته وقد عدنا سوية. وكانت هناك

بعض اللقى المدهشة، فلاقينا في اقتسامها صعوبة غير معتادة لكنني أظن اننا كنا. ويلسن وأنا، منصفين ومعقولين ـ آمل ان يعتقد المستر وولي بهذا قلبياً. مع أنه عبّر عن كونه كان حزيناً في وقتٍ لاحق...

ذهبت لجنة الحدود الى السليمانية باستثناء تيلاكي، فحصلت هناك على حكم أجماعي في صالح العراق. ولم يشترك الشيخ محمود في هذه العملية لأنه كان قد فر هارباً عبر الحدود الى إيران.

18 آذار

... وصل هيلتن يونغ (*) يحمل كتاباً اليَّ من مولي (أخت المس بيل) وكان من المؤمل ان يتعشى عندي في ثاني يوم وصوله، لكن المندوب السامي حال دون ذلك. وسوف يفعل هذا يوم الاحد القادم. لقد أحبه الجميع على ما أسمع، لكنه معنيٌ تماماً بإيجاد طريقة يوازن بها ميزانيتنا للسنين القلائل القادمة...

25 آذار

... غدا يصل الوزراء البريطانيون(**)، ولذلك تجدنا في المكتب مشغولين خلال وقتنا كله باجراء الترتيبات اللازمة لاقامة الحفلات والسفرات. على أني آمل ان يكونوا لطيفين كالمستر هيلتن يونغ الظريف..

1 نيسان

أقام الملك يوم السبت حفلة مسائية ـ لما كنا في شهر رمضان فقد

(*) نشر هلتن يونغ تقريره عن الميزانية وقد علق ياسين باشا الهاشمي على التقرير بعدة مقالات في صحف بغداد اليومية بعنوان (سياسة التفقير) التي كان يستهدفها التقرير فكان لها وقع لدى الرأي العام كبير.

(**) وصل الى بغداد في يوم 26/ 3/ 1925 كل من المستر ايمري وزير المستعمرات والسر موئيل هور وزير الطيران، ومعهما مساعدان وسكرتيران.

وفرنا للحكومة عشاء رسمياً. لقد حضر الجميع اليها، بما فيهم سيدات يهوديات ومسيحيات لم اصادفهن مطلقاً في أية حفلة أخرى من قبل. وكان من مميزات هذه الحفلة وجود وزير المعارف فيها، وهو شيعي محبوب متقدم في السن له منزلة اجتماعية بارزة كان قد حافظ عليها حتى الآن بألبسته الفضفاضة وعمامته البيضاء(*) . غير انه اخذ يظهر الآن بملابس أوربية ورأس حاسر فيبدو رجلاً مخيفاً من القتلة. انه تقدم على كل حال!!

1 نيسان (ب)

... كنا مشغولين جداً مع الوزيرين، فقد وصلا يوم الخميس الماضي وتعرفت عليهما في حفلة الغداء التي أقيمت يوم الجمعة، ثم اصطحبت المستر أيمري بعد الظهر لنتفرج على الطيور.. انهم كلهم أناس في غاية الود. وقد أحببت السر جون شكبرغ (مساعد وزير المستعمرات) كثيراً...

واقمنا في يوم الاثنين وليمة عشاء رسمي في «المقيمية» لاعضاء الوزارة العراقية والوزراء الضيوف.. وطار الجميع يوم الثلاثاء الى الموصل عدا السر جون، فقد تخلف ليدرس مشاكلنا ويرى ما يمكن ان يفعله لمساعدتنا...

8 نيسان

... قضيت أسبوعاً حافلاً بالمشغولية. فقد عاد الوزراء من

(*) كان وزير المعارف في الوزارة الهاشمية التي كانت تتولى أمور البلاد في تلك الاثناء الاستاذ المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي. لكنه استقال من الوزارة هو والاستاذ رشيد عالي الكيلاني (العدلية) احتجاجاً على الامتياز الذي منحته الحكومة الى شركة النفط العراقية في 14/ 3/ 1925. وقد عين لوزارة المعارف بعده الحاج عبد الحسين الجلبي في يوم 14/ 3/ 1925 كذلك، وهو المقصود بهذا على ما يظهر.

رحلتهم الى الشمال يوم السبت، وأقام لهم رئيس الوزراء مأدبة عشاء رسمية في تلك الليلة. كما أني أقمت هنا حفلة عشاء للسر جون شكبرغ يوم الاحد، وأخرى للمستر أيمري يوم الاثنين..

طار الوزراء في هذا اليوم الى البصرة. انا متأكدة من ان زيارتهم هذه كانت مفيدة جداً، لكني سوف لا آسف على رحيلهم في الاسبوع القادم لأني متعبة وأريد التمتع بشيء من الراحة بعد العناء.. لم يكن لي دخل بطبيعة الحال في مؤتمراتهم واجتماعاتهم، انما سمعت فقط عن الآمال والمخاوف التي صرحوا بها...

15 نيسان

... غادر الوزراء البلاد في صبيحة يوم أمس بالطيارة، خلال غيوم متكاثفة من الغبار والمجد، وقد قصدنا كلنا المطار لتوديعهم. ولا شك ان زيارتهم للبلاد كان فيها خير. لقد أحببت السر جون والمستر أيمري، ولفت الاخير الانظار اليه بتحدثه بالتركية، ولم يتكلمها منذ 1898...

16 نيسان

غادر الوزراء البلاد يوم الثلاثاء، لكنني أخذت المستر ايمري الى المتحف يوم الاثنين، وفي طريق عودتنا منه صرح لي بأشياء مشجعة جداً. فقد قال ان ما لفت انتباهه كثيراً هو العلاقات المعجبة الموجودة بين الموظفين البريطانيين والعرب، وهو يرى ان البريطانيين قد قاموا بأعمال مدهشة وان الادارة بأجمعها أحسن بكثير مما كان يتوقع. فسررت للغاية بذلك لأني شعرت بأنه وضع الثناء في موضعه..

16 نيسان (ب)

غادر البلاد الوزراء البريطانيون يوم الثلاثاء. ولا اظن ان السر

صموئيل هور استفاد كثيراً ـ انه رجل ضيق الأفق قاسي الطباع ـ لكن المستر أيمري والسر جون (شكبرغ) ذهبا وهما يمتلئان تعاطفاً، فتركا انطباعاً حسناً وراءهما. وقد أظهر المستر أيمري نفسه للناس بالتحدث بالتركية، ولم يكن يتكلم بها منذ سنة 1898، كما حفظ خطاباً عربياً في الموصل فألقاه على جمهور فرح به واندهش. لقد شعروا بأنها كانت التفاتة طيبة منه، مع أنهم لم يفهموا الا حرفاً واحداً من خطابه بالعربية.

29 نيسان

حصل بعض التأخير في تعيين يوم العيد. ففي مساء الخميس لم يكن يعلم أحد شيئاً عن رؤية الهلال، ولم يكن أحد متأكداً من حلول العيد في اليوم التالي. لكن المدافع أعلنت عن العيد في الحادية عشرة قبل منتصف الليل، لأنهم تمكنوا من رؤية الهلال بعد الغروب، وقد بقي القاضي في مكتبه طوال هذه الساعات ليتأكد من ان الشهود قد رأوه حقيقة.

وقد نهضت في السادسة من صباح اليوم التالي فبعثت زيا واللوازم الى المحطة، ثم ذهبت لتقديم التبريكات الى الملك. وفي خلال ساعة زرت بعد ذلك جميع الوزراء والنقيب، وعدت الى البيت فارتديت ملابس السفر، وفي العاشرة قابلت الملك في المحطة القريبة من داري لأسافر في معيته. فركبنا القطار ـ كانت الحاشية مؤلفة من ناجي السويدي وأحد الامناء ومرافق واحد. وتقع مزرعة الملك في شمال شرقي خانقين. فوصلنا الى أقرب مكان للخيام التي ضربت له فيها في الساعة الثانية، ولما كنا قد تغدينا غداءً جيداً في القطار وجدنا الخيل بانتظارنا، فركبناها مخترقين الحقول الى الخيم وكانت على مسيرة عشرين دقيقة. وكان شيئاً ساحراً أن نركب بين الحشائش والازهار الزرقاء والبنفسجية والذهبية في لونها. وبعد ان تناولنا الشاي خرجنا نتمشى بين المزروعات فابتهج

جلالته بمزروعات القنب والشعير والقمح ـ يمكن أن أقول انها كانت شيئاً بديعاً. ثم جلسنا بعد ذلك في الظلمة اللطيفة حتى آن وقت العشاء فذهبنا بعده الى النوم.

قدم هيلتن يونغ تقريره(*) وغادر البلاد. وقد تصفحت التقرير في صباح هذا اليوم فكان شيئاً يثير الاعجاب. فهو لا يحتوي على المعجزات الاّ أن فيه أشياء معقولة ومشورة صائبة للحكومتين معاً، واذا ما عمل به لابد من ان نستطيع الوقوف على أقدامنا خلال سنة او سنتين..

29 نيسان

.. ما زال السر هنري في جولته، ولم يزل الشيخ محمود مزعجاً مقلقاً للأمن، بينما يتنازع الوزراء فيما بينهم كلهم ـ لا أظن ان الوزارة ستستقيم في الحكم مدة أطول. انها ليست وزارة سيئة ـ أتمنى أن يستطيعوا تدبير أمرهم والسير بالعمل معاً. لقد بلغ عمرها تسعة أشهر، وهو عمر يتجاوز المعدل في عمر الوزارات هنا.

29 نيسان (ب)

لابد من ان زيارتكم لنيو تيمبر كانت مؤنسة، لكنها لم تكن على كل حال ألطف من زيارتي لمزرعة الملك في الاسبوع الماضي... فقد كانت لطيفة جداً، اذ كنا نجد العشب والازهار البرية أينما تلفتنا. أنكم لا يسعكم ان تتصوروا ماذا يعني هذا بالنسبة للبادية القفراء المحيطة

(*) قدم التقرير في 25 نيسان، وكان يتضمن عدداً من الاقتراحات الصائبة ومن جملتها وجوب تنازل بريطانية للعراق عن بعض المرافق الاقتصادية، غير ان هذا لم ينفذ ومن جهة اخرى علق عليه ياسين باشا الهاشمي بعدة مقالات نشرت في صحف بغداد بعنوان (سياسة التفقير) فكان لها دوي في الرأي العام العراقي.

ببغداد. فالمزرعة تقع أسفل الجبال الأيرانية، والمناظر الجميلة تشاهد في كل جهة... ومن المبهج جداً ان يكون المرء مع الملك هنا، فهو مضيف عظيم يترك السياسة جانباً ويصبح ريفياً قنوعاً. ومن المناسب حقيقةً ان يكون له مكان يمتلكه ويلتجئ اليه، ولذلك سيتحسن وضعه حينما يتم بناء القصر الصغير فيه. لأن العيش مع أنه مؤنس جداً في الخيام حالياً فان الجو سيصبح حاراً بعد اسبوع او ما يقرب من هذا. حتى أني اليوم قد شغلت المروحة لأول مرة في هذا الموسم...

13 أيار

مر علينا أسبوع من الطقس الكريه جداً ـ لم يكن حاراً بالنسبة لنا. وانما كان مجموعةً من الريح الجنوبية والغيوم وثقل الهواء والغبار. وقد باتت الدنيا في مساء السبت طرية لطيفة بصورة مدهشة فجأةً، واستقام ذلك ساعات قلائل استغللناها بالخروج الى بساتين الكرادة وتناول العشاء فوق سطح دار الحاج ناجي، انا وكورنواليس وأيلتيد ولايونيل. ثم تمددنا بعد العشاء فوق تخوته المفروشة تحت ضوء القمر وبقينا نتحدث. وفي تلك الاثناء سأل كورنواليس الحاج ناجي عما يفعله في المساء عادة. فقال انه يتعشى في الثامنة، ويأتي الناس فيتحدث معهم الى العاشرة. وسأله كورنواليس وهو يضحك «أتعقدون اجتماعات سياسية»، لكن الحاج ناجي رد يتساءل باشمئزاز «اجتماعات سياسية!» ومضى يقول «نتحدث عن المحاصيل، وعما سنزرعه في اليوم التالي، وعما سنجنيه ونحصده، وعن المطر والجراد والاسعار، ولكننا لا نتحدث في السياسة مطلقا مطلقاً».

حصل انفجار عاطفي في القصر الملكي. فقد أخبرت الملكة في النهاية المدام صفوت (العوا) بانها سوف لا تسمح لها بالدخول الى

دارها فغادرت مدام صفوت البلاد الى سورية. غير أن أحداً لا يعرف اذا كان هذا ستكون فيه النهاية.

20 أيار

... مما شكرت الله عليه أني سمعت بأن «توماس كوك» سيفتح فرعاً له في بغداد، وعلى هذا سوف لا أكون انا الوكيلة الوحيدة للسياح...

20 أيار (ب)

ان أهم أنباء هذا الاسبوع ان مجلس عصبة الأمم سوف لا يتسلم تقرير «لجنة الحدود» الاّ في دورة الخريف. ويعتبر ذلك شيئاً مزعجاً لكن السر هنري يقول بتفلسف اننا لما كنا قد انتظرنا ثلاث سنين فلا يضيرنا ان ننتظر ثلاثة أشهر أخرى. لا يسعني الا ان أشعر بأنه كلما استطال التأخر زاد ابتعاد اللجنة عن الحقيقة وتقدمها نحو الخيال.

لقد دعمت الوزارة واسندت من جديد، ويعزى الفضل في هذا الى جهود الملك والسر هنري وكورنواليس، لكن الوزارة لا ترتيب لها ولا نظام، واذا استقامت الى ان يجتمع المجلس في المرة القادمة فهو كل ما نؤمله.

3 حزيران

يشكو الملك من «الامساك»، وأظن ان هذا ناشئ عن قلقه من شؤونه البيتية. وقد علمت ذلك منه حينما تناولت الشاي معه هذا اليوم. وسررت حينما علمت ان أسرة صفوت باشا سوف تنتقل الى دارٍ في البلد ـ كانوا حتى الآن يعيشون في ضمن أبنية القصر الملكي. وأحسب ان هذا هو سبب الاضطراب، مع ان الملكة متعبة هي أيضاً. فمن الصعب التزوج بأمرأة شرقية، ولدت ونشأت في مكة، ونقلها الى بيئة أوربية تقريباً ثم ينتظر منها ان تكيف نفسها في الحال.

10 حزيران

يبدو ان دوري الرئيس هنا هو أن أحاول تعديل شؤون الملك الخاصة. لقد رفض جلالته رفضاً باتاً الذهاب الى الخارج حتى تسوى قضية الحدود، لكنه هرب الى مزرعته حيث دبر تشييد بعض الأبنية البسيطة ونصب عدداً من المراوح فيها حتى أصبح مرتاحاً تماماً، ومسروراً بحيث صار يبدو في وضعٍ أحسن.

نحن الآن في معمعان الانتخابات، والنتائج حسنة بأكثر من الحد المعقول. لقد أخفق بعض المتطرفين العنيفين في الفوز بالانتخاب، وتعتبر هذه علامة مشجعة. لا أظن أن المجلس سيجتمع قبل الخريف، فليس هناك ما يجب ان يجتمع من أجله الى أن يتخذ قراراً ما حول تقرير هلتن يونغ من قبل كلتا الحكومتين

17 حزيران

. . . **دعتني الملكة يوم الاحد لامشى معها على الشاطئ بين يدي القصر.** فوصلت الى هناك في الخامسة والربع، وقضينا نصف ساعة في شتى الاحاديث. واقترحت بعد هذا أن نعبر النهر، لكن زورقهم البخاري كان متوقفاً عن العمل، ولذلك الححت في السادسة على العبور بزورقٍ عادي. ووصلت في هذه الاثناء مدام جودت رئيسة التشريفات مع ابنها الصغير فذهبنا كلنا، البنتان وغازي والمس فيدلي وصاحبة الجلالة وأنا. وفي الضفة المقابلة ألفيت الخدم يحضرون على مهل وجبة أكل كبيرة، وبين ذلك كومة من السمك بانتظار «سقفها»... وأخيراً أحضر في السابعة الشاي وما معه من شطاير وسمك «مسقوف» و «كيك». ولما كانت الأمسية باردة لطيفة كان يحلو لنا ان نجلس هناك ونأكل.

24 حزيران

.. جاء لزيارتي يوم الاثنين رجل يدعى پيرنو، محرر مجلة

«ريفودي دوموند»(*)، وقد قدم ليقوم بتحقيق دقيق خاص باسم المجلة للبحث في شعور المسلمين تجاه الغرب...

اما سياسياً فنحن في وسط أزمة تامة... والبلاد بوجه عام تحبذ الاستقرار. ومن المؤلم ان تسبب الضائقة الاقتصادية هنا، كما في البلاد الاخرى، مثل هذا التأثير الشديد. فالتجارة كاسدة وقلة الحاصل قد زاد هذا الموسم سوءاً على الاخص.

24 حزيران (ب)

نحن الآن في ازمة مستعصية من الناحية السياسية. فقد استقر رأي الوزارة على ان تستقيل في النهاية، وكلف ياسين بتشكيل وزارة جديدة. وقد حاول ان يفعل ذلك مدة يومين فأخفق، وكلف الآن عبد المحسن بك السعدون بالمهمة. انه لن يجد المهمة سهلة أيضاً، لكنني آمل ان ينجح. فهو رجل شريف ينشد الاستقرار.

1 تموز

... أنا مسرورة ان محسن بك قد نجح. اعتقد ان هذه الوزارة(**) ستكون وزارة قوية. ان جلالته مشغول الآن بتشكيل مجلس الاعيان، وهذه مهمة مثيرة. لقد عثر اليوم على رجل كنا قد حكمنا عيه بالاعدام في 1918 لاشتراكه في قتل الكابتن مارشال في النجف(***).

(*) Revue des Deux Mondes

(**) كان السبب المهم لاستقالة الوزارة الهاشمية الأولى (على ما ورد في كتاب لونكريك «العراق - 1900 - 1950» اختلافه الشديد مع وزير داخليته عبد المحسن السعدون. وقد تألفت الوزارة السعدونية الثانية هذه على الوجه الآتي: عبد المحسن السعدون للرئاسة والخارجية، ناجي السويدي للعدلية، رؤوف الچادرچي للمالية، رشيد عالي للداخلية، حكمت سليمان للمعارف، صبيح نشأت للدفاع، حمدي الباچه چي للأوقاف، عبد الحسين الچلبي للاشغال.

(***) لعل المقصود بهذا العلامة محمد علي بحر العلوم الذي كان في مقدمة المشتغلين في ثورة النجف.

على ان هذه الجماعة التي توجد اعتراضات خاصة عليها ستشطب من القائمة. انها ليست قائمة سيئة بوجه عام(*) .

بيروت(**) ـ 10 تشرين الأول

اتصل بي الكومانداند دوتز الفرنسي مستفسراً عما اذا كان بوسعه ان يأتي لزيارتي. وكنت قد رأيته في بغداد من قبل فوجدته ذكياً حر التفكير..

ذهبت الى الجامعة الامريكية ـ وجدت موقعها بديعاً. وكان الرئيس دوج(1) وعقيلته في الخارج، لكني قدمت نفسي الى أحد الاساتذة وذهبنا نفتش عن صباح بن نوري السعيد، وقد هجم عليَّ ليحييني حالما رآني، ورجاني أن آخذ كتاباً الى ابيه معي. ثم جاء عدد من الاولاد العراقيين

(*) صدرت الارادة الملكية في 7 تموز 1925 بتشكيل اول مجلس اعيان في البلاد، وكان يتألف من سبعة عشر عيناً، ثم صدرت أرادة ثانية بتاريخ 25 تموز بتعيين ثلاثة آخرين. وقد تكون هذا المجلس كالآتي: يوسف السويدي، السيد محمد الصدر، جميل الزهاوي، مولود مخلص، عبد الله صافي اليعقوبي، فؤاد الدفتري، صالح باش أعيان، محمد علي فاضل، عبد الله النقيب، عبد الغني كبة، أحمد الفخري، آصف قاسم أغا، أبراهيم الحيدري، حسن الشبوط، عداي الجريان، عبد الحسين الكليدار، حسين العطية، مناحيم دانيال، يوسف عمانوئيل، سعيد أغا معروف، وقد انتخب يوسف السويدي أول رئيس لهذا المجلس.

(**) سافرت المس بيل باجازة الى لندن فوصلت في 17 تموز وهي في حالة تعب واعياء عصبي. وقد نصحها الاطباء هناك ان تعتني بصحتها عناية تامة، وان لا تعود الى جو بغداد. فاستشارت أهلها ومعارفها فيما يمكن ان تعمله لو بقيت في لندن، وأشاروا عليها بأن ترشح نفسها لعضوية البرلمان في الانتخابات. غير انها رفضت ذلك قائلة «أني احمل كرهاً لا يمكن التغلب عليه لمثل هذا النوع من السياسة». وبعد انتهاء اجازتها عادت الى بغداد فمرت بفلسطين وبيروت.

(1) هو بايرد دودج B. Dodge كان رئيساً للجامعة الاميركية ببيروت خلال 1923 ـ 1948 ثم اصبح مستشاراً في هيئة الامم المتحدة لوكالة غوث اللاجئين.

فسلموا عليّ - كان أحدهم حفيد النقيب. وكانوا كلهم قد جاءوا الى بيروت قبل عشرة أيام. وهم يقولون ان الطريق آمن تماماً. وقصدنا المتحف حيث بعثت بطاقتي الى المدير. فجاء معنا وتجولنا فيه، كما فتح لنا الخزانة التي تحتوي على خزانة جبيل (بيبلوس) الذهبية المشهورة - حوالي 1300 سنة قبل الميلاد. فكان ذلك شيئاً يثير الاهتمام، لكن ما أثار اهتمامي أكثر النواويس التي تحمل كتابة فينيقية يقال انها تعود الى الالف الرابع قبل الميلاد. وهذا يقرب من العهد الذي وجدنا كتابته في أور...

... وصلنا الى بغداد في الحادية عشر والنصف بالملابس الشتوية السميكة، فكانت درجة الحرارة فيها 90 (ف). وذهبت سيلڤيا الى المقيمية رأساً، كما ذهبت أنا الى البيت فحياني الخدم بهرج ومرج...

هذه هي أخباري الموجزة جداً، ولا يسمح لي الوقت بالكتابة أكثر منها سوى أن أقول ان العراق وحكومته هما الآن مثال للانتظام والتعقل، وان السر هنري ما زال مؤملاً ان يسافر بأجازة الى الوطن في عيد الميلاد.

14 تشرين الأول

كان من المدهش حقاً ان اعود الى هنا. لم استطع عمل شيء في المكتب خلال اليومين الأولين مطلقاً بالنظر للسيل غير المنقطع من الناس الذين أتوا لزيارتي. وكانوا يقولون لي «نور عيوننا»، وهم يقبلون يدي ويظهرون بمظهر يكاد يكون سخيفاً للتعبير عن فرحهم ومودّتهم. ان ذلك يؤثر عليّ بعض التأثير كما تعلمون - أكاد اعتقد بأني أصبحت شخصية كبيرة.

... وقد مررت على جميع الوزراء في مكاتبهم وجرى لي معهم حديث مفيد للغاية. وجدتهم منهكي القوى لانهم يترتب عليهم ان

يحضروا جلسات البرلمان في الصباح، ويصرفوا شؤون دوائرهم من الثانية عشرة الى الرابعة، ثم يحضرون جلسة الحزب الحكومي ليقرروا الخطة التي تتبع في المجلس خلال اليوم الثاني. لكن الجهاز يشتغل على هذا المنوال بصورة ممتازة. . .

ان أعمال الدورة التمهيدية (الميزانية) للمجلس تكاد ان تنتهي الآن، والامل أن يتم تأجيل المجلس في الاسبوع القادم(*) . أما الدورة الجديدة فستبدأ في أول تشرين الثاني، لكن خطتهم هي ان يفتتحوها رسمياً ثم يؤجلوها لمدة شهر أو ستة اسابيع. وأتأمل بتضرع ان يفعلوا هذه لأني وجدت جميع ما ينشر في الصحف من وقائع المجلس رديئاً للغاية ومنهكاً الى أقصى حد. اذ يترتب عليّ ان ابدأ من جديد بقراءة جميع الجرائد، ثم أكتب تقريراً شاملاً مستمداً من الصحف الاربع.

. . . كتب السر هنري تقريراً يثير الاعجاب عن تاريخ البلاد منذ 1920 ـ بدأ فيه من الحد الذي وصلت اليه في كتابي الابيض من قبل. فعليكم ان تقرأوه لأن وزارة المستعمرات ستنشره، ففيه صفحة بديعة حقاً عن السر پيرسي وذكراً طيباً لي في الاخير. هذه هي المرة الوحيدة في حياتي التي آنس فيها بذكر اسمي كجزء مما كتب عن السر پيرسي. . .

(*) افتتح البرلمان بدورته غير الاعتيادية في 16 تموز، وبعد ان نظر في بعض اللوائح والاشغال صدرت ارادة ملكية في يوم 29/ 10/ 1925 بدعوة الدورة الاعتيادية في 1/ 11/ 1925. فافتتحها الامير زيد نائب الملك والقى خطاب العرش، ثم انتخب النواب رشيد عالي الكيلاني رئيساً لهم، واعاد الاعيان انتخاب يوسف السويدي رئيساً ايضاً. وفي 4 ـ 11 ـ 1925 صدرت ارادة اخرى بتأجيل المجلسين لشهر ونصف ريثما يتم اعداد لائحة الميزانية العامة. وعلى أثر انتخاب رشيد عالي (للداخلية) رئيساً جرى تعديل وزاري نقل فيه حكمت سليمان من المعارف الى الداخلية، ونقل عبد الحسين الچلبي من الاشغال الى المعارف، واسندت الاشغال بالوكالة الى صبيح نشأت وزير الدفاع.

وبرغم جميع ما ذكرته عن نشاطي في المكتب يجب ان تتذكروا رجاءً أني لست شخصيةً مهمة...

14 تشرين الأول (ب)

... أعتقد أني ذكرت لكم ان الكوماندان دوتز في بيروت جاء يزورني يوم السبت. ولم يفعل هذا لسواد عيوني لكنه اراد ان يبعث برسالة الى السر هنري بواسطتي. لقد وضع أوراقه فوق المنضدة وقال ان سورية في حالة يحف بها الخطر، فعصابات اللصوص في كل مكان، وثورة الدروز غير مقمعة، ولا يمكن قمعها (يستولي الفرنسيون على ثلث جبل الدروز تقريباً لكنهم حتى مع هذا لا يستطيعون الصمود فيه لأن الماء غير موجود ولا يستطيعون الاحتفاظ بالجند هناك). ثم أشار بوضوح الى ان الجنرال سراي غير مسيطر على البلاد، ولذلك ذهب كل شيء الى الشيطان. والمح في حديثه الى قضية الموصل وعلق يقول انها مهمة للفرنسيين بقدر اهميتها لنا، واذا ضيعنا الموصل فانهم سوف لا يستطيعون الاحتفاظ بحلب ـ انا اضيف قائلة انهم سوف لا يستطيعون التمسك بسورية كلها ـ ورجاني أن أقول لصاحب الفخامة انه من الضروري ان لا يظهر أي ظل للانقسام بين السلطتين الأوربيتين. ثم أضاف يقول «انها أوربة ضد آسية». أنا أتفق تماماً معه في هذا طالما كان اعتقادي منحصراً في قوله «أنها أوربة ضد الاتراك». فطمأنته بأني سوف أحمل هذه الرسالة الى صاحب الفخامة، وانه يجب ان يبقى مطمئناً بأني، بقدر ما له علاقة بصلاحيتي المحدودة، سأفعل كل ما أستطيع للابقاء على «الحلف» التام. نحن رقمان متقابلان، انا وهو، لانه هو يحرر رسائل الجنرال سراي الينا وانا أحرر رسائل صاحب الفخامة اليهم.

21 تشرين الأول

أعتقد ان امكانيات التقدم والنجاح مؤاتية جداً هنا. وأراني

مندهشة. من الهدوء الذي يقابل به الناس التأخر الحاصل في البت في قضية الموصل. فهناك جو يختلف تمام الاختلاف عن ذي قبل، وقد بدأت أفكر بأني كان الاحرى بي ان لا اعود، فكل شيء كان يمكن ان يسير سيراً حسنا من دون وجودي..

كتبت مذكرة مدهشة حول عادات العشائر، ففي خلال تغيبنا عن البلاد، أنا وكورنواليس، سلك الموظفون مسلكاً مغلوطاً في معالجتهم لقضايا العشائر البدوية واقنعوا السر هنري بإقرار مقترحات تعتبر من الحماقات التامة في نظر جميع من يعرف البادية معرفةً حقيقية. لقد ذعرت انا وكورنواليس مما حصل في هذا الشأن، لكنه لا يريد ان يفرط بمرؤوسيه في اللحظة التي يعود بها الى العمل، ولذلك اتفقنا على أن أفاتح أنا صاحب الفخامة بالموضوع. فأقر السر هنري ما عرضته عليه، وأرسلت مذكرتي الى وزارة الداخلية مع اقتراح بأن السياسة العشائرية يجب ان يتم تبديلها الآن.

17 تشرين الثاني

وأخيراً وصل الملك(*) يوم الاحد. وقد أخذني كيناهان معه، أنا وسيلڤيا، الى المطار الذي اجتمع فيه الناس جميعهم من علية القوم والاشراف. فانتظرنا هناك ثلاثة أرباع الساعة، لكن التحدث الى كل الناس هناك كان شيئاً مسلياً جداً. وفي الحادية عشر ظهرت في الجو طيارة جلالته الكبيرة محاطة بتسع طيارات صغيرة فكان منظرها جميلاً، ثم نزلت نزولاً بارعاً ووقفت أزاء خيام المستقبلين تماما. وقد خف الى تحيته حينما كان يخرج من الطيارة فخامة المندوب السامي وزيد وغازي، واعقبهم الوزراء والمستشارون وانا، وخرج من الطيارة وهو

(*) كان قد غادر البلاد للاستشفاء في أوائل آب.

على أحسن ما يكون من النشاط والانشراح، بينما كان حرس الشرف البريطاني يعزف السلام الملكي العربي. فكان لهذا وقع شديد وتأثير عميق في عقلية العرب هنا.

وبعد ان قمت بواجب المجاملات عدت الى الوزراء بينما جلس الملك في خيمته يستقبل الوجهاء. وقد سرنا بالسيارة، أنا وسيلقيا، مع كيناهان وراء موكب الملك الى آخر حدود المدينة لنتفرج على معالم الزينة والجمهور المحتشد، وليس من شك أنه عاد بهالةٍ وسيعة مشرقة...

18 تشرين الثاني

ينبغي ان أذكر لكم شيئاً عن الملك. كان قد أجرى مداولات مدهشة جداً مع «الكي دورسيه» (*) حينما كان في باريس مؤخراً، فتصرف بتحفظ ممتاز ووقار معجب، تعقل غير يسير. انهم لا يقدمون له عرش سورية، فلا تجعلوني أضللكم، ولكنهم فيما عدا ذلك قد اعترفوا اعترافاً كلياً بعجزهم عن عمل شيء. وهم مهما فعلوا فأني أعرف انهم سيخفقون. ان اتحاد الدول العربية آتٍ لا محالة.

أبعث اليكم تحت ختم التكتم الأتم بالمذكرة التي كتبتها الى صاحب الفخامة. انه لا يتفق معي في الاستنتاجات التي توصلت اليها، ويذكر ذلك في الرسالة المرفقة بالمذكرة التي بعث بها الى المستر ايمري. وقد جرى بيننا في صبيحة هذا اليوم حديث ممتع للغاية بشأنها، فقلت له أني قد سررت بالرسالة المرفقة لأن أية حجة من الحجج التي أوردها فيها سوف لا تقنع أحداً. لكننا سنواجه أوقات صعبة، ومهمة تستغرق كل ما عندنا من وقت. لقد كتبت مذكرتي بتاريخ 3 تشرين الثاني

(*) وزارة الخارجية الفرنسية.

اي قبل ان يتقدم الفرنسيون بمعروضاتهم الى فيصل. وتدل تلك الخطوة على أنني لم أقلل من تقدير الموقف الذي يقفون فيه. وكان فيصل قد أجرى عدة محادثات طويلة مع بيرثلو، والمسيو دي كي، واثنين آخرين من رؤساء الدوائر في الكي دورسيه. وكان بيرثلو هو الذي أهانه وسخر به حينما قصد باريس في سنة 1919 - تصوروا مقدار المرارة التي كان يعانيها حينما اضطر لمقابلة جلالته طالباً المساعدة والمشورة. فكروا أيضاً فكروا أيضاً بدي كي حين يقول لجلالته باننا كنا قد فسرنا انتدابنا بطريقة صائبة وفسروه هم بطريقة خاطئة.

25 تشرين الثاني

دعونا الملك وزيداً لتناول العشاء عندنا، مع لايونيل سميث والكابتن هولت. وكان الملك على أحسن ما يكون من المرح، كما كانت اللمسة الاخيرة من العشاء انه تناول عدداً من الاجاص المجفف المنقوع بمشروب الجن. فبعد أن تناول جلالته أجاصتين منه لا غير أصبح يضج بالصخب، واصر على أن يأكل كلٌّ منا أيضاً اجاصتين منه. فكان لذلك تأثير يضاهي تأثير الكهرباء. اذ سمح حتى الكابتن هولت المتزمت للعبث الصبياني ان يصدر منه.

9 كانون الأول

... ثم عدت الى البيت فتغديت باكراً وركبت القطار لأذهب الى خانقين حيث كان الملك بانتظاري. لقد جاء كورنواليس أيضاً. وقد وصلنا في السادسة فوجدنا مجموعة كبيرة من المرافقين والموظفين في استقبالنا، وأخذونا مسرعين الى بيت جلالته - وكان قد شيد بيتاً صغيراً مريحاً. هذا ونقوم انا وايلسي (زوجة الدكتور سندرسن) بتأثيثه معاً، فنجد متعة كبيرة في ذلك. وبعد تناول الفطور ذهبت مع كورنواليس وزيد الى

الصيد في الادغال المحاذية لديالى، فقضينا أربع ساعات فيه. لقد كان الجو حاراً جداً لكنه لذيذ فحصلنا على ما يكفي من الدراج الاسود والقبج ليرضينا جميعاً. وبقيت نائمة في صباح اليوم الثاني الى ما بعد الثامنة، ثم تناولت الفطور في التاسعة. وكان الملك قد تناول فطوره لكنه بقي جالساً معي ريثما أتناول فطوري. ومضينا نتحدث حتى وصل المستر توماس(*) الخبير الزراعي المستخدم في «شركة زراعة القطن في ديالى». تحدثنا عن زراعة القطن لمدة ساعة، ثم ذهبنا بالسيارة الى حقول القطن يتبعنا غداؤنا في أثرنا. كان كل شيء مدهشاً في الحقيقة. اذ كان قطن الملك كله من الدرجة الأولى، وكان القطف قائماً على قدم وساق، فتجولنا في الحقول والملك تغمره نشوة الرضا والابتهاج.

12 كانون الأول

أبعث لكم بمقالٍ صغير عن مزرعة الملك كنت قد نشرته في جريدة «الأوقات البغدادية». لقد كان المصور السينمائي ناجحاً جداً في مهمته - هل أخبرتكم بأني بعثت برجل لهذا الغرض؟ فقد صوّر المزرعة جميعها، مع الملك وهو يقطف القطن بينما تستمر الساحبة (تراكتور) في عملها، وغير ذلك وسوف نعرضه في بغداد قريباً. جرى لي حديث طويل مع الملك يوم أمس، حول تنظيم شؤونه البيتية، وسورية، وكل شيء. وكان قد دعا كورنواليس وأيلتيد وأنا الى قضاء عطلة عيد الميلاد في مزرعته، وأقوم الآن باعداد بعض الكراسي ذات الذراعين (أرم تشير) الجديدة حتى تكون هناك أشياء مريحة نجلس عليها.

غادر زيد البلاد مع البريد الجوي في يوم الخميس الماضي، فكان

(*) كتب المستر توماس هذا بالانكليزية فيما يعد نشرة رسمية ممتازة عن زراعة القطن في العراق.

هناك حشد رسمي لتوديعه. وكان ابرز ما لاحظته السيد طالب باشا بين الحاضرين! لقد كان يقضي أياماً قليلة في بغداد، لكنه ابتعد عن طريقي بكل تعقل. اذ لاحظت جمعاً من الناس فحييتهم من بعيد، فلفت نظري ان أحدهم كان يحييني بصورةٍ بارزة جداً. ثم نظرت اليهم من جديد واذا بالسيد طالب يهم لمصافحتي على ما يبدو. ولذلك أمسكت برئيس الوزراء وطلبت اليه ان يذهب الى السيد طالب ويشير عليه بأن لا يجرب ذلك لأني لابد من أن أجرح احساسه. ففعل رئيس الوزراء ذلك وهو يضحك وتوارى طالب في خلفية الحضور. وكان قد زار الملك فقال له انه من الخير له ان يعيش في الخارج. وقد سر جلالته بقصة ملاقاتنا.

وقبل ان يغادر زيد هذه البلاد جاء مسرعاً اليّ ورجاني أن أرعى أخاه. فقد قال لي «انت تعرفين الوحدة التي يعيش فيها الملك، ان وجودك الى جانبه فيه فرق كبير له». واذا كنت شديدة التأثر بهذا الحديث وعدته بأن أفعل جميع ما في طوقي من أجله. انه أشد الناس توحداً في العالم، على ما اعتقد.

أنا مشغولة للغاية في هذه الأيام، وسوف استمتع بالفترة القصيرة التي سأقضيها في الموصل.

30 كانون الأول

. . . ان الازعاج الحقيقي هو أن كل جهد يمكن ان يمارس يجب ان يستهدف المهمة الصعبة في جعل المعاهدة الجديدة توقع وتختم كلها في لحظة واحدة. ان بيرنارد طريح الفراش الآن، وأعرف ان عليّ أن أكون في المكتب وقد اصبحت حكومة صاحب الجلالة البريطانية سريعة الغضب، وهذه لا تدرك على ما يظهر ان الملك والوزارة مهما كانا يرغبان في تمشية المعاهدة ـ وهما كذلك ـ فانهما بحاجة الى شيء من المساعدة في أبرام معاهدة أمدها خمس وعشرون سنة، بينما لم

يستطيعوا أن يبرموا قبل ثمانية عشر شهراً معاهدة أمدها أربع سنين فقط الاّ ببالغ الصعوبة. ان جملةً صغيرة ملطفة تحافظ على ماء الوجه، أو شيئاً تستطيع الوزارة ان تأخذه الى البرلمان بثقة، يمكن ان يساعد على امرارها. لقد أعددت مع كورنواليس مشروعاً يوم أمس، وقد ذهب ليناقشه مع الملك وبيرنارد. لكن هذا يختلف عن قيامي بدور فعال في هذا الشأن، ولذلك صرت أشعر بأني أشبه بالقصبة المكسورة. وعلى كلٍ هذا هو الوضع، وجل ما استطيع فعله هو أن أنام وأكبر الطريقة التي يعالج بها كورنواليس هذا الامر والبراعة العظيمة التي يبديها في تفهم ما في أفكار العرب.

13 كانون الثاني 1926

قضيت أيام النقاهة بكثير من القراءة في موضوع الآثار، وبكتابة مقال عن العراق بقصد نشره في «دائرة المعارف». وكان يمكن ان يكون هذا المقال أحسن مما هو الآن لولا اضطراري للاختصار والايجاز بدرجة فضيعة. على انه حتى بشكله الحالي لا بأس به، لكنه يجب ان يخضع لملاحظات وزارة المستعمرات عليه فقد لا يقبلون به. وسأبدأ قريباً بكتابة التقرير السنوي الى عصبة الامم، ولذلك فأنا أؤخر وقت عودتي للدوام في المكتب ليتسنى لي كتابة قسم كبير منه. فان كتابة شيء كبير مثل هذا تعد شيئاً مضنياً حين يكون المرء مشغولاً بالاشغال اليومية المعروفة.

صادقت الوزارة العراقية على المعاهدة (*) الجديدة، وأرى أنه

(*) بعد ان صادق المجلس التأسيسي على المعاهدة الأولى في 10 حزيران 1924 واصل الملك فيصل جهوده لتعديلها. وكانت الحكومة البريطانية نفسها تريد تمديد أجلها البالغ اربع سنوات، فكتب المندوب السامي في 28/ 12/ 1925 الى مجلس الوزراء يشرح أسس المعاهدة الجديدة، وأهمها تمديد أمد المعاهدة =

سوف لا تنشأ أية صعوبة بشأنها في البرلمان..

13 كانون الثاني 1926 (ب)

لقد أبرمت الوزارة العراقية المعاهدة الجديدة، ولا اعتقد بأنه سوف تحصل أية صعوبة في مجلس النواب. فقد وافق المستر أيمري بكل تعقل على التعديلات الحرفية التي طلبها الملك. وهي بمثابة تلطيف وتسكين لدافع الضريبة البريطانية بقدر ما هي للعراق نفسه.

لا أظن ان الاتراك يقصدون الاشتباك في قتال. فكل أسبوع

= الى خمسة وعشرين عاماً. غير ان مجلس الوزراء قرر بعد النظر في الامر الموافقة على ذلك، ما لم يدخل العراق في عصبة الامم، بشرط ان تجري تعديلات كثيرة في الاتفاقيات الملحقة وان تصرح بريطانية رسمياً بأنها ستسعى لأدخال العراق في عصبة الامم. لكن المندوب السامي كتب الى الملك في 4/ 1/ 1926 يخبره بعدم موافقته على مقترحات مجلس الوزراء، وحينما أحال الملك هذا الكتاب الى المجلس قرر بتاريخ 5/ 1/ 1926 التمسك بوجهة نظره واعترف بأن «الامة العراقية والحكومات المتعاقبة على دست الحكم قد أظهرت كلها تساهلاً عظيما في جميع ما يمس مصالح الدولة الحليفة، وهي بدورها الآن تؤمل منها ان لا تضن عليها بتنفيذ ما وعدت به..». غير ان دار الاعتماد أصرت على الرفض، ولعل سبب تشددها يعود الى أنها كانت تعلم بأن العراق محتاج الى مؤازرة بريطانية في مثل هذا الوقت الذي كانت تبحث فيه قضية الموصل في عصبة الامم ومطالبة الاتراك بها. ونظراً لأن قضية الموصل كانت حيوية للعراق ويجب ان يضحي كل شيء من أجلها أقر مجلس الوزراء بجلسة يوم 11/ 1/ 1926 المعاهدة بعد تمديد المدة ووقع عليها عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء في يوم 13/ 1/ 1926. غير ان المعاهدة حينما عرضت على مجلس النواب في 18/ 1/ 1926 جابهها المعارضون ـ المنتمون الى حزب الشعب ـ بمعارضة صاخبة وطلبوا رفضها. وبعد ان أخرج المستمعون من المجلس اسمع المعارضون، ومنهم باقر الشبيبي وثابت عبد النور، رجال الحكومة كلاماً قارصاً وانسحبوا كلهم من الاجتماع. فصدقها المجلس برغم ذلك، وكان عدد الموافقين عليها (58) نائباً وعدد المتغيبين والمأذونين عشرة نواب، كما كان عدد المعارضين الذين تركوا القاعة (18).

يتأخرون فيه يقلل من احتمال استجماع شجاعتهم. وقد ترامى الى سمعنا من استانبول أنهم يعانون من عودة جديدة الى الاضطرابات في شمال شرقي الاناضول. فقد يبدو من السخافة بمكان أن يمتنع الناس عن ارتداء البرنيطة(*) مع انهم قد أمروا بذلك. وعلى كلٍ فالبرانيط لا يمكن ان يحصلوا عليها في لحظة واحدة. سمعت في الموصل أشد ما يثير الضحك من القصص عن جهود الناس في القرى التركية الواقعة على الحدود، حيث جعل وجود الجند بكثرة من الضروري اطاعة القانون الجديد، في تزويد أنفسهم باشياء يمكن ان تعتبر في عداد البرنيطات. فقد ارتدوا في رؤوسهم السلال وقطع الحصران أو أي شيء آخر لا يبدو شبيها بالطربوش أو العمامة، بينما كانت العقول تضطرم تحتها بالثورة. لقد ذهب مصطفى كمال الى أبعد مما يقتضي، وبأسرع من اللازم، في هذا الطريق. على انه هو الذي يقف دون وقوع حرب معنا، ولذلك نأمل أن لا يتغلب عليه في الحال شلل المجانين العام الذي يهدد حياته في الوقت الحاضر. ان عيبه الخمرة والنساء.

لم يفعل المسيو دي جو ڤنيل[1] (في سورية) شيئاً مطلقاً من دون أن يكون مغلوطاً. فلم تكن شروط العفو العام التي أعلنها مقبولة، وقد جعلت طريقته في انتخاب المجلس التأسيسي كل شيء بلا نظام ولا ترتيب، ثم رد دمشق خائبةً، وأسوأ من كل ذلك أنه وقادته قد أخفقوا في قمع الثورة. فنحن نعرف من خبرتنا هنا في 1920 أنك حتى اذا كنت مخطئاً يجب عليك أن تعيد الامن والنظام الى نصابهما اولاً قبل ان تبدأ بتشريع الدستور. انه بلاشك يمتلئ بالنوايا الحسنة، لكنه لا يعرف شيئاً

(*) كان من الاصلاحات التي اضطلع بها كما أتاتورك هناك انه اجبر الناس على لبس البرنيطة.

(1) هو هنري دي جوڤنيل (1867 ـ 1935) كان مندوب فرنسا السامي في سوريا ولبنان خلال 1925 ـ 1932.

عن الشرق بوجهٍ عام، أو عن سورية بوجهٍ خاص. فليس هو، بتعبير أقصر، السر پيرسي كوكس، كما انه يحاول أن يفرض حلاً قضى السر پيرسي تسعة أشهر في العثور عليه، وقضى من بعدها سنتين من المعالجة الحكيمة المفعمة بالتعاطف من أجل توطيده. ولذلك تجدني متمسكةً تماماً برأيي في المصيبة السورية، وما زلت اعتقد بأن الفرنسيين سيجدون أنفسهم مضطرين الى ابداء عجزهم، ونفض ايديهم.

لا لزوم هناك للتخوف من معاهدتنا التي أمدها خمسة وعشرون عاماً. فاذا بقينا نمضي بالسرعة التي كنا نسير فيها خلال السنتين الاخيرتين، سيصبح العراق عضواً في عصبة الامم قبل مضي خمس أو ست سنوات، وستكون مسؤوليتنا المباشرة قد انتهت. فمما يكاد لا يصدق أن نرى كيف تخلد البلاد الى السكينة. والآن، وبعد ان تكون قضية الحدود قد سويت، يجب علينا ان نكون قادرين على مضاعفة الخطى. .

20 كانون الثاني 1926

مر علينا اسبوع مرضٍ جداً بابرام المعاهدة في برلماننا. لقد سُرَّ الملك سروراً كثيراً، وله كل الحق في أن يرضى لانه كان قد قابل شخصياً كل عضو من اعضاء المجلس وشرح لهم ماذا سيحصل فيما لو قوبلت المعاهدة بالتأخير. لكن الحزب الحكومي كان قوياً بحيث لم يكن هناك في الحقيقة أي شك في النتيجة المطلوبة. ومع هذا فجلالته ورئيس وزرائه يستحقان ان يعزى شيء من الفضل لهما. أرجو ان تلاحظوا ان العراق هو البلاد الشرقية الوحيدة التي تسير سيراً حسناً مع بريطانية العظمى، والسبب أننا قد جربنا ان نشكل هنا دولة عربية مستقلة.

نحن مغمورون قليلاً بسيلٍ من الصحفيين الذين جاءوا ليكتبوا عنا. أدعو الله ان لا يجعلوني جزءاً مما يكتبونه، كما يحتمل أن يفعل الصحفيون حينما تعوزهم المادة الصحفية.

27 كانون الثاني 1926

. . . ذهبت يوم أمس لأرى الملك، والملك السابق علي(*)، تلك الشخصية الحزينة الجذابة جداً. انه يليق لحياة التأمل والعبادة على ما أعتقد، وليس للحرب والسياسة. وأبديت في أثناء الحديث ملاحظة ملطفة وخاطبته بكلمة «جلالتكم»، فوجدت أني كنت على حق فيما فعلت. ومن دون لباقة سأل كورنواليس فيصلاً عن ذلك، لكن فيصلاً تطاول بقامته الى أقصى ما في طوله بسخط صامت، كما يفعل اليسروع[1]. ثم قال كورنواليس بصوتٍ خافت أنه هو نفسه كان قد تخلى عن لقب «كولونيل» (لم يكن له أي حق في استعماله)، غير ان الملك لم يجد سلوى فيما قال.

1 شباط

سأذهب غداً الى أور مع لايونيل سميث، وسنزور كيش في طريق عودتنا. وسيكون هذا شيئاً لطيفاً اذا ما ساعد الطقس على ذلك. .

ان مشكلة روسية مشكلة جسيمة. أشك فيما اذا كان من الممكن جعل طبقة الفلاحين الناشزة جداً تلك ان تسير في طريقٍ خاص بها. لقد خضعوا لحكم آل رومانوف الاستبدادي، وهم الآن يخضعون لحكم الفئة الشيوعية المجنونة وكانت من نتاج العهد البائد. هناك أمل أكثر في جعل الناس العاملين في القمة منهم ان يروا الفائدة من تغيير سياستهم تجاهنا.

(*) في سنة 1924 تنازل الملك حسين لابنه الاكبر علي بنتيجة ضغط ابن سعود عليه ودسائس الانكليز ضده. فاتخذ علي موقفاً دفاعياً ضعيفاً، محفوفاً بالمخاطر، ضد ابن سعود لكنه اضطر في كانون الأول 1925 الى الاستسلام وغادر جدة الى بغداد ليعيش منفياً في بلاط اخيه فيصل. وفي كانون الثاني نودي بابن سعود ملكاً على الحجاز رسميا.

(1) يرقانة الفراشة.

فأني استطيع ان أحزر مما اراه في هذا الطرف من العالم ان هناك ظلاً من الدلالة على انهم قد يفعلون ذلك. على اننا في الوقت نفسه كلما حصل لنا اتصال بالنشاط الرسمي الروسي نجدهم معادين لنا كما هم بصورة دائمة.

أتمنى ان تبادر فرنسة الى تنظيم شؤون بيتها في سورية. فان الانتخابات المجزأة التي يجريها دي جوڤنيل في ظل رقابة فرنسية شديدة تعتبر مسرحية هزلية كما كانت قضية العفو العام. انه غير قادر على اقناع أي فردٍ من السوريين على تسلم منصب الرئيس، وقد كان مضطراً الى ان يمدد أمد السيطرة الفرنسية المباشرة. وهم يتحدثون الآن عن تجديد حملة ضد جبل الدروز في الربيع. فالدروز عازمون على القتال الى آخر خندق، وعلى القفز من فوقه بعد ذلك والتوجه نحو الاوعار البركانية الكائنة في الجهة الشرقية انهم يفعلون كل شيء الاّ الخضوع للفرنسيين. وهم يقولون أنهم اذا استطاعوا ان يضمنوا وعود الفرنسيين لهم فأنهم سيقبلون بها، أو اذا ضمنتها العصبة. فالسوريون لا يريدون الفرنسيين، وكانوا يصرحون في ذلك دوماً، وسيفعلون هذا على الدوام في المستقبل. وهم على حق في ذلك، فانهم يريدون بطبيعة الحال ان يكونوا دولة عربية مستقلة، لكن الفرنسيين يريدونهم ان يكونوا نسخة طبق الاصل من دوائرهم الفرنسية.

3 آذار

انا متأكدة من أنكم ستفرحون حينما تسمعون بأني قد حصلت على البناية التي كنت أريدها للمتحف من بين جميع الاشياء الاخرى. فبعد أن وجهت كتاباً الى رئيس الوزراء بلهجة مفخمة خف فخامته الى مكتبي والوعود تطفح منه. وقد اشار عليّ ان اتصل بالمستر كورنواليس (الداخلية) الذي تتولى وزارته شؤون البنايات الحكومية. فما أسهل هذا! أخذت كورنواليس الى المكان الذي كنت أريده فوجدته سهل الاقناع

لانه هو الذي كان يلمح لي سرياً بأن هذا قد يكون من السهل استحصاله، وهو مرتاح الآن من تحقيق ما كان يفكر به. وعلى هذا حسمنا الموضوع خلال نصف ساعة، وتكاد الدائرة التي كانت تشغل البناء سابقاً ان تنتهي من الانتقال الى مكانٍ آخر اليوم، وكنت منشغلةٍ بتدبير أمر الترميمات المقتضية وما أشبه.. . سأخصص قسماً من المبنى لمكتبة المدرسة الأمريكية، وستفيدنا هذه كثيراً اضافة الى ما نسديه لهم من معروف ومساعدة، ومع هذا ستتوفر لي غرف كثيرة للاشياء الاخرى. اما الآن فنحن متضايقون بحيث اذا أردت رؤية شيء يجب عليك ان ترفع شيئاً آخر عنه لتراه. كم يعجبني ان تشاهدوا المتحف! انه سيكون متحفاً حقيقياً بالتمام، يكاد يشبه المتحف البريطاني الاّ أنه أصغر منه بقليل. وقد أوصيت على صنع جارورات طويلة غير عميقة مركبة في دواليب لتحفظ فيها كسر الفخار بحيث يكون بوسعك ان تسحب احدها فتتفرج على القطع السومرية، ثم تسحب الثاني فترى الخزف البارتي، وتسحب غيره فترى اللقى القديمة جداً، ثم اللقى العربية والخزف العربي وكل شيء. هلا سيكون ذلك شيئاً بديعاً؟

10 آذار

سافرت مساء الخميس الماضي الى خانقين لأقضي الجمعة مع الملك.. . وفي الصباح كنت مشغولة مع أحد النجارين بفرش المشمع وترتيب الأثاث..

تغدينا مبكراً، ثم قطعنا أميالاً قلائل بواسطة الدحروجة (ترولي) الى موقع في المزرعة كانت تنتظرنا فيه الخيول، فقضينا فترة بعد الظهر نتجول راكبين..

وعند عودتنا كانت غرفة القبول وغرفتان من غرف النوم قد رتبت. فثبت الاثاث في مكانه واصبحت غرفة القبول كأنها من الغرف اللطيفة

في بيت من بيوت الريف الانكليزي. وما زال قسم من الأثاث غير مغطى ـ اشتريت الآن ما يكفي من قماش الكتان والحرير من السوق لأكمل ذلك.

غادرت المكان بعد العشاء، فجاء لتوصيلي الى القطار أحد المرافقين. ولم يكن في السيارة بترول كافٍ، كالمعتاد، لايصالنا الى المحطة فاضطررنا الى النزول والسير على الأقدام اليها. غير أنه لم يكن هناك خطر من عدم اللحاق بالقطار، لأنه لابد من ان يتأخر من أجلي فيما لو تأخر وصولي في الموعد المعين. . .

23 آذار

. . . تناولت الشاي عند الملكة يوم الأحد، لتوديع غازي الصغير ولي العهد قبل سفره الى الدراسة في انكلترة. تأسفت جداً لها، لابد من أن يكون سفر الولد الوحيد الى بلادٍ نائية شيئاً شاقاً، لاسيما وأنه سيعيش في ظروف وأحوال لا تعرف هي شيئاً عنها..

14 نيسان

كان الشيء الوحيد الذي شغلنا به خلال الاسبوع الماضي الماء. فالريح الجنوبية (الشرقي) التي هبت في اليومين الأخيرين، وقد وصفتها بلهجة التذمر في كتابي السابق اليكم، كان فيها من المضايقة شيء أكثر مما كنت اعرف. فقد ذابت الثلوج في جبال الشمال، ما ان حل يوم الخميس حتى كنا نستقبل فيضاناً مخيفاً. اذ طغى الماء في النهر بحيث لم يسمح للسيارات والعربات بالعبور من فوق الجسر، وكان الفرد منا يذهب الى المكتب وهو يتضرع ان يكون قادراً على العودة الى البيت ماشياً على رجليه. لكن الجسرين قد صمدا لهذا الطغيان حقاً، وكاد النهر في مساء الخميس ان يركب ضفته اليسرى فانشغل الجميع بوضع أكياس الرمل في حواشي جدائقهم المطلة على النهر لئلاّ يجد الماء

مهرباً منها. وقد بعثت البستاني بعد العشاء الى دار المستر كورنواليس للمساعدة، ثم ذهبت بنفسي لأتفرج على الطغيان. كان النهر متجهماً متلاطماً، وكان يخيل لنا حينما وقفنا فوق المسناة انه يدفع أسس البنيان من تحتنا. وفي يوم الجمعة انكسرت السدة في الضفة اليسرى من فوق قصر الملك فأغرقته. غير انه كان في خانقين، واضطرت عائلته الى الانتقال بسرعة الى احدى الدور(*) في بغداد وتدفق الماء فغمر البر الشرقي وركب السدة المتهدمة، وقد كنا منذ ذلك الوقت حتى الآن غير متأكدين قط من عدم تدفقه الى الجهات الواطئة من المدينة واغراقها، ومن ضمن ذلك المحلة التي أسكن(**) فيها! أظن ان ذلك الخطر قد زال الآن، الاّ اذا عاد دجلة الى ما لا نتوقعه، لكن احتمال وجود ستة أقدام من الماء في بيت المرء لم يكن شيئاً مسلياً. فلو حدث ذلك لانزعجت انزعاجاً مخيفاً على وجه التأكيد. وكان من الصعب التفكير بأي شيء آخر. لقد جيء بآلاف الفلاحين وأحكمت الضفاف بالحصر القصبية وأكياس الرمل، لكن أسوأ ما يمكن ان يحدث هو عندما يبدأ الماء بالتسرب الى الأماكن غير الصلبة في أسفل السداد. وقد نصبت الأضواء الكهربائية على طوال الساحل، وأخذ الناس يراقبون ويتفقدون السداد ليل نهار. لقد انغمرت محطة القطار الكبرى في الجانب الشرقي بالماء، وتلفت كميات كبيرة من البضائع والسلع التي كانت تنتظر الشحن الى إيران(***) ..

والعرب مهملون بصورة غير قابلة للاصلاح، فهم يتركون جداولهم غير مسدودة عندما تطغي مياه النهر فتجد طريقها الى الفيضان..

(*) انتقلت الى دار وزير الدفاع نوري السعيد، وقد انكسرت السدة في يوم 9 نيسان.

(**) كانت تسكن في محلة السنك.

(***) قدرت الخسائر التي لحقت بالناس يومذاك بسبعة ملايين روبية. وكان سبب الكسرة المؤدية الى تدفق الماء وحصول الخسائر مأمور الزراعة الذي كان يشتغل عند الملك، توفيق المفتي.

وتعد هذه البلاد بلاد المتناقضات، فهي اما ان تموت من العطش أو تموت من الغرق. والحق ان بغداد لا يمكن أن تكون آمنة تماماً لأنها تقع في بقعة منخفضة من الأرض. لكني اتوقع انهم بعد هذه الخبرة القاسية، وقد جاءت بعد خبرة 1923، سيعملون كثيراً من أجل المحافظة عليها. ويجد المرء الآن ان الفضاء الممتد من الجهة الشرقية مغمور كله بالمياه الى مسافة أميال وأميال. وقد أخذ الفرات الآن بالارتفاع، على أننا نأمل انه سوف لا يغمر البر من الجهة الغربية كله! وعلى كلٍ فليس بوسع ذلك ان يهدم داري انا التي تعد شيئاً ما.

أنا آسفة جداً لأن الملك قد تلفت داره الجميلة كلها.

21 نيسان

... أصبحنا الآن آمنين من الفيضان آمنين على قدر الامكان لأن بغداد على ما يقول المستر بوري، لا يمكن أن تكون آمنة تماماً ما لم يُعَدْ بناؤها في مكان آخر. ومن حسن الحظ أن ديالى لم ترتفع فيه المياه، ولذلك صار من الممكن لمياه دجلة ان تنساب اليه. لكن طريق بعقوبة مغمور بالمياه الى مسافة ميلين - وقد دبروا فتح طريق مؤقت يخترق البر على بعد ثلاثة أو أربعة اميال من الجنوب. كما استطاعوا سد الكسرة في دجلة يوم الجمعة بوضع أكياس الرمل بين الأكوام الخشبية. انها لا تبدو صلبة جداً لكنهم يشيدون الآن سدة ترابية محكمة وراءها. لقد تبين الآن ان قصر الملك بحالة غير سيئة، فقد أخرجوا جميع الأثاث مع ان معظمه يحتاج الى تصليح، كما تصرف الماء كله. لكن الدار الكبيرة التي تسكنها الملكة والأسرة قد تصدعت، وقد يعني ذلك أنها ستتداعى في دجلة لأن سدتها قد تضعضعت.. . وفي نية الملك ان يعود خلال النهار الى قصره الصغير الخاص به والى دوائره بأسرع ما يمكن. اليس ذلك مزعجاً له؟ انا أيضاً أجد الوضع مزعجاً لأن البر الذي

كنت اخترقه ممتطية صهوة جوادي او مترجلة أصبح عبارة عن بحيرة الآن. . .

طلب اليّ رئيس الوزراء (لا أدري لماذا) ان أكون عضوةً في اللجنة الحكومية التي ألفت لتوزيع المساعدات على الفلاحين الذين غرقت أراضيهم في شمال بغداد. انها ستجتمع غداً. .

كان أيلتيد وقت وقوع الفيضان في الموصل، وهناك تسلم برقية من أحد موظفيه العرب تفيد «عندما ارتفع الماء انهارت داركم». والحقيقة ان داره قد انهارت في الماء، لكنه كان قد نقل جميع ملابسه وأشيائه الخاصة الى بنايةٍ قريبة قبل ان يسافر فسلمت. على ان جميع أثاثه قد جرفتها المياه وفقدت.

. . ذهبت في صبيحة يوم الأحد الى السراي واشتغلت بأشياء كثيرة في المتحف، وجرى لي بعد ذلك حديث طويل مع الشرطة عن البولشفيك وما اشبه. وقد تغدى عندي أحد الامريكان، وهو ممثل المدرسة الامريكية للآثار في هذه السنة. ففحصنا الفخار والقطع الصوانية التي جمعها من التلول الأثرية في الجنوب، فاستغرق ذلك وقتنا حتى الرابعة. لقد تعلمت شيئاً من ذلك لكنه تعلم أكثر مني لأن معرفته بالفخار أقل من معرفتي به. على انه عثر على آجرات مكتوبة مهمة كانت له معرفة بها. وان خلاصة اشتغاله كله هي أننا ما زلنا نجهل موقع مدينة بابلية قديمة تدعى أيسين، لأنه حصل على آجرّات أيسينية من تل آخر. .

5 أيار

. . . كانت سفرتنا الى أور سفرة حارة، حارة بحيث لا يمكن للمرء ان يفعل شيئاً سوى ان يسترخي ويقرأ احدى الروايات، لكنني أعدت التوازن بنشاط غير اعتيادي أبديته عند الوصول. فقد كان هناك كثير من الفخار يعود لنا في بيت البعثة، وقد جلبت معي أربعة صناديق منه

لتعبئتها مع كاتبي في المتحف، وجهزنا مدير المحطة الهميم بالرجال لحمل الصناديق عبر البادية، وبذلك كنا بعد الساعة السادسة مباشرةً نشتغل في ضوء الفانوس وبمساعدة العرب التطوعية. فاستغرق ذلك ساعتين مشينا بعدها الى المحطة (محطة اور) ليلاً مخترقين البادية الباردة بلطف. . .

وصل الملك من البصرة في الساعة الخامسة والنصف من صباح الاثنين. فكنا جميعاً في استقباله، المتصرف والمفتش الاداري والشيوخ وانا مع اناس آخرين. وبعد ان انتهى من واجبات الاستقبال قررنا ان نقصر الحفريات في الحال ونعود الى تناول الفطور بعد ذلك. فدخلت مع جلالته في سيارة المتصرف وتبعنا الآخرون بسيارات الأجرة، وهم وزير من الوزراء وجماعة مختلفة من الموظفين الذين كانوا مع جلالته. فكانت زيارة موفقة للغاية، لأن الملك كان ملتذاً جداً بها ـ انتهينا منها قبل الثامنة حين كانت وطأة الشمس تشتد بحرارتها بعد أن رأينا جميع ما يحتاج الى رؤيته الملوك. ثم تناولنا الفطور في قاطرة الملك الخاصة مع وزيرين والمستر بوري (الري)، وعدت بعد هذا الى قاطرتي. وكان القطار قطاراً خاصاً لم يقف في المحطات سوى في الديوانية حيث انتقلت الى عربة المطعم للغداء (تغديت مع أحد الوزراء وسيدين أحدهما عين والآخر نائب)، وفي الحلة حيث بعث يستدعيني الملك لأتناول الشاي معه. وقد برد الجو حينذاك فلعبنا «البريج»، الملك وأنا وأحد الوزراء مع رجل من رجال التشريفات، حتى وصلنا الى بغداد في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين من يوم 3 نيسان. . .

18 أيار

. . . لا ادري اذا كنتم تعرفون السر جون كادمن. انه الآن، او سيكون، رئيساً لشركة النفط الانكليزية ـ الأيرانية (آي بي أو سي). وكان هنا قبل سنة ونصف. . ثم مر من هنا في الاسبوع الماضي في طريق

عودته من إيران، حيث كان يمثل الشركة في حفلة تتويج الشاه (رضا شاه بهلوي). وقد نجح خلال الأيام الأربعة التي قضاها هنا في تمشية الاتفاقية مع الحكومة العراقية لتشغيل مكائن النفط في خانقين بعد ان كانت متوقفة منذ ثلاث سنوات أو أكثر. وكنت التقي به كل يوم في أثناء تناول الغداء مع السر هنري، فاهتززت فرحاً حينما سمعته يقص علينا كيفية سير الأمور. فاذا سار كل شيء على هذا المنوال - وليس هناك ما يحول دون هذا - سيبدأ العراق بتقاضي الجعالة اللازمة (رويالتي) في السنة القادمة، وسيتوفر له نفط رخيص من مصفى خانقين. وفي يوم الأحد، أي في الليلة التي سبقت مغادرة السر جون، أقام السر هنري وليمة عشاء كبيرة ليعرفه فيها على الملك. وجلس السر جون على المائدة بين جلالة الملك وبيني، فقضينا معظم الوقت في تبادل عواطف المنة وعرفان الجميل وفي التمنيات الطيبة. وبالنظر لتعسر تفاهمهما بلغة واحدة وقع عليّ واجب الترجمة بينهما...

26 إيار

... والذي افكر في عمله الآن هو ان أبقى (لا تخبروا أحداً) مع المندوب السامي حتى يعود بيرنارد في الخريف، وعند ذاك اقدم استقالتي وأطلب من الحكومة العراقية ان تستخدمني مديرة للآثار القديمة لمدة ستة أشهر أو ما يقرب من ذلك (انا الآن كما تعلمون مديرة فخرية). وسوف لا أبقى أكثر من هذا بأي حال من الاحوال مع المندوب السامي. فالحقيقة هي ان شغلي قد انتهى، فقد تقلص العمل السياسي وافسح المجال الى القضايا الأدارية الكبيرة التي لا تعنيني، ولا أحسن الاشتغال بها. أضف الى هذا ان دائرة الآثار القديمة قد أصبحت ادارتها تستدعي اشتغالاً كاملاً في المكتب. وأنا أحاول اقناع الوزارة بأن تسمح لي في الاشتغال بجميع الأشياء التي تركها المنقبون الألمان في بابل، وفي التنقيبات الجديدة...

26 أيار (ب)

... لا استطيع ان أتصور بوضوح ماذا سأفعل، لكني بطبيعة الحال لا يمكن أن أبقى هنا الى الأبد. بدأت أشعر بأنه طالما كان بيرنارد هنا، والسر هنري، فوجودي في الدائرة يصبح غير ضروري بالمرة. وكان بودي أن أبقى في دائرة الآثار القديمة اذا كان من الممكن أن آتي الى الوطن كل سنة، لكني لا أشعر ان هناك مبرراً لأن أطلب من الحكومة العراقية أن تعينني في وظيفة دائمة. ان المدير هنا يجب أن يكون ملماً بالخط المسماري، وان يكون موظفاً من موظفي المتحف المدربين. لكن جل ما استطيع ان أفعله هو أن انظف الآثار وأرتبها، قد أكون مفيدة حينما يأتي اندريه الى بابل. وعلى كلٍ فأنا أشعر بأني منقسمة بينكم وبين وجودي هنا.

تمنيت، انا ولا يونيل سميث، يوم أمس ان تكونوا هنا لتناول الشاي معنا حينما كنا نبحث في المنهج الذي يقوم بوضعه هو للجامعة. ان السر هنري يصر على تأسيس قسم للفنون الجميلة. لكن ما يفكر به لايونيل هو ان يجمع اللغات والآداب مع التاريخ، والاقتصاد السياسي وما أشبه في دراسة يمتد أمدها ثلاث سنوات. واقترحت أنا ان دراسة بابل وآشور يجب ان تدخل بين المواضيع التاريخية الخاصة. وبودي أن أحاضر في هذه المواضيع انا نفسي، لكنني لا أعتقد بأن المشروع سيخرج الى حيز الوجود قبل مرور مدة طويلة عليه. ومع هذا فالسر هنري ينفخ كثيراً من الحيوية في الأشياء، وأني أقف مشدوهة تجاه مقدرته العامة. فأقرأ مرةً مذكرة مدهشة له عن الجامعات وتأسيسها، ومرة أخرى مذكرته عن الطريقة المثلى لالتزام الأملاك الحكومية وتأجيرها.

2 حزيران

... سيكون غداً يوم عطلة بمناسبة ذكرى ميلاد الملك، وسيتوفر

عندي يوم كامل اشتغل خلاله في المتحف. فقد كنا منشغلين في قلع كتابة عربية جميلة تعود الى العهد العباسي المتأخر (ليست من الآجر) كانت على وشك أن تسقط من جدران البناية المتهدمة التي كانت فيها.. وقد أمكن قلعها بسهولة، وسوف يتولى تنظيفها الرئيس الأول الطيار هارنيت ويبنيها في جدار قاعة الآثار العربية الكبيرة...

لم أذكر لكم شيئاً عن الفيضان منذ مدة. لقد طغى الفرات وهدد بغمر الأراضي الى حد سكة حديد الحلة، غير ان مياهه قد انحسرت بعد ذلك - واخذت دجلة بالهبوط بصورة جازمة، لكن احد النواب قال لي قبل ايام ان سراديب داره الكائنة في وسط بغداد مغمورة بالماء لعمق أربعة أقدام..

9 حزيران

... وكان يوم من أيامي اللطيفة جداً، لأني قضيت الصبحية كلها هناك (في المتحف) وعدت الى الغداء والراحة التامة. وقد أقيمت وليمة عشاء رسمية بمناسبة يوم ميلاد الملك، وأعقبتها حفلة استقبال كبيرة في الحديقة حضرها خمسمائة مدعو. فكانت حفلة مؤنسة حضر فيها جميع النواب والأعيان وكل رجل معروف في بغداد، وكان الوزراء ومعظم الموظفين العرب يرتدون الألبسة الأوربية المعتادة وهم حاسرو الرؤوس، اما الروحانيون منهم فقد كانوا يلبسون الملابس الوطنية والعمائم...

سيحضر الملك هذه الليلة ليتعشى عندي، ونلعب البريج...

9 حزيران (ب)

... يلوح للمتتبع ان عقد المعاهدة مع تركية أوسع من أي شيء آخر هنا. انه يمنح المرء شعوراً بالارتياح لا يمكن التعبير عنه. فالملك مبتهج منشرح الأسارير به. ألم يكن هذا تغييراً كاملاً مفاجئاً في الاتجاه بالنسبة لهم؟ ونحن يصعب علينا ان نعتقد بأن الخطر المهدد للبلاد قد

انتهى أمره. سيأتي لنا نوري بنص المعاهدة يوم السبت، لكننا بطبيعة الحال نعرف كل شيء فيها لأن كل نقطة تنطوي عليها كانت موضع تبادل لا نهاية له في البرقيات. ويشعر الناس كلهم بأن العراق قد دفع ثمناً قليلاً (!) لكل هذا، اذا افترضنا انه كان عليه ان يدفع شيئاً، وكان هذا شيئاً لا مناص منه لينقذ على ما أحسب ماء وجه الأتراك..

16 حزيران

ان اهم أخباري هذا اليوم هو ما قرأتموه في الصحف عن توقيع المعاهدة العراقية ـ التركية(*) . وكانت عندي حفلة صغيرة لطيفة يوم الاثنين افتتح فيها الملك أول قاعة في المتحف. وقد فتحت للجمهور في هذا اليوم لأول مرة، وعندما كنت خارجة منها في الثامنة والنصف من صباح اليوم رأيت (15) أو (20) من سكان بغداد الاعتياديين يتفرجون فيها باشراف أمين المتحف العربي...

16 حزيران (ب)

... أتكهن بأني سيترتب عليّ ان أخصص البعض من فترات بعد الظهر لزيارة أقارب الملك من النساء، وقد وصلن من عمان مع جماعات كبيرة من الخدم ـ وهن جدته لأمه، وعدد غير معروف من

(*) بعد ان أقر مجلس عصبة الامم في جلسة 29/ 10/ 1924 ابقاء ولاية الموصل الى حد «خط بروكسل» ملحقاً بالعراق اتجهت النية الى تصفية شؤون العراق مع تركية فجرت مفاوضات تولاها نوري السعيد عن العراق ـ سافر في 27/ 5/ 1926 الى انقرة ـ وتوفيق رشدي وزير الخارجية عن تركية والسر رونالد تشارلز لندزي سفير بريطانية في أنقرة عن حكومته. فوقع المفوضون الثلاثة على هذه المعاهدة في أنقرة يوم 5 حزيران 1926. وقد أقرت المعاهدة الحدود التي عينتها لجنة عصبة الامم، وتضمنت علاوة على ذلك مواد تبحث في حسن الجوار لمدة عشر سنوات، وفي أمور أخرى تهم البلدين.

العمات والخالات، وزوجة علي مع أطفالها الثلاثة. ولا أدري أين سيسكنون وكيف سيكون ذلك ـ ان جميع ما أعرفه على الأقل هو انهم سيعيشون على حساب جلالته. فالظاهر أنه يتولى اعاشة الاسرة بأجمعها، عدا والده وأخاه عبد الله.

ان انباء سورية انباء مزعجة. اذ يقوم الفرنسيون بارتكاب اعمال وحشية لا تغتفر. علمت ان قصف دمشق للمرة الثانية قد طمست أخباره، لكنه خلف محلة بأسرها مدمرة خربة. لقد تأثرت جداً بالقصة الفظيعة: كان هناك ملاك غني جداً ينتمي الى الوطنيين المتحمسين، وقد حصلت له علاقة بهجوم شن على الجنرال غورو (في 1922 على ما اعتقد) وفر هارباً الى عمان أولاً ثم الى مكة. وبعد أن أخرج الحسين من مكة جاء الى هنا فأنزله الملك في مزرعته بخانقين ـ أبعد ما يكون عن الحدود السورية. فلم يسأل عنه الفرنسيون، وترك المندوب السامي الكلاب النائمة لشأنها. وكنت ألاقي الرجل أحياناً فأحببته وأحترمته، كما يحب المرء غاريبالدي ويحترمه. لقد كان وطنياً اصيلاً. وأخيراً، ولاختصار القصة أقول ان الرجل استطاع ان يعود متسللاً الى سورية حيث شرع يقود عصابات درزية. لكن الفرنسيين ألقوا القبض عليه وعلى أخيه فقتلاهما، ويحق لهم أن يفعلوا هذا بطبيعة الحال (!)، لكنهم بعد ذلك اخذوا جثتيهما الى دمشق وجردوهما من الملابس وراحوا يطوفون بهما لساعات وساعات في الشوارع فوق أظهر الحمير ـ ان هذا من شأنه ان يقلب أكثر الناس اعتدالاً الى وطنيين متطرفين. وأنا مطلعة على قصص كثيرة اخرى من هذا القبيل، لكنني فقط لم يصدف أن تعرفت على الضحايا شخصيا. فكيف يستطيع السوريون ان يغفروا للفرنسيين فظاعاتهم في يوم من الأيام؟.

23 حزيران

نحن نشتغل الآن في المتحف برغم الصعوبات الناشئة عن عطلة العيد، اذ تغلق فيها جميع دوائر الحكومة العربية أبوابها. ان حلول

العطل في مثل هذا الوقت الحار يعد شيئاً في غير محله بالنسبة لإمكان الاستفادة منها. لأن الجو الحار يحول دون الخروج الى التفسح...

ثم عدت الى البيت وتناولت فطوري، وبعد ان اشتغلت ساعةً من الزمن خرجت من جديد للزيارة. فزرت النقيب أولاً، ثم الوزراء، وعدداً من الوجهاء والأشراف، وفي الأخير زرت الملكة و(الملك) علي مع أسرته...

30 حزيران

... نحن الآن في عز الموسم الحار - درجة الحرارة 113(ف) - لكني لا أشعر بها الاّ قليلاً. ومن أسباب ذلك أننا بدأنا بالسباحة برغم ان الماء ما زال عالياً في النهر، وبرغم ما في النهر من تيارٍ قوي...

كثيراً ما أعجب كيف كان البابليون القدماء، وانا أشعر بصلة وثيقة بهم حالياً، يقضون الصيف؟ لقد كانوا بلاشك يقضونه مثلنا تقريباً ولكن من غير أن يكون عندهم ما عندنا من ثلج ومراوح كهربائية لها أهمية عظمى بالنسبة لمرافق العيش...

أهداني فيصل تمثاله النصفي، وقد صنعه فينو غلايشن من البرونز، لأضعه في المتحف. وسوف أنصبه في قاعة الآثار العربية الكبيرة...

2 تموز

... لا أدري ماذا يمكنني أن أفعل. فقد أخذت على عاتقي مسؤولية المتحف الخطيرة - كنت أكتب عنه منذ أشهر. كما كنت أطالب منذ مدة تزيد على السنة بوجوب تخصيص بناية مناسبة لهذا الغرض. فتهيأت في هذا الشتاء واحدة وخصصت لي مع مبلغ كبير من المال للترميم والتنظيم وما أشبه. فترتب علي ان أعيد بناء السقوف، ثم توقفت شهرين عن العمل بسبب الفيضان، وما اقتضى عمله من أجله. لقد نقلت الآن جميع اللقى الثمينة جداً، وتقدر قيمتها بعشرات الآلاف من الباونات، وأقول بالمناسبة انها لم تستخرج من بين طيات التراب لو لم

أكن أنا هنا لأضمن حمايتها على الوجه المطلوب ـ أقول نقلت كل هذه وكانت شذر مذر الى البناية الجديدة، وليس هناك احد غيري مطلقاً يعرف أي شيء عنها لأن جي أيم ويلسن قد ترك البلاد. ولا تعد هذه مجرد مسؤولية تجاه العراق فقط بل تجاه العلم الآثاري بوجهٍ عام. ولا يسعني قط أن اترك الأمور بحالتها هذه الاّ لأسباب قاهرة خيرة. أنا اشتغل فيها الآن وأبذل لها أقصى ما عندي من جهد، لكن الواجب جسيم جداً ـ أنا بالطبع أحب ذلك، وانا مستعدة أيضاً لأن أخصص له جميع أوقات فراغي. لكنني لا يمكن ان استقيل من وظيفتي كسكرتيرة شرقية. ولما كنت من الموظفين المدنيين فليس لي سوى اجازة شهرين، وهو شيء أكثر بقليل من تسعة اسابيع أقضيها في انكلترة.

... انتم بلا شك تدركون أني مجبرة على إنجاز ما تعهدت به عندما سمحت الحكومة العراقية بتوصية مني باجراء التنقيبات قبل أربعة أعوام. وقد توسع العمل شيئاً فشيئاً...

7 تموز

... أنا جد مسرورة لأنكم استلطفتم صور متحفي، وأتمنى لو انني استطيع تصوير غرف الطابق الثاني، لانها بحالة مرتبكة الآن ـ ليست مرتبكة كما كانت من قبل لكن معظم القطع مصنفة تصنيفاً غير متقن، وهي جاهزة للحفظ في الدواليب. لكنني أجد من الصعب جداً عليّ أن أنظم أمر الدواليب. فحتى الدولابين الصغيرين اللذين استطعت ان ارتبهما حتى الآن قد استنفدا شيئاً كثيراً من الفكر واعادة الترتيب قبل ان يصبحا في وضعٍ مرضٍ. وتأتي بعد ذلك كتابة الرقع والعناوين ومن حسن الحظ ان كاتبي العربي يتمكن من كتابتها كتابةً جميلة، ولذلك فأن كل ما يترتب عليّ هو ان أعطيه قائمة بما يجب ان يكتب ازاء كل قطعة، وأتركه يتمم واجبه بينما أكون أنا منشغلة بعملي في الدائرة...

7 تموز (ب)

كان بيرسي لورين(*) هنا في طريق عودته الى الوطن. انه حزين لمغادرة ايران حيث أحرز نجاحاً كبيراً. لقد قامر على رضا شاه ـ كان هذا في الحقيقة الحصان الوحيد الذي يستحق التأييد، غير ان حسابات ايران لا تدعو الى الاطمئنان. فقد يتوفق رضا شاه او لا يتوفق، فاذا لم يفعل ستكون الفوضى والارتباك أسوأ مما كانا عليه. وعلى كلٍ ستكون الأمور أصعب لقد أقام السر هنري حفلة عشاء لبيرسي لورين فكانت حفلة رائعة اذ جاء ذلك براقصات روسيات فجلسنا في قاعة الرقص الكبيرة الباردة نتفرج عليهن ونشعر بأننا متمدنون تماماً! لقد أحببت ملاقاة بيرسي انه صديق مخلص جداً.

جاء ايلتد من الموصل يوم أمس ليقضي أياماً قلائل هنا، فسررت بذلك. سيأتي الى الساحة معنا هذا اليوم بعد الظهر، ياله من اضافة جميلة الى جماعتنا.

كانت هذه الرسالة (الى والدها)، مع رسالة اخرى الى زوجة ابيها (مؤرخة في 2 تموز) آخر ما كتبته المس غيرترود بيل. فقد ذهبت في مساء الأحد التالي لتسبح، وحينما همت بالذهاب الى النوم أوصت خادمتها بإيقاظها في السادسة صباحاً. وعندما جاءت خادمتها ماري لتفعل ذلك لم تردَّ عليها، فتشوشت وتسللت الى غرفتها فيما بعد فوجدتها ما تزال نائمة، لكن نومها ذاك كان نوماً لم تستيقظ بعده. كانت وفاتها في الساعات المبكرة من صباح الاحد المصادف 12 تموز 1926. وقد دفنت في مقبرة المسيحيين الكائنة في «ساحة الطيران» اليوم (منطقة الباب الشرقي).

(*) السفير البريطاني في ايران.

نساء طور التبك في شمال الجزيرة العربية

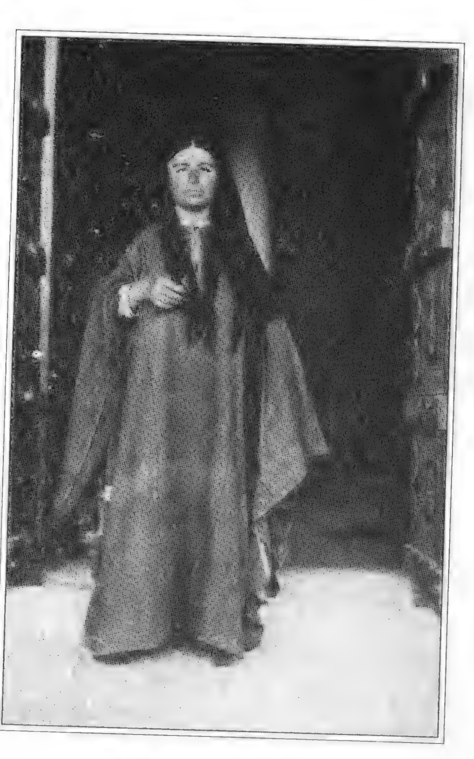
مشايخ من أبو طي في مخيم في حويطة



صور بعدسة المس بيل أخذتها
لرجال قبائل في حائل.



بئر ماء.



امرأة تركية في حائل.

امرأة من حائل خلال إقامة المس بيل فيها.



صورة لحائل ويظهر جبل شمر في الخلف.



المخيم الأخير للمس بيل يحضر القهوة



رجال من قبيلة شمر خارج حدود حائل.



لاعب هزلي في الجوارب.



جماعة المس بيل يغادرون حائل.



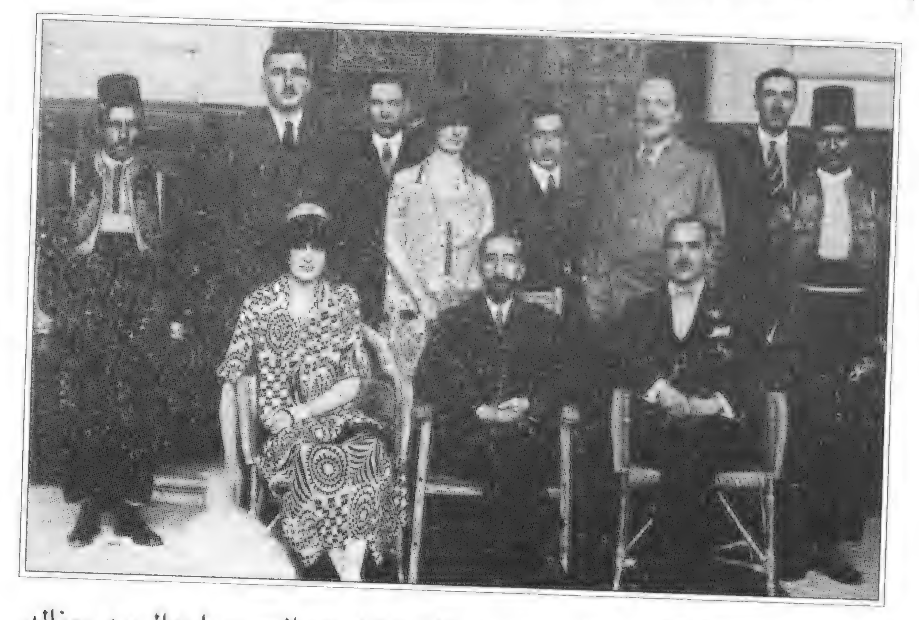
الشيخ عبد الله بن هيّا وأحد أبِناءه في حائل.



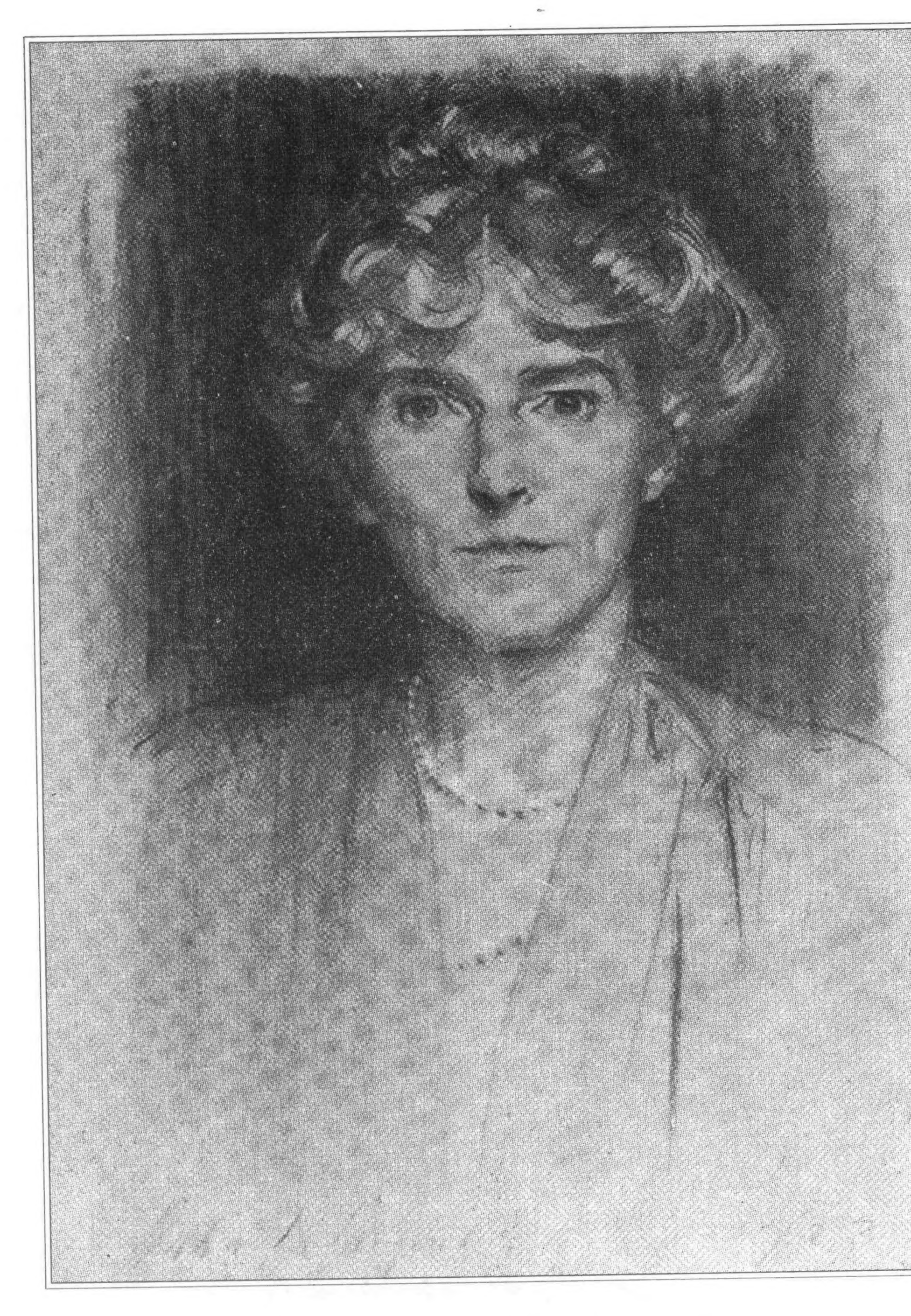
المس بيل على جملها في بغداد في نهاية رحلتها العربية.



مؤتمر تشرشل في القاهرة عام 1921 لجهة الشمال «الصف الاول»
سكرتير الكولونيل السيد برسي كوكس، ولجهة اليمين السيد هربرت صاموئيل، في الثاني
الأمامي أ.ب. ويلسون مع المس بيل على يسار الصف الثاني و. ف. لورنس الرابع على اليم



الملك فيصل الأول مع اللورد جورج والسيدة لويد، المس بيل والسيد رونالد
ستورز يقف خلفها.



صورة المس بيل بريشة جون سرجنت عام 1923.

الفهرس

لا نملك إلا أن نقول بأن رسائل المس بيل - الموجهة إلى والدها للفترة 1917- 1926 - تعتبر في مضامينها أحد المصادر الأساسية لتاريخ العراق السياسي الحديث، فقد انفردت بتسجيل ما لم يسجله مصدر آخر. لأن الكاتبة كانت شاهد عيان في مواجهة الواقع السياسي الذي ساد العراق قبل ثورة العشرين وخلالها وبعدها وكانت في عمل متواصل لتثبيت النفوذ الاستعماري البريطاني في العراق من خلال تقاريرها.

إن هذه الرسائل لا تقل أهمية عن مدونات الرحالة الأجانب، وسجلات شركة الهند الشرقية، ومؤلفات الحكام السياسيين الذي عرفهم الشعب العراقي خلال فترة الاحتلال.

لقد حان الوقت أن نقرأ بشجاعة ما كتب فينا قبل أكثر من 80 عاماً، لأن التجاهل لا يمكن أن يستقيم موقفاً سليماً.

ولدت المس بيل سنة 1868 في مقاطعة يور كشاير ببريطانيا، وهي ابنة السير هيو بيل من زوجته الأولى، عاشت طفولتها الأولى في بيئة ساحرة، ومناخ ليبرالي.. في بيت أبيها الباذخ، وكان أبوها وقتذاك واحداً من أكبر رجال الصناعة المعروفين في بريطانيا.

كانت هذه المرأة، إلى جانب اهتمامها بسلالات القبائل العربية وزعاماتها، وإلى جانب معرفتها الدقيقة بأسرار البوادي العربية، تتمتع بذكاء خارق في مستهل وجودها في البصرة عام 1916 ... فلا عجب إذا كانت تتبجح بأنها خلقت كيان العراق، وكوّنت عرشه، وجاءت بأفكار حكومته، وتقول في احدى رسائلها لأبيها «ثق انني لن اشتغل بخلق الملوك بعد الآن»

وفي ساعة مبكرة من صباح الأحد 12 تموز 1926 ماتت الآنسة بيل في بيتها البغدادي عن عمر يناهز 58 سنة. وقد وجدتها خادمتها الأرمنية ماري، خامدة الانفاس وقد شيعت تشييعاً يكاد يكون رسمياً إلى المقبرة المعروفة في ساحة الطيران ببغداد حيث دفنت هناك.

الناشر